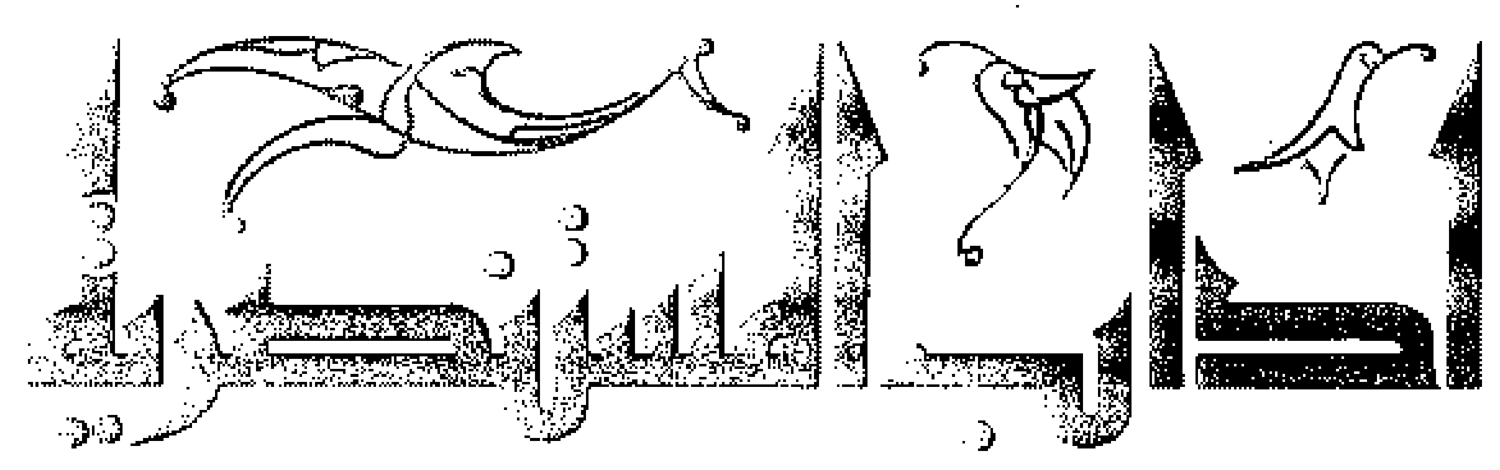






تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

العدد التاسع

٩



لجنة المجلة

كلمة المجلة

تحيـــة طيبـــة وبعـــد :

يسر هيئة تحرير مجلة آداب المستنصرية ويسعدها أن يصدر العدد التاسع من المجلة على هذا المستوى من التوازن بين الاختصاصات التي تعنى بها كليات الآداب في الجامعات العراقية وأن يسهم اساتذة من هذه الكليات جميعها في البحوث التي ضمها هذا العدد وإذا استثنينا العدد السابع الذي بدأت به تجربة نيابة مجلة آداب المستنصرية عن نظائره من مجلات الكليات الشقيقة فان العددين الثامن والتاسع منها يمثلان الحالة المنشودة من حيث النضج والدقة وعدالة منح فرص النشر للزملاء اساتذة كليات الاداب في القطر حسب توافر البحوث المرسلة للمجلة .

ان المستوى الجديد للمجلة وكفاءة بحوثها يحقق طرزاً رفيعاً من المجلات المتخصصة في قطرنا الناهض ، وأن وسائل الاطراء التي ترد الى هيئة التحرير من داخل وخارج القط القطر تزيد من عزمنا على تطويرها وترصينها ، وأننا اذ نشكر للجميع هذا الثناء نشعر بالحاجة الى آراء الزملاء بهدف تحسين واقع المجلة وادائها ، وفي الختام نشكر جميع الباحثين الذين اسهموا في هذا العدد ونشكر لرئاسة الجامعة وسائل الدعم التي احاطت بها المجلة ونعتذر عن الاخطاء المطبعية التي وقعت أثناء الطباعة آملين الخير للجميع في سياق عطاء قادسية صدام المجيدة التي تفجرت في عراقنا الحبيب ووطننا العربي المقدس كفاءة السلاح والبناء والفكر والنصر الدائم والله ولي التوفيق .

حميد مخلف احمد
عميد كلية الآداب
رئيس تحرير المجلة

اللغة العربية وآدابها

المحتويات

الصرف وعدم الصرف
في
أسماء المدن والأمكنة

للدكتور أحمد نصيف الجنابي
كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية



بسم الله الرحمن الرحيم

« المدخل »

(١)

موضوع « ماينصرف وما لاينصرف » من القضايا النحوية المهمة وهو متعدد الجوانب لأنه يرتبط من جهة بالتذكير والتأنيث ويرتبط من جهة أخرى بالابنية .

ويلح جمهور من النحاة على ربط بعض مسائله بإرادة المتكلم ، فاذا قصد بالكلمة (المدينة) أنثها ومنعها من الصرف ، وإن قصد بها (المكان) فهي مذكرة ومصروفة !!

(٢)

ويختلف النحاة في عد جملة من أسماء المدن «مؤنثة» أو «مذكرة» ، بل قد يختلفون في درجة تذكيرها أو تأنيثها ، إلى درجة تدعو إلى الاستغراب

والتعجب ، ولذلك ناقشت هذه القضية واعطيت فيها رأياً آمل أن يكون بديلاً أفضل ...

(٣)

والامر الآخر أن كتب النحو التقليدية لاتستوعب قضايا الممنوع من الصرف ولا سيما أسماء المدن والاماكن على كثرة ما ألف في هذا الموضوع ، خارج نطاق كتب النحو ...

واذا كان عذر النحاة الرواد أمثال الخليل بن أحمد (المتوفى ١٧٥هـ) وسيبويه (المتوفى ١٨٠هـ) والمبرد (المتوفى ٢٨٥هـ) أنهم لم يطلعوا على كتب مخصصة للبلدان مؤلفة قبلهم أو في عصرهم ، فما عذر من جاء بعدهم ولا سيما أهل القرن الرابع الهجري ومن بعدهم ؟

إنّ المادة التي جاءت عن الممنوع من الصرف والمصروف من أسماء المدن عن الخليل مقتضبة ، وما جاء في الكتاب لايحل كل مشكلات الموضوع ، اما ماكتبه (المبرد) في مؤلفيه «المذكر والمؤنث» و «المقتضب» عن الموضوع فهو لايزيد على من سبقه شيئاً ذا بال ...

أما الزمخشريّ (وهو من علماء ونحاة القرن السادس الهجري ومؤلف كتاب : «الجبال والامكنة والمياه» فما جاء في كتابه «المفصل» غير واف ولا كاف . بل الذي لفت نظري أنّ «ابن يعيش» (وهو واحد من احسن الذين شرحوا المفصل ومن أوسعهم مادة) . لايعطي مايريده الباحث من تفاصيل في موضوع الممنوع من الصرف ولاسيما أسماء المدن والاماكن

(٤)

لذلك لجأت إلى تجربة حقل آخر من حقول هذه اللغة الكريمة : لغة القرآن ، نقرأت كتب المذكر والمؤنث — أعنى أهمها — وكتب البلدان فوجدت مادة كثيرة أغنتْ البحث ، وأمدته بشواهد تفتقر اليها كل كتب النحو التقليدية ...

واستفدت من معجمات اللغة فائدة كبيرة لانها أعطتني شواهد جديدة وتفسيرات دلالية واضحة لها ، وتلك سمة من سمات المعجمات لايجوز إغفالها .

كما استفدت من دواوين الشعر العربيّ مادة طيبة صالحة ، ولولا هذه الروافد لما تمّ البحث بهذه الصورة ...

ولاتصال جزء من البحث بالتذكير والتأنيث عند العرب، قسمته قسمين :

الاول : ما يتصل بالتذكير والتأنيث ....

الآخر : ما ليس له صلة بالتذكير والتأنيث.

واردفته بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج الجديدة. وإنّ منهجي يقوم على اساس نظرة أقرب ما تكون الى المنهج الوصفي وإن لم تكن وصفية خالصة وذلك لسببين :الاول : أن النظرة الوصفية الخالصة قد لا تكون موجودة — اذا اردنا الدقة في الحكم — الاخرى : اننا نحتاج الى بيان الاسباب والى الدقة المعيارية في حالات ليست قليلة.

وآمل أن يكون في بحثي جدّة وطرافة ،كما آمل أن تكون نتائجه اضافة — ولو صغيرة — الى صرح النحو الكبير .

فان جاءت كذلك فهذا من فضل الله وحسن توفيقه. وان جاءت على غير ما أردت لها فهذا من تقصيري.

والله أسأل ان يجنبنا العثرات وان يهدينا لاقوم السبل .وهو حسبنا ونعم الوكيل .

القسمُ الأوّل

مايتصل بالتذكير والتأنيث

وهو في مبحثين :

المبحث الأول

ماليس فيه علامة تأنيث

إنّ المشكلة الاساسية التي يواجهها الباحث في هذا اللون من ألوان الممنوع من الصرف، هو عدم اتفاق النحاة على مبدأ واحد في الحكم على ما يمنع من الصرف او ما يصرف ... ويبدو أنّ النحاة داخل المدرسة الواحدة يختلفون في تحديد المبدأ الذي يقيسون به (او يزنون) هذه الاسماء الكثيرة، المتعددة الاصول. فالنحاة البصريون يختلفون في الحكم على اسم الارض (او المكان)من حيث الصرف ومنعه، فيرى بعضهم أن اسماً ما مؤنث فهو ممنوع من الصرف، ويرى آخر أنه مذكر فهو مصروف. ويصل الامر الى حد أنهم يختلفون في تحديد ما فيه من ذكورة او انوثة فيقولون انه يغلب عليه التذكير، او يغلب عليه التأنيث !! والنحاة الكوفيون يختلفون في تحديد مبدأ معين للحكم على هذا النوع من أنواع الممنوع من الصرف.

ونطرح — الآن — آراء النحاة من المدرستين، ثم نبين رأينا فيه:

ونبدأ بنحاة البصرة لأن مدرسة البصرة أسبق من مدرسة الكوفة.

رأي الخليل وسيبويه :

يرى الخليل وسيبويه أنك اذا سميت أرضاً على ثلاثة أحرف اوسطها ساكن وكان الاسم مؤنثاً او اسماً الغالب عليه التأنيث فالاختيار ترك الصرف وان شئت صرفته؛ وذلك نحو :قدر وشمس وعنز(١) .

---

(١) الكتاب ٢/٢٣ وما ينصرف للزجاج /٥٢ .

أما الاسماء التى يختلفون في تذكيرها وتأنيثها فمنها دابق ومنى وهجر، وواسط(١).

أما واسط فالتذكير والصرف أكثر، ولو أرادوا التأنيث قالوا واسطة. ومن العرب من يجعله اسم أرض فلا يصرفه(٢).

ودابق الصرف والتذكير فيه أجود وكذلك (منى) . وإن شئت أنثتهما فلم تصرفهما .

وكذلك (هجر) يؤنث ويذكر (٣).

وخلاصة رأيهما أنهما قاسا أسماء البلدان المؤنثة الثلاثية على اسماء الاناث.

أما ما كان ثلاثياً محرّك الوسط او رباعياً فاختلفوا في تذكيره وتأنيثه؛ فان كان مذكراً او غلب عليه التذكير فالصرف فيه أجود، وان مؤنثاً او يغلب عليه التأنيث فترك الصرف أجود فيه.

رأي أبي حاتم السجستاني :

يرى ابو حاتم في كتابه «المذكر والمؤنث» أن (حَجْراً) الذي في اليمامة يذكر ويصرف، وبعض العرب يؤنثه ولا يصرفه كامرأة سميتها«سهل»(٤).

أما واسط التي بنجد والجزيرة فتصرف عنده ولا تصرف.

وأما واسط البلد المعروف (اي الذي في العراق) فمذكر عنده، لأنهم أرادوا بلداً واسطاً او مكاناً واسطاً، فهو منصرف على كل حال(٥) .

رأي المبرد :

يرى «المبرد» أنّ ما يحدد صرف اسماء البلدان او عدم صرفها أمران:

الاول : مايريده الانسان من اسم البلد فان اراد به المكان ذكرّه وصرفه

(١) الكتاب ٢/٢٣ .

(٢-٣) الكتاب ٢/٢٣ .

(٤) المذكر والمؤنث /١٨٢ نقلا عن كتاب المذكر والمؤنث لابن الأنباري .

(٥) معجم البلدان ٥/٣٤٧

وان أراد به البقعة أنثه ومنعه من الصرف. ومن الامثلة على ذلك «واسط»، وفيها يقول: (إن واسطاً الاغلب عليه لانه اسم مكان وسط البصرة والكوفة فأنما هو نعت سمّى به. ومن أراد البلدة لم يصرفها وجعلها امرأة سميت ضارباً)(١) .

الثاني : ان ما كان مؤنثاً من اسماء البلدان وفيه ما يمنع اسم المرأة من الصرف، لم تصرفه(٢) .

وهذا الضابط يشمل عنده جُلّ اسماء البلدان(٣).

وعنده أنّ من اسماء البلدان ما يغلب عليه وجه واحد (التذكير او التأنيث) والوجه الآخر جائز (٤) .

رأي الصيمريّ (*)

أما الصيمريّ فلا يفعل اكثر من صياغة أقوال «المبرد» صياغة جديدة فيها سهولة من الاسلوب ووضوح في المعنى. ولا يخلو عمله من فضل. وفي ذلك يقول :(اما اسماء الارضين فبمنزلة غيرها من الاسماء، فما اعتقد فيه أنه مؤنث كبقعة وبلدة وسمّى باسم فحكمه كحكم أسماء النساء من الصرف وامتناعه، وما اعتقد فيه أنه مذكر كمكان وموضع وبلد جرى مجرى اسماء الرجال من الصرف وحكم عليه بما يستحقه من ذلك ..... فهذان التأويلان يجوزان في كل موضع .....). ثم يقول :(وقد يغلب كلام العرب في بعض ذلك على التذكير حتى لا يؤنث. ومن بعضها على التأنيث حتى لا يذكر (٥).

(١-٢) المقتضب ، للمبرد ٣/٣٥٧-٣٥٨ .

(٣-٤) المقتضب ٣/٣٥٧

(*) هو عبد الله بن علي بن اسحاق من نحاة القرن الرابع الهجري .

(٥) التبصرة والتذكرة للصيمري ٢/٥٨١ .

رأي أبي علي وأبي سعيد السيرافي وابن سيدة :

وهؤلاء الاعلام الثلاثة يتابعون الرأي الشائع عند البصريين في هذا النمط من الاسماء الممنوعة من الصرف (١) .

رأي الزجاج :

يخالف الزجاج جمهور البصريين في هذا النوع من الاسماء فيرى أنّ ما سُمِّي به من أسماء البلدان وكان مؤنثاً ساكن الوسط فهو ممنوع من الصرف (٢).

وتابعه على هذا الرأي ابو جعفر النحاس (المتوفى ٣٣٨هـ) متابعة تامة (٣).

ويرى الزجاج أن (هجراً) الغالب عليه التذكير والصرف(٤) . ويرى فيه سيبويه التذكير والتأنيث على حد سواء.

واعتقد أن الزجاج مسبوق بهذا الرأي لانه رأي الفرّاء (٥).

*** آراء الكوفيين :**

رأي الكسائي :

إنّ مجموعة من المصادر نقلت عنه أنه سمع جماعة من العرب – وقد أكثر من مخالطتهم من نجد وتهامة – وهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا أفعل منك (٦) .

ونص النحاس في كتابه «اعراب القرآن» على أن الكسائي قال: (ايجوز أن تصرف مصر وهي معرفة لأن العرب تصرف كل ما لا يصرف الا افعل منك) . ولم يخص ذلك بالشعر (٧).

---

(١) المخصص ، لابن سيدة ١٧ : ٤٥ .

(٢-٣) ماينصرف /٥٢ واعراب القرآن للنحاس ٢/١٥٥ .

(٤) ماينصرف /٥٢ .

(٥) المذكر والمؤنث ، لابن الانباري /٤٦٧ .

(٦) أفعل منك : اسم التفضيل المجرد من أل

(٧) اعراب القرآن ١٨٢/١ وينظر أمالي الزجاجي ص٥٥ وضرائر الشعر لابن عصفور /٢٥.

رأي الفرّاء :

اما الفراء فرأيه معياريّ واضح جداً، فهو يرى أن (اسماء البلدان لا تنصرف خفّتْ أو ثقلت واسماء النساء اذا خفّ منها شيء جرى(١)، اذا كان على ثلاثة أحرف واوسطها ساكن .... وانما انصرفت لأنها تتردد وتكثر بها التسمية فتخفّ لكثرتها، واسماء البلدان لا تكاد تعود (٢).

فهو يرى أن اسماء البلدان لا تنصرف سواء اكانت على ثلاثة احرف ساكنة الوسط، او محركة الوسط.

ويبدو أنه يريد الاسماء التي خلصت انوثتها والدليل على هذا التأويل انه يقول من (هجر): «الغالب عليه التذكير والاجراء» (٣).

ويقول عن اسماء البلدان الرباعية (قباء وأضاح يذكران ويؤنثان ، فمنْ ذكّرهما اجراهما ومن انثهما لم يجرهما (٤) .

فلو كان يريد باسماء البلدان مطلق الاسماء لما صحّ منه ما قاله في (هجر) ولا ما قاله في قباء واضاح ، لانه لو امتنعت « هجر » من الصرف مطلقاً لامتنعت قباء واضاح لأن الرباعيّ أولى من الثلاثي بالمنع من الصرف.

ويرى الفراء أنّ العرب قد تصرف ما لا ينصرف في ضرورة الشعر، ومثل لذلك ببلدة(عُمان) (٥).

رأي أبي بكر بن الأنباريّ :

اما ابن الانباري فقد عقد في كتابه القيّم : «المذكر والمؤنث» باباً لاسماء

(١) جرى : انصرف .

(٢) معاني القرآن ، للفراء ١/٤٢-٤٣ .

(٣) المذكر والمؤنث ، لابن الانباري /٤٦٧ .

(٤) نفسه /٤٦٩

(٥) نفسه /٤٦٨

البلدان نقل فيه عن رجال المدرستين ، ولا سيما الفراء من الكوفيين (١) ، وابي حاتم من البصريين (٢) .

ويبدو أنه جمع بين آرائه الكوفيين والبصريين في هذه القضية الشائكة . وخلاصة رأيه أنه يرى (٣) :

– أنّ الغالب على أسماء البلدان التأنيث .

– وأنّ قسماً منها مذكر .

– وبعض أسماء الاماكن يغلب عليه التذكير والاجراء مثل (حُنَين) .

– وبعضها يغلب عليه التأنيث وترك الاجراء مثل (مصر).

وبعضها يكون فيه التذكير والتأنيث سواء مثل (دابق) .

وربط بين هذه الحالات وقضية الصرف ومنعه فقال: «فكل ما أُنِّث من اسماء البلدان لم يُجرَ (٤) ، وكل ما ذكّر من اسماء البلدان أُجرى (٥).

رأينا في هذا ......

غير أنّ لي وجهة نظر في هذا النوع من أسماء البلدان الذي يخلو من علامة تأنيث، آمل أن تحل مشكلة الاضطراب الذي وقع فيه النحاة ، وقد شرحناه تفصيلاً .

تفرق اللغة العربية –من ناحية الجنس– بين نوعين من الاسماء، هما : المذكر والمؤنث ويوجد هذا الميل في لغات أخرى كثيرة وقد تزيد لغات أخرى كاللغات الهندية الاوربية نوعاً ثالثاً هو ما يسمى «بالمحايد» (٦) ، وهو معروف تماماً لدراسي اللغة الالمانية والانجليزية .

(١) المذكر والمؤنث ، صفحات : ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .
(٢) نفسه ، صفحات : ٤٦٨ ، ٤٦٩ .
(٣) المذكر والمؤنث ، صفحات : ٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ .
(٤) لم يجر : منع من الصرف .
(٥) أجري : صرف .
(٦) اللغة (فندريس) ، ص١٢٦

غير أن بعض اللغات قد أهملت ناحية التذكير والتأنيث وقسمت الاشياء فيها الى اسماء أحياء واسماء جمادات . وقد قال بروكلمان : (وفي اللغات البدائية ليس هناك نوعان فحسب من الجنس، كما في اللغات السامية ، ولا ثلاثة أنواع ، كما في اللغات الهندو أوربية ، بل فيها غالباً أنواع كثيرة يفترق بعضها عن بعض نحوياً وتتوزع فيها كل اشياء العالم المحسوس ، ويرجع هذا التوزيع في الاساس الى تأملات لاهوتية، او بتعبير أحسن ، تأملات خرافية ، على قدر ما يبدو للرجل البدائيّ أن العالم كله من الاحياء) (١) .

ويمكن أن نسمى ما لاحظه بروكلمان (بالتأملات اللاعقلانية في اللغة) ، وتوجد هذه التأملات حتى في اللغات التى قسمت الاسماء الى مذكر ومؤنث (٢) .

وترتب على فقدان الصلة العقلية بين الاسم ومدلوله الجنسىّ ، أنْ اهتزّ هذا المدلول في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم (٣) .

فالسَّلم (*) (الصلح) يذكر ويؤنث ، وجاء القرآن الكريم بالتأنيث . قال تعالى : « وانْ جنحوا للسلم فأجنحْ لها » (٤) .

وقال زهير في التذكير : (٥)

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً   بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا هو السرّ في أنّ كثيراً من الكلمات التى تسمى بالمؤنثات السماعية

---

(١) فقه اللغات السامية (بروكلمان) ، ص٩٥ .

(٢) مقدمة كتاب «البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث » لابي البركات الانباري ، ص ٤٠ لمحققه الاستاذ الدكتور رمضان عبد التواب .

(٣) نفسه ، ص٤٤ .

(٤) سورة الانفال ، الآية ٦١ .

(*) بفتح السين وكسرها ، (اصلاح المنطق ، ص٣٦١) .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال /٢٦٧ .

في اللغة العربية – وهي التي تخلو من علامات التأنيث – قد روي لنا فيها التذكير ، أيضاً . (١)

غير أنّ عدم معرفة اللغويين العرب بهذه الحقيقة الحضارية أوقعهم في الاضطراب ، وأثر هذا الاضطراب في الاحكام والتأويلات والتفسيرات .

ومن أمثلة الاضطراب موقفهم من كلمة (الكفّ) ، وهي مؤنثة عندهم . وقد قال أبو بكر بن الانباري : (لم يعرف تذكيرها أحد من العلماء الموثوق بعلمهم ، وزعم قوم لايوثق بعلمهم أنه يذكر ، وبنوا على ذلك بيت الأعشى :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما   يضم الى كشحيه (كفّاً مخضبا) (٢)

وقد جاء في تأويل هذا التذكير أقوال :

١ – قول الفراء : ربما ذكّرت العرب فعل التأنيث اذا سقطت منه علامة التأنيث (٣) .

٢ – والقول الثاني : أن يكون أراد كفاً مخضبة فحذف الهاء لضرورة الشعر على جهة الترخيم ، كما ترخم العربُ من الشعر الاسم في غير النداء ، اذا احتاجت الى ذلك . أنشد الفراء وهشام :

وما أدري وظنّي كلّ ظنٍّ   أمسلمني الى قومي (شراحي)

أراد (شراحيل) فحذف اللام على جهة الترخيم .

وقال ذو الرمة :

ديار مية اذ (ميّ) تساعفنا   ولا يرى مثلها عُجْمٌ لا عرب

أراد (مية) فحذف الهاء (٤) .

٣ – الثالث : أن يكون جعل (مخضباً) نعتاً لقوله (رجلاً) .

---

(١) المرجع السابق / ٤١ .

(٢) كتاب المذكر والمؤنث /٢٧٨–٢٧٩

(٣) معاني القرآن للفراء ١/١٢٧ .

(٤) المذكر والمؤنث /٢٨٠ .

٤ ـ قول ابي عليّ اذ رأى أن (مخضباً) حال من الهاء في (كشحيه) .
وعلى الشاطبى في شرح الالفية : (مثل هذا انما يكون على توهم اسقاط المضاف اعتباراً بصحة الكلام دونه ، ومن هنا أجاز أبو عليّ في قول الشاعر : « أرى رجلاً ... البيت » أن يكون مخضباً حالاً من الضمير في كشحيه وهو مضاف ولكنه في تقدير « يضم اليه » لأنه اذا ضمه الى كشحيه فقد ضمّه اليه فكأنه قال : يضم اليه فهو في التقدير حال من المجرور بحرف الجر ، وهو جائز) (١) .

٥ ـ أن يكون حالاً مما في (الاسيف) لأن الضمير معرفة .

٦ ـ أن يكون حالاً ممّا في (يضم)...

وهى تأويلات أحسن ماتوصف به أنها مضطربة ، كما أنها لاتخلو من تعسف ، وتخلو من جامع منطقيّ أو لغوي يجمع بينها .

والتفسير المقبول أن الكف مؤنثة تأنيثاً مجازياً ، فتؤنث عند جماعة من العرب وتذكر عند آخرين ، لأنها لا تحمل علامة محددة تجعلها مؤنثة .

وعدم معرفة اللغويين القدامى هذا التفسير أوقعهم في اضطراب عند تفسيرهم مجموعة من الأبيات التى تقع في ميدان التأنيث المجازيّ ...

واضطرابهم في تفسير « الكف المخضب » هو نفسه الذي جاء في تفسير (العين المكحول) !!

فالعين مؤنثة باتفاق اللغويين العرب (٢) ، لكنّ طفيلاً الغنوي قال :

اذ هي أحوى من الربعيّ حاجبه   والعين بالا ثمد الحاريّ مكحول

فاختلف اللغويون والنحاة في تأويله :

---

(١) خزانة الادب ٣ / ١٥٦ .

(٢) المذكر والمؤنث ، للفراء / ١٨ وكتاب المذكر والمؤنث ، لابن الانباري / ٢٨٢ ، والبلغة / ٧١ .

١ـ فرأي سيبويه أن العين جاءت بمعنى الطرْف (١) .

٢ـ ويرى الفراء أنه ذكر مكحولاً لأن العين لا علامة للتأنيث فيها (٢) .

٣ـ قول الاصمعيّ : انما ذكرّ (مكحولاً) لأن المعنى حاجبه مكحول والعين ايضاً (٣) .

وعقب ابن الأنباري على رأي الاصمعي بقوله : « فعلى هذا المعنى ترتفع هي بأحوى ، واحوى بهي ، ويرتفع الحاجب بمكحول ، ومكحول به ؛ وترتفع العين باضمار مكحولة والمعنى : حاجبه مكحول وعينه مكحوله أيضاً » (٤) .

وهذه التأويلات بعيدة عن الواقع وعن التفسير اللغوي الدقيق المقنع ، لأن العين مؤنثة باجماع اللغويين ، فالقانون اللغوي — عندهم — يقتضي أن نقول « مكحولة » ، فلما رأوا الشاعر جاء بخبر العين مذكراً لجأوا الى التأويلات البعيدة ، ولو عرفوا أن هذه الكلمات (ومجموعة كبيرة مثلها) لم تكن تحمل في أصل الوضع جنساً محدداً فأنثّها فريق من اصحاب اللغة ، وذكرها فريق ، وجاءت النصوص العربية تحمل هذين الرافدين أحياناً ؛ وجاءت تحمل رافداً واحداً وآثاراً من الرافد الثاني أحياناً ؛ وجاءت تحمل رافداً واحداً في احيان أخرى ، وضاعت نصوص الرافد الآخر .

والرأي الذي نخلص اليه أن الالفاظ المؤنثة التي لا تحمل علامة تأنيث مميزة وليس لها أي نصيب في التأنيث اذ لم تطلق علماً لامرأة فيجوز تذكيرها . وانّ الذي قوى عدم تحديد جنسها واستمرارية هذه السمة لدى الاجيال المتعاقبة من العرب أمران : الاول أن تلك الكلمات تخلو من أية علامة للتأنيث .

---

(١) الكتاب ٢٤٠/١ وتابعه عليه ابن السكيت ، كتاب المذكر والمؤنث /٢٨٣ .

(٢) معاني القرآن ١٢٧/١ .

(٣-٤) كتاب المذكر والمؤنث /٢٨٣ .

والآخر : أنها لم تطلق على مؤنث آدميّ واجتماع هذه الامور في هذه الالفاظ جعلها تبقى مترددة بين التذكير والتأنيث بين قبائل العرب على مدى الأجيال حتى رسخ عدم التحديد والتردد بين المذكر والمؤنث بدلاً من الثبات على جنس واحد .

ويمكن أن نطبق هذه النتيجة على اسماء الأماكن والمدائن .

فحنين ، وخيبر ، وعكاظ ، وفيد ، وقُدس وغيرها من الاماكن والمدائن الواقعة في هذه الدائرة ، أماكن يجوز فيها التأنيث وعدم الاجراء ، ويجوز فيها التذكير والاجراء . ولاعبرة بعد ذلك في اختلاف اللغويين ، لأن الاستعمال يدل دلالة واضحة على أنّ العرب نظروا الى هذه المؤنثات المجازية هذه النظرة الثنائية الواضحة في استعمالهم لها .

وهذه شواهد القضية بوجهيها :

* **حنين**

قال تعالى : « ويوم (حُنينٍ) اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً »(١).

وقال حسان بن ثابت (في عدم الاجراء) : (٢).

نصروا نبيّهُمُ وشدّوا أزره (بحنين) يوم تواكل الابطال

* **خيبر**

قال كعب بن مالك (في الاجراء : (٣)

ونحن وردنا خيبراً وفروضهُ بكل فتىً عاري الاشاجع مذود

وقال في عدم الاجراء : (٤)

قضينا من تهامة كلّ ريب وخيبرَ ثمّ أجمعنا السيوفا

(١) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

(٢) ديوان حسان ١٩٤/ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ٣٦٣/٣ (والعروض: المواضع التي يشرب منها من الأنهار. والاشاجع : عروق ظاهر الكف).

(٤) السيرة النبوية ١٢١/٤ (الريب – هنا – الحاجة) .

* **عكاظ**

قال دريد بن الصمة (في الاجراء: (١)

تغيبتُ عن يومي (عكاظٍ) كليهما   وان يك يوم ثالثٌ أتغيّبُ

وقال طريف بن مالك العنبري (في عدم الاجراء) : (٢)

أو كلما وردت (عكاظَ) قبيلة   بعثوا إلي عريفهُمْ يتوسَّمُ

* **فيد**

– قال زهير بن ابي سلمى في الاجراء : (٣)

أجُدٌ سرى فيها وظاهر نيَّها   مرعىً لها أنِقٌ بفيدٍ مُعْشِبُ

– وقال زهير في عدم الاجراء : (٤)

ثم استمروا وقالوا:إن موعدكم   ماءٌ بشرقيّ سلمى فيدُ اوركك

* * * * * *

(١) اللسان (عكظ) ٣٢٧/٩ .

(٢) اللسان (عرف) ١٤١/١١ .

(٣) شرح ديوان زهير /٣٧٠ (أجد ، بضمتين : ناقة شديدة الظهر . وأنق – بفتح ثم كسر – معشب) .

(٤) شرح ديوان زهير /١٦٧ (وركك : مكان . والاصل فيه رك واحتاج الشاعر فاظهر الادغام . واستمرو : استقاموا) .

المبحث الثاني
مافيه علامة تأنيث

وهذا النوع من أسماء المدن والاماكن ممنوع من الصرف بالاجماع . ولكن الذي أريد أن أضيفه هنا هو أن هذه الاسماء تصرف في حالة واحدة هي أن تأتي في « موقع العروض » .

وقد ذهب فريق من النحاة أن صرف ما لاينصرف ينصرف ضرورة شعرية ، وان كان النحاة لم ينصوا صراحة على اسماء المدائن (المؤنثة بعلامة) ، لكن التفكير النحوي العام يفترض هذا ...

غير أن النحاة لم يلتفتوا الى موقع العروض ولا الى أثره في صرف مالا ينصرف ، ولكنّ النظرية العامة للضرورة تجعل صرف مالا ينصرف نوعاً من أنواع الضرورة ، دون تحديد « الموقعية العروضية » .

والامثلة الآتية توضح وجهة نظرنا في هذا النوع من أنواع الممنوع من الصرف . وبعد أناقش رأي من قال بالضرورة .

* **أوارة**

بضمّ أوله وبالراء المهملة على وزن (فُعالة) : ماء دُوين الجريب لبني تميم . والجريب : وادٍ بين أجلى والذنائب ، تجيء أعاليه من قبل اليمن حتى يلقى الرُّمّة (١) .

ـ قال يزيد بن الصعق (٢) .

جلبْنَ الخيلَ من تثليثَ حتى   وردْن على (أوارة) فالعدانِ

ـ وقال جرير (٣) :

ولسنا بِذبح الجيش يوم (أوارةٍ)   ولم يَستبحنا عامرٌ وقنابلـه

(١) معجم ماستعجم ٢٠٧/٢ ، ٣٧٨ .
(٢) اللسان (عدن) ١٥١/١٧ .
(٣) ديوان جرير /٤٨٣ (قنابله : هي جمع قنبلة : الطائفة من الناس ومن الخيل) .

* * **بزاخة**

بضم أوله وبالخاء المعجمة : رملة من وراء النباج ، قبل طريق الكوفة. وقال أبو عمرو الشيباني : هو ماء لبني أسد (١).

قال ربيعة بن مقروم الضبّيّ (٢) :

وقومي فإن أنت كذبتني بقولي ، فاسأل بقومي عليما

بنو الحرب يوماً اذا استلأموا حسبتهُم بالحديد القروما

فدى (ببزاخةَ) أهلي لهم إذا ملأوا بالجموع الحريما

– وقال البعيث المجاشعيّ يمدح الوليد بن عبد الملك(٣) :

وخالك ردّ القوم يوم (بزاخة)

وكرّ حفاظاً والاسنّة ترذم

حمامة

على لفظ الطائر. ماء لبني سعد بن بكر هوازن بأبرق العزّاف(٤).

– قال كثير عزة(٥) :

وقد جعلْتْ أشجانَ برك يمينها

وذات الشمال من مُريخة أشأما

موليةً أيسارها قطر الحمى

تواعدْنَ شرباً من (حمامة) معلما

(١) معجم ماستعجم ٢٤٦/١ .

(٢) معجم البلدان ٤٠٨/١ .

(٣) معجم ماستعجم ٢٤٧/١ .

(٤) نفسه ٢ : ٤٦٧ .

(٥) نفسه ٤٦٧ .

– وقال الطرماح بن حكيم(1) :

وروّحها في المور: مور حمامة
على كلّ إجريّائها وهو زائرُ

دُومة الجندل

بضم الدال، هي ما بين بِرك الغماد ومكة. ودومة على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق(2).

– قال الاحوص الانصاريّ(3) :

فما جعلتْ مابين مكة ناقتي * الى البرك إلاّ نومة المتهجد
وكانتْ قُبيل الصبح تنبُذُ رحلها * (بدومَة) من لغط القطا المتبدد

وقال الفرزدق (4) :

طواهُنّ مابينَ الجواء ودُومة
وركبانُها طيّ البرود من العَصْبِ

والخلاصة

ان هذه الاسماء التي اطلقت إعلاماً على المواضع والمدائن والجبال، تكون ممنوعة من الصرف الا في حالة وقوعها في « العروض » .

والظاهر – والله أعلم – أن وقوع الكلمة الممنوعة من الصرف في هذا الموقع يجعلها مصروفة. وكأنّ هذه الظاهرة قانون من القوانين ... وهكذا ظهر لي من خلال تتبعي لحالات الممنوع من الصرف . واقترح تسمية هذا القانون « قانون الصّرف العروضيّ ».

فقد ثبت بالشواهد الصحيحة أن هذا القانون يطرد في كل أنواع الممنوع

---

(1) معجم مااستعجم 2/467 .
(2) نفسه 2/564، اما دومة بفتح الدال فهي موضع بين الشام والموصل.
(3) نفسه 564 .
(4) ديوان الفرزدق 1/77 .

من الصرف ، مثل « صيغة منتهى الجموع » (١) وأسماء الاعلام بصيغة الفعل ، واسماء القبائل ، (٢) وغيرها .

وعندي — بفضل الله — شواهد كثيرة على اطراد هذا القانون وتحققه في حالات الممنوع من الصرف الاخرى ، ليس هذا موضع ايرادها ، لأنني سأفرد لها بحثاً خاصاً ، إن شاء الله ...

غير أن النحاة ونقاد الشعر القدامى (ومن الصعوبة التفريق بينهما في حالات كثيرة) ، حاولوا أن يحشروا كل الظواهر اللغوية والنحوية تحت قواعد ثابتة وتناسوا الاستعمال الذي يغير القاعدة بمرور الزمن كالماء الذي يمر بالصخور فيؤثر فيها على كر الجديدين : الليل والنهار .

واذا اعجزت الظاهرة النحوية هؤلاء النقاد لجأوا الى ماسموه « الضرورة الشعرية » ، وهي قضية كبيرة يجب أن يعاد فيها النظر ، لأنها لاتخلو من تعسف وتأويل بعيد ...

ومن هذه الامور التي حشروها في زنزانة الضرورات « صرف مالا ينصرف في الشعر » ، وكأن النثر لايوجد فيه مثل هذا ... وكأن العرب لم يصرفوا مالا ينصرف .

غير أن الامانة الفكرية تقتضي أن نذكر هناك أن قسماً من النحاة العرب (وهم أقل من أصابع اليد الواحدة) قالوا بجواز صرف مالا ينصرف في غير الشعر منهم الكسائي (٣) . وروى الزجاجي في « أماليه » أن من العرب من يصرف — في الكلام — جميع مالا ينصرف الا أفعل منك (٤) .

أما الذين قالوا بأن صرف مالا ينصرف في الشعر ، ضرورة فهم الكثرة

---

(١) ينظر : طبقات ابن سلام ٢٢٩/١ وشرح اشعار الهذليين ١٥٣/١ وديوان عمر بن أبي ربيعة /٢٨١ (وغيرها) .

(٢) السيرة النبوية ٣٣٨/٣ ، ١٠٦/٤ .

(٣) اعراب القرآن ، للنحاس ١٨٢/١ .

(٤) أمالي الزجاجي /٥٥ .

الغالبة ورأيهم هو الرأي السائد في كتب النحو المشهورة ،

فابن جني يرى أن صرف المؤنث الثلاثي الساكن الوسط في الشعر (١) ضرورة ، فكيف بما زاد على الثلاثة وحمل معه علامة التأنيث ؟! وقبله رأي الزجاج هذا الرأي في كتابه « ماينصرف ومالاينصرف » (٢) .

ويرى ذلك جمهور البصريين ،ثم القزاز القيرواني الناقد (٣)وابن السيد البطليوسي (٤) ، وأخيراً ابن عصفور (المتوفى ٦٦٩ هـ) وهو الذي نريد أن نقف عنده ونناقشه لاكثر من سبب .

أولاً : لأنه صاحب رأي في جملة طيبة من المباحث النحوية .

ثانياً : لأنه متأخر في الزمن نسبياً .. ونحن نهتم اكثر مانهتم بالرواد ونهمل المتأخرين .. وكم من متأخر له فضل لا يجحد وعمل لا ينسى !

وثالثاً : لأن رأيه يمثل رأي اكثر الذين قالوا بأن صرف مالا ينصرف في الشعر ، يعدّ ضرورة .

والجديد في رأيه أو العجيب أيضاً ، أنه يعد هذه الحالة ضرورة مع اقتناعه بأن قسماً من العرب يصرفون جميع مالا ينصرف . وهذا نص كلامه :

« فإن قلت : كيف جعلت صرف مالا ينصرف من قبيل الضرائر وقد زعم الاخفش في الكبير (٥) له أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع مالا ينصرف؟ « فالجواب أن صرف مالا ينصرف في الكلام انما هو لغة لبعض العرب واما سائر العرب فلا يجيزون صرف شيء منه في الكلام فلذلك جعل من قبيل مايختص به الشعر »(٦) .

---

(١) همع الهوامع ٣٤/١ .
(٢) ماينصرف /٥٠ .
(٣) مايجوز للشاعر في الضرورة /١٤٠ .
(٤) الحلل في اصلاح الخلل /٣٧٨ .
(٥) الكبير في النحو كتاب للاخفش الاوسط ، وله الاوسط والصغير .
(٦) ضرائر الشعر / ٢٥ .

ان الذي يقرأ النصوص الثابتة والصادقة يتبين له أن صرف مالا ينصرف ليس من اختصاص الشعر ، وليس هو لغة لبعض العرب ولا لقبيلة واحدة .
وحتى لو صح أنه لهجة لقبيلة عربية واحدة فلا يجوز عده ضرورة .. فإن تحقيق الهمزة الوسطية الساكنة في مثل : بئر ورأس وفأس لغة تميم. فقد روى الفراء أن بنى تميم وحدهم يهمزون مثل هذا في الكلام اما سائر العرب فلا يهمزون (١) .

فهل عدّ أحد هذه الظاهرة ضرورة شعرية ، إن جاءت في الشعر ؟!
هذا مالم يقل به أحد ...

غير أنّ صرف ما لا ينصرف، يتعدى القبيلة الواحدة الى قبائل متعددة فقد ذكر السهيلّي أنّ «كثيراً من العرب» يصرفون «صيغة منتهى الجموع»(٢) ، ولاحظ أنه «قد جاء في القرآن مصروفاً وغير مصرف».

وصرف ما لا ينصرف في القرآن الكريم قراءة سبعية قرأ بها أهل المدينة واهل الكوفة (اي من القراء السبعة) غير حمزة بن حبيب الزيات.

وقد قرأوا الآية الرابعة من سورة الانسان: (إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً واغلالاً وسعيراً) .

وقد علل الفراء هذه القراءة، وقرن بها قراءة «كانت قواريراً»(٣) ، وقال بعدهما: «فان شئت أجريتهما جميعاً وإن شئت لم تجرهما» (٤) .

وكل نحويّ او لغوي لابدّ أن يقول ما قال الفراء اذا أراد أن يكون كلامه سليماً صحيحاً .

واورد النحاس القراءة الاولى وقال بعدهما «والحجة لمن نوّن سلاسلاً

(١) ايضاح الوقف والابتداء ، لابن الانباري ١/١٦٦
(٢) أمالي السهيلي / ٣٦
(٣) الآية — ١٦ من سورة الانسان .
(٤) معاني القراء للفراء ٣/٢١٤ .

ما حكاه الكسائي وغيره أنّ العرب تصرف كل ما لا ينصرف الا أفعل منك ..... فقد صحت هذه القراءة من كلام العرب»(١) .

فصرف الممنوع من الصرف لا يختصّ بالشعر، ولا يتصل بقبيلة واحدة فهو ظاهرة من الظواهر النحوية التي أقر بها فريق وجعلها فريق من باب الضرورات، وليس بصحيح ...

فصرف الممنوع من الصرف ظاهرة موازية لظاهرة المنع، وتسير الظاهرتان جنباً الى جنب، مثل ظاهر النسب الى فُعيل» فهي : بحذف الياء صحيحة وباثبات الياء صحيحة ذكرهما الخليل (٢) عن العرب في نجد وتهامة، وإن وأقر سيبويه بواحدة(٣) ، وأقر المبرد بأخرى (٤) .... الى كثير من الظواهر اللغوية والنحوية التي لا يخطئها الاستقراء السليم الدقيق ...



(١) اعراب القرآن للنحاس ١ : ٥٧٣ .

(٢) كتاب العين (هذل) ٤ :٣٩، و (قرش) ٥/ ٢ .

(٣) همع الهوامع ٢/ ١٩٥، وذهب إلى أن القياس اثبات الياء : فعيلي .

(٤) نفسه ٢ :١٩٥، وذهب إلى أن القياس حذف الياء : فعلي .

القسم الثاني

ماليس له علاقة بالتذكير والتأنيث

– وفي هذا مبحثان :

المبحث الاول : ماآخره ألف ونون

المبحث الثاني : ماجاء بصيغة فعلية

(١)

حاول فريق من اللغويين والنحاة ان يربطوا بين اسماء المدن المنتهية بألف ونون ومسألة التذكير والتأنيث، لكنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً بلغ حدّ التناقض ... فذهب ابو بكر الانباري الى أن «كل اسم في آخره ألف ونون زائدتان فهو مذكر بمنزلة الشام والعراق نحو : حلوان وحوران وجرجان وصبهان وهمدان» (١) .

وذهب ابو حاتم السجستاني الى النقيض .... وحكى عن بعض النحاة أنه ذهب الى أن كل ما فيه ألف ونون من أسماء البلدان يذكر ويؤنث، فقال: وليس قول من زعم ان كل اسم بلدة في آخره ألف ونون يذكر ويؤنث، بصواب .... أما جرجان وخراسان وسجستان ونجران فمؤنثه لا شك في ذلك» (٢) .

وبنى ابن الانباري على قضية التذكير والتأنيث قضية أخرى هي: أنّ (كل ما أُنِّثَ من أسماء البلدان لم يُجرَ. وكل ما ذُكِّرَ من أسماء البلدان أجرى) (٣) .

---

(١) كتاب المذكر والمؤنث، لابن الانباري /٤٧٣ .

(٢) المذكر والمؤنث، لابي حاتم /١٨٢ (مخطوط تركية، نقلا عن المرجع السابق ذكره ص ٤٧٣ هامش رقم ٧٥) .

(٣) كتاب المذكر والمؤنث /٤٦٨ (ومعنى اجرى : انصرف ، ولم يجر لم ينصرف) .

وأما سيبويه والمبرد والزجاج ومن تابعهم من جمهور النحاة فلم يتطرقوا في باب «أسماء الارضين والبلدان» الى هذا الموضوع المهم ولكنْ تطرقوا الى ما تحدثنا عنه في القسم الاول :

المبحث الأول...

ولعلهم فعلوا ذلك اكتفاء بما قدروه في باب: ما زيدت فيه ألف ونون من أعلام الذكران ، مما ليس له «فَعْلَى» (١) .

وسواء صحّ هذا العذر أم لم يصحّ فان الاستقراء لكلام العرب يدل على أنّ هذا النوع من أسماء المدن والاماكن والارضين يمكن أن نقسمه ثلاثة:

النمط الاول: ما جاء على أوزان عربية وهو عربيّ

النمط الثاني: ما جاء معرّباً ....

النمط الثالث: المُعجَمُ (بزنة مُعَرَّب) ..

النمط الأول : العربيّ وقد استطعت أنْ أحصيَ أربعة اوزان منه هي :

(أ) وزن فعلان. مثل: ميسان ونجران خفّان، بيسان

ـقال الشماخ في (خفان) (٢) :

وأعـرض من خفّانَ مصـر كأنـــــه
شماريخُ باهـى بانياهُ المُشَقَّرا

ـوقال الفرزدق في (ميسان) (٣) :

أتبكي امرءاً من أهل ميسْانَ كافــــــراً
ككسرى على عِدّاته او كقيصرا

---

(١) الكتاب ٢/١٠ وما بعدها، والمقتضب ٣/٣٣٥، وما ينصرف /٣٥-٦ .

(٢) معجم ما استعجم ٢/٥٠٥، ٥٠٦ .

(٣) ديوان الفرزدق /٢٠١ واللسان (ميس) ١٧:١٥١.
(علي عداته : اي في وقته وملكه) .

وقال الاخطل في نجران (١) :

على العيارات هدّاجون قد بلغت
نجرانُ او حُدِّثتْ سوآتهم هَجَرُ

(ب) وزن : فُعلان . مثل حُلوان ، عُسفان

- قال ابن قيس الرقيات في (حلوان) (٢) :

سقياً لحلوانَ ذي الكروم وما
صنّف من تينه ومن عنبه

- وقال عنترة في (عسفان) (٣) :

كأنها حين صدّتْ ما تكلّمني
ظبيٌ بعُسْفانَ ساجي الطرف مطروفُ

(ج) وزن فعيْلان . مثل : عبيدان ، على لفظ التصغير ماء معروف بناحية اليمن (٤) ، او اسم واد .

- قال النابغة الذبيانيّ :

ليهنىء لكم أنْ قد نفيتُم بيوتنا
مندّى عبيدانَ المحلأُ باقره

وشرح ابو عمرو الملأ باقره بقوله : «وكانت في ذلك الوادي حية تمنع من ورود مائه ، فهو الذي حلا باقرهُ . ورواه ابن الاعرابيّ بلفظ : «منادي عبيدان» أي : ماء بعيد من الانيس (٥) .

(د) فَيْعَلان . مثل : عيسطان

---

(١) ديوان الاخطل /١١٠ واللسان (نجر) ٧ : ٤٨ .

(٢) اللسان (حلا) ١٨ : ٢٠٨ .

(٣) العباب الزاخر (عسف)، (حرف الفاء) ص ٤٣٧ .

(٤) الاشتقاق لابن دريد /١١ ومعجم ما استعجم ٩١٨/٣ .

(٥) معجم ما استعجم ٩١٨/٣ .

قال الشاعر فيه (١) :

وقد وردت من عيسطـــانَ جميْمـــــــــــةً

كماء السَّلي يزري الوجوه شرابُها

النمط الثاني : أسماء المدن الاعجمية المعرّبَة .

وعند دراستي لاسماء المدن المعرّبـــة وجدت أن (الالف والنون) في آخر هذه الاسماء على ثلاثة أنواع :

مافيه ألف ونون علامة للجمع مثل (اصبهان) :

اذ أنّ أصلها : سپاه : ومعنى المقطع بالفارسية : جيش، وآن : علامة للجمع عندهم . فهم يقولون : استادان ، اي : اساتذة . وكتابان ، أي كتب . فمعنى اصبهان الجيوش .

مافيه ألف ونون دالة على النسبة . فايران تعني : آريّ . وخراسان : تعني الاقليم الشرقيّ ومأخوذة من خُرْ ، بضمّ فسكون ، ومعناها الشمس (٢)

ان تكون الالف والنون جزءاً من مقطع .

فمثلاً : عربستان ، أفغانستان ، تركستان مكونة من : عرب + ستان وافغان + ستان، وترك + ستان .

وستان ، تعني : أرض او مكان .

فمعنى هذه الاماكن على التوالي : ارض العرب ، ارض الافغان ، أرض الترك .

النمط الثالث : الأسماء العربية المُعَجَّمة . (٣)

أما أسماء المدن العربية المعجمة مثل عبّادان فهي مكونة من (عبّاد)

---

(١) معجم ما استعجم ٣/٩٨٥ وينظر اللسان (عسط) .

(٢) استفدت ما يتصل باللغة الفارسية من استاذي العالم الجليل : الدكتور أحمد ناجي القيسي ، فجزاه الله خيراً .

(٣) المعجمة بزنة المعربة مصطلح من وضعي استعملته للدلالة على ما يقابل المعربة .

اسم عربيّ معروف مشهور و (آن) الدالة على نسبة المكان الى صاحبه الذي يمتلكه او الذي بناه . ففي البصرة كانت أسماء الامكنة ـ في القرن الاول الهجري ـ المنسوبة الى الاشخاص تُختم عادة بمقطع (آن) الدال على النسبة وتقابل ياء النسبة في العربية . وكانت اسماء القطائع تُسمّى باسماء أصحابها مثل : مُهلّبان ، نسبة الى المهلب . وأميتان ، نسبة الى أبي أُميّة . وجعفران نسبة الى أُمّ جعفر .

وكان يوجد بين أسماء القنوات الهامة بالبصرة صيغ مثل : خالدان وطلحتان . نسبة الى خالد وطلحة (١) .

والخلاصة

أنّ هذه الاسماء جميعاً ممنوعة الصرف .

ان هذه الانماط الثلاثة لايمكن أن تحشر حشراً ، لاتحت الاسماء المؤنثة لأنّ فيها اسماء كثيرة لاعلاقة لها بالتأنيث سواء أكانت عربية مثل حُلوان او معربة مثل خراسان . ولاتحت الاسماء المذكرة لأنها لو كانت مذكرة لصرفت (فكل ماذكرّ من اسماء البلدان صُرِفَ) ، وهي ممنوعة من الصرف ....

وان هذه الانماط الثلاثة لايجوز أن تحشر كلها تحت عنوان «مافيه ألف ونون زائدتان» لان فيها ماليس زائداً .

لكنّ السؤال الذي يرد هنا ويفرض نفسه هو : لماذا منعت من الصرف اذن ؟

أرى ـ والله اعلم ـ أنها ممنوعة من الصرف بانماطها الثلاثة ، حملاً على مافيه ألف ونون من الاسماء الممنوعة من الصرف التي جاءت على وزن «فَعْلان» ، وهي اكثر الاسماء المنتهية بالف ونون ، وروداً في العربية ،

---

(١) كتابي : ملامح من تاريخ اللغة العربية /١٤٠ .

وحمل النظير على النظير أصل معروف من أصول النحو ، لاخلاف في ذلك بين الاصوليين من النحاة (*) .

(٢)

ما جاء بصيغة فعليّة :

إن المدقق في أسماء المدن الموجودة في كتب البلدان العربية يلاحظ كثرة اسماء الاماكن التي اطلق عليها افعال ....

ويجد أيضاً أنّ أسماء المدن التي جاءت بصيغ فعلية أنما جاءت بصيغة الفعل المضارع .

ويجد أيضاً أن هذه المسميات انما جاءت بصيغة المبني للمعلوم .

ويلاحظ أيضاً أنّ اسم المدينة (او المكان) يرد أحياناً مسنداً للمذكر والمؤنث؛ فيأتي في رواية يفعل، وفي رواية أخرى تفعل.

مثال ذلك (يدوم): وهو جبل في بلاد مزينة. جاء في رواية أبي عبيد البكري لبيت الراعي النميري (يدوم):

وفي يدومَ اذا اغبرتْ مناكبه ..... البيت(١) . وفي رواية أخرى جاء (تدوم) (٢) .

ويلاحظ أيضاً أن العرب عاملت هذه المسميات معاملة الاسماء (أحياناً) فأدخلت عليها (أل) التعريف ففي مادة (يربغ): المشتق من الرّبغ – بفتح الراء والباء – وهوسعة العيش، والرخاء ..

قال الصاغاني في «العباب الزاخر»: اليربغ: موضع معروف (٣). ومن

(*) اعني بهم : الذين كتبوا في أصول النحو .

(١) معجم ما استعجم ١٣٩١/٤ .

(٢) ينظر : شعر الراعي النميري /٢٣٥ .

(٣) مادة (ربغ) ص ٣٦ .

شواهد هذه المادة قول رؤبة بن العجّاج: (١)

فاعسفْ بناجٍ كالرباع المشتغي
بصلب رهبي او جماد اليربغ

والمشتغي: الذي قد همّ أنْ يُلقيَ رباعيته اذا شخصت ونغضتْ، أراد البُزول(٢) .

وقد يرد اسم الموضع (او المدينة او المكان)، الذي يسمى بصيغة فعلية على مالم يسمّ فاعله، مثل (تُرعى) على وزن (تُفْعَلُ) من الرعي ، أرض لبني جُداعة، حددها السكونيّ في حديث وصفي طويل أورده ابو عبيد البكري في «معجمه»(٣) .

وقد اخترت مجموعة من أسماء الاماكن التي جاءت بصيغة فعلية. مرتبة ترتيباً هجائياً على أساس جذورها: مقرونة بالشواهد.

* ثرب (يثرب)

-قال تعالى: «ياأهل يثرب لا مُقامَ لكمْ فارجعوا»(٤) .

قال حسان بن ثابت: (٥)

اولـئك قومي فإن تسألي
كرامٌ اذا آنصيف يوماً ألمْ

(بيثربَ) قد شيّدوا في النخيل
حصوناً ودجّن فيها النّعَمْ

-ولما حُملتْ نائلة بنت الفرافصة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه. من

---

(١) نفسه (ربغ)، ومعجم ما استعجم ١٢٤٣/٤ .

(٢) العباب (ربغ)، (حرف الغين) ص ٣٦ .

(٣) معجم ما استعجم ٣١٠/١ و ٤: ١٢٣٦ .

(٤) الآية ١٣ من سورة الاحزاب .

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام ٤: ٢٠٢ .

الكوفة قالت : (١)

قضى الله حقاً ان تموتي غريبة
(بيثربَ) لا تلقين أمّاً ولا أبا

وقد جاءت مصروفة خضوعاً لقانون الصرف العروضيّ :

— قال كعب بن مالك في يوم أحد (٢) :

ألا أبلغا فهراً على نأي دارها
وعندهمُ من علمنا اليوم مصدقُ

فأنّا غداةَ السفح من بطن يثرب
صبرنا وراياتُ المنية تخفقُ

— وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى (٣) :

أنصابُ مكة عامدين ليثرب
في ذي غياطلَ جحفل جبجاب

* حتم (تحتم)

وهو بلد باليمن . وضبطه ابو عبيد البكريّ : بفتح اوله واسكان ثانيه وكسر التاء الثانية (٤) .

— قال لبيد :

وهل يشتاقُ مِثْلُكَ من ديار
دوارس بين تحتمَ فالخلالِ

دوم (يدوم — تدوم)

(١) معجم البلدان ٤٣١/٥ .

(٢) السيرة النبوية ١٥١/٣ .

(٣) نفسه ٢٦٩/٣ .

(٤) معجم ما استعجم ٣٠٥/١ .

قال الراعي النميري (١) :

وفي (تدومَ) اذا اغبــــــرت مناكبـــــه
او دارة الكور عن مروان معتزَلُ

* ذبل (يذبل)

وهو اسم جبل . طرفٌ منه لبني عمرو بن كلاب ، وبقيته لباهلة .

— قالت الخنساء (٢) :

أخو الجود معروفٌ له الجـــودُ والنـــــدى
حليفانِ ماقامتْ تعار ويذبـــــلُ

— وقال ابن مقبل وقد صرفه خضوعاً لقانون الصرف العروضي (٣) :

وهُمْ ملكــوا بيـن هضبــة يـــــذبـــلٍ
ونجرانَ ، هل في ذاك مرعىً ومسرحُ

* رمل (يرمل)

قال الراعي النميري (٤) :

حتى اذا حـالت الارحاءُ دونهـــــمُ
أرحاء يرملَ حار الطرف اذ بَعُدُوا

ربغ (يَربَغ)

قال الشنفرى (٥) :

كأنْ قد يغررْكَ مـــنّي تـــمكنـــي
سلكتُ طريقاً بين يربغَ فالسَّرْدِ

---

(١) شعر الراعي النميري /٢٢٥ .
(٢) معجم ما استعجم ٤/١٣٩١ .
(٣) ديوان ابن مقبل /٥٤ (ق ٦ ب ٢٩) .
(٤) شعر الراعي النميري /٨٢ .
(٥) معجم ما استعجم ٤/١٣٩٣ .

ضرع (يضرع ، وتضارع)

قال الزمخشري : هما جبلان بتهامة لبني الدئل (١) . لكنّ البكريّ ، جعل تضارع جبلاً في ديار بني هُذيل (٢) . واورد له شاهداً من شعر أبي ذؤيب الهذليّ ، ولعله أقرب الى الصواب . والله أعلم .

قال ابو ذؤيب :

كأنّ ثقالَ المزن بين تضارع
وشابةَ ركبٌ من جذامَ لبيجُ

نضب (تناضب)

بضم اوله وكسر الضاد المعجمة. قال محمد بن حبيب: تناضب شعبة من أثناء الدُّوداء، والدوداء يدفع من العقيق ، (٣)

قال كثيّر عزة :

الاليت شعري هل تغيّر بعدنا
أراك فصرما قادم فتناضبُ

وضح (توضح)

بضمّ اوله، وبالضاد المعجمة المكسورة والحاء المهملة: موضع ما بين رمل السبخة وأود (٤) .

قال النابغة :

الواهبُ المائةَ الابكار زينّها
سعدانُ (توضحَ) في أوبارها اللّبَد

(١) الجبال والامكنة والمياه /٩٣ .
(٢) معجم ما استعجم ٣١٢/١ .
(٣) معجم ما استعجم ٣٢٠/١ .
(٤) معجم ما استعجم ٣٢٤/١ .

وقد وردت في مطولة امرىء القيس (معلقته):

قفـــانبك مـــن ذكرى حبيـــب ومنـــزل
بسقط اللوى بيـن الدخول فحومل

(فتوضحَ) فالمقراة لم يعْـــفُ رسمُهـــا
لمـــا نسجتهـــا من جنوبٍ وشمأل



خاتمة البحث ونتائجه

هذا البحث في أحكام الممنوع من الصرف ،والصرف، المتصلة باسماء المدن والاماكن في اللغة العربية ...

وقد وجدت — من خلال تدريسي النحو بالجامعة المستنصرية — أن موضوعات الممنوع من الصرف فيها سلبيات كثيرة منها اضطراب الاحكام وعدم الاستيعاب، فعزمت — بعد التوكل على الله — على تناول أنماط هذا الموضوع واحداً، وحداً فابتدأت بهذا النمط ....

القسم الاول: مايتصل بالتذكير والتأنيث وهو في مبحثين:

الاول: ما ليس فيه علامة تأنيث

وقد توصلت فيه الى أنّ هذا اللون من ألوان الموضوع يتصل اتصالاً وثيقاً بالتكوين الحضاري والثقافي العريق في القدم ، وأن كل مؤنث من اسماء المدن ليس فيه علامة تأنيث فهو متردد بين الصرف وعدمه على حدّ سواء .وانه لا يتصل بارادة المتكلم كما يزعم النحاة، لان المسألة ليست ارادية بل تتصل باللاشعور الجمعيّ.

الثاني: ما فيه علامة تأنيث

وهو ممنوع من الصرف بالاجماع. لكن الشيء الجديد هو أنني اكتشفت قانوناً نحوياً جديداً يصرف الاسم الممنوع من الصرف أسميته: « قانون الصرف العروضيّ» لان الاسم الممنوع من الصرف، بالاجماع، يصرف حين يقع هذا الموقع، مهما كان نوعه.

القسم الثاني : ماليس له علامة بالتذكير والتأنيث وهو مبحثان ايضاً .

المبحث الأول : ما آخره ألف ونون

وقد اضطرب فيه النحاة فعدّه بعضهم مذكراً وعده بعضهم مؤنثاً .

والذي رأيته واوضحته في البحث أن هذا اللون لا علاقة له بالتذكير والتأنيث،

وانه ممنوع من الصرف لا لكونه مؤنثاً بل لكونه جاء مردفاً بالالف والنون فحمله العرب على مافيه الف ونون زائدتان ، وهذا من باب حمل النظير على نظيره وهو أصل من اصول النحو المعروفة .

وقد ميزت في هذا المبحث ثلاثة أنماط :

النمط الاول : العربيّ ... ووجدت لاول مرة انه يأتي على أربعة أوزان : (فَعْلان و فُعْلان و فُعَيْلان و فيعلان) .

النمط الثاني : المعرَّبُ . وقد أوضحت أصوله لأول مرة وبينت أن اسماء المدن من هذه الناحية لاعلاقة لها — البتة — بالمذكر والمؤنث .

النمط الثالث : الاسماء المَعجَّمة

وهو ممنوع من الصرف أيضاً . وقد توصلت اليه لأول مرة واضفته الى موضوع البحث . حتى المصطلح من وضعي .

أما المبحث الثاني فهو ما جاء بصيغة فعلية والنتائج التي توصلت اليها في هذا هي :

أنّ الأسماء التي جاءت بصيغ فعلية ، انما جاءت بصيغة الفعل المضارع .

وان الامكنة التي سميت بأفعال كثيرة ...

وان العرب عاملت هذه الامكنة معاملة الاسماء (احياناً) فعرفتها بالالف واللام .

وان اكثر مايرد اسم المكان بصيغة الفعل المبنيّ للمعلوم . وقليلاً مايأتي بصيغة المبنيّ للمجهول .

وأرجو أن يكون في هذه النتائج مايفيد وينفع « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ماينفع الناس فيمكث في الأرض » .

المراجع

١ ـ اعراب القرآن، لابي جعفر النحّاس، ط. بغداد، نشر رئاسة ديوان الاوقاف (١٣٩٧هـ) تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد .

٢ ـ ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، لابي بكر بن الانباري، ط. دمشق ١٣٩٠هـ، بتحقيق الدكتور محيي الدين عبد الرحمن رمضان.

٣ ـ الاشتقاق، لابن دريد، ط. مصر (١٩٥٨م)، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

٤ ـ اصلاح المنطق ، لابن السكّيت، ط. دار المعارف بمصر الثانية، سنة ١٩٥٦م .

٥ ـ أمالي السهيلي، لابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي ط. مصر (١٣٩٠هـ)، تحقيق السيد محمد ابراهيم البنا .

٦ ـ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لابي البركات الانباري، مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٧٠م). بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

٧ ـ التبصرة والتذكرة، للصيمري ، ط. دمشق (١٩٨٢م)، تحقيق الدكتور فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين .

٨ ـ الجبال والامكنة والمياه، للزمخشري (ط. النجف الاشرف ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢) .

٩ ـ الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل، لابي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيِّد البطليوسي . ط. بيروت (١٩٨٠م)، بتحقيق السيد سعيد عبد الكريم .

١٠ ـ خزانة الادب، للبغدادي . ط. بولاق (١٢٩٩هـ) .

١١ ـ ديوان ابن مقبل، ط. دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، بتحقيق الدكتور عزة حسن .

١٢ – ديوان الاخطل (ط. قطر ١٩٦٢م) .
١٣ – ديوان جرير (ط. الصاوي) .
١٤ – ديوان حسان بن ثابت (ط. بيروت ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦).
١٥ – ديوان عمر بن أبي ربيعة (ط. محمد محيي الدين عبد الحميد) .
١٦ – ديوان الفرزدق (ط. بيروت ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م) .
١٧ – السيرة النبوية. لابن هشام. ط. مصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بتحقيق : مصطفى السقا وزميليه .
١٨ – شرح ديوان زهير بن ابي سلمى (مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٤٤م).
١٩ – شعر الراعي النميري". مطبعة المجمع العلمي" العراقي" (١٩٨٠). تحقيق : الدكتور نوري حمودي القيسي والسيد هلال ناجي .
٢٠ – ضرائر الشعر. لابن عصفور. ط. دار الاندلس ببيروت (١٩٨٠). تحقيق السيد ابراهيم محمد .
٢١ – العباب الزاخر. للصاغاني. نشر دار الرشيد ببغداد حرف الغين (١٩٨٠). وحرف الفاء (١٩٨١) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.
٢٢ – كتاب العين. للخليل بن أحمد الفراهيدي. نشر دار الرشيد ج٤. ج٥ (١٩٨٢). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي .
٢٣ – فقه اللغات السامية. تأليف : كارل بروكلمان. ترجمه عن الالمانية الدكتور رمضان عبد التواب (مطبوعات جامعة الرياض. ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م) .
٢٤ – الكتاب. لسيبويه. (ط. بولاق) .
٢٥ – لسان العرب. (ط. بولاق) .

٢٦ ــ اللغة. تأليف : ج. فندريس. ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص (ط. مصر ١٩٥٠) .

٢٧ ــ ما ينصرف وما لا ينصرف. للزجاج. نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة (١٩٧١م). تحقيق هدى محمود قراعة .

٢٨ ــ المخصص . لابن سيده (ط. بيروت) .

٢٩ ــ معاني القرآن. للفراء. ط. مصر ١٩٥٥ وما بعدها .

٣٠ ــ معجم البلدان. لياقوت الحموي. ط. بيروت .

٣١ ــ معجم ما استعجم. لابي عبيد البكري. ط. مصر ١٣٦٤هـ بتحقيق مصطفى السقا .

٣٢ ــ المقتضب . للمبرد. ط. مصر ١٣٨٥هـ. تحقيق الاستاذ محمد عضيمة.

٣٣ ــ المذكر والمؤنث. لابي بكر بن الانباري. نشر ديوان وزارة الاوقاف ببغداد (١٩٧٨م). بتحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي .

٣٤ ــ ملامح من تاريخ اللغة العربية. للدكتور أحمد نصيف الجنابي. ط. بيروت (١٩٨١م) .

٣٥ ــ همع الهوامع. للسيوطي. (ط. مصر ١٣٢٧هـ) .

نحو عروض مبسط

الدكتور اسماعيل السامرائي
كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية

المقدمة :

علم العروض من علوم العربية التي يعاني من يريد الاطلاع عليه صعوبة في مفهمه بل نذهب إلى القول بأن طلبة اقسام اللغة العربية يلاقون صعوبة عند دراستهم لهذا العلم ونجد بعضهم يعده من العلوم الجافة. على عكس حقيقة هذا العلم الذي اصبحت دراسته مهمة اذ هو يتعلق بتربية الذوق وتدريب الاذن على رهافة الحس ان ممازاد في صعوبة درسه ان كثيرا ممن كتبوا في العروض من المحدثين او من حققوا مخطوطات عروضية لم يساهموا بل لم يحاولوا تبسيط حتى بعض الجوانب منه. ان كل مافعلوه انهم نقلوا لنا كل ماقاله القدماء في المصطلح العروضي. ولم يبذلوا الجهود التي من شأنها ان تيسر الفهم للدارس. وكان بالامكان الانتباه إلى تقليل تسميات زحافات او علل مشتركة مع وقوعها في ابحر مختلفة. او ان ينفوا وجود زحافات يبدو جلياً لا وجود لهما في العروض كما سنبين ذلك في الخرم في الطويل والطي في الشطر الاول من مجزوء البسيط . واغلب الظن ان علماء العربية القدماء قد اوجدوا تخريجا فيه شيء من التكلف لبيت شعر روي امامهم ناقصا من حرف واحد.

ان البحث يهدف إلى محاولة تقليل المصطلحات العروضية ، ورفض ونفي وجود بعض هذه المصطلحات ودمج بعض التسميات المتعددة في ابحر مختلفة تسهيلا للقارىء والدارس وخدمة لهذا الفرع من علوم لغتنا الكريمة التي هي لغة يسر لا عسر والله الموفق.

اطلاق أكثر من تسمية على زحاف أو علة واحدة

القطع والقصر :

ان العروضيين اطلقوا تسمية القصر على ما يجري في عروض أو ضرب المديد وكذا عروض الرمل وغيرهما من الأبحر . وقد اطلقوا اسم القطع على مايحدث في عروض البسيط . وكذلك مايجري لعروض وضرب الكامل والرجز ايضاً . واطلق على القصر بأنه (ما ذهب سواكنه وسكن آخر متحركاته) (١) أما المقطوع فعبروا عنه (ماسقط ساكن وتده وسكن متحركه) (٢) وهما من العلل التي تصيب اعاريض واضرب ما ذكرنا من أبحر الشعر العربي وغيرها ، وتعرف العلة بانها (تغيير يشترك بين الأوتاد والاسباب لايقع الا في الأعاريض والاضرب) (٣) بمعنى أن هذه العلة لاتفرق بين تفعيله أو اخرى سواء اكان التغيير في الاوتاد ونعني به القطع ام في الاسباب ونعني به القصر ؛ اذ اننا نجد أن التفعيلة التي يصيبها القصر أو القطع يجري فيها أمران . هما اسقاط آخر حرف من التفعيلة مع تسكين ما قبلها. فمثلا نجد الضرب من البيت التالي مقصوراً والبحر من الرمل

سل رُبى بغداد عما قد مضى

لبني العباس في تلك الديار

ونجد الضرب في البيت التالي مقطوعاً وهو من الكامل :

---

(١) العقد الفريد ٥/٤٢٧ ط الرجب ٩٦٧ وانظر العمدة في محاسن الشعر — القيرواني تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط١٣٨ .

(٢) الاقناع — الصاحب بن عباد ص ١٨٥ . العمدة ج١/١٣٨ ط ٤ بيروت ابن رشيق وانظر الادب الرفيع للمرحوم الرصافي — م المعارف ١٩٩٩ .

(٣) الادب الرفيع ص ٣٧م المعارف ٩٦٣ وانظر العروض في أوزان الشعر العربي وقوافيه حكمت فرج البدري ص ٢٦.

واذا دعـــونـــك عمهـــن فـــــأنــــه

نســب يزيــدك عنـدهــن خيـــالا .

اننا نجد التفعلية الأخيرة في الرمل مقصورة (فاعلات) ونجد الضرب في الثاني مقطوعاً (متفاعل) . ولو امعنا النظر في ما يجري في هاتين التفعيلتين أو في غيرهما من الابحر الاخرى لوجدنا انه قد اسقط الحرف الاخير من كلا التفعيلتين مع تسكين الحرف الذي يسبقه وهي في الحقيقة عملية واحدة ولا تستدعي تعدد التسميات والاكثار منها . فبالامكان تسميتها بالقطع وان يعرف بأنه اسقاط الصوت الاخير من آخر التفعيلة مع تسكين ماقبله . ولانعدو الصواب فيما ذهبنا اليه بل جعلنا من هذه العلة أمراً سهلا لايجعل الانسان حائرا بين تسميتين لظاهرة عروضية واحدة . ولا نلتفت إلى مسألة حدوث القطع في الاوتاد والقصر في الاسباب ونجعله مبررا او سند الاستمرار هذا الاصطلاح الذي اطلقه القدماء والتقطه المحدثون واستعملوه في مؤلفاتهم او في المخطوطات العروضية التي حققوها في عصرنا . اننا لوعددنا حروف تفعيلة (فاعلاتن) وحروف (متفاعلن) لوجدنا ان كل تفعيله منهما تتألف من سبعة اصوات ، ثم جرى عليها تغيير واحد هو اسقاط سابعها وتسكين السادس منها فلم نسمي الذي جرى في فاعلاتن قصرا والذي جرى في متفاعلن قطعا؟ ان هذا الامر لايمكن الوقوف عنده بالتسليم بما جاء في بطون الكتب لانه يخالف ابسط البديهيات المنطقية. وقد يذهب بعض العروضيين إلى تخريج لهذه التسمية ذلك التخريج الغرض منه هو التفرقة بين ابحر الشعر باطلاق عدة تسميات على مسألة واحدة ولكي يأمن القارىء اللبس وهذا الامر لانجده مقنعا لان التفريق بين بحر او اخر لايتأتى نتيجة تسمية زحاف او علة واحدة بتسميات متعددة. ان التفريق بين ابحر الشعر العربي يأتي نتيجة لاختلاف الطبيعة الموسيقية لكل بحر من الابحر الشعرية . فالمعروف لكل بحر موسيقاه ووقعه على النفس . وهما اللذان نعدهما قرينتين لمعرفة

اسم البحر. ولا ندعي اننا نعني بهذه المعرفة عامة الناس بل نعني الدارس منهم وذا الاذن الحساسة

وبعد فاننا نفضل اطلاق تسمية القطع على هذه العله ، ولا نرى ان هذه التسمية تتعارض مع هذه الاراء في علم العروض قديمها وحديثها، ولايؤثر في علم العروض بل ان مانريده هو خدمة لهذا العلم وتيسير له.

الاضمار والعصب

يقع الاضمار كما يذهب العروضيون في الكامل ويقع العصب في الوافر ويعرفون الاضمار بأنه تسكين تاء متفاعلن فتنقل إلى مستفعلن(١). اما العصب فيعرفه صاحب اللسان بقوله (والعصب في عروض الوافر: اسكـــان لام مفاعلتن)(٢)فتنقل إلى مفاعلتن ونقل هاتين التفعيلتين إلى تفعيلتين من ابحر اخرى امر لانجد مايبرره. فان قال قائل ان الغرض من ذلك هو عدم زيادة عدد التفعيلات العروضية فان الرد على هذا الرأي يسير اذ اننا نجد تفعيلة (فاعلاتان ومستفعلان) اذا اضيف اليهما حرف ساكن ولا وجود لمثل هاتين التفعيلتين في تفعيلات العروض. ونود الاشارة إلى تعريف ابن منظور للعصب. اذ ان تعريفه يدعو إلى القول بأنه بعيد عن الدقة بعض الشيء. لان العصب لايختص بعروض الوافر او ضربه حسب بل اننا نجد ان هذا الزحاف يصيب الحشو اكثر مما يصيب التفعيلة الاخيرة في صدر البيت او في عجزه ان نظرة واقعية للاضمار والعصب . تقود الباحث او القارىء الى الحكم بانها عملية واحدة ذات تسميتين مختلفتين اذ ان الذي يجري في هذين البحرين هو تسكين ثاني السبب الثقيل في كل بحر : ففي الكامل ب ب — ب — متَفاعلن تصبح — — ب — متْفاعلن وفي الوافر مفاعلتن تصبح ب — — — مفاعلْتن ، وهنا لابد من القول بأنه لا يعتد بالحرف الذي يلي السبب الثقيل .

---

(١) انظر الاقناع ص ٨٥ .

(٢) اللسان ٢/٧٩٢ .

هذا من جانب ومن جانب آخر نود القول بأنه لايوجد سبب ثقيل في أي من التفعيلات السالمة للابحر الاخرى وبذلك نأمن اللبس اذ اطلقنا التسمية التي تقول بأن العصب أو الاضمار هو تسكين ثاني السبب الثقيل في الكامل والوافر . ولا نجد خيراً من اطلاق تسمية واحدة على هذا الزحاف وان نطلق عليه تسمية العصب لأنه اكثر انسجاما مع نهج الخليل الذي اقتبس التسميات العروضية من بيئة الانسان العربي . كالخبن والطي والوتد والسبب وعصب الرأس وعصابته أمر معروف قديماً وحديثاً .

التذييل والتسبيغ :

وهاتان المسألتان من علل الزيادة . اذ تحدثان نتيجة اضافة حرف ساكن الى تفعيلة مستفعلن ويرمز لهذا الحرف بسكون — — ب — ه اذ تصبح مستفعلان . وكذا اضافة حرف ساكن الى تفعيلة فاعلاتن فتصبح فاعلاتان — ب — — ه ويذهب أحد القدماء الى تعريف المذال بأنه « ما زاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون في آخر وتد» (١) أما التسبيغ فيعرفه أحد المحدثين بقوله هواضافة حرف ساكن الى ماآخره سبب خفيف خاص بمجزوء الرمل (٢) بمعنى أن الزيادة ليست مقيدة بالاسباب أو بالاوتاد بل تضاف الى الاوتاد كما تضاف الى الاسباب . لذلك نرى أن نطلق على هذه العلة تسمية واحدة لأنها في الحقيقة أمر واحد لانشك فيه . . وهو يتمثل باضافة الف الى تفعيلة مستفعلن وفاعلاتن في كل من مجزوء البسيط ومجزوء الرمل فتصبحان مستفعلان وفاعلاتان أي اصبح عدد حروف كل منهما ثمانية أحرف بعد أن كانت تفعيلة مؤلفة من سبعة أحرف . كما أن الالف يضاف الى ماقبل النون في كلتا التفعيلتين ومن كل هذا نستنتج أن العملية واحدة وان تعدد التسميات لا مبرر له . وابتغاء للسهولة وتقليصاً لهذا التعدد نرى أن نسمي هذه العلة بالتسبيغ استناداً الى الآية الكريمة (واسبغ عليكم نعمه) لأنها تسمية سلسلة سهلة وهو ماتمتاز

(١) العقد الفريد ٥/٤٢٧ .

(٢) ميزان الشعر ص ٢٥ د.ت بدير متولي حميد .

به لغتنا الكريمة .اما سبب وضع الالف قبل النون فسببه عندي هو الحفاظ على دلالة التفعيلة لكي لاتتغير فلو قلنا مستفعلنا لاصبحت الكلمة وكأنها مضافة الى (نا) الجماعة .

زحافات عروضية مشكوك بوجودها :

١ ـ الخرم في الطويل :

قبل الحديث عن وجود هذا الزحاف أو عدم وجوده لابد من تعريفه . يقول ابن منظور : « الخرم مصدر قولك خرم الخرزة يخرمها . واصل الخرم الثقب والاخرم من الشعر ماكان في صدره وتد مجموع الحركتين فخرم احدهما كقوله :

ان امـــرءا قـــد عـــاش عشريـــن حجـــة
الى مثلهـــا يرجـــو الخلـــود لجاهـــل

ثم يقول : كان تمامه ـ وان امرءا ـ » (١).

أما صاحب العقد الفريد فيقول « اعلم أن الخرم لايدخل الا في كل جزء اوله وتد . وذلك ثلاثة أجزاء : فعولن . مفاعلتن . مفاعيلن وهو سقوط حركة من أول الجزء » (٢) ولا بد من وقفة مع صاحب اللسان ثم وقفة مع صاحب العقد الفريد فالاول أورد البيت (ان امرءا ..) ثم استدرك وقال : وكان تمامه ـ وان امرءا (٣) بمعنى انه وجد الحرف الذي اعاد التفعيلة سالمة ولم يصبها الخرم .

ونجد صاحب العقد الفريد يعرف الخرم ولم يورد عليه شاهدا واحدا وهذا دليل وقرينة عـــلى أمرين احدهما انه نقله عمن سبقوه دون تمحيص والثاني انه لم يعثر على بيت شعر قد روي برواية واحدة ـ أي ان تكون التفعيلة

(١) اللسان ١/٨٢٩ .

(٢) العقد الفريد ٥/٤٢٨ ـ ٤٢٩ ـ ط القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) المصدر السابق اللسان .

مخرومة – اذ ان الابيات المخرومة لاسيما في الطويل تروي بروايتين في الغالب. فقد روى سيبويه وغيره البيت التالي :

تبكـي عـلى لبنـى وأنـت تركتـهـــا

وكنت عليهـا بالمـلا أنـت اقـدر (١)

ويروي اسامة بن منقذ البيت نفسه بقوله :(٢)

اتبكي على لبنى

باعادة فاء التفعيلة فعولن ، أي رواها سالمة من الخرم . ويذكر لنا صاحب الاقناع هذا الزحاف ايضاً ويورد البيت التالي :

هاجك ربع دارس الرسم باللوى ، لاسماء عفى ايه المور والقطر ، ثم يذكر في الحاشية (بأن هذا البيت ورد في اللسان ٧٨/١٥ غير منسوب لقائل وفيه اهاجك) (٣) أي بعدم حذف فاء التفعيلة ، أي بعودتها سالمة دون زحاف ويذكر القيرواني الخرم بقوله « هو ذهاب أول حركة في وتد الجزء الاول من البيت واكثر مايقع في البيت الاول . وقد يقع قليلا في أول عجز البيت ، ولا يكون الا في وتد وقد انكره الخليل لقلته واجازه ناس ومنهم الجوهري كما يذكر القيرواني (٤) وهذا دليل آخر على عدم وجود هذا الزحاف فالامر الذي ينكره واضح هذا العلم فمن هم اولئك الناس الذين حشروه حشرا دون برهان أو سند ، انه افتئات وتحميل للامور اكثر مما تحتمل . بعد ضرب هذه الأمثلة على رواية الابيات المخرومة بروايتين نجد أن الخرم ماهو الا اسقاط حرف من أول تفعيلة . وان هذا الحذف لايؤثر في معنى البيت الى حد بعيد ، ان الذي يحدث هو وقوع خلل في وزن البيت عند خرمه وان

---

(١) الكتاب ١/٣٤٥ ، المقتضب ٤/٥٥ ، التبصرة والتذكرة الصيمري / ٥١٤/١ .

(٢) المنازل والديار ٢/٣٤ .

(٣) الاقناع ص ٤ .

(٤) العقد الفريد ١٣٨/١ .

يصبح الشطر الاول منه احياناً من الكامل بعد اسكان ثاني سببه الثقل :

تبكي على لبنى وأنت تركتها

ــ ــب ــ/ــ ــ ب ــ/ ب ب ــب ــ

وليس في ظني وجود سبب الخرم التفعيلة في الطويل اذ ان اية تفعيلة من هذا البحر يمكن جعلها غير الخرومة باعادة الحرف المحذوف . فلو قرأنا مقطوعة الحطيئة :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل ...

طاوى ثلاث ... لما وجدنا اختلافا في معنى البيت ولكننا نجد خللا في الوزن بالامكان ازالته باعادة الواو الى كلمة طاوى وبذلك تعود الى الاصل السليم التفعيلة مع مايصحبها من موسيقى .

اننا نرى أن سبب وجود هذا الزحاف اما ناتج عن سهو أو خطأ في النقل . او هو ناتج عن عدم اهتمام بالجانب العروضي للشاهد الشعري اذ اننا نجد سيبويه يورده لغرض نحوي لا علاقة له بوزن البيت لذلك نجده يلتفت الى الغرض الذي ساق البيت من اجله . ويذكر الدكتور صفاء خلوصي الخرم ويقول بأنه غير نادر في الشعر القديم ويورد بيتاً للفرزدق « لما رأيت الارض.. » ثم ينسب الى النقاد المحدثين انكارهم لهذه العلة (١).

ان ما اورده شاهدا على وجود الخرم يمكن أن يعود سالما باضافة حرف عطف في اول التفعيلة الاولى من البيت .

نخلص الى القول بأن الخرم في الطويل لا وجود له وانما للاسباب التي مرت آنفاً . هذا من جانب اما الجانب الذي يبرهن على عدم وجود هذا الزحاف في الطويل هو اننا لانجد بيتاً واحداً من الشعر قد جاء الخروما واثر سقوط فاء فعولن في معنى البيت فلا يمكن وقوع الخرم في :

---

(١) فن التقطيع الشعري ١/٤٤ ط ٩٦٣ .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أو في البيت الثاني :

تقولين مافي الناس مثلك عاشق ...

اذ لايمكن حذف قاف قفا أو تاء تقولين دون وقوع خلل في معنى الكلمة التي اسقطنا فاءها . ولكننا نستطيع ايجاد الخرم في البيت :

وان امرأ امسى واصبح سالما
من الناس الا ما جنى لسعيد

اذ بالامكان القول : (ان امرء امسى ..)

باحتمال حذف حرف كان موجودا في البيت .

ان امرا انكره الخليل في علم العروض نشك بوجوده ومن الصعوبة بمكان ان يحاول احد اثبات هذا الأمر . هذا الى جانب كل الادلة التي ساقها البحث للتدليل على نفي وجود الخرم في البحر الطويل .

الطي في مجزوء البسيط :

والطي في علم العروض هو « كل ما حذف رابعه الساكن » (١) أو بتعبير آخر هو سقوط الحرف الساكن من السبب الخفيف الثاني من مستفعلن بحيث تصبح مستعلن ان هذا الزحاف يقع كما يذهب العروضيون في مجزوء البسيط وهو امر مشكوك بوجوده اذ ان ادلة متعددة تدعم مانذهب اليه من نفي لوجوده . اننا وجدنا صاحب العقد الفريد وهو الذي يفرد قسماً كبيرا من الجزء الخامس من كتابه للحديث عن العروض وعن الزحافات والعلل . لايعطينا شاهداً واحداً عن حدث الطي في مجزوء البسيط ولم يذكر عنه شيئاً (٢) بل يضرب أمثلة للعروض والضرب المجنون والمخبول والمذال

(١) العمدة ، ١/١٣٨ .
(٢) العقد الفريد ، ج ٥/٤٤٨ ط ٩٦٧ .

ونجد الصاحب بن عباد صاحب الاقناع يقول في زحاف البحر البسيط « يجوز في مستفعلن أن تسقط منه سينه ... وان تسقط فاؤه فيبقى مستعلن » (١) ، الا انه لم يضرب لنا مثالا واحداً من الشعر يثبت حدوث مثل هذا الزحاف في مجزوء البسيط وهذا يدل بشكل أو بآخر على الشك بوجود هذا الزحاف في مجزوء هذا البحر، ونجد ابن منظور يعرف الطي (بأنه يحدث في البسيط)(٢).

دون مثال لذلك وهو المعروف بضرب الامثله. ويعرف الخطيب التبريزي الطي كذلك ولا يذكر ما يدل على حدوث الطي في مجزوء البسيط (٣) ويذكر معلقة عبيد بن الابرص الاسدي :

تـفـر مـتـن اهـلـه مـلـحـوب
فـالـقـطـبـيـات فـالـذنـوب

وهو من مخلع البسيط وفيه طي وهو امر لا يمكن نكرانه ولا بد من الاشارة إلى الفرق بين مجزوء البسيط وبين المخلع منه فالاول تدخله علة التذييل او التسبيغ (كما اخترنا هذه التسمية) والتي تتمثل في زيادة حرف ساكن في آخر التفعيلة — — ب — ه فتصبح مستفعلان وهي علة لازمة . اما المخلع فانه يتكون من ثلاث تفعيلات كالمجزوء ولكن يختلف عنه بأمرين الاول ان المخلع لا يضاف اليه حرف ساكن والثاني ان عروضه وضربه يدخلهما الخبن والقطع وهما لازمان وهذا مالا نجده في مجزوء البسيط (٤) .

اما صاحب فن التقطيع الشعري فيقول ضمن ما يقول عن زحافات هذا البحر : وقد تكون تفعيلة مستفعلن مطوية ايضاً (مستعلن — ب ب —) والطي

---

(١) [illegible]
(٢) ينظر اللسان مادة طوى .
(٣) [illegible]
(٤) المصدر نفسه / ص ٩٨ .

حذف الرابع الساكن (١) ثم يورد لنا بيتاً من الشعر بعد قوله انف الذكر ·

يـا طالـب المجـد دون المـجـد ملحمـة

فـي طيهـا خطـر بالنفس والمال

ولو قطعنا البيت وفق طريقته لوجدنا البيت كما يلي :

— — ب — — ب — — — ب — ب ب —

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

— — ب — ب ب — — — ب — — —

مستفعلـن فعلـن مستفعلـن فـاعـل

فلم نعثر على تفعيله مطوية بل وجدنا تفعيلات البيت التي اوردها من وزن مستفعلن لازحاف في جميعها على الاطلاق وهذا امر غريب لان المؤلف كان يهدف من كتابه إلى تدريس هذا الكتاب إلى طلبة اقسام اللغة العربية وهو ملزم بايراد شواهد لتثبيت وجود الزحافات والعلل الا انه في هذا الموضع اعني موضع الطي في البسيط خانه الدليل او الشاهد وهذا دليل آخر يعزز ما نراه من عدم وقوع هذا الزحاف في مجزوء البسيط . والذي نراه انما هو نقل حرفي عن القدماء لم يكلف نفسه عناء التدقيق في وجوده أو عدمه. ان الطي يحدث في مخلع البسيط وهذا امر معروف ولا يمكن لاحد نكرانه :

اقفر مـن اهلـه ملحوب

— ب ب — — ب — — — —

ان الدقة في امور العلم كانت تتطلب الانتباه إلى هذا الامر وان لا يكون الكاتب ناقلا فحسب بل علينا ان نكون دقيقين عندما ننقل من الكتب قديمها وحديثها .

ان البيت الشعري بناء هندسي فما يجوز في جزء منه لابد ان يجوز في الجزء الاخر . لذلك لايمكن التسليم بحدوث الطي في الشطر الاول من

---

(١) ينظر الاقناع في التقطيع .

مجزوء البسيط وعدم وقوعة في العجز. كما يذهب صاحب الاقناع من ان الطيء مستقبحٌ في الشطر الثاني من المجزوء البسيط ولانرى ان الحجة او البرهان تدعم رأيه هذا

الخاتمة:

ان هذا البحث المتواضع. ماهو الامحاولة لدراسة عروضية موسعة تبتغي تذليل الصعوبات في فهم هذا العلم وتيسر للقارىء العربي بعض جوانب علم العروض. ولقد توصل البحث إلى دمج عدد من الظواهر المتشابهة العروضية الواحدة بان سماها باسم واحد بعد ان كانت متعددة التسميات وقد اعتمد البحث على النظرة الموضوعية للامور وقد تجاوز ماكتبه العروضيون قديما وحديثاً.

كما ان البحث توصل إلى انكار بعض الزحافات التي ذكرتها كتب العروض دون ان تورد الامثلة الدقيقة التي تبرهن على وجود هذا الزحاف او ذاك بل ان البحث اعتمد في انكاره الزحافات على الكتب نفسها التي تدعي وجود هذه الزحافات كالخرم في الطويل والطي في مجزوء البسيط.

والله الموفق ومنه الهدى والرشاد

فن الالتفات في مباحث البلاغيين

جليل رشيد فالح

كلية الآداب / جامعة الموصل

يهدف هذا البحث إلى دراسة «فن الالتفات» بغية الوقوف على حقيقته في اللغة والاصطلاح. حيث نقف من خلال ذلك على تنبه البلاغيين الاوائل اليه وتحديد مدلوله وتبيّن وجوه تطوره في مباحثهم. ثم الوقوف على وجوهه. وبيان بواعثه. جاعلين من هذه المحاور الثلاثة منطلقاً الى دراسات اخرى مستفيضة عن هذا الفن القيم لتبين موقعه وتلمس اثره في الميدان التطبيقي والاعمال الابداعية. ومحاولة اكتشاف وجوه وبواعث جديدة لم يفطن اليها البلاغيون في مباحثهم.

وحين يكون البحث بصيغته هذه منطلقاً إلى تلك الدراسات فانه لابد ان يلمّ المعني بالدراسات الفنية والاسلوبية بأوائل نشأة الظاهرة الفنية وجذورها وحدودها وملامحها في مصادرها الاولى. ليكون من بعد على بصيرة من أمر تطور تلك الظاهرة ومدى قدرتها على استيعاب متطلبات الاساليب التعبيرية والفنون الابداعية بصيغة التواصل الحي بين القديم من الدراسات وبين الجديد من المعطيات والمباحث.

ان ظاهرة الالتفات من الظواهر التي تتحكم في الاساليب بصيغة الحضور الفاعل والمؤثر. وكأن الالتفات — وهو يواصل اداء دوره الفني — يحقق

الاستجابة الطبيعية لنزوع الانسان إلى التنوع والتجديد في اساليب تعبيره وصيغ كلامه.

ولا عجب ان يكون تنبه البلاغيين للالتفات ــ وهم يرصدون الملامح الخصوصية في التعبير ــ قديماً، وتشخصهم له مأثوراً قبل ان يعرفوه مصطلحاً كما سنجد ذلك عند اوائل المفسرين كأبي عبيدة والفراء .

ولقد تنازع البلاغيون على الالتفات فشغل الكلاميون منهم بأمر اعتداده من المعاني تارة ومن البديع تارة اخرى. اضافة الى اشارة الزمخشري إلى اعتداده من فنون البيان .

ولعل هذا التنازع ــ على الرغم من انتفاء جدواه ــ من علائم ثراء هذا الفن وحفوله بالدلالات المعنوية والفنية والجمالية على اوسع مدى .

وقد اوضح ابن يعقوب المغربي (١١١٠هـ) هذا التنازع بقوله: «ويسمى هذا النقل بجميع اقسامه عند علماء المعاني التفاتاً، اخذاً من التفات الانسان يميناً وشمالاً وبالعكس. فان قلت: لأي وجه خصص تسميته لعلماء المعاني، مع ان عد الالتفات من البديع اقرب. لأن حاصل مافيه على مايأتي انه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية فيصغى اليه لظرافته وابتداعه . ولايكون الكلام به مطابقاً لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعاني فضلاً عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون اهل البديع ، قلت: اما كونه من الاحوال التي تذكر في علم المعاني فصحيح. كما اذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الاصغاء لكون الكلام سؤالاً او مدحاً او اقامة حجة او غير ذلك. فهو من هذا الوجه من علم المعاني، ومن جهة كونه شيئاً ظريفاً مستبدعاً يكون من علم البديع . وكثيراً مايوجد في المعاني مثل هذا فليفهم. واما تخصيص علماء المعاني بالتسمية فلا حجر فيه والله اعلم»(١) ولم يكن من منهج بحثنا في دراسة هذا الفن ان نشغل بهذا التنازع عن النظر اليه فناً من

---

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ١/٤٦٣ – ٤٦٤.

فنون البلاغة قائماً بذاته مؤديا وظيفته الفنية على النحو الذي سنوضح ابعاده ، ذلك ان النظرة المعاصرة لمهمات الدرس البلاغي تلغي هذا التقسيمْ الذي خرجت به على هذا الميدان المدرسة الكلامية ممثلة بالسكاكي ومن حذا حذوه.

وخير مانورده هنا بهذا الصدد ماعلق به الدكتور احمد مطلوب على كلام ابن يعقوب المغربي حين قال:

«ولولا تقسيم السكاكي البلاغة على اقسامها وحصر كل قسم بتعريف منطقي جامع مانع لما احتاج ابن يعقوب المغربي وغيره إلى هذا التمحل والاغراق في التأويل. والا فهل يمكن استعمال اسلوب الالتفات من غير أن يؤديّ معنى فيكون مطابقاً لمقتضى الحال وتكون فيه ظرافة وطلاوة؟

ان الانتقال من اسلوب إلى آخر لايكون الا اذا اقتضى الحال وأريد به نوع من الابداع والمتعة الفنية ، ولذلك ينطبق عليه تعريف علم المعاني وعلم البديع ، ولانرى مبرراً للتفريق في عده من المعاني مرة ومن البديع تارة اخرى على الوجه الذي يذهب اليه البلاغيون»(١) .

ومن ثم فان «الالتفات» من الفنون ذات الاثر الفعال في تنويع انماط الكلام تلبية لبواعث نفسية شتى ، ومقتضيات احوال مختلفة في التحدث عن اجزاء الموضوع الواحد باساليب مختلفة في مغايرة لظواهر الاحوال الاعتيادية

ومن اجل ان يعرف بوجوه التنويع وبواعثه الخفية وضوابطه الفنية كان هذا البحث منعقدا لدراسة الالتفات عند البلاغيين ، واني لآمل ان يكون خير تمهيد لمباحث اخرى في الموضوع نفسه احقق بها امرين مهمين وضعتهما نصب عيني :

اولهما: ان يكون لهذا الاسلوب مقامه البارز في الاعمال الابداعية كالخاطرة والمقالة والقصة والرواية والمناظرة

(١) اساليب بلاغية : ١٣٧ .

وثانيهما : محاولة صياغة الدرس البلاغي الجديد الذي يفيد من اصالة القديم ويضيف اليه ابداع الجديد

الالتفات في اللغة والاصطلاح :

١ — في اللغة : جاء في اللسان : « لفت وجهه عن القوم صرفه ... وتلفت الى الشيء والتفت اليه صرف وجهه اليه » (١) .

وأشار البلاغيون الى المعنى اللغوي في دراساتهم للالتفات :

قال العلوي — صاحب الطراز — : « وسمي بذلك أخذاً له من التفات الانسان يميناً وشمالاً ، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا وتارة كذا » (٢) .

٢ — في الاصطلاح :

أجمع البلاغيون في دراساتهم لظاهرة الالتفات على أن معناه الاصطلاحي ينحصر في الانتقال من اسلوب الى آخر أو الانصراف عنه الى آخر . الا انهم اختلفوا في تحديد مجالات هذا الانتقال أو الانصراف . فبعض حدده بين المتكلم والمخاطب والغائب ، وعدد جمهور منهم اسماً لكل نقلة من حالة الى اخرى ، واشترطوا لهذا الانتقال توفر البواعث والدواعي على ما سنوضحه بعد .

والاصمعي (٢١٦ هـ) أول من أشار الى الالتفات ظاهرة وتسمية دون أن يورد له تعريفاً ، ذلك أن مرحلته لم تكن مرحلة التقنين البلاغي .

قال أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) : « اخبرنا أبو احمد . قال : اخبرني محمد يحيى الصولي . قال : قال الاصمعي : اتعرف التفاتات جرير . قلت : لا . فما هي ؟ قال :

---

(١) لسان العرب — مادة لفت ٣٨٩ .

(٢) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ١٣١/٢ .
وينظر : المثل السائر ١٧٠/٢ — ومواهب الفتاح ٤٦٣/١ .

أتنسى إذ تودعنا سليمى
بعود بشامة، سُقِيَ البشام

الا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له وقوله :

طرب الحمام بذي الاراك فشاقني
لا زلتَ في علل وأيك ناضر

فالتفت الى الحمام فدعا له » (١) .

ومما يلفت أنظارنا في خبر الاصمعي أن محمد بن يحيى الصولي لم يكن يعرف معنى الالتفات حتى نبهه اليه الأصمعي ، مع أنَ الظاهرة كانت معروفة عند آخرين قبل الأصمعي أو ممن عاصرهم الأصمعي . فأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ على خلاف) قد أشار في مجاز القرآن الى الظاهرة من غير تسمية لها. قال :« ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته الى مخاطبة الغائب . قال الله : (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم) . ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد . قال : (ثم ذهب الى اهله يتمطى . اولى لك فأولى) (٢) .

وكذلك المبرد (٢٨٥ هـ) تحدث عن الظاهرة كما تحدث عنها أبو عبيدة وذكر شواهده القرآنية، وساق معها ثلاثة أبيات . الا انه استعمل الفعل (صرفت) في معرض حديثه عن قوله تعالى (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) قال :

«كانت المخاطبة للأمة ثم صرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم اخباراً عنهم » (٣) .

---

(١) الصناعتين – ٣٩٢ .
(٢) مجاز القرآن – ١/١١ .
(٣) الكامل في اللغة والادب ٣/٢٢ – ٢٣ .

ولعل هذا مما اوحى الى بعض البلاغيين أن يسموا الظاهرة بالصرف أو الانصراف كما ورد عند ابن وهب الكاتب واسامة بن منقذ .

قال ابن وهب الكاتب (كان حياً في ٣٣٥ هـ) :

« واما الصرف فانهم يصرفون القول من المخاطب الى الغائب ومن الواحد الى الجماعة كقوله : (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) »(١).

وقال اسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) :

«باب الانصراف : وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر» (٢) .

اما ابن المعتز (٢٩٦هـ) فهو اول من عرف الالتفات تعريفاً اصطلاحياً حين قال :

«وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر» (٣) .

ومما يلفت النظر في تعريف ابن المعتز امور جديرة بالتأمل وهي :

١ ـ انه اول تعريف اصطلاحي ورد الينا بعد اشارة الاصمعي الآنف ذكرها.

٢ ـ انه حدد المحاور الأساسية لاسلوب الالتفات وهي المخاطب والمتكلم والغائب .

٣ ـ لم يقيد الظاهرة بتلك المحاور بل تجاوزها إلى التصرف في هذا الانتقال.

٤ ـ مهد هو وسابقوه لان يكون للظاهرة مصطلح آخر هو الانصراف او الصرف .

---

(١) البرهان في وجوه البيان ـ ١٥٢ .

(٢) البديع في نقد الشعر ـ ٢٠٠ .

(٣) البديع ـ ٥٨ .

ومضى الالتفات بعد ذلك يدور حول هذا المعنى عند البلاغيين الذين تلوا ابن المعتز مع لمحات اضافية عند بعضهم .

فأبو هلال العسكري لم يورد له تعريفاً بل ذكر له نوعين وضح من خلالهما بواعث الالتفات .

والباقلاني (٤٠٣هـ) وضح المقصود من كلام الاصمعي الذي مرّ بنا حين اشار إلى التفاتات جرير .

قال : «ومعنى الالتفات انه اعترض في الكلام» (١) .

ويمضي بعد ذلك ليوضح لنا معنى الاعتراض فيقول :

«فمتى خرج عن الكلام الاول ثم رجع اليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتاً»(٢)

ولقد جاء مصطلح الالتفات عند الزمخشري (٥٣٨هـ) من خلال تفسيره للآيات التي وردت على هذا الاسلوب. ويعني عنده صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة وعن الغيبة إلى المتكلم. قال :

«هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى المتكلم على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه» (٣) .

اما قوله (صرف الكلام) الذي نعتده مصطلحاً آخر للالتفات فقد جاء في سياق تساؤله عن بواعث هذه الظاهرة .

قال : «فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت...» (٤) ومن الجدير بالذكر في هذا الموضع ان الزمخشري حين جعل الالتفات من فنون علم البيان لم يكن يعني بعلم البيان القسم الثاني من علوم البلاغة.

(١ ، ٢) اعجاز القرآن — ٩٩ .
(٣) الكشاف — ٦٤/١ — ٦٥ .
(٤) نفسه — ٢٣١/٢ .

فالتقسيم — وان اشار اليه الزمخشري في مقدمة الكشاف (١) لم يظهر الا على يد السكاكي بموضوعاته ومصطلحاته .

فالبيان عند الزمخشري ليس الا الظاهرة البلاغية التي تؤدي مهمة فنية للتعبير عن معنى معين، ولم يضع الزمخشري فواصل بين العلمين «لتشابكهما في دلالات الالفاظ والتراكيب وفي اسرار الاعجاز القرآني ولطائفه الدقيقة» (٢)

ثم وجدت القرطبي (٦٧١هـ) يورد عند تفسيره لسورة الفاتحة مصطلحاً آخر وهو مصطلح (التلوين) .

قال : «قوله تعالى (اياك نعبد) رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين» (٣) .

ومما يحملنا على ان نجعل التلوين مصطلحاً آخر للالتفات أن القرطبي حين شخص الظاهرة لم يذكر الالتفات مع انه كان معروفاً عند من قبله ، ولو عرفه لذكره .

ومما يعزز اعتدادنا لتلوين مصطلحاً آخر للالتفات ما ذكره الزركشي من أن احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي (٤٢٧ هـ) سماه المتلون (٤) .

وحين نقع على هذا المصطلح الجديد عند مفسر كالثعلبي من القرن الخامس وعند القرطبي في القرن السابع نجد ان اقتراح الدكتور حفني محمد شرف باطلاق اسم « تلوين الخطاب » (٥) على هذا الفن يكون غير جديد . ويبدو انه لم يقف على ما ذكره القرطبي أو ما نقله الزركشي عن الثعلبي ، ولو علم بذلك لأشار اليه .

الا ان مصطلح الالتفات قد استقر في مباحث البلاغة . واصبحت المصطلحات الاخرى كالصرف أو الانصراف او العدول أو النقل أو التلوين بمثابة نعوت دالة على هذا المصطلح .

(١) نفسه — المقدمة — ١٦/١ .
(٢) البلاغة تطور وتاريخ — ٢٢٢ .
(٣) الجامع لاحكام القرآن — ٤٢٣ .
(٤) البرهان في علوم القرآن — ٢٤٦/٢ — وتنظر ترجمة الثعلبي في انباه الرواة ١١٩/١ .
(٥) التصوير البياني — ٤٢٣ .

وقد عبر ابن يعقوب المغربي (١١١٠ هـ) عن استقرار مصطلح الالتفات بقوله : « ويسمى هذا النقل بجميع أقسامه عند علماء المعاني التفاتاً » (١)
وبذلك يسعنا أن نستغني عن ايراد تعريفات اخرى للالتفات لنفرغ الى عرض معالجات البلاغيين لمختلف ظواهر الالتفات وموضوعاته .

وجوه الالتفات :

يجد الباحث في دراسته لوجوه الالتفات أن البلاغيين ذهبوا في تحديد هذه الوجوه مذهبين :

١ ـ مذهب التخصيص : وهو قصر الالتفات على الوجوه الثلاثة المعروفة : التكلم والخطاب والغيبة . كما ورد عند اسامة بن منقذ في قوله : « وهو أن يرجع من الخبر الى الخطاب ومن الخطاب الى الخبر » (٢)

وكما ذكر حازم القرطاجني « وهو عند الجمهور التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة ، اعني التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها » (٣) .

ومن أجل أن يتضح لنا هذا المذهب نعرض أمثلة من القول البليغ مع الاشارة الى وجه الالتفات فيه :

أ ـ قال تعالى : « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان » (٤) .

فقد عدل عن الخطاب في قوله تعالى : (كنتم) الى الغيبة في قوله تعالى (بهم)

---

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ٤٦٣/١ .
(٢) البديع في نقد الشعر ـ ٢٠٠ .
(٣) منهاج البلغاء وسراج الادباء ـ ٣٦٢ .
(٤) سورة يونس ـ ٢٢ .

ب ــ قال تعالى : « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين » (١) .

فقد عدل عن الغيبة في الآيات الثلاث الاولى الى الخطاب في قوله تعالى : اياك نعبد واياك نستعين .

جـ ــ قال عنترة :

شطت مزار العاشقين فأصبحت
عسراً علي طلابك ابنة مخرم (٢) .

فقد كان حديث عنترة من ابنة مخرم على الغيبة . ثم عدل عن الغيبة فأخذ يخاطبها مباشرة .

د ــ قال النابغة الذبياني :

يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأمد (٣)

وكان القياس أن يقول : أقويت وطال عليك ... الا انه عدل عن الخطاب الى الغيبة .

٢ ــ مذهب التعميم : ويرى اصحاب هذا المذهب ان لا ينحصر هذا الاسلوب في التعبير الفني بثلاثة محاور فتضيق به السبل امام اداء وظيفته الفنية. وحين نقف ازاء تفاصيل هذا المذهب يتبين لنا وهم حازم القرطاجني من ان المذهب الاول هو مذهب الجمهور، وسنجد ان اكثر البلاغيين وسعوا نطاق هذا الفن وأدرجوا تحته اموراً كثيرة تتكشف من خلالها عبقرية التعبير العربي وسعة دلالته في الاداء الفني .

---

(١) سورة الفاتحة .

(٢) ديوان عنترة ــ .. : محمد سعيد المولوي ــ المكتب الاسلامي ــ دمشق ١٩٧٠ ــ ص ١٨٦ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ــ صنعة ابن السكيت : تح : د. شكري فيصل ــ دار الفكر ــ لبنان ــ ص ٢ .

وليس مذهب التعميم جديداً عند متأخري البلاغيين بل ورد بصريح العبارة في اول تعريف اصطلاحي وصل الينا وهو تعريف ابن المعتز حين قال عن الالتفات :

«هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الاخبار. وعن الاخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفاتات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر» (١) .

والذي يهمنا من مقولة ابن المعتز الجزء الاخير منها حين وسع نطاق الانصراف. وعلى وجازة هذه الاشارة وعدم تحديد ابن المعتز وجوه الانصراف الأخرى فانه مهّد السبيل لمن بعده ليفيضوا في عرض الوجوه التي تندرج تحت اسم الالتفات ولا يبعد عن مفهومه ووظيفته .

ولعل قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) هو أقدم من اشار إلى وجه جديد لا يتصل بالوجوه الثلاثة المعروفة حين ذكر الالتفات جاعلاً اياه من نعوت المعاني . «ومن نعوت المعاني الالتفات. وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه او ظن بأن راداً يرد عليه قوله او سائلاً يسأله عن سببه او يحل الشك فيه. مثال ذلك قول المعطل احد بني رهم بن هذيل :

تبين صُلاة الحرب منا ومنهم

اذا ما التقينا والمسالم بادن

فقوله : والمسالم بادن: رجوع على المعنى الذي قدمه حين بين ان علامة صلاة الحرب ان المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً. وقول الرماح بن ميادة :

فلا صرمه يبدو وفي اليأس رحمة

ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكأنه بقوله : وفي اليأس رحمة: التفت إلى المعنى لتقديره ان معارضاً يقول له: وما تصنع بصرمه؟ فقال : لأن في اليأس راحة» (٢) .

---

(١) البديع — ٥٨ .

(٢) نقد الشعر — ٥٣ .

وليس بعد قدامة من اشار إلى سعة مدلول الالتفات وتعدد وجوهه حتى نبلغ ضياء الدين ابن الاثير (٦٣٧هـ) ليتولى دراسة هذا الفن بافاضة وطول باع ، وليكشف لنا عن اسراره ، فهو في « المثل السائر » يسميه « شجاعة العربية» (١) ..

الا انه في «الجامع الكبير» يجعله نوعاً من انواع شجاعة العربية (٢) .

وقد اخذ ابن الاثير اسم «شجاعة العربية» من ابن جني في الخصائص (٣) ، حين جعلها عنواناً لموضوعات متعددة لم يكن الالتفات واحداً منها، وهو لم يعرض للالتفات مصطلحاً او موضوعاً في الخصائص، ولكنه تحدث عنه في كتابه «المحتسب» وهو يبين وجود شواذ القراءات والايضاح عنها.

عرض ابن جني للحديث عن قوله تعالى : «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» (٤) ، حيث اورد قراءة الحسن بالياء : «واتقوا يوماً يرجعون فيه إلى الله » قال : «انه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى : حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ... » وقد شاع واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى ... وهذا فاش عنهم » (٥) .

وحري بنا — من بعد — ان نتلبث عند ابن الاثير لنقف على رؤيته في بيان وجوه الالتفات وانواعه عنده .

ينقسم الالتفات عنده إلى ثلاثة اقسام قد فصل القول فيها تفصيلاً لا يتسع المقام لايراده ، وحسبنا ان نورد الانواع مع شيء مما تمثل به لكل نوع «القسم الاول : في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة» (٦)

---

(١) المثل السائر ١٧١/٢ .

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور — ٩٨ .

(٣) الخصائص : ٣٦/٢ .

(٤) سورة البقرة — ٢٨١ .

(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات — ١٤٥/١ .

(٦) المثل السائر ١٧١/٢ .

وضرب مثلاً لذلك عدة آيات من القرآن الكريم موضحاً وجوه الالتفات فيها. ومنها سورة الفاتحة، وقوله تعالى: «وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون» (١) وكذلك اورد ابياتاً لابي تمام (٢) والمتنبي (٣).

والذي يبدو لنا لأول وهلة انه لم يصرح بالمتكلم طرفاً ثالثاً، الا انه في الحقيقة ذكره بعنوان «خطاب النفس» حين عرض لقوله تعالى: «وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون» حين قال:

«ومما ينخرط في هذا السلك ايضاً الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة» (٤) ثم أورد الآية مثلاً لذلك.

وواضح من الآية أن المقصود بخطاب النفس هو المتكلم.

«القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر. وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر» (٥): وضرب مثلاً للجزء الأول: قوله تعالى «ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك. وما نحن لك بمؤمنين. ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء. قال: اني اشهد الله. واشهدوا اني بريء مما تشركون» (٦).

قال ابن الأثير معقباً على الآية في بيان وجه الالتفات فيها. «فإنه انما قال: اشهد الله واشهدوا. ولم يقل: واشهدكم. ليكون موازناً له وبمعناه» (٧) وأما الجزء الثاني من هذا القسم فقد جاء له بمثل قوله تعالى: «قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين» (٨).

(١) يس /٢٢ – المثل السائر ١٧٨/٢.
(٢) المثل السائر ١٧٨/٢.
(٣) المثل السائر ١٨٠/٢.
(٤) المثل السائر ١٧٧/٢.
(٥) المثل السائر ١٨٣/٢.
(٦) هود – ٥٣، ٥٤ – والمثل السائر ١٨٣/٢.
(٧) المثل السائر ١٨٣/٢.
(٨) الاعراف /٢٩ – والمثل السائر ١٨٨/٢.

قال معقباً على الآية في بيان وجه الالتفات فيها : « وكان تقدير الكلام : أمر ربي بالقسط واقامة وجوهكم عند كل مسجد ، فعدل عن ذلك الى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم » (١) .

« القسم الثالث » في الاخبار عن الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي (٢)

فضرب لذلك مثلاً قوله تعالى : « والله الذي ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ، كذلك النشور » (٣)

قال : « فانه انما قال : « فتثير » مستقبلاً وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذي أشرنا اليه ، وهو حكاية الحال التي يقع فيها اثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة » (٤)

ولابن الأثير منهج آخر في كتابه « الجامع الكبير » حين جعل الالتفات قسماً من ستة أقسام اجتمعت تحت عنوان « شجاعة العربية » ثم قسم الالتفات الى ثلاثة أضرب جاء الضرب الثالث منها جديداً بالقياس الى ما ذكره في « المثل السائر » وهو .

الرجوع من خطاب التثنية الى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد . ثم عاد فجعل الاخبار عن الماضي بالمضارع وعن المضارع بالماضي قسماً من أقسام شجاعة العربية وليس ضرباً من ضروب الالتفات على خلاف ما ذكر في المثل السائر (٥) .

وحين نقف عند ابن ابي الاصبع المصري (٦٥٤ هـ) نجد انه اشار الى قسم من أقسام الالتفات جاء في القرآن الكريم ولم ينبه اليه احد من قبله .

قال : « جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جداً لم اظفر في الشعر بمثاله .

---

(١) المثل السائر ١٨٤/٢ .

(٢) المثل السائر ١٨٥/٢ .

(٣) فاطر /٩ — والمثل السائر ١٨٥/٢ .

(٤) المثل السائر ١٨٦/٢ .

(٥) الجامع الكبير — ٩٨ — ١٠٥ .

وهو أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين . ثم يخبر عن الاول منهما وينصرف عن الاخبار عنه الى الاخبار عن الثاني ، ثم يعود فينصرف عن الاخبار عن الثاني الى الاخبار عن الاول كقوله : « ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد » انصرف عن الاخبار عن الانسان الى الاخبار عن ربه تعالى . ثم قال منصرفاً عن الاخبار عن ربه الى الاخبار عن الانسان « وانه لحب الخير لشديد » وهذا يحسن ان يسمى (التفات الضمائر) » (١) .

والذي يستفاد من كلام ابن ابي الاصبع انه قد حفز الهمم الى التأمل الطويل في النصوص البليغة لاكتشاف ظواهر اخرى تتصل بالالتفات ، وجعل ما اكتشفه مناط الاقتضاء والتمثل . احياء لخصائص كامنة في لغتنا خفيت على الدارسين .

ثم نجد وجوه الالتفات تتسع في كتاب (جوهر الكنز) لنجم الدين أحمد بن اسماعيل ابن الاثير الحلبي (٧٣٧هـ) (٢) . فقد احصى من اقسامه ووجوهه احد عشر قسماً (٣) .

وللكتاب فضيلة الجمع لوجوه كثيرة متعددة للالتفات في موضع واحد. والجمع بحدّ ذاته يمثل نظرة التعميم لدلالات الالتفات .

قال الحلبي موضحاً منهجه في كتابه : «ولم اتعرض إلى شيء سوى ذكر الباب وحده وشاهده وما لعله يمكن من الفرق بينه وبين الباب المضاهي له، وأعرضت عن ذكر الشواهد والاختلاف في الحدود» (٤) .

ومن خلال ما جمع في تلخيصه يتضح لنا ان ما اورده من مسائل. تنطبق

---

(١) بديع القرآن — ٥٤ .

(٣) وهو تلخيص لكتاب «كنز البراعة في ادوات ذوي البراعة» لعماد الدين اسماعيل بن أحمد ابن سعيد الذي تولى كتابة السر للسلطان الاشرف خليل بعضاً من عامي ٦٩١ — ٦٩٢هـ، ثم قتل في وقعة حمص ٦٩٩هـ — انظر — جوهر الكنز — المقدمة : ٧.

(٣) جوهر الكنز — ١١٩ — ١٢٢ .

(٤) جوهر الكنز — ٢٨ .

عليه مواصفات الالتفات من حيث توافر عنصر العدول والانصراف وفق بواعث تكمن وراء ذلك .

ووقف يحيى بن حمزة العلوي صاحب الطراز (٧٤٥هـ) بين مذهبي التخصيص والتعميم موقف المرجح لمذهب التعميم لما وجد فيه من اتساع في الكلام وشمولية دلالته الظاهرة .

قال العلوي : «ومعناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من اسلوب في الكلام إلى اسلوب آخر مخالف للأول . وهذا احسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة. لأن الاول يعم سائر الالتفاتات كلها . والحد الثاني انما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير » (١) .

ثم ذكر تلك الانواع التي اوردها ابن الاثير في المثل السائر ولخص من بعد منهج ابن الاثير في تحديد الالتفات والوقوف عند ظواهره حيث قال :

«وحاصل ما قاله — اي ابن الأثير — هو أنه لا يختص بضابط يجمعه ولكن يكون على حسب مواقعه في البلاغة وموارده في الخطاب . وآل كلامه إلى ان الناظر انما يعرف حسن مواقع الالتفات اذا نظر في كل موضع يكون فيه الالتفات. فيعرف قدر بلاغته بالاضافة إلى ذلك الموقع بعينه» (٢).

ولا نغادر هذه الخلاصة من غير ان نعقب عليها بملحظين :

١—لم يرد عن ابن الاثير ما يشير إلى ان تحديد انواع الالتفات لا يختص بضابط . بل ذكر لكل نوع ضوابطه .

٢ — ان هذه الخلاصة مقبولة لذاتها. لأنها تحفز على التأمل والاستنباط . والتوصل إلى صور وألوان من الالتفات جديدة تبعث في الموضوع حيوية واتساع دلالة .

ويجد بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) أن يتسع نطاق دلالة الالتفات لتشمل

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز — ١٣٢/٢ .
(٢) المصدر نفسه — ١٣٢/٢ .

موضوعات أخرى غير الذي عرف عند سابقيه . واشار إلى بعض هذه الانواع بقوله :

«ومنهم من يجعل الالتفات نقل الكلام من حالة إلى أخرى. وجعل منه ابن النفيس في طريق الفصاحة التعبير عن المضارع بالماضي وعكسه . وجعل غيره منه الانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين او الجمع لغيره . وهو أقرب شيء للالتفات المشهور لمشابهته له في الانتقال من احد أساليب ثلاثة لآخر. وفي انقسامه إلى ستة أقسام» (١) .

وفي اشارة السبكي إلى عنصر المشابهة في الانتقال تحديد للمنطلق الفني للدارسين لتوسيع نطاق الالتفات .

وحين يبلغ بنا المطاف إلى بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن (٧٩٤هـ) نجد انه جرى في مضمار من سبقه في جمع شتات موضوع الالتفات ووجوهه .

فالالتفات عنده « هو نقل الكلام من اسلوب الى آخر » (٥٥ .) ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا انه لم يقصر النقل على الجهات الثلاث المعروفة : المتكلم والمخاطب والغائب . بل تجاوزها الى الوجوه التي ادرجها سابقوه في الالتفات . الا ان الذي يلفت النظر عند الزركشي أن هذه الوجوه جعلها مما يقرب من الالتفات .

وهذه الوجوه هي :

١ – الانتقال من خطاب الواحد الى خطاب الاثنين .

٢ – من خطاب الواحد الى خطاب الجمع .

٣ – من خطاب الاثنين الى خطاب الواحد .

٥ – من خطاب الجمع الى خطاب الواحد .

---

(١) عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح – ١/٤٦٤ .

(٢) البرهان في علوم القرآن – ٣/٣١٤ .

٦ ـ من خطاب الجمع الى خطاب الاثنين .

٧ ـ من الماضي الى الأمر .

٨ ـ من المستقبل الى الأمر .

٩ ـ من الماضي الى المستقبل .

١٠ ـ من المستقبل الى الماضي (١) .

وحين عدّ الزركشي هذه الوجوه مما يقرب من الالتفات لم اجد له مايبرر تردده في اعتدادها من الالتفات على وجه الجزم والتأكيد . مع ان ابن الاثير وابن قيم الجوزية قد سبقاه الى عدّها من الالتفات .

الا ان اموراً ذكرها الزركشي في (البرهان) قد استوقفتني مما وجدت ان لها صلة وثيقة بالالتفات . ولعل في ايرادها ما يحفز الى اعتدادها من وجوه الالتفات .

المسألة الاولى : نقلها الزركشي عن الزمخشري في تفسيره الكشاف . وقد أوردها في باب ارتباط الآيات بعضها ببعض .

وقف عند ظاهرة عطف جملة على ما قبلها بحيث يشكل على القارىء وجه الارتباط بينهما . واورد أول شاهد على هذه الظاهرة قوله تعالى :

« يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج . وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » (٣) .

قال الزركشي : « فقد يقال : أي رابط بين احكام الأدلة وبين حكم اتيان البيوت » (٣) ثم أورد الزركشي جواب هذه المسألة من وجوه كثيرة يهمنا ان نقف عند الوجه الاول لما له من وثيق الصلة بموضوعنا .

---

(١) تنظر هذه الوجوه في (البرهان) من ٣٢٣ ـ ٣٣٧ ـ ج٣ .

(٢) البقرة ـ ١٨٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ـ ٤٠/١ .

قال : « احدهما : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها ، معلوم أن كل مايفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه ، وانظروا في واحدة تفعلونها انتم ، مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً » (١) .

وما يستخلصه المتأمل في هذا الكلام أن الله صرفهم عن موضوع ما كان لهم أن يسألوا عنه أو أن يشغلوا أنفسهم به الى أمر آخر جدير بالاهتمام .

والصرف أو الانصراف هو من معاني الالتفات كما اسلفنا القول فيه . ومما يجدر بالاشارة الى أن السكاكي جعل هذه الآية في معرض حديثه عن اخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر . وجعل الآية من امثلة « الاسلوب الحكيم » واشار الى أن الحديث قد صرف عن وجهته الى وجهة اخرى .

قال : « ... فأجيبوا ببيان المصرف بتنزيل سؤال السائل منزل سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له بألطف وجه على تعديه من موضوع سؤال هو أليق بحاله ان يسأل عنه » (٢) .

والمسألة الثانية : هي نقل الكلام الى غيره .

قال : « وانما يفعل ذلك اذا ابتلى العاقل بخصم جاهل متعصب فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ، لأنه كلما خوّضه معه اكثر كان بعده عن القبول أشد . فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة وأن يؤخذ في كلام آخر اجنبي ويطنب فيه بحيث ينسى الأول . فاذا اشتغل خاطره به أدرج له في أثناء الكلام الاجنبي مقدمة تناسب ذلك المطلب ليتمكن من انقياده » (٣) .

---

(١) المصدر نفسه ١/٤٠ - ٤١ .

(٢) مفتاح العلوم - ١٧٥ .

(٣) البرهان في علوم القرآن - ١/٤٠ - ٤١ .

وذكر الزركشي انه نقل ذلك عن الامام ابي الفضل (١) في كتاب (درة التنزيل) اذ جعل منه قوله تعالى : « اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود » (٢)

قال : ان قوله (واذكر) ليس متصلاً بما قبله بل نقلاً لهم عما هم عليه » (٣)

وأرى أن هذا النوع لايبعد كثيراً في مراميه الأساسية عن النوع الأول ، وكلاهما عدول عن كلام لا حاجة الى الاستمرار فيه ، والأخذ في كلام آخر جديد لا علاقة له بالأول . وقد يكون الهدف الخاص مختلفاً في كلتا المسألتين ، ولكن الاساس واحد .

أما المسألة الثالثة : فهي انه عدّ بناء الفعل للمفعول – أي المجهول – بعد خطاب فاعله أو تكلمه من باب الالتفات .

قال : « فيكون التفاتاً عنه كقوله تعالى (غير المغضوب) بعد (انعمت) فان المعنى : غير الذين غضبت عليهم (٤) .

وواضح ان الباعث على هذا العدول من المعلوم الى المجهول تنزيهاً لله تعالى عن صفة الغضب باسلوب الخطاب المباشر .

ولقد أشار السبكي الى ان ابن الاثير الحلبي قد ذكر هذا النوع في كتابه « كنز البلاغة » »(٥) .

---

(١) ذكر محمد ابو الفضل ابراهيم محقق كتاب البرهان للزركشي أن ابا الفضل هو الامام فخر الدين الرازي، وان (درة التنزيل وغرة التأويل) هو من كتبه التي توجد منه نسخ خطية بدار الكتب المصرية، ينظر هامش ص ١١٢ –ج٣ .
الا ان الباحثين الذين استقصوا مؤلفات الرازي لم يذكروا هذا الكتاب في مسود كتبه، ومنهم الدكتور محسن عبد الحميد الذي استدرك على من سبقه في دراسة الرازي – ينظر : الرازي مفسراً – ص ٣٥ – ٤٧ – دار الحرية – ١٩٧٤ .

(٢) سورة ص : ١٧ .

(٣) البرهان في علوم القرآن – ٣/٣٢٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٣/٣٢٥ .

(٥) عروس الافراح – ١/٤٧٨ .

بواعث الالتفات

يتساءل المتأمل في النصوص البليغة التي ترد فيها ظاهرة الالتفات عن البواعث والاسرار التي تكمن وراء هذا الانتقال من صورة اسلوبية إلى اخرى ومن لون من التعبير إلى آخر مغاير، ولايسع من له أدنى إلمام بالعربية وأسس ابنيتها الفنية والاسلوبية ان يزعم ان الأمر لايخضع لبواعث تدعو إلى الانتقال والتغيير. الا ان الباحث لامناص له من ان يتساءل عن هذه البواعث.

إن للبلاغيين — والمفسرين منهم بخاصة— اقوالاً شتى في بيان تلك البواعث الا انهم لم يجمعوها في مواضع مستقلة من كتبهم ومباحثهم، بل هم يأتون على ذكر الباعث عند الوقوف عند شاهد معين. كما قال ابن قيم الجوزية :

«ولايخلو شيء من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص» (١)

ومن اقدم من تحدث في براعث الالتفات قدامة بن جعفر، وقد مرّ بنا كلامه على الالتفات وقد بناه على ذكر البواعث اكثر من تعرضه لمعناه وحدوده. ومن المناسب في هذا الموضع — اتماماً للفائدة وحفاظاً على وحدة الموضوع — أن اورد حديثه عن الالتفات.

«وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إماشلّك أو ظنّ بأن يردّ عليه قوله، او سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ماقدمه. فاما ان يذكر سببه او يجلّي الشك فيه»(٢)

ومن اهم مايلقانا في موضوع البواعث مقولة أذاعها الزمخشري (٥٣٨)هـ وجعلها محوراً رئيساً لكل البواعث الجزئية للالتفات. قال في تفسيره: (اياك نعبد) من سورة الفاتحة:

«فان قلت: لم عدل عن لفظ الغيب الى لفظ الخطاب. قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان. قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان — ٩٨ .

(٢) نقد الشعر — ٥٣ .

الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم.... على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولان الكلام اذا نقل من اسلوب إلى اسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد»(١)

اذن هو يرى ان الباعث الرئيس للالتفات هو توخّي التطرية في الكلام وايقاظ النفوس للاصغاء ورفع الملل عنها باجرائه على اكثر من اسلوب ولقد تصدى ابن الأثير لمناقشة الزمخشري في ماذهب اليه من أمر هذا الباعث الرئيس.

قال ابن الاثير: «...وليس الأمر كما ذكره، لأن الانتقال في الكلام من اسلوب إلى اسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء اليه، فان ذلك دليل على ان السامع يملّ من اسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع. وهذا قدح في الكلام لاوصف له، لأنه لو كان حسناً لما ملّ، ولو سلمنا إلى الزمخشري ماذهب اليه لكان انما يوجد ذلك في الكلام المطول. ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ويكون مجموع الجانبين معاً يبلغ عشرة الفاظ او أقل من ذلك. ومفهوم الزمخشري في الانتقال من اسلوب الى اسلوب انما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصداً لاستعمال الاحسن. وعلى هذا فاذا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه او استعمل في جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا: هذا ليس بحسن. اذ لم ينتقل فيه من اسلوب، وهذا قول فيه مافيه» (٢)

ان اعتراض ابن الاثير هو اعتراض على عبارة الزمخشري من حيث دلالتها على العموم، وعندئذ يكون ابن الاثير على حق في ما ذهب اليه. ذلك

(١) الكشاف - ١/٦٤-٦٥.

(٢) المثل السائر - ١٧٢/٢.

ان ليس لتطرية النشاط وايقاظ الاصغاء ودفع السأم ضوابط يجري بمقتضاها المتحدث، ويخشى ان يكون الأمر — من ثم — خاضعاً لأهواء لا تحقق فوائد مرجوة في ايراد فن بلاغي بعينه في موقعه المراد، ولكن حين نمضي مع الزمخشري في ثنايا تفسيره (الكشاف) نجد أنه يقف عند خصوصية الالتفات عند تفسيره للآيات، وعندئذ يكون ابن الأثير قد أساء الظن بالرجل، وكان عليه أن يوجه مقولة النظرية وايقاظ الاصغاء توجيهاً يتسق مع البواعث الخاصة الدقيقة التي نبهنا اليها الزمخشري في مواضع شتى من تفسيره .

ومن البواعث الدقيقة نعرض على سبيل المثال لا الحصر قوله في تفسير سورة الفاتحة :

قال : «.... وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموقع انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات. فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : اياك يامن هذه صفاته تخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به» (١) .

ومن ذلك ايضاً قوله في تفسير قوله تعالى : «هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان ...» (٢)

قال : «فان قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت : المبالغة، كأن يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح» (٣) .

ومن ذلك ايضاً قوله في تفسيره قوله تعالى : « والله الذي ارسل الرياح

(١) الكشاف — ١/٦٤ — ٦٥ .
(٢) يونس : ٢٢ .
(٣) الكشاف : ٢/٢٣١ .

فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ، كذلك النشور» (١)
قال : « فان قلت : لم جاء (فتثير) على المضارعة دون ما قبله وما بعده ؟
قلت : ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية ، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو فهم المخاطب أو غير ذلك (٢).

ولعل في هذه الامثلة الثلاثة ما يكفي لتصحيح الظن ان الزمخشري ذهب في مقولة التطرية وايقاظ الاصغاء مذهباً عشوائياً ، وتحليله للآيات السابقة وغيرها وتشخيصه الفني الدقيق للبواعث الخاصة دليل واف على ادراك الزمخشري لمهمة الالتفات اسلوباً تحقق به فوائد وغايات جليلة .

ومن المناسب أن نعود الى ابن الاثير لنقف على مايراه من البواعث التي تكمن وراء ظاهرة الالتفات .

يقول ابن الأثير بعد فراغه من مناقشة الزمخشري : « والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب غير أنها لاتحد بحد ، ولا تضبط بضابط ، لكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها » (٣)

ان ماذهب اليه ابن الاثير هو عين ماذكره الزمخشري . ولقد مر بنا قوله في تفسير سورة الفاتحة « وقد تختص مواقعه بفوائد » .

وليس ماذكره ابن الأثير الا توضيحاً وتفصيلاً لكلام الزمخشري . ولو وقف عنده ابن الأثير لما آخذه على مقولة التطرية وايقاظ الاصغاء .

ومما اشار اليه السكاكي من خصوصيات البواعث حديثه عن الالتفات

---

(١) فاطر — ٩ .
(٢) الكشاف — ٣/٣٠٢ .
(٣) المثل السائر — ٢/١٧٣ .

بوضع اسم الاشارة موضع الضمير في قوله الشاعر :

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حائرة
وصيّر العالم النحرير زنديقا

فقد ذهب في تعليل ذلك : «اما لأنه اختص بحكم بديع عجيب الشأن .... واما لأنه قصد التهكم بالسامع والسخرية منه، كما اذا كان فاقد البصر، او لم يكن ثم مشار اليه أصلاً او النداء على كمال بلادته بأنه لا يميز بين المحسوس بالبصر وغيره، او على كمال فطانته وبعد غور ادراكه بأن غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره» (١) .

واشار ابن قيم الجوزية إلى ان خصوصية تحاشي سوء الأدب امام عظيم. ثم ايقاع التوبيخ على متجاوزين باسلوب مغاير اذا اجتمع الأمران على صعيد واحد.

قال : «وان القول اذا اشتمل على سوء ادب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب، إذ الاقدام على ذلك قدّام الحاضر أفحش وأكثر جرأة. والجناب العظيم ينبغي أن يحاشى من ذلك. يبين ذلك قوله تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً. لقد جئتم شيئاً إدّاً) ثم لما أراد توبيخهم على هذا القول عبر عنه بالحضور لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الاهانة» (٢) .

والزركشي وإن أخذ عن الزمخشري مقولة التطرية وتجديد النشاط وصيانة الخاطر من الملال والضجر، إلا انه نبّه إلى ان تلك المقولة لا تكفي لبيان القيمة الفنية والمعنوية لاسلوب الالتفات حين ذكر منازعة القاضي شمس الدين ابن الجوزي في قوله :

«الظاهر أن مجرد هذا لا يكفي في المناسبة. فانا رأينا كلاماً اطول في هذا

(١) مفتاح العلوم : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان - ٩٨ .

والاسلوب محفوظ» (١) .

ومن الأمور الخاصة التي تدعو إلى الالتفات عند الزركشي :

١ـ قصد تفخيم المخاطب : ذكر ذلك في حديثه عن الالتفات من قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) وما بعدها إلى قوله تعالى : (إياك نعبد) .

٢ ـ التأدب مع الخطاب : بالالتفات عن الخطاب إلى الغيبة، كما في قوله تعالى : (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً)

٣ ـ التنبيه على ماحق الكلام ان يكون وارداً عليه. وضرب مثلا لذلك قوله تعالى : (فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا .انا كنا مرسلين، رحمة من ربك، انه هو السميع العليم »(٢)

قال : اصل الكلام : انا كنا مرسلين رحمة منا، ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر للانذار بأن الربوبية تقتضي الرحمة للقدرة عليهم » (٣)

٤ ـ قصد المبالغة : وضرب مثلا لذلك قوله تعالى : «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم» (٤)

٥ ـ قصد الدلالة على الاختصاص : وذكر قوله تعالى : «والله الذي ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها » (٥)

٦ ـ قصد الاهتمام : وضرب مثلا لذلك قوله تعالى : «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها : أئتيا طوعاً او كرهاً، قالت : اتينا طائعين. فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً .ذلك تقدير العزيز العليم» (٦)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٢٥/٣ .

(٢) الدخان — ٤ — ٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن —٣٢٩/٣ .

(٤) يونس ٢٢ .

(٥) فاطر — ٩ .

(٦) فصلت : ١١ .

٧ — قصد التوبيخ: وأورد قوله تعالى: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إداً» (١)

ولابد لي ان اوضح في هذا الموضع انني لم أهدف إلى حصر بواعث الالتفات استقصاءاً. بل كان الهدف أن ابين ان الالتفات ليس ظاهرة اعتباطية يراد منها التنوع الكيفي في الاساليب من غير أن تكمن وراء ذلك التنوع او الانتقال غاية تحقق فائدة. ولعل في ماأوردنا سبيلا إلى اثبات ذلك بما فيه الغناء.

التجريد والالتفات :

ان الذي حملني على عقد هذا الفصل ماأشار اليه بهاء الدين السبكي في عروس الافراح بعد فراغه من دراسة الالتفات من ان ثمة أمراً ينبغي التنبه اليه وهو أن « ربما اشكل التمييز بين حقيقته — اي الالتفات — وحقيقة التجريد ...» (٢)

وخلاصة ماذهب اليه أن هناك مواضع يلتقي فيها الالتفات والتجريد. كما في قول الشاعر علقمة الفحل:

طحـــابك قلـــب في الحســـان طروب

بعيد الشبـــاب حين حان مشيب

تكلفنـــي ليلى وقـــد شـــط وليهـا

وعادت عواد بيننـا وخطوب (٣)

يقول السبكي : «وفي قوله (طحا بك) على رأي السكاكي جرد من نفسه حقيقة مثلها وخاطبها. فالضمير واقع في محله فهو التفات وتجريد وعلى رأي

---

(١) مريم : ٧٨ .

وينظر البرهان من ٣٢٥—٣٣٠/ ج٣ .

(٢) عروس الافراح : ٤٧٢/١ .

(٣) عروس الافراح : ٤٦٨/١ .

غيره، هو تجريد فقط، وفي قوله (تكلفني) التفات على القولين، ولا نقول إنه أعاد الضمير على غير الأول فيلزم ان يكون الضميران وهما الكاف والياء لشيئين بل أعاده على الأول مدعياً إنه غير الثاني، ... فذلك الذي جرده في قوله (بك) هو في نفس الأمر نفسه فالتفت له بهذا الاعتبار، وبهذا علمنا أن الالتفات في (بك) على رأي السكاكي أوضح من الالتفات الذي في (تكلفني) على قولهما، لان في (بك) خروجاً عن ضمير المتكلم الى شيء لا وجود له بالكلية، وفي (تكلفني) خروج عن الحقيقة المجرد عنها، فهو عدول الى الأصل و (بك) عدول الى الفرع. والعدول الى الفرع أبلغ من العدول الى الأصل» (١)

ويعد السبكي قوله تعالى: «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم» تجريداً والتفاتاً، لأن الضميرين في نفس الأمر لشيء واحد وبالادعاء لشيئين. (٢)

ومن ثم فان المتأمل لا يخطئه حرص السبكي على ان يجعل التجريد والالتفات فناً واحداً، لما لحظ فيهما من ظاهرة العدول، وحين وقف عند التجريد في قول الشاعر (طحا بك) عدولاً الى الفرع، ونحن نجعل العدول على اطلاقه التفاتاً.

ويتضح موقفه اكثر في اعتداده قوله تعالى: «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم» تجريداً والتفاتاً لأن الضميرين هما لشيء واحد، وان بدا أنهما لشيئين مختلفين. ومن أجل ان نرسخ هذا المفهوم في الدرس البلاغي لابد لنا ان ندرس التجريد عند البلاغيين السابقين على السبكي. وما كان تقديمنا للسبكي عليهم إلا لانه صاحب المحاولة في الجمع بين التجريد والالتفات.

ان اولى الاشارات إلى هذا الفن وردت عند ابن جني بعد وقوفه على اشارات ابي علي الفارسي إليه. ومعنى التجريد على ماذكر ابن جني: أن

---

(١) عروس الافراح: ٤٧٢/١–٤٧٤.

(٢) عروس الافراح ٤٧٤/١–٤٧٥.

العرب تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله ، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها . وذلك نحو قولهم : لئن لقيت زيداً لتلقين منه الأسد ، ولئن سألته لتسألن منه البحر ، فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً ، وهو عينه الأسد والبحر لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه وممتازاً منه ، ومنه قول الأعشى :

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (١)

وهو الرجل نفسه لاغيره» (٢)

وأوضح من عرفه هو ابن قيم الجوزية حين قال : «وهو على قسمين : الاول : خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد ...

القسم الثاني : خطاب المتكلم لنفسه مخيلاً لها ان معه غيره كما قيل :

اقول للنفس تأساء وتعزية

احدى يديّ اصابتني ولم ترد (٣)

وابن قيم متأثر في تقسيمه بابن الاثير الذي وقف كذلك كابن جني على اشارات ابي علي الفارسي ، فابن الاثير قد قسمه إلى تجريد محض وتجريد غير محض .

«فالاول : وهو المحض أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك ، وذلك كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بحيص بيص :

الام يراك المجد في زي شاعر

وقد نحلت شوقاً فروع المنابر

---

(١) وتمام البيت : ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً ايها الرجل
ديوان الاعشى. تح : د. محمد محمد حسين – طبعة القاهرة ١٩٥٠ – ص ٥٥.

(٢) الخصائص – ٤٧٣/٢ – ٤٧٤ .

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ١٦٧– ١٦٨ .

كتمت بعيب الشعر حلماً وحكمة
ببعضهما ينقاد صعب المفاخر،

اما وأبيك الخير انك فارس الـ
مقال ومحيي الدارسات الغوابر

وانك اعييت المسامع والنهى
بقولك عما في بطون الدفاتر

وأما القسم الثاني — وهو غير المحض — فانه خطاب لنفسك لا لغيرك،
فمما جاء منه قول عمرو بن الاطنابة :

اقولُ لها وقد جشأت وجاشت
مكانك تحمدي او تستريحي » (١)

ان تعريف ابن الاثير للتجريد ، ووقوف البلاغيين من بعده عند تعريفه وتقسيمه — كما رأينا عند ابن قيم الجوزية — هو من الوضوح بحيث يأخذنا العجب أن لم يجعل ابن الاثير التجريد ضرباً من ضروب الالتفات ، في الوقت الذي يؤكد في تعريفه عنصر الانتقال والانصراف، فحيص بيص ينصرف عن نفسه إلى خطاب غيره ، وعمرو بن الاطنابة ينصرف عن نفسه إلى آخر يتخيله ويتوهمه على سبيل المبالغة والتوكيد .

فالتجريد بما يمتلك من خصائص مجازية قائمة التخيل يجعل الالتفات اكثر حيوية في أداء الدلالات المعنوية وأوفر استيعاباً للمشاعر والخلجات .

وربما كان الاحتجاج في عدم الحاق التجريد بالالتفات بكون الملتفت اليه غير الملتفت عنه في حين يشترط بعضهم أن يكون كلاهما واحداً . كما نصّ على ذلك ابن معصوم المدني في (انوار الربيع) ملخصاً آراء بعض البلاغيين في قوله : «... ان من شروط الالتفات ان يكون المخاطب بالكلام في الحالتين واحداً . كقوله تعالى : اياك نعبد واياك نستعين . فان ماقبل هذا الكلام

(١) المثل السائر : ٢/١٦٤– ١٦٧ .

وان لم يخاطب به الله من حيث الظاهر فهو بمنزلة المخاطب به ، لان ذلك يجرى من العبد مع الله لامع غيره ، بخلاف قول جرير .

ثقي بالله ليس له شريك
ومن عند الخليفة بالنجاح

اغثني يافداك ابي وأمي
بسيب منك انك ذو ارتياح

فانه ليس من الالتفات في شيء ، لأن المخاطب بالبيت الاول امرأته ، وبالبيت الثاني هو الخليفة ، فهذا أخص من تفسير الجمهور ، لأن البيتين عندهم من الالتفات ، لأنه عبر عن الخليفة اولاً بطريق الغيبة وثانياً بطريق الخطاب» (١) .

ومهما يكن مذهب الجمهور فان الشاعر قد عدل عن اسلوب إلى آخر . وان لم يكن المقصود بذلك واحداً .

ويعيننا على هذا التجاوز أن نعود إلى اولى النظرات إلى الالتفات عند الأصمعي وقد جاراه في ذلك ابو هلال وقدامة ثم ابن قيم الجوزية في ما اوردوا من امثلة حيث لم يأخذوا بهذا الشرط .

ومن ذلك قول حسان :

ان التي ناولتني فرددتها
قتلت – قتلت – فهاتها لم تقتل

قال الاصمعي « – قتلت – التفات» (٢) .

الا تراه عدل عن الحديث مع الغلام الساقي إلى الحديث عن الخمرة ثم عاد إلى الغلام بالاسلوب الاول نفسه . فهل الساقي والخمرة شيء واحد؟

وفي شاهد قدامة :

---

(١) انوار الربيع في انواع البديع : ٣٧٩/١ .
(٢) الصناعتين – ٣٩٣ .

تبين صلاة الحــرب منــا ومنهــــم
اذا ماالتقينــا والمســالـم بادن (١)

يتحدث عن صلاة الحرب ثم عدل إلى البادن الذي ليس هو من صلاة الحرب تعريضاً به .

ولعل في هذه الامثلة مايحفز إلى عدم اشتراط ان يكون المخاطب — أي المقصود بالكلام — واحداً عند الالتفات اليه ، وبذلك ايضاً يكون التجريد اسلوباً فنياً من اساليب الالتفات وليس نوعاً مستقلاً عنه .

خاتمة البحث :

بعد هذا التطواف اضع بين يدي القارىء ملاحظات دار عليها البحث ان شاء عدها نتائج او ان شاء عدها مقترحات .

١ — ان الالتفات ضرب من ضروب التوسع في الكلام قائم على اساس العدول والانصراف والتنوع في الاساليب وفق بواعث معينة يقتضيها السياق والمقام .

٢ — يكون التجريد لوناً من الوان الالتفات وليس ضرباً مستقلاً لتوافر مواصفات الالتفات فيه واهمها العدول والانصراف .

٣ — لايشترط في اسلوب الالتفات ان يكون الملتفت اليه هو نفس الملتفت عنه، والتجاوز عن شرط اعتدادهما واحداً يوسع آفاق الوظيفة الفنية لاسلوب الالتفات .

٤ — ان فصل (التجريد والالتفات) مدخل إلى دراسة فنون أخــرى كالاعتراض والاستدراك والتتميم والرجوع والعكس والتقسيم للملاحظة ماذا كان يسعنا ان نضمها إلى حفل الالتفات (٢) ... والحمد لله اولاً وآخراً.

---

(١) نقد الشعر — ٥٣ .

(٢) هذه دعوة حفزني إلى الاهتمام بها الدكتور حفني محمد شرف في كتابه « التصوير البياني» ص ٤٢٧ .

ثبت المصادر المرواجع

١ — اساليب بلاغية : د . احمد مطلوب — وكالة المطبوعات — الكويت — ط ١ — ١٩٨٠

٢ — اعجاز القرآن — ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني — تحـ — السيد احمد صقر . دار المعارف بمصر — ط ٣ — ١٩٥٤

٣ — انوار الربيع في انواع البديع — السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني . تحـ : شاكر هادي شكر — مطبعة النعمان — النجف — ط ١ — ١٩٦٨

٤ — البديع في نقد الشعر — اسامة بن منقذ — تحـ — د . احمد احمد بدوي — د . حامد عبد المجيد — سلسلة تراثنا — وزارة الثقافة والارشاد القومي — الجمهورية العربية المتحدة — ١٩٦٠

٥ — بديع القرآن — ابن ابي الاصبع — تحـ — د . حفني محمد شرف — القاهرة ط ١ — ١٩٥٧

٦ — البرهان في علوم القرآن — بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي — تحـ — محمد ابو الفضل ابراهيم — مطبعة عيسى البابي الحلبي — مصر — ط ١ — ١٩٥٧

٧ — البرهان في وجوه البيان — اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب . تحـ — د . احمد مطلوب — د . خديجة الحديثي — بغداد — ١٩٦٧

٨ — البلاغة تطور وتاريخ — د . شوقي ضيف — دار المعارف — القاهرة ١٩٦٥

٩ ـ التصوير البياني ـ د . حفنى محمد شرف ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٠

١٠ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ـ ضياء الدين بن الاثير . تح : د . مصطفى جواد ـ د . جميل سعيد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦

١١ ـ الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) ـ ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ـ ط٣ ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ ١٩٦٧

١٢ ـ جوهر الكنز ـ نجم الدين احمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبي . تح : د . محمد زغلول سلام . منشأة المعارف ـ الاسكندرية

١٣ ـ الخصائص ـ ابو الفتح بن جني ـ تح : محمد علي النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر . بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٥٢

١٤ ـ الصناعتين : الكتابة والشعر ـ ابو هلال العسكري ـ تح : علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ـ دار احياء الكتب العربية ـ ط١ ـ ١٩٥٢

١٥ ـ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ـ يحيى بن حمزة العلوي ـ مطبعة المقتطف بمصر ١٩١٤ ـ بعناية سيد بن علي المرصفي .

١٦ ـ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ـ بهاء الدين السبكي . (من شروح التلخيص) مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ـ ١٩٣٧

١٧ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٨ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ـ

محمود بن عمر الزمخشري ط٢ ـ القاهرة ـ ١٩٥٣

١٩ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر

٢٠ ـ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين ابن الاثير ـ تح: د. احمد الحوفي ـ د. بدوي طبانة ـ مطبعة ومكتبة نهضة مصر ـ ط١ ـ ١٩٦٠

٢١ ـ مجاز القرآن ـ ابو عبيدة معمر بن المثنى ـ تح: فؤاد سزكين ـ ط١ ـ بيروت ١٩٧٠ .

٢٢ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ـ ابن جنى تح: علي النجدي ناصف وجماعته ـ المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٣٨٦ هـ.

٢٣ ـ مفتاح العلوم ـ ابو يعقوب السكاكي ـ المطبعة الادبية بمصر ١٩٣٧

٢٤ ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء ـ حازم القرطاجني ـ تح: محمد الحبيب بن الخوجة ـ تونس ١٩٦٦

٢٥ ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ـ ابن يعقوب المغربي ـ (من شروح التلخيص) مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٧

٢٦ ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر ـ تح : كمال مصطفى ـ مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ـ ١٩٦٣


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دور شعراء الحيرة في معركة ذي قار وأثرهم في معارك التحرير العربية في المشرق

حميد آدم ثويني
قسم اللغة العربية / كلية الآداب
جامعة صلاح الدين



تقديم :

للعراق ادوارٌ تاريخيّة، وأدبيّة خطيرة في نشوء المجتمع الانساني، وصفحات قيّمة، وغنيّة في تدبير سير الحضارة، وتقلباتها السياسيّة والعلميّة على مرّ العصور، وقبل أنْ نتناول البحث بشيءٍ من التفصيل فيما نعرضُه من أمورٍ عامة وخاصة، لابُدّ لنا أنْ نحدد مداه وزمانه لكونه ينحصر في التاريخ الأدبي لمدينة، تبدو قليلة الاخبار، لأنّها لم تظفر بوثائق تأريخيّة، وأدبيّة كافية، قاطعة للشك(١). مع أنّا لا نغالي اذا قلنا: إنّ تاريخ الاداب

(١) انظر : خصائص / ابن جني / ١ / ٣٨٧ ، والصلات الأسرية في الشعر العربي قبل الاسلام / ١٧٢ حيث وردت رواية عن حماد الراوية (ت ١٥٦ هـ) مفادها : أن النعمان بن المنذر امر فنسخت له اشعار العرب في الطنوج (الكراريس) ثم دفنها في قصره الابيض فلما كان المختار بن ابي عبيد قيل له إن تحت القصر كنزاً فاحتفره ، واخرج تلك الاشعار

العربية قبل الاسلام متغلغل في تاريخ الحيرة الأدبي ، لذا توجب أنْ نهتم بالقبائل التي سكنت تلك المدينة ، حتى نحدد الموضوع في مجاليه الادبي والتأريخي من أجل تحديد الشعراء الذين ينصرف البحث اليهم ، تمهيداً لتثبيت الدور الاول الذي قاموا به اذكاء الشعور القومي والقبلي سواء أكان هؤلاء الشعراء وافدين على المدينة طمعاً في مكافآت ملوكها أم مقيمين وساكنين فيها ، أم كونهم جاءوا مع حركات التحرير العربيّة في بدء الفتح الاسلامي .

أسم الحيرة وتأسيسها :

لم يتفق علماء تقويم البلدان ،ولا المؤرخون واللغويون حول أصل تسمية الحيرة حيثُ كان بينهم جدال اتسعت اشكاله ، وتعددت مراميه(١) .

فالاخباريون العرب يرون أنّ آسمها مشتقٌ من الحيرة : أي الضلال والتياه لكون تبّع الاكبر احد ملوك اليمن خرجَ باقوامٍ من العرب بعد تصدّع سد مأرب قاصداً العراق ، وترك بعض الجند في مكان ينحصر جنوب الكوفة على بعد ثلاثة اميال ، وقال لهم «حيروابه» أي اقيموا به ، أو أنّه تاه دليلهُ فتحير فسمي المكان الذي أقام فيه هو وجنده (بالحيرة) (٢) .

أما اللغويون فيرون أنّها أُخذت من الحوار ، وهو البياض لأنّ ابنيتها كانت بيضاء (٣) أو أنّ مياه بحر النجف القريب منها راكدة فنسبت اليه (٤) ، إلا أنّ معظم منْ بحث في تاريخها من الغربيين يرون أنّ كلمة (حيره) أُخذت من لفظة «حيرتا» Harta السريانيّة الاصل التي تعني المخيم او المعسكر (٥). ويبدو أنّ الاختلاف في تسميتها ، امتد ايضاً إلى

(١) العرب قبل الاسلام / جرجي زيدان / ٢٦٥ — ٢٦٦ ، وتاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية / ١٣٣ — ١٣٤

(٢) معجم مااستعجم / للبكري / ٢ / ٤٧٨ ، والحيرة المدنية والمملكة العربية / ١١ — ١٣

(٣) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية / ١٣٤

(٤) لسان العرب / حج ٢٢٤/٤ — ٢٢٥ / حير وتاج العروس / حج ١٦٥/٣/ حسا .

(٥) عدي بن زيد العبادي / الشاعر المتبكر / ط ١ / ١١ .

اختلاف في تاريخ تأسيسها فأقدم نص تضمن اسمها يرجع إلى آب عام ١٣٢ م (١) ، لذا رأى جماعة من المؤرخين أنَّ مؤسسها نبوخذ نصر مؤسس الانبار (٢)، ورأى آخرون أنّه بختنصر او «الاردوان» ملك النبط (٣)، كما رأى فريق ثالث أنّه « تبّع » (٤)، ولايهمنا من الامر إلا أنْ نقول : إنَّ الحيرة مدينة عربية النشأة والاسم شُيّدت في عصر سابق للعهد الساساني لكي نحاول بعض الشيء ابعاد الوهم الذي وقع به بعض الباحثين العرب (٥) عن اذهان الذين يحاولون البحث في تاريخ تلك المدينة العربية، بالرجوع إلى منْ حاول الانصاف بما راجعه من مصادر قديمة عند تدوينه لتاريخ تلك المدينة (٦).

من سكنها من القبائل العربية مع تنظيمها الاجتماعي :

كانت امتدادات ارض الحيرة مسكناً لقبيلة إياد بن نزار، حيث وجود نهر سنداد، فيما بين الحيرة إلى الأبلة، وكان عليه قصرٌ تحج العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكرهُ الاسود بن يعفر النهشلي في قوله:

ماذا أؤمل بعد آل محرّق
تركوا منازلهم وبعد إياد

أهلِ الخورنق والسدير وبارقٍ
والقصرِ ذي الشرفات من سندادِ (٧)

---

(١) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية / ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق / ١٣٥ .

(٣) عدي بن زيد العبادي / الشاعر المبتكر / ١٢ .

(٤) المرجع السابق / ١٢ .

(٥) انظر شعر الفتوح الاسلامية / ٤٨ — ٤٩ حيث ذكر المؤلف أن المدنية انشأها سابور ملك الفرس

(٦) انظر : الحيرة المدينة والمملكة العربية / مقدمة المؤلف ، والعرب قبل الاسلام / ٢٦٥ ٢٦٦ .

(٧) ديوان لقيط بن يعمر الايادي/٣ ، ٢٧، والحيرة المدينة والمملكة العربية / ٢١-٢٢ .

وكانت إياد في بادىء الامر تسكن في تهامة نجران ، غير أنّها تركت منازلها لنزاع حدث بينها وبين مضر من اجل زعامة الكعبة ، والسيادة على مكة ، فتفرقوا مابين ناحية سواد الكوفة إلى كاظمة ، وإلى بارق والخورنق وكانت تلك القبيلة تعترف بسيادة اللخميين امراء الحيرة (١)، ولم تكن اياد القبيلة الوحيدة التي سكنت الحيرة، بل سكنت معها وفي مناطق آخرى انتشرت على ارض العراق قبائل متعددة من لخم، وتغلب، والنمر ، وبني شيبان، هذا فضلاً عن كون بطون من ربيعة، ومضر استقرت في سواد العراق ،كما استقرت قبيلة تنوخ غربي نهر الفرات، وبذلك كان العراق ومازال امتداداً طبيعياً لعرب الجزيرة ، يجتذبهم بخصبه ورخائه ، واستقرار الحياة فيه ولم يكن يوماً ما غريباً عنهم ، بل كان دار نزول لهم من معاناة السفر والتجارة وشجع ذلك وجود بعض اسواق العرب على اطراف العراق وشبه الجزيرة من ذلك سوق (دومة الجندل) ، وهناك ادلة كثيرة تؤيد قوة صلات العرب في العراق بعرب الجزيرة ، ولعلّ خير منْ يمثلها ماوجدهُ خالد بن الوليد بعد فتح الانبار ، من أنّ قوماً فيها كانوا يكتبون في اللغة العربية فسألهم ممنْ تعلمتم؟ فقالوا من إياد وانشدوهُ قول الشاعر :

قومي إياد لو أنّهم أمَمُ
او لو أقاموا فتهزل النِعَمُ

قومٌ لهم باحة العراق إذا
ساروا جميعاً والخط والقلمُ (٢)

فصلات عرب الحيرة بأشقائهم عرب الجزيرة واسعة، ومملكتهم كانت شاسعة، وقبائلهم واصولهم متعددة، فمن الطبيعي أن تختلف تنظيماتهم الاجتماعيّة حيث قسمها المؤرخون إلى ثلاثة اقسام:

---

(١) ديوان لقيط بن يعمر الايادي / ٤ المقدمة .

(٢) شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام / ٥٠

(١) التنوخيون: وهم من بقايا العرب الذين كانوا مع مالك بن فهم وجذيمة الابرش ،ومسكنهم بين الحيرة والانبار ومافوقها.

(٢) العباد: وهم سكان الحيرة نفسها.

(٣) الاحلاف : وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، وتحالفوا معهم من القبائل الأخرى وهم ليسوا تنوخيين ولا احلافاً ، وسكنوا في مناطق متعددة من ارض السواد (١) . ويبدو أنّ العباد كانوا متحضرين أكثر من غيرهم، وذلك يتضح من خلال ماذكرهُ ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ) أنّه كان يستخرج أخبار العرب، وانساب آل نصر ابن ربيعة، ومبالغ اعمار منْ عملَ منهم لآل كسرى، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها ملكهم وامورهم كلّها» (٢)، فكان لابُدّ أنْ يزدهر الشعر، ويظهر الشعراء في تلك البيئة البادية المتحضرة المتعددة في قبائلها وتنظيمها الاجتماعي، نتيجة مايحدث بين تلك القبائل والتنظيمات من نزعات أو ماتفرضه طبيعة علائقها مع غيرها من المجتمعات القريبة عربية كانت ام غير عربية لذلك يمكن القول أنّ شعراء بلاد السواد الممثلين بمملكة الحيرة كثيرون منهم الممزق العبدي، ومهلهل بن ربيعة التغلبي، وابو دؤاد الأيادي والمثقب العبدي، والحارث بن عباد البكري، والبراق بن روحان التميمي، والمنخل بن الحارث اليشكري ، وعمرو بن قميئة البكري، والحارث ابن حلزة اليشكري ، وعمرو بن كلثوم التغلبي، والمسيب بن علس البكري وعدي بن زيد العبادي، والاسود بن يعفر الدارمي، واوس بن حجر التميمي واياس بن قبيصة الطائي (٣). هذا فضلاً عن الشواعر اللواتي برزن في تلك الحقبة الزمنية (٤)

---

(١) العرب قبل الاسلام / زيدان / ٢٦٧ ، وعدي بن زيد العبادي / الشاعر المبتكر / ١٢ – ١٣ . وللمزيد من معرفة من سكن بلاد السواد من القبائل العربية انظر : كتاب العرب والارض في العراق في صدر الاسلام / ٦٦ – ٧١ .

(٢) عدي بن زيد / الشاعر المبتكر / ١٣ .

(٣) انظر / تاريخ اداب العرب / ط ٢ / ج ١ / ٧٤ – ٧٦ .

(٤) سنتحدث عن ذلك بالتفصيل مشيرين الى المراجع والمصادر في حينها .

مكانة الحيرة الاقتصاديّة ، والسياسيّة ، والأدبيّة :

كان لوقوع الحيرة في ارض السواد اثر كبير في ازدهار الحياة الاقتصادية فيها وتقدمها، وذلك لوفرة المياه، وتعدد مصادرها ، حيث ادى ذلك إلى انتشار بساتين النخيل، والمزارع في معظم انحائها (١)، فتمتعت بنسيم ندي دافيء ، وجو منعش صافٍ وماء عذبٍ سائغ الشراب حتّى قالوا فيها «يوم وليلة بالحيرة خيرٌ من دواء سنة » (٢) ، كما وصفت بأنّها «منزل بريء ،صحيح من الادواء والاسقام » (٣) وهي مع ذلك كلّه تقع «من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرهما. ونهر الحيرة مدفوق من الفرات إلى النجف » (٤) . كما نشطت الصناعة فذكر عدد من الشعراء في اشعارهم نسيج الحيرة فقال عمرو بن كلثوم :

وإذْ تُرجى سُليمى ان يكون لها
منْ بالخورنق من قينٍ ونُساج (٥)

لذلك اعتاد ملوك الحيرة أنْ يخلعوا على الشعراء . والمقربين لهم ممنْ يرضون عنهم اثواباً تعرف (بأثواب الرضا) وهي جبابٌ كانت اطواقها من الذهب في قضيب من الزمرد. قال النابغة الذبياني :

والادم قد خيست فتلا مرافقها
مشدودة برحال الحيرة الجدد

كما قال امرؤ القيس :

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا
الى كلّ حاري جديد مشطب(٦)

(١) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية / ١٥٠ — ١٥٢ .
(٢) العرب قبل الاسلام / ٢٦٦ .
(٣) تاريخ الامم والملوك / الطبري / ط ١ / الحسينية / ١ / ٨٥٠ .
(٤) معجم ماستعجم / ٢ / ٤٧٩ .
(٥) الحيرة المدينة والمملكة العربية / ٨٢ ، وتاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة / ١٥١
(٦) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة/١٥١ ، والحيرة المدينة والمملكة العربية/٨٣.

ونام اهلها على فرشٍ من الحرير فوق اسرةٍ مجللة بالكلل كما هو واضح في قول عدي بن زيد يصف بعض نسائها :

ثانيات قطائف الخز والديـ

ـباج فوق الخدور والانماط

موقرات من اللحوم وفيها

لطفٌ في البنان والاوساط (١)

وتقدمت الحيرة في صناعة الاسلحة على قريناتها من العواصم العربية آنذاك حيث اكتسبت الرماح، والسيوف الحيرية شهرة، وسمعة واسعة كما ذاعت فيها شهرة الخزف واواني الفخار والنقوش، وتقدم فن البناء والعمارة فيها ايضاً . ولعلّ مايمثل ذلك قصور الخورنق والسدير، والقصر الابيض وغيرهما كثير (٢) .

وقد تعاقب على حكم مملكة الحيرة ملوك كثر. كان اولهم مالك بن فهم بن عمرو (٣) ومن ثمّ ابنه جذيمة الابرش الذي بقي في الحكم ستين سنة كما ذكرت المصادر (٤) . وله اشعار حسنة مشهورة من ذلك قوله وهو يصف نفسه، وملكه :

أضحى جذيمة في يبرين منزله

قد حاز ما جمعت من قبله عادُ

---

(١) دراسات في تاريخ العرب / عصر ماقبل الاسلام / ١ / ٣٨٤ ، وهي قصيدة طويلة انظر عنها / الحيرة المدينة والمملكة العربية / ٢٧٦ .

(٢) أنظر : الحيرة المدينة والمملكة العربية / ١٩ — ٥٣ حيث فصل المؤلف الحديث عما كان في المدينة من بناء وعمارة .

(٣) العمدة في محاسن الشعر ونقده / ط ٤ / ج ٢ / ٢٢٩ .

(٤) المصدر السابق / ج ٢ / ٢٢٩ . وانظر : العرب قبل الاسلام / ٢٦٣ ،

مستعمل الخير لا تفنى زيادته
في كلّ يوم واهلُ الخيرِ تزداد(١).

وقد مات ذلك الملك مقتولاً، فجاء بعده ابن اخته عمرو بن عدي ثمّ امرؤ القيس ثمّ النعمان بن امريء القيس ثمّ المنذر بن امريء القيس ، ثمّ المنذر بن المنذر ثمّ اخوه عمرو بن المُنذر، وهو عمرو بن هند(٢) ، وآخرهم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني(٣) ، وهذا الاخير اشتهر باهتمامه بالشعر والشعراء ، فوفد على مملكته شعراء من مختلف القبائل العربية منهم : المرقش الاكبر، والمرقش الاصغر، وعبيد بن الابرص، وحنظلة الطائي، ولبيد بن ربيعة، والربيع بن زياد وحسان بن ثابت، وحاتم الطائي * ، وسلامة بن جندل، وعنترة العبسي، واعشى قيس (٤)، وكان عند وفادة الشعراء تقام الولائم وتوزع العطايا والمكافآت للشعراء بعد القائهم للقصائد في دار ملكه .

قال ابو عبيدة (ت ٢١٠هـ) «قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة، ومضر ابن نزار ، وكان فيمن قدم عليه من وفد ربيعة بسطام بن قيس ، والحوفزان ابن شريك البكريان، وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس عيلان عامر بن مالك، وعامر بن الطفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم ، والاقرع بن حابس، فلما انتهوا الى النعمان اكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً، يطعمون فيه معه ويشربون، وكان إذا وضعَ الشراب سقي النعمان، فمن بديء به على أثره فهو افضل الوفود، فلما شرب النعمان،

(١) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون / ٤٢ .
(٢) وهو الذي هجاه الشاعر بن العبد فكان ذلك سبباً في قتل الشاعر : انظر ديوانه / ٩٦ – ١٠٠
(٣) العمدة في محاسن الشعر ونقده / ط ٤ / ٢ / ٢٣٠ .
* انظر : شرح ديوان حاتم الطائي / ٢١ – ٢٢ .
(٤) انظر : دراسات في تاريخ العرب / عصر ماقبل الاسلام / ج ١ / ٣٨٢ ، والحيرة المدينة والمملكة العربية / ٥٨ – ٧٦ فصل الشعر العربي في الحيرة .

قامت القينه تنظر الى النعمان من الذي يأمرها أنْ تسقيه ، وتفضله من وفده فنظر في وجهها ساعة ثُمَّ أطرق ثُمّ رفع رأسهُ، وهو يقول:

اسقي وُفودَكِ ممّا أنتِ ساقيتي
فابْدَي بكاس ابن ذي الجدين بسْطام

أغرُّ ينميه من شيبان ذو أنفٍ
حامي الذمار وعن اعراضها رامي

قد كان قيسُ بنُ مسعودٍ ووالدُهُ
تبدا الملوكُ بهم أيّام أيامي

فأرضوا بما فعل النعمانُ في مُضرٍ
وفي ربيعة من تعظيم اقوام

همُ الجماجمُ والأذنابُ غيرهمُ
فارضوا بذلك أو بُوءوا بأرغامِ

فقال عامر بن الطفيل:

كانَ التبابعُ في دهرٍ سلف
وابن المُرّار واملاكٌ على الشامِ

حتّى انتهى الملكُ من لخم الى ملكٍ
بادي السّنان لمن لم يرْمه رامي

أنحى علينا بأظفار فطوّقنا
طوْقَ الحمام بأتعاسٍ وإرغام

إنْ يمكنِ الله منْ دهْرٍ نساءُ به
نتركْكَ وحْدك تدعو رهط بسطام

فانظر الى الصّيدِ لم يحموك من مُضرٍ
هلْ في ربيعة إنْ لم تدعنا حامي؟!؟

فأجابه بسطام بن قيس* فقال :

لعمري لئن ضَجّتْ تميــــم وعــامــرٌ
لقد كنــتُ يوماً في حلوقهــمُ شَجَى

اروني كمسعود وقيـــــس وخـــالــد
وعمرو وعبدالله ذي البــاع والنّدَي

وكانوا علـى افنـاء بكر بـن وائـــــل
ربيعاً إذا مـاسال سائلهـم جـدى

فَسِرْتُ عـلى آثارهـم غير تــــــارك
وصيّتهم حتّى انتهيت إلى مَـدى (١)

وللنعمان روايات مع شعراء آخرين كان له معهم مواقف وطرائف حيث جعل من بعضهم ندماءً له يواكبونه في حله ، وترحاله ، من ذلك صلته بالربيع بن زياد (٢) والشاعر عدي بن زيد العبادي ، حيث ذكر انا ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) رواية تقول «إن النعمان بن المنذر: رأى شجرة ظليلة ملتفة الاغصان ، في مرج حسن كثير الشقائق ، وكان معجباً بها ، واليه اضيفت ((شقائق النعمان)) فنزل وامر بالطعام والشراب فأحضر وجلس للذته ، فقال له عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه : اتعرف ابيت اللعن ماتقول هذه الشجرة ؟ فقال : وما تقول؟ قال : تقـول :

رُبَّ رَكْـــبٍ قـد أنـاخـوا حـولنـا
يشربـون الخمـرَ بالمــاء الزّلال

* انظر في ترجمته / المؤتلف والمختلف / مع كتاب معجم الشعراء / تحقيق كرنكو/ ط ٢/ ٩٤ وتاريخ الادب العربي / بلاشير / ترجمة د. الكيلاني / جـ ٢ / ٧٩ .

(١) العمدة في محاسن الشعر ونقده / جـ ٢ / ٢٢٠ — ٢٢١ ، وابيات عامر بن الطفيل التي وردت في الخبر : انظر ديوانه / ١٣٣ .

(٢) العمدة / جـ ١ / ٥١ .

عَطَفَ الدهرُ عليهم فثَووْا
وكذاك الدهرُ حالٌ بعد حال

مَنْ رآنا فليُوطّن نفسه
إنّما الدّنيا على قُرب زوال

كأنّه قصد موعظته . فتنغص عليه ماكان فيه ، وأمرَ بالطعام والشراب فرفعا من بين يديه ، وارتحل من فَوْرِه . ولم ينتفع بنفسه بقية يومه ، وليلته» (١) .

جذور الصراع بين العرب والفرس وموقف الشعراء حتّى مقتل النعمان :

تمتد جذور الصراع بين العرب والفرس إلى عصور بعيدة وسحيقة في القدم . ترجع إلى ماقبل الاسلام بقرون عديدة (٢) . تجلى فيما حوته انفس الفرس من مطامع في الاراضي العربية ، واعتداء ، وقهر ، واذلال ، واستغلال لأهلها ، وبما أن العرب جبلوا على التروي بما حوته حياتهم من دواعي وميول حُرّة تمكنت أنْ تبلور قيم مجتمعها . وتوحد خصائصه ضمن الأطر الانسانية الرفيعة . لذلك نظروا إلى الحرب احياناً بديلاً وحيداً. نحو مَنْ يحاول أنْ يقف في سبيل تطورهم واستغلالهم .

ومن المعروف أنّ فرسان الحروب وحدهم يملكون قوة التوجيه الأدبي في المعارك . أما الشعراء فإنّهم يستثمرون النتائج بعد الحروب . بل ربما قدحوا شرورها قبل وقوعها .

واسباب الحروب . ودواعيها متعددة. مع أنّ ابن خلدون (ت٨١٥هـ) يجملها في اربعة امورٍ من اهمها الغضب للملك والسعي لتوطيده (٣).

(١) المصدر السابق / ج ١ / ٢٢٣ ، والنعمان ، مكانة في الخطابة والنقد / انظر قس بن ساعدة الايادي / ٥٢ ومابعدها .

(٢) انظر : كتاب اضواء على التطور التأريخي للنزاع العراقي الفارسي خول الحدود / ١٩ — ٢٧ ومابعدها .

(٣) انظر : رمز الخليفة في العصر الاموي / مقالة د . ٥ سلسل العاني / مجلة آفاق عربية / عدد ٧ / أيلول لعام ١٩٨١ / ١٣٠ — ١٣١ .

ولكنْ يبدو أن اسباب الحروب بين العرب، والفرس كانت في معظمها دفاعاً عن العرض والشرف والارض. فأغلب الروايات التي ذكرت الحروب عَزَتْها إلى مسائل ترجع في طبيعتها إلى اغتصاب امرأة، او فرض وصاية، او ماشابه لما ذُكر.

فقصة البرّاق بن روحان .وابنة عمّه ليلى بنتُ لكيز توضح لنا صلة العرب بالفرس منذ اقدم العصور حيث حاول كسرى أنْ يغتصبها، وكانت من أجمل نساء عصرها، فأوصل خبرها اليه، فقال ماعسى أن تبلغ منها، والبدوية تفضل الموت على أنْ يغشاها أعجمي ؟ فقيل له ارغبها بالمال ومحاسن الطعام والشراب والملابس. فأرسل إلى ابيها ، وانتزعها منه عنوةً ثُمّ عرض عليها جميع مايحبُ الانسان ويشتهي غير أنها ابت، فاتجه صوب التهديد، وعاملها بالعنف والتعذيب، فخيرته بين أن يقتلها او يعيدها لأبيها .

وعندما قطع الامل منها، اسكنها في موضع واجرى عليها المال، واكتفى برؤيتها ولكنّ أبن عّمها البرّاق انتزعها بالقوة ، بما كانت تدفعه اليه من اشعار شجيّة تحضه فيها وتحرضه، وتنشد حميّة قومها، وغيرة اخوتها، وابناء عمومتها من ذلك قولها :

ليت للبرّاق عيناً فترى
ماألاقي من بلاءٍ وعنا

ياكليباً، وعقيلاً اخوتي
ياجُنيداً ساعدوني بالبكا

عُذبت اختكمُ ياويلكم
بعذاب النكر صبحاً ومسا

غللوني قيّدوني ضربوا
ملمس العفة مني بالعصا

يكذبُ الاعجم مايقربني
ومعي بعضُ حشاشات الحيا

فـــأنـــا كـــارهـــة نـعـيّـكـم

ويقـين الموت شيءٌ يُرتـجى (١)

ولما قتل الفرس اخا البرّاق غرثان بن روحان بدأت بأشعارها تحث قومها على الثأر، وتهيج الضمير القومي في نفوس اهلها وقومها قائلة ترثية:

لمـا ذكـرْتُ غُـريثاً زاد بـي كمـدي

حتّى هممـتُ مـن البـلوى باعلاني

فـلو تـراني والاشـجـان تـقـلقـني

عجـبت بـرّاق من صبري وكتماني

لادرّ درّ كـلـيـبٍ يـوم راخ ولا

ابـي الكيـزِ ولاخيلي وفرسانـي

عـن ابـن روحـان راحت وائلٌ كثباً

عـن حاملٍ كلّ اثقـالٍ واوزانٍ

واسلمـوا المالَ والاهـلـيـن واغتنـموا

ارواحهـم فكبا زنـد ابـن روحان

فتـى ربـيعـة طـواف امـاكـنـهـا

وفـارس الخيـلِ في روع وميدان(٢)

ويبدو أنّ نساء آخر من قبيلتها شاركنها الفجيعة ،فأخذْنَ يحرصْنَ، ويدعونَ بطلب الثأر، من ذلك ام الاغر بنت اخت كليب وائل حيث دعت إلى متابعة العدو. وعدم الاكتفاء بالغنائم والفرح بها حيث تقول :

ألا فـابـكي أعينـي لاتـمـلّـي

فـلي بمُصـابنا أبـداً عويل

---

(١) الموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام / ٣٦٤ - ٣٦٥ / رسالة ماجستير / محمد فتاح الجباوي / بغداد / ١٩٨١ .

(٢) الادب ومعارك العرب المصيرية / ٢٥ - ٢٦ .

فلا سَلِمتْ عشيرتُنا وعادَت
إذا صرعَ ابن روحان النبيلُ

اذا رُحتم ، وخلفتمْ هُبلتم
لغرثان فلا راحَ القبيلُ

فرحتم بالغنائم حين رحتم
وبانَ بموته الغنم الجليلُ

تركتم ذا الحفاظ وذا السرايا
وراءَكمُ اضلكم الدليلُ

فقل لنويرة وكليب مهلاً
أقيما إنّ خزْيكما طويلُ (١)

ومثل مامرَّ فعلتْ صفية بنت ثعلبة الشيبانية، اخت الفارس العربي عمرو بن ثعلبة الشيباني الذي كان يغير بين القينة والفينة على جيش الفرس ليجلوه عن ارض قبيلته، لذلك كانت اشعار صفية بمثابة الشرارات التي تلهب لظى النار في قلوب الرجال، وتلهب الحماس في نفوسهم وشاركتها في ذلك التوثيب والتحريض بعض النسوة من قبائل أخر منهن (ام ابي جدابة) وهند بنت بياضة الأيادية (٢).

ومن جانب آخر احتفظت لنا المصادر ببعض التفاصيل عمّا جرى بين العرب الأياديين والفرس بعد انحياز اياد إلى العراق، وعبورها قراقر، وراجزها يقول :

بئسَ مناخ الخلفات الدّهم
في دفعة القرقور وسط اليمّ (٣)

---

(١) رياض الادب في مراثي شواعر العرب / ١ / ٣ - ٤ ، والموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام ... / ٣١٦ .

(٢) ، (٣) ديوان لقيط بن يعمر الأيادي / ٥ / المقدمة .

غير أنّ الفرس لم يرضوا بذلك، فتابعوهم ،فهزمتهم اياد شر هزيمة يقودها بياضة بن رباح بن طارق حيث أكثر القتل في الفرس في معركة سميت بـ«دير الجماجم» لكثرة ماوقع فيها من رؤوس الاعاجم، فغاظ ذلك كسرى ،فجهز جيشاً يقوده احد الاعراب المأجورين عدّته ستون الفاً، فعرف بذلك لقيط الشاعر لكونه يعمل عند كسرى كاتباً ومترجماً. فأرسل يحذر قومه ويحثهم على الاستعداد لمقابلة العدو قائلاً:

سلامٌ في الصحيفة من لقيط
إلى منْ بالجزيرةِ من إيادِ

بأنّ الليثَ كسرى قد اتاكم
فلا يشغلكم سوق النقادِ

أتاكم منهم ستون الفاً
يزجون الكتائب كالجراد

على حنق اتينكم فهذا
اوانُ هلاككم كهلاكِ عادِ(١)

وعندما استعدت الخيل وتأهبت للذهاب كتب لهم ينذرهم ، ويرغبهم في الموتِ دفاعاً عن الأرضِ والكرامة . والعزةِ . والشرف في أبيات امتزج بها الحزن والنصح والتذكير بالموت والحث على التلاحم ، وتدبر الأمر قبل فوات الأوان قائلاً :

يادار عمرةَ من محتلها الجرعا
هاجتْ لي الهم والاحزان والوجعا

تامت فؤادي بذات الجذع خرُعبةٌ
مرت تريدُ بذات العذبة البيعا

(١) ديوان لقيط يعمر الايادي / ٢٨ ومابعدها .

بلْ أيُّها الراكب المزجي على عجلٍ
نحوِ الجزيرة مرتاداً ومنتجعا

ابلغ اياداً ، وخلل في سُراتهم
إني أرى الرأي إنْ لم أُعصَ قدنصعا

يالهفَ نفسي إن كانت أموركم
شتى وأُحكمَ امرَ الناس فاجتمعا(١)

ويبدو أنَّ العربَ الإياديين لم يهتموا بذلك لمعرفتهم بأنَّ تلك أرضهم ، وذلك بلدهم ، لم يعتدوا على أحد ، بل من حقهم أن يتخذوا أيّ مكان يرغبون فيه لذا نجدهم في حل من امر الفرس ، فيذكرهم الشاعر بحنق الفرس عليهم ، واستعدادهم بين مسنٍ للحراب ، وملتقط للشوك ، وحادٍ للمدى غير آبهين نعيم الحياة وثراء الارض ، بل شغلهم الشاغل سفك الدماء والابادة الجماعيّة :

ألا تخافون قوماً لا أبا لكمُ
امسوا اليكم كأمثال الدّبا سُرُعا

أبناءَ قومٍ تأووكم على حنقٍ
لايشعرون اضرَّ اللهَ ام نفعا

فهم سراعٌ اليكم ، بين ملتقطٍ
شوكاً ، وآخرَ يجني الصابَ والسلعا(٢)

في كلّ يومٍ يسنون الحراب لكم
لايهجعون ، إذا ماغافلٌ هجعا

لاالحرثُ يشغلهم بل لايرون لهم
من دون بيضتكم ريّاً ولا شبعا (٣)

---

(١) الديوان السابق / ٣٠ ومابعدها .
(٢) السلع : نبات بالحجاز خبيث الطعم ويريد ، آن الفرس يعد لكم الشر .
(٣) الديوان السابق / ٣٤ ومابعدها .

فالشاعر لايدخر امرأ ، ولا يترك نصيحة إلا ويقدمها لقومه ، فيقول منها أيضاً .

صونوا جيادكم ، واجلوا سيوفكم
وجددوا للقسي النبلَ والشرعا

اشروا تلادكم في حرزِ أنفسكم
وحرز نسوتكم ، لاتهلكوا هلعا

ولا يدع بعضُكم بعضاً لنائبة
كما تركتم باعلى بيشة النخعا

اذكروا العيونَ وراء السرح واحترسوا حتى ترى الخيلَ من تعدائها رجعا(١)

ثمَّ يذكرهم بماضي اجدادهم التليد، وكيف كانوا غير آبهين بقوة الفرس، وعددهم وعدتهم،ويطلب منهم أن يقلدوا امرهم ذو حلم وشجاعة، لايهاب الموت ولايخشاه حيث يقول :

ياقوم إنَّ لكم من عزِّ اوّلكم
ارثاً، قد أشفقت أَنْ يُودي فينقطعا

ومايَرُدُّ عليكم عزّ اوّلكم
إنْ ضاعَ آخره، أوذلَّ فاتضعا

فلا تغرّنكم دنيا ولاطمَعٌ
لن تنعشوا بزماعِ ذلك الطمعا

قوموا قياماً على امشاط أرجلكم
ثمَّ افزعوا قد ينال الأمنَ مَنْ فزعا

فقلّدوا أمركم لله دركم
رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا (٢)

---

(١) الديوان نفسه / ٤٢ ومابعدها .

(٢) ديوان لقيط بن يعمر الايادي / ٤٦ ومابعدها .

فتلك اذن بعض اللمحات التاريخيّة والأدبيّة، توضح لنا العلاقة بين العرب والفرس، وكيف كانت تشوبها روح عدم الاطمئنان، والرضا، بما اكتنفها من استغلال، وطمع في ارض العرب، وعدم الاقتناع حتّى بقبول العرب المحافظة على اللطائم التي كان يرسلها كسرى للمتاجرة.

فمن الطبيعي أنْ يحاول العرب الثورة على مَنْ يريد أنْ يذلهم ،ويستلب خيرات بلادهم، فكان لابُدَّ أنْ تسوء العلاقات بين الفرس والعرب في الحيرة حيث رأى فيها الفرس بداية تمثل بشارة خير في توحد العرب، وزوال اطماعهم العدائيّة تجاههم، وقد عرفوا ماكانَ يفعله النعمان بن المنذر في استقدامه رؤساء القبائل وتكريمهم، ومايقدمه لهم من «اثواب للرضا» ،ومايغدقه عليهم من هدايا اثناء مايقوم به من عقد مجالس، حيث كان يمثل بداية لملك عربي يوحد امته، ولعلَّ الدليل القاطع على صحته ماذهبنا اليه، هو وجود مظاهر الأبهة والعظمة، وتوكيد سعة المملكة ،فضلاً عما ردده من تبجيل ومدح وثناء لذلك الملك، فهذا الاعشى يبين لنا كيف أنّه يجتاز الفيافي القفر بخيل صهب دفعاً للمحاذير لكي يلتقي به قائلاً:

قطعْتُ بصُهْبٍ السُّرَاةِ شِمِلَّةٍ
مروح السُّرَى وآلغِبِّ من كُلّ مُسْأدِ

إليْكَ أبيْتَ اللّعْنَ كانَ كَلالُها
إلى الماجدِ آلفَرْعِ آلجوادِ آلمحَمّدِ

إلى ملك لايَقطَعُ اللّيْلُ هَمَّهُ
خرُوجٍ تَرُوكٍ للفَراشِ المُمَهّدِ

طويلِ نجادِ السّيْفِ يَبْعَثُ هَمّهُ
نيامَ القطا بالليْلِ في كُلّ مَهْجَدِ

فما وجَدتكَ الحَرْبُ إذْ فَرّ نابُها
على الأمْرِ نَعّاساً على كُلّ مَرصَدِ

ولكنْ يَشُبُّ الحربَ أدْنى صِلاتِها
اذا حرّكوهُ حَشّها غيْرَ مُبرْدِ (١)

فإذا كانت تلك صفات الملك، وهذا عزمهُ ،فلابُدّ أنْ يحاول الفرس الحد، مما وصل اليه العرب عنده في بعض امورهم. من وحدة في الرأي والفكر احياناً، ولم يقتصر الأمر على ذلك الشاعر الذي كان يسمى «صناجة العرب» بل ذكر الملك شعراء آخرون من ذلك النابغة الجعدي الذي كان ينظر بحسرة الى ذكرى ما كان عليه الملك حيث يقول:

تذكرتْ والذكرى تهيج على الفتى
ومِنْ عادةِ المحزونِ أنْ يتذكرا
نداماي عند المنذر بن مُحرِّقِ
فاصبحَ منهم ظاهر الارض مُقفرا(٢)

لهذا وذاك نجد كسرى كان يتحين الفرص للقضاء على النعمان بكلّ وسيلة ممكنة، فصادف أن سجن النعمان عدي بن زيد، وكان اخوه «أبياً» يعمل عند كسرى كاتباً، فاستنجد عدي باخيه بأبيات(٣)، من أجل اطلاق سراحه. فذكر اخوه الأمر عند كسرى، فأمر باخراجه من السجن. غير أنّ اختلافاً قد حدث عند النعمان في المسألة فقتله لتأليب بعض الحاقدين على مُلكه وبتوجيه من الفرس، فلما علمَ كسرى، بات يضمر له الشر.

ويبدو أن الظروف قد توافقت في كون النعمان لم يقدر الأمر حق قدره حيث عرفه متأخراً، فأسف على قتل عدي. فاعتذر الى ابنه زيد، وارسله ليكون مترجماً وكاتباً عند كسرى اقناعاً له، وارضاءاً من أجل كسب ودّه غير أنّ الاخير كان يضمر الشرّ للملك حُباً في الثأر لأبيه، فأقنع كسرى ورغبه بمصاهرة النعمان، فارسل كسرى كتاباً بيد زيد يأمر النعمان بإرسال

(١) ديوان الاعشى الكبير / ق ٢٨ / ١٨٩ - ١٩٠
(٢) العمدة في محاسن الشعر ونقده / ج ١ / ١٠٦ - ١٠٧
(٣) انظر : عدي بن زيد العبادي / الشاعر المبتكر / ٦٩ - ٧٠

اخته ليكون صهراً له، إلا أنّ الاخير رفضَ ذلك قائلاً لزيد «ما لكسرى في مها السواد كفاية حتّى يتخطى الى العربيات؟ فقال زيد ، إنمّا اراد الملكُ إكرامك ابيت اللعن — بصهرك(١) .

وعندما قدم زيد بن عدي على كسرى اخبرهُ امتناع النعمان في تلبية الطلب واوصل له القول في «مها» السواد، ومما زاد في الامر حدّة تنصل النعمان من جميع التزاماته حيث كان يتحين الفرص ليعلن الثورة العربية متنقلاً بين القبائل يؤلبها على الفرس، وقد صور لنا زهير بن ابي سُلمى ذلك بقوله :

فلم أرَ مسلوباً لهُ مثل قرضه
اقلّ صديقاً معطياً ومواسياً

سوى أنّ حياً من رواحة اقبلوا
وكانوا قديماً يتقون المخازيا

يسيرون حتّى حبّسوا عند بابه
ثقال الروايا والهجان المتاليا

فقال لهم خيراً واثنى عليهم
وودعهم وداع ألاّ تلاقيا(٢)

فتلك اذن حالته بعد أنْ عرف أنّ الانقسامات القبلية ، تنتاب المجتمع العربي آنذاك ، فضلاً عن الاتجاهات ، والميول السياسية المختلفة في عصره نحو الدولتين الساسانيّة أو البيزنطية . فكان لايجد مناصاً من الخضوع ، والخنوع لمشيئة كسرى ، والذهاب إلى المدائن ، وهو يعرف بسوء مصيره بعد أنْ حمّل سلاحه ، ومالهُ . واهله سراً إلى قبائل عديدة رفضت قبولها

---

(١) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية / ١٤٣ ، وعدي بن زيد العبادي الشاعر المبتكر / ٧٢ — ٧٣ .

(٢) الادب ومعارك العرب المصيرية / ١٨ .

كان آخرها بكر بن وائل التي قبلتها ، مستودعة كل ماجلبه عند زعيمها، هاني بن مسعود الشيباني ، فكان مقتله عند كسرى بوسيلة اختلف في ذكرها (١) .

معركة ذي قار ، وموقف الشعراء منها — أسبابها ونتائجها :

لقد وضح من خلال عرضنا التاريخي ، والادنى أنّ مقتل عدي بن زيد (الشاعر) كان بداية النهاية لاضمحلال دولة اللخميين ، وهو الشرارة الاولى التي أقدحت الحرب بين العرب ، والفرس في معركة ذي قار ، وذلك أنّ كسرى بعد قتله للنعمان بن المنذر بسبب عدم اطاعته اوامره ، وتنصله من التزاماته جميعها اوعز إلى عامله الجديد في الحيرة بارسال تركة النعمان إلى المدائن فأخبره بأنّ النعمان استودعها عند بكر بن وائل ، فهدد كسرى باستئصال تلك القبيلة اذا لم تعدها ، فلما امتنعت قبيلة بكر بن وائل وقعت حرب ذي قار ، وكانت القبيلة المذكورة قد اتفقت على رمز دلالة الوحدة بينها وتحالفت عليه ، وهو شعار ((يامحمد يامنصور)) فصار ذلك الرمز يدوي في ارجاء ذي قار ، فكان النصر للعرب ، وكانت الهزيمة للفرس ، لذلك قال الرسول (ص) ((في ذلك اليوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا)) (٢) .

وكان موقف الشعراء من المعركة ينحصر في ثلاثة مسارات :

الاول : استخدام الشعراء الاساليب التحريضية في شكل رثاء ، واشادة بمآثر النعمان ومناقبه،وهذا مايمكن أن يعرف بشعر ((الموثبات)) وينحصر مداه قبل الحرب .

والثاني : شحذ الهمم ، واثارة العزيمة ، والحماس في نفوس القبائل لمساعدة

(١) الحيرة المدينة والمملكة العربية / ٢١١ .

(٢) مواقف رجال في يوم ذي قار / مقالة عبد الستار أحمد فراج / مجلة العربي / العدد ١٧٠ / يناير ١٩٧٣ / ص ٦١ .

بعضها البعض في صد العدوان ،وهو ما يمكن أن يسمى بشعر المصير «المصيريات» ومداه اثناء المعركة .

والثالث: هو التغني بالنصر، والاشادة بالمواقف الجيدة التي وقفتها عموم القبائل العربية، وهو ما يدعى بشعر الانتصار «المنُصرات» ومداه بعد الانتصار في الحرب، ويدخل معهُ ضمناً الشعر الذي ندد بالمواقف الخيانية، وشهر بها، وهو ما يمكن أنْ يطلق عليه شعر «المُشهرات» وسنتحدث عن كلّ مسارٍ بشيءٍ من الايجاز .

الموثبات قبل المعركة :

لاشك أنّ الشعر واكب المعارك العربية منذ اقدم العصور حتى المعارك الحديثة في التاريخ المعاصر، وذلك لما له من اهمية في تهيئة النفوس، والتذكير بالمجد، ورفض الذل، والهيمنة والسيطرة والاستغلال، وكان هذا النوع من الشعر قبل الاسلام، واقد الفتيل للتحرر والانعتاق، متخذاً وسيلتي التمرد في النفوس ضد الطغيان والعنت الفارسي وشحذ الثورة في وجدان العربي اين ما كان وحيث ما حلّ بطرائق عدّة منها: تأبين الملك، وذكر مآثره وشمائله ، وتلك كانت آية لقصائد ، ومقاطع لشعراء ثلاث يعدون من عمالقة الشعر العربي ، وهم النابغة ، وزهير ، ولبيد . فالنابغة نعى النعمان، وهو في طريقه إلى كسرى عارفاً بمصيره ، وما يمكن أن يؤول اليه ، مردداً ماكان عليه ، وما يحدث لو قتل قائلاً .

فإنّ يهلك أبو قابوس يهلك
ربيع الناس والشهر الحرام

فالنعمان منزلته عند الشاعر رفيعة بحيث سما به إلى مكانة الربيع في نفوس الناس. فهو ظلهم الوارف . ومدوؤهم المهدد بالرزية. اما بعد مقتله ، فانّ النابغة يزعق . ويصدر القول صُراخاً مُذكراً بمصائب الدهر :

قل للمهام وخير القول أصدقه
والدهرُ يومض بعد الحال بالحال

مـاذا رزئنـا بـه مـن حـيـةّ ذكـر
نضناضة بـالرزيـا صلّ اصلالِ
وغـالـة فـى دجى الاهوالِ إنْ نزلت
حـرّاجة فى ذراها غير رمـّال
مـاضٍ يـكـون لهـا جـدٌ إذا نـزلـت
حربٌ بـوائلَ منها كـل تنبال (١)

فالشاعر إنْ كان هون المصيبة إلا أنّه هول المصاب ، فرزية الملك ، افقدت العرب جنشهم القاتل ، وصلهم الحامل للزعاف ، من اجل حماية الذّمار .

وزهير بن ابى سُلمى كانَ يأسى الحالة التى وصل اليها هذا الملك حيث كان ملاذاً للعرب بملكهِ المتسع ، وماعليه من أُبهة ، وعظمة فيما قالهُ :

الـم تـرَ للـنـعـمـان كـانَ بنجـدة
منَ الشّر لو أنّ امرءً كان باقيـا
فـلـم أرَ مـخـذولاً لـه مـثـل مُلكـه
اقل صديقاً او خليلاً موافياً (١)

أما لبيد ، فقد نادى بالويل ، والثبور ، داعياً إلى البكاء ، مُذكراً بأيّامه وسطوته ، مُعرفاً بذلة بقية الاقوام العربية . وكيف أنّ جُرح الحيرة هو جُرح جلق قائلاً .

ليـبك على النعـمـان شـرب وقينـة
ومختبطات كـالسـعالي اراملُ

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ١٩ ، وهناك قصيدة أخرى انظر عنها / ايام العرب في الجاهلية / هامش ص ٢٤ . ولمعرفة معنى الموثبات / انظر الموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام / ١١ — ٢٩ .

(٢) ايام العرب في الجاهلية / هامش ص ٢٤ .

لـهُ الملك في ضاحي معدٍ واسلمت
اليه العباد كلّها ما يحاولُ
اذا مسّ اسار الطيور صفت لـه
مشعشعة مما تعتق بابلُ

فيوماً عناة بالحديد يفكّهم
ويوماً جياد ملجمات قوافل
وغسان ذلّت يومَ جلق ذلّةً
بسيدها ، والاريحي المنازل
رعى خرزات الملك عشرين حُجة
وعشرين حتّى فاد والشّيب(١)شامل

وربما وجدنا بعض الشعراء يحس بالخيبة ، ويتحسر على ما آل اليه ، مصير هذا الهمام ، وتلك وسيلة الخائف الكاره ، لطريقة المعاشرة قال هاني بن مسعود الشيباني :

إنّ ذا التاج لا ابالك اضحى
في الورى رأسه تحت الفيول
إنّ كسرى عدا على الملك النعمان
حتى سقاهُ مرّ البليل

وقال شاعر آخر :

لم تبكه هندٌ ولا اختها
حرقاء ، واستعجم ناعيه
بين فيول الهند تخبطه
مختبطاً تدمى نواجيه(٢)

---

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ١٩ - ٢٠

(٢) دراسات في تاريخ العرب / عصر ماقبل الاسلام / ١ / ٣٥٧ ، والحيرة المدينة والمملكة العربية / ٢١٣ .

ويبدو أنّ بنت الملك النعمان كان لها دور كبير في رفد هذا النوع من الشعر حيث اتخذت وسيلتين اليه ، الاولى الاستجارة ، واظهار الضعف امامَ القبائل بعد عزتها ومُلكها ، ومهابتها ، من ذلك استجارتها ، بصفية بنت ثعلبة ، فقالت الاخيرة لقومها ، ابياتاً ، منشدة فيها كل ّما عرفه العرب من معاني الاباء والنخوة :

احيوا الجوار فقد اماتته معاً
كل الاعارب يا بني شيبان
ما العذرُ ؟ قد لفت ثيابي حرةٌ
مغروسة في الدر والمرجانِ

أما الوسيلة الثانية فهي التحريض المباشر ، بمتابعة مقتل أبيها مطلقة العنان لعاطفتها ، أن تصرخ بوجه القبائل العربية ، ليهبوا بأخذ الثار قائلة :

ألا ابلغ بني بكر رسولاً
فقد جدّ النذير بعنقفير
فليت الجيش كلُّهم فداكم
ونفسي ، والسريرَ وذا السريرِ
كأني حين جدّ بهم اليكم
معلّقَةُ الذّوائب بالعبُورَ
فلو أنّي أطقتُ لذاك دفعاً
إذاً لدفعتُه بدمي وزيري (١)

والشاعرة ليلى العفيفة . مالت الى اسلوب المدح المباشر بذكر الصفات والشمائل التي اعتاد العربُ عليها حيث خاطبت بني عدنان وتغلب :

قُلْ لعدنان هُديتم شمروا
لبني مبغوض تشمير الوفا

(١) الاغاني / دار الكتب / ٢٤ / ٦٣ . وايام العرب في الجاهلية / ٢٧ — ٢٨ .

يابنـــي تغلـــب سيـــروا وانـصـــــروا
وذروا الغفلـــة عنـكـــم والكرى (١).

وهكذا يبرز بوضوح موقف الشعراء في ذلك النوع من الشعر ، ممهدين للأخذ بثأر الملك ، مهيئين لصعق الفرس الذين استهانوا بالعرب ، واستغلوا اموالهم ، وارضهم ، وحاولوا أنْ يجعلوا منهم أمعة فيما يريدون ويرغبون من امور ، غير أنّ موقف الشعر في المسار الثاني كان اكثر أهمية لما انطوى عليه من اقوال واراء تدعوا الى عدم الاحجام ، والنكوص والتراجع .

المصيريات أثناء المعركة :

عندما قُتل النعمان بن المنذر اراد كسرى أنْ يستذل العرب ، ويقضي على ما اعتادوا عليه ، من النخوة ، واجارة الدخيل بالقوة والقهر ، فأرسل الى مَنْ وكلَ اليه أمر الحيرة من بعض العرب المأجورين يطالبه بتركة النعمان ، فكان ما كان من امرها (٢) ، فوقعت حرب ذي قار بين الفرس وقبائل بكر بن وائل بعد أن عرض عليهم كسرى ثلاث خصال اما الاستسلام أو الرحيل او الحرب ، فاقترح هاني بن قبيصة على بكر الرحيل حيث لاطاقة لهم بقتال جيش كسرى ، كما ادعى ، فأجابه حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي قائلاً « إنما اردت نجاتنا فلم تزد على أنْ القيتنا في الهلكة » رافضاً فرار العرب امام الفرس ، ثم أنه قطع وضن الهوادج حتى لاتستطيع بكر أن تسوق نساءها اذا هربت . وضرب على نفسه قبة ببطماء ذي قار . وآلى على نفسه ، الا يتراجع ، فجد الاستبسال ووقعت الحرب وقد ساهم الشعر مساهمة فعالة منذ الساعات الاول للمعركة (٣) ، فعندما ثبتت عجل في المعركة قالت امرأة منهم :

---

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ٧٥ .
(٢) انظر : أيام العرب في الجاهلية / ٦ — ٣٩ حيث فصل القول فيها .
(٣) دراسات في تاريخ العرب / عصر ماقبل الاسلام / ١ / ٣٦٦ — ٣٦٧ ، وتاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة / ١٤٥ — ١٤٧ .

إنْ يظفروا يجردوا فينا الغُرلْ

إيهاً فداءٌ لكمُ بني عجلْ

ثم نادت ثانية :

إنْ تهزموا نُعانق

ونفرش النمارق

أَو تُهزموا نفارق

فراق غير وامق (١)

ويبدو أنَّ هذا المسار الشعري قد وقع على كاهل النساء الشواعر لما تحمله المرأة من معاني العفة عند الرجل . وما يمكن أن تحويه من جوانب الضعف عند القبيلة لذلك نجد أنَّ بعض الشواعر كانت تقبل على كل قبيلة صارخة منادية من ذلك مافعلته صفية الحجيجة حيث قالت لبني حنيفة :

إيهاً اجيدوا الضربَ يا حنيفة

فانتم الجمجمة الشريفة

اهل اللقا والعمدة المعروفة

والعدة المنسوجة الموصوفة

إنَّ الجيوش حولكم كثيفة

فلا تهلكم وتزدكم خيفة

ثُمَّ التفتت صوب بني لجيم قائلة :

لجيم قومي وبني أبينا

ليسوا لدى الهيجا مغلبينا

---

(١) نقائض جرير والفرزدق / ٢ / ٦٤١ ، واشعار النساء / ٢٠٦ ، والاغاني / ١٢ / ٣٣٦ – ٣٣٧ و ١٥ / ١٩٠ و ٢٤ / ٩٤ ، كما وردت الاشعار عينها في معركة أحد عن هند بنت عتبه ام معاوية / انظر : سيرة ابن هشام / ٣ / ٧٢ .

بـل ظـافـرون وحمـاة فينـا
العـز فيـهم حيـن يلجمونا
ويسـرحـون ثُـمَّ يـحمـلـونـا
ايهـاً بنـي الاعمـام فـانصرونـا

وخاطبت بني عجل وفيهم أبوها واخوها :

الـفـخـر فخـري بـسـراة عـجـل
هـم معشري في نجـدهـم والسهل
هـمُ الـسـراة وحمـاة الأهـل
والفائـقـون بشـريف الـفـعـل
إيهـا ابيـدوا جمعهـم بالقـتـل
ولا تـكـونـوا غـرضـاً للنبـل
واختلطـوا فيـهم بغير مهـل

ومن ثم نظرت الى بني ذهل مناديةً

اليـوم يـومَ العزّ لايـومَ النـدمْ
يـومُ رمـاحٍ وجيـادٍ وخدمْ
يومٌ به الارواح جـهـراً تُـصـطَـلَـمْ
سوف تـرى البيض غـداة المبتسمْ
للوائليـات التـي تحمـي البُـهُـمْ
يـا آل بـكـر لا تهلكـم العجـم
إنْ صبرت ذهلٌ فعزّي اليـومَ تـمْ

اتجهت بعدها صوب بني شيبان وهم خلفها فقالت :

إيهـا بني شيبان صـفـاً بعـد صـفْ
من يرد العلياء لم يخشـى التلفْ

مـن حـاذرَ المـوتَ تـنـحـى ووقـف
إنّ الشجـاع باسـلٌ فيـه الصَلَفْ
إنْ تقبلـوا نظفـر ونحذرْ ونُـخـف
وفـي الفرار يولجوا فينا القُلفْ
اليـومَ يـومُ العـزِّ موصـوف الـشرف
إنْ حافظـت قومي فما بي من أسفْ
أنا ابنـةُ العـزِّ وعرضي اليـومَ عَـف
بكـلِّ نصـلٍ كالشهـابِ المختطفْ
نخطفُ قـوماً قـد عفـونا بسَرَفْ (١)

والذي يتفحص المعاني التي اشارت اليها الشاعرة يدرك لأول وهلة وبوضوح المغزى الذي دفع العرب الى الثورة فكان موقفهم بذي قار اشبه بانفجار هائل كانوا ينتظرون حدوثه حتى تلتهب المشاعر ، وتثار الشيمة دفاعاً عن الشرف والعرض والكرامة . وتتجلى تلك المعاني عند معظم الشواعر ، فابنة القرين الشيبانية ، تصرخ ايضاً في قومها قائلةً :

ويهـاً بنـي شيبـان صفـاً بعـد صف
إنّ تُهـزَموا يصبغوا فينا القُلفْ (٢)

وربما حددت الشاعرة الفارس من القوم وهو يبرز في المعركة جاعلة منه رمزاً في تخطي الصعاب وتجاوز الاهوال فيما عرضته لنا بقولها هند بنت الملك النعمان وهي تناشد عمرو بن ثعلبة الشيباني مثيرة فيه حمية قومه :

حافظ على الحسـب النفيـس الأرفـع
بمدججيـن مـع الـرمـاح الشرع

---

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ٤١ — ٤٣ .
(٢) دراسات في تاريخ العرب / عصر ماقبل الاسلام ١ / ٣٦٩ .

وصـوارمٍ هنـديـةٍ مصـقـولـةٍ
بسـواعـدٍ مـوصـولـةٍ لم تمنـعِ

وسلاهبٍ مـن خيـلكـم معـروفـةٍ
بالسبـقِ عاديـة بكـلِّ سميـدعِ

واليـوم يـوم الفصـل منـك ومنهـم
فاصبـر لكـل شـديـدة لـم تدفـعِ

يـاعمـرو ياعمـرو الكفاح لـدى الوغـى
ياليـث غابٍ في اجتـمـاع المجمعِ

أظهـر وفـاءً يـافتـى وعـزيـمـةً
اتضيع مجـداً كان غير مضيَّـع (١)

ثم أنَّ تلك الاشارات الداعية الى المحافظة على الأرض ، والشرف تتجسد ايضاً عند الشعراء في معظم ماروي لهم في تلك المعركة الخالدة ، وان كانوا يطمحون الى بروز ذا تيتهم في الصمود والثبات ، قال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة العجلي يدعو الى الوقوف والتحدي وعدم الفرار :

مـن فـرَّ منـكـم فـرَّ عن حريمـه
وجـاره وفـرَّ عـن نـديمـهِ

انـا ابن سيّـار عـلى شكيـمـه
إن الشـراك قُـدَّ مِـن اديـمـه

وكلّـهـم يجـري عـلى قـديمـه
مـن قـارحِ الهجـنة أو صميمه (٢)

ويتجه بعض الشعراء صوب الفرس ، وماهم عليه من ضعف ، وخوار عزيمة وتياه ، وضلالة لكونهم يقاتلون من غير هدفٍ ، ولا رغبة إلا في

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ٤٤ .
(٢) ايام العرب في الجاهلية / ٣٢ .

الاستغلال واخضاع العرب عنوة وعنجهية . قال عمرو بن جبلة اليشكري رافعاً صوته

يا قومُ لا تغرركم هذي الخرق
ولا وميضُ البيض في الشمس برَقْ

منْ لمْ يقاتلْ منكمُ هذي العُنُق
فجنّبوه الرّاح واسقوه المرَق (١)

كما حاولت طائفة من الشعراء أنْ تزهد الناس في الحياة ، حيث إنّ المنايا لا بُدّ منها . والموت في اعناق الناس في كلّ عصر واوان ، لايميز بين صغير ولا كبير ، فعلى قومه اذن أنْ يجد جدّهم ، وينعى ناعيهم ، حيث يقدم نفسه فداءً لهم ، ولا جُودَ بعد النفس فيما عرض بعض معانيه حنظلة بن ثعلبة قائلاً .

قد جدّ اشياعكم فجدّوا
قد جعلَتْ اخبارُ قومي تبدو

إنّ المنايا ليس منها بدٌّ
نفسي فداكم وابي والجدُّ (٢)

ولعل اجود ماصورَ وحدة القبائل العربية في حربهم المصيرية تلك قصيدة التي رددها احد شعراء تغلب ، عرَضت باسلوب حماسي تقدم الفرسان في ساحات الوغى لمقابلة ماحشدَ لمعركة فاصلة عدّت نهاية للتحديات ، التي ارادتْ الحط من قيمة العرب وشرفهم ، والاستهانة بكرامتهم وقيمهم ، فضلاً عن استغلال خيراتهم ، فاتحدتْ السيوف وتجاوبتْ الرماح ، والنصال ضاربة ضربة رجلٍ واحد ممزقة اشلاء ذلك المصير الناشم ، صارخة مدوية في وجوهٍ معلنة في صدور الوحدة أن هبوا ابنا العرب

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ٣٠ ، والمرثيات في الشعر العربي قبل الاسلام / ٢٤٤

(٢) مراقف رجال في يوم ذي قار / مقالة / مجلة العربي / عدد ١٧٠ / ١٩٧٢ / ٦٠

« هالك معذور ، خيرٌ من ناجٍ فرور ، المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خيرٌ من استدباره ، والطعن فى ثغر النحور ، اكرمُ منه فى الاعجاز والظهور » (١) ، فتلك واللهِ غاية العرب وهدفهم، وذلك هو طريقهم نحْو الحق الذي يبغونه ، صُرحاء لاينطقون إلا الحكمةَ ، كرماء لايضربون الظهور .

ولقد رأيْتَ اخاك عمراً مرة
يقضى وضيعيه بذات العجرم

فى غمرة الموت التى لاتشتكى
غمراتها الابطال غير تغمغم

وكأنما أقدامهم واكفهم
سَرَبٌ تساقط فى خليجٍ مفعم

لما سمعت دعاء مُرة قد علا
واتى ربيعة فى العجاج الاقتم

ومحلّم يمشون تحت لوائهم
والموت تحت لواء آل محلّم

لايصرفون عن الوغى بوجوههم
في كلِّ سابغة كلون العظلم

ودعت بنوام الرقاع فأقبلوا
عند اللقاء بكلِّ شاكٍ مُعْلَم

وسمعتَ يَشْكُرَ تدّعي بخُبيّبٍ
تحت العجاجةِ وهي تقطرُ بالدم

يمشون في حلقِ الحديد كما مشت
اسد العرين بيوم نحس مظلم

(١) قس بن ساعدة الايادي / حياته وخطبه / د . الربيعي / ٣٢ .

والجمع من ذهل كأنّ زهاءهم
مشيَ الجمال يقودها ابنا قشعم
والخيلُ من تحت العجاج عوابساً
وعلى مناسجها سحائب من دمٍ (١)

وقد ظهرت اصوات لشعراء دعت إلى التحدي ، وإنْ غلب عليها طابع الذاتية ، لطبيعة الصفة التي حملها قائل الشعر ، بكونه يتقدم الصفوف او يحمل الراية مثلاً ، لأنّهُ يمثل بداية قومه وقوتهم ، بانكساره يتقهقرون وبعزمه يتقدمون ، فيما قاله حنظلة بن ثعلبة وهو يرتجز .

يا قوم طيبوا بالقتال نفساً
اجدر يومَ أن تغلّوا الفرْسا

ثُمّ إنّه يُنشد :

قد جدّ اشياعكُم فجدّوا
ما علّتي وأنا مُؤدٍ جَلْدُ (٢)
والقوس فيها وتيرٌ عُرُدُّ (٣)
مثل ذِراع البكر أو أشدُّ
قد جعلت أخبارُ قومي تبْدُو
إنّ المنايا ليسَ منها بُدُّ
هذا عُميرٌ حيّة ألَدُّ
يقدُمهُ ليسَ له مرَدْ
حتّى يعُودَ كالكميت الوَرْدُ
خلّوا بني شيبان فاستبدّوا (٤)

---

(١) الادب ومعارك العرب المصيرية / ٣٤ – ٣٥
(٢) مؤد : ذو اداة من السلاح تامة : اي لاعذر لي كما يقول في معناه .
(٣) عرد : اي شديد صلب .
(٤) ايام العرب في الجاهلية / ٣١ .

وعندما ينجلي الموقف عن النصر الساحق للعرب ، والهزيمة الذليلة الماحقة للفرس ، فلاعجب أن يستخف الطرب بالشعراء ، وأنْ يتجه شعرهم نحو مسار ثالث ، لاظهار الفرحة ، وتعظيم الانتصار ، ولوم ، وقذف مَنْ حاولَ أنْ يقف في سبيل النصر وهو ما اطلقنا عليه اسم :

المنصرات للمواقف الايجابيّة والمشهرات للمواقف السلبيّة ومداه بعد الحرب :

كان من الطبيعي أنْ تقام الافراح ، ويكرم الابطال ، وتطلق الاهازيج ، وتنشرح الصدور فتتفتح القرائح ، وتحفز الاذهان ، وتسمو العواطف ، وتدار الراح بأيادي النساء فخراً بفرسانها ، حيث يقول بكير (اصم بني الحارث بن عباد):

إنْ كنت ساقيةَ المُدامةِ أهْلَها
فاسقي على كَرَمٍ بني همّام

وابا ربيعة كلّها ومُحَلّماً
سبقاً بغايةِ أمْجَدِ الأيّامِ

ضربوا بني الأحرار يوم لقوهُمُ
بالمشرَفيّ على مَقيل الهام

شدّ ابن قيس شدّةً ذهبت لها
ذِكْراً له في مُعْرِقٍ وشآمِ

عَمْرٌو وما عمْرٌو بقحمٍ والسنف
فيها ولّا غَمْرٍ ولا بغُلامِ (١)

ولا يقتصر الامر على استقاء المُدامة ، بل تُعطر مفارق الفرسان بالمسك والريحان ، وترش اردانهم بالعطور ، جزاءاً وفاقاً لما بذلوه في الدفاع عن شرفهم وارضهم فيما قاله الديّان بن جندل :

(١) أيام العرب في الجاهلية / ٣٩ ، ودراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام / ١ / ٣٧٠

إنْ كنتِ ساقيةً يوماً على كرمٍ
فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا

واسقي فوارس حامَوا عن ديارهم
واعلي مفارقَهُمْ مسكاً ، وريحاناً (١)

وتزهو الانفس ، فتتبارى قرائح الشعراء ، وتتباهى انفسهم بقبائلهم التي شاركت ، وابلت في تلك المعركة المصيرية ، ويبرز بوضوح الجانب الذاتي القبلي ، حيث شرف النصر حُلة تطوق بها اعناق المقاتلين وشارة توضع بجدارة على اكتاف وصدور القادة العظام في تلك المواقف الخطيرة ، قال العدْيل بن الفرخ العجلي .

ما أوقدَ النّاسُ من نارٍ لمكرمة
ألا اصطلينا وكُنّا موقدي النار

وما يعدون من يوم سمعتُ به
للناسِ افضلَ من يوم بذي قار

جئنا بأسلابهم والخيل عابسةٌ
يوم استلبنا لكسرى كلّ اسوار (٢)

ويشيد آخر بقبيلته إذ لولا شبابها ، ومقدرتهم القتالية ماكان النصر في ذي قار ، ولايغالي ذلك الشاعر في مثل تلك المواقف الحاسمة التي يتبين بها صلة العربي بأرضه ، وتسمو عنده عاطفة الوطنية وحب الارض فوق المصير والوجدان الانساني القائم على حب الحياة ، وملذاتها كما يقول ابو كلبة التميمي :

لولا فوارس لانبلٌ ، ولا عزلٌ
من اللهازم ماقظتم بذي قار

(١) الاغاني / (دار الكتب) / ٢٤ / ٧٥ - ٧٦ .

(٢) مواقف رجال في يوم ذي قار / مقالة / العربي / ١٧٠ / ٦١ .

إنَّ الفوارسَ من عجلٍ همُ أنفوا
منْ أنْ يخلوا لكسرى عرصةَالدارِ (١)

ولأن قبيلة عجل كان لها مركز الصدارة في معركة ذي قار ، فقد وجدنا بعض شعرائها يتباهون بما كلل به اجدادهم من سمات الانتصار على الفرس حيث يقول ابو النجم العجلي بعد الاسلام .

نحنُ أبحنا رايةَ المختارِ
يومَ اسلبتنا راية الجبّارِ
بأسفل البطحاء من ذي قار (٢)

وكان طبيعياً أنْ ينصرفَ الجانب السلبي من الشعر الى المواقف الفردية والقبلية المتخاذلة ، التي نظرت نظرة عدم اكتراث الى تلك الحرب المصيرية فيواجه الشعراء اولئك الأفراد او تلك القبائل بشيء من التأنيب والردع القوي حيث يسلقونهم بهجاء يجردهم من كل معاني الوفاء والامانة متمنين لهم الموت.من ذلك قول الأعشى في قيس بن مسعود .

أقيسَ بنَ مسْعود بن قيْس بن خالد
وأنتَ امرؤٌ ترجو شبابك وائلُ

أطورينِ في عامٍ غزاةٌ ورحلةٌ
ألا ليْتَ قيساً غرّقتْه الغوايلُ

وليتك حالَ آلبحْرُ دُونكَ كُلُّهُ
وكنتَ لقىً تجري عليْه السوائلُ

كأنّكَ لم تشهد قرابينَ جمّةً
تعيثُ ضباعٌ فيهمُ وعواسِلُ

---

(١) الاغاني (دار الكتب) / ٢٤ / ٧٧ .

(٢) مواقف رجال في يوم ذي قار / ص ٦١ .

تركْتَهُمُ صَرْعى لدى كُلِّ مَنْهَلٍ
واقبلت تبغي الصُّلْحَ أُمُّكَ هابلُ

أَمِنْ جَبَلِ الأمْرَارِ صُرِتْ خيامُكم
على نبأ أنَّ الأشافى سَائِلُ

فهانَ علينا أنْ تجفَّ وطابُكُمْ
إذا حُنِيتْ فيها لديه الزَّواجِلُ

لقد كان في شيبان لو كنت راضياً
قبابٌ وحَيٌ حِلَّةٌ وقنابلُ (١)

ثُمَّ أَنَّ الشاعر نفسه ، تمنى لو وعت بعض القبائل المتخاذلة معنى المعركة في امتحانها للامة بكبريائها ، وكرامتها ، فشاركت القبائل التى وقفت امام الفرس مؤكدة لهم ، أنَّ العرب امّةٌ واحدة جرحها ، ومصيرها واحد ، ومنبعها ومنبتها واحد ، ووجدانها ، وديدنها واحد .

لو أنَّ كلَّ معدٍ كان شاركنا
في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم
منا غطاريف ترجو الموت فانصرفوا

لما أمالوا الى النشاب أيديهم
ملنا ببيضٍ فظلَ الهامُ يقتلف

لقوا ململمةٍ شهباء يقدمها
للموت لا عاجزٌ فيها ولا خرف

فرعٌ نمته فروع غير ناقصة
موفقٌ حازمٌ في امره أنف (٢)

---

(١) ديوان الاعشى الكبير / ١٨٣ / ق ٢٦ .
(٢) الديوان نفسه / ٣١١ / ق ٦٢ .

وان كان الشاعر لام القبائل المتخاذلة ، وتمنى مشاركتها في شرف الانتصار فانّه لم ينس الافتخار بقومه ، وسعيهم في تلك المعركة الفاصلة ، وذلك لابد منه في مجتمعه القديم .

حروب تحرير الحيرة ، وموقف الشعراء منها بعد الاسلام :

كانت معركة ذي قار البداية الاولى التي اكدت للعرب معنى الوحدة ، والقوة ، والارادة كما كانت الاسفين الاول الذي وضع في نعش الامبراطورية الساسانية بما اعطته من زخم ، ودعم للفكر العربي المتمثل بالاسلام الذي عُدّ مثالاً حياً للعدالة تبلورت انظمته على مدى القرون التي تلت نشوء الدولة الاسلامية ، لما حواه من ابعاد انسانية رافضة لكل انواع الهيمنة والاستغلال ، ومهما تعددت صوره ، فلذلك كانت بداية التحرير مرحلة جديدة ، توجهت فيها قابلية العربي وقدرته نحو ارض عربية يسكنها عرب يستغلها اجنبي ، ويستعبدها ذليل ، حاول ان يمسخ منها عروبتها ، ويقتل فيها انتماءها القومي والقبلي ، كما يفعل المستعمر في العصر الحاضر في بعض الأقطار العربية المغتصبة فكان لابد ان ينطلق الشعر على السنة المحررين مع ضربة سيوفهم حيث احاط بالمعارك والاحداث احاطةً تامةً ، فعُدّ بحق وثيقةً تاريخيةً لها مكانتها ، ودورها في تسجيل الوقائع ، ورفدها بمكامن القوة والصدق في العرض .

وقد ذكرنا أنّ أبا بكر (رض) أمر بالتوجه نحو الحيرة في أول مرحلة من مراحل التحرير ، فيتم على أيدي الأبطال العرب تحريرها بأقل مايمكن من الشهداء ، وعندما دخلوا قصورها شعروا بالغبطة والفرح ، فتنطلق اغنيات النصر نشوى تفخر ببلائهم الذي استحقوا به الرفعة والظفر . فيشدو لسان القعقاع بن عمرو راسماً الصورة التي يبدأ ها بمعالم الخضرة . والاستسقاء على عادة الشاعر العربي القديم الذي يذكر قتلى قبيلته . حيث تنعدم عنده خصوصية المشاعر القبلية مندمجة بالمشاعر والاحاسيس القومية العامة المتمثلة بشهداء التحرير من ابناء العرب جميعاً فيقول :

سقى اللهُ قتلى بالفرات مقيمةً
واخرى باثباج النجاف الكوانفِ
فنحن وطئنا بالكواظم هُرْمزاً
وبالثني قرني قارن بالجوارفِ
ويومَ أحطنا بالقصور تتابعت
على الحيرة الرَّوحاء احدى المصارفِ
حططناهمُ منها وقد عاد عَرْشُهُمْ
يميل بهمْ فَعل الجبان المخالفِ
رمينا عليهم بالقبول وقَدْ رأوا
غبوق المنايا حول تلك المحارفِ
صبيحة قالوا نحن قومٌ تنزّلوا
إلى الريف من ارض العُريب المقانفِ(١)

ومع أنّ الشاعر ساق فكرة لجاجة العرب من سكان الحيرة ، وعدم نصرتهم لاخوانهم المحررين ، وعدم الاكتراث بالانتساب العربي غير أنه سرعان مااضرب عن ذلك الامر موضحاً انحيازهم نحو الحق والعدل في مباعث الانعتاق ، والتحرر .

وقد اكد المعنى نفسه الشاعر عاصم بن عمرو ، وكيف أنهم حضروا الى الحيرة من الصباح ، وما هي عليه من بداعة المباني ، وطيب الهواء والمغاني . وما تحويه من بيوت ، وقصور مشرعة عالية وما فعله اهلها بعد أنْ عرفوا بالخيبة ، وعدم القدرة على مقاتلة اخوانهم العرب المحررين . فدفعوا الجزية عن يد ، وهم صاغرون دون حاجة الى ضرب وقتال حيث يقول :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً
ورجْلاً فوق اثباج الركابِ

(١) شاعران من فرسان القادسية / ٢٣٢ / ق ٢٣ .

حضـــرنا في نواحيهـــــا قصـــوراً

مشـرعـةً كـأضراس الـكـلابِ

فبـــادوا بـا لعريـب ولـم يُحامـنوا

فقلنـا دونكـم فعـل الـغراب

فقالوا بل نُريدُ الخرج حتّى

تزولَ الراسياتُ من الطرابِ

صَدَفنا عنهم لما اتقونـا

وأُبنا حيث أُبنـا بالنهـاب (٢)

وبما أنّ العرب المحررين لم يكونوا راغبين بالانتقاص من ابناء عمومتهم واهلهم لذلك نجد أنّ سعد بن ابي وقاص بعد فتحه الحيرة التقى بهند بنت النعمان بن المنذر حيث جاءته ، وهي تقول :

فبينـا نسوس النّاس والأمـــر أمرنـــا

اذا نحن فيهـم سوقـة نتنصـفُ

فتبـاً لدنيـا لا يـدوم نعيمهـا

تـقلـب تـارات بنـا وتصرف

فأكرمها سعد ، وانصفها ، وعاملها معاملة العظام من ابناء الملوك ، فخرجت منه مغتبطة جذلة فسألها النصارى من قومها ، وقالوا لها ماصنع بك الامير ؟ فقالت :

صـانَ لـي ذمتـي وأكـرم وجهـي

إنّمـا يـكـرم الـكـريمُ (٢)

وبذلك تبين لنا اهمية صلة العربي بأخيه بعد أنْ هذب الأسلام طبعه وسما بمثله العليا .

---

(١) المرجع نفسه / ٢٤٢ / ق ٥ .

(٢) الحيرة المدينة والمملكة العربية / ٤٧ .

أثر فتح الحيرة في معارك العرب المصيرية وموقف الشعراء منها :

ما أنْ تُحرر الحيرة من رجس الاجنبي ، واطماعه الاستغلاليّة حتّى يشعُر بالهزيمة والضعف امام مدّ التحرر العربي ، فيستعد لمعركة القادسيّة الحاسمة بكلِّ ما يتمكن عليه ، ويطيقه من قوة . لذا نجد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) يحشد لتلك المعركة كلّ اهل الرأي والشجاعة والخطابة والشعر بجيش هو خلاصة رفيعة من العرب ، تجلتْ فيه وحدة الأمّة، وعزتها ، وعبقريتها . وما أنْ يبدأ القتال حتى يمرَّ الشعراء بين صفوف العرب المسلمين ، يرغبونهم بالموت ، ويقدحون في نفوسهم معاني الكرامة ، والأنفة والرفعة ، وكان الرُجاز اصحاب القول الفصل في ذلك الموقف الدرامي . فقد برز غالب بن عبدالله الأسدي يرتجز بقوله :

قد علمتْ واردة المسالح
ذاتُ البيان واللسان الواضح
أنّي سمام البطل المشالح
وخارج الامر المهم الفادح (١)

فاذا بهرمز احد امراء الفرس يبرز فيجهز عليه ويأخذه اسيراً فيخرج بعدهُ عاصم بن عمرو التميمي مرتجزاً .

قد علمتْ بيضاء صفراءُ اللبّبْ
مثلُ اللجيْن إذ تغشّاهُ الذهَبْ
إنّي امرؤٌ لا مَنْ يعيبهُ السبَبْ
مثلي على مثلكَ يُغريهِ العتَبْ (٢)

ثمَّ أشتد القتال ، وابلى القادة العرب بلاءً عظيماً ، فصارَ كلُّ واحد منهم يضاهي الثريا علواً ، وزهاءً . فبعد أنْ عرف عمرو بن معد يكرب

(١) شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام / ١٣٢ .
(٢) شاعران فارسان من القادسية / ٢٤٠ / ق ٢٠

الزبيدي حالة الفرس ، وتقهقرهم ، صاح طرباً كأنّه غلام مفتون وهو يلاحظ صفوف الفرس الاعلاج تميل تحت وقع ضرباته القاتلة :

انا ابو ثور وسيفي ذو النون
اضربهم ضَرْبَ غلام مجنون
يا آل زبيد إنّهم يموتون

وبعد أنْ انتصر العرب في معركة القادسية ، وفتحت المدائن وانتهت المقاومة الفارسيّة ، فرّ المنهزمون إلى جلولاء ، وازمعوا على أنْ يستميتوا في درء تَقدم العرب المسلمين ، والتفاني امامهم ، فاحتفروا خندقاً حول جلولاء ، واحاطوه بحسكٍ وخشبٍ وحديد ، واخذوا ينتظرون المسلمين ، فسار اليهم هاشم بن عتّبة بن أبي وقاص واقتحم العرب المسلمون الحصون في هجومٍ عارم ، قتل من الفرس فيه الكثير ، كما يقول القعقاع بن عمرو التميمي :

ونحن قتلنا في جلولاء ثابراً
ومهران اذ عَزّتْ عليه المذاهبُ
ويومَ جلولاء الوقيعة أفنيت
بنو فارسٍ لمّا حوتْها الكتائبُ(١)

ويحرر السواد بأجمعه ، ويهزم الفرس شر هزيمة ، وتنهار خطوط مقاومتهم غير أنّ بقاء كسرى يزد جرد ، مثّل عندهم رمزاً حيّاً لما عانوهُ من ذلة وهوان . فيجتمع حوله الموتورون . على الرغم من كون الخليفة كان يريد الاقتصار على ما حققه العرب من نصرٍ ، ويتمنى لو كان بين السواد والجبل سد يفصل بين العرب والفرس . لذا لم يجد العرب بُداً من مطاردة رمز الفرس الهزيل في عقر داره ، ففرّ من حلوان امام ضربات القائد العربي هاشم بن عتبة إلى اقليم فارس جنوب ايران ، ومنها إلى الرّي ،

(١) شعر الفتوح الاسلاميه / ١٣٤ — ١٣٥ .
(٢) شاعران من فرسان القادسية / ٢٢٢ / ق ١

وبعدها إلى نهاوند . فاهتم به الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أكثر من اهتمامه بالقادسيّة حتّى راودته نفسه بالخروج ، وقيادة الجيش . ولكنّ المسلمين رأوا له خلاف مارأى ، فحشد كسرى زهاء تسعين الفاً من الفرس، وتحصنوا بالخنادق ، وقاد المسلمين النعمان بن مقرن حيث عقد مؤتمراً عسكرياً لتدبر امر الحرب . شهده ابطال العرب كالقعقاع وطليحة ، وعمرو ابن معديكرب وغيرهم . وبدأ القتال ، وما أنْ اتى المساء حتّى اتت معهُ هزيمة الفرس ، ودخل المسلمون نهاوند واحتلوا ماحولها ، فسميت تلك المعركة الموفقة (بفتح الفتوح) لعدم حدوث حرب كبيرة بعدها ، (١) فتغنى رسامها ، وقائد بعض كتائبها : القعقاع ابن عمرو ، بأشعارٍ كثيرة صور بها المعركة منها :

ويـوم نهـاونـد شهـدتُ فلـم أخـمْ
وقد أحسنت فيه جميع القبائـل

عشيـة ولـّى الـفيـرزان مـوايـلا
إلى جبل آبٍ حـذار الفواصـِل

فأدركـه منـا اخو الهَيْـج والـنـدى
فقطّره عنـد ازدحـام العوامـلِ

واشلاؤهُـمْ في وادي خُـرْدٍ مقيمـة
تنوبُهُـم عيسُ الذئـاب العواسلِ (٢)

ويظل ذلك الشاعر البطل مصوراً حاذقاً، ورساماً ماهراً في طبْع صور الخيل العربية ، ومافعلته بالاعاجم ، فامتلأت شعاب نهاوند وجبالها بأشلائهم وجماجمهم حيث يقول :

ونحن حبسنـا في نهـاونـدَ خَيْلَنـا
لشدّ ليالٍ انتجتْ للاعـاجـمِ

(١) شعر الفتوح الاسلامية / ١٤٢ — ١٤٣ .
(٢) شاعران من فرسان القادسية / ٢٣٥ / ق ٢٩ ، ومثلها / ق ٣١ .

فنحن لهم بينا وعصل سجلها
غداة نهاوند لاحدى العظائم
ملأنا شعاباً في نهاوندَ منهم
رجالاً وخيلاً اضرِمْت بالضرائم
وراكضهن الفيرزانُ على الصفا
فلم ينجهِ منا انفساحُ المخارم (١)

ويبقى الانسان العربي ناظراً إلى اخيه العربي نظرةِ اطمئنان ورضى على مرّ العصور حيثُ يجد عندهُ المنعة والقوة، والنصر على الاعداء، ولكنّ النظرة تتبدل عندما تتجه صوب الخونة والمتخاذلين، فتنقلب إلى ذكر المثالب وقدح للمشينات يعرضها امامهم، بل يقذفها عليهم بنفس ابية، وروح شاردة لأنّه يجد المرارة تذهب إلى اعماق شعوره. فتطفح بمأسٍ على لسانه كما يقول الاسود بن قطبة، وهو يعيد القبائل التي انضمت إلى الفرس في سبي بعض نساء العرب المسلمين بعد أنْ افتضح امرها:

لعمرو ابي بجير حيث صاروا
ومَنْ آذاهمُ يومَ السبيِّ
لقد لاقت سراتهم افتضاحاً
وفتناً بالنساء على المطيِّ
ألا ما للرجالِ فانّ جهلاً
بكم أنْ تفعلوا فعل الصبي (٢)

من كلّ ماتقدم. وضح لنا الدور الذي لعبه الشعراء في رسم الصورة المثالية للفارس العربي، وهو يدفع، ويذب عن أرضهِ، وعرضه وشرفه، وكرامته بل ربما شارك الشعراء بمزج الالوان الجذابة، بما تحمله ارواحهم

(١) المرجع السابق / ٢٣٦ / ق ٣٣ .
(٢) شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام / ١٢٧ .

من معاني الرفعة والآباء، والشمم العربي، فدعوا محرضين اومالوا بتطريز الروابي بالمرهفات الصقال العوالي، وكتبوا أيّام الانتصار بنصالهم، ورماحهم الخطيّة في اودية ذي قار، والقادسيّة، وجلولاء، ونهاوند ممتزجة قدرتهم القتالية بقابلياتهم الفنية في توضيح حقيقة الانتصارات والدعوة في كلّ المعارك المستقبلية، من اجل ابعاد الارض العربية من نزوة كل طامع غاشم يريد فيها طمس عروبتها، ونهب خيراتها، مندفعة في نفوسهم نجدة ومروءة مَنْ ينطقون، ويدعون بالثناء لهم او الرثاء عليهم مستعرة في دواخلهم لظى نارِ الهبها المعتدي، فطفحت على السنتهم براكين متفجرة، تُنهض الراقد النائم، وتحرق الخائن المتخاذل، وكانت معهُ المرأة الشاعرة، او الام الرؤوم او الزوجة والاخت الوفية المثال الحي الذي تصطف حوله الرماح، وتندفع من اجله السيوف الصقال، لكي تبقى المرأة والارض بما تحملانه من معاني الضعف والانوثة قويتين عزيزتين بعزّة، مَنْ ركنِ اليهما، فاستقر، واستكان في هدوءٍ واطمئنان شديدين.

إنّ نفس الانسان العربي تبخس، ولايرى أمهُ الارض، وامرأته الانسانة تستذلان، وتغتصبان أمام عينيه في ضعف، واستهانة فيثور في احساسه ينبوع المعرفة، ويشتدّ ساعده دفاعاً عمّا يحب فيمتزج عرق القتال، وصهيل الخيل بخيال وافانين الشعراء من اجل الحق، والعدل، والانسان العربي الحرفي ارضهِ وسمائه.

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ الادب ومعارك العرب المصيرية / تأليف د. عادل جاسم البياتي دار الحرية للطباعة / بغداد / ١٩٨١ م .

٢ ـ اشعار النساء / المرزباني / أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) تحقيق د. سامي مكي العاني . وهلال ناجي / دار الرسالة / بغداد ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

٣ ـ اضواء على التطور التاريخي للنزاع العراقي ـ الفارسي حول الحدود د. خالد العزي ـ دار الحرية للطباعة / بغداد / ١٩٨١ .

٤ ـ الأغاني / أبو الفرج الاصفهاني / الهيئة المصرية العامة لكتاب دار الكتب / مصر ١٣٩٤/هـ ـ ١٩٧٤ .

٥ ـ أيام العرب في الجاهلية / تأليف محمد احمد جاد المولى وآخرين / لبنان بيروت / دون تاريخ .

٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية / جرجي زيدان / ط٢ / دار مكتبة الحياة / لبنان بيروت / ١٩٧٨ .

٧ ـ تاريخ الأدب العربي / العصر الجاهلي / شوقي ضيف / ط١ / دار المعارف / بمصر دون تاريخ .

٨ ـ تاريخ الأدب العربي / ر. بلاشير / ترجمة د. ابراهيم الكيلاني / دمشق ١٩٧٣ .

٩ ـ تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية / رشيد الجميلي ط ١ / لبنان / بيروت / ١٩٧٢ .

١٠ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام / ٤ ج / د. جواد علي / بغداد / ١٩٥٠ م

١١ — تاريخ الامم والملوك / الطبري / أبو جعفر محمد بن جرير / (ت ٣١٠هـ) ليدن ١٨٩٣ م .

١٢ — الحماسة / البحتري / ضبط وتحقيق / لويس شيخو / دار الكتاب العصري / لبنان / بيروت ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ .

١٣ — الحيرة المدينة والمملكة العربية / يوسف رزق الله غنيمة / مطبعة دنكور الحديثة / بغداد / ١٩٣٦ .

١٤ — الخصائص / أبو الفتح عثمان بن جنّي / تحقيق محمد علي النجار / دار الهدى للطباعة والنشر / لبنان / بيروت / دون تاريخ .

١٥ — دراسات في تاريخ العرب / عصر ماقبل الاسلام / تأليف د. عبد العزيز سالم / دار المعارف / بيروت / ١٩٦٧ .

١٦ — ديوان الاعشى الكبير / ميمون بن قيس / شرح وتعليق د. محمد محمد حسين المطبعة النموذجية / مصر / دون تاريخ .

١٧ — ديوان طرفة بن العبد البكري / الاعلم الشنتمري / تحقيق مكس سلغسون مطبعة برطرند / ١٩٠٠ م .

١٨ — ديوان عامر بن الطفيل / ابن الانباري / ط ١ / دار صادر / بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ .

١٩ — ديوان عمرو بن كلثوم / تحقيق فريتس كرنكو / مطبعة الاباء اليسوعيين / بيروت / ١٩٢٢ م .

٢٠ — رسالة الغفران / ابو العلاء المعري / تحقيق عائشة بنت عبد الرحمن / ط ٦ دار المعارف بمصر / ١٩٧٧ .

٢١ — رياض الادب في مراثي شواعر العرب / لويس شيخو / المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين / بيروت / ١٨٩٧ م .

٢٢ — سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون / ابن نباتة المصري / مطبعة البابي الحلبي واولاده / القاهرة / دون تاريخ .

٢٣ - شرح ديوان حاتم الطائي / ابراهيم الجزيني / لبنان / بيروت / دون تاريخ .
٢٤ - شرح ديوان الحماسة / التبريزي / يحيى بن علي (ت٥٠٢ هـ) / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / مطبعة حجازي / القاهرة / ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ .
٢٥ - شرح المعلقات السبع / الزوزني / ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين (ت ٤٨٦ هـ) - ضبط وتعليق محمد علي حمد الله - المطبعة التعاونية / دمشق ١٩٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
٢٦ - شعر الحرب في عصر الرسالة / تأليف د. نوري حمودي القيسي / دار الحافظ بغداد / ١٩٨٢ م .
٢٧ - شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام / تأليف النعمان عبد المتعال القاضي / الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.
٢٨ - الصلات الاسرّية في الشعر العربي قبل الاسلام / تأليف حميد آدم ثويني رسالة مطبوعة على رونيو / بغداد / ١٩٨١ م .
٢٩ - عدي بن زيد العبادي / الشاعر المبتكر / تأليف محمد علي الهاشمي / المكتبة العربية / ط ١ / حلب / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
٣٠ - العرب والأرض في العراق في صدر الاسلام / تأليف جمال محمد داود محمد جوده الشركة العربية للطباعة والنشر / عمّان / ١٩٧٩م.
٣١ - العرب قبل الاسلام / جرجي زيدان / منشورات دار مكتبة الحياة / لبنان بيروت / ط ع / دون تاريخ .
٣٢ - العقد الفريد / ابن عبد ربه / ابو عمر احمد بن بن محمد (ت ٣٢٧هـ) / تحقيق أحمد امين واخرين / لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٣٦٧ هـ / ١٣٧٢ هـ / ١٩٤٨ - ١٩٥٣م .

٣٣ــ العمدة في محاسن الشعر ونقده / ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد / ط٤ / دار الحياة / لبنان/ بيروت / ١٩٧٢ م.

٣٤ــ قس بن ساعدة الايادي/ حياته / خطبه / شعره / د. احمد الربيعي مطبعة النعمان / النجف الاشرف / ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.
دار الجاحظ / بغداد / ١٩٨١ م .

٣٥ــ لمحات من البطولة العربية في شعر الحرب / تأليف غانم جواد/ رضا / دار الجاحظ / بغداد / ١٩٨١م .

٣٦ــ مجلة آفاق عربية / عدد ٧ / بغداد ١٩٨١ / مقالة بعنوان / رمز الخليفة في العصر الاموي / د. ٥ سلسل العاني .

٣٧ــ مجلة العربي / عدد ١٧٠ / الكويت / ١٩٧٣ / مقالة بعنوان / مواقف رجال في يوم ذي قار / بقلم عبدالستار احمد فراج .

٣٨ــ مجلة كلية الاداب / دراسات في قادسية صدام / العدد ٣١ / بغداد ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١ م / شاعران من فرسان القادسيّة / جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن

٣٩ــ المسالك والممالك / الاصطخري / مطبعة ليدن / ١٨٧٠ م ــ ١٨٩٤م.

٤٠ــ معجم ما استعجم / البكري / ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقاء مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٣٦٤ هـ ــ ١٩٤٥ م.

٤١ــ الموثبات في الشعر العربي قبل الاسلام / جمع وتحقيق ودراسة / تأليف محمد فتاح الجباري / رسالة مطبوعة على رونيو / بغداد/ ١٩٨١.

٤٢ــ نقائض جرير والفرزدق / ابو عبيدة (معمر بن المثنى) ت ٢١٠هـ) مصور بالاوفسيت عن طبعة ليدن) مطبعة المثنى بغداد .

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة

دراسات في تاريخ المشرق الاسلامي

الزياريّون في جرجان وطبرستان

٣١٦هـ-٤٣٣هـ

الدكتور رشيد عبد الله الجميلي
كلية الآداب — الجامعة المستنصرية



قيام الامارة الزيارية :

قامت الامارة الزيارية في اعقاب سقوط الامارة العلوية في جرجان وطبرستان وتنسب إلى مؤسسها مرداويج بن زيار الديلمي ، وكان مرداويج من بين قادة الجيش العلوي الذين استمالهم السامانيون للقضاء على الامارة العلوية ، فتعاون في ذلك مع أسفار بن شيرويه وتمكن من هزيمة العلويين وقتل آخر امرائهم الحسن بن القاسم في رمضان من سنة ٣١٦هـ . ودخل اسفاربن شيرويه مدينة آمل بأعلام سود — شعار بني العباس — ثم استولى على طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم ، وخطب للأمير نصر بن أحمد الساماني فيها . (١) الا أن اسفار بن شيرويه مالبث

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ، أبن الاثير ، الكامل ج ٦ ص ١٨٩ — ١٩٠ .

أن خرج على طاعة نصر بن أحمد الساماني واخذ الغرور « وأراد ان يجعل على رأسه تاجا وينصب بالري سرير ذهب للسلطة ، ويحارب الخليفة، وصاحب خراسان ». (١)

وقد حاولت الخلافة القضاء على تمرد أسفار هذا ، فانفذت اليه جيشا بقيادة هارون بن غريب فتصدى أصحاب اسفار لجيش الخلافة، وتمكنوا من هزيمته على باب قزوين — ولم يبق الأمير الساماني مكتوف اليدين امام تعاظم قوة أسفار وتحديه السافر للسامانيين والخلافة العباسية في آن واحد. فخرج لقتاله على رأس جيش كبير ووصل نيسابور ، ويبدو أن أسفار أدرك عدم قدرته على الوقوف في وجه السامانيين ، فراسل الأمير نصر ابن أحمد طالبا الصلح فأجابه نصر إلى ذلك وعاد إلى بخارى .(٢)

وكان مرداويج بن زياد ينافس أسفار ويطمع في الاستيلاء على السلطة والانفراد بالحكم ، فاستغل تذمر الناس وكرههم الشديد لأسفار ، بسبب سياسته التعسفية ضدهم ، وخروجه على طاعة الخلافة العباسية ، فانتهز فرصة سيره لاخضاع أحد الخارجين على طاعة اسفار بن شيرويه ، وهو الأمير سلاد ، فاجتمع اليه واتفق معه على إقصاء أسفار عن السلطة وتخليص الناس من ظلمه وجوره . ثم شرع مرداويج بمراسلة جماعة من القادة الذين يثق بهم ، فأجابوه إلى هذا الأمر ، ومن بين الذين وافقوا على خلع أسفار ، وزيره مطرن بن محمد الجرجاني ، وسار مرداويج وسلار نحو سفار بن شيرويه ، فرحل الأخير إلى الري ومنها إلى قلعة الموت التي يضع فيها أهله وأمواله فوقع بالأسر وأمر مرداويج بقتله . (٣)

وبالقضاء على اسفار شيرويه أصبح مرداويج بن زيار أميرا على جميع البلاد التي كانت تخضع لسيطرة أسفار . وأسس ماعرف بالامارة

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ص ١٩٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٦ ص ١٩٢ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ١٩٢ .

الزيارية نسبة اليه وذكر المؤرخ ابن الأثير أن مرداويج تنقل في البلاد مدينة مدينة ، وولاية ولاية، فملك قزوين . ووعدهم الجميل فأحبوه، ثم سار إلى الري فملكها وملك همذان وكنكور ، والدينور ، وبروجرد ، وقم وقاشان ، واصبهان ، وجرياذقان وغيرها . (١)

ولم يبق خارج نفوذ مرداويج سوى طبرستان وجرجان ، وكان يتولى حكمها حليفه الأمير (ماكان بن كاكي) الذي ساعده على أسفار ، فنجح مرداويج من هزيمته . واستولى على طبرستان ثم واصل زحفه إلى جرجان ، ودخلها دون قتال بعد أن هرب أصحاب (ماكان بن كاكي) وعاد إلى أصبهان بعد أن رتب عماله على البلاد . (٢)

وقصد ماكان بن كاكي بلاد الديلم مستنجداً بأبي الفضل الثائر فسار معه إلى طبرستان الا أن بلقاسم بن بانجين نائب مرداويج بها تمكن من ردهم عن البلاد . واضطر ماكان بن كاكي للتوجه إلى نيسابور ، ودخل في طاعة السامانيين . وأمده نصر بن أحمد بأكثر جيشه لاستعادة طبرستان الا أنه أنهزم مرة أخرى وعاد إلى نيسابور . ثم حاول الاستيلاء على الدامغان الا ان بلقاسم تصدى له وأجبره على التراجع (٣) .

وذكر بن الاثير أن مرداويج أثار غضب الخليفة المقتدر بعد أن هاجم همذان . مما اضطر الخليفة إلى ارسال جيش لقتال مرداويج. الا أن الاخير تمكن من التغلب على ذلك الجيش واستولى على بلاد الجبل. كما ضم اليه الدينور . وعاث في البلاد فساداً. ونهب عساكر البلاد ثم وجد أن المصلحة تقتضي الحصول على تأييد الخلافة ودعمها الروحي لحكمه. فراسل المقتدر وتنازل له عن همذان وتعهد أن يحمل الى دار الخلافة مائتي الف دينار في كل عام(٤) .

---

(١) نفس المصدر ، ج ٨ ص ١٩٦ ، ابو الفداء المختصر ، ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٨ ص ١٩٧ ، ابو الفداء المختصر ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٨ ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٤) ابن الاثير نفس المصدر ، الكامل ج ٨ ص ٢٢٧ – ٢٢٩ . وانظر كذلك ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٩ .

ولم تتوقف أطماع مرداويج بل سعى الى ضم المزيد من البلاد الى نفوذه فزحف في سنة ٣٢١هـ نحو جرجان وكانت قد خضعت للسامانيين. فأرغم ابا بكر محمد بن المظفر نائب الامير نصر الساماني على الرحيل الى نيسابور. مما اضطر الاخير الى النهوض لقتال مرداويج. فجرت الاتصالات بين الطرفين واستقر الامر على عقد الصلح الذي نص على عودة مرداويج عن جرجان وأن يحمل الأموال الى السامانيين مقابل الاعتراف بحكمه على بلاد الري(١).

العلاقة بين الزياريين والبويهيين :

كان انتصار مرداويج بن زيار على القائد الديلمي (ماكان بن كاكي)، بداية الاتصال بين الزياريين والبويهيين. فقد ترتب على هزيمة (ماكان بن كاكي) وعجزه عن مواجهة مرداويج، تفرق أصحابه من حوله وكان من بين هؤلاء اولاد بويه بن فناخسروهم: علي والحسن وأحمد، الذين هيأت لهم مواهبهم العسكرية الوصول الى مراكز هامة في جيش (ماكان بن كاكي) وقد جرت العادة ان ينتقل الجند من خدمة أمير الى آخر، حسب الظروف الاقتصادية المرتبطة بكثرة الغنائم وقلتها. فلما ضعف أمر (ماكان بن كاكي) بعد الهزائم المتلاحقة التي مني بها. عجز نوعاً ما عن ضمان الارزاق للجند فتفرق عنه كثير من أصحابه ومنهم أولاد بويه الذين طلبوا السماح لهم بالانتقال الى غيره. وقالوا : «نحن معنا جماعة وانت مضيق والاصلح أن نفارقك لنخفف المؤنة عنك فاذا صلح أمرك عدنا اليك فأذن لهم ففارقوه ولحقوا بمرداويج»(٢).

ورحب مرداويج بأولاد بويه وأغدق عليهم الأموال، وولى عليا بن بويه حكم بلاد الكرج الواقعة بين همذان وأصبهان(٣) غير أن مرداويج ما لبث

---

(١) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٢٦٢.
(٢) أبو الفدا، المختصر، ج ٢ ص ٨٧.
(٣) ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٢٦٧ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٢٥.

أن ندم على اسراعه في تولية علي بن بويه هذا، فأراد أن يحول بينه وبين الوصول الى بلاد الكرج ،فكتب الى أخيه وشكير في الري والى أبي عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد يأمرهما بصرف اولاد بويه ومنعهم من الوصول الى الكرج، الا أن رغبة مرداويج لم تتحقق .اذ تمكن علي بن بويه من الوصول الى مقر عمله بمساعدة أبي عبد الله نفسه(١). واستقر علي في حكم البلاد، وأظهر كفاءة ومقدرة فحظي بتأييد الجند وألتف الناس حوله (٢) .

الاّ أن علياً ما لبث أن فارق بلاد الكرج، بعد ان جبى ضرائبها لمدة عام كامل. وسار جنوباً، واستولى على أصبهان سنة ٣٢١هـ بعد انتصاره على ابي الفتح ياقوت عامل العباسيين على المدينة(٣) .

وقد أثارت انتصارات علي بن بويه قلق مرداويج «وخاف على ما يبدو من البلاد، واغتم لذلك غماً شديداً»(٤) .فأرسل الى علي يعاتبه ويستميله مبدياً استعداده لمده بالعساكر الكثيرة . ليستعين بها على فتح البلاد على أن تكون الخطبة باسم مرداويج وفي نفس الوقت الذي جهز فيه جيشاً كثيفاً بقيادة أخيه وشكير بن زيار الاّ أن علياً علم بذلك، فرحل عن أصبهان بعد أن جبى أموالها مدة شهرين، وتوجه الى أرجان، ودخلها في ذي الحجة من سنة ٣٢١هـ. وكانت سياسة ابن بويه في هذه المرحلة تقضي بعدم الاشتباك مع مرداويج. ففارق أرجان خوفاً من اجتماع الأخير مع أخيه وشكير، فقصد اصطخر. وانتصر على المظفر بن ياقوت كما تمكن من الاستيلاء على شيراز بعد أن خاض معركة عنيفة في سنة ٣٢٢هـ، وتم أيضاً في السنة نفسها

---

(١) مسكويه ، تجارب الامم ج ٥ ص ٢٧٨ .

(٢) الخالدي ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ص ٣ — ٤ ، الزبيدي — العراق في العصر البويهي ، مصر ١٩٦ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) مسكويه ، تجارب الامم ج ٥ ص ٢٩٦ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٢٧٠ .

الاستيلاء على مدينة كرمان على يد أخيه أحمد بن بويه.(١).

وبعد أن تهيأ للبويهيين تحقيق هذه السلسلة من الانتصارات لم يبق امامهم سوى الحصول على موافقة الخلافة العباسية .لاضفاء الشرعية على حكمهم. فارسل علي بن بويه الى الخلفية الراضي بالله (٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ) طالباً تفويضه اعمال فارس. على أن يحمل الى دار الخلافة العباسية مبلغ الف درهم، فأجيب الى ذلك(٢) وقد ترك اعتراف الخلافةالعباسية اثراً سيئاً في نفس مرداويج فثارت ثائرته، وأصر على القضاء على حكمهم ممهاكلفه ذلك من تضحيات فارسل في رمضان من سنة ٣٢٢هـ جيشاً كبيراً الى الاحواز، وقطع بذلك الطريق على البويهيين للوصول الى بغداد ،مما أثار مخاوف علي بن بويه، فسعى الى مصالحته والتودد اليه، ليتجنب الدخول معه في حرب جديدة، وعرض على مرداويج أن يدخل في طاعته ويكون تابعاً له، وأن يخطب باسمه في بلاده واثباتاً لحسن نيته، أرسل أخاه الحسن بن بويه رهينة لدى مرداويج (٣) .

الا أن مرداويج بن زيار لم يلبث أن لقي مصرعه على يد جماعة من جنده الاتراك، وذلك بسبب تفضيله الديلم وأهانته لهم، فتحالفوا على الفتك به، وقتلوه في بداية سنة ٣٢٣هـ(٤) .واجتمع أصحابه من الديلم والجيل وتشاوروا فيما يجب أن يفعلوه بعد مصرع قائدهم مرداويج ، واتفقوا على أن يؤمروا عليهم أخاه وشمكير بن زيار. وقالوا :(ان بقينا بغير رأس هلكنا، واجتمعوا على طاعة أخيه وشمكير بن زيار، أبو قابوس ،وكان بالري، فحملوا تابوت مرداويج وساروا نحو الري، فخرج من بها من

---

(١) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٦ ص ٧٤ .

(٢) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٢٥ ، ابن الاثير الكامل ج ٨ ص ٢٧٨ (ذكر ابن الطقطقي ان عليا عرض على الخليفة مبلغ ثمانمائة الف درهم) .

(٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٥ ص ٣١٠ ـ ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٢٨٦ .

(٤) الصولي اخبار الراضي والمتقي ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ج ١ ص ٣٧٥ .

أصحابه مع أخيه وشمكير، فالتقوا على أربعة فراسخ مشاة، حفاة، وكان يوم مشهود)(١) وأما أصحابه الذين كانوا بالاحواز واعمالها فانهم لما بلغهم الخبر ساروا نحو الري، فاطاعوا وشمكير بن زيار أيضاً(٢) .وانضم فريق آخر من أصحاب مرداويج الى علي بن بويه، الذي اتاح له موت مرداويج تحقيق أهدافه في السيطرة على فارس والاحواز والري واصبهان وهمذان(٣)

وشمكير بن زيار (٣٢٣ – ٣٥٧هـ) :

واجهت الامارة الزيارية بعد مصرع مرداويج خطراً مشتركاً من جانب السامانيين والبويهيين، فقد تطلع نصر بن أحمد الساماني للاستيلاء على جرجان والري وبادر بارسال الجيوش بقيادة محمد بن المظفر بن محتاج و(ماكان ابن كاكي) فتقدم الأخير الى الدامغان، واصطدم بقوات بانجين الديلمي من اصحاب وشمكير فتمكن بانجين هذا من هزيمة (ماكان بن كاكي) على الرغم من وصول قوات محمد بن المظفر الى أرض المعركة واضطرت هذه القوات للعودة الى جرجان لمعاودة الاستيلاء عليها الا أن بانجين منعهم من ذلك . فساروا نحو نيسابور فأقاموا بها، وتولى حكمها «ما كان بن كاكي) في سنة ٣٢٤هـ، اما كرمان فقد سقطت بيد أبي علي محمد بن الياس الذي استغل غياب حاكمها (ماكان بن كاكي) واستولى عليها ولم تنجح محاولات السامانيين لاستردادها(٤) .

وفي الوقت الذي كان فيه الزياريون يواجهون السامانيين، تعرضت بلادهم الى هجوم البويهيين ،الذين تقدمت جيوشهم بقيادة ركن الدولة الحسن بن بويه، فاستولى على أصبهان وعدد من مدن الجبل، وطرد نواب وشمكير منها، مما دفع الزياريين الى مواجهة ركن الدولة، فاستمرت الحروب

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٣٠٢ .

(٢) نفس المصدر ج ٨ ص ٣٠٣ .

(٣) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٦ ص ٢٧١ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ج ١ ص ٣٧٢ .

بينهما وتبادل الطرفان النصر والهزيمة(١) .على ان الزياريين ما لبثوا أن استعادوا مدينة كرمان في سنة ٣٢٧هـ، وذلك حين أرسل وشمكير جيشاً كثيفاً الى هذه المدينة، وكان بها حينئذ ركن الدولة الحسن البويهي ،فانهزم الى اصطخر ودخل الزياريون كرمان، واقاموا الخطبة لوشمكير بن زيار الذي استولى في الوقت نفسه على قلعة الموت، وظل ركن الدولة يراقب تحركات عدوه وشمكير، فلما تأكد لديه خلو بلاده من العساكر بعد مسيرها لنجدة حليفه الجديد (ماكان بن كاكي) هاجم أصبهان واستولى عليها، ثم شرع بتحريض أمراء الاطراف على الزياريين فراسل ابا علي أبن محتاج ، واستماله اليه، فأجابه الى ذلك وانحاز الى البويهيين(٢) .

وهكذا اجتمعت على حرب الزياريين عساكر البويهيين والقوات السامانية بقيادة حليفهم أبي علي بن محتاج ،وتم اللقاء (باسحاق آباد) سنة ٣٢٩هـ، وأسفر عن هزيمة وشكمير ومصرع حليفه (ماكان بن كاكي) الذي أرسل رأسه مع الأسرى إلى بخارى عاصمة السامانيين. وتمكن أبو علي من الاستيلاء على بلاد الري ،وسير العساكر إلى الجبل ، وفرض نفوذه على زنكان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمذان والدينور إلى حدود حلوان (٣). أما وشمكير فقد سار إلى الحسن بن الفيرزان وحاصره (بساريه) سنة ٣٣٠هـ فاضطر الأخير إلى طلب المساعدة من أبي علي بن محتاج وانقلب موقف وشمكير وأصبح محاصرا من قبل الحسن وحليفه أبي علي بن محتاج فاضطر إلى طلب الصلح ، فأجابه أبا علي وشرط عليه ان يعلن ولاءه للأمير نصر بن أحمد الساماني، فوافق وشمكير على ذلك وعاد أبو علي إلى خراسان وأخذ أحد ابناء وشمكير اسمه سالار، رهينة، وذكر المؤرخ ابن الاثير ان الحسن بن الفيرزان لم يكن راضيا بالصلح الذي انعقد مع وشمكير، فلما بلغه وفاة نصر بن أحمد في رجب من سنة (٣٣هـ، عزم على الفتك بابي علي فثار به وبعسكره، فتمكن

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٣١٢ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر ج ١ ص ٣٧٢ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ص ٣٦٠ — ٣٦١ ، ابن خلدون ، العبر ٣ج ص ٨٥٢ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

أبو علي من النجاة ونهب الحسن عسكره وأخذ سالار بن وشمكير وعاد إلى جرجان واستولى عليها، كما سيطر على الدامغان وسمنان، اما وشمكير فقد سار إلى الري وتمكن من استعادتها ،فراسله الحسن بن الفيرزان في الصلح، وأطلق له ولده سالار، وكان هدف الحسن من هذا الصلح الحصول على مساعدة الزياريين في صراعه المقبل ضد السامانيين (١) .

على ان ركن الدولة وأخيه عماد الدولة لم يتركا وشمكير يستقر بالري طويلا. وكانا على علم بضعف مركزه بعد الحروب التي خاضها، فهاجما بلاد الري، وهزما وشمكير وأجبراه على الرحيل إلى خراسان(٢) .

والواقع ان الصراع بين الزياريين والبويهيين لم يتوقف طيلة عهد وشمكير . فوجد الأخير أن المصلحة تقتضي محالفة السامانيين باعتبارهم القوة التي تستطيع أن تقدم له الدعم العسكري لمواجهة أطماع البويهيين في جرجان وطبرستان وبلاد فارس الا انه لم يحقق النجاح الذي كان يتوقعه. ولم يتمكن من الاحتفاظ طويلا بهذه الاقاليم. فقد اضطر للرحيل عن بلاده اكثر من مرة تحت ضغط البويهيين المستمر ،وكان السامانيون خلال هذه المرحلة يعانون من المشاكل الداخلية الناجمة عن وفاة الأمير نوح بن نصر سنة ٣٤٣هـ حيث واجه السامانيون اعداءهم في الخارج والطامعين بالحكم من افراد الاسرة السامانية في الداخل فلم يكن في وسع أمراء هذه الدولة تقديم الدعم الكافي لحلفائهم في المنطقة (٣) .

وانتهى حكم وشمكير بوفاته في المحرم من سنة ٣٥٧هـ على أثر سقوطه عن ظهر فرسه فخلفه ولده (بهستون) الذي تلقب بظهير الدولة ،فعمل على أقامة علاقات طيبة مع البويهيين، فراسل ركن الدولة بن بويه وصالحة فأمده

(١) نفس المصدر ، ج ٨ ص ٣٨٩ — ٣٩٠ .

(٢) نفس المصدر ج ٨ ص ٣٦٠ .

(٣) الجميلي والمعاضيدي ، تاريخ الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب ص ٤٥ — ٤٧ .

الأخير بالاموال والرجال وتمكن (بهسون) من العودة إلى طبرستان (١)، واستمر حكم بهسون هذا تسع سنوات حيث توفى في جرجان سنة ٣٦٦هـ وخلف ولدا صغيرا كان يقيم بطبرستان مع جده لامه فطمع جده بأخذ الملك لنفسه ،ورحل إلى جرجان، وقبض على جماعة من الامراء الذين يميلون إلى تولية قابوس — أخو بهسون — فبلغ بذلك قابوس، فاسرع إلى جرجان، وخرج الجيش لاستقباله فدخل المدينة وأخذ ابن أخيه وجعله مع أبنائه ،ثم سار إلى طبرستان واستولى عليها (٢) .

العلاقات بين الزياريين والبويهيين في عهد قابوس بن وشمكير :

تدهورت العلاقات بين الزياريين والبويهيين على اثر التجاء فخر الدولة بن ركن الدولة البويهي إلى جرجان بعد هزيمته امام أخيه عضد الدولة في سنة ٣٦٩هـ ، فقد ذكر ابن الأثير ان فخر الدولة انزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير والتجأ اليه فأمنه وآواه ، وحمل اليه فوق ماحدثت به نفسه وشركه فيما تحت يده من ملك وغيره (٣) .

ولما بلغ ذلك عضد الدولة راسل قابوس محاولا اقناعه تسليم فخر الدولة . الا ان قابوسا رفض الاستجابة لطلب عضد الدولة فارسل إلى الخليفة الطائع لله... العباسي طالبا تفويض مؤيد الدولة أبي منصور حكم جرجان وطبرستان وارسال العهد واللواء والخلع السلطانية. فأجابه الخليفة إلى ذلك ، وبادر عضد الدولة إلى انقاذ الجيوش إلى جرجان بقيادة أخيه مؤيد الدولة، فلما علم قابوس بذلك اسرع إلى مواجهته فتم اللقاء بنواحي استرباد على بعد عشرة فراسخ من طبرستان، وكان قابوس حفر بظاهرها خندقا أجرى

(١) الصابي ، المنتزع من كتاب التاجي ، تحقيق د . محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، ١٩٧٧ ص ٧٠ .
ورد اسم بهسون في الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٥٧٨ (بيستون) وسماه ابو الفدا في المختصر ج ١ ص ١٨٨ بهستون .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ج ٨ ص ٦٨٨ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ص ٦٨٨ .

فيه المياه وبنى عليه ابراجا رتب عليها الرماة، وجرت الحرب بين الطرفين واوشك جيش مؤيد الدولة على الهزيمة وانسحب من أرض المعركة، غير ان قابوسا لم يحاول استثمار هذا التراجع بالقضاء على خصمه الذي مالبث أن عاد إلى مهاجمة الزياريين بعد مدة اسبوع وتمكن من انزال الهزيمة بعساكر قابوس في جمادي الاول من سنة ٣٧١هـ (١).

وتوجه قابوس بعد هذه الهزيمة إلى أحد القلاع التي كان يضع فيها أمواله وذخائره، ثم قصد نيسابور حيث لحق به فخر الدولة، واستقر الرأي على مراسلة نوح بن منصور الساماني والتماس المساعدة على حرب عضد الدولة فأجابهما نوح إلى ذلك، وكتب إلى حسام الدولة والي نيسابور يأمره بجمع العساكر والسير معها لقتال عضد الدولة، وخرج حسام الدولة على رأس قوات كثيفة يرافقه فخر الدولة وقابوس بن وشمكير. فحاصر جرجان مدة شهرين، اضطر أهلها للخروج وقاتلوا حسام الدولة ومن معه قتالا شديدا انتهى بهزيمته وعودته إلى نيسابور (٢).

وبعد مضي عامين على هذه الهزيمة أتيحت الفرصة امام فخر الدولة للعودة إلى نيسابور وذلك بعد وفاة اخيه مؤيد الدولة في شعبان من سنة ٣٧٣هـ واتفق الامراء على استدعائه ليتولى حكم جرجان. فعاد إلى جرجان في رمضان من السنة نفسها، ووصلت اليه خلع الخلافة العباسية في السنة التالية أي في سنة ٣٧٤هـ (٣).

عودة قابوس إلى جرجان:

كان فخر الدولة البويهي يرغب في اعادة جرجان إلى حليفه قابوس بن وشمكير تقديرا لمواقفه المؤيده له خلال صراعه مع اخيه عضد الدولة، كما

---

(١) ابو شجاع، ذيل تجارب الامم ص ١٦ — ١٧، ابن الوردى — تتمة المختصر ج ١ ص ٤٢٣.

(٢) ابن الاثير، الكامل ج ٩ ص ١١ — ١٢.

(٣) ابن الوردى، تتمة لمختصر ج ١ ص ٤٢٥.

أن وشمكير كان قد خسر نفوذه في هذه البلاد بسبب الحرب التي خاضها الى جانب فخر الدولة، غير أن الصاحب بن عباد وزير فخر الدولة منعه من الاقدام على مثل هذا العمل، وصرف عنه التفكير في هذا الأمر، نظراً لأهمية جرجان وموقعها الستراتيجي ، فبقيت هذه المدينة خارج نفوذ الزياريين حتى وفاة فخر الدولة البويهي في شعبان من سنة ٣٨٧هـ وقيام ولده مجد الدولة بالحكم من بعده، وكان طفلا في الرابعة من العمر، فوجد قابوس ان الوقت قد حان لاستعادة جرجان، وجهز جيشاً إلى جبل شهريار ، وكان بيد رستم بن المرزبان خال مجد الدولة — فتمكنت جيوش الزياريين من هزيمته ،والخطبة لقابوس في الجبل وأمل (١).

وكان اهل جرجان يتطلعون لعودة اميرهم قابوس بن وشمكير، فاغتنموا وفاة فخر الدولة وقيام ولده الصغير بالامر من بعده. وارسلوا إلى قابوس يحثونه على التوجه اليهم ،فبادر الاخير بالرحيل عن نيسابور، وكانت الجيوش المرابطة في الجبل وأمل قد تمكنت من هزيمة قوات مجد الدولة واجبرتها على التراجع إلى جرجان فلما أصبحت هذه القوات على مقربة من المدينة وجدت ان مقدمة عساكر قابوس قد وصلت جرجان فانهزمت دون قتال، ودخل قابوس المدينة في شعبان من سنة ٣٨٨هـ، وتم له الاستيلاء بعد ذلك على البلاد الواقعة بين جرجان واستراباد (٢) .

الا ان قابوس هذا لم يلبث ان تعرض في سنة ٤٠٣هـ إلى مؤامرة دبرها جماعة من جنده الذين اتفقوا على خلعه عن الحكم ، بسبب سياسته الشديدة التي اتبعها ضدهم .فقد ذكر ابن الجوزي ان (اصحابه تغيروا عليه حين سطا بهم وترك الرفق وقتل خواصه فاجتمع نفر منهم إلى ابنه منوجهر واعلموه أنهم قد عزموا على قتل قابوس وأنه ان لم يقبض عليه قرنوه به فقبض عليه .ورقاه القلعة ومنعه مايتدثر به في شدة البرد فهلك) (٣). اما

---

(١) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ص ٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .

(٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٦٤ .

رواية ابن الاثير فتختلف عما اورده ابن الجوزي في المنتظم . ، حيث ذكر ان الجند حاصروه في احدى القلاع التي كان يقيم بها ونهبوا امواله ،.. فقاتلهم عدد من أصحابه المقربين ،فلم يتكفوا من الظفر به فدخلوا جرجان، واعلنوا العصيان، ثم راسلوا منوجهر بن قابوس وكان مقيما آنذاك بطبرستان ، واستدعوه ليتولى حكم الامارة الزيارية بدلا من أبيه فأسرع بالتوجه نحو جرجان خوفا من تطور الاحداث إلى غير صالحه وحرصا منه على حياة ابيه فدخل جرجان، وعرض عليه الجند أن يخلع أباه فأجابهم إلى ذلك على كره «وارغموه على السير معهم لقتال والده، وكان قابوس قد رحل إلى قلعة (بسطام) واعتصم بها، ليراقب تطور الاحداث في جرجان فأحاط به الجند، وتمكن منوجهر من مقابلة ابيه، وأبدى له استعداده لمفارقة الجند والانضمام اليه الا أن اباه رفض هذا الرأي، ونصحه بالعودة اليهم وتولى امور البلاد، وسلمه خاتم الملك» واتفق على ان ينتقل هو إلى قلعة جناشك يتفرغ للعبادة إلى أن يأتيه اليقين ، وينفرد منوجهر بتدبير الملك (١) وعاد منوجهر إلى جرجان ، وحاول استمالة الجند وارضاءهم، الا أنهم أصروا على ضرورة التخلص من والده ، عجبه أن بقاءه على قيد الحياة بشكل خطرا عليهم وقالوا مهما كان والدك في الحياة لانأمن نحن ولاأنت، واستأذنوه في قتله، فلم يرد عليهم جوابا، فمضوا إلى الدار التي كان يقيم فيها قابوس وأخرجوه ثم اخذوا ماعليه من كسوة وكان الزمان شتاء فمات من شدة البرد (٢).

والواقع ان كلتا الروايتين تتفقان على أن منوجهر خضع لارادة الجند الثائرين تحت تأثير التهديد بالقتل، فيما اذا لم يستجب لرغبتهم، وكان يدرك تماما انه عاجز عن اتخاذ أي خطوة ضدهم في تلك الظروف فتظاهر بالقبول، وكان يعتقد أنه بامكانه اذا مآل اليه حكم البلاد استرضاءهم

(١) ابن الأثير ، الكامل ج ٩ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) نفس المصدر ج ٩ ص ٢٣٩ .

وصرفهم عن قتل أبيه، الا انه لم يوفق في ذلك، فصمم على الانتقام لابيه بعد أن يتملك اسباب القوة ويفرض سيطرته على البلاد، فسارع إلى اعلان تبعيته للدولة الغزنوية، وخطب للسلطان محمود بن سبكتكين على منابر بلاده وساك العملة باسمه، ثم عرض على السلطان أن يزوجه من احدى بناته فأجابه على طلبه، وقد دعمت هذه المصاهرة من مركز منوجهر في جرجان وتمكن من الانتقام من قتلة ابيه فأبادهم جميعا (١).

العلاقات مع البويهيين في عهد منوجهر :

بعد أن تهيأ لمنوجهر القضاء على اعدائه ومناوئيه في الداخل انصرف لتدبير شؤون الامارة الزيارية واستعاد ماخسرته من نفوذ في المنطقة المجاورة فحاول استغلال الظروف التي كان يمر بها البويهيون آن ذلك ، فشارك بطريق مباشر أو غير مباشر في الصراع الذي قام بين أفراد الأسرة البويهية من جهة وبينهم وبين اعدائهم الطامعين في الملك من جهة أخرى، وكان الزياريون يهدفون من هذا التدخل الحصول على مناطق نفوذ جديدة . وتدعيم مركزهم في جرجان وطبرستان وقدحدث في سنة٤٠٧هـ أن اعلن (أبن فولاذ) عصيانه على البويهيين ، وكان قد استفحل أمره وعظم شأنه، بعد أن اجتمع لديه عدد كبير من المؤيدين . فطلب من مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي، اقطاعه ولاية قزوين ليتخذها مركزاً له ولاصحابه، فلم يجبه إلى ذلك ،فشرع في شن الهجمات على اطراف ولاية الري، وقطع الطرق، واستولى على عدد من القرى في المنطقة. فاستعان مجد الدولة بالامير أصبهبذ ،فجرت بين الاخير وابن فولاذ عدة مواقع، انتهت بهزيمة ابن فولاذ ولجوئه إلى الدامغان حيث تلاحقت به فلول اصحابه (٢) .

الا ان هزيمة ابن فولاذ لم تضع حداً لاطماعه في املاك البويهيين . فسعى إلى محالفة الزياريين ودعاهم إلى مساندته، على أن يتعهد بالخطبة لمنوجهر

---

(١) نفس المصدر ج ٩ ص ٢٣٠ ابو الفداء المختصر ج٢ ص ١٤٢ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ج ٩ ص ٢٦٨ .

في البلاد التي سيتم الاستيلاء عليها، كما وعد بحمل الاموال اليه، وقد لاقت دعوة ابن فولاذ هذه ترحيبا لدى منوجهر، فامده بالفي رجل، تمكن أبن فولاذ من مهاجمة ولاية اصبهان. فاضطر مجد الدولة إلى مصالحته، وتنازل له عن أصبهان، فدخلها ابن فولاذ وأمر عساكر منوجهر بالعودة إلى بلادهم. واعلن ولاءه لمجد الدولة البويهي (١).

وعلى الرغم من أن منوجهر لم يحصل على أية مكاسب في هذه الحرب، الا انه ذلك لم يمنعه من مواصلة سياسته الرامية إلى التدخل في شؤون الدولة البويهية، ومساعدة المناوبين على طاعتها، ففي سنة ٤١٨هـ كان الصراع على أشده بين علاء الدولة بن كاكويه وعلى بن عمران فشرع الاخير بالتماس الحلفاء. فراسل اصبهيذ أمير طبرستان وكان مقيما انذاك بالري مع (ولكين بن وندرين) وحثه على قصد بلاد الجبل، كما اتصل بالأمير الزياري منوجهر بن قابوس طالبا إمداده بالعساكر. فزحف اصبهيذ مع (ولكين بن وندرين) إلى همذان فاستوليا عليها وعلى جميع اعمال الجبل فوصلت اليها فرقة من الجيش الزياري. وسار الجميع إلى اصبهان. فتحصن علاء الدولة، فحاصروه اربعة ايام ثم اضطروا للانسحاب، فتعقبهم علاء الدولة إلى نهاوند، واشتبك معهم في معركة عنيفة كان النصر فيها حليف علاء الدولة، ووقع اصبهيذ في الاسر مع ولدين له ووزيره. أما علي بن عمران فقد تحصن بقلعة كنكور، ومضى (ولكين بن وندرين) إلى منوجهر بن قابوس، وحرضه على مهاجمة بلاد الري، منتهزاً فرصة انشغال علاء الدولة بمحاصرة عدوه علي بن عامر في قلعة كنكور فأمده بفرقة من الزياريين، فسار إلى الري وقاتل مجد الدولة البويهي فلما بلغ ذلك علاء الدولة، اضطر إلى مصالحة علي بن عمران، والتوجه إلى الري فرحل ولكين بن وندرين عنها، وارسل علاء الدولة إلى منوجهر رسالة وبخه فيها على مساندة أعدائه وتهدده بقصد بلاده، ويبدو ان علاء الدولة آثر القضاء على علي بن عمران أولا، وكان الاخير

(١) نفس المصدر ج ٩ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

معتصما بقلعة كنكور، فلما علم بوصول عساكر علاء الدولة أرسل يستمد منوجهر فأمده بستمائة فارس وراجل مع قائد من قواده، وشدد علاء الدولة حصاره على قلعة كنكور، فاضطر علي بن عمران إلى طلب الصلح فاشترط علاء الدولة ان يسلمه القلعة والذين قتلوا ابن عمه اضافة إلى القائد الذي أرسله منوجهر بن قابوس ،فوافق علي على هذه الشروط (١).

وحذا منوجهر حذو علي بن عمران، فارسل يسترضي علاء الدولة فتم الصلح بينهما، واطلق علاء الدولة سراح قائد الجند الزياري الذي كان معتقلا عنده (٢). غير ان الزياريين مالبثوا ان واجهوا ضغطا من جانب الغزنويين في سنة ٤٢٠ هـ حين استولى السلطان محمود بن سبكتكين على بلاد الري وقزوين ومدينة ساوة وأبة وغيرها ثم تطلع نحو الزياريين ويبدو أن منوجهر كان يتوقع أن تكون بلاده الهدف التالي للسلطان الغزنوي، فتحصن بالجبال. الا أن السلطان تمكن من الوصول اليه (فهرب منه إلى غياض حصينه) ثم راسل السلطان محمود ملتمسا الصلح، ويتعهد له بدفع مبلغ خمسمائة ألف دينار فوافقه السلطان على ذلك واصطحبه معه إلى نيسابور(٣).

ولم يمتد عهد منوجهر بعد ذلك سوى بضعة أشهر حيث توفي في اواخر سنة ٤٢٠ هـ، وخلفه في حكم الزياريين ولده انو شيروان الذي عرف باسم (دارا). فاقره السلطان محمود الغزنوي على ولايته على ان يحمل خمسمائة دينار أخرى (٤).

ولم يلبث السلطان محمود أن توفي في ربيع الآخر من سنة ٤٢١ هـ تاركا الحكم لولده مسعود الذي أقر أنو شيروان على جرجان وطبرستان. كما حرص على إقامة علاقات طيبة مع الزياريين، فتزوج من ابنة أبي كاليجار

---

(١) ابن الاثير، الكامل ج ٩ ص ٣٥٨ - ٣٥٩.
(٢) نفس المصدر ج ٩ ص ٣٧١ - ٣٧٢.
(٣) نفس المصدر ج ٩ ص ٣٧١ - ٣٧٢.
(٤) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٣٧٢، ابو الفداء المختصر ج ٢ ١٥٧.

النوهي قائد الجيش الزياري ، الا ان العلاقات مالبثت أن تدهورت بين الزياريين والغزنويين ، فقد استغل أنو شيروان غياب السلطان مسعود في بلاد الهند ، وشرع بمراسلة علاء الدولة بن كاكويه وغيره من امراء الاطراف ودعاهم للوقوف معه في وجه السلطان مسعود . فأجابوه الى ذلك بعد أن بلغهم خروج قبائل الغز السلاجقة الى خراسان . فلما عاد مسعود من الهند سنة ٤٢٦ هـ تقدم نحو خراسان وتمكن من هزيمة السلاجقة هناك ثم سار الى جرجان واستولى عليها ، وزحف نحو طبرستان ، فاضطر أنور شيروان الى الانسحاب ودخل منطقة وعرة المسالك كثيرة الشجر ، الا ان السلطان نجح في الوصول اليه وقتله وأسر عدد من أصحابه ، ولم يجد أنور شيروان امامه سوى طلب العفو من السلطان الغزنوى ، فوافق على ذلك على ان يحملوا الاموال التي تعهدوا بدفعها من قبل (١) .

استيلاء السلاجقة على جرجان وطبرستان وسقوط الاسرة الزيارية :

شهد القرن الخامس الهجري اشتداد الصراع بين الغزنويين والسلاجقة الذين اسسوا دولة قوية لم تلبث ان اصبحت القوة المسيطرة على المشرق الاسلامي وأمتد نفوذها فيما بعد ليشمل العراق واسيا الصغرى وبلاد الشام وكانت معركة دندانقان التي خاضها السلاجقة ضد الغزنويين في سنة ٤٣١هـ من المعارك الحاسمة في تاريخ السلاجقة ، فقد اتاح لهم انتصارهم في هذه المعركة فرض نفوذهم على معظم بلاد فارس واقليم ماوراء النهر (٢) .

وحصل السلاجقة على اعتراف الخلافة العباسية في سنة ٤٣٢ هـ وكانوا قد اتفقوا على تنصيب طغرل سلطانا عليهم وقائدا على جيوشهم . فعمل على جمع كلمة افراد الاسرة السلجوقية ليتسنى له تحقيق أهداف السلاجقة في بناء دولة قوية . وقرر أن يتخذ من مدينة الرى عاصمة له ، وشرع

(١) ابن الأثير الكامل ج ٩ ص ٤٤٢ .

(٢) عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ، مصر ١٩٧٥ ، ص ٣١ - ٣٢ .

باستكمال اخضاع باقي بلاد فارس ثم التوجه الى العراق . فتطلع نحو جرجان وطبرستان للقضاء على حكم أنور شيروان الزياري وتحركت قواته في سنة ٤٣٣ هـ . فلما علم أنور شيروان بذلك ادرك أنه لاطاقة له بدفع السلاجقة فاعلن خضوعه للسلطان طغرل ، واداء ضريبة سنوية الا ان السلطان السلجوقي لم يلبث أن عين على جرجان وطبرستان واليا من قبله ، فأنهى بذلك حكم الاسرة الزيارية في هذا الاقليم (١) .

* * * * * * * *

* * * *

* *



(١) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٤٩٦ – ٤٩٧ ، أبو الفدا المختصر ج ٢ ص ١٦٧ .

المصادر :

١ — الاصطخري ، المسالك والممالك، طبعة ليدن ١٩٢٧م

٢ — الاصفهاني، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء. برلين ١٣٤٠هـ

٣ — البخاري، السلسلة العلوية، النجف ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م

٤ — الطبري، تاريخ الرسل والملوك طبعة مصر تحقيق ابو الفضل ابراهيم

٥ — الصولي اخبار الراضي والمتقي

٦ — المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة ١٩٥٨

٧ — الشابي المنتزع من كتاب التاجي .تحقيق د. محمد حسين الزبيدي بغداد ١٩٧٧

٨ — المقدسي احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طبعة ليدن ١٩٠٦

٩ — اليعقوبي البلدان. طبعة النجف ١٣٥٨هـ

١٠ — ابن الاثير الكامل في التاريخ طبعة بيروت ١٩٦٦

١١ — ابن اسفنديار تاريخ طبرستان. طهران ١٣٢٠هـ

١٢ — ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والامم حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ

١٣ — ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر بيروت ١٩٦٥

١٤ — ابن خلكان وفيات الأعيان .مصر ١٩٤٨ — ١٣٦٧

١٥ — ابن الطقطقي الفخري في الآداب السلطانية القاهرة ١٣٨١هـ ١٩٦٢م

١٦ — ابن الفقيه مختصر البلدان ،ليدن ١٣٠٢هـ

١٧ ــ ابن الوردي تتمة المختصر في اخبار البشر ،مصر ،١٢٥٨هـ
١٨ ــ ابو شجاع ذيل تجارب الامم نشر امدروز ١٩١٦م
١٩ ــ ابو المحاسن النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية
٢٠ ــ مسكويه تجارب الامم، مصر ١٣٣٢هـ ــ ١٩١٤م
٢١ ــ ياقوت الحموي معجم البلدان ،طبعة بيروت ١٩٥٥



المراجع الحديثة

(١) د. عبد العزيز الدوري دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد ١٩٤٥

(٢) مهدي جواد الحبيب الدولة العلوية في طبرستان، رسالة ماجستير على الالة الكاتبة ١٩٦٨ كلية الاداب/جامعة بغداد

(٣) الشيخ محمد الخضري تاريخ الامم الاسلامية، جزءان طبعة مصر ١٣٧٦هـ

(٤) د. رشيد الجميلي د. خاشع المعاضيدي، تاريخ الدولة الاسلامية في الشرق والغرب. بغداد. ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠.

(٥) د. فاضل الخالدي الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري. بغداد ١٩٦٩

(٦) د. محمد حسين الزبيدي العراق في العصر البويهي. مصر ١٩٦٠ .

(٧) د. عبد النعيم حسين دولة السلاجقة. مصر. ١٩٧٥ .

دراسة تطويرية للطريقة التي توصف بها الأصوات المعتلة القياسية للتمييز بين مواقعها

لازم مهران اوانيس
كلية التربية / جامعة الموصل

ملخص البحث

البحث عرض مقتضب لتحليل واقع الطرق التي تتبع حالياً في وصف الاصوات المعتلة القياسية بنوعيها الاولية والثانوية وذلك باعتماد بعدين من القياس فقط فيأتي مقترح البحث باضافة بعدٍ جديدٍ لطريقة الوصف يمثل صفة مميزة ثالثة سهلت التغلب على مكامن الضعف ومجالات اللبس في طريقة الوصف السابقة وعليه امكن تبيان الفرق بين مواقع الاصوات المعتلة القياسية الاولية والثانوية بتحديد مواقع جديدة تختلف نوعاً ما عن سابقاتها مما هو متداول عادة .

دراسة تطويرية للطبقة التي توصف بها
الاصوات المعتلة القياسية للتمييز بين مواقعها

لقد اصبح بديهياً جداً للباحث الذي يريد وصف النظام الصوتي لاي لغة ان يقسم هذا النظام الى مجموعتين رئيسيتين من الاصوات المتباينة تماماً لكنها تتشابه الى حد ما داخل المجموعة الواحدة. فاللفظة (Conconants) اي الاصوات الصحيحة وكذا (Vowels) اي الاصوات المعتلة قد استعملت ولعدة قرون خلت مسميين(١) لهاتين المجموعتين في أي محاولة لوصف الاصوات اللغوية(٢).

ولما شهد العصر الحديث تطوراً ملموساً في هذا الخصوص واصبحت المحاولات الجدية في وصف الاصوات اللغوية بتقسيمها الى مجموعتين فقط مصدراً لكثير من التشويه للحقيقة وابتعاداً عن الدقة العلمية المطلوبة في اظهار صفتي الشمولية والثبات في وصف الاصوات اللغوية، حيث امكن في الوقت الحاضر التمييز بين مستويين مختلفين من الوصف للاصوات اللغوية. فالوصف اللغـــــوي Linguistic Description يختلف في مسلكه تماماً عن الوصف الصوتي Phonetic Description . وهكذا فقد اصبح ممكناً استعمال اللفظتين اصوات صحيحة واصوات معتلة– في مستوى الوصف اللغوي ويتعذر استعمالهما في مستوى الوصف الصوتي اذا ما اريد المحافظة على صفتي الشمولية والثبات في اظهار الحقائق العلمية المجردة تماماً(٣).

ففي مستوى الوصف الصوتي .امكن حصر كثير من الفروق المميزة للاداء الصوتي لكل الاصوات الصحيحة والمعتلة وكذلك امكن التعرف على نموذج للاداء الصوتي لكثير من الاصوات المختلفة باستعمال التقنية الحديثة من تصوير بالاشعة السينية الثابتة والمتحركة(٤) التي اظهرت جلياً كثيراً من الفروق المميزة بين الاصوات الصحيحة والمعتلة. فأصبح سهلا التمييز بين درجة ونوع التضييق (٥) Stricture الحادث في المجرى

الهوائي في اثناء التلفظ. فالاصوات الصحيحة هي تلك الاصوات التي يتم لفظها بانسداد كامل او تضييق كبير للمجرى الهوائي او كليهما معاً. فما عدا هذه الحالات تعدّ من الاصوات المعتلة

من هنا نجد ان التصوير بالاشعة السينية قد وفر للباحث في علم الصوت امكانية الحصول على صور حقيقية للاداء الصوتي في اثناء التلفظ وبدقة وامانة جيدة فاتحة الطريق امام وصف صوتي دقيق وعلمي لكثير من الاصوات اللغوية التي ادت بدورها إلى تطوير علم الصوت تطويرا ملحوظا.

الا ان الباحث المتفحص للحقائق العلمية الذي ينشد ادق المعلومات الصوتية من اجل التوصل إلى الحقائق المطلوبة بدرجة عالية من الضبط والدقة قد يجد في تقنية متطورة كهذه قسما كبيرا من ضالته المبتغاة ولكن ليس جميعها. فعلى الرغم من كون التقنية المذكورة تعتمد اسلوبا علميا معترفاً به الا انه لايزال هناك اساليب علمية اخرى يمكن الاعتماد عليها من اجل اظهار ادق للحقائق العلمية المنشودة التي لايمكن الحصول عليها في حال استعمال التصوير الشعاعي فقط. والتحليل العلمي للمعلومات عن الاداء الصوتي في اثناء التلفظ والمستقاة من التصوير الشعاعي سينصب على مايمكن ترجمته من حقائق تظهر على ورق التصوير منقولاً على ورق رسم بياني متميز ببعدين فقط هما البعد الافقي والبعد العمودي. فدرجة دقة هذه المعلومات مرهونة بما يمكن قراءته ثم توضيحه على البعد الافقي مضافا له البعد العمودي ليس غير وهكذا فان احتمالية فقدان قسم من المعلومات المنشودة لازالت واردة نظرا لمحدودية التقنية المستعملة والمتمثلة ببعدين فقط.

ولأجل ايجاد الحلول لبعض من هذه المشاكل ستأتي هذه الدراسة بمقترح جديد لامكانية اضافة بعد آخرا البعدين المستعملين في وصف الاصوات اللغوية من اجل التوصل إلى درجة عالية من الدقة للاداء الصوتي التي كما نعتقد ستمكن الباحث من اظهار الحقائق الصوتية بشمولية ادق

وثبوتية اعم ولتحقيق ذلك ستنصب هذه الدراسة على اسلوب دراسة الاصوات المعتلة القياسية (٦) بنوعيها الاولية والثانوية، نظرا لاعتمادها كليا على البعدين في الوصف الصوتي هما البعد الافقي والعمودي فقط.

فمن الواضح جدا ان اي عمل يتعلق بالدراسة الوصفية للاصوات المعتلة يرتبط بصورة عامة بالفكرة القائلة ان الاصوات المعتلة ماهي الا نغمة صوتية اصلا فهي اصوات مجهورة تلفظ جميعها بتذبذب الحبال الصوتية الا انها تتمايز فيما بينها بتأثير عامل الرنين (resonance) الذي يتم في التجاويف الصوتية العليا للبلعوم والانف والفم (٧).

وبما ان النغمة الصوتية تعرف من مقدار ذبذبات الحبال الصوتية حيث ان الذبذبة الواحدة هي حركة فتح وغلق للمجرى الهوائي في داخل الحنجرة وهي تحدث بنتيجة دفع الحبال الصوتية جانبا بالهواء الصاعد من الرئتين ثم عودتها إلى التلاصق مرة اخرى.

وبتكرار الذبذبة هذه تحدث النغمة الصوتية، فأن معدل الذبذبات الصوتية هذه تحدد التردد الرئيسي (Fundamental Frequency) للنغمة الصوتية(٨) عند الانسان.

ولكن ليس كل الاصوات المعتلة هي مجهورة (Voiced) يتحدث الباحث ابروكرومبي (٩) عن انواع من الاصوات المعتلة غير المجهورة (Voiceless) اي بدون ذبذبات الحبال الصوتية المكونة للنغمة الاساسية. فهو يذكر ان اصواتا معتلة مهموسة (Whispered) واخرى صريرية (CREAky) ولاهثة (brea-thy) قد تكون موجودة في تلفظ قسم من الاصوات المعتلة للغات معروفة في هذا العالم. وهو يذكر المثال الاتي المأخوذ من تلفظ اللغة الانكليزية فالكلمة potato تلفظ بثلاثة اصوات صحيحة متعاقبة مع ثلاثة كالاتي (صحيح ــ علة صحيح ــ علة ــ صحيح ــ علة) ولكن في بعض الاحيان يلفظ الصوت المعتل الاول مهموسا وليس مجهورا (١٠)

كالصوتين المعتلين الاخرين، تلفظ الكلمة (P̥əteitəu) بنوعين مختلفين تماما من الاصوات المعتلة.

كما ان الباحث نفسه (١١) يذكر مثالا آخر لاصوات معتلة تلفظ بمزيج متجانس من الهمس الساكن (بدون ذبذبات) والهمس الخافت (بذبذبات) فالصوت /h/ بالانكليزية يمكن اعتباره صوتا معتلا ساكنا (بدون ذبذبات) مضافا اليه الهمس الخافت (بذبذبات). بينما الصوت (h) بالانكليزية يعتبر صوتا ساكنا (بذبذبات) مضافاً له الهمس الخافت (بذبذبات ايضا عندما يقع بين صوتين معتلين (بذبذبات) كما في اللفظة *behind* حيث تلفظ (bəʎaind)

اما الباحث بايك (Pike) (١٢) فيتحدث عن انواع اخرى من الاصوات المعتلة التي يمكن نطقها باستعمال انواع مختلفة من حركة انسياب للهواء بشرط ان يكون اللسان قد احتل موقعا مماثلا للمواقع التي تنطق بها الاصوات المعتلة عادة عندما تلفظ بحركة انسياب الهواء من الرئتين.

هذا مع العلم بأن قسما كبيرا من اصوات معتلة كهذه لايمكن سماعها بسبب ضعف انسياب الهواء وقصر مدته ايضا، فالاحتكاك الصوتي المطلوب لسماع هذه الاصوات والناتج من حركة الانسياب الضعيف هذا يكون خافتا جدا فلهذا لايمكن سماعه احيانا. اما الاصوات المعتلة ــ وعلى الرغم من خلوها من الاحتكاك او الانفجار الصوتي او كليهما فهي تسمع كما اسلفنا بنتيجة الرنين الذي يطرأ على النغمة الصوتية الاساسية للحبال الصوتية

وبعكسه الاصوات الصحيحة التي تسمع بوضوح، وذلك اما لانها مجهورة (بذبذبات مضاف لها احتكاك (friction) او انفجار صوتي (plosion) او احتكاك وانفجار صوتي في آن واحـــــد عندما يحدث التضييــق او الانسداد التام للمجرى الهوائي في اثناء التلفظ وفي اي مخرج في التجاويف العليا (Supraglottal Organs) .

لهذا فان الرنين الذي يحدث في التجاويف العليا يؤثر تأثيرا مباشرا على نوعية المادة الصوتية من دون ان يضيف عليها احتكاكا صوتيا موضعيا (local friction).

وتبقى الاصوات المعتلة الساكنة (بدون ذبذبات) مختلفة عن سابقتها

الجدول رقم (١) الآتي يوضح هذه الحقيقة :

الرمز الصوتي	وصفه	النغمة	الرنين	الاحتكاك الموضوعي	درجة السماع
[ə̥]	علة مهموس (غير مذبذب)	—	—	—	+
[h̥]	علة (غير مذبذب)	—	—	+	√
[f]	صحيح احتكاكي (غير مذبذب)	—	—	+	√
[v]	صحيح احتكاكي (مذبذب)	+	+	+	√
[t]	صحيح انفجاري (غير مذبذب)	—	—	+	√
[d]	صحيح انفجاري (مذبذب)	+	+	—	√
[i]	علة (مذبذب)	+	+	—	√

تماما وذلك لان تأثير الرنين على مادتها الصوتية يكون معدوما كليا لخلوها من النغمة الصوتية الاساسية ذاتها والمطلوبة اصلا في مثل هذه الحالة فهي لاتسمع الا باضاءة احتكاك صوتي موضعي على مادتها الصوتية.

من هنا وجب ان يكون وصف الأصوات المعتلة المذبذبة مبنياً بالدرجة الأولى على مقدار النغمة الصوتية التي تنتجها الحبال الصوتية اثناء النطق والتي يتم تحويرها مباشرة بالرنين في التجاويف العليا ويتفاوت متباين مسببا تنوعاً في مادة الأصوات المعتلة : فنسمعها على شكل اصوات مختلفة فقد امكن التوصل إلى وصف فيزيائي دقيق لهذه الاصوات وذلك بتسجيلها ثم تحليلها طيفيا (١٣) (Spectrographic Analysis) فأمكن تحديد معدل التذبذب للحبال الصوتية المسببة للنغمات الأساسية لمختلف الاصوات المعتلة حيث امكن تقدير قيمتها بالذبذبة في الثانية الواحدة وهي تدعى هرتز (Htz.) ايضا والذي يعتبر وحدة القياس للذبذبات الصوتية . وعليه أمكن مؤخرا التوصل إلى وصف دقيق للنوعية المعقدة للمادة الصوتية (١٤) الناتجة من تحوير النغمات الأساسية بواسطة الرنين حيث نسمع عادة اصواتا مختلفة ندعوها الاصوات المعتلة . الجدول رقم (٢) يوضح ببساطة هذه الحقائق .

ان قراءة التردد في المنطقة الأولى يدلنا على مقدار التردد الاساسي للنغمة الصوتية المسببة للاصوات المعتلة . اما القراءات التالية لنوعية التردد في المناطق الأخرى فوق المنطقة الاولى فتدلنا على التحوير الحاصل في تردد النغمة الأساسية الناتجة من تباين معدلات الرنين في التجاويف الصوتية العليا للبلعوم والانف والفم .

ان تجويف البلعوم عند الانسان اشبه بأنبوب يمتد بين الحنجرة والتجاويف العليا لكل من الانف والفم وهكذا امكن اعتبار هذا الانبوب مصدرا من مصادر الرنين التجويفي (Cavity Resonance) فقابلية اللسان الحركية والمرنة تسبب تغيرا لاحصر له في شكله النهائي جاعلا امكانية حدوث تغيير متفاوت في معدلات التردد للرنين التجويفي هذا قائما دوما يعكس اثره

على التحوير المختلف في النغمة الأساسية والتي تغير بدورها المادة الصوتية الاساسية إلى مايسمع اخيراً كأصوات معتلة مختلفة ، والحقيقة نفسها تسري على مفعول تجويفي الفم والانف اذا مادخلا فعلا في عملية الاداء الصوتي(١٥).

ولكن وجود الاسنان كحاجز ثابت في الفم قد يؤدي إلى تجزئة تجويف الفم إلى تجويفين مختلفين لكل منهما تردده الرنيني الخاص به (١٦) .

فالتجويف الوجني (Buccal Cavity) له تردد رنيني يختلف تماما عن تردد تجويف الشفاة (Labial Cavity) وعليه فمن الممكن ان نعد تجويف الفم تجويفا واحدا (١٧) او تجويفين متصلين (١٨) ، لكل منهما تأثير مغاير عن سواه . فمن غير المعقول ان يحتسب التحوير الناتج في النغمة الصوتية الأساسية للاصوات المعتلة من جراء الرنين الحاصل في تجويف واحد فقط وفي كل الحالات (٢٠). فمن الواجب التمييز بين مايحدث من تحوير في النغمة من جراء التجويف الوجني وما قد يحدث من تحوير اضافي في النغمة نفسها من جراء تجويف الشفاه وذلك في حالة كون تجويف الشفاه فعالا في الاداء الصوتي لقسم من الاصوات المعتلة . فالدراسات هذه تعتمد كليا على التحليل الطيفي للمادة الصوتية والتي هي خارج نطاق بحثنا هذا .

من هنا تبرز حقيقة حصرنا لطريقة وصف الاصوات المعتلة القياسية فقط من دون الخوض في مجالات اخرى . فقد نجح الباحث دانيل جونز (٢١) (Daniel Jones) من اعتماد علوم الرياضيات والهندسة في وصف وتوضيح الاداء الصوتي لقسم كبير من الاصوات المعتلة وذلك باعتماد الرسم الهندسي ذي البعدين والمعروف بنظام الاصوات المعتلة القياسية (Cardinal Vowel System) حيث تمكن الباحث دانيل جونز ولاول مرة من وضع اسس علمية سليمة لوصف الاداء الصوتي لتلفظ ثمانية انواع متباينة من الاصوات المعتلة وبالرجوع اليها امكن وصف كثير من الاصوات المعتلة للغات مختلفة في العالم من ضمنها اللغة الانكليزية . فالرسم الهندسي رقم (١) يوضح هذا

٦/٢

جدول رقم -٢-

توضيح لوضع اللسان عند تلفظ الأصوات المدية المختلفة مع تحليل طيفي لمادتها الصوتية محسوبا بالذبذبة في الثانية الواحدة

1000 2000 3000

وضع اللسان عند تلفظ الصوت [u]

مناطق تكتل الطاقة الصوتية عند تلفظ الصوت [u]

1000 2000 3000

وضع اللسان عند تلفظ الصوت [a]

مناطق تكتل الطاقة الصوتية عند تلفظ الصوت [a]

وضع اللسان عند تلفظ الصوت [i]

1000 2000 3000

مناطق تكتل الطاقة الصوتية عند تلفظ الصوت [i]

1000 2000 3000 CPS HZ

وضع اللسان عند تلفظ الصوت [a]

مناطق تكتل الطاقة الصوتية عند تلفظ الصوت [a]

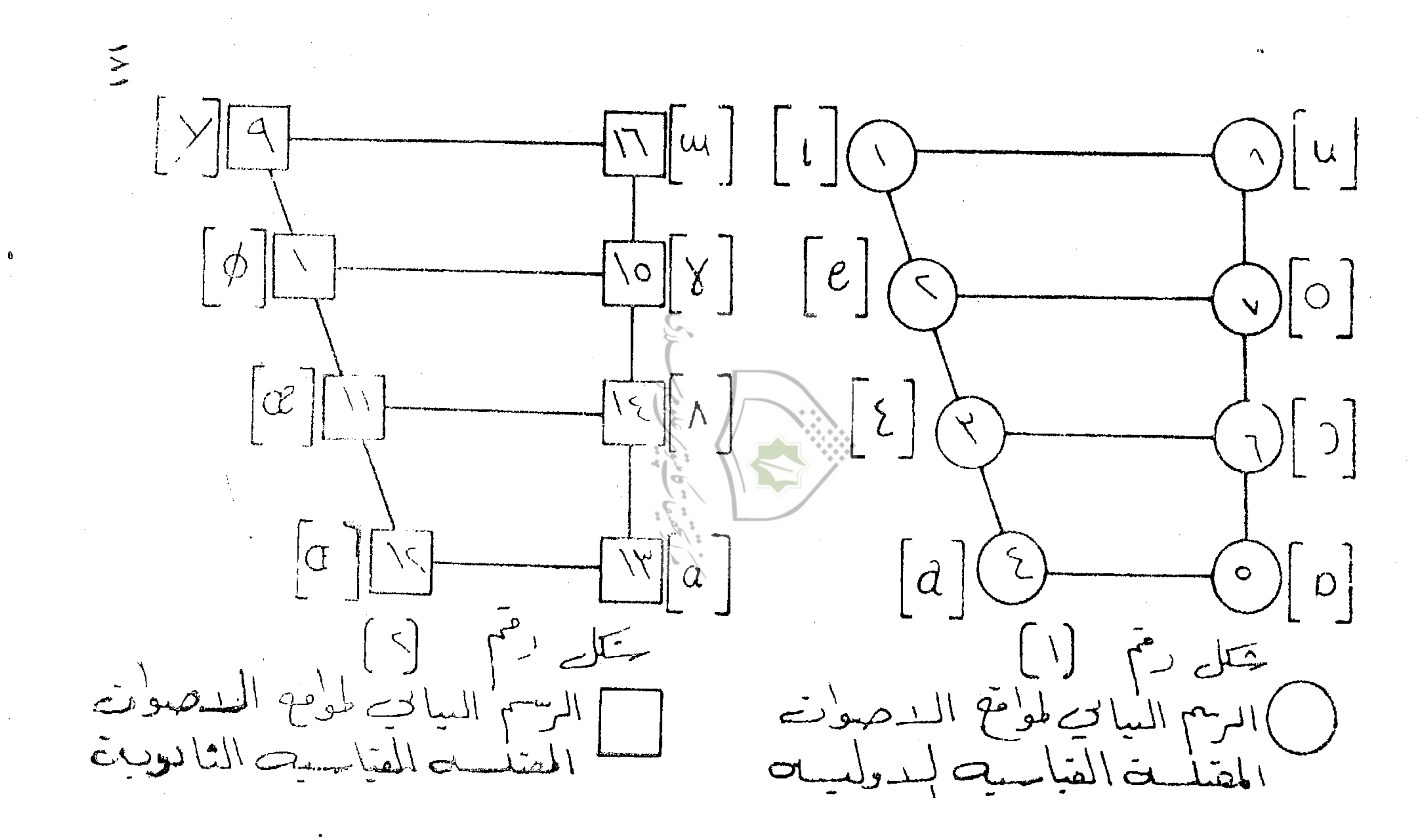
النظام (٢٢) وذلك باعتماد الارقام والرموز الصوتية في آن واحد وعلى بعدين هندسيين فقط .

يستدل من قراءة هذا الرسم ان البعد الافقي هو الدالة الأمامية والخلفيّة لموقع اللسان في اثناء الاداء الصوتي لتلفظ الاصوات المعتلة وهكذا يمكن وصف الاصوات المعتلة ١ ـ ٤ بأنها امامية والاصوات ٥ ـ ٨ خلفية . اما البعد العمودي فهو الدالة لارتفاع اللسان في اثناء الاداء الصوتي لتلفظ الاصوات المعتلة وهكذا فالاصوات المعتلة او ٨ يرتفع اللسان في ادائها إلى اعلى نقطه ممكنة ان الاصوات المعتلة ٤و٥ فينخفض اللسان إلى اوطأ نقطة ممكنة في داخل تجويف الفم .

وبهذه الطريقة تمكن الباحث دانيل جونز من وصف الاصوات المعتلة بنجاح فوضعت الاصوات المعتلة القياسية الثمانية كالآتي : ـ

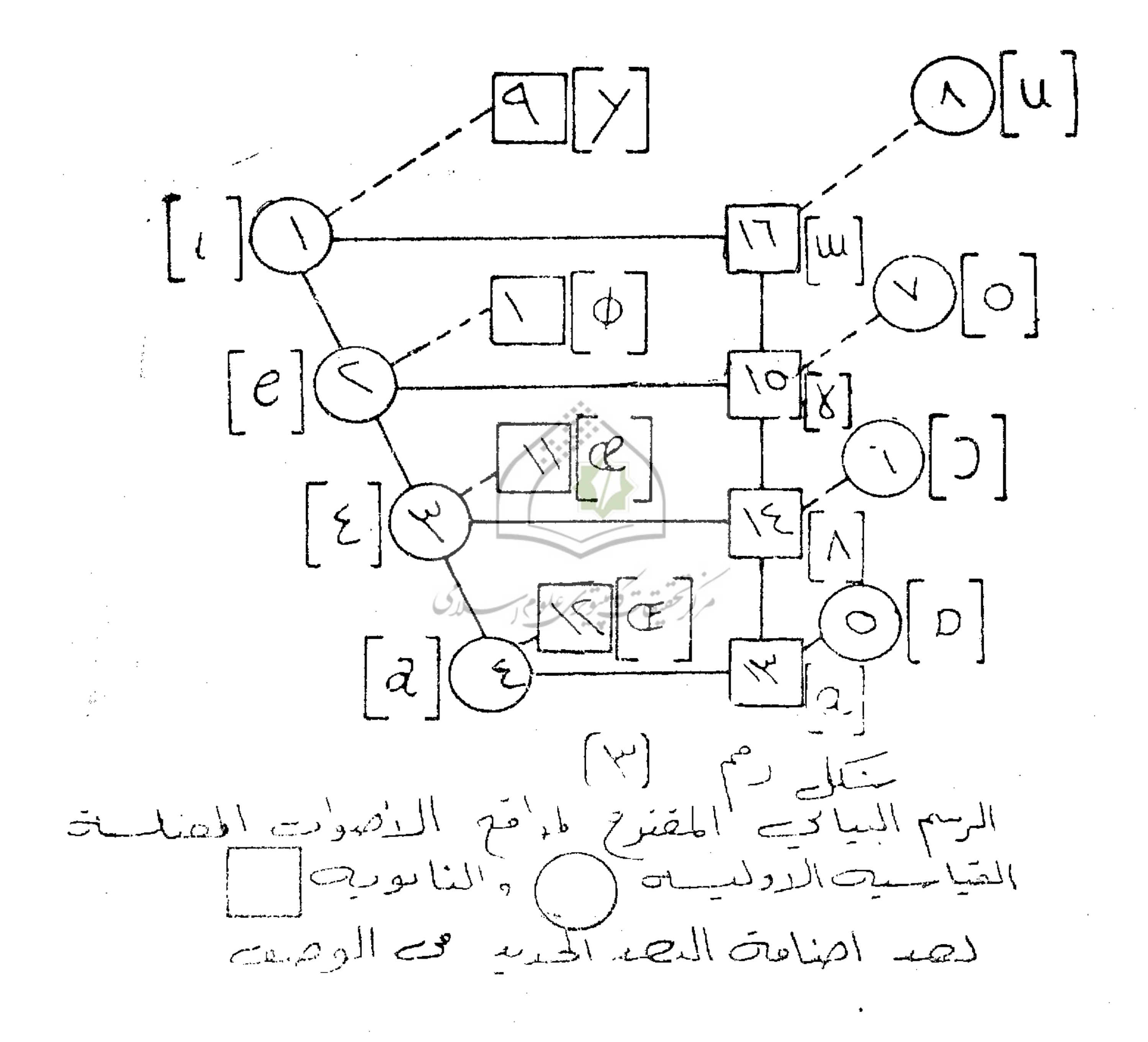
[i]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ١ ـ	امامي مرتفع
[e]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٢ ـ	امامي نصف مرتفع
[Σ]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٣ ـ	امامي نصف منخفض
[δ]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٤ ـ	امامي منخفض
[a]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٥ ـ	خلفي منخفض
[ɔ]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٦ ـ	خلفي نصف منخفض
[o]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٧ ـ	خلفي نصف مرتفع
[u]	الصوت المعتل القياسي	رقم ـ ٨ ـ	خلفي مرتفع

إلا انه وجد من الصعب جداً وصف الاصوات المعتلة جميعها بالاعتماد على هذا النظام حيث أن كثيراً من الاصوات المعتلة تتباين في مادتها الصوتية المكونة لا بسبب اختلاف مواقع اللسان في أثناء النطق بل لاسباب اخرى (٢٣) يجب اضافتها فيما اذا توخينا الدقة في وصف الاصوات المعتلة . ومن اهم الاسباب طبيعة الشفاه (٢٤) في اثناء تلفظ الاصوات المعتلة (Lip Rounding)



شكل رقم (١)
الرسم البياني لمواقع الصوائت المقننة القياسية الأولية

شكل رقم (٢)
الرسم البياني لمواقع الصوائت المقننة القياسية الثانوية



شكل رقم (٣)

الرسم البياني المقترح لأهم الأصوات الصائتة القياسية الدولية ○ والثانوية □ بعد إضافة البعد الجديد من الوصف

ولما كانت الشفاه تأخذ درجات متنوعة في الاستدارة في اثناء النطق مما له تأثيره المميزة في نطق هذه الاصوات وجب اضافة هذه الصفة المميزة عند وصف الاداء الصوتي الدقيق للاصوات المعتلة .

وهكذا اضاف الباحث دانيل جونز الى نظام الاصوات المعتلة القياسية الاولية مجموعة اخرى من الاصوات المعتلة (٢٥) التي تتميز عن الاصوات المعتلة الاولية بوجود أو انعدام تأثير استدارة الشفاه في اثناء النطق.وقد اطلق عليها اسم الاصوات المعتلة القياسية الثانوية (٢٦) . Secondary Cardinal Vowels

الشكل رقم – ٢ – يوضح هذه الحقيقة .

مما سلف نجد أن الباحث دانيل جونز قد حقق نجاحاً اضافياً لما حققه سابقاً وذلك بتوصله الى فكرة نظام الاصوات المعتلة القياسية الثانوي .

الا أن هذا النجاح لم يكن ليرقى الى مستوى الطموح الذي رسمه الباحث دانيل جونز . فقد برزت نقاط ضعف جمة في الاستعمال الفعلي للنظامين في آن واحد وذلك للالتباس العلمي الذي وقع فيه الباحث دانيل جونز باستخدامه نظاما صوتيا قياسيا مغايرا لنظامه الصوتي القياسي الاولي ومن دون ان يطور رسمه الهندسي ذا البعدين لكي يستوعب الاضاءة الجديدة من غير لبس أو ابهام.

فالحقيقة هي أن نظام الاصوات المعتلة القياسية الاولى اعتمد بعدين متباينين تماماً في وصف المادة المختلفة للاصوات المعتلة فليس من المعقول علمياً ان نعتمد البعدين نفسيهما في وضع نظام اضافي للاصوات المعتلة القياسية تختلف عن سابقتها بوجود صفة مميزة ثالثة تعتمد طبيعة ودرجة استدارة الشفاه في اثناء النطق والذي سبب ارباكاً ولبسا لامبرر لهما في وصف الاصوات المعتلة وصفاً موضوعياً دقيقاً .

ولكي يمكن ازالة هذا الارباك واللبس في وصف الاصوات المعتلة ستأتي هذه الدراسة بمقترح جديد يعتمد اصلا على اضافة بعد ثالث لنظام الاصوات المعتلة القياسية الاولى اذا ما اريد اضافة الاصوات المعتلة القياسية الثانوي اليها. فالبعد الاضافي المقترح سيمكن الباحث من وصف الاصوات المعتلة المتباينة

وصفا اكثر موضوعية ودقة من دون لبس أو ابهام يذكر وذلك لأن البعد الجديد سيضيف صفة مميزة جديدة وفي آن واحد الى جانب الصفتين المميزتين السابقتين للاصوات المعتلة وستكون محاولة لابأس بها للوصول الى درجة اكبر من الوضوح والدقة المطلوبين في وصف هذه الاصوات . ففي الوقت الذي لم يكن في مقدور الباحث دانيل جونز أن يضع الاصوات القياسية الاولية والثانوية الا في مكان واحد في الرسم الهندسي من دون تمييز سيكون للمقترح الجديد تأثيره الواضح في وضع كل منهما في محل مختلف تماما واضعا دلالة واضحة لاتقبل الشك واللبس على اختلاف المادة الصوتية المكونة مما يدل على اختلاف في الصوت المعتل نفسه ولهذا يمكن اعطاؤه رمزاً صوتياً مغايراً.

سيوضح الشكل الهندسي الجديد رقم ــ ٣ ــ هذا المقترح بأبعاده الثلاثة راسما مسلكا جديدا في وصف الاصوات المعتلة .

يستنتج من قراءة الشكل المذكور الحقيقة الاتية : لم يكن بمقدور الباحث دانيل جونز من اظهار درجة استدارة الشفاه في وصف الاصوات المعتلة سواء اولية كانت ام ثانوية فرسمه الهندسي يحوي على بعدين يميزان صفتين متضادتين من الصفات المميزة للاصوات المعتلة لاثالث لهما . فقد اصبح واضحا الان ــ وبالاستعانة بالشكل رقم ــ ٣ ــ المقترح ان درجة الأستدارة للشفاه اثناء الاداء الصوتي للاصوات المعتلة المختلفة يمكن اظهارها بدقة متناهية على البعد الثالث المقترح اضافته على نظامي الاصوات المعتلة القياسية الاولي والثانوي . . . .

فمقياس مقدار البعد هذا سيدلنا على درجة الأستدارة للشفاه وهكذا نميز تأثير الأستدارة هذا على المادة الصوتية والذي يسبب في سماعنا اصواتا معتلة مغايرة تماما لما كنا نسمعه سابقا بدون تأثير لأستدارة الشفاه . فقراءة البعد الثالث هذا سيتيح للباحث في هذا المجال التمييز وبدقة اكبر لانواع جديدة من الاصوات المعتلة لم يكن بمقدور الباحث تمييزها سابقاً ونأمل ان يكون مقترحنا هذا ذا نفع للباحثين في امكانية تطويره إلى درجة اعلى من الدقة والوضوح متوخين الموضوعية العلمية المنشودة لاغير . . . .

الهوامش :

(١) لم يتفق اللغويون العرب حتى الان على مصطلحين محددين يقابلان المصطلحين (Consonant) و (Vowel) . انظر د . احمد مختار عمر (مترجم) ص ٤٦ .

(٢) انظر كيمسن (Gimson) ص ٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ص ٢٧ — ٢٨ .

(٤) انظر اعمال هيفنر (Heffner) ١٩٥٠ وهوكت (Hockett) ١٩٥٥ وياكوبسن (Jakobson) ١٩٥٧ و ١٩٦٢ وباركل (Perkell) ، ١٩٦٩ والعاني (Al-Ani) ، ١٩٧٠ .

(٥) انظر كيمسن ص ٧٨ لاديفوجد (Ladefoged) ص ٩٦ — ٩٧ .

(٦) انظر دانيل جونز (Daniel Jones) ص ٤٦ — ٥٨ . وانظر كيمسن ص ٣٧

(٧) انظر كيمسن ص ٣٥ وانظر لاديفوجد ص ٩٤ — ٩٧ .

(٨) انظر بروزنان ومالنبرك (Brosnahan) و (Malmberg) ص ١٦ — ١٤٧ وانظر اوكونر (O'connor) ص ٩٦ — ١٠٥ .

(٩) انظر ابركرومبي (Abercrombie) ص ٥٨ — ٥٩ .

(١٠) بسبب تأثره بالصوت الصحيح المهموس (بدون ذبذبات) الذي يسبقه .

(١١) انظر ابركرومبي ص ٥٩ .

(١٢) انظر بايك (Pike) ص ٧١ — ٧٣ .

(١٣) انظر كيمسن ص ص ٢٧ — ٢٩ وانظر دانيل جونز ص ٣٦ — ٣٩ .

(١٤) انظر لازم ص ٩١ — ١٤٧ .

(١٥) انظر لاديفوجد ص ٥٦ و ١١٣ . وانظر بايك ص ٦٧ — ٦٩ . وانظر كيمسن ص ١١ و ٣٩ . حيث امكن حصر قسم من الاصوات المعتلة الانفية مثل [a] و [u] كما هو موجود في اللغة الفرنسية ولغات اخرى .

(١٦) الدليل وجود اكثر من ثلاث مناطق تكتل الطاقة الصوتية كما يظهر في التحليل الطبيعي للمادة الصوتية لهذه الاصوات . انظر الجدول رقم — ٢ —

(١٧) كما هو الحال في تلفظ كثير من الاصوات الصحيحة التي لايدخل تاثير الشفاه في ادائها مثل /k/, /t/) وغيرها .

(١٨) كما هو الحال في تلفظ قسم من الاصوات المعتلة التي يدخل تأثير الشفاه في تحوير مادتها الصوتية الاساسية مثل [u] ,[c] [y] وغيرها .

(١٩) انظر دانيل جونز ص ١٨ — ٢٢ .

(٢٠) المصدر نفسه .

(٢١) المصدر نفسه وانظر كيمسن ص ٣٦ — ٣٩ .

(٢٢) الرسم منقول من كيمسن ص ٣٨ . عن دانيل جونز ص ٢١ .

(٢٣) انظر كيمسن ص ١٢ — ١٤ . وبروزنان ومالنبرك ص ٤٧ .

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) انظر دانيل جونز ص ٢٠ — ٢٢

(٢٦) المصدر نفسه . وانظر كيمسن ايضا ص ٣٧ .

Abererombie, D. *Elements of General Phonetics*, Edinburgh University Press, 1966.

Al–Ani, Salman, *Arabic phonology*, The Hegue: Mouton, 1970.

Brosnahan, F. L., *Introduction to Phoneties*,
And Malmbeog, B., Cambridge Hniversity Press, 1970.

Daniel Jones, *An Outline of English Phonetiecs*, 9th. ed., Heffer, 1960.

Gimson, A. C., *An Introduction to the Pronunciation of English*, 2nd. ed., Edward Arnold Ltd., London, 1970.

Heffner, R. M. S., *General Phoneties*, Madison, The University of Wisconsin Press, 1950.

Hockett, C. F., *A Manual of Phonology*, Baltimore, weverly Press, 1955.

Jakabson, R., "The Phonetic Concept of Listinctive Fontures", *PIOPS*. No. 4, pp. 440–54.

Jakobson, R., and Halle, M., *Fundementals of Language*, The Hauge: Mouton and Co., 1957.

Lade foged, P., *Elements of Acoustic Phoneties*, The University of Chicago Press, Chicago and London, 1973.

Lazim M. Awaness, *A Spectrographic Study of Arabic Pharyngeel Consonants*, M. A. Thesis, University of Baghdad. 1976.

Perkell, J. S., *Physiology of Speech Production: Results and Implications of a Quantitative Cineradiographic Stady*, Cambridge: Hass., M. J. T. Press, 1969.

Pike, K. L., *Phonetics*, University of Michigan Press, 1943.

١٤ — د. احمد مختار (مترجم)، اسس علم اللغة، ماريوباي منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ١٩٧٣.

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير
حياته وشعره

د . عبد المجيد عبد السلام المحتسب
الجامعة الأردنية – عمّان

حياته :

هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى من بني كليب بن يربوع التميميين (١) . يكنى أبا عقيل .

وبهذا الصدد يقول ابن رشيق القيرواني : « من بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير ، كان هو وأبوه عطية وجده الخطفى شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء . . . . قال أبو زياد الكلابي : رأيت باليمامة نوحا وبلالا ابني جرير وهما يتسايران ، ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم ، وأشعر من باليمامة يؤمئذ حجناء بن نوح بن جرير . وكان عقيل بن بلال شاعرا . وعمارة ابنه شاعرا . أدرك الطائي حبيباً . ولقيه المبرد » (٢).

---

(١) انظر في عمارة بن عقيل : طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٦ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٧٨ والاغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٨٣/٢٠ وتاريخ بغداد ٢٨٢/١٢ ونزهة الألباء لابن الانباري ص ١٢٠ .

(٢) العمدة : ٣٠٦/٢ ومابعدها .

نشأ عمارة بن عقيل في اليمامة مواطن آبائه . ولم تشر المصادر إلى السنة التي ولد فيها ، وإن كنا نظن ظنا أنه ولد في أثناء الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري . لأنه عندما غادر اليمامة نزل بغداد أول مانزل من الأمصار فمدح الخليفة المأمون ووجوه قواده ، واتصل باسحاق بن إبراهيم المصعبي الخزاعي الذي سهل لعمارة الطريق إلى المأمون . وتذكر الروايات أن الناس اجتمعوا حوله وكتبوا شعره (١).

ولم تسعفنا المصادر بالأخبار التي تبين ملامح سيرته الأولى التي اكتملت فيها شاعريته قبل أن يرحل إلى بغداد حاضرة الخلافه العباسية .

وأغلب الظن أن شاعرنا كان يحفظ أشعار جده جرير وطائفة غير يسيرة من شعر الشعراء الذين ناقضهم وناقضوه مثل الفرزدق والأخطل والراعي النميري والبعيث المجاشعي وغيرهم .

وتشير الروايات إلى أنه كان غير موفق في زواجه ، فقد روي أنه قال: «كنتُ آمرءاً دميما داهية ، فتزوجت امرأة حسناء رعناء ليكون أولادي في جمالها ودهائي ، فجاءوا في رعونتها ودمامتي » (٢).

وكان متوقد الذهن حاضر البديهة . وبهذا الصدد يقول المبرّد : « كنا عند عمارة بن عقيل فقال : ألا أُعجبكم ، مرت بي امرأة متحضرة ، فلما قربت مني مرت وقالت : ياشيخ : ألا تعجبك الملاح ؟ ! فقلتُ : بلى :

وتعجبني الملاح وكل دَلّ
ولكن لا أراك من المَلاحِ

وكلُّ مليحة كالبدر تبدو
إذا سفرَتْ وأنت من القِباحِ (٣)

---

(١) انظر معجم الشعراء : ص ٧٨ .

(٢) انظر نزهة الألباء : ص ١٢٠ .

(٣) انظر الأغاني : ٢٠/١٨٤ ومابعدها .

والذي يبدو أن عمارة بن عقيل كان يتنقل بين بغداد حاضرة الخلافة وبين البادية ، فقد كان مداحا للخلفاء والوزراء والأشراف والقواد في بغداد . حتى إذا كسب مالا عظيما انصرف إلى بادية البصرة موطن آبائه. وإذا ما انفق هذا المال في البادية رجع إلى بغداد مرة أُخرى شأنه في ذلك شأن جده جرير وشأن الأخطل التغلبي ، إذ كان جرير يفد إلى البصرة والأخطل يفد إلى دمشق حاضرة الخلافة الأموية ، ومدح عمارة بن عقيل من الخلفاء العباسيين : المأمون . والواثق . والمتوكل ، ونال منهم العطايا الجزيلة .

ولعمارة في إسحاق بن إبراهيم المصعبي الخزاعي أمير بغداد مديح كثير . ومدح خالد بن يزيد بن مَزْيد الشيباني بأكثر من قصيدة . ويبدو أنه كان صادقاً في مديح خالد بن يزيد بن مَزْيد الشيباني . وقد رثاه عند موته ، قال :

رحم الله خالدا فلقد ما
تَ حميدا وعاش ذا إفضالِ

لم يَمُتْ موسرا من المال لكـ
ن موسرا من محامد وفَعالِ

ويبدو أن عمارة بن عقيل كان مقربا من الخليفة الواثق ، فقد روى الطبري وغيره أنه كلم الخليفة الواثق في عَبَث بني نمير وفسادهم في الأرض . وإغارتهم على الناس في اليمامة وما قرب منها . فكتب الخليفة إلى قائده بُغا يأمره بحربهم . فسار بغا اليهم وأوقع بهم (١).

والعداء بين أُسرة جرير الشاعر وبين بني نمير كان مستحكما . والعلاقة بين جرير وبين الراعي النميري معروفة . والعلاقة بين عمارة بن عقيل وبين بني نمير كانت كسابقتها . وكان عمارة بن عقيل ينحو نحو جده

---

(١) انظر تاريخ الرسل والملوك : ١٤٦/٩ ، والعيون والحدائق : ٥٣٣/٣ ومابعدها .

جرير في الهجاء والمناقضة . وقد هجا تميم بن خُزَيْمة بن حازم النهشلي التميمي ويحيى بن أكثم قاضي البصرة ، والخليل بن أحمد الفراهيدي العالم المشهور . ومن الذين ناقضهم عمارة بن عقيل وناقضوه : أبو حَنّة الأسدي ، حكيم بن عبيد ، خال ذي الرُّمة الشاعر المعروف ، وفروة بن حُمَيْصة الأسدي كان بينه وبين عمارة هجاء طال أمده .

وأبو الرديني الُكلي هجا عمارة فَخَبّثَه . ورجاء بن هارون أخو بني تَميْم اللات بن ثعلبة . وشاعر من نمير اسمه رأس الكبش كان بينه وبين عمارة نقائض . ومن المؤسف حقا أن المصادر لم تحفظ لنا النقائض التي جرت بين عمارة وبين هؤلاء الشعراء . ولو وصلتنا لاستطعنا أن نطلع على جانب مشرق من جوانب شاعريته .

ولا خلاف في أن عمارة اكتمل شبابه في بادية البصرة قبل أن يعرف بغداد ومباهجها ، واستقرت في نفسه تقاليد الأعراب ، فلم تؤثر فيه تقاليد المجتمع البغدادي الحضرية التي من شأنها أن تخفف من وطأة العادات والتقاليد البدوية . وتشير الروايات إلى أن عمارة عمي قبل موته . وكنت أتوقع ان أجد له ترجمة في كتاب « نكت الهميان » ، ولكنني لم أعثر له على ترجمة في الكتاب المذكور .

والذي يبدو أن بغداد لم تستهو شاعرنا ، إذ كان حب البادية مسيطرا عليه مع ما في بغداد من المباهج والهبات التي تنهال عليه من ممدوحيه ، ومع ما في البادية من شظف العيش وجفاف الحياة . يقول : مشوقا للبادية :

لَمُسْتَمطر بالرمل في بيت حُرَّةٍ
هجانٍ بحبل ذي ألاءٍ وعَرْفجِ (١)

تخور به الغزلان كل عشيةٍ
إلى كل خشْف كالسّوار وتخرجُ (٢)

---

(١) امرأة هجان : كريمة الحسب لم تعرق فيها الإماء .

(٢) في هذا البيت إقواء .

أحــبُّ إلـيـنـا مــن قــراقـيــر ســاحـلٍ
بـدجلـة أو قصـرٍ ببغداد مـُرْتِجِ

وفي شعره ما يدل على أنه كره بغداد في فترة من حياته ، فذمها قائلا :

مــا أنــت يــا بغــداد الا ســلْــحُ
إذا اعــتــراك مــطــر أو نَفْـحُ
وإن جــفـفـْت فـتـراب بَــرحْ

وتسير حياة عمارة بن عقيل متنقلا ما بين اليمامة وبغداد وسامرّاء والبصرة يمدح الخلفاء ورجالات الدولة ويجالس العلماء الذين يأخذون عنه اللغة أو يسألونه عن شعر جده جرير .

ولم تشر المصادر التي ترجمت له الى المكان الذي فاضت روحه به ولا السنة التي توفي فيها . ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أن عمارة وفد على المتوكل فعمل فيه شعراً فلم يأت بشيء . وكان عمارة قد اختلّ وانقطع في آخر عمره ، فسار الى ابراهيم بن سعدان المؤدب ، وكان قد روى عنه شعره القديم كله ، فقال له عمارة : أحب أن تخرج إليّ أشعاري كلها لأنقل ألفاظها إلى مدح الخليفة ، فقال ابراهيم بن سعدان : لا والله ، أو تقاسمني جائزتك فحلف له على ذلك ، فأخرج اليه شعره ، وقلب قصيدة إلى المتوكل ، وأجدّ بها منه عشرة آلاف درهم ، وأعطى ابراهيم بن سعدان نصفها (١) .

وكان يعاصر عمارة من الشعراء : أبو تمام ، ودعبل بن علي الخزاعي والبحتري ، وعبدالله بن ابي السمط ، وعبد الصمد بن المعذّل وغيرهم .

وكان يعاصره من اللغويين : محمد بن زياد ابن الأعرابي ، وعلي بن المغيرة الأشرم ، وأبو عمر الجرْمي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم . وكان النحويون واللغويون قد رووا لعمارة روايات في اللغة والغريب . ومن مثل ذلك ما ذكره أبو علي القالي البغدادي فقال : قرأت على أبي بكر بن دريد

(١) انظر الأغاني : ٢٠/١٨٧ ومابعدها (طبعة الساسي) .

رحمه الله لطفيل الغنوي :

كأن على أعرافه ولجامه
سنا ضَرم من عرفج مُتلَهّبِ

وكان ابن الاعرابي يقول : سألت غنيا كلها أو سمعت غنيا تقول : إنما وصفه بالشقرة ، شبه شقرته على عنانه في حرِّ الشمس بتوقد النار في يبس العرفج . *** وكان عمارة بن عقيل يقول ايضاً : وصفه بالشقرة (١) .

ومع براعة عمارة بن عقيل وتمكنه من اللغة فقد ضعّفه أبو حاتم السجستاني في اللغة ووصفه بأنه ليس ممن يُعْتمد عليه فيها (٢).

وتذكر الروايات أن بعض العلماء من مثل أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، وابي عبيدة معمر بن المثنى ، وابي محمد التوزي كانوا يسألون عمارة بن عقيل عن شعر جده جرير فيجيبهم مصححاً رواية بيت ومبينا معناه إن كان فيه لفظ يغمض عليهم وموضحاً الأمكنة التي ترد في تضاعيف القصيدة . وهو بذلك يعد السادن على تراث جده الشعري في العصر العباسي . وبهذا الصدد يقول أبو سعيد السيرافي : قال محمد بن يزيد أبو العباس : قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير لأبي محمد التوزي كلمة جرير التي أولها :

طرب الحمام بذي الأراك فشاقني
لا زلتَ في فَنَن وأيك ناضرِ

حتى صرتُ إلى قوله :

أما الفؤاد فلن يزال مُوكّلا
بهوى جُمانَة أو بِريّا العاقرِ

فقال له التوزي: ماهما ؟ فقال عمارة : مايقول صاحبكم يعني أبا عبيدة ؟ فقال التوزي : قال : هما امرأتان . فضحك عمارة ثم قال : هما — والله —

(١) الأمالي : ٣٥/٢ .
(٢) مجالس العلماء : ص ١٩٣ — المجلس (٩٤) .

ر مثلتان من عن يمين بيتي وعن شماله ، فقال التوزي : اكتب ، فاستكبرت ما قال اجلالا لأبي عبيدة ، فقال لي : اكتب ، فإن أبا عبيدة لو حضر هذا لأخذ هذا الضرب عنه ، هذا بيت الرجل (١) .

وفي نقائض جرير والفرزدق نجد أبا عبيدة معمر بن المثنى يعتمد على عمارة ابن عقيل في اختيار الرواية الصحيحة لنقيضة من نقائض جرير والفرزدق، وكذلك يرجع إليه في كثير من الشروح والتفسيرات الواردة فيها على شاكلة قول جرير:

طلبتْ قيون بني قُفَيْرة سابقاً
غَمْرَ البديهة جامحا في المسْحَل

حدثني عمارّة بن عقيل قال: «أم قفيرة اسمها المذبّة، وكانت المذبّة وليدة لكسرى وهبها لزرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم، فوهبها زرارة لآبن أخيه يَثْربِي بن عُدُس بن زيد، وزوجها مَرْثد بن الحارث أو زياد بن الحارث، فساعاها أخوه سُكَيْن بن الحارث، فجاءت بقُفَيْرة، فجاءت بأجمل من الشمس . فتزوجها ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع على أنها من عبدالله بن دارم فنعاها عليه جرير»(٢).

عمارة الشاعر :

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: «خُتِمت الفصاحةُ في الشعراء المُحْدثين بعمارة بن عقيل»(٣).

وقال سَلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: «كان جدّي أبو عمرو يقول: ختم الشعر بذي الرمة، ولورأى جدّي عمارة بن عقيل

(١) أخبار النحويين البصريين : ص ٨٤ ، ومابعدها ، وانظر طراز المجالس : ص ٢٥٧ ومعجم البلدان (جمانة) ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة : ٢٨٢/٣ ، ومابعدها ، وفهرست ابن النديم : ص ٩١ .

(٢) نقائض جرير والفرزدق : ٢١٩/١ (طبعة ليدن) .

(٣) انظر الأغاني : ١٨٣/٢٠ (ساسي) .

لعلم أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرمة»(١).

وقال ابن المعتز: «حدثني مسلم بن رياح الجريري قال: حدثني أبو رياح بن عمرو قال: «قدم عمارة من البادية إلى الحضر حين اتصل بالناس شعره، وكان أشعر أهل زمانه، وكان ينحو نحو أبيه وجده، ولا يأخذ في معنى من المعاني إلا استغرقه، وكان نقي الشعر، محكم الرصف جيد الوصف، من أهل بيت الشعر، وكان مداحا للخلفاء والوزراء والأشراف والملوك فكسب مالا عظيما وانصرف إلى البادية» (٢).

ولما قدم عمارة بن عقيل بغداد اجتمع الناس إليه وعرضوا عليه الأشعار. فأنشدوه قول ابي تمام:

وطول مقَام المرء في الحي مُخْلِقٌ
لديباجتَيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ

فإني رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً
إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسرمدِ

فقال عمارة: كَمُل والله، إن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد، واستواء الكلام، فصاحبكم هذا أشعر الناس، وإن كان بغيره فلا أدري(٣). ويذكر ابن النديم أن لعمارة بن عقيل ديوان شعر بلغ عدد ورقاته ثلاثمائة ورقة. وابن النديم يعني بالورقة أن تكون سليمانية، ومقدار مافي صفحة الورقة عشرون سطرا(٤).

موضوعات شعره:

نلاحظ أن عمارة بن عقيل مع أنه من الشعراء الذين عاشوا في العصر العباسي (نهاية القرن الثاني والثلث الأول من القرن الثالث الهجري) فشعره

---

(١) المرجع السابق: ١٨٣/٢٠ (ساسي).
(٢) طبقات الشعراء: ص ٣٩٦.
(٣) انظر أخبار أبي تمام: ص ٥٩ – ٦١.
(٤) الفهرست: ص ٢٣٣، ٢٤١.

في مجموعه تتمثل فيه السمات الفنية للشعر البدوي عامة خلا بعض القصائد والمقطوعات التي يبدو فيها أثر البيئة البغدادية واضحة. ويبدو أن شاعرنا عمارة بن عقيل مع أنه عباسي أكثر توغلا في المعاني والصور المستمدة من البيئة البدوية في ضاديته المشهورة من جده جرير، وهو إسلامي، في بعض نقائضه مع الأخطل او مع الفرزدق اوفي مدائحه التي مدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي.

وعمارة بن عقيل شاعر مطبوع. وهو لم يكن مثل معاصره أبي تمام الذي أخضع شعره للفكر الدقيق الغامض وأفرط في استخدام ألوان البديع. ولأنه شاعر مطبوع نراه يذم فعل الخليل بن أحمد الفراهيدي في اختراع بحور الشعر وتفعيلاته على شاكلة قوله:

لولا الإله وأنني متخوف
مما أقول لعنتُ قبر خليل
ألقى مسائل في العروض تَعُمُّنا
من فاعلن مستفعلن وفعول

ويلاحظ أيضاً أن معظم شعر عمارة بن عقيل يجري وفقاً لبحور الشعر وأوزانه المتكررة في الشعر الجاهلي من مثل الطويل والكامل والوافر والبسيط.

وفضلا عن الهجاء والنسيب والرثاء والمديح فقد برع صاحبنا في الوصف وقد عثرنا على مقطوعتين له في بغداد وصف ما بها من قصور ورياض. وفي النسيب يذكر الأطلال والرسوم الدارسة وخيال الصاحبة أو طيفها متأثراً بتقاليد الشعراء السابقين على شاكلة قوله:

حيا الإله خيالها من دانِ
لو كان زار زيارة اليقظانِ
لو كان عرّج أو تعلل ساعةً
حتى نسائله عن الأوطانِ

وكذلك قوله يرد على رجاء بن هارون أخي بني تميم اللات بن ثعلبة :

حَيِّ الديـار كـأنهـا أسطـارُ
بالـوحـي تـدرس صُحْفـها الاحبار

لعـب البلى بجديدهـا فتنفسـت
عرصاتـهـا الأرواح والأمطـار

وفي الصفحات التالية نتحدث عن الأغراض الشعرية التي ذكرناها :

الوصف :

عثرنا على مقطوعتين لعمارة بن عقيل يصف بهما بغداد . ومطلع الاولى :

مـا مثـل بغـداد في الدنيـا ولا الـديـن
عـلى تـقلبـهـا في كل مـا حين

ومطـلع الثانية :

أعاينْـتَ في طـول مـن الأرض والعـرض
كبغـداد داراً إنهـا جنّـة الأرض

وفي المقطوعة الاولى يصف الشاعر بغداد بأنها منفردة عن المدن بالجمال وحسن الشعراء والعلماء من محدثين وفقهاء ولغويين وأُدباء وقضاة . وأن النفوس تحيا بفوح أزهارها وأريج رياحينها من نرجس وخيريّ ونِسرين . وفيها القصور الشاهقات التي تنتشر بين أرجائها الحسان اللائي يشبهن البقر الوحشي في اتساع العيون وسوادها . أما نهر دجلة الذي يشطر بغداد فتجرى فيه السفن السود المطليه بالقار تعلو صفحة مائه كالبراذين . أما القباب وأبواب القصور فهي أنيقة مزخرفة. وفي دجلة ما فيه من كل حـَرّاقة تعلوها قصور من الساج ذوات الأساطين . وفي المقطوعة الثانية يصف بغداد بأنها جنة من جنات الأرض ، والعيش قد صفا فيها بخلاف غيرها من المدن . وغذاؤها مريء مستساغ . ويعمها الأمن والاستقرار بخلاف الشام التي لاتنام عين

فيه السفن السود المطلية بالقار تعلو صفحة مائة كالبرازين . أما القباب وأبواب القصور فهي أنيقة مزخرفة . وفي دجلة مافيه من كل حرّاقة تعلوها قصور الساج ذوات الأساطين . وفي المقطوعة الثانية يصف بغداد بأنها جنة من جنات الأرض ، والعيش قد صفا فيها بخلاف غيرها من المدن. وغذاؤها مريء مستساغ ، ويعمها الأمن والاستقرار بخلاف الشام التي لاتنام عين الغريب بها . ثم يبدي الشاعر تحسره على عزّ بغداد الزائل بسبب تحول الخلفاء عنها إلى سامراء .

ففي هاتين المقطوعتين نرى صورة بغداد نابضة بالحياة بما فيها من أدباء وعلماء ورياض وأزهار وقصور شاهقات وفتيات حسان ، وبما يعمها من أمن ورخاء وجمال ودعة واستقرار . ونلاحظ من خلال المقطوعتين أن شاعرنا حضري في صوره واسلوبه قد استهوته بغداد بزخارفها ومباهجها ونهرها وعبير أزهارها . ولكننا في الوقت نفسه نستشعر بداوته المتأصلة في نفسه وخاصة في هذا البيت :

سَقيا لتلك القصور الشاهقات وما
تُخفي من البقر الانسية العينِ

ومع ذلك فإن حب بغداد لم يسيطر على نفسه ، فنجده في صراع مرير مع هذا الحب أحياناً ، فيذم بغداد ويعيبها على شاكلة قوله :

ما أنتِ يا بغداد الا سَلْحُ
إذا اعتراك مطر أو نفْحُ
وإن جففتِ فتراب برح

الرثاء :

ليس لدينا لعمارة بن عقيل في الرثاء إلا عشرة أبيات موزعة على ثلاث مقطوعات يرثي بمقطوعتين منها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وبالثالثة يرثي اخاه . والمقطوعة الاولى يستهلها على هذا النمط :

رحم الله خالداً فلقد ما
تَ حميداً وعاش ذا إفضال

وأول المقطوعة الثانية :

غــدا نــاعيك حيــن غــدا بخطــب
يــبـثُ الشيب في رأس الوليـد

والمقطوعة الثالثة التي في رثاء أخيه ومطلعها :
أخــي يــوم أحجــار الثُّمــام بكيتُــه
ولــو حُمَّ يــومي قبلــه لبكاني

ففي المقطوعة الأولى نستشعر وفاء الشاعر للفقيد المرثي . هذا الفقيد وإن مات فقيرا عاريا عن المال فقد كان غنيا في مناقبه ومحاسنه وخصاله الحميدة .

وفي المقطوعة الثانية تظهر لنا شدة وقع نعي خالد بن يزيد على نفس الشاعر. وهذا النعي في هوله وشدته يُقْعد الرجل القائم ، ويبعث الرجل القاعد الذي احتبى بثوب على القيام من أثر الفجيعة .

وفي المقطوعة الثالثة يبكي أخاه ويتحسر على فراقه ويتمنى لو أنهُ نُعي إلى الناس بدلا منه . وهذا الرثاء مقتضب سريع فيه وقار البدوي وتكلفه الصبر وحسن العزاء ، رثاء بسيط ليس فيه تكلف أو صنعة أو تعقيد. وفيه حزن عميق يذكرنا بصدق جرير في رثائه وبكائه وحزنه على ابنه وعلى زوجته أم حَزْرة . ونحن لا نجد رواجا في هذا الرثاء للمفاهيم الإسلامية على نحو ظاهر من مثل التقوى والإخلاص لله والجهاد في سبيل الله ومقاتلة الكفار والقضاء على أعداء الخليفة .

الهجاء :

قام عمارة بن عقيل بهجاء بعض الشعراء المحدثين المغمورين وبعض رجالات عصره ، وكان بينه وبين هؤلاء الشعراء نقائض ضاع أكثرها ، ومن هؤلاء الشعراء : أبو حَنَّة الأسدي ، حكيم بن عُبَيْد خال ذي الرمة الشاعر ، وفَرْوة بن حُمَيْصة الأسدي ، كان بينه وبين عمارة هجاء طال أمده . وأبو الرديني العكلي ، هجا عمارة بن عقيل فخبثه . ورجاء بن هارون أخو بني تيم اللات بن ثعلبة ، وشاعر من نمير اسمه رأس الكبش وشعر عمارة بن عقيل في الهجاء موزع على الجدول التالي :

١ – تسعة أبيات يرد فيها على رجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة وأولها :

حيّ الديار كأنها أسطار
بالوحي تدرس صُحْفها الأحبارُ

٢ – ثلاثة أبيات في هجاء بني حنيفة ، وأولها :

بل أيها الراكب الماضي لطيّته
بلغ حنيفةَ وانشر فيهم الخبرا

٣ – بيتان في هجاء يحيى ودينار ابني عبدالله ، وهما هذان :

ما زال عصياننا لله يسلمنا
حتى دُفعنا إلى يحيى ودينار
إلى عُلَيْجين لم تُقطَعْ ثمارهما
قد طال ما سجدا للشمس والنار

يعيرهما بأنهما من المجوس ولم يختتنا .

٤ – بيتان يهجو بهما فروة بن حميصة الأسدي :

ما في السويّة أن تجُرَّ عليهم
وتكون يوم الروع أول صادرِ
هل تذكرون غداة شركَ وأنتم
مثلُ الرعيل من النّعام النافرِ

٥ – بيتان يهجو بهما ابن مروان بن أبي حفصة ويحامي عن خالد بن يزيد بن مزْيد الشيباني :

فتعرضك لا يوفي كريماً بعرضه
فهل يُوفينْ منك الجزازَ المصممَ

كأنك لم تسمع فوارس وائل
إذا اسرجوا للحرب يوماً وألجموا

٦ ـ أربعة أبيات في هجاء بني نمير ، وأولها :

بني منقذ لا آمنَ الله خوفكم
وزادكم ذلاً ورقة جانبِ

٧ ـ ثلاثة أبيات في الهجاء ، لا نعرف من قيلت فيه ، وأولها :

ولا خير فيه غير أن جياده
مسومة ليست بهنّ كلومُ

٨ ـ أربعة أبيات في الهجاء ، لا نعرف من قيلت فيه ، وأولها :

ثوى الضيفُ بالصفراء تغسقُ عينه
من الجوع حتى تحسب الضيفَ أرمدا

ولا جدال في أن هذه الأبيات ليست كل ما قاله عمارة في الهجاء ، فإن كثيرا منه قد ضاع ولم نعثر عليه في المظان حتى الآن .

وفي القصيدة التي يرد فيها على رجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة نجد عمارة يستهلها بالنسيب على طريقة شعراء النقائض غالبا.

وفي هذه النقيضة نجد العناصر التي عهدناها في النقائض الأموية : ففيها التعيير بالفرار من المعركة ، وترك النساء للأعداء . وبالأيام التي هزم فيها أعداءُ قبيلة الشاعر . وذكر الرجال الذين لاقوا حتفهم .

وفي الأبيات التي يهجو فيها بني حنيفة نراه يذكر العصبية المضرية . ويعيرهم بالضجر من الحرب التي شبهها بناقة ألقت بركها عليهم . وعمارة بن عقيل تميمي مُضَرَي . وبنو حنيفة بَكْريون رَبَعيون .

وفي البيتين اللذين يهجو بهما يحيى ودينار ابني عبدالله يصفهما بأنهما عُلَيْجان ـ وفي تصغير العِلْج تحقير واضح . ويصفهما بأنهما سجدا طويلا

للشمس والنار على طريقة المجوس . والعلج هو الضخم من كفار العجم .
ويحيى ودينار من اصل فارسي.

وعندما هجا فَروة بن حُمَيصة الأسدي وصفه بالفرار من الحرب هُو وقومه مثل النعام النافر . ويقول العرب : أَشْردُ من نعامة ، وأجبن من نعامة وأعدى من نعامة . وفي هجائه بني نمير نجده يدعو عليهم بالذل ورقة الجانب ويعيرهم بنائلة التي تزوجت قاتل أبيها . ونستطيع أن نقول إن معاني الهجاء إسلامية وجاهلية .

المديح :

هو أهم الأغراض التي تفوق فيها عمارة بن عقيل . وربما كان أبرز الأغراض التي تبدو خصائصه الفنيّة بارزة فيها . والمديح موزع على بعض خلفاء بني العباس من مثل المأمون والواثق ، وعلى بعض القادة المشهورين مثل خالد بن يزيد بن مزْيد الشيباني الذي نال من مديح الشاعر أكثر مما ناله المأمون أو الواثق . وهذا جدول يبين توزع مديحه :

١ ــ مدح الخليفة المأمون بقصيدة مطلعها :

حتّامَ قلبك بالحسان موكّل
كَلِفٌ بهن وهُنّ عنه ذُهّلُ

٢ ــ وهذه مدحة في المأمون ، ومطلعها :

قالتْ مفدّاةٌ لما أن رأت أرقي
والهمُّ يعتادني من طيفه لمَمُ

٣ ــ وقال يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني بقصيدة مطلعها :

حيا الإله خيالها من دان
لو كان زار زيارة اليقظان

٤ ــ وهذه في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وذم تميم بن خُزيْمة

ابن خازم النهشلي ، ومطلعها :

أأتــرك إنْ قلّــتْ دراهــــمُ خالــدٍ
زيارتـــه إني إذاً للئـــيـــم

٥ — وهذه في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :

لم أستطـع سيـرا لـمـدْحـةِ خـالـد
فجعلـتُ مـدْحيَـهُ اليه رسولا

٦ — وهذه في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :

أرى الناسُ طُـراً حـامـدين لـخـالـد
ومـا كلهـم أفضَـتْ إليه صنائعُهُ

٧ — وهذه في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها:

تأبـى خـلائـق خـالـد و فـعـالُـه
إلا تجـنـب كـل أمـر عائـب

٨ — وهذه هي الضادية المشهورة ، يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ولعلها أشهر مدائحه فيه أو أشهر قصيدة لعمارة ، ومطلعها :

عَصْـرُ الشبيبـة نـاضِـرٌ غَـضُ
فيـه يُنـالُ الليـنُ والخفْضُ

٩ — وقال يمدح الخليفة الواثق بقصيدة أولها :

عَـرَفَ الـديـار رسومهـا قَفْـرُ
لعبـت بهـا الأرواحُ والقَطْـرُ

١٠ — وهذه في مدح الخليفة الواثق أيضاً ، ومنها هذا البيت :

وبقيـتُ في السبعين أيهـض صاعـدا
فمضـى لِـداتـي كلهـم فتشعّبوا

تُقدّم الشدّة وفتحتها الى اليسار وكذلك ضمة الباء

١١ ـ وقال يمدح بني دارم بقصيدة مطلعها :

جـزى الله خـيـراً والجـزاءُ بكـفـه
بنـي دارم عن كـل جـانٍ وغارم

نلاحظ من الجدول السابق أن جُلّ مدائح عمارة كانت في خالد بن يزيد ابن مزيد الشيباني ، ولعل القصيدة الضادية أشهر هذه المدائح في خالد بن يزيد بن مزيد ، ولعلها أشهر قصائد عمارة بن عقيل على الاطلاق . ولعل هذه القصيدة الضادية أروع ضاديات العرب وأكثرها إشراقاً وتألقاً .

واذا كان ذلك كذلك فهذه الضادية خير ما يكشف عن مذهب عمارة بن عقيل في الفن الشعري ويوضح خصائصه الفنية .

أما الممدوح فهو قائد ووال من قواد بني العباس وولاتهم ، وهو من بيت عريق في الجاهلية والاسلام . فأبوه يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبدالله بن مطر ابن شريك بن خالد الشيباني . وشيبان معروفة في الجاهلية والإسلام بالشجاعة وقوة الشكيمة. ويوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على الفرس كان بقيادتهم. ومنهم المثنى بن حارثة الشيباني. ويزيد بن مزْيد هو ابن أخي معن بن زائدة الشيباني. كان أحد الأمراء الأجواد المشهورين. ولي إمارة اليمن في زمن الرشيد، وقدم بغداد، وكان مقصودا مُمَدّحاً(١) .

وتذكر الروايات أن يزيد بن مزْيد مدحه الشاعر صريع الغواني مسلم بن الوليد، فأمر يزيد بن مزيد وكيله أن يبيع ضَيْعته ليعطي الشاعر نصف ثمنها ويحتبس نصفا لنفقته. وقد ولي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني الثغور، وقاد الجيوش التي دوخت الروم. ثم عزل عن هذا المنصب. ثم عقد له على أرمينية بعد أبيه يزيد بن مَزيد. وتشير الروايات إلى أن خالداً كان ينفق ماعنده مستجيباً لدواعي الكرم من غير أن يحسب للفقر حسابا. وفي شعر عُمارة مايؤكد أن خالدا مات فقيرا. ويقول الرواة إن دار خالد بن يزيد

(١) انظر تاريخ بغداد : ١٤/٣٣٤ ـ ٣٣٧ ، وجمهرة أنساب العرب : ص ٣٢٦ ومابعدها

بيعت في أيام الخليفة المطيع بعد إدبار بغداد والدولة بعشرة آلاف درهم. وكان في هذه الدار مسجد كبير لصلاة خدمه وحشمه. ولم يكن عمارة بن عقيل الشاعر الوحيد الذي مدح خالد بن يزيد، فقد مدحه أبو تمام معاصر عمارة بقصائد خمس(١).

وقد كتب أبو العباس ثعلب بأبيات منها إلى الوزير إسماعيل بن بلبل فأعطاه ألف دينار. وكان الذي أوصلها إليه أبو طالب المفضَّل بن سَلَمة. وقال الأخفش: وأنشدناها «هذه الضادية» أبو العباس محمد بن يزيد المبرد لعمارة بن عقيل، وقال: «أي المبرد»: هو أشعر فيها من أبيه وجده. وقد أثبت جعفر بن محمد الطيالسي من علماء القرن الثالث هذه الضادية في كتابه «المكاثرة عند المذاكرة»(٢).

وهذه القصيدة تقع في ستة وخمسين بيتاً، وهي من الكامل. ويستهل الشاعر قصيدته بالنسيب، ويتحسر على عهد الشباب الذي مضى ولن يعود. ويبكي المشيب وأوجاعه. وإذا كان الشباب هو الربيع للأرض فالشيب هو بمثابة المحل والقحط والجفاف. وينتقل الشاعر من الحديث عن الشباب والمشيب إلى وصف رحلته في الصحراء قاصداً الممدوح على عادة الشعراء الجاهليين.

ووسيلة الشاعر في رحلته بعيرٌ قوي فتي. وبفعل الرحلة الطويلة أصابه الإعياء حتى ذاب شحمه ولحمه. والشاعر كذلك أصابه ما أصاب بعيرهُ فالشاعر وبعيره أصابهما الشحوب والهزال. ويتخلص من وصف الرحلة إلى الموضوع الرئيسي للقصيدة وهو المديح. فالممدوح من بني مطر الشيبانيين. وهو بحر في جوده وعطائه. وهو ربيع للناس إذا تأخر المطر وتخلف الربيع. والممدوح ثاقب الرأي نافذ البصيرة حذر لاتنام عينه ولا تغفل عن الأُمور الجسام. ثم يصف براعته في قيادة الجيوش وتحقيق النصر على الأعداء

---

(١) انظر هذه القصائد في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ١/٧، ١٧٧، ٤٠٥، ٤٢٣، ٢/٢٨٣.

(٢) انظر الكتاب المذكور: ص ٤٦ - ٥٠.

على نحو يذكرنا برائية الأخطل التغلبي في مدح الخليفة عبدالملك بن مروان. ويشير الشاعر إلى عزل الممدوح عن ولاية الثغور ، ويصف هذا العزل بالجَحْد ونكران الجميل . وأخذ يصف هيئة الممدوح في الحرب ويصف فرسه وسرعته . ثم توجه إلى قوم الممدوح وآله وقد شملهم بمدحه . فهم أجواد ذوو مآثر يعافون الضيم كابراً عن كابر . والممدوح يشبه آباءه . وحسب الربعي أن يفاخر بالممدوح وأبيه . وأخذ يستدره العطاء والبذل ليصون ماء وجهه من سؤال الناس المناعين للخير . والممدوح منتهى أمل الشاعر ورجائه في الجود الذي لايُبْطله بالمنّ والاذى .

فالشاعر عمارة بن عقيل في هذه القصيدة يُعْنى بتقاليد القصيدة العربية المعروفة عناية ملحوظة . فقد استهلها بالنسيب ، وتخلص من موضوع إلى موضوع تخلصا حسنا. واستطاع أن يمزج المديح بالسياسة مزجا رائعاً حين يشير إلى عزل الممدوح عن ولاية الثغور . ومعاني المديح في جملتها مُنتزعة من البيئة البدوية . ومع ذلك فإننا نجد هذه المعاني تستند إلى المفاهيم الإسلامية أحيانا ، من مثل قوله :

عــــزَّ الـهـــدى بـلـــثَّ بعـــد ذلّـتـــــه ... والكفـر ذل فمـا بـه نَغَـْضـــــ

والشاعر لم يسجل انتصارات الممدوح الحربية على أعدائه كما سجلها للمدوح نفسه أبو تمام الشاعر في معركة انتصر فيها الممدوح انتصارا حربيا ماحقاً على تيوفيل امبراطور بيزنطة (١).

ويلاحظ الباحث من أول وهلة ثروة الشاعر اللغوية في هذه القصيدة التي بناها على الضاد. ولغة الضاد هي اللغة العربية . أي أن هذه القصيدة بنيت على حرف يكنى به عن العربية . وفي ذلك غاية التمثل للموقف الرسمي. والألفاظ الوعرة والغريب يشيع في هذه القصيدة . فلا يكاد يخلو بيت واحد من الغريب . وذلك راجع كما أعتقد إلى سببين :

(١) انظر ديوان أبي تمام : ١٨٩/١ .

أولهما : ثروة الشاعر اللغوية ، فهو راوٍ للغة والغريب والوحشي .

وثانيهما : إرضاء اللغويين والرواة الذين صاروا سدنة الشعر وحراسه في هذا العصر .

وعمارة في ذلك يريد أن ينقل الممدوح الى البادية والصحراء التي نَبَتَت فيها هذا الغريب .

وهو في ذلك مقارب لرؤْبة بن العجاج الراجز عندما جعل من أراجيزه متونا لغوية تحفل بالغريب والشاذ من الأساليب لينال إعجاب الرواة واللغويين قبل كل شيء . والشاعر في قصيدته يتمثل العادات البدوية تمثلا حسنا ، ومن مثل ذلك قولـه :

وإذا ربيعةُ قال فاخرُها
واستنبئَ الحكماءُ كي يَقضوا

منا يزيدُ وخالدٌ خَبَعَتْ
صيدُ القُروم وأفْحم العِضُّ

ففي هذين البيتين إشارة واضحة إلى المنافرة عند الجاهليين : والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة في الحسب وعراقة النسب . والأصل في عَقْدها أن يفتخر رجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يُحَكِّما بينهما رجلا كفعل علقمة بن عُلاثه مع عامر بن الطفيل حين تنافرا إلى هَرِم بن قطبة الفَزاري . وكانت عادة العرب أن يتحاكموا إلى وجهاء قريش .

واستعان الشاعر بالتشبيهات والاستعارات ليُبرز صورة الممدوح ، ومعظم هذه التشبيهات والاستعارات مستمدة من البيئة البدوية إلا القليل منها فإنه مستمد من البيئة الحضرية . ولا تخلو هذه القصيدة من زخارف البديع كالجناس والطباق ، هذه الزخارف التي شاعت في هذا العصر .

المراجـــع

١ — أخبار أبي تمام ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، حققه خليل محمود عساكر وزميلاه ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيـروت .

٢ — أخبار النحويين البصريين ، أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي ، نشره كرنكو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦م.

٣ — الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي ، طبعة الساسي ، مصر.

٤ — الأمالي وذيل الأمالي والنوادر ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.

٥ — إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٩٥٠م .

٦ — تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٣١ م.

٧ — تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨، م .

٨ — طبقات الشعراء ، عبدالله بن المعتز ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٦ م .

٩ — طراز المجالس ، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ، المطبعة الوهبية المصرية ، ١٢٨٤ هـ .

١٠ — العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، لمؤلف مجهول ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

١١ — الفهرست ، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ، مطبعة الاستقامة بالقاهـرة .
١٢ — مجالس العلماء ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الكويت ، ١٩٦٢ م .
١٣ — معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ م .
١٤ — معجم الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ، ١٩٦٠ م .
١٥ — المكاثرة عند المذاكرة ، جعفر بن محمد الطيالسي ، عارضه وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي ، أنقرة ، ١٩٥٦ م .
١٦ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد الأنباري ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف . بغداد .
١٧ — نقائض جرير والفرزدق ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ليدن ، ١٩٠٧م.

مسألتان عن المصدر

عبد الوهاب محمود الكحلة
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

نشأت (قواعد اللغة العربية) لعصمة اللسان عن الخطأ في الكلام ، وأبتدأ بناء (النحو) على مسائل قليلة كما أنشأها (الدؤلي) ، ثم اخذت طابع الاحاطة والشمول في (كتاب سيبويه) فكان أهم المصادر لقواعد العربية نحوها وصرفها .

وتلته مصنفات كثيرة نهجت نهجه ، ولحقته مؤلفات أخرى ولكنها تجانفت قليلاً عن منهج السابقين ، واستمرت في تبدل وتطور حتى سلك كل نحوي غير سبيل من سبقه . فنشأت من ذلك خلافات في مسائل تبعاً لهذا التطور والتبدل ، واتسع نطاق الخلاف حتى شمل مسائل بنيت على مراء وجدل ، وذهب كل يحتج بما يراه ويدافع عنه ، الى أن غدت المؤلفات متباعدة في المنهج والاسلوب والتبويب ، ولو عقدنا موازنة بين منهج سيبويه وأشياعه من قبل ومنهج النحاة من بعدهم لوجدنا البون شاسعاً .

ولئن أحسن المتأخرون وأجادوا بما استفاده كلٌ ممن سبقه واستنار به ، فان هناك مسائل كانت سهلة المأخذ في المصنفات الأولى ولكنها تعقدت من مصنفات الأواخر .

وقد عنّ لي مسائل كان لي فيها رأي يميل الى اليسر ، وسأعرض هنا

مسألتين لهما علاقة (بالمصدر) موازناً بين منهجي الأوائل والأواخر فيهما ، وهما (اسم المصدر ، والمصدر الميمي) لالغاء أولهما ودمج ثانيهما مع اسم الزمان والمكان في (باب مفعل) تحقيقاً لمنهج تيسير قواعد اللغة العربية ، نحوها وصرفها بحكمة وتلطف ، لا بأقدام و تعجرف .



المسألة الأولى

العلاقة بين (المصدر) و (اسم المصدر)

عرض سيبويه مسألة (اسم المصدر) على أنها ظاهرة لغوية ، واسلوب من أساليب العرب ، يتفق مع سننها في اتساعها بالكلام واستشهد على ذلك بآيات وأبيات وأمثلة ، ولفت النظر الى مايماثلها دون تعقيد أو تقعيد ، قال : « هذا باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل لأن المعنى واحد ، وذلك قولك :

اجتوروا تجاوُراً ،

وتجاوروا اجتواراً ،

لأن معنى (اجتوروا ، وتجاوروا) واحد .

ومثل ذلك :

(انكسر كسراً ، وكسراً انكساراً)

لأن معنى (كسر ، وانكسر) واحد .

وقال الله تبارك وتعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتاً » (١).

لأنه إذا قال : (أنبته) فكأنه قال : (قد نبت)

وقال عز وجل : « وتبتّل إليه تبتيلاً » (٢)

لأنه إذا قال : (تبتّل) فكأنه قال (بتّل) .

وزعموا أن في قراءة ابن مسعود : (٣)

« وأنزل الملائكة تنزيلاً » (٤)

لأن معنى (أنزل ، ونزل) واحد .

---

(١) سورة نوح : الآية (١٧) .

(٢) سورة المزمل : الآية ٨ .

(٣) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٤ .

(٤) سورة الفرقان : الآية (٢٥) .

وقال القطامي :

وخير الأمر ما استقبلت منه
وليس بأن تتبعه اتباعا

لأن (تتبعت ، واتبعت) في المعنى واحد .

وقال رؤبة :

وقد تطويت انطواء الحضب(١)

لأن معنى (تطويت ، وانطويت) واحد (٢)

نلاحظ مما ذكره سيبويه من الأمثلة والشواهد أنه علل وقوع المصدر مع غير فعله بقوله : (لأن المعنى واحد) فليس عنده مايسمى (اسم مصدر) وإنما هو مصدر قد استعمل مع غير فعله . فجعله مما جاء على سنن العرب في كلامها .

وقد تابع المبرد سيبويه في جواز استعمال المصدر مع غير فعله ، وعلل ذلك بأن المعنى واحد ، قال : « واعلم أن الفعلين إذا اتفقا في المعنى جاز أن يحمل أحدهما على الآخر ، لأن الفعل الذي ظهر في معنى فعله الذي ينصبه ، وذلك نحو قوله : (انا أدعك تركاً شديداً) (وقد تطويت انطواءً) لأن (تطويت) في معنى (انطويت) (٣).

فهنا نجد المبرد قد استدل بما استدل به سيبويه قبلاً من الأمثلة والشواهد في إثبات المسألة . وكاد ينقلها حرفياً من كلام سيبويه . وقد نهج هذا النهج من أتى بعدهما . فالزمخشري يقول في مفصله :

(وقد يقرن بالفعل غير مصدره مما هو بمعناه) (٤) .

---

(١) يجوز أن يكون اراد بكلمة (الحضب) الوتر، وأن يكون اراد الحية، لسان العرب: مادة (حضب) ٣٢١/١ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢٤٤/٢ .

(٣) المبرد : المقتضب ٧٣/١ .

(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ١١١/١ .

ويقول ابن يعيش في قوله تعالى : «وتبتّل إليه تبتيلاً» (١)
(فجرى التبتيل على تبتّل وليس له في الحقيقة ، لأن معناهما يؤول إلى شيء واحد) (٢)

ولم يقف عند حد ما قرره الزمخشري ومن قبله . بل حاول أن يزيد في المسألة تفصيلا وتوضيحاً فجعل لذلك قاعدة فقال : وهكذا كل مصدرين يرجعان إلى معنى واحد ، فهذه المصادر اكثر النحويين يعمل فيها الفعل المذكور لاتفاقهما في المعنى) (٣)

وقد يسأل سائل : ماالدافع إلى استعمال العربي المصدر مع غير فعله ؟

نقول : لعله يلمح في استعمال المصدر مع غير فعله معنىً دقيقاً لايتحقق له باستعمال المصدر مع فعله ، ويقدّر النحاة فعلاً للمصدر غير فعله المستعمل معه دون تعليل أو اشارة إلى مايستفاد من معنى دقيق بهذا الأستعمال ، ولتوضيح هذا نقول :

هناك فرق في نحو (انبتكم إنباتاً) و (أنبتكم نباتاً) فلو قال (انبتكم إنباتاً) دل المصدر على التوكيد فحسب وليس ذلك بالكلام البليغ ، فان وجود الخلق ، ومنهم المخاطبون بهذا القول لايدعو إلى توكيد الفعل بمصدره ، وإنما أراد — والله أعلم — أن يحقق فيهم معنى الطواعية والأذعان فجاء بمصدر يدل فعله على الطواعية ، فكأن المعنى : (انبتكم فنبتم نباتاً) وإلى هذا التأويل ذهب ابن يعيش ، وصرّح به عند الأستشهاد بالآية .(٤)

وبهذا يمكننا توجيه الآيات والشواهد التي جاءت على هذا النمط . وفي ذلك ما يضفي على الكلام العربي معاني دقيقة تتجلى فيها جوانب من البلاغة العالية. وأما من حيث الصنعة النحوية فنستطيع ايجاد قاعدة لما تقدم تنص على

---

(١) سورة المزمل : الآية ٨ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ١/١١١ .
(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ١/١١٢ .
(٤) ابن يعيش : شرح المفصل ١/١١٢ .

جواز استعمال المصدر مع غير فعله وبذلك تنحل عقدة تعريف (اسم المصدر) التي ذكرتها المصنفات بعد ذلك .

واليكم جانباً منها لنقف على الفارق الكبير بين رأي أولئك الأوائل الذين مثلوا لها بالأمثلة على أنها ظاهرة مجازية(١) باحلال مصدر محل مصدر آخر تجمعهما علاقة وحدة المعنى وبين رأي من جاؤوا بعدهم اذ وضعوا لاسم المصدر تعاريف لاتتفق ويسر الكلام العربي .

وقبل أن نوازن بين تلك التعريفات نقول: إن (سيبويه) لم يذكر (اسم المصدر)فيما استشهد من شواهد ولم يكن (لاسم المصدر) كيان مستقل في بداية التصنيف، ولم يحدد له اسم يميز به عن غيره.

فابن هشام يقول عن (اسم المصدر) المتفق على عمله: (وهو ما بدئ بميم زائدة لغير المفاعلة كالمضرب والمقتل وذلك لأنه مصدر في الحقيقة، ويسمى المصدر الميمي، وإنما سموه أحياناً (اسم مصدر) تجوزاً((٢).

وقال الصبان في حاشيته على شرح الأشموني: (قوله : (وذي ميم مضمومة لغير مفاعلة) تبع فيه ابن الناظم والتوضيح، والذي في كلام غيرهم كابن هشام في شرح الشذور انه (مصدر) لا (اسم مصدر) بل سيأتي في كلامه أيضاً في آخر أبنية المصادر: أن نحو (مصاب) مما جاء فيه (المصدر) على صيغة اسم المفعول) (٣) وقال ابن هشام في أوضح المسالك عما بدئ بميم زائدة :(أو كمضرب ومقتل. أو متجاوزاً فعله الثلاثة وهو بزنة اسم حدث الثلاثي كغسل ووضوء فانهما بزنة القرب والدخول في (قرب قرباً)و (دخل دخولاً) فهو اسم مصدر) (٤)

وقد نقل الأزهري في شرحه (التوضيح) عبارة ابن هشام مبيناً أنه لم

---

(١) مجاز لغوي، لا بلاغي .

(٢) ابن هشام : شذور الذهب ٢/٢٠٧ .

(٣) الصبان : حاشية الصبان على الاشموني ٢/٢٩٢ .

(٤) ابن هشام : اوضح المسالك ٢/٢٤٠ .

يستقر بعد على تعريف له؛ إذا لم يكن (لاسم المصدر) كيان خاص به فقال: (وما ذكره هنا من أن المبدوء بميم زائدة لغير المفاعلة (اسم مصدر) تبع فيه ابن الناظم، وقال في شرح الشذور: أنه (مصدر) ويسمى (المصدر الميمي) وإنما سموه أحياناً (اسم مصدر) تجوزاً) (١) وهكذا ظل (اسم المصدر) غير مستقر في كيانه إلى أن حدد له النحاة تعريفاً ليميزوه عن المصدر، ولكنه انتهى إلى الغموض والأبهام، ومن تلك التعريفات، ما قاله ابن عقيل: والمراد باسم المصدر ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه لفظاً وتقديراً من بعض ما في فعله دون تعويض ك(عطاء) فانه مساوٍ ل(إعطاء) معنى، ومخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله وهو خالٍ منها لفظاً وتقديراً ولم يعوض عنها شيء) (٢)

ويعرفه ابن مالك فيقول:

(تقدير وضع المصدر بالأصالة مخرج لاسم المصدر وهو ما وافق في المعنى مصدر غير الثلاثي، وفي الوزن مصدر الثلاثي ك (غسل وقبلة وعون) فأنها أسماء مصادر لأنها وافقت (الشكر والقدرة والصون) لكن هذه (مصادر) لأنّ أفعالها ثلاثية، و (الغسل والقبلة والعون) اسماء مصادر، لأن أفعالها اغتسل وقبّل وأعان، ومصادرها اغتسال وتقبيل وإعانة) (٣)

وهكذا اطّرد النحاة في تصانيفهم يحذون حذو هذه التعريفات، ومما زاد في المسألة تعقيداً أنهم لم يقفوا عند حد بيان الفرق بين (المصدر) و (اسم المصدر) من الناحية اللفظية، بل اختلفوا في مدلولهما أيضاً، قال الأزهري: (ومدلولهما مختلف فمدلول (المصدر) الحدث، ومدلول (اسم المصدر) لفظ المصدر الدال على الحدث فدلالة (اسم المصدر) على الحدث إنما هي بواسطة

(١) الأزهري: شرح التصريح على التوضيح ٦٩/٢.

(٢) ابن عقيل: شرح الألفية ٩٨/٢.

(٣) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ ٦٩٠.

دلالته على المصدر)(١)وجاء في (الاشباه والنظائر)عن الفرق بين المصدر واسم المصدر :
((قال الشيخ بهاء الدين النحاس .

الفرق بينهما أن (المصدر) في الحقيقة هو الفعل الصادر عن الانسان وغيره كقولنا : إن (ضرباً) مصدر من قولنا (يعجبني ضربُ زيدٍ عمراً) فيكون مدلوله معنىً .

وسموا ما يعبر به عنه مصدراً مجازاً نحو (ض ر ب) في قولنا (إن ضرباً) مصدر منصوب إذا قلت(ضربت ضرباً) فيكون مسماه لفظاً.

واسم المصدر : اسم للمعنى الصادر عن الانسان وغيره ك (سبحان) المسمى به التسبيح الذي هو صادر عن المسبح لا لفظ(ت س ب ي ح) بل المعنى المعبر عنه بهذه الحروف)(٢)

ومما يدل على أن مسألة (اسم المصدر) و(المصدر) قد ألغز حلها أن بعض النحاة أرادوا الخروج منها بسلام

فابن الحاجب يحاول أن يضيق من دائرة(اسم المصدر) فيقول في أماليه : (الفرق بين قول النحويين (مصدر واسم المصدر) أن المصدر : الذي له فعل يجري عليه ك(الانطلاق) في (انطلق).

واسم المصدر : هو اسم المعنى ، وليس له فعل يجري عليه كالقهقرى ، فانه لنوع من الرجوع ، ولا فعل له يجري عليه من لفظه))(٣)

ولعل ما ذهب إليه ابن الحاجب ههنا هو الأقرب إلى الصواب في التفريق بين المصدر واسم المصدر ، أما فيما ذهب إليه النحاة في التعريفات المتقدمة فقد حرصت على اثبات كيان لاسم المصدر يختلف عن المصدر ، فجعلوا(غسلاً) اسم المصدر للفعل(اغتسل) وجعلوا(السلام) اسم مصدر للفعل (سلّم)

---

(١) لأزهري : شرح التصريح على التوضيح ٦٨/٢ .

(٢) السيوطي : الأشباه والنظائر ١٨٥/٢ .

(٣) حاشية (يس) على التصريح ٦٨/٢ .

ولم يذكروها مع أفعالها الثلاثية وكأنهم عدلوا عن ذكرها بحجة أنها لم تستعمل البتة في المعنى الدال عليه المصدر، مع أننا لو استعملنا الفعل(غسل) لكان مصدره (غسلاً) وكذا (سلم سلاماً) و (كلم كلاماً) . ولا
تقوم آنئذٍ حجة لقائل أن يقول إن (الغسل) اسم مصدر للفعل (إغتسل) وإنما هو (مصدر) استعمل مع غير فعله، ومثل ذلك (التجاور، والاجتوار) في
نحو قولنا (اجتوروا تجاوراً) و (تجاوروا اجتواراً) كما ذكرها سيبويه في الكتاب، والمبرد في المقتضب، حيث جاء استعمال المصدر عع غير فعله، واحتج على ذلك (بأن المعنى واحد) .

وآخر ما نقول فيما نستدل له: إن ممن بحث في الفرق بين المصدر واسم المصدر من المحدثين صاحب كتاب (النحو الوافي) ولكنه لم يبت برأي صريح في ذلك، ولعله أراد ألا يبدي رأياً فيما اختلف فيه النحاة من قبله. بل اكتفى بقوله: (ولكن الفرق المعنوي بينهما في حاجة إلى تجلية وإبانة، فما المعنى أن اسم المصدر يساوي المصدر في الدلالة على معناه؟

ذهب النحاة في الايضاح مذاهب لا تخلو من غموض أو نقص (١)

ولعل خير ما قاله في هذا الموضوع قوله: (بقيت مسألة هامة تتلخص في أن بعض الباحثين المحققين ينكر وجود قسم مستقل يطلق عليه (اسم مصدر)(٢) وهذا ما يؤيد حجتنا فيما ذهبنا إليه في هذا البحث. ويقول عمن رأى الغاء (اسم المصدر):

(وهذا رأي قوي ودفعه عسير((٣) وبهذا يمكن أن نقرر ما أردناه، وهو أن أفعالاً قد تركت أو اهمل استعمالها وبقيت مصادرها فاستعملت مع غير أفعالها لعلاقة بين الفعل المستعمل والفعل المتروك هي وحدة المعنى بينهما.

---

(١) عباس حسن : النحو الوافي ٣/٢٠٩ .

(٢) عباس حسن : النحو الوافي ٣/٢١٠ .

(٣) المصدر المتقدم .

المسألة الثانية

المصدر الميمي

من خلال تتبعنا في مصنفات النحاة المتقدمين نجد علاقة متينة بين صيغ اسم الزمان والمكان وصيغ ما نسميه (المصدر الميمي)، وقد أشار النحاة إلى تلك العلاقة بوضوح، فبالموازنة بين صيغهما نجدهما يتساويان من وجوه نأتي على بعضها لتكون تكأة في بحثنا ومستنداً لرأينا في هذه المسألة.

فمما يتساويان فيه صوغهما من غير الثلاثي فتكون الصيغ على منهاج واحد لا يختلف كالمدخل والمُخرج (ويشمل هذا اللفظ المكان والزمان والمصدر والمفعول)(١) وقد يتساويان فيما جاء من الفعل الثلاثي الصحيح أيضاً، قال سيبويه: (وربما بنوا المصدر على المفعل كما بنوا المكان عليه (٢) (قالوا (المعجز) يريدون (العجز) وقالوا (المعجَز) على القياس)(٣) فالنص يدل على جواز مجيء المصدر مكسور العين أو مفتوحها، ويتساويان في الفعل الثلاثي المعتل، قال سيبويه: (هذا باب ما كان من هذا النحو من بنات الياء والواو، والتي الياء فيهن لام، فالموضع والمصدر فيه سواء) (٤)

وقال ابن السكيت: (وإذا كان الفعل من ذوات الثلاثة من نحو(مال ميلاً ومميلاً). يذهب بالكسر إلى الأسماء، وبالفتح إلى المصدر)(٥) ثم بين أنهما يجوز أن يتساويا فقال: (ولو فتحتهما أو كسرتهما في المصدر والاسم لجاز، تقول العرب: المعاش والمعيش، والمعاب والمعيب، والمسار والمسير، وأنشد(٦)

(١) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠٩/٦.

(٢) سيبويه: الكتاب ٢٤٧/٢.

(٣) سيبويه: الكتاب ٢٤٧/٢.

(٤) سيبويه: الكتاب ٢٤٨/٢.

(٥) ابن السكيت: اصلاح المنطق ٢٢٠.

(٦) لم يذكر قائله.

أنا الرجلُ الــذي قــد عبتمــوه

ومـا فيكـم لعيـاب معيبُ(١)

ويتساويان في الفعل الأجوف المفتوح العين أو المضموم، قال ابن السكيت: (فاذا كان يفعَل مفتوحاً مثل يخاف ويهاب، أو كان مضموماً مثل: يقول ويعول، فالاسم والمصدر فيه سواء)(٢)

ومما يقرب بين المصدر الميمي واسم الزمان والمكان أنه قد وردت اسماء مكسورة العين، وكان القياس فيها الفتح. (قال أبو زيد: يقال: للسيف مقبِض ومقبَض، وله مضِرب ومضَرب، وقالوا: هو المسكِن، وأهل الحجاز يقولون هو مسكَن. وقالوا: المنسَك. وقال العدوي: المنسِك)(٣).

ومما جاء على الفتح والكسر، المشرِق والمغرِب والمطلَع، قال الفرّاء: «والمطلِع كسره يحيى بن وثاب وحده، وقرأه العوام بفتح اللام (مطلع)، وقول العوام أقوى في قياس العربية، لأنّ: المطلَع بالفتح هو الطلوع، والمطلِع: المشرق والموضع الذي تطلع منه، الا أن العرب يقولون:

طلعت الشمس مطلِعاً فيكسرون وهم يريدون المصدر» (٤)

يتبين لنا مما تقدّم من الأمثلة التي جاءت اسماً ومصدراً على حرف واحد أن العرب قد تنطق باللفظ الواحد فيما هو له وفيما هو لغيره واللفظ واحد، قال الفرّاء: «فاذا كان (يفعَل) مفتوح العين آثرت العرب فيه (مفعَل) بفتح العين اسماً كان أو مصدراً، وربما كسروا العين في (مفعِل) إذا أرادوا به الاسم، وليس بالكثير»(٥) ويقول فيما كان على وزن (يفعُل) مضموم

(١) ابن السكيت : اصلاح المنطق ٢٢٠ .

(٢) ابن السكيت : اصلاح المنطق ٢٢١ .

(٣) ابن سيدة : المخصص ١٤/٢٠٤ .

(٤) الفراء : معاني القرآن ٣/٢٨١ .

(٥) ابن السكيت : اصلاح المنطق ١٢١ .

العين نحو: دخل يدخُل، وسجد يسجُد: [وربما فتحه بعض العرب في الاسم، قد روي: مسكِن، ومسكَن .

قال: وسمعت (المسجد والمسجَد) و (المطلع والمطلع) والفتح في هذا كله جائز وإن لم نسمعه] (١)

وكما توسع العرب بالنطق فيما ذكرناه ، فقد توسعوا أيضاً في الفعل المثال (المعتل الفاء بالواو) قال ابن السكيت : (وزعم الكسائي أنه سمع موجَل وموجِل ، وسمع الفرّاء : موضَع من قولك وضعت الشيء موضَعاً((٢) وقال ابن يعيش في هذا :

(إن الفتح اقيس ، والكسر أفصح ، فتكون صيغته على وزن — مفعَل. — بفتح العين وكسرها ، والأمران صَحيحان قويان) (٣) إن ورود هذه الأوجه في مادة الكلمة الواحدة يدل على أن ليس لصيغ اسم الزمان والمكان صورة ثابتة تحول دون دمج صيغ (المصدر الميمي) معها .

فهذا الترابط الواضح ، والعلاقة المتينة بين صيغ اسم الزمان والمكان والمصدرالميمي جعل المتقدمين يعرضونهما في مصنفاتهم تحت باب (مفعل) لايفردون المسألتين عن بعضهما .

هذا من حيث الوزن والصيغة، وأما من حيث المعنى فكما أن (مفعل) تدل على الزمان والمكان حسبالمعنى المراد فكذلك تدل الصيغة على المصدر إن قصد إليه، ومن ذلك قوله تعالى: «وجعلنا النهار معاشاً» (٤) قال سيبويه أي عيشاً (٥) ، وقوله تعالى «ومن آياته منامكم بالليل» (٦) أي نومكم والأمثلة على هذا كثيرة .

(٤) ابن السكيت : اصلاح المنطق ١٢١ .
(١) ابن السكيت : اصلاح المنطق ١٢١ .
(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ١٠٩/٦ .
(٣) سورة النبأ : الآية (١١) .
(٤) سيبويه : الكتاب ٢٤٧/٢ .
(٥) سورة الروم : الآية (٢٣) .

هذا ولم يغفل النحاة محاولة تعليل إحلال (مفعل) محل المصدر . فقد نظر المبرد إلى هذه المصادر الميمية إنما هي مصادر زيدت الميم فيها قال :
(إعلم أن المصادر تلحقها الميم في أولها زائدة لأن المصدر مفعول كقولك — ضربته مضرباً — أي : ضرباً .

وكذلك إن بنيت من الفعل اسماً لمكان أو زمان كان كل واحد منهما على مثال المفعول ، لأن الزمان والمكان مفعول فيهما ، وذلك قولك في المصادر : نحو (أدخلته مُدخلا (قال الله تعالى :) (أنزلني مُنزَلاً مُباركاً)) (١) ونحو : هذا مُقامنا) (٢) .

إن زيادة الميم هذه في وزن (مفعل) لم تحدد معنى واحداً في مادة الكلمة ، وإنما تعرف حسب المعنى الذي يقصده المتكلم . فتستعمل لتدل على الزمان أو المكان أو على المصدر . وإن زيادتها في الفعل غير الثلاثي تدل على معنى آخر غير الزمان والمكان والمصدر ذلك هو : اسم المفعول .

وبهذه الموازنة نرى من الأولى أن ندمج صيغ المصدر الميمي مع صيغ اسم الزمان والمكان تحت عنوان (مفعل) اذ أن انفراد كل باب يوهم أن له صيغاً تستقل به دون غيره . وبهذا نكون قد خطونا فيما قصدناه من هذا البحث خطوة أخرى في سبيل تيسير جانب من قواعد العربية بعد مسألتنا الأولى . بمناقشة اتبعنا فيها الحكمة والتلطف لبلوغ المرام .

---

(١) سورة (المؤمنون) : الآية ٢٩ .
(٢) المبرد : المقتضب ١١٩/٢ .

المراجــع

١ ـ الأزهري : ـ التصريح على التوضيح ـ المطبعة البهية ١٣٠٥هـ.

٢ ـ الأشموني : ـ شرح ألفية ابن مالك ـ مطبعة الاستقامة ـ الطبعة الاولى ١٩٤٧ .

٣ ـ ابن السكيت : اصلاح المنطق ـ دار المعارف ـ تحقيق عبد السلام هارون .

٤ ـ سيبويه : الكتاب ـ مطبعة بولاق ـ .

٥ ـ ابن سيده : المخصص ـ طبعة بولاق ١٣٢٠هـ .

٦ ـ السيوطي : الأشباه والنظائر ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ١٣٦٠هـ .

٧ ـ الصبان : حاشية محمد بن علي الصبان على شرح الأشموني.

٨ ـ عباس حسن : النحو الوافي ـ دار المعارف . الطبعة الخامسة .

٩ ـ ابن عقيل : شرح الفية ابن مالك ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٠ ـ الفراء : معاني القرآن ـ تحقيق محمد علي النجار وأحمد نجاتي طبعة عالم الكتب ـ بيروت .

١١ ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ـ مصورة عن طبعة دار الكتب .

١٢ ـ ابن مالك : شرح عمدة الحافظ ـ تحقيق عدنان الدوري.

١٣ ـ المبرد المقتضب . تحقيق عبد الخالق عضيمة ـ بيروت

١٤ ـ ابن هشام : اوضح المسالك ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٥ ـ ابن هشام : شذور الذهب مع حاشية العدوي ـ المطبعة العثمانية ١٣٠٣هـ .

١٦ ـ يـس : حاشية يس على التصريح ـ المطبعة البهية .

١٧ ـ ابن يعيش : شرح المفصل ـ المطبعة المنيرية .

الغزل والطرد في شعر امرئ القيس

الدكتور عمر محمد الطالب
كلية الآداب – جامعة الموصل

« المرأة والغزل في شعر امرىء القيس »

ارتبطت المرأة ارتباطاً قوياً بحياة امرىء القيس ، ومن ثم انعكست في شعره. ولا تخلو قصيدة من قصائده من الغزل مطلقاً. فيما عدا المقطعات الصغيرة التي فرضتها على وجدانه أحداث قاسية مر بها الشاعر بعد مقتل أبيه وسعيه للأخذ بثأره .

ولو استعرضنا ديوان امرىء (١) القيس لوجدنا أن المرأة والغزل يحتلان القصائد التالية :

١ – قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل من صفحة ٨ – ٢٦
٢ – ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي من صفحة ٢٧ – ٥٥
٣ – سما لك شوق بعد ماكان أقصرا من صفحة ٥٦ – ٧١
٤ – لمن طلل أبصرته فشجاني من صفحة ٨٥ – ٨٨
٥ – قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان من صفحة ٨٩ – ٩٣
٦ – أماوي هل لي عندكم من معرس من صفحة ١٠١ – ١٠٤
٧ – ألما على الربع القديم بعسعسا من صفحة ١٠٥ – ١٠٨

(١) ديوان امرىء القيس تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الثالثة .

٨ — لعمرك ماقلبي ألى أهله بحر من صفحة ١٠٩ — ١١٣
٩ — لمن الديار غشيتها بسحام من صفحة ١١٤ — ١١٨
١٠ — يادار ماوية بالحائل من صفحة ١١٩ — ١٢٢

هذه القصائد من رواية الأصمعي ، أما القصائد التي رواها المفضل الضبي وتضم المرأة والغزل في حناياها فهي :

١١ — أحار بن عمرو كأني خمر من صفحة ١٥٤ — ١٦٧
١٢ — ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطق من صفحة ١٦٨ — ١٧٦
١٣ — من ذكرى سلمى أن نأتك تنوص من صفحة ١٧٧ — ١٨٤
١٤ — عيناك دمعهما سجال من صفحة ١٨٩ — ١٩٣
١٥ — تنكرت ليلى عن الوصل من صفحة ٢٠٣ — ٢٠٥
١٦ — لعمري لقد بانت بحاجة ذي هوى صفحة ٢٠٩

أما الزيادات المضافة من نسخة الطوسي ، فيضم الغزل القصائد التالية :

١٧ — صرفتك بعد تواصل دعد من صفحة ٢٣٠ — ٢٣٥
١٨ — حي الحمول بجانب العزل من صفحة ٢٣٦ — ٢٣٨
١٩ — جزعت ولم اجزع من البين مجزعا من صفحة ٢٤٠ — ٢٤٢
٢٠ — لمن الديار عفون بالحبس من صفحة ٢٤٣ — ٢٤٧
٢١ — أأذكرت نفسك مالن يعودا من صفحة ٢٥١ — ٢٥٤
٢٢ — يادار سلمى دارساً نؤيها من صفحة ٢٥٥ — ٢٥٨
٢٣ — ألامي ابنة الغنوي ميّا صفحة ٢٥٩
٢٤ — طال الزمان وملني أهلي من صفحة ٢٦٢ — ٢٦٤
٢٥ — صحا اليوم قلبي عن لميس وأقصرا من صفحة ٢٦٥ — ٢٦٩
٢٦ — إن الخليط نأوك بالأمس من صفحة ٢٧٢ — ٢٧٤
٢٧ — ألما تزع عن أم عمرو وتيئس من صفحة ٢٧٥ — ٢٧٦

٢٨ — سقى أرض هند حيثشط بها النوى (١) من صفحة ٢٨٢ — ٢٨٧
٢٩ — أرقت فقلت في أرق العداد (٢) من صفحة ٢٨٨ — ٢٩٠
٣٠ — ضنت عليك لميس بالغرض (٣) من صفحة ٢٩١ — ٢٩٢
٣١ — لمن الدار تعفت مذحقب (٤) من صفحة ٢٩٣ — ٢٩٥
٣٢ — أشاقك من آل ليلى الكلل من صفحة ٢٩٦ — ٢٩٩
٣٣ — هل عاد قلبك من ماوية الطرب من صفحة ٣٠٠ — ٣٠٧
٣٤ — تقول لي ابنة البكري لمّا من صفحة ٣٠٨ — ٣١١
٣٥ — أهاجك الربع القواء المقفر من صفحة ٣١٢ — ٣١٨
٣٦ — ديار بها الظلمان والعين تعكف (٥) من صفحة ٣٢٣ — ٣٢٩
٣٧ — إن يلك شيبي قد علاني وفاتني من صفحة ٣٣٠ — ٣٣٦

أما القصائد التي تضم غزلاً في زيادات السكري فهي

٣٨ — سقى واردات والقليب ولعلعا صفحة ٣٤٠
٣٩ — ماهاج هذا الشوق غير منازل صفحة ٣٤٥

ولم تضم زيادات ابن النحاس شعراً غزلياً ، أما في زيادات ابن سهل فهي :

٤٠ — رحلت ولم نقض اللبانة من جمل من صفحة ٣٦٢ — ٣٦٤ (٦)

ولم أضم اليها الشعرالمنسوب إلى امرىء القيس والذي لم تتضمنه أصول الديوان المخطوطة (٧) .

---

(١) يقال إنها لبشامة البجلي.
(٢) يقال انها لعبد الله بن عبد الرحمن وهو اسلامي .
(٣) يقال انها لأبي داود الايادي .
(٤) يقال إنها لعمرو بن ميناس المرادي وهو مخضرم .
(٥) يقال انها لرجل من كنده .
(٦) ونحن لا نثق الا بروايتي الاصمعي والمفضل الضبي، أما الروايات الأخرى ففيها الكثير من الانتحال. انظر ديوان امرىء القيس ص ٣٦٥—٤٥٤ .
(٧) م.س ص ٤٥٥—٤٧٨ .

لقد اتبع امرؤ القيس في غزله اسلوباً خاصاً جرى عليه الشعراء من بعده وعدوه النموذج الأعلى للغزل، وأول ما يرتبط الغزل لديه بالطلل في مطالع القصائد، وهو ما أطلق عليه الباحثون: النسيب.

وقد تناول بعض الباحثين الوقوف على الاطلال من حيث مظهره الخارجي من حيث الادكار والحنين والتوق الى الماضي والذكريات الجميلة.

يقول هاملتون جب في صدد الوقوف على الأطلال عند امرىء القيس: «إن هذا الموضوع الذي يغلب عليه اسم الغزل، لهو في الحقيقة شيء يختلف تماماً، إنه ذكرى حب حزينة، وعنصره العاطفي الجوهري هو ادكار الفراق وصلته عادة بالغزل ضعيفة ... إن أقدم القصائد التي يظن أن الشاعر يخاطب صاحبيه من أبناء عشيرته مختلفة في انتقاء الموضوعات وترتيبها، ويبدو انها لا وظيفة لها غير التعبير عن شخصية الشاعر الخاصة وردوده لظروفه... وأولها من ناحية الجدارة الشعرية، فهي معلقة امرىء القيس الماجن الطريد... وقصيدته اعتداد بالنفس تماماً وتشتهر بالأوصاف الطبيعية وتتضمن صورة لطيفة لزوبعة، وتشتهر بصراحته أيضاً في مقطوعاته الغرامية»(١). وقد لاحظ جب الفرق الأساس بين النسيب في المقدمة الطللية، وبين الغزل، وكأنه يجاري ابن قتيبة عندما عدّ النسيب هو المدخل الى القصيدة، ولكنه أعطاها مميزاتها الخاصة بها والمعبرة عن مشاعر الشاعر الصادقة من خلال الصدق الشعوري والتوق والحنين الى الماضي وذكرياته. ويمتاز النسيب بالصدق الشعوري والواقعية والبساطة والتصوير المتقن وانسانية العاطفة والصدق في الأخيلة والتعبير معاً، هذا بالاضافة الى واقعية مكانيّه وجغرافية يصفها لنا الشاعر وكأننا نحياها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـــــــزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(١) المدخل في الادب العربي، ص ٢، ٢٣، ٢٧.

فتوضح فالمقراة لم يعـــف رسمهـــا

لما نسجتهـا من جنوب وشمـأل

ترى بعـر الآرام فـي عرصاتهـــا

وقيعانهـا كـأنـه حـب فلفـل

كأني غـداه البيـن يـوم تحملـوا

لدى سمرات الحـي ناقف حنظل

وتمتاز المقدمات الطللية عند امرىء القيس بواقعيتها، فهو يوسمها بانسانية دافقة من دون مبالغة أو تزييف «وهو فيها فنان أصيل يمتاز بطاقة فنية ضخمة، تتيح له الانطلاق في عمله الفني انطلاقاً طبيعياً من غير مشقة ولاعناء، والعمل الفني عنده ليس أكثر من تسجيل مباشر للتجربة الانفعالية التي يمر بها كما أحسها أو شعر بها من غير افتعال أو تصنع، والصورة الفنية في شعره صورة طبيعية بسيطة يسيطر عليها لون التشبيه، وهو لون يستمد اصباغه من البيئة الصحراوية التي يعيش فيها ويشتق عناصره الأولية من المشاهد الحسية التي يقع عليها بصره » (١) .

لذا نجد أن مقدمات امرىء القيس الطللية تزخر بالحياة وتتدفق فيها نبضات قلبه وحسراته، حتى لنكاد نتخيله وهو يذرف العبرات بأسى على أيام ودعها قبل النهاية المحتومة، فتنساب كلماته رقراقة عذبة بسيطة معبرة وتتداعى صوره بخفة وواقعية خالية من الشطحيات الخيالية : « ولعل ذلك جعله يفزع الى التشبيهات الحسية دون غيرها من الوان التصوير المعقدة، إذ لانرى فيها إلا اسم الاطلال مفرداً مجرداً وبعر الآرام في ساحاتها، ودموعه المسفوحة ووقوفه الطويل عند هذه الديار والحاحه الشديد على البكاء » (٢).

فاذا أعطى ابن قتيبة مفهوماً تقليدياً للغزل في مطالع القصيدة العربية القديمة حيث قال : سمعت بعض أهل الأدب يذكر ان مقصد القصيد انما ابتدأ فيها

---

(١) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي ص ٢٢٥ .

(٢) م.س ص ١٧٩ .

بذكر الديار والدمن الاثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لأهل الظاعنين ، اذ كانت نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم من ماء الى ماء وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط في الصبابة ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء ، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً به بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام فاذا علم انه قد استوثق من الاصغاء اليه والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحرّ الهجر وانضاء الراحلة والبعير » (١).

واذا عدّ ابن قتيبة المقدمة الطللية مدخلاً الى القصيدة فاننا نخالف هذا الرأي ونراها جزءاً اساساً من القصيدة العربية ، وانها غاية في حدّ ذاتها لأنها تبين الصراع الأزلي بين الحياة والموت ولا سيما في شعر امرىء القيس (٢) « ان النسيب وان اختلفت أنواعه ، فهو اختيار القضاء والفناء ، والتناهي... لقد ملأ التفكير في الوجود والمصير على الشاعر الجاهلي حياته غير انه لم يكن يكن تعبيراً صادراً عن تشاؤم وانما كان حافزاً يحفزه على الاقبال على الحياة.

إن قطعة النسيب في مطلع القصيدة الجاهلية تكتسب اهمية خاصة من حيث انها الجزء الذاتي في القصيدة ، الذي يمكن ان يكشف تحليله عن انه كان المجال الذي يصور لنا فيه الشاعر احساسه بتلك العناصر الكونية الثلاثة . اختيار القضاء والفناء والتناهي وموقفه منها » (٣)

---

(١) الشعر والشعراء ص ٢٠

(٢) انظر دراستنا «صراع الحياة والموت في شعر امرىء القيس» مجلة آداب الرافدين» العدد ٩ ، ١٩٧٧ .

(٣) فالتر براونة، مقدمة في القصيدة في الشعر الجاهلي، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

وهذا مانراه في المقدمة الطللية كما سيأتي شرحه ، ونخالف آراء التقليديين فيها ويقف هذا الموقف قلة من الباحثين المحدثين : « وبذلك تستحيل تجربة الطلل إلى وسيلة مادية يفصح الشاعر من خلالها عن مأساة التغيير الذي يدع كل شيء موجوداً أو غير موجود في آن معاً . ينال المرء الشيء ويتذكر بنواله له ؛ إذ يدرك انه سيتولى ويرتحل عنه ...فامرؤ القيس توسل هنا بمبدأ التعميم الذاتي بفعل السويداء والوحشة ، فبدا له أن المرأة لاتزال تخادعه وتغرر به ، وانها لن تخلف في نفسه إلا البؤس الدائم ، ولعله كان يعاني هنا لحظة من الصدق والصفاء النفسيين ، فباح بحقيقة واقعه من المرأة محققاً ما تذكره الاصول القديمة عنه من أنه كان مفركاً لاتطيق النساء عشرته » (١) وهذا ما يمثل الموت في نفسه كالموت المتمثل في الاطلال ، بينما يعود في اماكن اخرى ليفاخر بحب النساء له صدقاً كان أم كذباً على سبيل التعويض.وهذا الموقف نابع من تدفق الحياة في نفسه . اما اسرافه في وصف الدموع والبكاء والحزن فهو ما يناسب طبيعة الرجل البدائي لأنه انسان مطبوع يسير على سجيته ، وهذا ما يجعل شعره منسجماً مع طبيعته ومع واقعه النفسي ، وفي وصف امرىء القيس للطلل في اطار من عواطف الوجد والحنين وفي واقع من الالتباس العميق بينه وبين الحبيبة الناعمة المزينة المضمخة بالطيب والمتوهجة بالفتنة وفي خضم صراعات عدة متداخلة ، تمثل معاناته لواقع السعادة والتعاسة في الوجود وواقع الحب والجمال متخطياً ذلك كله الى نوع من الشعور الحاد بالزوال والعدمية .

إن تجربة امرىء القيس مع الطلل تنطوي على نزاع بين الاستقرار والرحيل بين الالفة والوحشة ، بين القرب والبعد ومن ثمة بين الحياة والموت ، فيستهل معظم مطالع قصائده بالطلل وبالبكاء،والبكاء تجسيد للآلام والاحزان المبرحة للوقوف امام عثرة المستحيل والانطواعية على احساس حاد منجم شبيه باحساس الموت (٢) .

---

(١) الاغاني جـ٩ ص ١٠٣ امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ص ١٣١ – ١٣٢ .

(٢) الشعر الجاهلي ص ٤٢٨ .

وكـم دونهـــا مـــن مهمـــه ومـــفـــازة
وكم أرض جـدب دونهـا ولصوص

وينتقل الصراع المادي الى صراع معنوي بين الحياة والموت .

الا عم صبـاحـاً أيها الطلـل الـبـالـــي
وهـل يعمــن من كان في العصر الخالي

وهـل يعمــن الا سعيــــد مـخـلـّـــد
قليـل الهموم مــا يبيـت بأوحـال

ويذهب هذا المذهب في المقدمة الطللية محمد النويهي حيث يقول « لذلك كان شعرهم شعر هذه الحياة بكل حدودها وكل امكانياتها الفانية فمن وراء هذا الشعر يكمن احساسهم بالزمن ومأساة انقضائه احساساً قوياً بليغاً عظيم المرارة تتجلى هذا الاحساس في مختلف موضوعاتهم الشعرية . في وصفهم لرحيل المحبوبة وانفصام الصداقات وتبدد الشمل وخراب الديار التي كانت آهلة ومصارع الحيوان الوحشي » (١).

ونحن نجد أن المقدمة الطللية ليست الا رمزاً لهذا الصراع بين الحياة والموت فاذا كانت الحياة واقعاً معاشا ، فان الموت يكمن في أشياء تدل عليه وترمز له كالطلل مثلا وفراق الأحبة والرحيل المستمر ، والليل المكلل على البشر والنجوم التي تكاد تهوي على اجساد البشر إذا ما انقطعت الحبال التي تشدها الى السماء أو الجبال ، والعواصف والسيول المدمرة ، وفي اساطيرنا العربية واحلامنا رموز كثيرة واقنعة عديدة تدلل على الخطر الذي يتهدد الفرد ذلك الخوف من المجهول الذي يكمن وراءه ما نخشى والذي يتشكل باشكال عدة يتجسد في هيكل واحد هو الفناء .

والطلل عند امرىء القيس كائن حي لأنه حي في نفسه وفي ذكرياته لذا يقف منه موقف الاحياء . يناجيه ويحدثه ، . يبث له لواعج احزانه وحبه واشواقه ، وهو لايكتفي بالتحيــة عليه والكلام معه بل يطلب اليه ان يجيبه

(١) م.س ص ٧٣ — ٧٤ .

عن اسئلته وكأنه يرى فيه روح الاحياء التي كانت تقطنه ، لأنه يرى فيه ذكرى الحبيب وبقاياه .

- ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطق
وحدث حديث الركب ان شئت فاصدق

- ألما على الربع القديم بعسعسا
كأني أنادي أو أكلم أخرسا

وكأنه أحس بأن لايسمع أحد ، وأنه لامجيب على اسئلته .

فاذا احتل النسيب كل هذا الرمز بامتزاجه مع الطلل امرىء القيس ، ويتبين أن المقدمة جزء لايتجزأ عن القصيدة فانها عند الجيل الثالث من شعراء ماقبل الاسلام وعند بعض رعيل الجيل الثاني منهم تقليد لابد منه كمقدمة للدخول الى القصيدة كما ذكر ابن قتيبة ، فتفقد عندئذ أصالتها وتصبح مجرد شكل يتداوله الشعراء ولم تعد رمزاً عن الصراع بين الحياة والموت ولا انبعاثاً صادقاً لعواطف الشاعر ومشاعره المنطلقة من كل قيد ، يقول جب : « فما ان ينشأ الشكل الأدبي حتى يبقي بعد ذلك معياراً أو شبه قالب في أبياتها الرئيسة ، وان اقدم القصائد التي يظن أن الشاعر يخاطب صاحبيه من أبناء عشيرته ، مختلفة في انتقاء الموضوعات وترتيبها ، ويبدو انها لاوظيفة لها غير التعبير عن شخصية الشاعر الخاصة وردوده لظروفه ، ولكن سرعان ما تغير هذا الشأن ، ومن نتائج تطور فن الشعر الجديد ، ان الشعر بدأ يصبح مهنة »(١).

* *   * *   * *

ارتبط الغزل في بناء القصيدة عند امرىء القيس بوصف الظعائن ، وهي صلة الوصل بين الوقوف على الاطلال والوصول الى المرأة المرغوبة : فبعد التساؤل الذي يسود الوقوف على الاطلال عادة ينتهي هذا السؤال بوصف الطريق الذي يسلكه الشاعر للوصول الى المرأة ، ويختلط الواقع بالخيال ،

(١) المدخل في الأدب العربي ص ٢٣ .

والحلم بتحديد الأماكن التي يصلون اليها ويتجاوزونها ، ويهتم الشاعر بجغرافية المكان اهتماماً خاصاً ، لينتقل بعدها الى وصف الهوادج ، وتلعب القيم النفسية وانفعالات الشاعر وهو في طريقه الى المحبوب دوراً في هذه الرحلة .

فقد كانت حياة امرىء القيس مرتبطة بالأرض ، وكان هذا الارتباط بحكم العلاقات الاجتماعية يصبغها بلونه الخاص من اللقاء والاجتماع الى الفرقة والقطيعة . وكانت الرحلة واحدة من ابرز هذه الوقائع ، لذا شاعت في أدب امرىء القيس والشعراء من بعده .

ويبدأ الظعن بالتساؤل عند امرىء القيس ، ليعلن بعده خبر الرحيل واذاعته بين الناس وهو مدخل الى الحديث . ويأتي التساؤل على صيغ متعددة (١) مثل

ـ تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
سوالك نقباً بين حزمي شعبعب

ـ أوما ترى اظعانهن بواكرا
كالنخل من شوكان حين صرام

ـ ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطق
وحدث حديث الركب ان شئت واصدق

ثم ينتقل الى وصف الطريق التي ينحدر منها الظعائن ، ويركز امرؤ القيس على وصف الطريق جغرافياً فيسمي الاماكن التي يصل اليها والمياه التي يرتوي عندها والظلال التي يستضيؤها ، وقد صور الشعراء تفرق الظعائن وغلبة الحزن عليهم :

فلله عينا من رأى من تفرق
أشت وانأى من فراق المحصّب

فريقان منهم جازع بطن نخلة
وآخر منهم قاطع نجد كبكب

(١) ينظر / الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٠ .

ويمعن امرؤ القيس في وصف الصور الشعرية لهذه الظعائن فمنها ما يأتي سريعاً مقتضباً ومنها مايأتي مسهباً مفصلاً بحسب الحاجة النفسية ، وزخم المشاعر وتشعبها :

– فشبهتهم في الآل لما تكمشوا
حدائق درم أو سفيناً مقيّرا ... الخ

وقوله : وحدث بأن زالت بليل حموهم
كنخل من الاعراض غير منبق ..الخ

لينتقل بعد ذلك الى وصف الهوادج واصناف الستور وانواعها والوانها وقيمتها واماكن صفها واوصافها الاخرى المتعددة .

– جعلن حوايا واقتعدن قعائدا
وحففن من حوك العراق المنمق

ويمعن امرؤالقيس في وصف النساء المتحملات ، ويبدو عليهن في الغالب مظاهر الترف والنعمة :

غرائر في كن وصون ونعمة
يحلين ياقوتاً وشذرا مفقرا .. الخ

وقد لايكتفي امرؤ القيس بوصف النساء في الظعائن وانما يدير حواراً بينهن يتحدثن فيه عن مشاعر الفراق والاسى ، والرغبة في اللقاء والتواجد والتواصل الانساني ، والصلة بالأرض لاتقل اهمية عن الصلة بالانسانية ، بالاهل والاحباب ويتمثل الرحيل بالحركة المستديمة ، فلا شيء ، يشفي من الحب سوى الرحيل ولا شيء يعزي غير الرحيل :

وانك لم تقطع لبانة عاشق
بمثل غدو أو رواح مؤوب

بادماء حرجوج كأن قتودها
على أبلق الكشحين ليس بمغرب

ويصف النياق وهي جادة في سيرها وكأن وحشاً يهاجمها فيفزعها مما يدعوها الى الجد في السير وكأنها تهرب من وحش ينشب اظفاره في جنبها :

– بعيدة بين المنكبين كأنها
ترى عند مجرى الظفر هراً مشجّرا

وقوله : تروح إذا راحت رواح جهامة
بإثر جهام رائح متفرق

كأن بها هراً جنيبا تجره
بكل طريق صادفته ومأزقِ

إن السير الحثيث للنوق يجعل اخفافها تنجل الحصى تارة ويتأبى عليها تارة اخرى

يتطاير ظرّان الحصى بمناسم
صلاب العمى ملثومها غير أمعرا

كأن الحصى من خلفها وامامها
إذا أنجلته رجلها حذف اعسرا

كأن صليل المروحين تطيره
صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

ويدفع امرؤالقيس بناقته الذمول هاجرة في تلك الغيطان التي علاها السراب فبدت كأنها كسيت بملاحف بيضاء (١).

فدع ذا وسلّ الهم عنك بحسرة
ذمول إذا صام النهار وهجرا

تقطع غيطاناً كأن متونها
إذا ظهرت تكسى ملاء منشّرا

وتعبر الظعائن عن موقف نفسي معين للشاعر ، فهو يذكر موقفه من سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة ، موقفه المهادن الذي لايسعى فيه الى عدائه أو وصله كما في القصيدة :

(١) للاستزادة ينظر م.س ص ٢٠ – ٨٨ .

لمن الديار غشيتها بسمام

فعمايتين فهضب ذي اقدام

يعبر عن امله في اعادة مجد ابائه ، ويسعى الى وصل (سليمى) التي تمثل مجد الآباء والاجداد (١) في قصيدة :

سما لك شوق بعدما كان أقصرا

وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا

ويعبر عن الفرح والبهجة وذكر مباهج الطبيعة وتقلباتها في قصيدته :

ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطق

وحدث حديث الركب ان شئت واصدق

لم تحظ الناقة لدى امرىء القيس بالاهتمام الذي حظيت به الظعائن ، فقد ألم ببعض امورها بسرعة وايجاز ، واتخذ من وصفها تكميلاً لصورة الظعائن تارة الى الانتقال الى وصف حيوان الصحراء من حمار وحشي وثور ونعامة وظليم ، فليس لها وجود مستقل في شعره كالفرس ، وانما اصبحت بحكم البيئة والملازمة للسفر الطويل والظعائن موجوداً من موجودات الصحراء أو رمزاً للصحراء وموجوداتها لاثارة الذكريات ووصف الموجودات الصحراوية التي تقع عليها عينا امرىء القيس (٢) .

وهكذا تحتل حركة الظعائن جزءاً مهماً من الغزل في شعر امرىء القيس لأنها السبيل الاساس للوصول الى المرأة .

** ** **

يعد امرؤ القيس استاذ الغزل في الشعر العربي حتى ليقال في المثل ، هو أغزل من امرىء القيس » « وقد سبق امرؤ القيس شعراء العرب الى أشياء ابتدعها منها رقة النسيب » (٣).

---

(١) للاستزادة ينظر م.س ص ٢٦٩ - ٣٥٠ .

(٢) ينظر / شعراء الطبيعة في الأدب العربي ص ٣٧ .

(٣) طبقات الشعراء ص ٢٧ .

والغزل وليد عاطفة الحب وتصوير لنفسية قائله ، فهو إذن يتسم بالصدق الشعوري فقلما كان ينبعث عن محاكاة أو تكلف ، ويتسم الغزل بالصدق الفني والقدرة على التعبير الصادق عن العاطفة والبراعة في تصويرها ، حتى لكأن الشاعر يجسمها لقرائه وسامعيه فيشاركونه مشاركة وجدانية في أفراحه واتراحه ويشعر كل منهم أن هذا ليس تعبيراً عن عاطفة الشاعر وحده وانما هو تعبير عن العاطفة الانسانية الخالدة وهو من اسمى ابواب الشعر العربي إن لم يكن اسماها جميعاً (١).

وقد أورد امرؤالقيس العديد من أسماء النساء اللواتي تغزل بهن ، واهتم الشاعر كثيراً بذكر مغامراته الغرامية معهن ، كما اهتم بذكر أوصافهن ومحاسنهن الحسية . وغزله صريح وواقعي مستمد من تجاربه الحياتية الخاصة وخاصة اعجاب الشاعر بالنساء المتزوجات ، ورغبته في المغامرة معهن واقتحام منازلهن واخبيتهن كموقفه من بيضة الخدر في المعلقة ، وسليمى في قصيدته (ألاعم صباحاً ايها الطلل البالي) وهو يفخر بمغامراته الغرامية هذه ولاسيما اذا كان زوج معشوقته يغط في نومه ، بينما يعابث هو زوجته .

فأصبحت معشوقاً واصبح بعلها
عليه القتام سيئُ الظن والبال

يغط غطيط البكر شد خناقه
ليقتلني والمرء ليس بقتال

ايقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب اغوال

لعل أفضل مغامراته الغرامية في شعره وأكثرها تأثيراً مغامرته مع عنيزة في دارة جلجل ، ومغامرته في بيت العذارى ، وذكرياته الكثيرة مع أم الحويرث وام الرباب .والحبلى والمرضع ، وذكرياته عند دار هند والرباب وفرتني ولميس . وذكرياته الحارة الحزينة لسلمى وليلى وسليمى وسعاد :

---

(١) الغزل في الشعر الجاهلي ص ١٢ – ١٣ .

– أمن ذكر سلمى أن نأتك تنوص

فتقصر عنها خطوة وتبوص (١) .

وكم دونها من مهمه ومفازة

وكم أرض جدبٍ دونها ولصوص

وقوله – من آل ليلى واين ليلى

وخير ما رمت ماينال (٢)

وقوله – غلقن برهن من حبيب به ادعت

سليمى ، فامسى حبلها قد تبترا (٣)

وكان لها في سالف الدهر خله

يسارق بالطرف الخباء المسيرا

إذا نال منها نظرة ريع قلبه

كما ذعرت كأس الصبوح المخمّرا

وقوله – لعمري لقد بانت بحاجة ذي هوى

سعاد وراعت بالفراق مروعا (٤)

متى تر داراً من سعاد تقف بها

وتستجرِ عيناك الدموع فتدمعا

يعنى امرؤ القيس في وصف مشاعره تجاه المرأة،ومشاعر المرأة تجاهه، كما في الابيات المذكورة آنفاً ولا سيما في البيتين الاخيرين، وقد يستبطن مشاعر المرأة المحبوبة ولا يكتفي بسرد اوصافها الخارجية:

سموت اليها بعد ما نام اهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال (٥)

---

(١) شرح الديوان ص ١٠٤ .

(٢) الديوان ص ١٠٤ .

(٣) شرح الديوان ص ٦٩.

(٤) شرح الديوان ص ١١٤ .

(٥) م.س ١٤٠ – ١٤١ .

فقالت سباك الله إنك فاضحي
ألست ترى السمار والناس أحوالي

فلما تنازعنا الحديث واسمحت
هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا
ورضت فذلّت صعبة أي إذلال

وهو اذ يقدم المرأة يقدمها من خلال تصوره الخاص لها ورغبته بها ويلجأ الى التشبيه والاستعارة لتجسيد الصورة ويقابل المحسوس بالمحسوس لا بالمعنوي، ويسعى الى الايجاز والوصول الى ما يريد بأقل الألفاظ، فهو موجز لامسهب في وصف مغامراته الغرامية ويتصاعد بالقصيدة تصاعداً دراميأ حتى يوصلنا الى لحظة التأثير الكامل، ومن هنا جاء تفوقه في الغزل على جميع الشعراء . وهو يلجأ الى الافعال المزيدة والمشتقات ويستخرج منها مختلف الصيغ والأوزان كأسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان والتفضيل والمبالغة والصفات المشبهة والمصادر رغبة منه في تناول المعنى من جميع نواحيه والتدرج فيه .

يمتاز امرؤ القيس في غزله بجرأته في وصف استمتاعه بالمرأة، والقصد الى ما يريد بوضوح ومن دون اي تلميح أو مواربة.

ومثلك بيضاء العوارض طفلة
لعوب تنسيني اذا قمت سربالي

ويمعن امرؤ القيس في تفصيل هذه المشاهد ويعرضها باسلوب قصصي ممتع كمغامرته مع بيضة الخدر وسلمى، كما يمعن في وصف المتع الجسدية ويفصل فيها :

ومنهن سوف الخرد قد بآها الندى
تراقب منظوم التمائم مرضعا

وقد يستعين بالسفراء يصلونه بمن يريد نوالها، وهو في موقفه هذا يثور

ضد المواصفات الاجتماعية وكأنه صاحب مذهب اجتماعي يريد ان يقلب به مواصفات المجتمع البدوي :

بعثت اليهــــا والنجـوم ضواجــع
حذار عليها أن تهب فتسمعــــا

وهو على الرغم من صراحته المتناهية في كشف مغامراته الغرامية في شعره يحاول ان يعفو أي أثر لتلك المغامرة عن أعين الحراس والرقباء حفاظاً على سمعة المحبوبة ، فإما أن يسحب الثوب فوق الرمل ليعفو آثار الاقدام او يتستر بستار الليل بعد أن يهجع القوم للنوم. أو يتوسل بوسائل مختلفة لاخفاء أثر مغامراته الغرامية :

فلمـا دنـــــوت تسـديتهـــا
فثـوبـاً نسيــت وثـوبـاً أجر(١)

ولــم يـرنـا كــالىء كــاشــح
ولــم يغش منـا لـدى البيت سر

خـرجـت بهـا نمشـي تجر وراءنـــا
على اثرينا ذيل مــرط مرحّل(٢)

وقد تأتي معها صويحباتها الى لقائه لتبعد اعين الرقباء عن مغامراتها معه وبهذا نجد أن نساءه لسن أقل جرأة منه، إذهن يفاخرن أمام صويحباتهن بحبه لهنّ :

فجاءت قـطوف المشـي هيابة السـرى
يدافع ركناها كواعــب أربعاً(٣)

واذا كان حبه ومغامراته الغرامية ناتجة عن حاجة جسدية ،فانها على الرغم من ذلك تمتاز بالارهاف والحساسية، وألم الفراق، ولوعة الحسرة والبعد، وتمتزج بها خشونة الحياة البدوية برقة المشاعر والاحاسيس الداخلية :

(١-٣) شرح الديوان ص ٧٩، ١٢٩، ١١٣

كأني غداة البين يـــوم تحملــــوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل(١)
أمن ذكر نبهانيه حـــــل أهلهــا
بجزع الملا عيناك تبتـــدران(٢)
فدفعهمـــا ســحّ وسكب وديـمــة
ورش وتـــوكــاف وتنهمـلان
كأنهمـــا مـزادتا متعجـــل
فـريـان لمـــا تسلقـا بدهان

ويهتم امرؤ القيس بالجوانب الحسية في المرأة وبعلاقته معها، ويقف عند محاسنها ومظاهر الجمال البادية عليها وقفة طويلة، وهو كما يهتم بالكليات يعطي اهمية كبيرة للجزيئات ليولد الايحاء، والانطباع والاعجاب والاثارة، وهو قد يعتدل أحياناً في الوصف، وقد يسرف في أحايين اخرى، كما يهتم بالظواهر الاجتماعية يمنح المظاهر الفردية اهتماماً كبيراً، وقد تبدو دقته في وصف محاسن المرأة سطحية منتزعة من مظاهر البيئة الصحراوية، فهو يصفها ببياض الوجه دلالة على الأصالة والرخاء والغنى:

دخلـت عـلى بيضـــاء جـم عظامهـا
تعفـي بذيل المـرط إذ جئت مودقي

وهي ممتلئة القد من أثر النعمة وكثرة المال والجاه بيضاء البشرة ملساؤها

اذا مـا استحمـــت كـــان فيض حميمهـا
على متنتيها كالجمان لدى الجالي

وهي مشرقـة وضاءه الوجه صبوحته :

تضيء الظـلام بالعشــاء كأنـــها
منارة ممســي راهـــب متبتـــل (٣)

وهي بيضاء الاسنان عذبة الريق طيبة رائحة الفم

(١-٣) شرح الديوان ص ١٢٤، ١٨٨، ١٣١ .

يعـــــل بـــه بـــرد أنيابهــــــا

إذا النجم وسط السماء استقل (١)

ومثـلك بيضـــاء العوارضـــ طفلـــــة

لعوب تنسيني إذا قمت سربالي(٢)

وهي صغيرة الاسنان عذب مذاق فمها، سوداء اللثة — وهي سمة من سمات الجمال عند النساء في عصر ما قبل الاسلام — لأن التناقض بين سواد اللثة وبياض الاسنان وحمرة الشفاه تظهر جمال الفم عند المرأة:

منابتـــــه مثـل السدوس ولـــــونــــه

كشوك السباك فهو عذب يفيض(٣)

كما يعنى بوصف العين والخد والجيد والشعر والقدم والساق والأنامل. كما ورد في معلقته، وسيأتي ذكره في فصل قادم.

وهو لا يقف عند وصف المرأة كجسد جميل فقط، بل يهتم بحركة المرأة كما يهتم بوصفها كتمثال جميل. فهو يمعن في تصوير حركة اعضاء الجسد عند الوصال للدلالة على الاقبال عليه والرغبة فيه كما يرغب هو بها:

إذا مـــا الضجيـــــع ابتزها مـــن ثيابهـــــا

تميـل عليه هونة غير مجبال(٤)

كحقف النقـــا يمشـي الوليـدان فـوقـــه

بمـا احتسبا من ليـن مس وتسهال

ويرتبط الحب عنده بالشباب، فالمرأة لا تحب إلا الشاب المغامر الجسور، الذي يملأ عليها كيانها، كما تشبع فيه كل رغباته:

وياربـ يـوم قـــد أروح مـــــرجلا

حبيباً الى البيض الكواعب املسا(٥)

يرعـــن الى صوتي إذا مـــــا سمعنـــــه

كما ترعـوي عيط الى صوت أعيسا

(١-٥) شرح الديوان ص ١٧٢، ١٤٠، ١٠٤، ١٤٠، ٩٨ — ٩٩.

أراهـــن لا يحببـــن مـــن قـــلّ مـالــه
ولا مـــن رأيـــن الشيـب فيه وقوّسا

لذا هو يغضب من بسباسة عندما تعيره بالكبر ويشهر بها ويغلظ لها القول

ألا زعمـــــــت بسباسة اليـوم اننـــي
كبرت وألا يحســن السر امثالي(١)

كـذبـت لقـد أصبـي عـلى المرء عرسـه
وامنع عـرسي أن يـزنّ بها الخالي

وقد يعذب غزله ويرق في رجاء وتنازل عند العتاب على قلته في شعره كما فعل مع فاطمة :

أفاطـم مهـلاً بعـض هذا التـــــدلل
وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

أغرك منـــي ان حـــبك قاتلـي
وأنـك مهما تأمري القلب يفعـل

هذه الكآبة التي نراها في خطابه لفاطمة تظهر في شعره اللاهي أيضاً، وهذا ما يدفعنا الى القول بأن معظم مغامراته الغرامية التي جسدها من شعره، إما ان تكون من بنات خياله، للتعويض عن بعد النساء عنه لأنه كان مفركاً وإذا ما عرق تنبعث منه رائحة كريهة تزهد النساء فيه، فأورد هذه القصص التي صورها خياله كتعويض عن واقعه وعلاقته بالمرأة، أو انهن نساء محترفات كان يزورهن في أخبيتهن اثناء رحلاته الطويلة، سواء في شبابه او بعد مقتل والده بعد تشرده في القبائل طلباً للأخذ بثأر والده.

وقد استخدم الشاعر جميع حواسه في وصف المرأة ماخلا حاسة السمع لأن البدوي لايهتم بصوت المرأة كثيرا : «إلا أننا نستشف عبر الأبيات كلها نوعاً من الاحساس الحي العميق بالوحدة بين المرأة والطبيعه بحيث لاندرك اذا كان يحب الطبيعة عبر المرأة او المرأه عبر الطبيعة» (٢) وهذا

(١) شرح الديوان ص ١٣٩ .
(٢) امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ص ٦٢ .

المزج بين المرأه والطبيعة يجعل الشاعر يربط بين المرأه والأرض ، وعندما يذكر اسم امرأه لايشترط ان تكون امرأه بعينها أو أن اسمها هو اسم حقيقي فهذه الاسماء لاتعني مسمياتها ففاطمه قلما تختلف عن عنيزة وام الحويرث وام الرباب ومن اليهن ، بل انه يتناول الاسم في صدفة الاختيار بحيث لانشعر أنه يخص احداهن بعاطفة لايخص بها سواها كما انه لايردد اسم واحدة اكثر من سواها ليخيل الينا انه سنحت له عواطف لبعضهن او انه علق واحدة منهن بالفعل (١) ، ولم يذكر المؤرخون عن النساء اللواتي ذكرهن غير فاطمه ابنة عمه ومنهم من عدها عنيزه خطأً والتباساً لما سنرى في فصل قادم . وهر زوجة أبيه أو جاريته ، ولم يعطهما صفات جمالية تختلف عن غيرهما من اللواتي ذكرهن .

واذا ما اقترنت المحبوبة بالطلل واقترن اسمها به فان الطلل مقرون بالأرض التي يقوم فوقها :

يـــادا مــــــاوية بالحـــــائـــل

فالسهب فالخبتيـــــن من عــاقل

وقد يسهب في تحديد جغرافية الطلل مما يدلل على احساسه العميق بروح المرأة وانه كما يعنى بالنواحي المادية منها يعنى بالنواحي المعنوية عناية خاصة :

كـــأن المدام وصــوب الـــغـمـــام

وريح الخزامى ونشـر القطـــر

يعـــل بـهـــا بـــــرد أنـــيـــابـــهـــا

اذا طرب الطـــائر المـســتـحـر

إن هذا التوليف بين المدام والغمام والخزام والبخور على ثغرها ، ترتبط في ضمير الشاعر بالطبيعة او كأن السعادة التي حققتها له المرأة اوحتها لها الطبيعه لتحقيقها له ، وكأن الجمال لاملامح له ولاشكل الا ملامحها وشكلها

(١) م.س ص ٤٤ — ٤٥ .

وكأن الحياة نفسها لاتتجسد الا في الطبيعه والمرأة التي جمعت جمالها المنثور ، فالمرأة هي الطبيعه الحية (١) .

فالمرأة هي نعيم الحياة ، كما الطبيعة هي اساس وجوده وسعادته ومن ثم فنائه وينتقل امرؤ القيس من الغزل الى موضوعات اخرى في قصائده وهي ذات علاقة وثيقة بالغزل نفسه ، ويكون الموضوع الذي ينتقل اليه ، اما الطرد والقنص او الوصف او الفخر او الشكوى من الزمن وتقلباته وصروفه القاسيه والعلاقة بين الغزل ومابعده علاقه نفسيه لانهما معاً صادران عن عاطفه ويشغلان تفكير الشاعر ، ولأنهما معاً من صور الحياة البدويه التي يحياها الشاعر ويعجب بها (٢) . ولابد من علاقة بين اي فكرتين تلي احداهما الاخرى سواء أكانت تلك العلاقة ظاهرة ام غير ظاهرة ، فالعقل لايستطيع أن يغير الموضوع حينما يشاء من غير اشارة الى ماضيه القريب ، فالذكريات افكار مرتبطه ، وحتى في التفكير المتعمد تكون الروابط لاشعورية فيفيض التيار العصبي من غير تفكير في المسالك العصبية ولايستثير شرارة الشعور إلا عندما يقفز من طرف لآخر (٣) .

(١) م.س ص ٦٦ .
(٢) الغزل في العصر الجاهلي ص ٢٦٨ .
(٣) كيف يعمل العقل ص ٤٥ ، ٣٠ .

(٢)

«الطرد والقنص في شعر امرىء القيس»

يحتل الطرد والقنص في شعر امرىء القيس اهمية خاصه ، فقد قضى شطرا من شبابه لاهيا يخرج للصحراء اياماً يقتات على المصيد الذي برع في صيده براعة كاملة .

وهو عندما يتعرض للصيد في شعره يستخدم المشاهد التمثيليه الحيه يعرضها باسلوب قصصي أخاذ (١) . وهو يعتمد في تجسيد عمليه الصيد على الواقعية الفنيه والحركه الحية وقوة الخيال ، وايضاح عملية الصيد وتلوينها بألوان متناقضه ليظهر جماليتها كما يؤكد على الصراع بين الحصان والحيوان المصيد او الصراع بين الكلاب والثور الوحشي ، او بين الكلاب والحمار الوحشي أو بين الصقر والذئب والى اخر ذلك من انواع الصراع . ويحتل الحصان مكانه خاصه في عمليه القنص هذه . ويلاحظ ان جواد امرىء القيس ليس جواد فارس . ولكنه جواد صائد فحين يصف سرعته وقوته، فذلك لكي يثبت لنا أنه قادر على اللحاق بالفريسه ومدرب على قيد الأوابد .

ونلمس فرقاً كبيراً بين وصف عنترة او عامر بن الطفيل لجواديهما وبين تصوير امرىء القيس لجواده في تحقيق الهدف من هذا الوصف والتفاصيل في اكتمال اجزاء جسم الحصان (٢)، على الرغم من أن الاوصاف العامة مشتركة للحصان عند الشعراء الجاهليين. وهو يعمد الى الوصف الخارجي لحصانه ، ولكنه لايعمد الى الوصف الجامد بل الى الوصف الحركي ،فحصانه دائم الحركة سواء في عملية القنص أم في غيرها . وهو يعمد إلى الواقعية في التصوير ولا يلجأ إلى الخيال الا بمقدار ما يلون الصورة ويخرجها باطار جميل جذاب . وهو بهذا يهتم بالقيم التعبيرية لعملية الصيد اكثر من اهتمامه بالقيم النفسية اذا استثنينا ملاحقة الكلاب للثور الوحشي . ويظهر حبه الشديد

(١) تنظر دراستنا / القصة في شعر امرىء القيس، مجلة التربية والعلم، العدد الأول، ١٩٧٨ .

(٢) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية ص ٧٢ .

لحصانه ونخال عندما يتحدث عنه وكأنه يتحدث عن نفسه؛ لأنه ملازم له دائماً لا يفارقه أبداً، وهو ينزع إلى تجسيد الروح البدوية في وصفه للطرد والقنص ويجعلنا نعيش اللحظات الممتعة التي عاشها الشاعر اثناء عملية الصيد هذه. وصور الصيد تتكرر في اللوحات الشعرية التي يعرضها ولا يختلف بعضها عن البعض الآخر الا في جزئيات بسيطة (١). ونجد في لوحات الصيد في شعر امرىء القيس صرامة وقسوة على الرغم من رقة مشاعره في شعره، وهو لا يفصل كثيراً في قصص الصيد سواء من ناحية الصائد ام المصيد، بل يميل إلى الانجاز والضربات الوصفية الموحية. «لقد اخذت قصة الصيد ابعاداً انسانية عند الشعراء الجاهليين حتى اننا نراهم يتعاطفون مع المصيد ... اما الصيد عند امرىء القيس فانما ليقيم وليمة فاخرة لصديقاته أو أصدقائه او ليصور مدى سرعة جواده الذي استطاع أن يلحق بهذه الحيوانات المصيدة»(٢) مما يسم لوحات الطرد لديه بسيم القسوة والصرامة على العكس من شعره الغزلي والوصفي. والصياد لديه دائماً صاحب كلاب، وقد يذكر اسماء هؤلاء الصيادين، ويروي مهارتهم في الصيد وتخفيهم عند موارد المياه لصيد الخصم (المصيد) ويجسد صورة المعركة والصراع بين الصائد والمصيد.

وقد تأخذ لوحات الصيد بعداً رمزياً يمثل الصراع بين اشراقة الحياة وضراوة الموت «فليست المعركة القاسية الطويلة التي يخوضها الثور الوحشي سوى صورة حية اصيلة من صور الصراع الخالد بين الاحياء والطبيعة، او بين الأحياء والأحياء دفعاً للظلم، ودفاعاً عن الحياة في نقائها ووفرتها وجمالها»(٣). وقد يرمز الحيوان الطريد اليه نفسه في تشرده وطوافه بين القبائل وملاحقة اتباع المنذر لالحاق الأذى به وقتله. وقد انتشرت لوحات الصيد في شعر امرىء القيس ضمن نطاق القصائد الطويلة او في قطع شعرية لم تتناول غير

---

(١) ينظر المصدر السابق.

(٢) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية ص ٧١.

(٣) الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ١١٧.

الصيد، ولعل أفضل صور الصيد والطرد اوردها امرؤ القيس في نطاق المعلقة (١٤). من ص ٨ – ٢٦ من الديوان في قصيدة (ألاعم صباحاً ايها الطلل البالي)، وتأتي لوحة الصيد سريعة على العكس من المعلقة ويستطرد الشاعر في وصف حصانه وتشبيهه بالعقاب، ويصور في هذه اللوحة الطردية تبكيره لممارسة رياضته المحببة في الصيد قبل انبلاج الفجر او مع الغبش وما زالت الطيور في وكناتها، ويظهر الشاعر ما يمتاز به حصانه من نشاط وحيوية حتى ليكاد يطير به لحصان مثله يحب الطرد والصيد فيسرع اليه بحيوية ونشاط ويصور في هذه اللوحة خروجه للصيد بمفرده. بينما نجده في لوحة الطرد في المعلقة يصطحب معه الصحاب والخدم والمساعدين والطهاة، مما يدلل في كلا الحالين على انه ما خرج إلى الصيد إلاّ للهو والمتعة، ولم يخرج اليه خروج المتصعلكين الفقراء الساعين وراء الغذاء، بل خروج المترفين وابناء الملوك في اطار من الابهة والبذخ (٢). وفي القصيدة الثالثة من الديوان (خليليّ مرا بى على ام جندب) يصور رحلة الصيد ومستلزماتها بصورة متحركة مع اهتمام كبير بوصف اعضاء جسم الحصان :

وقد اغتدي والطير في وكناتها
وماء الندى يجري على كل مذنب

بمنجرد قيد الأوابد لاحه
طراد الهوادي كل شأو مغرّب

على الأين جياش كأن سراته
على الضمر والتعداء سرحة مرقب

ويمضي على عادته بتشبيه فرسه بالحمار الوحشي القوي النشيط :

يباري الخنوف المستقل زماعه
ترى شخصه كأنّه عود مشجب

---

(١) ينظر / عمر الطالب، رحلة في معلقة امرىء القيس مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٩، ١٩٧٧ .

(٢) ينظر / القصة في شعر امرىء القيس، م.س .

لـه أيطـلا ظبي وسـاقـا نعـامـة.

وصهوه عير قائم فوق مرقب

ويخطو علـى صـم صلاب كـأنـهـا

حجارة غيل وارسات بطحلب

لـه كفـل كالـدعص لبّـده النـدى

إلى حارك مثـل العبيط المذأّب

ويمضي امرؤ القيس في وصف اعضاء جسم الحصان جزءاً جزءاً وهو في حالة حركة دائبة حتى ينتقل إلى وصفه ككل متحرك، وهو كتلة من حيوية ونشاط، عندما يرى سرباً من البقر الوحش وهو يتهادى في مشيه حتى يمعن في ملاحقته :

ويـخضـد فـي الآريّ حـتـى كـأنمـا

به عرة من طائف غير معقب

فيـومـاً عـلـى سـرب نقي جـلـوده

ويـومـاً على بيدانة أم تـولـب

فبينا نعـاج يـرتعيـن خـميـلـة

كمشي العـذارى فـي الملاء المهـذب

فتنادى الصحاب للحاق بقطيع البقر الوحش، وعقدت اعذرة الخيل واشتد الجري حتى ان الغلام الذي ساعدهم في الصيد لم يتمكن من القفز على ظهر الحصان الا بصعوبة، وبدأ الصراع بين الصيادين وبين البقر الوحشي حتى انتهى الصراع بأن خرّ بعضها صريعاً وهو يحاول أن يتلقى الطعنات بقرنه. وهيأ الخدم مكاناً للجلوس ثم أعد الطعام وجلسوا للأكل. وبقي لحم كثير حملوه في حقائبهم وهم يعودون في المساء، وما يزال الحصان قوياً نشيطاً برغم العرق الذي يسح منه

فكان ينادينا وعقد عذاره
وقال صحابي قد شأونك فاطلب

فلأياً بلأي ماحملنا وليدنا
على ظهر محبوك السراة محنّب

وولى كشؤبوب العشي بوابل
ويخرجن من جعد ثراه منصّب

فللساق الهوب وللسوط درة
وللزجر منه وقع أهوج متعب

فادرك لم يجهد ولم يثن شأوه
يمر كخذروف الوليدَ المثقّب

فعادى عداء بين ثور ونعجة
وبين شبوب كالقضيمة قرهب

* * *

وظل لثيران الصريم غماغم
يداعسها بالسمهريّ المعلب

فكابٍ على حرّ الجبين ومتّق
بمدرية كأنها ذلق مشعب

وقلنا لفتيان كرام ألا انزلوا
فعالوا علينا فضل ثوبٍ مطنّب

* * *

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

نمش بأعراف الجياد اكفّننا
إذا نحن قمنا عن شواء مضهّب

ورحنا كأنا من جواشي عشيّة
نعالي النعاج بين عدل ومحقب
وراح كتيس الربل ينفض رأسه
اذاة به من صائك متحلّب
كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حناء بشيب مخضب

وتكاد نفس اللوحة تتكرر بايجاز في قصيدته (أعني على برقٍ أراه وميض) (١) ينصف حصانه وملاحقته لسرب من البقر الوحش، او يصف رحلة الصيد التي بدأها من الصباح الباكر إلى أن عاد مساءً إلى أهله ، ويكتفي في قصيدة (لمن طلل ابصرته فشجاني) بوصف حصانه وسرعته وقوته وحركته الدؤوبة المستمرة، وكذلك في قصيدة (قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان) ومن لوحات الصيد الجميلة في شعره قصة الثور الوحشي والكلاب المهاجمة له في قصيدة (أماوي هل لي عندكم من معرس) (٢) ومثلها لوحة الصيد في قصيدته (رب رام من بني ثعل) (٣) وهذه القصائد مما رواها الأصمعي . أما لوحات الصيد في القصائد التي رواها المفضل الضبي لشعر امرىء القيس فمن أجمل لوحات الصيد والطرد ما عرضه في قصيدته : (أحار بن عمرو كأني خمر)

حيث يصور خروجه مبكراً الى الصيد ومعه الكلاب فهاجمت الثور واصابته في النسا واشتد الصراع بينها وبين الثور، وقد أبدع امرؤ القيس في وصف كلاب الصيد ومهاجمتها للثور حتى تكاد الصورة أن تنطق لدقتها واستمرار الحركة فيها

وقد اغتدي ومعي القانصان
وكل بمبرأة مقتفر

---

(١) ينظر تاريخ الادب الجاهلي ح٢ ص ١٢٨ — ١٢٩ .
(٢) يقال انها لأبي دواد الأيادي .
(٣ ، ٤) تنظر دراستنا / القصة في شعر امرىء القيس من هذا الكتاب .

فيـدركنـــــا فقـم داجـــــنٌ
سميــع بصيـر كلوب نكـرْ
ألـــص الضـروس حنّــي الضلـوع
تبــوع طلوب نشيـــط أشر
فأنشـــب أظفـــاره فـــي النّـــا
فقلـــت هبلـــت ألا تنتصر
فكــــرّ اليـــه بمبـــراتـــه
كمـــا خـــلّ ظهر اللسـان المجر

ويعطي صورة جميلة لانتصار الثور على الكلب الذي شق جوفه بقرنه فاستدار وسقط :

فظـــل يـرنـــح فـــي غيطـــل
كمـا يستديـر الحمـــار النعر

ويمضي الشاعر في وصف قوة حصانه وسرعته وحركته الدائبة ونشاطه المستمر ولا يزيد اللوحة الطردية في قصيدته (الا أنعم صباحاً أيها الربع وآنطق) (١) غير منظر الربيئة الذي يرسلونه للتعرف على مكان البقر والحمر الوحشية ، والدقة في تصوير هذا الربيء بحيث خلق من حركته صورة حية لا يمحوها الزمن

بعثنـــا ربيئـــاً قبـل ذلك مخمـــلاً
كذائب الفضي يمشي الضراء ويتقي
فظـــلّ كمثـــل الخشـف يرفـع رأســـه
وسائره مثـل التـــراب المدقق
وجاء خفيـــاً يســـفن الارض بطنـــه
ترى الترب منـــه لاصقاً كل ملصق

(١) ينظر / م.س .

فقـــال الا هـــــذا صـــوار وعانـة

وخيـــط نعام يرتعـــي متفرقِ

وقد عني امرؤ القيس عناية خاصة بلوحات الطرد والصيد وعرضها باسلوب قصصي وباشكال متعدده، وارتبطت اللوحة بوصف الحصان في حالتي الوقوف والحركة ووصف أعضاء جسمه، والاهتمام بعراقه أصله وبسرعة جرية وقوته وصلابته ويؤكد في كل لوحاته على خروجه الى الصيد في الصباح الباكر ويستمر الصيد إلى وقت متأخر حتى يسقط المصيد، لتبدأ الوليمة، وقد يزيد اللحم عن الحاجة فينقلونه معهم عند العودة في المساء، ويبدو الصيد في لوحاته الرياضة المفضلة لديه وانه يخرج اليه مع معدات الصيد والصحب والخدم ، كما يبدو لنا امرؤ القيس صياداً حاذقاً وأن حصانه مدرب على الصيد فيعادي المصيد حتى يدرك أوائله ولا يختار امرؤ القيس غير الهاديات من السرب لأنها أقواها وأفضلها (١) وهو يعني بالجزئيات الدقيقة لاغناء اللوحة ومنحها قوة التعبير وحيوية الحركة وشدة العلوق بالنفس وكان القارىء يعيش معه حالة الصيد ويشاركه المصيد، وهو كثيراً ما يعقد تشبيهات مختلفة فيشبهه بالجماد والحيوان فهو يشبهه تارة بآلة الحياكة :

بعجلـــزة قداتـــرز الجـري لحمهـــــا

كميـــت كأنهـــا هراوة منوال

يريد به صلباً شديداً ضامراً ويشبهه تارة اخرى بالعقاب في سرعته وقوتـه

كأنـــي بفتخـاء الجناحيـــن لقـــــوة

صيود من العقبان طأطأت شخلالي

تخطـــــف خزان الشربّة بالضحـــى

وقد حجرت منها الثعالب أورال

(١) ينظر تاريخ الأدب الجاهلي حـ٢ ص ١١٧ - ١٣٢ .

ويعود لتشبيه حصانه بالعقاب في لوحة اخرى وهو يعطي للعقاب حركة انقضاض على ذئب أحس بمراقبته له فراح يختبىء بالصخور للخلاص منه، ولكن لم يكن له منجى من الموت بين مخالب هذا العقاب الجسور المستوفز للفريسة (١)

كأنها حين فاض الماء واحتفلت

صقعاء لاح لها في بالقفرة الذيب

ويشبهه في قصيدة اخرى بالباز وهو يخر على أرنب رآه من علو شاهق(٢)

كأن غلامي (إذ) علا مال متنه

على ظهر باز في السماء محلق

رأى ارنباً فانقض يهوي أمامه

اليها وجلاها بطرق ملقلق

ان منزلة الحصان عند امرىء القيس كبيرة جداً لاتقل منزلة عن نفسه؛ لأنه يرى في قوة الحصان قوته ونشاطه ، ولا يتم لهوه ،في الطرد والصيد إلا عندما يكون مصاحباً له .

(٢،١) م.س .



المصادر

١ — ابراهيم محمد ابو الفضل، ديوان امرىء القيس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م .

٢ — الاصفهاني، ابو الفرج، الاغاني، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٣م .

٣ — جب، هاملتون، المدخل في الادب العربي، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٩م .

٤ — الجمحي، ابن سلاّم، طبقات الشعراء، القاهرة، م. المدني، بلا.

٥ — حاوي، ايليا، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م .

٦ — حنفي، سيد، الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م .

٧ — الحوفي، أحمد، الغزل في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م .

٨ — رومية، وهب، الرحلة في القصيدة الجاهلية، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينين، بيروت، ١٩٧٥م .

٩ — السندوبي، حسن، شرح ديوان امرىء القيس، م. الاستقامة، القاهرة، بلا .

١٠ — الطالب، عمر، رحلة في معلقة امرىء القيس، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٢٩، ١٩٧٧م .

١١ — الطالب، عمر، القصة في شعر امرىء القيس، مجلة التربية والعلم، العدد الأول، ١٩٧٩م .

١٢ ــ الطالب، عمر دراسة فنية في شعر امرىء القيس، مجلة زانكو العلمية، العدد الثاني، ١٩٨٣م .

١٣ ــ عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م .

١٤ ــ فرويد، سيجموند، كيف يعمل العقل، القاهرة، بلا .

١٥ ــ قتيبة، ابن، الشعر والشعراء، دار المعارف، مصر، بلا، ١٩٦٦م.

١٦ ــ قتيبة، ابن، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م .

١٧ ــ نوفل، سيد، شعراء الطبيعة في الادب العربي، م. مصر، القاهرة، ١٩٤٥ .

١٨ــ النويهي، محمد، الشعر الجاهلي، الدار القومية، القاهرة، بلا .



علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية

٤٢٩هـ ١٠٣٨م ـ ٤٤٧هـ ١٠٥٥م

الدكتور فاضل مهدي بيات

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

برز السلاجقة على مسرح التاريخ كقوة عسكرية تنقاد لامرائها . واصبح لهم وزن عند حكام عصرهم وخاصة عند الملوك الغزنويين وذلك قبل اتصالهم بالخلافة العباسية، أو اثارتهم اهتمام خلفائها. وقد خاضوا في البداية بعض الحروب التي مكنتهم من السيطرة على بعض المناطق في تركستان. وكانت الظروف التي تمر بها الدولة الغزنوية موآتية لهم، فانشغال ملوكها بحروبهم في مناطق بعيدة عنهم كالهند مثلاً، أو بلهوهم وعدم تقديرهم لقوة السلاجقة في البداية .. كل ذلك ساعد السلاجقة على بناء دولتهم الفتية وخاصة بعد أن دخلوا مدينة نيسابور واستولوا عليها سنة ٤٢٩هـ .

والحقيقة ان سيطرة السلاجقة على مدينة نيسابور كان لها أثر نفسي كبير لهم، اذ جنوا ثمار كفاحهم المرير ضد الدولة الغزنوية، فذاع صيتهم في مختلف الاقاليم وخاصة بعد ان اندفعوا نحو الغرب وانتشروا يغزون اماكن

واسعة . ولا شك في أنهم قاموا ببعض الأعمال التخريبية في الأماكن التى حلّوا بها. ونتيجة لهذا تعالت الصيحات والشكاوي ووصلت إلى اسماع الخليفة بالذات طالبة تدخله في الأمر. فارسل الخليفة العباسى القائم بأمر الله رسلاً إلى السلاجقة «ينهاهم عن النهب والقتل والاخراب ويعظهم». ووصل رسله إلى نيسابور وطغرلبك يعدُ فيها بعد أن تملكها (١). ويمكن القول ان الخليفة بعمله هذا كان يريد ان يفرض نوعاً من السيادة عليهم ويبين لهم انه ما زال الزعيم الروحى للدولة الاسلامية رغم خضوع الخلافة العباسية للبويهيين. أما اثر هذه السفارة على السلاجقة فانه كان بالغاً وقد جعلتهم مبتهجين، لانها كانت تعني اعلان الخليفة طغرلبك حاكماً على خراسان ورئيساً على السلاجقة كافة (٢). ويلاحظ من حادثة ذكرها المؤرخون(٣) ما لهذه السفارة من اثر على السلاجقة، فعندما أراد داود أخو طغرلبك نهب مدينة نيسابور منعه طغرلبك محتجاً برسل الخليفة وكتابه، وبالرغم من أن داود لم يبال بهذا، الا أن طغرلبك أصر على رأيه وقد تمكن في الأخير من اقناع اخيه بالكف عن النهب. وقد بالغ السلاجقة في اكرام رسول الخليفة وارسل طغرلبك جواباً لرسالته بدأه بـ «عبدكم وتبعكم طغرلبك بن ميكائيل ..» وأرسل قزل زوج اخت طغرلبك جواباً إلى الخليفة. استهله بـ «عبدكم ووزيركم قزل بن يحيى»، أما جغرى بك (داود) فلم يكتب جواباً (٤) . ويذكر الكاتب الاصفهاني (٥) ان طغرلبك سيّر إلى دار الخلافة رسولاً يعرف بابي اسحق الفقاعي وحمّله كتاباً برر فيه اعمال السلاجقة وحمّل الغزنويين تبعة ذلك ومما ذكره : «انهم لما وجدوا ابن يمين الدولة مائلاً عن الخير والسمو، مشتغلاً بالشر والعتو، غاروا للمسلمين والبلاد، وهم عبيد أمير المؤمنين في حفظ البلاد والعباد، وقد سنّوا سنة العدل، وأسنوا سنا الفضل، وبطلوا واسم العسف، وعطلوا مواسم الحيف» .

أما ما حققته هذه السفارة الاولى فهو ان الخليفة ابتهج لما أبداه طغرل وجغرى بك من الاحترام البالغ لرسوله، واعتقد انه تمكن من كسب السلاجقة

لأعدهم كرصيد عسكري تمكن الاستعانة بهم، وخاصة في الوقت الذي صبح مركز الخلافة ضعيفاً بتدخل البويهيين فيه. وتذكر المصادر أن الخليفة ارسل إلى طغرلبك في مدينة الري، رسولاً معه احد المقربين اليه وهو هبةالله ابن محمد المأمون، وزوّده بالرسائل الطيبة، وطلب من هبة الله أن يتقرب من طغرلبك حتى يحضره إلى بغداد. غير ان طغرلبك اعتذر عن ذلك لانشغاله بفتح النواحي والولايات وعدم تفرغه لزيارة بغداد. وقد بقي هبةالله ثلاث سنوات عند طغرلبك يدعوه إلى بغداد (٦) .

وبالرغم من كل ذلك فان العلاقة بين الطرفين لم تتعد تبادل الرسائل والسفراء، فقد كان يشغل بال طغرلبك الكثير من الامور وهو يرسي أركان دولته الفتية. وتروي لنا المصادر ان السلاجقة بعد ان نفّذوا رسالتهم إلى الخليفة قسّموا الولايات فيما بينهم وعينوا على كل ناحية واحداً من مقدميهم (٧).

ويبدو ان مركز السلاجقة وقوتهم كانا يتعززان يوماً بعد يوم وهم يكتسحون البلاد الايرانية ويقضون على الامارات التي كانت قائمة هناك. وهذه الحالة اثرت فيهم تأثيراً كبيراً وخاصة بعد أن أصبحوا على مشارف بلاد البويهيين والخلافة العباسية. والحقيقة ان السلاجقة كانوا يعدون العدة للدخول إلى العراق متجاهلين قوة البويهيين او الخلافة العباسية. وخير دليل على ذلك الرسالة التي ارسلها ابراهيم ينال (اخو طغرلبك من امه) إلى بغداد سنة ٤٣٤هـ ١٠٤٢م. وقد انفرد المؤرخ السرياني ابن العبري بنشرها، ولأهميتها وعدم ورودها في المصادر العربية — حسب علمي — ادرج ترجمتها هنا :

«ان السلطان العظيم طغرلبك السلجوقي ملك على خراسان وخوارزم، وهو يستعد لارسال جيش على بغداد. لأنه سمع بما يفعله البدو في طريق الحج حيث يسلبون وينهبون الذين يذهبون للحج. لذلك انظروا كيف تستقبلون قواته بالعز والهدايا من اجل ان يستتب الأمان في كل المعمورة.» وقد وضع على رأس الرسالة صورة سهم وقوس (٨). وبالرغم من ان المؤرخ ابن العبري لم يذكر الجهة التي ارسلت اليها هذه الرسالة، الا انه من الممكن القول

بانها كانت موجهة إلى الخليفة العباسي بالذات، ذلك لأن السلاجقة — كما يظهر من الأحداث التي جرت بعد هذا التاريخ لم يكونوا يولون البويهيين أي اعتبار .

* * *

وتسجل لنا المصادر التاريخية صفحات أخرى من العلاقة بين السلاجقة والخلافة العباسية وذلك في سنة ٤٣٥هـ ١٠٤٣م حيث ارسل الخليفة القائم بأمر الله اقضى القضاة ابا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي إلى السلطان طغرلبك. وقد اختلفت هذه المصادر في ذكر سبب ارساله إلى السلاجقة. ويذكر ابن الأثير (٩) ان الخليفة أمر الماوردي ان يقرر الصلح بين طغرلبك والملك البويهي جلال الدولة وابى كاليجار (١٠).أما ابن الجوزي فيذكر سبباً آخر لهذه السفارة التي كُلّف بها الماوردي يستشف من رسالة حملها من الخليفة إلى طغرلبك «تتضمن تقبيح ما فعل في البلاد ويأمره بالاحسان في الرعية (١١).أما المؤرخ ابن العبري فقد اورد نص رسالة أرسلها طغرلبك في نفس السنة (٤٣٥هـ ١٠٤٣م) إلى الخليفة وهي :

«انني خادم رئيس دولة المسلمين. وفي جميع البلاد التي حكمت فيها اعلنت اسم الخليفة ، وأرحت الناس من ظلم السلطانين محمود ومسعود اللذين سبقاني. ومن الواضح انني لست بأقل منهما حيث كانا عبدين للخليفة وأخذا السلطنة. اما انا فابن الاحرار من سلالة دولة الحوت. ومع ذلك اذا ما أكرمت مثلما يكرمان ، فانني ارجو ان يكون خضوعي وامتيازي اكثر منهما(١٢) .»

والظاهر ان هذه الرسالة قد أثارت حفيظة الخليفة واعتبرها تحدياً صارخاً لكيان الخلافة، وبالرغم من ان الخليفة كان قد جرّد من سطوته امام سيطرة البويهيين، الا انه كان يريد الاحتفاظ بمركزه القوي، لذلك كلف الماوردي بهذه المهمة وحمّله رسالة تضمنت اربع نقاط مختلفة، وقد انفرد المؤرخ

ابن العبري بنشرها ايضاً إلا انه ادرجها ضمن حوادث سنة ٤٣٦هـ ١٠٤٤م دون ان يذكر اسم الرسول. ويبدو ان رسالة الخليفة كانت شفوية وقائمة على اربعة اهداف ذكرها الرسول وهي:

«الهدف الأول: يقول لك امير المؤمنين: ايها الأمير طغرلبك محمد، تكفيك البلاد التي أخذت، ولا تطمع بعد في بلدان سائر سلاطين المسلمين ولا تلحق بها الاذى.

والهدف الثاني: ان تتناول بالخضوع لنا، وتقسم بالأيمان الشرعية بطلاق نسائك الشرعيات وبتحرير عبيدك وبالتصدّق بجميع اموالك اذا ما عصيت أمرنا.

والهدف الثالث: ان تقيم العدل ولاتظلم، ولا تولّي الظالمين على ابناء الرعية.

والهدف الرابع: ان ترسل كل عام خراج البلاد الذي أخذ كعادة اولئك الذين سبقوك. وعندما تنفذ هذه الامور فستلقى منا التبجيل بالخلع والاوصاف الموقرة. تلك هي الامور التي تجعل ملكك شرعياً، ولا تكن مستبداً.

واذ سمع طغرلبك هذه الرسالة قال مجيباً الى الهدف الاول: ان قواتي كثيرة ولا تكفيها هذه البلاد. فأجابه الرسول: لأنك جرّبتها، وإلا فستأخذ جميع الارض وتخربها ولن تكفيك انت ورجالك.

وقال مجيباً الى الهدف الثاني: ان هذه الانواع من الايمان يفهمها الكتبة فقط. وكيف استطيع انا ان احذر الا أحيد ولو في شيء قليل من سلوكي؟ فقال الرسول: اذا ما ابديت الخضوع وضعت العدل بكل قلبك فلن تحيد.

وقال مجيباً الى الهدف الثالث: انني أسعى الى ان اكون عادلاً بقدر ما استطيع. واذا ما اثم بعض الاتباع من قومي فماذا أصنع؟

وقال مجيباً الى الهدف الرابع: ان الخراج الذي قلت عنه، بين لي مقداره واذا قدرت عليه فلا امتنع(١٣)» .

ويذكر المؤرخون ان طغرلبك أبدي احتراماً كبيراً لرسول الخليفة ولقيه على بعد اربعة فراسخ اجلالاً لرسالة الخليفة. وقد ادرك طغر لبك ان ارسال شخصية مهمة مثل الماوردي كسفير اليهم يعتبر دليلاً على الأهمية الكبيرة التي يوليها الخليفة لسلاطين السلاجقة(١٤) .

أما اهم الاثار التي افرزتها سفارة الماوردي الى السلاجقة فهو الاعتراف بدولة السلاجقة كنظام سياسي والمصادقة على شرعيتها من قبل الخليفة العباسي ولهذا فان اقامة هذه العلاقة مهمة جداً لانها ستتطور بالتأكيد وستتمخض عن نتائج ايجابية فيما بعد. ويستدل مما قدمه الماوردي من ايضاحات. ان الخليفة كان يقيّم بني بويه والسلاجقة من ناحية مصالحه الخاصة ، ومن الممكن القول ان الخليفة قرر في هذا الوقت التخلص من تحكم بني بويه ،وقد اثبتت هذا بالفعل الحوادث اللاحقة (١٥) . وقد لمس الخليفة نجاح مهمة الماوردي الذي عاد بعد ان مكث سنة كاملة عند طغر لبك، واخبره «عن طاعة طغر لبك للخليفة وتعظيمه للاوامر ووقوفه عندها(١٦)» . وذهب الباحث التركي م. آلطاي كويمن الى ان هذا التقرير(الذي قدمه الماوردي للخليفة) اردى بالخليفة الى ان يكثف اعتماده على طغر لبك ويزيل شكوكه نحوه(١٧) .

* * *

بالرغم من كل ما حدث، لم ينفذ طغر لبك -- كما يقول المؤرخ ابن العبري -- أياً مما جاء في سفارة الماوردي(١٨) . وقد اتضح هذا بالفعل من الحوادث التي جرت بعد هذا التاريخ حيث مرت العلاقة بين الطرفين بمرحلة فتور استغرقت سبع سنين (٤٣٦هـ ١٠٤٤م -- ٤٤٢هـ ١٠٥٠م)، لم يذكر المؤرخون أي شيء بشأنها، ويستدل مما ذكره ابن العبري انه حدث توتر في علاقتهما نتيجة مطالبة طغر لبك بالالقاب التي تليق بسلطنته وترفع من شأنه، وقد تكون هناك اسباب أخرى تكمن في أعمال طغرلبك في ايران ووضع الخليفة في مركز الخلافة. ويذكر ابن العبري ان الخليفة اضطر في

سنة ٤٤٢هـ ١٠٥٠م الى ان يلبي طلب طغرلبك بعد أن استنجد به أهالي اصفهان كي يشفع لدى طغرلبك الذي ضيّق الخناق عليهم (١٩)، إلا ان الخليفة امتنع عن ذلك وذلك لأن طغرلبك كان يسعى منذ مدة الى الحصول على الالقاب. إلا ان الخليفة اضطر في الآخر الى ان يرسل رسالة اليه بهذا الخصوص (٢٠)، وقد استخدم فيها ألقاباً تخص طغرلبك منها «السلطان الشرعي» و«ملاذ المسلمين» و«ركن الدين السلطان طغرلبك».

والحقيقة ان انعام الخليفة بالالقاب لطغرلبك كان ذا أهمية كبيرة للسلاجقة فبالاضافة الى انه يعتبر اعادة تصديق الخليفة لشرعية السلطنة السلجوقية، كان في الوقت ذاته دليلاً على الاعتراف بطغرلبك كسلطان للدولة السلجوقية وكملاذ للمسلمين وكركن للدولة العباسية. والخليفة بعمله هذا كان يخطط، في هذا الوقت بالذات الارتباط بالسلطنة السلجوقية. وبهذا أمّن السلاجقة جانب الخليفة. وكانت لهذه الالقاب أهمية كبيرة في نظرهم، حتى نعرف أن طغرلبك بدأ بحفر رسم قوس على خاتمه مثبتاً الالقاب الثلاثة عليه، وقد سميت هذه العلامة بالطغراء (٢١).

ويبدو ان طغرلبك كان ينتظر ذلك بفارغ الصبر، فما ان تسلم رسالة الخليفة حتى أرسل اليه رسلاً حمّلهم جواباً لرسالته وشكره لانعامه عليه بالخلع والالقاب. فضلاً عن أنه ارسل اليه عشرة آلاف دينار عيناً واعلاقاً نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك، وارسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء. ويذكر ابن الاثير ان الخليفة انزل رسل طغرلبك «بباب المراتب وأمر باكرامهم. ولما جاء العيد أظهر أجناد بغداد الزينة الرائعة والخيول النفيسة والتجافيف الحسنة» ثم يعلّق ابن الاثير على كل ذلك قائلاً: أنهم «أرادوا إظهار قوتهم عند الرسل» (٢٢).

* * *

يستدل من كل ما سبق ان الخليفة العباسي القائم بأمر الله اكتشف تدريجياً قوة السلاجقة وما آلت بهم الحال بعد تغلبهم على الغزنويين وتأسيس دولتهم

وقد سعى جاهداً الى كسبهم بدءاً بتوجيهه دعوة الى طغر لبك لزيارة بغداد حتى تخلعه عليه بالخلع والالقاب . إلا ان الذي حصل هو ان طغرلبك لم يلب او لم يتمكن من ان يلبي طلب الخليفة بالتوجه الى بغداد. ولم تتعد العلاقات بينهما تبادل السفراء والرسائل في البداية، وقد ساد جو من الوفاق بين الطرفين.

وبعد ان انهى السلطان طغر لبك ما يشغله في داخل ايران، اي بعد ان قوّى اركان دولته، شغل فكره في هذا الوقت بالذات التوجه الى بغداد. وقبل ان نبحث اسباب توجه طغر لبك الى بغداد، ينبغي ان نذكر سبب دعوة الخليفة طغر لبك لزيارة بغداد .

اجمعت المصادر التاريخية على ان سبب دعوة الخليفة طغر لبك لزيارة بغداد يرجع الى ما آلت اليه الاوضاع في مركز الخلافة بعد استفحال أمر البساسيري وكأن الخليفة لم يبق له اي مخرج غير دعوة طغرلبك . ونحن لا نريد الدخول في مسألة البساسيري بكل تفاصيلها، إلا انه ينبغي ان نذكر ان البساسيري الذي كان من مقدمي الاتراك قد عظم امره واستولى على البلاد وطار اسمه وعظمت هيبته في النفوس ودعي له كثير من المنابر العراقية والاهواز ونواحيها(٢٣) .ولكن كل ذلك لم يكن يؤثر على مركز الخليفة بعد ان جرّد من سلطته الدنيوية من قبل ملوك بني بويه، إلا انه كان يخاف من عاقبة الامور وخاصة بعد ان كاتب البساسيري الخليفة الفاطمي المستنصر بالله مستنجداً اياه(٢٤). والظاهر ان الخليفة رأى أن دولة بني بويه وصلت الى حد لا يتمكن الخليفة فيه من ان يشعر بالاطمئنان والاستقرار بعد ان ابدت عجزها عن مقاومة البساسيري(٢٥) . هذا من جهة ومن جهة اخرى اذا القينا نظرة سريعة على الاوضاع في بغداد نلمس تردي هذه الاوضاع فالفتنة بين الأهالي وخاصة بين الطوائف الدينية كانت تشتد يوماً بعد آخر ويلقى الاخرون الويلات والمصائب(٢٦) . وعلاقة الاتراك الذين كانوا يشكلون القوة الجسدية للبويهيين في بغداد، بامرائهم من آل بويه قد ساءت

كثيراً(٢٧) وكان لهذا اثره الكبير في تفاقم الاوضاع ببغداد. وبعد كل ذلك ينبغي الا ننسى العلاقة المتوترة بين آل بويه والسلاجقة ووصولها الى حد لا يمكن اصلاحها(٢٨) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان امراء الاطراف وخاصة بني عقيل في الموصل كانت تربطهم علاقة جيدة بالسلاجقة بعد ان خطب قريش بن بدران لطغرلبك في مدينة الموصل(٢٩) وكذلك حاكم ديار بكر والجزيرة أحمد بن مروان(٣٠).

وخلاصة القول ان الخليفة رأى في طغرلبك منقذاً للخلافة العباسية من أي سوء قد تصاب به ، وان طغرلبك باستطاعته ان يضع حداً للباسيري فيخيب بذلك امال الفاطميين في الدولة العباسية . ومع كل ذلك ينبغي الا ننسى صيت طغرلبك بعد ان ذاع في البلاد . وقد ادرك الخليفة ان طغرلبك قد يطلب منه الموافقة على زيارته لبغداد وهو في مركز القوة ولن يتمكن في حينه من ردّ طلبه . فدعوته إلى بغداد قد تبيّن له ان الخليفة العباسي مازال في اوج عظمته ، وان الاوضاع الداخلية ليس بمقدورها ان تمس كيان الخلافة .

هذا ما كان يفكر فيه الخليفة العباسي ويعد العدة لاستقبال طغرلبك في بغداد . أما طغرلبك فقد كان يخطط للدخول إلى بغداد حتى وإن لم يتلق دعوة الخليفة . والظاهر انه — كما يبدو — لم يكن يريد قصد بغداد قبل ان يبسط سلطته على غرب ايران . وبعد ان تمكن من القضاء على المحاولات التي تستهدف وحدة السلاجقة وسلطنته بالذات ، ورفع شأن الدولة ووسع حدودها . كان يسعى إلى اقامة اول امبراطورية تركية اسلامية وذلك بالسيطرة على بغداد (٣١) . بيد ان ازدياد عدد الغز وضرورة استيطانهم في الاناضول وتعرض البيزنطيين لهم .. كل ذلك ادى به إلى ان يتوجه نحو الاناضول وبغداد (٣١). وبعد أن تمكن من تحقيق النصر على البيزنطيين وتوقيع معاهدة صلح معهم اي بعد ان أمن جانب البيزنطيين اصبح شغله الشاغل هدفه الأول

وهو اخضاع العالم الاسلامي تحت سيطرته والقضاء على دولة بني بويه ، إلا ان الظروف لم تكن مؤاتية له ، فقد اوقفته حركات ابراهيم ينال (اخيه من امه) العصيانية سنة ٤٤١ هـ ١٠٥٠ م (٣٣). ومن الغرائب التي حدثت في حياة طغرلبك انه كلّما فكر في ان يقصد العراق كانت تواجهه عقبات وعراقيل تحول دون تمكينه من ذلك . ويذكر سبط ابن الجوزي ان طغرلبك بعد ان استولى على همدان ونواحيها سنة ٤٤٤هـ ١٠٥٢ م طمع في أن يقصد العراق ، وكوتب منها بالقدوم اليها سراً الا أنه توقف بسبب خوفه على البلاد من الغز (٣٤). ومن الجدير بالذكر ان سبط ابن الجوزي لم يذكر مصدر الكتاب الوارد إلى طغرلبك من العراق هل هو الخليفة ام احد غيره . ونعرف انه في هذا التاريخ وبعده توالت الصيحات من العراق مستنجدة بطغرلبك وحاثة اياه لقصد العراق ،حتى أرسل اليه احد شعراء العراق وهو في خراسان قائلاً :

العـــراق العـــراق يـــا طغـرلبـكي
ســر اليهـا ولـو تلكـّمـت فـكـى

قـــد سئمـنـــا ممالـك الـديـالـم فيـنـا
فعـســى يمـلـك الممـالك تركى

ويقول سبط ابن الجوزي ان طغرلبك لما سمع هذا قوى عزمه على قصد العراق رغم انه ذكر : « والله لولا ان هذه البلاد تحتاج إلى العساكر ، وكثرة الأعداء لما تعرضت لملك العراق » (٣٥). ويوضح ذلك ان طغرلبك كان يحلم بحكم العراق ، ففي البداية كان يظهر رهو يحلم بالاستيلاء على الممالك المجاورة كافة (٣٦) ولكل ذلك نراه لا يولي اي اعتبار لرسائل الخليفة غير الوعود الزائفة . وبعد ان تم له ما كان يبغيه ، وتحقق له في ايران ما أراد لم يبق امامه غير قصد العراق والتوجه نحو بغداد. والحقيقة ان الدعوة التي وجهها الخليفة اليه لزيارة بغداد قد مضت عليها سنوات عديدات فليس من المعقول ان يحل ضيفاً غير مرغوب فيه او يلبي طلباً منسياً ، فعليه اذن

ان يجد حجة معقولة لذلك ، فارسل رسولاً إلى الخليفة حمّله رسالة اورد فيها اسباب زيارته لبغداد وهي :

١. انه يقصد الحضرة الشريفة للتبرك بمشاهدتها .

٢. انه يأمل المسير إلى مكة للحج واصلاح طريقه .

٣. القضاء على البدو الذين يقطعون الطرق .

٤. التوجه إلى قتال اهل الشام ومصر (٣٧) .

ويبدو من هذه الرسالة ان طغرلبك كان يرغب في توحيد العالم الاسلامي تحت راية واحدة بتوسيع الدولة السلجوقية وضم الدولة البويهية وبضمنها مركز الخلافة ، والدولة الفاطمية في مصر والشام بها (٣٨) .

وتوجه طغرلبك نحو بغداد وانتشرت اخباره في البلاد ووصلت إلى مركز الخلافة بسرعة ، فانزعج الناس وخافوا (٣٩). وارسل طغرلبك رسوله إلى الديوان في نحو ثلاثين من الغز ، وما ان وصلوا إلى مركز الخلافة حتى انزعج العسكر وركبوا بالسلاح (٤٠). ويذكر ابن العبري أن الخليفة خضع للأمر الواقع مرغماً فارسل جواباً اليه وطلب منه الا يتأخر عن الوصول إلى بغداد (٤١) . وهنا حدث ما كان متوقعاً منه ، فقد رأى الاتراك البغداديون ان الخليفة بعمله هذا ، خيب امالهم فاعترضوا بشدة مع رؤساء الديالمة على دعوته لطغرلبك وقالوا: « لايمكن مجيء الغز إلى بغداد ، واذا جاءوا فاننا سنستل السيوف عليهم .» (٤٢) ويذكر ابن الاثير ان طغرلبك ارسل إلى الأتراك البغداديين الذين يشكلون القوة الجسدية للدولة البويهية في مركز الخلافة يعدهم بالجميل والاحسان ، الا ان هؤلاء انكروا ذلك « وراسلوا الخليفة في المعنى وقالوا انا فعلنا بالبساسيرى ما فعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم امير المؤمنين . ووعدنا امير المؤمنين بابعاد هذا الخصم عنا ، ونراه قد قرب منا ولم يمنع عن المجيء ، وسألوا التقدم عليه في العود فغولطوا في الجواب » (٤٣) . وبالرغم من محاولاتهم في هذا الخصوص إلا انها لم تفدهم نفعاً .

* * *

يستدل من مجريات الحوادث ان الخليفة لم يكن قادراً على ان يرد طغرلبك وجيشه على اعقابهما ، فقوات بغداد لم تكن قادرة على عمل اي شيء في هذا الخصوص بعد الخلاف الذي كانت تعاني منه بعد حدوث مسألة البساسيري لا ننسى ان طغرلبك كان قد امّن جانب امراء الاطراف علاوة على مكاتبته أصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها وامرهم باعداد الاقوات او العلوفات لمهمته هذه . وبذلك لن يواجه طغرلبك أي عائق أثناء تقدمه نحو بغداد ، فما حدث في مركز الخلافة لم يثمر شيئاً ، بل اتخذت التدابير اللازمة لاستقبال طغرلبك في بغداد حتى ان الملك الرحيم البويهي . « أرسل إلى الخليفة يظهر له العبودية وانه قد سلم امره اليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه في تقرير القواعد مع السلطان طغرلبك » ثم تقرر ان يدخل الاجناد خيامهم من ظاهر بغداد وينصبونها بالحريم . ويبدو ان الامراء أحسّوا ان ما بدر منهم تجاه دعوة الخليفة لطغرلبك قد يحز في نفس طغرلبك فقروا ان يرسلوا رسولاً اليه يبذلون له الطاعة والخطبة فأجابهم إلى ما طلبوا ووعدهم الاحسان اليهم . ثم أمر الخليفة ان يخطب لطغرلبك في جوامع بغداد ، فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة٤٤٧هـ ١٠٥٥م(٤٤)

وخطب بعده للملك الرحيـــــم . وخرج رئيس الرؤساء مع القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم واعيان الدولة واعيان الامراء من عسكر الملك الرحيم لتلقي السلطان ، فلقيه حاجب السلطان وجاء بعده عميد الملك ابو نصر الكندري وزير السلطان ولقي السلطان وذكر له ما يصلح ذكره عن الخليفة فشكر واومأ إلى تقبيل الأرض وقال : « ما وردت الا منصرفاً عن الاوامر السامية وممتثلاً للمراسم العالية ومعتبراً عن ملوك خراسان بالدنو من هذه الخدمة الشريفة ومنتقماً من اعدائها وسائراً إلى بلاد الشام لتمهيدها واصلاح طريق الحج » فقال له رئيس الرؤساء ان الله تعالى اعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة (٤٥) :

ويذكر ابن العبري ان مستقبلي طغرلبك قدموا النصائح له باسم الخليفة وطلبوا منه ان يمنع جنده من القيام باي عمل تخريبي في بغداد ذاكرين

له ان بغداد هي عاصمة الخلافة . وقد تلقى السلطان هذه النصائح برحابة صدر واخبرهم بانه سيتمثل بها (٤٦). ثم سار طغرلبك ودخل بغداد ونزل بباب الشماسية (٤٧). وقد أسهب المؤرخون في وصف دخول طغرلبك وجنده إلى بغداد ومراسيم استقباله فيها .

والشيء الذي يستحق الوقوف عنده هو مسألة انهاء حكم البويهيين في مركز الخلافة ، فقد اجمع المؤرخون ان طغرلبك قبض على الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين واعتقله . والجدير بالذكر ان رئيس الرؤساء قد سأل طغرلبك في الملك الرحيم ان يجريه مجرى اولاده وذلك اثناء استقباله لأول مرة عند توجهه نحو بغداد ، وقد اجاب طغرلبك لذلك عندما مدّ اليه يده (٤٨) ويذكر المؤرخون ان سبب قبض طغرلبك على الملك الرحيم هو انه حمّله أسباب الاضطرابات التي حدثت في بغداد بعد دخول طغرلبك اليها رغم انه لم يكن للملك الرحيم يد في اثارتها . وقد امتعض الخليفة من ذلك وانكر على طغرلبك ما جرى من قبض الملك الرحيم واصحابه وطلب منه اطلاق سراحه واصحابه وهدده بانه يفارق بغداد في خلاف ذلك (٤٩). إلا ان طغرلبك لم يلب طلبه غير انه اطلق سراح بعض اصحاب الرحيم . وبعد كل ما جرى نتساءل : هل ان الخليفة بدعوته طغرلبك إلى بغداد أراد ان يتخلص من الملك الرحيم أو البويهيين — كما يزعم ذلك المؤرخون القدامى والمحدثون ؟ ان موقف الخليفة من عمل طغرلبك واضح كالشمس ، فقد كان يرغب بالفعل ان يبقى الملك الرحيم كقوة في وجه الدولة السلجوقية من الممكن استخدامها متى ما ساءت العلاقات بينه وبينها . أما سبب عدم قيامه بعمل اي شيء تجاه عمل طغرلبك فهو عدم قدرته على ذلك وخاصة بعد أن جرّد هو ومركز الخلافة من جند موال له (٥٠). والحقيقة ان طغرلبك — كما ذكرنا — كان راغباً ، قبل كل شيء ، من زيارته لبغداد في توحيد العالم الاسلامي تحت رايته ، ولهذا لم يكن يرغب ابقاء اي حاكم يستطيع تشكيل قوة ضده في المدن التي زارها (٥١) ولهذا نراه لايكتفي باخضاع

ممالك الخلافة تحت حكمه ، بل اعلن نفسه سلطاناً فصل الخلافة عن السياسة وبذلك اعطى نظاماً دولياً جديداً للعالم الاسلامي (٥٢) واضطر الخليفة مرغماً إلى أن يقر ذلك ويخضع للأمر الواقع وان يتصرف تصرفاً عقلانياً مع الظروف المستجدة ، ولهذا نراه يولى طغرلبك حكم العالم – كما يقول الراوندى – ويقرر له السلطنة على ممالك العراقين والجبال(قهستان) (٥٣).



الهوامش

(١) ابن الأثير : الكامل، مط الاستقامة، القاهرة ٨ : ١٥، ويذكر المؤرخ السرياني ابن العبري ان الخليفة ارسل اليهم رسولا يؤاخذهم على اعمالهم لكونهم مسلمين، انظر الترجمة التركية لتاريخ ابن العبري السرياني .

Ebu'l Farac Tarihi, Ankara, 1945–50, s.296

(2) Islam Ansiklopedisi, Selcuklu maddesi, s. 361

يذكر الباحث التركي محمد الطاي كويمن ان رسالة الخليفة إلى السلاجقة كانت بمثابة تصديق لشرعية الدولة التي أسسوها ويستدل من الرسائل التي ارسلوها إلى السلطان مسعود الغزنوي أنهم اعتبروا انفسهم موالي للخليفة .

انظر : M.Altay Koymen: selcuklu Devri Turk Tarihi, Ankara, 1963, s.168

(٣) ابن الأثير : ٨ : ١٥ – ١٦، يذكر الاصفهاني (زبدة النصرة – تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت ١٩٧٨ ص ٩) ان الرسول كان ابا بكر الطوسي وقد خلعوا عليه ثلاث عشرة خلعة، وانظر كذلك ابن العبري : الترجمة التركية ٢٩٦ .

(٤) ابن العبري : الترجمة التركية ٢٩٦ .

(٥) زبدة النصرة ١٩، وقد اورد الراوندي في كتابه نص الرسالة التي جاء في نهايتها : «وشكراً لله على ما افاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو ان نكون في هذا الأمر قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر امير المؤمنين». ويذكر انهم ارسلوا الرسالة إلى الخليفة على يد المعتمد بن اسحق الفقاعي. انظر : راحة الصدور، الترجمة العربية، القاهرة ١٩٦٠ ص ١٦٧، وانظر كذلك رشيد الدين : جامع التواريخ، مجلد ٢ جزء (٥) نشر احمد آتش، آنقرة ١٩٦٠ ص ١٨ – ١٩ ابن النظام الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية، الترجمة العربية، بغداد ١٩٧٩ ص ٣٧ – ٣٨ .

(٦) راحة الصدور ١٦٨ – ١٦٩، جامع التواريخ ٢٠ – ٢١، العراضة : ٣٨، زبدة النصره : ١٠ .

(٧) اتخذ طغرلبك مدينة مرو داراً لملكه واختص باكثر خراسان، ونصب موسى يبغو على ولاية بست وهراة وسجستان وما يجاورها، ونصب قاورد على ولاية طبس (طبسين في رواية الراوندي) ونواحي كرمان .. انظر راحة الصدور : ١٦٧، زبدة النصرة : ١٠، جامع التواريخ ١٩ – ٢٠، ويذكر الباحث التركي ابراهيم قفس أوغلو أن قرار التقسيم هذا وتوزيع الولايات بين رؤساء السلاجقة جاء وفق تقاليد الدولة التركية القديمة انظر مادة : السلاجقة في دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة التركية ص ٣٦٢ .

(٨) ابن العبري : تاريخ الازمان (باللغة السريانية) باريس ١٨٩٠، ص ٢٢٤ وقد ترجمه لنا مشكوراً الدكتور يوسف متي آل قوزي مدرس اللغة السريانية بكلية الآداب .

(٩) ابن الاثير ٨ : ٣٩، ابن كثير : البداية والنهاية، بيروت ١٩٦٦ ج١٢ : ٥١ .

(١٠) يذكر ابن الجوزي (المنتظم : حيدر آباد ١٣٥٩، (٨ : ١١٦) ان طغرلبك ارسل في سنة ٤٣٥ هـ كتاباً إلى جلال الدولة البويهي، ولم يذكر بشأنه شيئاً سوى ان طغرلبك خاطب جلال الدولة بالملك الجليل، الا ان الباحث التركي م. الطاي كويمن ذكر نقلا عن :
(G.Makdisi, Ibn Aqil et la Resurgence de) :
L' Islam Traditionaliste au xle siecle, Damas, 1963, p.82)
ان طغرلبك ارسل سفيراً إلى جلال الدولة وطلب منه ان يحسن معاملة الخليفة واهل بغداد، وانه بهذا انتهج سياسة الحماية للخليفة العباسي ، وقد ادرك جلال الدولة الخطر الذي يولده التقارب بين الخليفة وطغرلبك فأحس بوجوب التصرف المرن تجاه الخليفة، ومن جهة اخرى كان الخليفة ينتهج سياسة المحافظة على ميزان القوى بين الخصمين طغرلبك وجلال الدولة واستخدام الواحد ضد الآخر متى ما أراد. أنظر : Prof.Dr.
M.Altay koymen:Tugrulbey ne Zamani, istanbul,1976، S.36

(١١) ابن الجوزي ٨ : ١١٦ ، يذكر الباحث التركي عثمان طوران ان الغز من اتباع السلاجقة قاموا بالغارات والنهب بسبب ضيق عيشهم ومحاولة ايجاد اماكن جديدة للاستيطان ، فضاق الناس ذرعاً بهم، مما ادى بالخليفة إلى أن يتحرك شخصياً لمنعهم ، فارسل الماوردي إلى طغرلبك من اجل ذلك . ويذكر طوران ان الخليفة الذي لم يدرك وضع الاتراك السياسة واسباب هجرتهم، حمل طغرلبك مسؤولية تلك الحوادث ، وانه لم يكن يفهم السلطان الذي عرف بعدله وتدينه ودهائه السياسي (انظر : Prof.Dr. Osman
Turan Selcuklular Tarihi, Istanbul, 1969, s. 74)
ويذكر الباحث التركي زكي وليدي طوغان ان طغرلبك لم يتمكن من منع القبائل من القيام باعمال النهب بعد ان طلب الخليفة منه ذلك Prof.Dr. Z.Velidi
Togan: Umumi Turk Tarihine Giris Istanbul, 1970, s. 192

(١٢) انظر ابن العبري : تاريخ الازمان ص ٢٢٤ — ٢٢٥، وقد ترجمه لنا مشكوراً الدكتور يوسف متي آل قوزي .

(١٣) ابن العبري : تاريخ الازمان (المصدر السابق) ص ٢٢٧–٢٢٨ ، وقد ترجمه لنا مشكوراً الدكتور يوسف المذكور في الحاشية (٨) .

(14) Koymen: Tugrul Bey.. s. 36

(١٥) Koumen: Selcuklu Devri Turk Tarihi, S. 168

ويرى الباحث محمد آلطاي كويمن ان الخليفة بعد ان اقام العلاقات مع طغرلبك لم يخضع – كما في السابق – لدولة بني بويه التي دخلت دور الانقراض ، او للقواد الاتراك وجنودهم الذين اكتسبوا نفوذاً واسعاً في مركز الخلافة نتيجة ضعف بني بويه ، بل كان يرد طلبهم احياناً ، ولكل ذلك ينبغي بحث علاقة الخليفة بدولة بني بويه او بامراء العرب والاكراد . بعد هذا التاريخ تمت هذه الظروف الجديدة انظر :

Koymen: S.D.T.T, S. 170

(١٦) ابن الاثير : ٨ : ٣٩ .

(١٧) Koymen: Tugrul Bey.. S. 36

(١٨) ابن العبري : الترجمة التركية ص٣٠٣ .

(١٩) يذكر الباحث عثمان طوران (استناداً إلى كتاب سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان) مخطوطة طوبقابي المرقمة ٢٩٣١ حوادث سنة ٤٤٢ والبيبرسس المنصوري ١٣٢ آ) ان مجموعة كبيرة من الغز قدمت من تركستان بين سنتي ٤٤٢–٤٤٥هـ (١٠٥٠–١٠٥٤م) وتوجهت نحو العراق والاهواز وحلوان ، فانزعج الناس منهم كثيراً وبدأوا بترك اماكنهم والهروب إلى بغداد . فارسل الخليفة شكوى إلى طغرلبك مطالباً اياه وضع حد لهذا الوضع وبالفعل منع طغرلبك تقدم الغز او قيامهم باعمال تخريبية في البلاد . ونتيجة لهذا توجه الغز نحو ارمينية . ثم يعقب طوران على ذلك بقوله : ان عودة الغز هذه كانت ذات صلة بتجاوز بيزنطي ، انظر كتابه المذكور ص٨٩– .

(٢٠) هناك احتمال كبير ان اضطرار الخليفة لمفاتحة طغرلبك يرجع إلى الوضع الذي وصلت اليه الدولة السلجوقية وخاصة بعد ان ملك طغرلبك اصبهان وجعلها دار مقامه . وقد وصلت قوة السلاجقة إلى حد نرى فيه ان طغرلبك يدمر قطعة من سور اصبهان وقال : انما يحتاج إلى الاسوار من تضعف قوته ، فأما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له اليها.» انظر ابن الأثير ، ٨ : ٥٤ .

(٢١) ابن العبري : الترجمة التركية ، ٣٠٥ .

(٢٢) ابن الأثير ٨ : ٦٠ ، ابن كثير ، ١٢ : ٦٣ .

(٢٣) ابن الجوزي ٨ : ١٦٣ (عن الخطيب البغدادي) .

(٢٤) ميرخوند : روضة الصفا ، الترجمة التركية ، مخطوطة طوبقابي ١٤١٠هـ ، حـ٢ : ٢٢٦ب . ذكر بعض المؤرخين ان رئيس الرؤساء ابلغ الخليفة مايخطط البساسيري ضده . ثم ((سئل الخليفة فيه ، فقال ليس الآن اهلاكه)) (ابن الجوزي ، ٨ : ١٦٣ ، بن الأثير ، ٨ : ٧٠ ، والظاهر ان تأجيل الخليفة للنظر في أمر البساسيري يعود إلى عدم تمكنه منه بالاعتماد على قوته او على الدولة البويهية ، وانه كان يهيىء طغرلبك له .

(٢٥) يستدل مما ذكره ابن الأثير ان الخليفة كان قد اتفق سراً مع قريش بن بدران صاحب الموصل ضد البساسيري منذ رمضان من سنة ٤٤٦هـ . ويحتمل انه كان يدبر امراً للقضاء على البساسيري . ففي هذا التاريخ وصل إلى بغداد سراً اثنان من اصحاب قريش فامتعض البساسيري من ذلك ، لأن قريشاً استولى على الانبار ونهب ماكان فيها للبساسيري . واراد البساسيري اخذهما فلم يتمكن ، ونسب ذلك إلى رئيس الرؤساء ، فابتدأت الوحشة بينه وبين الخليفة وقال : « ماأشكو إلا من رئيس الرؤساء الذي قد خرب البلاد واطمع الغز وكتابهم ..» (انظر ابن الأثير ٨ : ٦٨) اي ان البساسيري كان يخشى قدوم طغرلبك إلى بغداد . ويذكر ابن الأثير في مكان آخر من كتابه (٨: ٧٠) ان رئيس الرؤساء اطلق لسانه في البساسيري وذمه ونسبه إلى مكاتبته المستنصر صاحب مصر ، وافسد الحال مع الخليفة إلى حد لايرجى صلاحه ، وارسل إلى الملك الرحيم يأمره بابعاد البساسيري فأبعده .

(٢٦) انظر مثلا ابن الأثير ٨ : ٧٠ .

(٢٧) انظر على سبيل المثال : ابن الأثير : ٨ : ٦٦ ، ان استيلاء علاقة الاتراك بامرائهم من بني بويه حدث عدة مرات قبل هذا التاريخ ، وقد سبق ان شغب الاتراك على الملك جلال الدولة ببغداد سنة ٤٣١هـ حتى ان ابن الأثير يعقب على ماآلت اليه الحال بهذا « وفسدت الامور بالكلية إلى حد لايرجى صلاحه» ابن الأثير ٨ : ٢١) .

(٢٨) نذكر هنا على وجه الخصوص استيلاء الملك الرحيم البويهي على شيراز وقطع خطبة طغرلبك فيها في المحرم من سنة ٤٤٧هـ انظر ابن الأثير ٨ : ٦٩ .

(٢٩) انظر تاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٧٩ ، ٤ : ٢٦٥ .

(٣٠) شرف خان البدليسي : شرفنامة ، الترجمة العربية ، القاهرة جـ١ ص١٩.

(٣١) يرى العلامة التركي الدكتور محمد فؤاد كوبرلي ان السلاجقة كانوا يسعون إلى بسط نفوذهم على العالم الاسلامي بسهولة ، ولهذا انتهجوا سياسة من شأنها إدخال الخليفة العباسي تحت نفوذهم وبسط نفوذ مادي ومعنوي على العالم الاسلامي . (نظر محمد فؤاد كوبرلي : تركيا تاريخي ، استانبول ١٩٢٣ ص١٨٥)

(٣٢) O. Toran: Selcuklular Tarihi, 89

(٣٣) نفس المصدر : ٨٦ .

(٣٤) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، مخطوطة طوبقابي المرقمة ٢٩٠٧ جـ١٢ : ١١٣ب.

(٣٥) نفس المصدر ١٢ : ١١٨آ .

(٣٦) دوكيني : هونلرك توركلرك .. تاريخ عمو ميسى ، تركجة ترجمة سي ، استانبول ١٩٢٤ ، جـ٣ : ٣٢٥ .

(٣٧) ابن الجوزي ٨ : ١٦٤ ، مرآة الزمان ١٢ : ١١٧آ ، ابن العبري : الترجمة التركية ٣٠٦ ، منجم باشي ، أحمد بن لطف الله : جامع الدول ، مخطوطة طوبقابي المرقمة ١/٢٩٥٤ ، ص٥٣١آ . يذكر الباحث التركي الدكتور زكي وليدى طوغان ان الخليفة كان يحث طغرلبك على فتح البلاد التابعة للدولة الفاطمية والاستيطان فيها وذلك في الوقت الذي كان طغرلبك يتوجه لمحاصرة ملاذ كرد الاولى . ويرى الباحث المذكور انه اذا لم تتهيأ الظروف المناسبة لاستيطان الغز اتباع السلطان طغرلبك في اذربيجان والاناضول فان قسماً كبيراً منهم كان يتوجه نحو مصر .

فدقةالرضع في حدود الدولة العباسية المتاخمة للخزر والبيزنطيين والمشاكل آسيا الصغرى الداخلية للدولة البيزنطية في والاضطرابات داخل بيزنطة كل ذلك كان من العوامل المساعدة على استلام القبائل التركية الواردة من تركستان ، زمام الحكم في آذربيجان والأناضو واستيطانها فيها .

انظر كتاب طوغان المار ذكره ص١٩٢-١٩٣ .

(٣٨) O. Turan, 92

(٣٩) مرآة الزمان ، مخطوطة طوبقابي المذكورة ، ١٢ : ١١٧آ .

(٤٠) ابن الجوزي ٨ : ١٦٤ .

(٤١) ابن العبري : الترجمة التركية ، ٣٠٦ .

(٤٢) نفس المصدر ٣٠٦ .

(٤٣) ابن الأثير ٨ : ٧١ .

(٤٤) نفس المصدر ، نفس المكان .

(٤٥) ابن الجوزي ، ٨ : ١٦٤ .

(٤٦) ابن العبري : الترجمة التركية ٣٠٦ .

(٤٧) ابن الأثير : ٨ : ٧١ .

(٤٨) ابن الجوزي ٨ : ١٦٤ .

(٤٩) ابن الأثير ٨ : ٧٢

(٥٠) انظر : د . فاضل مهدي بيات : السياسة السلجوقية في العراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٨ السنة ١٩٨١ ص٩٩ وما بعدها .

(٥١) دوكيني ، المصدر السابق ٣ : ٣٢٥ .

(٥٢) Togan, 202

(٥٣) راحة الصدور ، الترجمة العربية ١٧٠ .



المباحث اللغوية في سيرة ابن هشام

الدكتور كاصد ياسر الزيدي
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

تمهيـــد
(في سيرة ابن هشام وطابعها اللغوي)

اذا كانت السيرة النبوية لابي محمد عبدالملك بن هشام البصري (المتوفى سنة ٢١٨ هـ) (١) من آصل المصادر في الدراسات القرآنية (٢) ، فان هذه السيرة مصدر اصيل كذلك في المباحث اللغوية المتنوعة . اذ كان مؤلفها الجليل نحويا ولغويا ، فوق كونه مهتما بالتاريخ والسير والمغازي .

أما كونه نحويا فقد شهد له بذلك نحوى كبير معروف هو السهيلي (ت ٥٨١هـ) صاحب « الروض الأُنف » في شرح هذه السيرة إذ وصفه بالمصري النّسابة النحوي (٣) . وأما كونه لغويا فيدل عليه سيرته ،وكتابه :

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٧٧/٣ ، وقيل : في سنة ٢١٣هـ .
(٢) ينظر في هذا بحثنا : «الدراسات القرآنية في السيرة النبوية لابن هشام» بمجلة آداب الرافدين العدد ١٣ لسنة ١٩٨١ .
(٣) السهيلي : مقدمة الروض الأنف ٣٣/١

« شرح ماوقع في أشعار السير من الغريب». وأما أصالة علمه في التاريخ والسير فيدل عليها سيرته وكتابه « انساب حمير وملوكها » (١). وقد شهد له بالتقدم في اللغة احد كبار شراح سيرته ، وهو ابو ذر الخشني (٢) (ت ٦٠٤ هـ) ، اذ قال : « كان من أهل المعرفة باللغة والغريب والتاريخ والانساب » .

على ان سيرة ابن هشام هي في الواقع تهذيب لسيرة محمد بن اسحق المطلبي المتوفى سنة ١٥١هـ ، بحذف مالم يره لائقا وبخاصة الشعر المقذع ، واضافة ما رآه مناسبا من الشعر ومباحث اللغة المتنوعة ، وبخاصة تفسير الغريب وتمحيص الرواية ، وقد استمد ذلك كله من مصادره اللغوية الموثوق بها وتحقيقاته الذاتية المبنية على النظر في النصوص والروايات وسبرها ثم اعطاء حكم علمي دقيق عما فيها . وكان في مقدمة من أخذ عنهم جانبا من مادته اللغوية المتنوعة ، اللغويون الثلاثة الكبار المشهورون : أبو عبيدة معمر ابن المثنى (ت ٢١٠هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) وابو زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) يضاف إلى ذلك ما اهدته اليه قراءاته ومطالعاته في بطون الكتب ودواوين الشعر العربي القديم ، وما هدته اليه قريحته من نقد لغوي. وهذا الجهد العلمي اللغوي المترامي كان من جملة ماخلّد سيرة ابن هشام وكتب لها تلك الشهرة الواسعة والانتشار العريض ، اذ أن « عمله في سيرة ابن اسحق — كما يقول الدكتور محمد رجب البيومي (٣) قد جلّاه لغويا مؤرخاً نسابة عالما بالشعر دارساً لفنونه » .

ولما كان ابن هشام قد لخص سيرة ابن اسحق وهذبها وعقب عليها ،

---

(١) وفيات الاعيان : ٣/١٧٧ .
(٢) شرح السيرة ١/٣ .
(٣) شعر السيرة النبوية لابن هشام في ميزان النقد ص٢٢٨– مقال في مجلة كلية اللغة العربية السعودية .

فقد اقتضى ذلك مني تتبع التعقيبات اللغوية التي حررها في سيرته بدقة وعناية وصبر . كما اقتضى مني دراسة شرحين لسيرته عنيا بالجانب اللغوي عناية فائقة ، وهما « الروض الانف» للسهيلي ، بأجزائه السبعة ، و « شرح السيرة النبوية — رواية ابن هشام » لابي ذر الخشني بجزأيه ، وكلاهما أندلسي ، فأمدا هذا البحث بمادة لايستغنى عنها ، ولست هنا بصدد التعريف بمصادره كلها ؛ اذ ليس ذلك من قصدي ، ولا بما يوجبه التمهيد للبحث ، وانما أردت التنويه بأهم ما رجعت إليه منها ، على ماهو متعارف عليه في أصول البحث .

واني لآمل ان يكون هذا الجهد قد اوضح القيمة اللغوية للسيرة ، وما فيها من مباحث تجعلها مصدرا من المصادر اللغوية القديمة التي يرجع اليها وينتفع بها وبخاصة في شرح غريب القرآن والشعر العربي القديم وفي تحقيق الرواية اللغوية والعناية بها ، وفي الاستدراك والنقد اللغويين .. وبخاصة ان هناك اصواتاً تنادي بالرجوع إلى مصادر في علوم اللغة العربية غير المصادر التقليدية المتداولة (١) وذلك لتغني دراستنا اللغوية في الحاضر والمستقبل بكل ما يرفدها بالعطاء اللغوي الثر المفيد . فضلاً عن أن اختيار هذا البحث في هذا الكتاب بذاته ، له معناه . اذ هو بحث في السيرة النبوية الكريمة . التي نكن لها اعظم الاحترام ونوليها اكبر العناية .

تفسير الغريب :

عني ابن هشام عناية فائقة بتفسير غريب الالفاظ الواردة في النصوص المتنوعة تضمنتها سيرته . فقد فسر غريب القرآن الذي استشهد به ابن اسحق او ذكره مع الاحداث التاريخية . وبخاصة مايتعلق منه بالنزول ، كما فسر هو غريب ما استشهد به من القرآن . في شرح الالفاظ الغريبة الواردة في

(١) ومنها مابينه الدكتور احمد خطاب في بحثه «من مصادر الدراسة النحوية،» الذي دعا فيه إلى اعتماد مصادر اخرى للنحو ، غير المصادر المتداولة ، من مثل كتب التفسير والقراءات والقطع والائتناف وما اليها .

غير القرآن : من الشعر والنثر . وفسر ايضا غريب الشعر العربي القديم الذي رواه ابن اسحق ، او احتج هو به في مباحثه اللغوية والتاريخية ، فضلا عن تفسيره الغريب الوارد في النصوص النثرية التي رواها ابن اسحق او حررها هو في سيرته تعقيبا وشرحا : من خطب وكلمات الرسول (ص) واصحابه، او خطب وكلمات الجاهليين والمشركين بعد ظهور الاسلام.ونتج عن هذا كله شروح لغوية ثرية انبثقت عن تفسير غريب النصوص الكثيرة الواردة في السيرة .

وقد لفت هذا المنهج اللغوي نظر الدكتور محمد رجب البيومي(٣) ، فقال في معرض حديثه عن سيرة ابن هشام : «وفي مجال اللغة نجد تبحرا رائعاً في عرض المادة احيانا ، ونفاذا إلى دقائق فقهها ، لايحيط بها غير عالم بالغريب » .

ولم تكن هذه الشروح مسهبة، بل كانت تتسم غالبا بالايجاز ، مما جعلها محببة الى القارىء الذي يُنشد متابعة الاحداث التاريخية في السيرة فلايملها اويكد ذهنه بسببها ، وكأن ابن هشام قصد الى المنهج قصدا لئلا تطغى مباحث اللغة على الاحداث والوقائع .

وقد نتج عن هذه العناية الجمة بتفسير الغريب ، وبخاصة غريب القرآن تَضَمُّن السيرة لمعجم لغوي يتعلق بالغريب ، يمكن ان نعده من اقدم المعجمات في بابه ، اذا جُرِّد من السيرة ، وبالاخص اذا تذكرنا ان اقدم ماوصل الينا من شرح غريب القرآن ، بعد عصر ابن عباس (رض) (ت ٦٨ هـ) لايسبق هذه الفترة التي الف فيها ابن هشام سيرته . بل لعله يتأخر عنها ، اذا علمنا أن أقدم كتاب بين ايدينا الان (غريب القرآن) لابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ).ومعلوم ان ابن هشام توفي على احدى الروايتين سنة ٢١٨ هـ وعلى الاخرى سنة ٢١٣ هـ ، وعلى اي منهما فهو سابق لابن سلام ومن تلاد في وفاته . ولايبعد ان يكون قد سبقه في تأليف سيرته ،

(٣) شعر السيرة النبوية ص٢٢٩ .

وهو غالبا مايحتج لمعنى الغريب الذي يفسره ، فاذا احتج عول على النصوص القديمة : من القرآن والشعر وكلام العرب في تحاورها وامثالها.
ويلحظ أنه مع عنايته بالقصيد يكثر من الاستشهاد بالرجز ، وبخاصة أراجيز رؤبة بن العجّاج (١) وأبيه العجاج (٢) . وابي النجم العجلي (٣) ويذكر في اغلب المواضيع ان ماستشهد به جزء من أرجوزة لرؤبة ،مما يشعرنا باستقراء لأراجيزه ، ولغيرها من نصوص الاستشهاد ، ويبدو أنه كان قوى الثقة بفصاحة هذا الراجز الكبير ، وبجودة شعره كما هو شأن اللغويين الكبار في عصره ، اذ كان لفرط فصاحته وفصاحة أبيه العجّاج موضع ثنائهم واكبارهم ، حتى ان يونس بن حبيب قال لمن حاول ان يبخسه علمه : «لعلك تظن أن معد بن عدنان افصح من رؤبة ومن أبيه (٤) » ؟!

فنرى ابن هشام مثلا يفسر غريب الآيات التي ذكر ابن اسحق انها نزلت في المنافقين ومنها قوله تعالى : «الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون» (البقرة) (١٥) فيقول : «يعمهون يحارون . تقول العرب : رجل عَمِه وعامِه أي : حيران . قال رؤبة بن العجاج يصف بلداً :

أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت في ارجوزة له (٥) . ولم يقف ابن هشام عند تفسير مالم يفسره ابن اسحق من غريب السيرة .او الرضى وقبول مافسره من غريبها فحسب . وانما تجاوزه الى القيام بدور الناقد اللغوي الذي يعقّب ويصحّح ، او يصلح مايراه ليس بصواب من تفسيره : معتمدا في ذلك الاصلاح اللغوي على ماورد عن العرب في تحاورهم وما ألفوه في كلامهم ، وكأنه يوطّد

(١) ينظر مثلا : السيرة ٣٦/١ ، ٦١ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٧٥ .
(٢) ينظر مثلا : السيرة ٢٨/١ و ١٧٥ .
(٣) السيرة ٣٢٩/١ .
(٤) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين : ص٢٩ .
(٥) السيرة ٣٧٤/١ .

بذلك ، المنهج اللغوي لتفسير القرآن الكريم ، وهو المنهج الذي يؤكد عربية القرآن وفهمه من خلال كلام العرب ، وذلك حين يخالف ابن اسحق في دلالـة الأنعام الثلاثة التي وردت في القرآن . وهـي : (البَحيرة) و (السائبة) ، و (الوصيلة) ، ويوافقه في دلالة (الحامي) وحده ، وهي الانعام التي كان الجاهليون يحرمونها بصورة او اخرى زاعمين ان الله امرهم بهذا ، فرد عليهم القرآن مفنداً زعمهم ذاك بقوله : «ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لايعقلون» (المائدة : ١٠٣) . وقد استند ابن هشام في مخالفته ابن اسحق في دلالة هذه الالفاظ على اقوال كبار اللغويين الذين يروي عنهم . وفي مقدمتهم يونس بن حبيب ، ويبدو من كلامه في هذا الموضع انه قد بذل وسعه وجهده في تحقيق معانيها حتى اطمأن اليها بعد مراجعة هؤلاء الثقات ؛ اذ نراه يقول بعد ايراد تفسير ابن اسحق لهذه الانعام : «وهذا كله عند العرب على غير هذا الا الحامي ، فانه عندهم على ماقال». وبعد ان سرد معانيها قال : «حدثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره روى بعض مالم يرو بعض (١). «ولم يعترض شراح السيرة على كلام ابن هشام ؛ بل أمرّوا القول عليه ، ودل كلام الخشني ضِمناً على رضاه به اذ قال : «والسائبة والوصيلة والحامي قد فسّرها ابن هشام بعد هذا» (٢).

واذاً كان ابن هشام يرجع في تفسيره الغريب الى المصادر اللصيقَة بلغة العرب . وهي مصادر بلغت الذروة في الوثاقة ؛ فيونس مثلا تذكر كتب الطبقات عنه انه خرج الى البادية وروى عن فصحائها اللغة ؛ وان حلقته بالبصرة كان يغشاها الاعراب . وقد تلمذ لعدد منهم وخاصة رؤبة بن العجاج (٣) .

---

(١) السيرة ١/٥٨ .

(٢) الخشني : شرح السيرة ١/٢٨ .

(٣) محمد عيد : الرواية والاستشهاد باللغة : ص١١

على ان ابن هشام لم يتول شرح كل لفظ غريب ورد في نصوص سيرة ابن اسحق او ورد في ما رواه هو عن مصادره اللغوية والتاريخية ، بل ترك شيئا غير قليل منه ؛ اذ لو سلك هذا المنهج لتضاعفت سيرته ، فضلا عن ان العصر له دخل فيه ؛ اذ لايخفى ان (الغرابة) نسبية ، فما يعد غريبا في عصر من العصور قد لايعد كذلك عند من سبقه ، ولذا لم ير ابن هشام فيما يبدو ضرورة لشرح كل تلك الالفاظ التي تعد عندنا اليوم غريبة ، على حين كانت كلها او جلّها مفهومة لدى اهل عصره ، ذلك العصر الذي كانت الفصاحة لاتزال ترفل فيه بأثواب حسان ، وعلى حين أحسّ الذين جاءوا من بعده بالحاجة الى شرح كثير من تلك الالفاظ القريبة ، فلم يَعدِموا من يفسر منهم كثيرا منها. ويبدو هذا بقدر في «الروض الأنف» للسهيلي ، ثم يبلغ ذروته من بعد في «شرح السيرة» لابي ذر الخشني ، الذي يبدو لدارسه معجما كاملا او شبه كامل لغريب الالفاظ التي لم يفسرها ابن هشام ، كالنص اذ رواه ابن هشام وفيه لفظتا « حَربوا» و «سومت» فقال الخشني في تفسيرها : «وقوله : حربوا : اي غضبوا ، يقال حرب الرجل وحربته : اذا أغضبته . وقوله : لقد سُومت ، معناه : أعلمت اي : جُعلت لها علامة يعرف بها انها من عند الله تعالى» (١) .

على ان هناك من خالف ابن هشام في تفسيره لطائفة من الغريب ، وذلك امر طبيعي فالرجل كان رائدا في هذا المضمار ، والذين تلوه لابد ان تكون لهم نظرات في دلالة تلك الالفاظ من خلال تأملهم في السياق ، وبخاصة اذا كان اللفظ مشتركا ، والسياق يحتمل اكثر من معنى من معانيه . ففي تفسير أبيات لعدي بن زيد ، قال ابن هشام : «الخَشْل هنا رؤوس الخلاخيل والأسورة ونحوه» فقال الوقشي (٢) (ت ٤٨٩ هـ) : «الخشل هنا :

(١) الخشني : شرحُ السيرة ٢/٢٣٣

(٢) هو ابو الوليد هشام بن أحمد بن هشام قال عنه ابن بشكوال «كان من أعلم الناس بالنحو واللغة» الصلة ٢/٦١٧ .

المُقْل(١)، والقروش ماتساقط من جثمانه وتقشّر منه»،فمال الخشني الى تصحيح تفسير الوقشي ورجحه على تفسير ابن هشام فقال : «وقول الوقشي صحيح ، وهو أشبه بالمعنى (٢) » ، يريد بالسياق الذي دل عليه شعر زيد .

شواهده اللغوية :

تنوعت شواهد ابن هشام في مباحثه اللغوية التي خاضها من خلال السيرة شأن كبار اللغويين القدامى الذين كانوا موسوعيين في حفظهم واستشهادهم ، فكانت هذه الشواهد صنوفاً متعددة، قد يكتفي منها في مواضع بواحد، وقد يوالي الاستشهاد بأكثر من واحد، توثيقاً للمعنى وعضدا الشاهد الذي أورده اولا لتفسير اللفظ الغريب، وأكثر ما استشهد به القرآن الكريم ثم الشعر العربي قصيده ورجزه، ثم كلام العرب.وقليل من الحديث النبوي الشريف. وسأتحدث عنها مرتبة بحسب كثرتها، اذ تقتضي ذلك سلامة منهج البحث. ولاشك أن هذا العدد الكبير من الشواهد المتنوعة التي كان يحفظها ابن هشام ويحتج بها، إنما يعبر عن رصيده الضخم ورسوخ قدمه في علم اللغة، وهو رصيد كوّنه طول مراس في تتبع النصوص القيمة، وانتقاء الأجود منها .

(أ) القرآن الكريم :

اعتمد ابن هشام القرآن الكريم في تفسير كثير من الالفاظ الغريبة الواردة في القرآن والشعر والنثر، ولعل من نافلة القول اطالة الحديث عن أهمية القرآن في الاستشهاد اللغوي وغيره. اذ لا يخفى انه في مقدمة الشواهد لكونه افصح كلام وابلغه واعلاه (٣) .

فنراه مثلا يفسر لفظة (قبيلا) في الآية الكريمة: «أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلا» (الاسراء: ٩٢) : بالمقابلة والمعاينة.

---

(١) المقل : صمغ شجرة . والمقل المكي ثمر شجر الدوم ينضج ويؤكل . ينظر : القاموس المحيط ٥١/٤ (المقل) .

(٢) الخشني : شرح السيرة ٣٢/١ .

(٣) للاستزادة : ينظر : الرماني : النكت في إعجاز القرآن ص٧٥ .

ويقول: وهو كقوله تعالى «او يأتيهم العذاب قبلا» (الكهف: ٥٥) أي: عياناً) (١).

وقد يجري الاحتجاج بالقرآن على معنى لفظة غريبة مجرى الاستطراد اللغوي، فهو حين يفسر لفظة غريبة في نص، قد يقوده ذلك الى بيان معنى آخر لها ضمن استعمال لغوي خاص كالمصدرية مثلا — مدعوماً بشواهد قرآنية تجليه. فهو مثلا يفسر لفظة «رهقاً» في قوله تعالى: «وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» (الجن: ٦)، فيذكر انها تعني «الطغيان والسفه» ثم يبين انها تأتي مصدراً بمعنى «التحميل»، ويحتج لهذا الاستعمال بآيتين من سورة الكهف، يقول: «والرهق ايضاً مصدر، لقول الرجل للرجل: رهقت الاثم او العسر الذي ارهقتني، رهقاً شديداً، أي: حملت الاثم او العسر الذي حملتني حملاً شديداً، وفي كتاب الله: «فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفراً» (الكهف: ٨٠)، كقوله: «ولاترهقني من أمري عسراً» (الكهف: ٧٣).

(ب) الحديث الشريف:

لم يعدم ابن هشام الاستشهاد بالحديث النبوي في تفسير غريب الالفاظ الواردة في سيرته، بل نجده في مواضع يعنى بالاستشهاد به. الا ان ذلك قليل إذا قيس بالأنواع الأخرى التي استشهد بها. فنراه يفسر لفظة (القُصْب) بحديث شريف في سياق تفسيره لفظة (السَحْر) في عبارة ابن اسحق: (فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سَحْرُه)، بقوله: «السحر: الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة. وما كان تحت السرة فهو القصب، ومنه قوله — يقصد النبي (ص) — «رأيت عمر بن لحي يجرّ قصبه في النار». ثم يقول: بعد ايراد الحديث وتفسير لفظة سحر: «حدثني بذلك أبو عبيدة»(٢)

(١) السيرة ٢٠٣/١.
(٢) السيرة ٤٥٥/٢.

وعمرو بن لحي هذا يُعد أول من أدخل الأصنام بلاد العرب، ودعا الناس فيها الى عبادة الأصنام (١)

(ج) الشعر العربي :

لايني ابن هشام يستشهد للغريب بالشعر العربي الفصيح ،وكان يعوّل على القصيد كما يعوّل على الرجز، وقد ضمت سيرته عيون الشواهد اللغوية لكبار الشعراء الفصحاء في العصور التي سبقته، وكان استشهاده لغريب القرآن بالشعر ظاهراً جداً، حتى انه لكثرة ذلك منه يذكّرنا بمنهج ابن عباس في تفسيره اللغوي وبسؤالات ابن الازرق واجاباته عنه(٢) ، كما يذكرنا بمن سلك منهج ابن عباس من مفسري غريب القرآن الاوائل الذين عاصروه وفي مقدمتهم أستاذه ابو عبيدة معمر بن المثنى، الذي يتجلى منهجه هذا في تفسيره لغريب القرآن الذي سماه (المجاز). وبذلك نستطيع ان نقول من غير تردد ان ما نهجه ابن هشام من تفسيره الغريب بالشعر، إن هو الا امتداد لمنهج ابن عباس، بل انه من رواده الاوائل الذين اصّلوه وفق منهج متين دقيق؛ اذ تبين لي من دراسة تلك الشواهد انه كان يعتمد القديم المشهور من الشعر، فكانت تلمع في سيرته أسماء مشاهير الشعراء الجاهليين، والمخضرمين والاسلاميين الذين عاشوا في عصر صدر الاسلام او العصر الأموي. والذين يُحتج بشعرهم في باب اللغة، والذين نجد أسماءهم عادة في المصنفات المتنوعة لمشاهير اللغويين مثل كتب اللغة ومعاني القرآن والنحو وما اليها.

وقد انتهت دراستي لهذا الشعر في السيرة. باحصاء لشعرائه والقدر الذي أورده من أشعارهم في الاحتجاج للغريب فيها، فتبين لي انه استشهد للغريب بشعر عدد من مشاهير الشعراء الجاهليين، وفي مقدمتهم امرؤ القيس، وزهير

---

(١) ابن الكلبي : الأصنام ص٥٤ .

(٢) تنظر هذه السؤالات في الاتقان للسيوطي ١٢٠/٢، (والاعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق) لعائشة عبد الرحمن ، وقد نشرها ابراهيم السامرائي بعنوان (سؤالات ابن الأزرق) .

واعشى قيس، وامية ابن ابي الصلت، والنابغة الذبياني. ودونهم: دريد بن الصمة، والحارث بن حلزة وعلقمة بن عبدة، وابو خراش الهذلي، واوس بن حجر، والمهلهل بن ربيعة. كما استشهد بشعر عدد من مشاهر الشعراء المخضرمين وخاصة حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة، ثم ابن مقبل وابا ذؤيب الهذلي.

ومن الشعراء الامويين: ذو الرمة، والكميت، وجرير، والفرزدق. ودونهم في مقدار الاستشهاد: ابن هرمة، وحُميد الارقط. والطرماح. وأما الرجاز فقد تصدرهم رؤبة بن العجاج، وأبوه العجاج، وابو النجم العجلي، وكلهم من العصر الاموي.

ولم نلحظ مطلقاً انه استشهد بشعر عباسي، بل وقف عند حدود الاموي لم يتجاوزه بحال. فكأنه وجد الأصالة اللغوية تقف عنده. وحدود الاستشهاد من ثم لاتتعداه. فنراه مثلا يفسر (الاخدود) في قوله تعالى: «قتل اصحاب الاخدود» (البروج: ٤) بقوله «الاخدود: الحفر المستطيل في الارض كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه أخاديد. قال ذو الرمة — واسمه غيلان بن عقبة:

من العراقيـة اللاتـي يحيـل لـها
بين الفلاة وبيـن النخل أخدود

يعني جدولاً. وهذا البيت من قصيدة له»(١)

ويفسر لفظة (ادراجك) في قول الصحابي ابي ايوب الانصاري لاحد المنافقين الذين كانوا يأتمرون في مسجد قباء على المسلمين: «ادراجك يامنافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم» فيقول: «أي: ارجع من الطريق التي جئت منها.

---

(١) السيرة ١/٢٣.

قال الشاعر : —

فولّى وادبـــــــــــر ادراجــــــــه
وقـد ناء بالظلـم من كان ثمّ(١)

(د) كلام العرب في تحاورهم :

وهو الضرب الثالث من ضروب شواهد ابن هشام في تفسير الغريب، اذ هو يلي الشواهد القرآنية والشعرية، وكثيراً ما يورده عاضداً لهما، تعزيزاً لدلالة اللفظ الذي يفسره، وانه وارد في مختلف انواع الكلام.

في تفسير (المسوَّمة) من قوله تعالى: «حجارة من سجيل منضود. مسوَّمة» (هود: ٨٢ — ٨٣.) يستطرد ابن هشام الى المعاني الاخرى التي ترد عليها هذه اللفظة في اللغة على غير معنى: مُعْلَمة ،التي دلت عليه الآية، فيقول: «والمسوّمة: المرعية، وفي كتاب الله تعالى: «والخيل المسوّمة»و «شجر فيه تُسميون»، تقول العرب: سوّم خيله وابله واسامها: اذا رعاها. قال الكميت ابن زيد :

راعيـــاً كان مسجحـــــــــاً ففقدنـــا
ه، وفقـــد المُسيم هلك السوام(٢)

وهو لا يَعدِم في هذا المقام اسناد الكلام الى احد اللغويين الذين يأخذ عنهم وبخاصة ابو عبيدة. ففي مواضع من السيرة نراه يقول: «قال ابو عبيدة : تقول العرب». ومعلوم ان ابا عبيدة كان يُعنى بكلام العرب في تفسير غريب القرآن، الذي سماه «المجاز»(٣) بجانب عنايته الكبيرة بالشعر.

وربما سلك ابن هشام سبيل «الاسترسال في الشرح اللغوي . وذلك بأن يستطرد في مواضع الى ما في شواهده اللغوية من الغريب فيفسره محتجاً

---

(١) السيرة ٢/٣٧١ .

(٢) السيرة ٣/٦٢١ .

(٣) وانظر المواضع الآتية مثلا : ١/٤٣ ، ٨٨ ، ٩١ .

له بشواهد من الشعر العربي القديم ، على نحو وقوفه عند قوله تعالى : «ياايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها» (النساء: ٤٧) ، اذ قال : «نطمس : نمسحها فنسويها «فطمسنا اعينهم» . المطموس العين : الذي ليس بين جفنيه شق ، ويقال : طمست الكتاب والاثر فلا يرى منه شيء ، قال الاخطل — واسمه الغوث ابن هبيرة (١) بن الصلت التغلبي — يصف ابلا كلفها ماذكر :

وتكليفناها كل طامسة الصّوى
شطون ترى حرباءها يتململ

وهذا البيت في قصيدة له» (٢) .

وبعد هذا التفسير ، والاحتجاج له بالقرآن وكلام العرب والشعر القديم انثنى الى تفسير لفظة (الصوى) في شاهده الشعري ، ليجعله اكثر فائدة للقارىء . من حيث ان بناء معنى اللفظة الغريبة التي عني بتفسيرها قائم عليه قال : «واحدة الصّوى : صوّة . والصوى : الاعلام التي يستدل بها على الطرق والمياه» (٣) . ولم يكتف بهذا ، بل بيّن المعنى الاجمالي للبيت فقال : «يقول : مسحت فاستوت الارض ، فليس فيها شيء ناتىء » (٤) .

وواضح من لفظ البيت وتفسير ابن هشام له ، تمكنه من اللغة وقدرته على فهم الشعر العربي القديم وبيان معانيه .

(٣)

الرواية اللغوية :

في سيرة ابن هشام ضروب من الرواية استقاها من مصادرها المعوّل عليها في موضوعاتها . فمنها الرواية التاريخية التي تتعلق بالاحداث والوقائع التي حدثت قبل الاسلام او عند ظهوره ، ومنها الرواية اللغوية التي تتعلق بالمباحث والموضوعات اللغوية المتنوعة .

(١) المشهوران اسمه غياث بن غوث ، كما ذكر الآمدي .
(٢) السيرة ٢/٤٠١ .
(٣) و (٤) السيرة : المكان نفسه .

فممن استقى الرواية التاريخية منهم عن ابن اسحق : زياد بن عبد الله البكّائي وعليه المعوّل في اكثر ماروواه في هذا الصدد ، حتى انه ذكر في اول سيرته ان جملة ماتركه من سيرة ابن اسحق ما لم يقر البكائي له بروايته (١) . ومنهم ابو عبيدة معمر بن المثنى ، الذي صرح بأنه استقى منه اخبارا في المغازى ، اذ قال في احد المواضع : «وحدثني ابو عبيدة وغيره من اهل العلم بالمغازى» (٢) . ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي (٣) وآخرون لم يصرح في الغالب بأسمائهم ، بل اكتفى بوصفهم بأهل العلم .

والذي يهمنا في بحثنا هذا «الرواية اللغوية» ، وذلك لطبيعة البحث .والحق ان الحديث عن الرواية اللغوية في السيرة يتطلب ايجازا كبيرا ، لان اطلاق العنان فيه للدراسة يشكل بحثا برأسه ، واذا اوجزناه ليناسب حدود هذا البحث ، وجدناه يتّسم بالظواهر الاتية :

إحداها :

ان ابن هشام لم يعتمد على ماجاء في سيرة ابن اسحق من مرويات ادبية ولغوية وانما حاول ان يحقق تلك المرويات بعرضها على مصادره الروائية الموثوق بها ، وذلك للتثبت من صحتها ودقتها ، وتحديد الفاظها وعباراتها تحديدا علميا دقيقا . فكان يصرح بين الفينة والفنية بذلك التغاير الذي انتهى اليه نتيجة الفحص والتحقيق الذاتي ، وعرض النصوص على تلك المصادر .

وثانيتها :

ان ابن هشام تلقى الرواية وفنونها واصولها من مصادر لغوية يعتد بها في عصره وفي العصور التي تلته . وكان في مقدمتها الرواة الكبار الذين عرفوا بالامانة والضبط والعلم المنوع الغزير والذين على رأسهم :
ابو عبيدة وابو زيد الانصاري ويونس بن حبيب . وكان من دون هؤلاء الثلاثة المرموقين رواة يلونهم في الشهرة والوثاقة مثل خلف الاحمر .

(١) السيرة ٢/١ .
(٢) السيرة ٤٦٤/٢ .
(٣) السيرة ٢/١ .

فأما ابو عبيدة فقد كان الى جانب علمه الغزير يحفظ من الشعر وكلام العرب الشيء الكثير ؛ وذلك لعلمه الواسع «بأيام العرب واخبارهم» (١). حتى وصف بأنه «اكثر الناس رواية» (٢).وكان لشدة تأثره به ان استعمل مصطلح «المجاز» بمعنى التفسير ، لابدلالته البلاغية المعروفة (٣) ، وهو عين مااستعمله ابو عبيدة في كتابه .

كما يتجلى تأثره بأبي عبيدة وأخذه عنه مباشرة، بما اورده في ثنايا سيرته من تفسير لطائفة من غريب القرآن وغيره. وقد تبين لي من عرض مافي السيرة من ذلك، على ما في المجاز بقصد المقارنة بينهما.ان منه ما هو غير موجود اصلاً في المجاز مما يجعل السيرة مصدراً أصيلاً لما لم يورد إبو عبيدة في كتابه هذا من تفسير لغريب القرآن. وهو الذي رواه علي بن المغيرة الاثرم(٤) (ت٢٣٢هـ) عنه، ومنه ما هو في المجاز مع زيادة فائده في الشرح او الاحتجاج. ومنه ما جاء مطابقاً تماماً لما في المجاز، مما يجعل السيرة مصدراً أصيلاً ايضاً لتوثيق ما ورد في المجاز عن أبي عبيدة . ولسنا هنا بصدد استقصاء ذلك كله، وانما نورد منه امثلة تشهد لما بيناه آنفاً.

فمما رواه عن ابي عبيده (٥)ولم يروه الاثرم، في المجاز(٦) تفسير (الاماني) في الآية ٧٧ من سورة البقرة. وتفسير (المهل)(٧) في الآية ٤٥ من سورة الدخان. وهذا وما هو على شاكلته مما لم يرد في المجاز يحتمل عندي ثلاثة احتمالات :ـ

---

(١) أبو الطيب : مراتب النحويين ص٧٧ .
(٢) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص١٧٥ .
(٣) السيرة ٣٧١/٣ .
(٤) ينظر سند روايته له في أول المجاز ١/١ .
(٥) السيرة ٣٨٠/٢ .
(٦) لم يفسر الآية ٧٧ من البقرة وانما انتقل من الآية ٧٦ إلى الآية ٨٠ .
(٧) السيرة ٢٤٣/١-٢٤٤ .

احدهما :

أن تكون رواية الاثرم للمجاز غير تامة، بأن يكون قد اسقط شيئاً من الاصل، وبخاصة ان للكتاب خمس روايات، لم تصل منها الا هذه الرواية التي تفرعت الى ثلاثة فروع حسب الرواة عن الاثرم، احدها لثعلب (ت ٣٩٢هـ) غير انه مفقود، الا ما نقل عنه في الكتب. ويبدو من تفسير الطبري انه كان لديه روايات متعددة للمجاز(١) .

والثاني :

أن يكون ابو عبيدة لم يذكر هذا في المجاز، وهو امر فيه نظر؛ اذ ليس من مبرر لعدم تفسير مثل هذه الالفاظ مع غرابتها – بحسب اصطلاح اللغة – واحتمالها اكثر من معنى بسبب الاشتراك اللفظي.

والثالث :

ان يكون قد سقط من المجاز بعد ذلك لسبب لاندريه، وهو امر يحتاج الى دليل .

وأياً كان الامر، فان في السيرة روايات عن أبي عبيدة في تفسير غريب القرآن لم ترد في المجاز. مما يجعل السيرة مصدراً آخر لتفسير هذا الغريب عن ابي عبيدة، ويضعها من ثم في موضع لغوي مهم وأصيل.

ومما ورد مطابقا لما في المجاز (٢) مع تغاير جزئي في العبارة تفسير (باخع) في الاية ٦ من سورة الكهف، وقد روى عنه فيه عين الشاهد الذي اورده في المجاز . كما روى عنه في تفسير الاية ١٦ من سورة سبأ ان (العَرِم) واحدته : عَرِمة (٣) ، وهو عين ماورد في المجاز . اذ قال ابو عبيدة فيه : «واحدها عَرِمة» (٤) . الا ان ابن هشام لم يرو عنه معنى العَرِمة .

(١) فؤاد سزكين : مقدمة كتاب المجاز ٣٠/١ .

(٢) تنظر السيرة ١٩٧/١ وتقارن بالمجاز ٣٩٣/١ .

(٣) السيرة ٧/١ .

(٤) المجاز ١٤٦/٢ .

وكأنها لفظة مألوفة في عصره لاتحتاج الى بيان في نظره . ومما رواه مع زيادة على ما في المجاز ، ماذكره في تفسير الاية ٥ من سورة الحشر ، اذ روى عنه شاهدا شعريا لتفسير (اللِيْنة) لم يرد في المجاز وهو قول ذي الرمة :

كأن قتودي فوقها عش طائـــر
على لِينة سوقاء تهفو جنـوبها (١)

على حين هو في المجاز : فوق لينة (٢) ، هكذا ، وهو مقتطع من قول ذي الرمة :

طراق الخوافي مشرف فـوق لِيـــنـــة
ندى ليلهِ في ريشه يترقـرق

هذه رواية الطبري (٣) والقرطبي (٤) ، والرواية في الديوان ، فوق ربعة(٥).

وبالمثل روى ابن هشام عن سعيد بن أوس الانصاري المكنى ابا زيد الذي ((كان من أئمة الادب)) ، والذي ((غلب عليه اللغات والنوادر والغريب)) وكان ((ثقة في روايته)) (٦) ، وكان كأبي عبيدة والاصمعي في ثناء اهل العلم عليه . قال التوزي : قال مناذر : اصف لك اصحابك: اما الاصمعي فأحفظ الناس ، واما ابو عبيدة فأجمعهم ، وأما ابو زيد الانصاري فأوثقهم(((٧) . وقال ابو الطيب (٨) اللغوي : ((كان ابـو زيد احفظ للغة بعد ابي مالك - يقصد عمر بن بكر الاعرابي - واوسعهم رواية ، واكثرهم اخذا عن البادية .)) وحدث ابو زيد نفسه ان سيبويه إذا قال في كتابه : ((أخبرني من أثق بعربيته ، فانما يريدني)) (٩)

---

(١) السيرة ٣/٦٨٥ .
(٢) المجاز ١/٢٥٦ .
(٣) جامع البيان ٢٨/٢٣ بولاق .
(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٨/٩ .
(٥) ديوان ذي الرمة ١/٤٨٨ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٣٧٩ .
(٧) المصدر نفسه : المكان نفسه .
(٨) مراتب النحويين ص٧٣ .
(٩) ابن قتيبة : المعارف ص٥٤٤ وقد ورد ذلك في كتاب سيبويه : قال عن بيت شعر في ١/٣١٢ : ((سمعناه ممن يوثق بعربيته يرويه لقومه)) ».

واذاً فقد عرف ابن هشام حقاً طريقه الى الرواية الموثوق بها حين عول على مثل هذا اللغوي الفذ والراوية الثبت ، فيمن عول عليهم من اللغويين في سيرته. وقد روى عنه مواد شتى تتعلق باللغة، وبخاصة في توثيق الشعر الذي رواه ابن اسحق في سيرته، اذ كان لاينى يعرضه على اللغويين الكبار — كما قدمت سالفاً — لتحقيق لفظه ونسبته الى من نسب اليهم. وكأنه وجد نفسه ملزماً بهذا المنهج العلمي في التحقيق اللغوي، اذ كان ابن اسحق كما قيل عنه، لادراية له بالشعر من حيث الاصالة او الوضع او التزيد او نحوها من الظواهر التي كانت تنتابه في شتى العصور، وبخاصة عصور الرواية والمشافهة التي امتدت الى أيامه، اذ عاش حتي منتصف القرن الثاني للهجرة، حتى ان محمد بن سلام الجمحي(١) (ت٢٣١هـ) قال :«وكان ممن افسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحق بن يسار. وكان من علماء الناس بالسير وغير ذلك، فقبل الناس عنه الاشعار، وكان يعتذر عنها ويقول: لا علم لي بالشعر أتينا به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذراً فكتب في السير اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط واشعار النساء فضلا عن الرجال» .

وذكر محمد بن اسحق صاحب الفهرس ان ابن اسحق ضمن كتابه اشعاراً مصنوعة كانت تعمل له، وانه صار فضيحة عند رواة الشعر مع خطأ في النسب الذي اورد فيه (٢) .

ومهما يكن من امر فان سيرة ابن هشام تصلح لان تكون ،صدراً وثيقاً للرواية عن ابي زيد تفيد الدارسين والباحثين، وذلك لما قام به ابن هشام من الرواية عنه في تحقيقه نصوص السيرة.

فمن ذلك القصيدة التي رواها ابن اسحق لكعب بن مالك في وقعة احد . والتي تبلغ تسعة وعشرين بيتاً، اذ علق عليها ابن هشام بقوله: «انشدني بيته :

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/٨ .

(٢) ابن النديم : الفهرس ص١٣٦ .

بدا كيف يفعل . والبيت الذي يليه . والبيت الثالث منه ، وصدر البيت الرابع منه، وقوله: « نشبّ وتَهلك آباؤنا» والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه : ابو زيد الانصاري)) (١) .

فيتضح من هذه المتابعة لابيات القصيدة، ان عملية عرض على ابي زيد اجراها ابن هشام للتحقق من ابياتها بيتاً بيتاً.

وقد ينتهي هذا العرض العلمي بنسبة قصيدة ما الى شاعر دون آخر ، فوق تحقيق النص نفسه للتأكد من سلامة لفظه . على نحوما نجد في القصيدة التي مطلعهـــا :

بكـــــت عينـــــي وحـــق لها بكـَــاها
وما يغنـي البكاء ولا العـويــل

اذ نسبها ابن اسحق الى عبدالله بن رواحة، يبكي بها حمزة بن عبد المطلب، وذكر ابن هشام ان ابا زيد الانصاري انشده اياها لكعب بن مالك (٢) .

ولا يكتفي ابن هشام في تحقيقه ما رواه ابن اسحق في سيرته من الشعر، بروايته عن ابي زيد . بل انه ليعمد الى صيغة اخرى وعمل لغوي آخر مهم، وهو رواية مالم يروه ابن اسحق واثباته في السيرة. كأنه يستكمل بذلك ما فات صاحب السيرة الاولى. فنراه مثلا يعقب على الشعر الذي رواه ابن اسحق في قتلى يوم بدر معونة برواية ثلاثة أبيات لكعب بن مالك يعيّر بها بني جعفر ابن كلاب، انشده اياها ابو زيد الانصاري (٣).

وقد توقعت أن تَردَ هذه النصوص او شيء منها في «نوادر» ابي زيد، الا اني لم اعثر على شيء من ذلك، اذ لم اجد فيها شعراً لكعب بن مالك في شواهد ابي زيد اللغوية لتفسير الغريب او في التعليق اللغوي او غيرهما. وانما

(١) السيرة ٦٦١/٣ .
(٢) السيرة ٦٦٢/٣ .
(٣) تنظر الابيات في السيرة ٦٨١/٣-٦٨٢ .

وجدت شعراً لكعب بن سعد الغنوي في غير موضع منها(١). ولايبعد ان يكون ابن هشام قد تفرد بروايتها عنه، إن لم يكن اوردها في كتبه الاخرى التي ذكرت له(٢). واعتمد ابن هشام(٣) — بصورة أقل — على خلف الاحمر (ت١٨٠هـ) راوية الشعر الشهير، مانحاً اياه ثقة في ما رواه عنه، اذ يبعد ان يشك في وثاقته ثم يثبت في سيرته ما اثبته من مروياته عنه. ويلحظ انه يكنيه في غير موضع بكنيته التي عرف بها وهي «ابو محرز»(٤)، مع ان الشك يتناول ما يرويه، اذ كان يتهم لدى البصريين خاصة بالنحل(٥) وابن هشام بصري في مذهبه اللغوي لأخذه عن شيوخهم، وقد صرح السيوطي في البغية(٦) بأنه «بصري نحوي»، الا ان كلام غير واحد من كبار النقاد واللغويين القدامى يدل على خلاف ذلك في خلف، فقد كان محمد بن سلام الجمحي(٧) يوثقه، ويعده ناقدا الشعر، ويقول عنه كلمة معبرة عن ثقته به: «انه كان افرس الناس ببيت شعر واصدقه لساناً. كنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خبراً او انشدنا شعراً ان لا نسمعه من صاحبه». وكان الأخفش والاصمعي يريانه اعلم الناس بالشعر، وكان الاصمعي خاصة يثني عليه كثيراً بعد وفاته فيقول: «ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الاحمر، فقيل له: كيف وانت حي؟ فقال: ان خلفا كان يحسن جميعه، وما احسن منه الا الحواشي»(٨)!

والحق ان الاخبار في توثيقه وتوهينه متناقضة، مما حمل الدكتور ناصر الدين الاسد — وهو على حق — على الشك فيها، والى عزو الطعن فيه الى المنافسة

---

(١) كما في ص٣٧ و٢٤٤ من النوادر.

(٢) لابي زيد عدة كتب ذكرتها المراجع ضاع اكثرها او طمرته يد النسيان في مكان ما مثل كتاب «الهمز» وكتاب «القوس» و «الترس» و «الابل» و «خلق الانسان»، و «اللغات» تنظر كتبه الاخرى في الفهرست لابن النديم ص٨١ ووفيات الاعيان لابن خلكان ٣٧٩/٢

(٣) ينظر مثلا ٥٧/١ و٥٥٤/٢ و٩١٢/٤ من السيرة.

(٤) السيرة ٥٧/١ و٥٥٤/٢ وانظر هذه الكنية في مراتب النحويين ص٨٠.

(٥) مراتب النحويين ص٨٠.

(٧) طبقات فحول الشعراء ٧/١.

(٨) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص١٦٣.

العلمية بين البصريين والكوفيين، وهي منافسة لها آثارها المشهورة في النحو، وكان الغرض منها« توهين رواية الكوفيين للشعر(١).

ومهما يكن من امر، فقد ذكروا ان خلفاً رجع عن نحل الشعر بعد تنسّكه (٢). وكان ابن هشام — فيما يبدو من سيرته — يعرض الشعر الذي رواه ابن اسحق على ابي محرز في جملة من يعرضه عليهم من رواة الشعر وصيارفته، فيصحح له الصحيح ويصلح ما يحتاج الى تبديل في لفظ او عبارة. على نحو ما اورده حول قول الشاعر الذي رواه ابن اسحق :

بين الخورنـــق والسديـــر وبـــارق
والبيـــت ذي الكعبات من سنداد

اذ نسب البيت الى قائله اولا. فقال: «وهذا البيت للاسود بن يعفر النهشلي: نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .... في قصيدة له»، ثم قال بعد ذلك مبيناً رواية اخرى له: «انشدنيه ابو محرز خلف الاحمر»:

أهـــل الخـــورنـــق والسدير وبـــارق
والبيت ذي الشُرُفات من سنداد(٣)

وربما اكتفى منه برواية جزء او مقطع من بيت ورد في سيرة ابن اسحق بنفس اللفظ. كالذي بيّنه حول قصيدة لعباس بن مرداس السلمي رواها ابن اسحق. اذ قال: « انشدني خلف الاحمر قوله: « وقيل منها ياآحبسوا (٤)».

وسمع ابن هشام الرواية من يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) الذي كان يلقبه في غير موضع بـ(النحوي)(٥) ومعلوم ان يونس كان موضع ثقة الاقدمين،

---

(١) الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ص٤٦٢ .
(٢) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص١٦٣.
(٣) السيرة : ٥٧/١ .
(٤) السيرة ٤١٢/٤ .
(٥) السيرة ٥٨/١ .

وأن سيبويه كان يحكي عنه رواياته عن العرب(١). وقد مرّ علينا اعتماد ابن هشام عليه في تحقيق دلالة الانعام التي كانت العرب في جاهليتها تحرمها على نفسها، بناء على ما رواه عن فصحاء العرب. وكان يونس قد سمع رؤبة بن العجاج، وكان — كما اسلفنا — يتعصب له ويطري فصاحته، وكان ابن هشام يعنى كثيراً بأراجيز رؤبة، وهنا نستطيع ان نتصور بيسر اثر يونس في هذا الاتجاه الروائي الذي يقوم على الاحتفاء بشعر هذا الراجز الكبير.

ويلاحظ ان رواية ابن هشام تمثل الاتجاه البصري في اللغة والنحو، وذلك واضح من التعرف على من يروى عنهم: من مثل ابي عبيدة وابي زيد ويونس، اذ كلهم بصريون، فقد كان يونس من رؤوس هذه المدرسة في الجيل المعاصر من الكوفيين. ولذا فان ابن هشام يكون قد رجع الى اصل من الاصول للكساءني الرجالية لهذه المدرسة، ويشعرنا بذلك البيت الذي يرويه لعباس بن مرداس السلمي :

وما كان حصن ولا حابس
يفوقان شيخي في المجمع

بتخفيف ياء (شيخي) وتشديدها، ويريد به اباه، او اباه وجده، على الخلاف بين الروايتين، على حين رواه الكوفيون: يفوقان مرداسَ، ويستشهدون به على ترك صرف مالا ينصرف لضرورة الشعر، ولذا قال او ذر الخشني(٢) : «وقد ذكر ابن هشام ان يونس انشده هكذا، ويونس من البصريين».

وكان من دون هؤلاء الرواة، رواة آخرون اطراهم ابن هشام في سيرته، مثل خلاد بن قرة السدوسي. الذي كان يصفه بأنه «من اهل العلم بالشعر(٣)». ومنهم من لم يصرح باسمه. وانما يكتفي بنسبته الى بلده كقوله : انشدني بعض اهل العلم بالشعر من اهل الحجاز (٤). او نسبته الى قبيلته كقوله:

---

(١) الكتاب ١/٥١ .
(٢) شرح السير ٢/٤١٣.
(٣) السيرة ١٠/٤٣ .
(٤) السيرة ١/٨٩ .

«حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم»(١). وكثيراً ما كان يعبّر عن اولئك العلماء الذين يثق بهم بعبارة «اهل العلم»(٢)، أو« اهل العلم بالشعر(٣).

وثالثها

انه كان لابن هشام حسٌ لغوي بصير، يستطيع به ان يميز صحيح الشعر من السقيم، والاصيل من المنحول، فكان يسمي هذا الضرب من الشعر: «المصنوع»، وكان يعرض عن روايته في سيرته، خلافاً لمنهج ابن اسحق، يروى بيتاً من الشعر وينسبه الى تُبّع ملك اليمن حين همّ بايقاع العقوبة بيهود المدينة. وهو:

حنقـــــــاً عـلى سطيـن حـلا يثربــا

اولـــــى لهـم بعقاب يوم مفسد

فيعلق ابن هشام عليه بقوله: ((الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع. فذاك الذي منعنا من اثباته)) (٤). وهذا يعني انه يروي القصيدة التي فيها هذا البيت كاملة، الا انه يعرض عن تدوينها في سيرته، لكونها من الشعر المنحول. الذي لم تصح نسبته إلى الملك تبّع. ويبدو ان تحرزه عن رواية هذا الضرب من الشعر مخصوص بالسيرة، تنزيها لها عن ان يَعلق بها مالم يصح من الشعر والنثر من الكلام المروي. اذ يبدو مما ذكر السهيلي ان ابن هشام اورد هذا الشعر في كتاب آخر له هو «التيجان»، وانه علق على هذا البيت هناك بقوله: «والصنعة بادية في هذا البيت، وفي اكثر شعره» وعبارة «والصنعة بادية» تعزز ما ذهبت اليه في اول كلامي هنا، من ان ابن هشام كان ذا حسّ لغوي، مكنه من تمييز الشعر الأصيل من المنحول.

---

(١) السيرة : ٩٩٩/٤ .

(٢) السيرة : ٥٥٢/٢ .

(٣) السيرة : ٩١٢/٤ ، ٩١٧ .

(٤) السيرة ١٣/١ .

ويشعرنا ابن هشام ان من الرواة من نَحَل طائفة من الشعر المروي عن مجاهيلَ ، بعضَ كبار الشعراء الجاهليين ، وهو امرؤ القيس ، إذ روى رجزاً ينسبه إلى «رجل من العرب» ، في «ذي الخلصة» الاله الجاهلي، وهو :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا
مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

وقال : «وكان ابوه قتل ، فاراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنه بالازلام فخرج السهم بنهيه عن ذاك ، فقال هذه الابيات» . ثم قال : «ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندي» (١) .

وواضح ان ابن هشام لم يُصدق — وهو على حق — ان هذا الرجز من شعر امرىء القيس ، اذ ليس اسلوبه كأسلوبه ، وذلك انه تبدو عليه حداثة العصر القريب من الاسلام ، وعدم مشابهته في التعبير الشعري . وكان القدامى كأبي عبيدة والاصمعي يرون أن من الشعر ماهو معمول على امرىء القيس (٢) . وبذلك يتبين لنا ان ابن هشام من أقدم من زاول النقد اللغوي ، وذلك حين عرض لقراءة النصوص ودراستها وبيان رأيه في نسبتها إلى من نسبت اليهم ، في ضوء فهمه للأساليب . على ان ابن هشام لايعدم بيان ماتلزمه الامانة العلمية في هذا الموضوع الخطير الذي كثر فيه الحديث واتهم فيه غير واحد من الرواة . بل نراه في احد المواضع يشير إلى مايدور في الاوساط العلمية من ذلك ، اذ يورد بيتاً لأبي دواد الأيادي ويقول : «وهذا البيت في قصيدة له» ثم يذكر بصيغة التضعيف : «يقال إنها لخلف الاحمر ويقال لحماد الراوية» (٣) . ويبدو من هذه الصيغة انه شاك في نسبة القصيدة لأي من هذين الراويين وانه يرجح انها للأيادي .

(١) السيرة ١/٥٦ .
(٢) السيرة ١/٤٧ .
(٣) النقد عند اللغويين في القرن الثاني لسنية أحمد محمد ص٨٨ و٩٥ .

(٤)

لغات العرب :

يبدو ابن هشام ، من سيرته، على علم حسن بلغات العرب ولهجاتهم وبخاصة لغات اليمن موطن آبائه وأجداده ، اذ هو من حِمَيَر ، وحمير من اليمن .

فنراه في مواضع من سيرته يفسر الفاظاً من لغة حمير وردت في نصوص حميرية قديمة مسموعة ، وقلنا : (مسموعة) لان أكثر ماورد عن تاريخ اليمن القديمة معتمد فيه على مادون في كتاب (العهد القديم) ، وماوصل من نصوص كتبت بالخط المسماري باللغتين البابلية والآشورية ، وما كتبه اليونان والرومان حين عرفوا حضارة اليمن وسموها : حضارة العرب السعيدة ، ثم أكثر من هذا كله ماكشف عنه أخيراً في اليمن من نقوش منها مانشر في نحو ستة آلاف . تتعلق بالأدعية والاستغفارات ومراسيم الري والضرائب والعمارة والدين وقوانين عسكرية ومدنية (١) .

ولم يكن ابن هشام في حديثه عن هذه اللغات يعدم الاستشهاد بأقوال كبار اللغويين كالذي ورد في كلام لسطيح الكاهن في تفسيره رؤيا ربيعة ابن نصر ملك اليمن : «إي ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، أن ماأنبأتك به لحق مافيه أمض» اذ قال ابن هشام مفسراً لفظة «أمض» : «أمض : يعني شكاً ، هذا بلغة حمير» ، ثم حكى عن أبي عمرو ابن العلاء قوله : أن (أمض) معناها باطل بلغتهم (٢) .

ولانكاد نمضي قدماً في قراءة السيرة حتى يطالعنا ابن هشام بتفسير لفظة أخرى من لغة حمير هي (نخماس) ، فيذكر أن معناها الرأس . (٣) وذلك انها وردت في كلام لذي نواس قبيل تمليكه على اليمن بعد قتله لخنيعة ذي

---

(١) كامل مراد : اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص٣١ .
(٢) السيرة ١/١٠ .
(٣) السيرة ١/١٨ .

شناتر . وقد أيد السهيلي ابن هشام فيما ذهب اليه من هذا الفهم ، فقال : «والنخماس في لغتهم : هو الرأس كما ذكر» (١). وبيّن الخشني ان الروايات الواردة عن ابن هشام كلها تذهب إلى هذا التفسير ، وانه ورد عنه — في رواية — أن نخماس اسم لرجل (٢) .

ويتجلى علم ابن هشام بلغة حمير بصورة أخرى ، هي ضبط الفاظها — لغوياً — في ضوء الروايات التي انتهت إلى سمعه . فنراه في احد المواضع يعقب على أبيات رواها ابن اسحق . وفيها عبارة (لَباب ِ لَباب ِ ، وفسّرها بقوله ((لَباب ِ لَباب ِ : لابأس لابأس ، بلغة حمير)) .

فقال ابن هشام معقباً : ((ويروى : لِباب ِ لِباب ِ)) (٣) .

أما ما أورده من لغات العرب الاخرى، فمنه مايتعلق بـ (فَعَلَ وأفعَلَ) إذ نراه يعلق على قول الشاعر :

لو كنتُ مُرتَهناً في القوس أفْتَنَني
منها الكلامُ وربّانيُّ أَحبارِ

بقوله : ((القوس : صومعة الراهب . وأفتَنَني : لغة تميم ، وفَتَنَني لغة قيس)) (٤) . ومعلوم أن قبائل العرب كثيراً ماتختلف في استعمال هاتين الصيغتين ومن جملتها مابين قيس وتميم في فتَن وأفتَن —كما ذكر ابن هشام — وبين قريش وتميم (٥) في وَفى و وأوفى (٦). وبين هذيل والحجاز وبين تميم ، في نَكِرَ وأنكَرَ (٧) وما إلى ذلك .

---

(١) الروض الآنف ١/١٩٠ .
(٢) الخشني : شرح السيرة ١/١٢ .
(٣) السيرة ١/١٧ .
(٤) السيرة ٢/٣٩٥ .
(٥) الطوسي : التبيان ٢/٥٠٥ .
(٦) الزجاج : معاني القرآن واعرابه ١/٩١ .
(٧) الزمخشري : الكشاف ٢/٣٢٠ .

(٥)

الابدال :

يعد ابن هشام من اقدم من عرض لظاهرة الابدال في اللغة ، اذ كان يشير في مواضع من سيرته إلى هذه الظاهرة المعروفة في لسان العرب .

ويعد ابن السكيت (ت٢٢٤هـ) اقدم من صنف فيها ، اذ وضع رسالة سماها (القلب والابدال) جمع فيها نحواً من ثلاثمائة كلمة يقع فيها الابدال(١).

وكان الاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ) يسميه (البدل) (٢) .

ويراد بالابدال كما فهمه القدامى ان يكون للكلمة صورتان مستعملتان ، او في الأقل جائزتان في الاستعمال ، تختلف احداهما عن الاخرى في حرف واحد (٣) . وكان فريق من قدامى اللغويين يعدون جانباً من هذه الظاهرة اثراً من آثار اللهجات العربية ، أما المحدثون فيرون ظاهرة الابدال اللهجي وغير اللهجي «نتيجة التطور الصوتي» ، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد والصورتين المتباينتين ((نستطيع أن نفسرها على أن احدى الصورتين هي الأصل ، والأخرى فرع لها أو تطور عنها)) (٣) .

وقد عرض ابن هشام لظاهرة الابدال دون ان يبين ان كانت ظاهرة لهجية او غير لهجية ، الا انه في غير موضع بيّن الأصل والفرع ، أو بعبارة أخرى المبدل منه والمبدل ، على نحو ما بيّنه في الابدال بين الهمزة والهاء ، إذ أشعرنا أنه يجعل الهمزة أصلاً والهاء فرعاً منها . يقول في تعليقه على اسم (هاجر) زوج ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام : ((تقول العرب : هاجر وآجر ، فيبدلون الالف من الهاء ، كما قالوا هَراق الماء وأراق الماء وغيره)) (٥) .

ولا يعدم ابن هشام الاستشهاد بالشعر القديم ، والرواية عن كبار اللغويين حين يعرض لظاهرة الابدال بالبيان . ويتجلى ذلك في حديثه عن الابدال

(١) ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ص٦٩ .
(٢) أبو زيد : النوادر ص١٠٤ .
(٣) من اسرار اللغة ص٦٩-٧٥ .
(٤) المصدر نفسه ص٧٥ .
(٥) السيرة ٣/١ .

بين الفاء والثاء . وذلك ان ابن اسحق ذكر في سيرته ان النبي (ص) كان «يجاور في حِراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّثُ به قريش في الجاهلية» ، فعلق ابن هشام على هذا الكلام بقوله : «تقول العرب : التَحَنُّث والتحنّف ، يريدون الحنيفية ، فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جَدَثٌ وجَدَفٌ ، يريدون : القَبر ، قال رؤبة بن العجاج :

لو كان احجاري مع الأجدافِ

يريد : الأجداث» . ثم نظّر له بمارواه عن ابى عبيدة في ثُمَّ وفمَّ فقال : «وحدثنى ابو عبيدة ان العرب تقول : فُمَّ ، في موضع : ثُمَّ ، يبدلون الفاء من الثاء» (١) .

ومعنى هذا ان الثاء في نظر ابن هشام واستاذه ابي عبيدة هى الأصل وان الفاء مبدلة منها .

ولم يستحسن ابو ذر الخشنى (٢) ماذهب اليه ابن هشام في هذا التعليل اللغوي ، بل رأى ان التحنث «هو الخروج من الحنث ، أي الاثم ، كما يكون التأثم الخروج من الاثم» .

يقول : «لأنّ تَفَعّل قد تستعمل في الخروج عن الشيء . وفي الانسلاخ عنه . ولايحتاج فيه الى الابدال الذي ذكره ابن هشام» .

وهذا احتمال حسن في الواقع . غير انه ليس بأجود من احتمال ابن هشام . وهو مع ذلك لم يدعمه بدليل كما يقول الدكتور البيومي (٣) : ذلك ان الذي ذهب اليه ابن هشام ظاهرة لغوية معروفة . وقد قال الاصمعي «يقال : جَدف وجَدث للقبر» (٤) . ولها نظائر متضافرة في العربية منها ماذكره الاصمعي وهو الدفَئي والدثَئي . وهو نوع من المطر . والحُثالة والحُفالة . والدفينة والدثينة . ومنها ماذكره ابو عمرو وهو الفناء والثناء (٥)

---

(١) السيرة ١/١٥٤ .

(٢) شرح السيرة ١/٧٥ .

(٣) شعر السيرة النبوية ص٢٣٠ .

(٤)و(٥) ابن السكيت : الابدال ص١٢٥ .

، ولذلك علق ابن كثير (ت ٧٤٧ هـ) على ماروواه ابن هشام عن ابي عبيدة في هذا الابدال اللغوي بقوله : ((ومن ذلك قول بعض المفسرين «وفُومها» : إن المراد : ثُومها « (١) ، يشير بذلك الى ما في قوله عز وجل ((قالوا ياموسى ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وفومها وعدسها وبصلها)) والتفسير الآخر لفومها : حنْطتها (٢) . وقد انتهت الدراسات الصوتية الحديثة الى ان هذين الصوتين : الفاء والثاء ، من الاصوات التي))اتحدث في الصفة ولكنها اختلفت في نسبة وضوحها في السمع . هذه الأصوات يحل بعضها محل بعض ، كالراء مع اللام ، فان الاولى اوضح في السمع من الثانية . والثاء مع الفاء)) (٣) . ومعلوم ان لهذه الظاهرة اثار في عاميتنا المعاصرة ، اذ قد يقال مثل ومِفل ، وثَرَم وفَرَم.

(٦)

الاشتراك والتضاد :

عرفت العربية (الاشتراك اللفظي) في جملة ماعرفته من ظواهر لغوية تميزت بها من غيرها من لغات العالم ، نتيجة لتراثها في مفرداتها . ويراد بالاشتراك اللفظي : ان يكون للكلمة الواحدة معنيان مختلفان فاكثر (٤) تطلق على كل منها ، على طريق الحقيقة لا المجاز (٥) .

وكان ابو عبيدة وابو زيد الانصاري — أستاذا ابن هشام — ممن يعترف به ويذهب الى كثرة وروده بل يصنف فيه (٦) ، الى الحد الذي يكون

(١) ابن كثير : السيرة ٣٩١/١ .

(٢) الزجاج : معاني القرآن واعرابه ١١٥/١ .

وقد انكر علي أبي عبيدة تفسيره اياها بالثوم وان لم يصرح باسمه ، بل اكتفى بقوله : (وقال بعض النحويين) .

(٣) اللهجات العربية ص١٥٥ .

(٤) السيوطي المزهر ٣٦٩/١ .

(٥) علي عبد الواحد : فقه اللغة ص١٨٣—١٨٤ .

(٦) المصدر نفسه : ص١٨٦ .

فيه ظاهرة لغوية متميزة . ومن هنا كانت عناية ابن هشام في سيرته بالمشترك واضحة مدعومة بالادلة المقنعة والشواهد المتضافرة .

أما التضاد : فهو ((ان يطلق اللفظ على المعنى وضده)) ، (١) وقد انكره فريق من اللغويين مثلما انكروا الاشتراك ، وأثبته آخرون ، وفيهم ابو عبيدة في الغريب المصنف وابو زيد في النوادر (٢) ، وألف فيه واحد ، مثل ابي بكر بن الانباري (ت ٣٢٨ ﻫ) الذي احصى فيه من الكلمات ما يربو على الاربعمائه (٣) .

وقد عني ابن هشام في سيرته بكلتا هاتين الظاهرتين اللغويتين : الاشتراك والتضاد مستعينا في ذلك بأساتذته الكبار الحذاق بمعرفة كلام العرب وتصاريفه كأبي عبيدة . فنراه مثلا يذكر الآية الكريمة : «وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم » (الاحزاب : ٦) ، ويورد تفسير ابن اسحق للصياصي بأنها : «الحصون والآكام التي كانوا فيها » ، والآية تعني يهود بني قريظة ، فيوسع ابن هشام الشرح اللغوي بقوله : ان الصياصي تعني ايضا : القرون ، ويستشهد لهذه الدلالة بثلاثة ابيات من الشعر ، احدها لسحيم عبد بني الحسحاس وآخر للنابغة الجعدي ، وثالث لابي دؤاد الايادي ثم يقول «والصياصي ايضا : الشوك الذي للنساجين فيما اخبرني ابو عبيدة . وانشدني لدريد بن الصمة الجشمي :

نظرتُ اليـــه والرمـــاح تنـــوشـــه
كوقع الصياصي في النسيج المُمَدَدِ

والصياصي ايضا : التي تكون في ارجل الديكة . ناتئة كأنها القرون الصغار والصياصي ايضا : الأصول . اخبرني ابو عبيدة ان العرب تقول :

---

(١) السيوطي : المزهر ١/٣٦٩

(٢) السيوطي : المزهر ١/٣٨٩-٣٩٢ وعلي عبد الواحد : فقه اللغة ص١٨٧ .

(٣) علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٨٧ .

جذم الله صيصيّته : اي اصله » (١).ولايعدم ابن هشام الاستشهاد بكتب اللغة الشهيرة في بيان دلالات المشترك ؛ اذ نراه في احد المواضع يستشهد بكتاب العين من اجل ذلك . فهو يعلق على البيت الذي رواه ابن اسحق لمِكرز بن حفص في قتله عامر بن يزيد ، وهو :

وأيقنتُ أنّي إنْ أُجَلِّلْهُ ضربةً
متى ماأُصِبهُ بالفُرافِرِ يَعطَبِ

فيقول : ((الفُرافر – في غير هذا الموضع – الرجل الاضيط ، وفي هذا الموضع : السيف ، والعَيهَب الذي لاعقل له . ويقال لتيس الظباء وفحل النعام : العَيهَب . قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن ادراك وتْر » (٢) . وحين رجعت الى كتاب العين وجدت ماحكاه ابن هشام عن الخليل منقولا بالمعنى من هذا الكتاب ، اذ جاء فيه : «العيهب : البليد من الرجال ، الضعيف عن طلب وتره» (٣) . ويلحظ ان ابن هشام نسب كتاب العين الى الخليل وان لم يصرح بذلك ، وهذا يعني انه لم يكن شاكا في نسبته اليه . خلافا لعدد ممن جاؤا من بعده كالازهري (٤) مثلا ؛ إذ كان يرى انه لليث بن المظفر نحله الخليل ، لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله .وكان ابو الطيب اللغوي (٥) يذهب الى ان الخليل وضع اسمه ومنهجه ، وحشاه غيره بعد وفاته ، ويروي ايضا ان الخليل وضع باب العين وماتبقى وضعه الليث . ولاشك ان ابن هشام اقرب الى عصر الخليل إذ ليس بينهما اكثر من نصف قرن ، فهو إذاً ادرى بماهية الكتاب وصاحبه ولذا قال الدكتور عبد الله درويش محقق الكتاب في تحقيقه الاول . ان سيرة ابن هشام من اقدم الكتب التي ورد فيها ذكر الخليل كراوٍ لطائفة

(١) السيرة ٣/٧٢٩–٧٣٠ .
(٢) السيرة ٢/٤٤٥ .
(٣) الخليل : العين ١/١٢٦ .
(٤) تهذيب اللغة ١/٢٨ .
(٥) مراتب النحويين ص٥٧–٥٨ .

من المفردات الغامضة ، وبيّن ايضا ان الكتاب كأنه كان في عهدة عدد من المؤلفين معجما او مرجعا لتفسير الغريب . واستدل من ذلك على ان الكتاب للخليل (١) . والحق انه لوصح ماذهب اليه الازهري وغيره ممْن تبعه من ان الكتاب لليث بن المظفر نحله الخليل لشاع ذلك وذاع في عصر ابن هشام ، ولبدا ذلك في كلامه ، كالقول مثلا : «قال صاحب العين» (٢) بدلا من قال الخليل . وبذلك تكون سيرة ابن هشام مصدرا من مصادر توثيق العين وصحة نسبته الى الخليل . او في الاقل صحة نسبة اصله قبل ان يدخل فيه ماليس منه عند من يرى ذلك .

ومن الاضرار التي عرض لها ابن هشام بالبيان (يَشري) في الاية الكريمة ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله)) (البقرة : ٢٠٧) ، فقد قال ابن اسحق : ((اي : شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك . يعني تلك السرية)) . فعقّب ابن هشام على هذا التفسير بما فيه تبيين دلالتي (يشري) المتضادتين ، واحتج لكل منهما ببيت من الشعر القديم ، على عادته في توثيق مباحثه اللغوية ، فقال : ((يشري نفسه : يبيع نفسه . وشروا : باعوا : قال يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميري :

وشريت بردا ليتني
من بعد برد كنت هامه

وشَرَى ايضا : اشترى ، قال الشاعر :

فقلت لها لاتجزعي أمّ مالك
على ابنيك إنْ عبدٌ لئيمٌ شراهما (٣)

---

(١) مقدمة كتاب العين ١/٢٤ .

(٢) كما فعل الطوسي في تفسيره التبيان ، ينظر ٢/٨٦ ، ١٣٧ مثلا .

(٣) السيرة ٣/٦٧٢ .

ويذكر ابن اسحق كلاما لامرأة مسلمة رأت رسول الله (ص) حيا بعد وقعة بدر فقالت : ((كل مصيبة بعدك جَلَلٌ)) ، فقال : ((تريد صغيرة)).فعلق ابن هشام قائلا : ((الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو ها هنا من القليل ، قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

لَقتلُ بني أسَدٍ ربَّهم
الا كلُّ شيء سواهُ جَلَلْ

ثم استشهد للمعنى الذي هو ضد له بقول الحارث بن وعلة الجرمي :

ولئن عفوتُ لأعفُونْ جَللاً
ولئن سطوتُ لأوهِنَن عظمي

وقال : ((فهو من الكثير)) (١) .

(٧)

لمح الاصل اللغوي في الاشتقاق :

عني ابن هشام بلمح الاصل اللغوي للالفاظ ، واصل اشتقاقها ، عند تفسير الغريب . ولم يُخله مع ذلك من الاستشهاد له بالنصوص المؤيدة بالتوثيق والاعتبار ، بل لم يعدم في مواضع بيان النظير الدال على كثرة الاستعمال والقياس في اللغة.فحين وقف على آية البقرة : ١٩ : «أو كصيب من السماء» «لم يكتف بتفسير غريبها : «الصيب» بقوله : انه «المطر» ، بل تجاوزه الى بيان اصل اشتقاقه حين قال : «وهو من صاب يصوب» . وايراد النظير له بقوله : «مثل قولهم : السيد من ساد يسود ،والميت من مات يموت» . وبعد أن بيّن ان جمعه «صيائب» . أحتج له بقول علقمة بن عبدة :

كأنهُمُ صابت عليهم سحابةٌ
صواعِقُها لطَيرهِنَّ دبيبُ (٣)

---

(١) السيرة ٦١٤/٣ .

(٢) السيرة ٣٧٥/٢ .

ويقول في موضع آخر : «الرباني مشتق من الرب ، وهو السيد» ويحتج له بقوله عز وجل : «فيسقي ربه خمراً» (يوسف : ٤١) ، ويقول : «أي : سيده» (١) .

ويلحظ ان ابن هشام ينزع منزع البصريين في اصل المشتقات حين يجعل المصدر اصلاً لها . وليس ذلك بمستغرب ؛ فقد اخذ النحو واللغة عن كبار شيوخهم ، على مابيناه سالفاً . فنراه مثلا يجعل تزاور مشتقا من (الزَّوَر) (٢) ، كما يجعل الوصف مشتقا من الفعل ؛ اذ قد رأيناه في تعليقه على الآية ١٩ من البقرة يجعل الصيب مشتقا من صاب يَصوب والسيد من ساد يسود .

وعني ابن هشام فوق هذا عناية فائقة تلفت النظر باشتقاق الاعلام الواردة في نصوص السيرة، وهي عناية ترسَّمها من بعده غير واحد من اللغويين وفي مقدمتهم ابو بكر بن دريد الازدي صاحب الجمهرة (ت ٣٢١ ه) اذ صنف كتابا في جزأين سماه (الاشتقاق) (٣) ، ضمنه اشتقاق طائفة كبيرة من الاعلام العربية القديمة المتعلقة بأفراد القبائل العربية الشهيرة وبأسماء شجر وارضين. بل إن دراسة الاعلام حظيت في ايامنا هذه بعناية بعض المختصين في اللغة ، فوضع الدكتور ابراهيم السامرائي كتابا يتضمن دراستها لغويا واجتماعيا في اطارها المعاصر . ولاشك ان ابن هشام اسبق من ابن دريد في العناية بأصل اشتقاق الاعلام بأكثر من قرن ، ولو جرد ذلك من سيرته لألف رسالة برأسها . ولنضرب لذلك امثلة : ذكر ابن اسحق ان كنانة بن خزيمة له اربعة اولاد ، منهم عبد مناة ، فعلق ابن هشام على ذلك بقوله : «... وام عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف

---

(١) السيرة ٣٩٥/٢ .

(٢) السيرة ١٩٩/١ .

(٣) طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٨ بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

بن ازد شنوءة ،وشنوءة عبد الله بن كعب».ثم بيّن اصل اشتقاق اسمهم فقال : «وانما سُمُّوا شنوءة لشَنآن كان بينهم»، وفسّر الشنآن بالبغض (١) .

وقال في ولد كنانة الاخر النضر : «النضر : قريش ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي» . وهو عين ماحكاه من بعده ابن دريد (٢) . وبعد احتجاجه على هذا النسب ببيتين لجرير بن عطية يمدح بهما هشام بن عبد الملك ، بين اشتقاق قريش بقوله : «وانما سميت قريش قريشا من التقرّش ، والتقرّش التجارة والاكتساب» . واحتج له بقول رؤبة بن العجاج :

قد كان يُغنيهم عن الشُغوش
والخَشْل من تساقط القُروشِ
شحمٌ ومحضٌ ليس بالمغَشوشِ

وفسر الشغوش : بالقمح ، والخشل برؤوس الخلاخيل والاسورة ونحوهما ، قال : «القروش : التجارة والاكتساب» ، ثم حكى عن ابن اسحق تعليلا آخر لاشتقاق قريش فقال : ((وقال ابن اسحق ويقال انما سميت قريش قريشا لتجمعها من بعد تفرقها.ويقال للتجمع : التقرش))(٣).
ولم يذكر ابن دريد اشتقاق هذه اللفظة (قريش) في كتابه ، وانما ذكر اشتقاق صيغة اخرى من مادتها هي (قِرواش)، فبين انه فعوال من القرْش ، واحتمل اشتقاقه من شيأين : ((اما من تقارُش الرماح : اذا اشتبك بعضها ببعض ، او من القَرش وهو جمعك الشيء)) (٤) .

ودائما يحاول ابن هشام ان يعضد رأيه برأي كبار اللغويين الذين صحبهم واخذ عنهم ، وبخاصة ابو عبيدة ، وهو هنا كعادته في منهجه اللغوي

---

(١) السيرة ٦١/١ .
(٢) الاشتقاق ص٢٧ .
(٣) السيرة ٦١/١ .
(٤) ابن دريد الاشتقاق ص٢٧٨ .

لايني يعزز كلامه بما يرويه عنه من شواهد . فقد عرض ابن اسحق لاشتقاق بكة ، فذكر بصيغة التضعيف (يقال) : ((انها ماسميت ببكة الا لأنها كانت تبك اعناق الجبابرة اذا احدثوا فيها شيئا)) (١) .

فعقب ابن هشام على هذا التوجيه للاشتقاق بتوجيه آخر ، رواه عن ابي عبيدة مع شاهد شعري حجة له ، قال : ((اخبرني ابو عبيدة ان بكة اسم لبطن مكة ، لانهم يتباكون فيها ، اي يزدحمون ، وانشدني :

اذا الشرِّيبُ أخذته أكَّهْ
فخَلِّه حتى يَبُكَّ بَكَّهْ

أي : فدعه حتى يبكّ إبلَه ، أي يخليها إلى الماء فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد (٢) . ولم يعلق أبو ذر الخشني على هذا التوجيه بشيء ، فكأنه ارتضاه ، واكتفى بتفسير عبارة ابن اسحق : ((تبك الجبابرة)) ، بقوله :((أي تكسرها وتقودها كرها)) (٣) .

وقد أثار ما أورده ابن هشام في اشتقاق غزوة (ذات الرقاع) . تعقيب وتعليق من جاء من بعده من الشراح كالسهيلي والخشني . فقد قال ابن هشام: «انما قيل لها غزوة ذات الرقاع لانهم رقّعوا فيها راياتهم» . وذكر بعد ذلك بصيغة التضعيف أن «ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع» (٤) . فقال السهيلي (٤) بعد أن حكى قولي ابن هشام : «وذكر غيره انها ارض ذات بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة» ، ثم بيّن أن اصح من هذا كله مارواه البخاري بسنده عن ابي موسى الاشعري من انها سميت بذلك لانهم كانوا يعصبون خرقاً على أرجلهم» . وقال

(١) السيرة ٧٥/١ .
(٢) السيرة ٧٥/١ .
(٣) الخشني : شرح السيرة ٣٨/١ .
(٤) السيرة ٦٩٣/٣ وهي احدى غزوات الرسول(ص) وكانت سنة اربع للهجرة.
(٥) الروض الأنف ٢٤١/٦ .

الخشني (١) : إنما قيل لها ذات الرقاع لانهم نزلوا بجبل يقال له ذات الرقاع» . وروى بصيغة التضعيف أنه «قيل لها ذلك لأن الحجارة أوهنت أقدامهم فشدوا عليها رقاعاً فقيل ذات الرقاع» .

(٨)

تحقيق الالفاظ :

من مباحث ابن هشام اللغوية في سيرته عنايته الواضحة بتحقيق صور وصيغ طائفة من الالفاظ الواردة في سيرة ابن اسحق ، وبخاصة الاعلام منها . وقصده من ذلك فيما يبدو ، اصابة الواقع والوصول إلى اللفظ الاقرب إلى الحقيقة في اصل التسمية .

وأكثر ذلك ما هو من قبيل التصحيف والتحريف ، وهذا امر لاغرابة فيه اذا علمنا ان الكلام لم يكن منقوطاً نقط إعجام في النصوص القديمة وانه معرّض في نسخه للسهو والغلط ، وان للرواية دورها في اشاعة الوهم بصيغ الاسماء وصورها .

فمن ذلك ماورد في وصف الطريق التي سلكها النبي (ص) في هجرته هو وأبو بكر (رض) اذ قال ابن اسحق : «فسلك بهما — يعني الدليل — الخرّار ، ثم سلك بهما ثنّية المرّة ، ثم سلك بهما لِقفاً . «فقال ابن هشام: «ويقال لِفتاً» ، واحتج بقول خويلد الهذلي :

تزيعاً مُحالباً من أهل لِفت
لحيٍّ بين أثالة والنِّحام (٢)

إلا أن السهيلي (٣) عقب عليه بتصحيح التسمية الاولى واحتمالها ، اذ قال : ((قد ألفيتُ شاهدا لرواية ابن اسحق في لِقف.... وهو قول محمد بن

(١) شرح السيرة ٢/٢٩٤ .
(٢) السيرة ١/٣٤٠ .
(٣) الروض الأنف ٤/٢٤٩ .

عروة بن الزبير : لعن الله بطن لِقف مسيلاً)) .وقال ابن اسحق في موضع آخر : «ثم سلك بهما ... ثم على العَبابيد ». فقال ابن هشام : «ويقال العَبابيب (١) . فعلق السهيلي (٢) : «كأنها جمع عباب ، من عببت الماء عباً ، فكأنها والله اعلم –مياه تُعَب عباً» .

وربما تعلق تحقيق الالفاظ بضبط فاءاتها مثلاً بوجهين ، بناء على روايتين كالذي رواه عن علي بن ابي طالب (رض) انه قال في معركة احد حين أمره النبي (ص) ان يقدم الراية : «انا ابو القَصْم» ، واضاف : «ويقال ابو القُصَم» (٣). وقد عقب أبو ذر الخشني على طائفة من الالفاظ التي فسرّها ابن هشام بلفظ واحد وصيغة واحدة دون ان يورد لها رواية اخرى وهي التي يصح ان يقال عن الخلاف فيها انه من قبيل التصحيف والتحريف . كتعليقه على عبارة «ومافي شفارنا مايغذّيه » بقوله : «قال ابن هشام يغذّيه ، هذا من لفظ الغذاء . ومن رواه يُعذيه فمعناه مايشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذْي ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الارض دون أن يُسقى» (٤) . ومثله ماجاء في (مُتَنَعنع) و (مُتَتَعتع) (٥) .

(٩)

المُعرَّب :

يبدو من السيرة ان ابن هشام كان ذا علم بشيء من اللغات الاجنبية التي كانت معروفة في بلاد العرب ، ويشعرنا بذلك تعليقه على آية النساء : اه ، اذ قال : «الجِبْتُ – عند العرب –: ماعبد من دون الله تبارك وتعالى...»(٦). فقوله : « عند العرب» يشعرنا ان لـه دلالـة أخرى عند غير العرب .

---

(١) السيرة ٣٤٠/١ .

(٢) الروض الآنف ٢٥٠/٤ .

(٣) السيرة ٥٩٣/٣ .

(٤) الخشني شرح السيرة ٥٥/١ .

(٥) المصدر نفسه ٢٤٠/١ .

(٦) السيرة ٤٠٢/٢ .

ليس من البعيد ان يكون على علم بها ، ولا يستبعد ان يكون «الجبت» عند العرب ، هو «جوبيتر» النجم السماوي المعروف عند غيرهم على ماذهب اليه الدكتور مصطفى جواد (١) رحمه الله .

ويعضد ماذهب اليه من احتمال معرفته بشيء من لغات غير العرب ، ماصرح به السهيلي من معرفته باللغة السريانية . فقد قال (٢) في حديثه عن نسب ابراهيم عليه السلام : «وما بعد ابراهيم اسماء سريانية فسّر اكثرها بالعربية ابن هشام في غير هذا الكتاب — يقصد في غير السيرة — وذكر ان «فالغ» معناها : القسّام ، وشالح معناها : الرسول او الوكيل . وذكر ان اسماعيل تفسيره : مطيع الله» . ويبدو أن ابن هشام لايجد بأساً في رد مايسمى (معرّبا) إلى أصل غير عربي ، وهو بهذا لايبدو متشدداً تشدد استاذه ابي عبيدة الذي كان يعد القول بذلك إثما . والقائل به: «قد اعظم القول» (٣). ويشعرنا بوجهة ابن هشام هذه ما اورده في وقوفه عند قصة اصحاب الفيل . وتعليقه على لفظة «سجّيل» الواردة في الآية الكريمة : «ترميهم بحجارة من سجّيل» (الفيل: ٤) . فقد قال : «واما السجيل فأخبرني يونس النحوي وابو عبيدة انه عند العرب : الشديد الصُلب ، قال رؤبة بن العجّاج :

ومسّهم مامسّ اصحاب الفيل

ترميهم حجارة من سجّيل

ولعبتْ طير بهم أبابيل

ثم حكى بعد ذلك الوجهة الاخرى التي تَرُد لفظة «سجيل» إلى اصل غير عربي فقال : «وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما

---

(١) سمعت ذلك منه حين كنت اعد رسالتي للماجستير (الطبيعة في القرآن الكريم) سنة ١٩٦٥ .
(٢) الروض الأنف ٧٦/١ .
(٣) مجاز القرآن ١٧/١ .

العرب كلمة واحدة ،وانما هو سنج وجل يعني بالسنج : الحجر ،والجل: الطين ، يعني الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين »(١) .

وهذا القول الذي يذهب إلى ان الكلمة معرّبة وليست عربية مروى عن عبد الله بن عباس وغيره (٢)

(١٠)

العَروض :

عُني ابن هشام في سيرته بالعروض، وذلك يدل على احاطته به، وهو أمر متوقع من لغوي في مثل علمه، فضلا عن ان أنه بحكم تعرضه لشعر السيرة بالنقد لابد منه له. اذ ان الذي يعنى برواية الشعر ونقده لابد ان يُحكم هذا العلم، والا وقع في متاهات علله وزحافاته، ولم يميز الصحيح منه من السقيم، في اوزانه وقوافيه. ولذا دأب ابن هشام في السيرة على بيان ما يتعلق بهذا العلم من المصطلحات كلما ورد لذلك ضرورة. فهو مثلا يذكر القصيدة التي رواها ابن اسحق لسبيعة بنت الأحب، الشاعرة الجاهلية، في حرمة مكة وتعظيمها، والتي مطلعها :

أبُنيّ لا تظلم بمكة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ

باسكان حرف الروي (الراء)، ثم يعلق عليها بقوله: « وهذا الشعر مقيد»، ثم يعرف المقيد بأنه «الذي لا يُرفع ولا ينُصب ولا يُخفض» (٣). او بعبارة اخرى :الساكن الروي.

وتتجلى ثقافته العروضية في معرفته بعيوب القافية وعللها المختلفة ، فهو يورد قصيدة الاسود بن المطلب التي رواها ابن اسحق ويلحظ عليها اختلاف حروف الروي في القوافي رفعاً وجراً، ويذكر انهم يسمعون ذلك (إقواء)،

---

(١) السيرة ٣٦/١ .
(٢) الطبري جامع البيان ١٩٣/٣٠ بولاق .
(٣) السيرة ١٥/١ .

وانه يسميه (إكفاء)(١)،وهذا الخلاف بين العروضيين اشار إليه من بعده ابن قتيبة(٢) في حديثه عن(الاقواء والاكفاء) ضمن (عيوب الشعر) فحكى عن أبي عمرو بن العلاء ان الاقواء: « اختلاف الاعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة واخرى مخفوضة .ثم قال مشيراً الى من يذهب في التسمية مذهب ابن هشام: « وبعض الناس يسمي هذا: الاكفاء، ويزعم ان الاقواء نقصان حرف من فاصلة البيت»، يريد: قافيتها؛ لانها تفصل بين بيت وآخر وقد اختصت هذه التسمية من بعدُ بالفاصلة القرآنية.

غير ان ابا ذر الخشني يذكر للاكفاء دلالة غير التي ذكرها ابن قتيبة . وذلك انه حكى قول ابن هشام، ثم بيّن ان «اكثر الناس من اهل القوافي يسميه اقواء ، والاقواء عندهم: اختلاف الحركات والاكفاء اختلاف الحروف في القوافي »(٣). واشار ابن هشام(٤) الى عيب آخر من عيوب القوافي وهو (الايطاء) فقد مهد له ببيان دلالته اللغوية في كلام العرب، ثم بيّن دلالته الاصطلاحية في علم العروض، فقال: « والايطاء في الشعر: الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد. نحو قول العجاج : في أثعُيان المَنجنون المُرسَل .

ثم قال: مَدّ الخليج في الخليـــــج المرُسَـل

وهذا هو مفهوم الايطاء الذي استقر لدى قدامى اللغويين من بعد. ويبدو أنه أقل عيباً لديهم من غيره . قال ابن قتيبة(٤) : « الايطاء هو اعادة القافية مرتين، وليس بعيب عندهم كغيره».

---

(١) السيرة ٤٧٥/٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٣٩/١ .

(٣) السيرة ٢٨/١ .

(٤) الشعر والشعراء ٤٠/١ .

(١١)

لمحات من النحو والصرف :

لم تخل سيرة ابن هشام من مباحث النحو والصرف، الا انها قليلة بالقياس الى المواد الأخرى التي تحدثنا عنها سالفاً. ولعل مباحث الصرف اكثر من النحو، اذ لم يُعنَ كثيراً بالنحو مع انه نحوي بشهادة غير واحد ممن شرح سيرته او ترجم له كالسهيلي(١) والسيوطي(٢)، وكذلك من روى سيرته، اذ ان هذا اللقب اقترن باسمه في اول ما يطالعنا من سيرته، وهو (قال ابو محمد عبد الملك بن هشام النحوي) وسبب ذلك واضح فيما يبدو، وهو ان كتابه شرح للسيرة، ولذلك انصبّ اهتمامه على المسائل اللغوية الصرف دون شموله النحوية، وآية ذلك انه سكت على مسائل في النحو وردت في سيرة ابن اسحق اثارت تعقيب السهيلي. كتعليق لام «لايلاف قريش» من سورة قريش: ١، بـ« فجعلهم كعصف مأكول» من سورة الفيل التي تقدمتها مع انها في مذهب الخليل وسيبويه — كما ذكر السهيلي — متعلقة بقوله تعالى: « فليعبدوا رب هذا البيت» الوارد في سورة قريش نفسها،وواضح ان التقدير الاول الذي يفهم من كلام ابن اسحق يجعل السورتين كالسورة الواحدة(٣). وان الثاني يبني الكلام على التقديم والتأخير، فكأنه قيل: فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش. وقد حكى الأول الفراء(٤)

ومما يدل على تعجل ابن هشام وعدم قصده الى المباحث النحوية في سيرته، الاشارة السريعة في وقوفه عند قوله تعالى:« فجعلهم كعصف مأكول » (الفيل :٥)، اذ علق على قول رؤبة: فصُيِّروا مثلَ كعصفِ المأكولْ. بقوله:« ولهذا البيت تفسير في النحو»(٥) دون ان يفصح عن هذا التفسير

(١) مقدمة الروض الأنف ٣٣/١ .

(٢) بغية الوعاة ١١٥/٢ .

(٣) وبه قال ابن خالويه في اعراب ثلاثين سورة ص١٩٦ .

(٤) معاني القرآن ٢٩٣/٣ .

(٥) السيرة ٣٦/١ .

الذي هو في الواقع بيان لموضع الكاف ، مما جعل السهيلي يفصّل ذلك. فبين ما ملخصه: ان الكاف ترد اسماً وترد حرفاً بحسب مدخولها، وهي في البيت حرف على حد الكاف في قوله تعالى: « ليس كمثله شيء »، فهي في البيت «مقحمة لتأكيد التشبيه كما اقحموا اللام في قوله: يابؤسَ للحرب»(١).

ولابن هشام رأي في معنى اداة وردت في بعض نصوص السيرة، لا يسلم له ولم يلقَ قبولا لدى السهيلي، ذلك انه حمل (اذ) على (اذا) في قول الشاعر:

ستعلـــــمُ يومـاً أينّنا ،إذْ تزايلـوا
وزُيّل أمرُ الناس، للحق أصوبُ

وقول الآخر: ولا قُربَ بالأرحام إذ لا تُقَرِّبُ ،فجعلها للاستقبال مع انه لا داعي لذلك، اذ ان استحضار الحدث المستقبل او الماضي وجَعْلَه كالحاضر من اساليب العربية، وله في التنزيل شواهد كثيرة. وقد مثل له ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بقوله: اعطيتك إذْ سألتني، وزودتُك إذْ شكرتَني. ونظّر له بقوله تعالى: « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انفسكم انكم في العذاب مشتركون (الزخرف :٣٩)، ونقل عن شيخه ابي علي (ت٣٧٧هـ) انه لما كانت الدنيا مقدّمة للآخرة لما بينهما من الاتصال ،فقد اجرى اليوم وهو في الآخرة مجرى وقت الظلم مع انه في الدنيا(٢).

اما مباحث الصرف فقد عرض فيها لوجوه من الصرف واحتج لها بكلام العرب وبخاصة الشعر، ونقل عن عدد من النحاة شيئاً من المصطلحات واغلب ما عني به منها يتعلق بالجموع. فمن ذلك ما اورده في تعليقه على رجز رؤبة:

أعمـى الهـدى بالجاهليـة العُمّـه

اذ قال: «فالعُمّه: جمع عامه واما عَمِه، فجمعه عَمِهون. والمرأة عَمْهة وعَمْهاء» (٣). ومثله ماأورده في تعليقه على الاية ٣ من سورة

(١) السهيلي : الروض الأنف ٢٧٨/١-٢٧٩ .
(٢) ابن جني : الخصائص ١٧٢/٢ .
(٣) السيرة ٣٧٤/١ .

الفيل ، اذ بيّن ان (الأبابيل) الجماعات ، وانه لامفرد له في كلام العرب او على حد تعبيره : «لم تتكلم لها العرب بواحد» (١). وفي موضع آخر نراه يتعرض لبعض أوزان الفعل ، وكيف انها قد تختلف في الصيغة وتتفق في المعنى . فهو ينقل في هذا الصدد عن ابي زيد ان فَعَلَ وفاعَلَ قد يردان في كلام العرب بمعنى واحد . يقول : ((اخبرني ابو زيد الانصاري : ان العرب تقول : ألِفتُ الشيء إلفاً وآلفتُهُ إيلافا في معنى واحد))(٢) . ومعلوم ان العرب تفعل ذلك في الفاظ اخرى فتستعمل فاعل للمفرد فلا تعني به المشاركة ، وقد بين الزجاج (٣) (ت ٣١١ هـ) ان ذلك كثير في كلامهم فقال في تعليقه على (يخادعون) (مِن البقره) : «وجاء بفاعل لغير اثنيـن ؛ لان هذا المقال يقع كثيرا في اللغة نحو : عاقبتُ اللص وطارقتُ النَعلَ».

وذكر ابن هشام ان (آناء) جمعٌ مفردها (إنىً) . وبعد ان احتج للاخيرة ببيت للمنخل الهذلي ، نقل عن يونس بن حبيب انها «مقصور» (٤) .

ومما بيناه في هذا البحث يتبين لنا ان السيرة النبوية ضمت في مادتها مباحث لغوية متنوعة تجلى فيها مؤلفها ابن هشام لغويا متقدما ، عني بالمباحث التي عني بها اللغويون من بعد ، مما يجعل سيرته مصدراً من المصادر اللغوية الاصلية القديمة وبخاصة فيما يتعلق بتفسير غريب القرآن والشعر ، وفن الرواية اللغوية واصولها ، مما يضيف اهمية اخرى الى اهميتها التاريخية ويضع مؤلفها مِن ثَمَّ في صف اللغويين القدامى الذين نعتز بآثارهم .

---

(١) السيرة ١/٣٦ .

(٢) السيرة : المكان نفسه .

(٣) معاني القرآن واعرابه ١/٥٠ .

(٤) السيرة ٢/٣٩٨ .

المصادر والمراجع

١ ــ الاسد : الدكتور ناصر الدين : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط ٤ ، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٩ .

٢ ــ ابراهيم انيس ــ الدكتور ــ اللهجات العربية ، مطبعة الرسالة ــ القاهرة (لم تذكر سنة الطبع) .

٣ ــ ابراهيم أنيس الدكتور ــ من اسرار اللغة ، ج ٥١ ، مكتبة الانجلو ــ القاهرة ١٩٧٥ .

٤ ــ ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن عبد الملك : الصلة في تاريخ ائمة الاندلس ، نشره وصححه عزة العطار الحسيني ــ القاهرة ١٩٥٥ .

٥ ــ ابن جني : ابو الفتح عثمان : الخصائص ، بتحقيق محمد علي النجار ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، بيروت ــ دار الكتاب العربي .

٦ ــ ابن خالويه : الحسين بن احمد : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : صورة بالأوفست عن طبعة حيدر آباد ١٣٦٠هـ ــ دمشق دار الحكمة .

٧ ــ ابن دريد : محمد بن الحسن : الاشتقاق ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة السُنة المحمدية ــ القاهرة ١٩٥٨ .

٨ ــ ابن السكيت : محمد بن يعقوب : كتاب الابدال . بتحقيق الدكتور حسين محمد شرف . القاهرة ١٩٧٨ .

٩ ــ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء ، دار الثقافة ــ بيروت ١٩٦٩ .

١٠ ــ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم : المعارف ، بتحقيق ثروت عكاشة مطبعة دار الكتب ــ الكويت .

١١ ـ ابن كثير : عماد الدين اسماعيل : السيرة النبوية ، بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة البابي ـ القاهرة ١٩٦٤ .

١٢ ـ ابن الكلبي : هشام بن محمد : الاصنام ، بتحقيق احمد زكي ، صورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٤ .

١٣ ـ ابن النديم : محمد بن اسحق : الفهرست : دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧٤ .

١٤ ـ ابن هشام : ابو محمد عبد الملك : سيرة النبي (ص) ، بتحقيق محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني ـ القاهرة ١٩٧١ .

١٥ ـ ابو الطيب اللغوي : علي بن عبد الواحد : مراتب النحويين ، بتحقيق أبي الفضل ابراهيم مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة (لم تذكر سنة الطبع) .

١٦ ـ ابو عبيدة : معمر بن المثنى : مجاز القرآن ، بتحقيق د . محمد فؤاد سزكين ـ ط ٢ دار الفكر ـ القاهرة ١٩٧٠ .

١٧ ـ الازهري : ابو منصور محمد بن احمد : تهذيب اللغة ، بتحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٦٤ .

١٨ ـ الانصاري : ابو زيد سعيد بن اوس : النوادر في اللغة ، تعليق سعيد الشرتوني ، دار الكتاب العربي ـ بيروت (لم تذكر سنة الطبع) .

١٩ ـ البيومي : الدكتور محمد رجب : شعر السيرة النبوية لابن هشام في ميزان النقد بحث في مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض العدد السادس ١٩٧٦ .

٢٠ ـ الجمحي : محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .

٢١ ـ الخشني : ابو ذر بن محمد : شرح السيرة النبوية ـ رواية ابن هشام تصحيح بولس برونله مطبعة هندية ـ مصر ١٢٢٩ هـ .

٢٢ ـ ذو الرمة : غيلان : الديوان بتحقيق د . عبد القدوس ابي صالح مطبعه طربين ـ دمشق ١٩٧٢ .

٢٣ ـ الزبيدي : ابو بكر محمد بن الحسن : طبقات النحويين واللغويين بتحقيق ابي الفضل دار المعارف ١٩٧٣ .

٢٤ ـ الزجاج : ابو اسحق ابراهيم بن السري : معاني القرآن واعرابه، بتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده ـ القاهرة ١٩٧٣ .

٢٥ ـ الزمخشري : محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التأويل . مطبعة البابي ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٢٦ ـ سنية احمد محمد : النقد عند اللغويين في القرن الثاني ، دار الرسالة للطباعة ـ بغداد ١٩٧٧

٢٧ ـ السهيلي : عبد الرحمن بن الخطيب ، الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٢٨ ـ السيوطي : جلال الدين : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة بتحقيق ابي الفضل ابراهيم ط ١ ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ .

٢٩ ـ السيوطي : جلال الدين : المزهر في علوم اللغة . بتحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقيه ، مطبعة البابي (لم تذكر سنة الطبع) .

٣٠ ـ الطبري : محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل اي القرآن . طبعة بولاق .

٣١ ـ الطوسي : محمد بن الحسن : التبيان في تفسير القرآن ، المطبعة العلمية ـ النجف ١٩٥٧

٣٢ ــ علي عبد الواحد ــ الدكتور ــ فقه اللغة ، ط ٦ ، مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٦٨

٣٣ ــ الفراهيدي : الخليل بن احمد : كتاب العين ، بتحقيق الدكتور عبد الله درويش مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٦٧ .

٣٤ ــ القرطبي : محمد بن احمد : الجامع لاحكام القرآن ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ــ القاهرة ١٩٦٧ .

٣٥ ــ كامل مراد ــ الدكتور ــ اللهجات العربية الحديثة في اليمن ، المطبعة الفنية الحديثة القاهرة ١٩٦٨ .

٣٦ ــ محمد عيد ــ الدكتور ــ الرواية والاستشهاد في اللغة ــ مطبعة دار نشر الثقافة ــ مصر ١٩٧٢ .



الملامح الاسلامية في شعر علي بن الجهم

د . مجاهد مصطفى بهجت
كلية التربية / جامعة بغداد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين (محمد) وعلى آله وصحبه أجمعين : وبعد : فتقوم هذه الدراسة في حقل أدب العصر العباسي الاول بتناول شعر علم من أعلامه من الزاوية الاسلامية .

وليس همُّ البحث منصباً على دراسة حياة الشاعر بصورة مفصلة مستفيضة فقد سبقت بحوث متخصصة وفت بهذا الغرض إنما تبغي هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جوانب من حياة هذا الشاعر ، والكشف عن أبرز معالمها ذات العلاقة باتجاه البحث ، ثم العناية الكبيرة بأغراض شعره الاسلامية الخالصة ، وتتبع الآثار الإسلامية في أغراضه التقليدية العامة .

ومن أجل ذلك جاء البحث بقسمين : تناول القسم الاول منه نشأة ، الشاعر ، ومذهبه وأخلاقه ، وثقافته وشاعريته ، وعنى القسم الثاني بدراسة شعره الاسلامي في اتجاهين : الاول : اغراضه الاسلامية الخالصة المتمثلة في شعره العباسي ، والمذهبي وشعر الاخلاق والآداب الاسلامية ، وشعر الجهاد والحماسة الاسلامية . والثاني : الآثار الاسلامية في أغراضه التقليدية مديحا وهجاء ورثاء وغزلا . ثم وقف أخيراً على ظاهرة بارزة في شعره وهي الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم . ومفهوم الالتزام في شعره .

وإني لارجو أن يكون البحث وافياً بالغرض والهدف المرجو ، مجانباً الزلل والخلل . والحمد لله رب العالمين .

حيـــاتـــه :

أ ــ نشأته :

علي بن الجهم بن بدر بن الجهم، قرشي من ولد سامة بن لؤي ، أثير الشك حول صحة نسبه لقريش على أثر الخصومات السياسية (١) .

وقد نشأ في أسرة كريمة وجيهة يقف على أعتابها الشعراء، فعمّاه عثمان وادريس ابنا بدر ، ووالده الجهم تولى للخليفة المأمون بريد اليمن وطرازها كما ولى للواثق أحد جانبي بغداد والشرطة، وكذلك ولى اخوه محمد للمأمون إمرة دمشق .

ترعرع الشاعر في بغداد، واختلف على المعهود من عادتهم ــ إلى أحد الكتاتيب ليتلقى القرآن الكريم .

ودرج ببغداد في عصرها الذهبي حيث الحركة الادبية الواسعة والنشاط العلمي الكبير، فتردد على مجالس الادباء واختلف الى مجامع الشعراء، والتقى بفحولهم أمثال أبي تمام والبحتري ...

وقد أتيحت للشاعر في بيئته الخاصة ــ بكنف أبيه وعمه ــ فرصة علمية كبيرة ، كما وجد في بيئته العامة التي أحاطت به ما ساعده على ذلك، فنال حظاً كبيراً من الثقافة والعلوم والآداب .

وقد عاصر الشاعر من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وشهد في هذا العصر الصراع السياسي الكبير بين العباسيين والاحزاب الأخرى، فعرف بميله لبني العباس ومواددته لهم ضد العلويين والمذاهب الاخرى. كما اتخذ موقفاً محدداً في الحرب الفكرية التي وقعت بين المعتزلة وأهل السنة وذلك بتأييده للطائفة الثانية ودفاعه عنهم، ومخاصمته أعداءهم .

(١) راجع نسب قريش ٤٤٠ ، تاريخ بغداد ٢٤٠/٧ ، ومناقشة الدكتور عبدالرحمن الباشا في كتابه علي بن الجهم حياتة وشعره ص ١٧

ب – مذهبه واخلاقه :

عرف علي بن الهم بحسن تدينه وسلامة عقيدته واستقامته ورفعة خلقه(١)، أما مذهبه فقد كان سنيّاً متشدداً في تسننه(٢)، وهو من أهل الحديث – الذين يقفون على ظاهر الكتاب والسنة – ومن المعدودين في جملة المحدثين الذين يروون الحديث ويروى عنهم (٣) .

وهو على مذهب الامام أحمد بن حنبل (رضي عنه) زعيم أهل السنة وقد عُدَّ من رجال الطبقة الاولى من طبقات الحنابلة (٤) .

ولحرصه على سلامة دينه كان يعد مصيبة المرء في دينه أعظم المصائب فهو يقول :

مصيبةُ الانسانِ في دينه
أَعظمُ منْ جائحةِ الدهرِ (٥)

فان تعدت وجاوزت دينه كانت نعماً فهو يقول عن نفسه :

إنَّ المصائبَ ما تعدتْ دينَهُ
نعمٌ ، وانْ صَعُبتْ عليهِ قليلا (٦)

أما أخلاقه فقد كان علي بن الجهم من كلة الرجال (٧) ، صالح السلوك فاضلا ، يجنّب نفسه مواطن الريب ، ويتحاشى الوقوع في الشبهات ، فقد ورد عنه أنه قطع مجلساً ، وعزم على الانصراف منه . ولما سئل عن

(١) راجع فيه أقوال من ترجم له مثل تاريخ بغداد ٣٦٧/١١ ، وفيات الاعيان ٤٤١/١، البداية والنهاية ٤/١١ .
(٢) مروج الذهب ٦١/٤ .
(٣) لسان الميزان ٢١٠/٤.
(٤) طبقات الحنابلة ص ٢٢٣.
(٥) ديوان علي بن لجهم ص ٩٧ .
(٦) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٣ .
(٧) أخبار أبي تمام للصولي ص ٦٢ .

ذلك قال : «إنه بلغني شيء وأظنني مأزور في قعودي» (١) ، فكأنه تذكر شيئاً ينبغي أن يبادر اليه ، وهو يخشى إن لم يفعله أن يقع في الإثم .

كما كان مرهف الحس والشعور يحاسب نفسه ويخاف من حكم القضاء ، فهو يقول في ذلك :

انظرْ فعنْ يمناكَ وَيحكَ عالمٌ ! !
يحصى عليكَ وَعنْ يساركَ كاتب
وأرى البَصيرَ بِقلبهِ وَبفَهمه
يَعمَى إذا حُمَّ القَضاءُ الغَالبُ(٢)

وهو يظهر الالتزام بالاخلاق الاسلامية سلوكا ، ويتجنب الحرام والمحظور من الامور كشرب الخمر مثلا فيقول :

وايّاكما والخمرَ لاتقَربانهاَ
كفَى عوَضاً عنها الشرابُ المعسّل (٣)

وفي دراسة شعره المذهبي وشعره في الاخلاق والآداب الاسلامية — فيما بعد — مايزيد الامر وضوحاً وجلاء .

ج — ثقافته وشاعريته :

لا نجد — فيما وردنا من أخبار علي — ما يكشف لنا عن شخصيته بصورة مفصلة وما يعرفنا به ويوضح لنا ينابيع ثقافته، كما لا نعرف أسماء شيوخه الذين تلقى عنهم ودرس عليهم، إلا إننا نلمس آثار هذه الثقافة في شعره، وذلك في صلة الشاعر الوثيقة بكتاب الله الخالد . واغترافه من ينابيعه الثرة واقتباسه من أنواره الساطعة حتى زخر ديوانه بتلك الآثار . واصطبغت معانيه بتلك الصبغة .

(١) الموشح . ص ٣٤٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ق ٣٠ ص ٩٣ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ق ٢٢ ص ٧٠ .

كما نلمس آثار السنة في شعره، ونجده يتمثل ويستشهد بالاحاديث النبوية. مما يدل على صلته الوثيقة بالسُنّة — بعد كتاب الله تعالى — ولا عجب في ذلك بعد أن علمنا مذهبه الديني وغيرته على السُنة تجاه أهل الكلام والاعتزال. حتى انه وسم إحدى غرر مدائحه لحامي السنة (المتوكل) بهذا الاسم فسماها السنيّة، إذ يقول في خاتمتها :

واسمعْ إلى غرّاء سُنيّة
يسطعُ منها المسكُ والعنبرُ
موقعها من كُل ذي بدعة
موقعَ وسْمِ النّارِ أو أكثرُ (١)

وهكذا لا نجد في شعره — لغلبة المصدرين السابقين وهيمنتهما عليه — مظاهر وآثار الثقافة اليونانية التي غلبت على بعض شعراء عصره. وعلى أهل الاعتزال منهم خاصة .. بل نجد شعره ذا طابع عربي معتمد على أصول الثقافة العربية القائمة على الكتاب والسنة في المقام الاول.

اما شاعريته فقد تفتحت في وقت مبكر فسمع منه — وهو صبي صغير أول شعره، ثم أصبح من المتميزين البارزين في ميدان الشعر، فعرف بين الشعراء وتألق في سمائهم. فكانوا بين معجب به محب له كأبي تمام، وبين حاسد له حاقد عليه كمروان الاصغر.

أجمع القدماء على وصفه بالفصاحة والطبع وعذوبة الالفاظ وغزارة الكلام فقال فيه ابن المعتز : «كان علي بن الجهم شاعراً مفلقاً مطبوعاً. يضع لسانه حيث يشاء» (٢). وقال المسعودي : «كان مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام» (٣). وقريب من ذلك رأي المرزباني حيث

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٦ .
(٢) طبقات الشعراء ص ٣٢٠ وراجع وصف أبي الفرج الاصبهاني بالفصاحة والطبع الاغاني ٢٠٥/١٠ .
(٣) مروج الذهب ٤١٠/٢ وراجع النص نفسه في وفيات الاعيان ٣٥٥/٣ .

يقول : «وهو شاعر مطبوع عذب الالفاظ سهل الكلام مقتدر على الشعر» (١)

ويرى بعض المحدثين مظهر بعده عن التكلف والصنعة في إغفاله التصريع في كثير من مطالع قصائده (٢) ، ولم يكن عليٌّ مطبوعاً لاغفاله التصريع فحسب — إذ نجده لدى المطبوعين كذلك بل لغلبة الطبع على شعره سهولة ووضوحاً وعذوبة ...

ولم يكن ابن الجهم شاعراً فحسب، بل عرف ناقداً متذوقاً للشعر والادب حتى قيل فيه ما قيل في قرينه أبي تمام «ان علمه بالشعر أكبر من شعره» (٣)

ومن آرائه في الشعر ما قاله في خالد الكاتب حين أُنشد له بيتان — وكان لا يعجبه كثيراً شعره — قال : قاتله الله ! لقد أدمن الرمية حتى أصاب الغرّة» (٤). ويؤيد بعد نظره في الشعر وسداد حكمه الشاعر البحتري حيث يقول عنه «وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر» وذلك حين حكم ابن الجهم على أشجع السلمي بـ «أنه يخلي» (٥).

الملامح الاسلامية في شعر ابن الجهم :

يعد ابن الجهم من أبرز شعراء التيار الاسلامي في العصر العباسي الاول، فقد انعكس اتجاه الشعر السياسي ومذهبه الديني على شعره، فطبعه بهذا الطابع ووسمه بهذه السمة المتميزة، وأنزله هذه المنزلة الرفيعة .

ولا يكاد قارىء ديوان الشاعر والدارس لحياته يجد صعوبة في الوصول إلى هذه الحقيقة والوقوف على آثارها ..

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٦ وراجع النص نفسه في الابانة عن سرقات المتنبي ص ١٨٩.

(٢) راجع مطالع القصائد في الديوان ص ٢٨، ٣٧، ٤١، ٥٠، ٧٧، ٨٣ ، ومقدمة المحقق ص ٢٩ .

(٣) اخبار أبي تمام ٦٢ ، الموشح ٢٩٥ .

(٤) الامالي ١/١٠٠ .

(٥) الموشح ٢٩٥ ، اخبار أبي تمام ٦٣ .

فديوان الشاعر يطفح بالمعاني الاسلامية التي كانت صدى للحياة السياسية، وذلك في الدفاع عن وجهة النظر العباسية في استحقاق الخلافة دون الجماعات الاسلامية الأخرى لانه يخالفهم. فمن المعقول ان يناصر اعداءهم، وهو أيضاً يزخر بمثل هذه المعاني في شعره السني الذي يواجه به المعتزلة، وينقض آراءهم؛ وديوانه — كذلك — يفوح بالقيم والآداب الاسلامية التي تحلى بها كما افتخر وامتدح بها. وعلى النحو نفسه نلمس في معاني شعر الجهاد والحماسة الاسلامية ذلك الطابع الاسلامي المتميز ..

وليس صعباً أو عسيراً أن نلحظ هذه الملامح الاسلامية في أغراضه الخاصة التي يكاد ينفرد بها، لاننا نجد هذه السمة الاسلامية تغلب على معظم شعره إن لم يكن كله ، بل نقف عليها ونلمسها في أغراضه التقليدية. ومعانيه المألوفة التي نظم فيها جلة الشعراء كالمديح والهجاء والفخر والرثاء . لذلك سأدرس الملامح الاسلامية في شعر ابن الجهم في اتجاهين ومسلكين : الاغراض الاسلامية الخالصة. والآثار الاسلامية في أغراضه التقليدية .

أ— الاغراض الاسلامية الخالصة :

أولاً : الشعر العباسي :

لم يفتر نشاط الاحزاب والمذاهب السياسية المنافسة لبني العباس سعياً وراء الخلافة وان كان قد أصبح أضعف مما كان عليه في الدولة الاموية، ولعل حزب الشيعة كان أقوى تلك الاتجاهات السياسية خاصة وقد كان أسهم بصورة أو بأخرى في ايقاد الثورة العباسية في بداية أمرها . كما شارك في بناء الدولة العباسية على أيدي الوزراء والأمراء الذين اعتمدت عليهم الخلافة العباسية أمثال أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني. والبرامكة ...

وقد كان التنافس على أوجه وأشدّه في مستهل الخلافة العباسية، ثم ضعف بعد اخفاق ثورات الشيعة المتتابعة التي قامت في خلافة المنصور والمهدي والرشيد. وكاد بعضها يودي بالخلافة.

ويأتي شعر الشيعة معبراً عن حجج الفرقة المذهبية في جدارتهم بالخلافة وأنهم أولى الناس بها من بني العباس ، وقد برز في هذا الميدان السيد الحميري ودعبل الخزاعي ..

ويبرز بعض الشعراء العباسيين للرد على مقالته ودحضها ، وبيان ان بني العباس أجدر وأحق بالخلافة من الشيعة .. وقد عرف مروان بن أبي حفصة في هذا الميدان وتألق نجمه في قبة الخلافة العباسية بين يدي الخليفة المهدي ، كما برز منصور النمري — الامامي في تشيعه — في حسن تأييده واحتجاجه للعباسيين ، ومثلهما سلم الخاسر ، وأبان اللاحقي وابو تمام الطائي .

وأبرز محور يدور حوله شعر المذهب العباسي هو جدارة بني العباس — دون العلويين — بالخلافة محتجين بان العم أقرب نسبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ابن العم ، وانكار وراثة ابناء البنت مع الاعمام وذلك كما قال النمري :

العم أولى من ابن العم فاستمعوا
قول النصيح فان الحق يستمع (١)

ويقول : وما لبني بنات نبي حق
مع الاعمام في ورق الزبور (٢)

ويقول أيضاً : يسمون النبي أبا ويأبى
من الاحزاب سطر من سطور (٣)

ويعد علي بن الجهم من أبرز شعراء العصر العباسي الاول الذين احتجوا للعباسيين بالخلافة وأيدوهم تأييداً مطلقاً على ذلك ، وأكد أكثر من ترجم الشاعر تشيعه لبني العباس وانحرافه عن الطالبيين (٤) ، لذلك نلون شعر علي

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٤٥ .
(٢) الاغاني ١٢ / ١٧
(٣) طبقات الشعراء ص ٢٤٦ واشارة للآية ٤٠ من سورة الاحزاب .
(٤) راجع الكامل لابن الاثير ٥/٢٨٧ ، مروج الذهب ٢/٢٨٦ ، ٤/٦٠ ، لسان الميزان ٤/٢٠٩

بهذه الصيغة السياسية ، فلا نكاد نجده في أغراضه التقليدية — مدحاً وهجاء وفخراً ورثاء — إلا وقد ادارها حول هذا المحور .

وهذا الموقف الشعري لم يتغير لدى الشاعر على بالرغم من تراوح موقف الخلفاء العباسيين — الذين عاصرهم الشاعر — تجاه العلويين ليناً وقسوة خاصة في خلافة المعتصم والواثق اللذين يعدان امتداداً في سياستهما للخليفة المأمون الذي فضل علياً (رضي الله عنه) على الناس جميعاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١) . لكن الشاعر يقسم بالبيت الحرام مؤكداً أولوية بني العباس بميراث النبي ويحتج لذلك بالكتاب والسنة ، ويجعل مودتهم من العبادة بمنزلة الصلاة والصوم فيقول في قصيدته الميمية المشهورة بين يدي المعتصم :

أَمَا وَمُحَرَّمِ البيتِ الحرامِ
يَمِيناً بينَ زَمزَمَ والمقامِ
لأنتُم يَا بني العبَّاسِ أَولَى
بميراثِ النَّبي مِنَ الأَنامِ
تُجادِلُ سورةُ الأنفالِ عَنكُم
وَفِيها مَقْنَعٌ لِذَوِي الخِصامِ
وآثارُ النَّبِيِّ وَمُسنداتٌ
صَوارِعُ بالحَلالِ وَبالحرامِ
مَودّتكمْ تُمحّصُ كُلَّ ذَنبٍ
كَبِرٍّ بالصَّلاةِ وَبالصِّيامِ (٢)

ونلمس في الأبيات روح مروان بن أبي حفصة الذي استدل قبله بآية الأنفال واحتج بما في قوله تعالى : «وأُولُو الأَرحامِ بعضُهم أَولَى ببعضٍ في كتابِ اللهِ إنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليم» (٣) ، وذلك حين يقول مروان :

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٢٩٧ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص [illegible] .

(٣) الانفال آية ٧٥ .

شَهِدتْ مِنَ الانفالِ آخرُ آيةٍ
بتُراثِهمْ فأردتمُ إبطالَها (١)

لكن ابن الجهم زاد المعنى قوة وتوثيقاً حين أضاف حجة أخرى ترفع مكانتهم وتؤيد حقهم بالخلافة وهي السنة الثابتة الصحيحة التي سجلت لهم مأثرة سقاية الحجاج، وكان يتولاها العباس عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول (عليه السلام) : «كل مأثرة من مآثر الجاهلية تحت قدمي إلا سقاية الحاج وسدانة البيت» (٢) .

ثم ينتقل في الأبيات الأخيرة ساخراً من دعوى الكيسانية التي تزعم ان ابن الحنفية — الخليفة المنتظر — حي يرزق في رضوى، فيفضل المعتصم على هذا الامام المتواري، ويفخر بمنعتهم وعزهم وغضبتهم لدين الله فيقول:

ورَافضةٍ تَقولُ بشعبِ رَضوى
إمامٌ خَابَ ذلكَ مِن امامِ
إمامي مَنْ لَه سَبعونَ ألفاً
من الأتراكِ مُشرعةَ السهامِ
إذا غضبُوا لدينِ اللهِ أرضَوا
مضاربَ كلِّ هنديٍّ حُسامِ (٣)

ولا عجب أن نجد حرارة عباسيته وصدق حماسه للخليفة إذا تذكرنا أن اسرته — بني سامة — كلها تميل لبني العباس . وقد ساعد على ذلك نشأة الاسرة بخراسان — مهد الدعوة العباسية — ومن أجل ذلك أنزل محبته العميقة لبني العباس — في الابيات السابقة — منزلة الصلاة والصوم.

ويصرح بولائه المطلق مرة أخرى للخليفة الواثق حين يحبس الملك على بني العباس. ويجعل حكمهم من عند الله تعالى فيقول :

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ق ٦٦ ص ١٠٤ .
(٢) راجع ديوان علي بن الجهم ص ٧٠ هامش ٥ ، ويتكرر هذا المعنى في وصافيته ص ٢٥٥، والحديث رواه ابو داود والترمزي .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢ .

يَا بني العبّاسِ يأبَى اللّهُ
إلاّ أن تَسُوسُوا
لَكُمْ المُلكُ علينَا
آخرَ الدّهرِ حَبيسٌ (١)

ويؤكد شرعية الخلافة حين يصف حجتهم فيها بالعلو، وينسب حزبهم إلى الله فيقول :

أيّها الواثقُ باللّه
لقَد نَاصحتَ ربّك
أصبحتْ حجّتُك العُليَا وحزبُ اللهِ حِزبكْ (٢)

** ** **

لكن الشاعر أتى باكثر شعره العباسي وأفرغه في ديوان الخليفة المتوكل الذي كان نقطة تحول في السياسة العباسية عما كانت عليه بعد المأمون. فيلح على معنى متابعته لبني العباس والتزامه بهذا العهد، ويقرن — كما سبق — هذه المودة بالعبادات لتزكو عند الله، كما يقرن عزه بعزهم فيقول :

أنتَ ميثاقُنا الذي أخذَ اللهُ (م) علينَا وعَهدُه المَسؤولُ
بِكَ تَزكو الصلاةُ والصومُ والحجّ ويزكو التسبيحُ والتهليلُ
مَذهبي واضحٌ وأصلي خُراسانُ وعزّي بعزِّكمْ مَوصولُ (٣)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٤ .
(٢) = = = = ص ١٦ .
(٣) = = = = ص ٢٦ .

ويتكرر معنى اشتقاق المحبة لهم من الاسلام ، وربط هذا الحب بالايمان كالطهر لنصلاة حيث يقول :

عُلـوماً باسبـابِ النبـيّ وانـما
يحب بَني العباسِ مَن كانَ مُسلما(١)

ويقول أيضاً : ولاَ يُقبـلُ الايمـان إلا بحبكمْ
وَهلْ يَقبلُ اللهُ الصلاةَ بِلا طُهرِ؟(٢)

يبعد في ذلك حين يعدبل حبهم من التوحيد ، ويستفيض -- في اعلان صريح -- مؤكداً ولاءه لهم ، لانهم السادة وهو لهم من العبيد ، يرضى ما يرضونه ويأبى ما يأبونه .. ويطيع من بعدهم من ولاة العهود فيقول :

يَـابني هَاشـمِ بـن عبدِ منـاف
نسبـةٌ حُبُّهـا مـن التوحيد

أنتم خَيـر سـادةٍ يابنـي العبّـا
سِ فابقَـوا ونحـن خَير عَبيدِ

نحـن أشياعكُـمْ من أهل خُراسـا
نَ أُولـو قوّةٍ وبـأسٍ شديدِ

إن رَضيتـمْ أمراً رَضينـا وإن تـأ
بَـوا أبينـا لَكـمْ إباءَ الاسوُد

حَسبنا اللهُ والخليفـة من بَعـ
ـد وَمنْ بَعـدهِ وُلاةُ العهود (٣)

ولاشك ان معانيه السابقة التي ربط العبادات والتوحيد بحبه العباسيين فنضج بالمبالغة ، والعلاقة الشرعية بينهما محدودة ، جاوزها بهواه واعجابه ..

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢١ .
(٢) = = = = ص ١٤٨ .
(٣) = = = = ص ٣٤،٣٥.

ويلاحظ شغف الشاعر بنداء الخليفة بنسبته من بني هاشم – كما في الابيات الآنفة الذكر – وبنسبة العمومة من الرسول (عليه الصلاة والسلام). لما في ذلك من علاقة بحجتهم في الخلافة إذ يقول للمتوكل:

يَا أبَا الفَضْلِ يابنَ عَمّ رسولِ اللـ
ـهِ أنتَ المؤمّلُ المَحذورُ(١)

ويقول أيضاً :

أنتُم بني عَمّ النبيِّ محُمّد
أولى بما شَرَعَ النبيُّ محَمّدُ(٢)

ويسوق ابن الجهم في شعره العباسي – حجة اخرى غير التي واطأ فيها ابن أبي حفصة – السابق ذكرها – ، وذلك في وجوب طاعة أولي الأمر. مطلقاً مما تأكد في الكتاب والسنة حيث يقول تعالى: « وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»(٣) كما يقول(صلى الله عليه وسلم): اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله»(٤)، فيقول مضمناً هذا المعنى :

أغيرَ كتابِ اللهِ تبغونَ شاهداً
لكُم يابني العَباسيِ بالمجدِ والفخر

كَفاكمْ بأنَّ اللهَ فوّضَ أمرَهُ
إليكمْ وأوصَى أن أطيعُوا أُولي الأمرِ(٥)

ويقول في المتوكل أيضاً :

لـه المنّةُ العُظمَى عَلى كلّ مُسْلمٍ
وطاعتهُ فرضٌ من اللهِ منزَلُ(٦)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٣٦ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٤٦ .

(٣) النساء : ٥٩.

(٤) رواه البخاري .

(٥) ديوان علي بن الجهم ص ١٤٨ ، ٢٢٣ ، ٢٥٤ .

(٦) ديوان علي بن الجهم ص ١٦٤ .

مروءته

لكن الأمر الجدير بالتنويه والذكر أن علي بن الجهم لم يكن في شعره العباسي مجاوزاً الحدود والآداب، فلم ينل من الرافضة إلا في فكرة المهدي المنتظر — مما سبقت الاشارة له — ولم يرد عنه في علي (رض الله عنه) ما يقدم فيه ويثلم مروءته، بل منحه مقاماً حسناً يليق به، وذكره بالاجلال والتعظيم حين عرض له في ارجوزته — وان كان قد أوجز القول فيه — فهو يقول :

وفُوض الأمر إلى علـيّ
الهاشمي الفاضل الزّكي
فقَامَ بالامر سنينا أربَعا
وتسعَةً من الشهور شَرعَا
ثُم قَضَى مُستشهدا مَحمُودا
عَاش حَميدا و مضَى مَفقودا (١)

ولم ينس ذكر مصرع الحسين بن علي (رضي الله عنه) حين عرض لخلافة يزيد بن معاوية في هذه الارجوزة فقال :

و مـَلك الأمر ابنهُ يزيدُ
لاحَازمُ الرأي ولارشيدُ
وقتلَ الحسينَ في زمانه
أعوذُ بالرّحمن منْ خُذلانه (٢)

وهكذا لانجد في شعره دليلا يؤيد هجاءه لعلى (رضى الله عنه) مما أنكر عليه بعض من ترجم له ومما أنكر عليه بعض الشعراء في هجائهم له (٣).

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٤ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٥ .

(٣) راجع الاغاني ٢٠٥/١٠، ديوان البحتري ١٧٦/١ ، ١٠٣٨/٢ ، وعلي بن الجهم حياته وشعره ص ٣٩ .

ثانياً : الشعر المذهبي السني :

لم تكن فرقة أهل السنة فرقة سياسية تقابل الشيعة والخوارج، وتصدر عن رأي مستقل في مفهوم الخلافة، بل جاءت فرقة تشبه المعتزلة والمرجئة في عنايتها بأمور الفقه والعقيدة.. أما موقفهم تجاه الخلافة العباسية فالموافقة والمتابعة لهم باعتبار مفهوم الطاعة للامام الذي يلي الأمر، ويتمثل تأييد السنة للعباسيين في (المالكية والاحناف والشافعية والحنابلة)، ولذلك لا نجدلهم شعراً يدور فيما اشتجرت فيه الاحزاب والفرق السياسية الاخرى حول قضية الخلافة، بل يعرف لاهل السنة موقف خطير تميزوا به، وذلك في مخالفتهم لأهل الاعتزال في قضية خلق القرآن التي احتدم الصراع فيها خلال خلافة المأمون والمعتصم والواثق .

ويعتبر المأمون المدافع الاول عن المعتزلة، وهو أول من أخذ الناس والزمهم بهذه البدعة كما يقول ابن كثير (١) ، وقد التزم أخوه المعتصم بوصيته في رعاية المعتزلة والأخذ برأيهم . كما صار الواثق بن المعتصم من أشد الناس قولا بخلق القرآن يدعو اليه ليلا ونهارا وسراً وجهاراً (٢) . ولم يمنح — تبني الخلافة لآراء المعتزلة — أهل السنة متنفساً للتعبير عن رأيهم والدفاع عنه . فلم تبلغنا إلا قصائد قليلة تنكر فكرة خلق القرآن ، وتنعى على المعتزلة مخالفتهم الصحابة في مقالتهم . وابتداعهم امرا لم يرد عن السابقين (٣)، وترد أكثر هذه النصوص غفلاً من النسبة .

وقد برز ابن الجهم للدفاع عن أهل السنة والذب عنهم بحماسة عالية وعاطفة عميقة . وعدّ من القلة القليلة التي آنست في نفسها الشجاعة للوقوف ضد التيار السائد في ذلك العصر إذ كان التسنن ضعيفاً مهيناً قبل المتوكل .

---

(١) البداية والنهاية ٢٦٧/١٠ .

(٢) راجع البداية والنهاية ٣٠٣/١٠. .

(٣) راجع قصيدة اسماعيل الترمذى في سبعة وستين بيتاً ، مناقب الامام أحمد ص ٤٥٥، المنهج الاحمد ٥٢/١ .

وكان الاعتزال مذهب أهل القوة والأيد من الخلفاء والوزراء ، فهجا عبد الملك بن الزيات حين كان ذا صولة وجولة يتحكم في الناس ،وقد وزر للخليفتين المعتصم والواثق ، وكان فضلاً عن اعتزاله قليل الخير ، لايحبه أقرب الناس اليه (١) ، ومن أجل ذلك سعى ليكيد ابن الجهم فكان يَسْبَعُه عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح (٢) ، وبالمقابل كان علي يعلن عداءه الساخر تجاهه ويهجوه باعتزاله وخصاله السيئة وهو يصب عليه اللعنات المتتابعة لتفريقه لكلمة الامة ، وبعده عن كتاب الله ، وزرايته به فيقول :

لَعائِنُ اللّهِ مُتابَعات
مُصَبحاتٍ ومُهجراتِ

عَلى ابنِ عَبدِ المَلكِ الزَيّات
عَرّضَ شملَ المُلكِ للشتاتِ

وَانفذَ الأَحكامَ جائِراتِ
عَلى كتابِ اللهِ زَارياتِ (٣)

ثم يخاطب سيده الخليفة الواثق بالله ويدعوه لمعالجته بالسيف واراحة الناس من شره بعد تعزيرة بالضرب بالسوط فيقول :

أَما تَرى الأُمورَ مُهمَلات
تَشكُو إليكَ عَدَمَ الكُفاة

فَعاجِلِ العِلجَ بِمُرهَفات
مِن بَعدِ أَلفٍ صُخَّبِ الأَصواتِ

بِمُثمراتٍ غيرِ مُورِقات
تُرى بِمَتنيهِ مُرصَّفاتِ (٤)

---

(١) راجع ترجمته في الكامل ٣٢/٧ ، ٣٨ ، ووفيات الاعيان ١٠١/٥ تحقيق احسان عباس
(٢) راجع الاغاني ٢٢١/١٠ ومعنى يسبعه : يشتمه .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١١٨ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ١١٩ .

ولم تزل العلاقة بينهما سيئة حتى وجد علي فرصته الكبرى للاجهاز على خصمه في خلافة المتوكل ، فجعل يهجو ابن الزيات ، ويحرض الخليفة على التخلص منه جاعلاً بدعة الاعتزال من قرون الشرك التي طعنت في أحشاء الامة ، ومذكراً بما كان من ابن الزيات قبل خلافته فيقول (والضمير عائد إلى المتوكل) :

تُدنيهِ أمة أحمد
للثأرِ من أعدائها
من بعدِ ما طعنت قرو
نُ الشركِ في أحشائها
وتحكّم الزيّات في
أموالها ودمائها
زارٍ على سُننِ النبي يَجِدُّ في إطفائها (١)

وبالمثل كان أحمد بن أبي دؤاد من رؤوس الاعتزال وزعمائه الذين يتولون الحكم ، وان كان موصوفاً بحسن الخلق حتى قيل فيه انه «لولا موضعه من محنة القرآن لاجمعت عليه الأنس» (٢) ، ومن هنا وقع التنافر بين علي وابن أبي دؤاد، فكان الأخير كما قال الاصبهاني : «منحرفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشوية» (٣) . ولم يسلم أحمد من لسان شاعرنا ابن الجهم وهجاه هجاء مذهبياً لاذعاً بعد أن خذله في التوسط بينه وبين الخليفة المتوكل في محنة سجنه . فكان أن سمى مبادىء اعتزاله بدعا . وولايته أمر الدين فساداً حيث يقول :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٣٩ .
(٢) البداية والنهاية ١٠/٣٢٠ .
(٣) الاغاني ١٠/٢١٧ .

يَاأَحمَدَ بنَ أَبي دؤَادٍ دَعْوةً
بَعثتْ إليك جَنادلاً وَحَديداً

مَاهَذهِ البِدَعُ التى سَمّيْتَهَا
بالجَهلِ منك العدلَ والتَّوحيدا

أَفسدتَ أَمرَ الدينِ حينَ وَليتَهُ
وَرَمَيتَهُ بأَبى الوَليدِ وَليدا (١)

وحين فلج ابن أبي دؤاد وطال به ذلك شمت به (٢) وتعجل موته لينقذ البشرية من سيئات أعماله وآثاره ؛ فهو الذي عطل المجالس عن رواية السنة المشرفة ، وحاد عن طريق الهداية وألقى في السجن أصحاب الحديث ورمل النساء .. ومصابه هذا كفاء أعماله الباطلة فليدم مابه وليزد فَجيعةً بمصاب ابنائه يقول :

فَرِحتْ بمصرعكَ البَرِيةُ كُلُها
مَن كَانَ منهمْ مُوقناً بمعَادِ

كَم مجلَسٍ لله قَد عَطّلتَهُ
كَي لايحُدَّث فيه بالاسنادِ

ولَكمْ مَصابيحٍ لنَا أطفأتَهَا
حتّى نحيد عَن الطريق الهادي

ولكمْ كريمةِ معَشرٍ أرمَلتَهَا
ومحدث أوثقت في الأقيادِ

فذقْ الهَوان مُعجّلاً ومؤجّلاً
والله ربُّ العَرش بالمرصادِ

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) يذكر الزمخشري في ربيع الابرار موقفا مناقضا تمنى فيه الشاعر أول مرض أحمد السلامة له ونذر له صيام شهر راجع ديوان علي بن الجهم ق ٩ ص ١٠٩ .

لازال فـالجـلك الـذي بك دائمـاً
وفُجعت قَبل المَوت بالأولاد (١)

ولم تكن أهاجي الشاعر لابن الزيات وابن أبي دؤاد المجال الوحيد للتعبير عن سنيته، بل وجدنا هذه الروح قوية تفوح بهذه المعاني في مدائحه المخمد الفتنة العمياء ووائد الضلالة الدهياء المتوكل، فهذه رائيته التي سماها بالسنية، وهي من أوائل شعره، يقول فيها بعد أن مدحه بالحسن والفصاحة والشجاعة والكرم :

قَام وأهلُ الأرض فـي رجفَـة
يخبـطُ فيها المُقبـل المُدْبِرُ
فـي فتنـةٍ عَميـاء لا نَارُهَـا
تخْبُـو ولا مُوقدُهـا يَفتُرُ
والديـنُ قَـد أشفَـى وأنصـارُه
أيـدي سَبـا مَوْعدُها المَحشَر
فـأمَّـر اللهُ إمـام الهُـدى
واللـه مَـنْ يَنصُرهُ يُنصر
وفـوَّض الأمـر الى ربِّـه
مُستنصـرا إذْ ليْس مستنصرُ(٢)

ثم يصفه بتطبيقه لمبادىء أهل السنة ومفارقته لافكار المعتزلة الذين يقولون بحرية الارادة

إني تَوكلـتُ عَلى اللـه لا
أُشـركُ باللّـه ولا أكفرُ

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٨- ١٢٩ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٧٣ .

لا أَدّعي القُدرة من دُونه
بالله حَولي و به أقدرُ

أَشكره إن كُنتُ في نعمة
منه وَإنْ أذنبتُ استغفرُ

فليس تَوفيقيَ إلا به
يَعلمُ مَا أُخفي ومَا أُظهرُ

فَهو الذي قَلدني أمرهُ
إنْ أنا لم أَشكرْ فَمنْ يَشكرُ

واللّهُ لا يُعبدُ سرّاً ولا
مثلي على تَقْصيره يُعذرُ (١)

ثم يمضي ذاكراً صنعه في أهل الفساد من الاعداء، ووقوع ما يحذرون منه على فترة من الزمن ولولا تداركه للموقف لضلل أبليس الآخرين، لكن الخليفة ردهم الى الحق واعادهم اليه :

وجرّد الحقّ فاشتجى به
مَن كان عَن أحكامه يَنفرُ

وانفضّت الاعداءُ من حَوله
كحُمُرٍ أنفرُها قَسورُ

وصَاح ابليسُ بأصحابه
حَلّ بنَا مَا لمْ نَزلْ نحذرُ

مَالي وللغُرِ بني هاشم
في كل دهرٍ منهمُ مُنذرُ

واللّه لو أمهلنا ساعةً
مَا هَالَ النّاسِ ولا كَبّروا

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٤ .

أليس قد كانوا أجابوا إلى
أنْ أظهروا الشرك كما أضمروا

واظهروا أنهم قُدْر
قُدرة مَن يقضي ومن يقدرُ

فردّهم طوعاً وكرهاً إلى
أنْ عرفوا الحقّ الذي أنكروا (١) .

ويختم القصيدة بربط هذا الحدث بحدث الردة الاولى التي كبح جماحها الصّديق (رضي الله عنه)، وحفظ المسلمين من الزيغ والضلال والكفر، وهذه الردة الثانية قام على كبحها وكتبها الخليفة المتوكل .

والحقيقة ان هذه القصيدة جديرة باسمها (السنية) لمناسبة ذلك المعاني التي ضمنها، ويلاحظ أن حكمه على المعتزلة بالشرك لقولهم بالقدر لم يكن اعتباطياً بل استمده مما أفتاه به الامام أحمد فقد حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال أبي: «اذا جحد العلم إذا قال: ان الله لا يعلم أو لم يكن عالماً حتى خلق علما فعلم، فجحد علم الله فهو كافر» (٢) .

ومازال الشاعر يبدىء ويعيد في المعاني السابقة معبراً عن سنيته خلال مدائحه الخليفة المتوكل، فهذه لاميته التي يؤكد فيها على تمسك المتوكل بالسنة إذ أنه يرمي بقوس رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ويصدر عن رأي سديد كرأي ابن عباس (رضي الله عنه). وقد قام بأمر الله وأعاد الاسلام. واقتدى بآثار الرسول (صلى الله عليه وسلم):

عنايتُه بالدين تشهدُ أنه
بقوس رسول الله يرمي ويَنضُل

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) طبقات الحنابلة ص ٢٢٣ .

إذا مَا رأى رأيـاً تيقنـــت أنّــه
بـرأي ابــن عـباس يُقاسُ ويُعدل

أعــاد لنـا الاسلام بَعدَ دُروســه
وقَــام بأمــر الله والامرُ مُهمل

وآثَــر آثــار النبــي مُحمّــد
فقَــال بما قــال الكتابُ المُنزّلُ

وألّــف بين المسلميــن بيُمنــه
وأطفأ نيرانـاً عـلى الدين تُشعَلُ (١)

والملاحظة الظاهرة على بن الجهم خلال شعره السني أنه كان شاعراً ملتزماً. وقد حرص على الموضوعية في أحكامه التي أصدرتها في المعتزلة، وان كانت قاسية، حين وصفهم مرة بالكفر وأخرى بالردة . وقد كان يتمتع بروح قوية في مدائحه الاولى ثم ضعفت بعد ذلك لانقضاء خطر المعتزلة في عهد المتوكل (٢) ...

ثالثاً ـ شعر الاخلاق والآداب الاسلامية :

الاخلاق الاسلامية أساس يحكم النظام الاسلامي كله ، فهي جوهر الاسلام وروحه السارية في جوانبه كلها .. وآية ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) «الدين حسن الخلق» (٣) ، ومن كمال الايمان حسن الخلق كما عبر (صلى الله عليه وسلم) «أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً» (٤) ، وجاءت العبادات لتحقق الاخلاق الحسنة لافرادها المؤمنين بها المطبقين لها .

والمجتمع العباسي تبرز فيه الاخلاق الاسلامية لدى الخلفاء أنفسهم من ناحية ، وضمن أفكار الفرق والمذاهب الاسلامية من ناحية أخرى . وفي

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٦٤ وراجع ص ٧٩ .
(٢) راجع علي بن الجهم حياته وشعره ص ١١٤.
(٣) الادب المفرد للبخاري ص ٨١ .
(٤) مسند الامام علي أحمد ٢/٢٥٠ .

قيم المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد فيتلقى فيه كتاب الله وسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وانعكست هذه الاخلاق في ديوان الشعر العباسى ، فبرز عدد كبير من الشعراء يدعون إلى هذا القيم ويهيبون بها ، وقد تناولوا مثالية الشيم الرفيعة شيمة شيمة ، «وأخذوا يفردونها بمقطوعات أو قصائد يجردونها لها محللين ومفكرين ملاحظين ، فقطعة في تصوير الكرم ، وقطعة في تصوير الحلم ، وقطعة في تصوير الحياء ، وقطعة في تصوير العفة ، وقطعة في تصوير الصبر والتنفير من اليأس» (١) .

وقد ضم ديوان علي بن الجهم الكثير من المعاني الاخلاقية ، ونستطيع من أجل ذلك أن نعد موضوعها من اغراضه الخاصة ، وإن كانت لها علاقة بالاغراض التقليدية العامة ، فالصلة وثيقة بينها وبين غرض الفخر حين يعلو صوته حباً لها وغيرة عليها ، كما أن لها علاقة أوثق بشعره في السجن حين يتماسك ويظهر من نفسه قوة وجلداً أمام نوائب الدهر حفاظاً على دينه ومروءة .. ولهذا الشعر علاقة متينة بشعر الحكمة كذلك ، حين تصفو نفسه فتنبعث منها تلك البدوات المشرقة ، وينثر من كنانته خواطر المتألقة معبراً عن تجاربه وحكمته (٢) ..

الاخلاق الذاتية :

كان علي بن الجهم قسيماً وسيماً يلقى القبول ، راجح العقل راشد السلوك وقد تحلى بالخصال الفاضلة من الرجولة والشمم والاباء ، وتعشق مظاهر الفتوة والشرف والمجد ، وانقطع عن كل ماينلم مروءته ويقلل قيمته في المجتمع ..

وقد زخر ديوان شعره بتلك المثل الرفيعة التي افتخر واعتز بها .. فحين

(١) العصر العباسي الأول ص ١٨١ وراجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ٣١١ - ٣٥١ .

(٢) راجع امثلة من ذلك في ديوان علي بن الجهم ص ١١٠ ، ٩٧ ، ١٦٢ ، ٩٤ .

قدر عليه السجن ، لم يظهر ضعفاً أو ليناً ، كما لم يهن أمام عواصف الزمن وارزاء الدهر ، بل بقي شامخ الانف مرفوع الجبين في عز ومنعة يستمدهما من دينه ، ودخل علي السجن – كما يقول أحد الباحثين –: «متعالياً على النكبة مستخفاً بالنازلة معتداً بالذات ، حريصاً أشد الحرص على الا يشمت اعداءه به ، والا يقرّ عيون حساده بضعفه وتضعضعه ، فلم ينظر إلى الحادثة إلا كما ينظر الطود الشامخ الى الامواج العاتية التي تصدم سفحه ، فهو لايرى إلا دفقات من الماء جاءت لتغسل قدميه، ثم لاتلبث أن ترتد عنهما خاسئة ذليلة» (١) .

فهذه رائعته الدالية التي يشبه فيها دخوله السجن بالسيف المسلول وقد رد إلى غمده ، وهو كالليث أوى إلى غابة ، وكالشمس المحتجبة عنا لتمنح أشعتها للفرقد ، وكالبدر الذي يتجدد بعد اختفائه ، وكالغيث طي الغمام وكالنار المستكنة ، وكالرمح الذي يعرض على النار ليستقيم .. يقول :

قالتْ حُبِستَ فقلتُ ليس بضائرٍ
حَبسي وأيُّ مُهندٍ لا يُغمَدُ

أوَ ما رأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ
كِبراً وأوباشُ السِّباعِ تَرددُ

والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ
عن ناظريكَ لما أضاءَ الفرقدُ (٢)

وتمضي الابياتُ – بالمعاني المذكورة – على النسق نفسه . ثم يسلي نفسه فيرتجى الخير وينتظر ، ويدفع اليأس والقنوط عن نفسه بالصبر ، ثم ينتقل إلى اضفاء صفات الكمال إلى السجن ويمتدحه – على طريقة تحسين التقبيح – فهو البيت الذي يزورك فيه الناس دون التكلف برد

(١) علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٨٣ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٤١ – ٤٢ .

زيارتهم ، وهو المقام الذي يخدم ويحفد فيه المرء ، وفيه العزة عن ذل بلاط الخلفاء ، ثم ينتهي إلى أنه نعم المنزل إن لم ترده لدنية فيقول :

صَبراً فَإن الصَبر يُعقبُ راحةً
ويَدُ الخَليفة لا تُطاولُها يَدُ

والحَبسُ مالمْ تَغشَهُ لدنيّة
شَنعاءً نعم المنزلُ المُتَوردُ

بَيتٌ يُجددُ للكريم كَرامةً
ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحفدُ

لَوْ لَم يكنْ في السجن إلاّ أنهُ
لا يَستَذلُكَ بالحجاب الأعبدُ (١)

وبنفس الروح السابقة تأتي أبياته التي تسجل حادثة صلبه مجرداً بالشاذياخ إذ يرى انه ليس بالمغمور أو المجهول الذي يزيد صلبه تعريفاً بالآخرين . بل هو الشرف كل الشرف والتبجيل كل التبجيل ، ولم يزده التنكيل به إلا رفعة .. ثم يقدم صوراً مقابلة للصور التي وردت في القصيدة السابقة باعتبار أنه كان مسجوناً ، وهو الآن مجرد ، فهو كالاسد يبرح أجمته ، وقد خافه الاعداء وهابوا شدته ، وهو أيضاً كالسيف المسلول ، وكالبدر ليلة تمامه فيقول :

لَم يَنصبُوا بالشاذياخِ صَبيحةَ الإ
ثنَين مَغموراً وَلا مَجهُولا

نَصبوا بحمدِ اللهِ مَلءَ عيونهم
شَرَفاً وملءَ صُدورهمْ تَبجيلا

مَاازدادَ إلا رِفعَةً بنكوله
وازدادتِ الاعداءُ عَنهُ نُكولا

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٤٥ .

هَـل كَـانَ الا الليـثَ فَـارق غيـلــه
فَـرأيتَه فـى مَـحمَـلٍ مَـحمُـولا

لا يَـأمـنِ الأعــداءُ مــن شـداتــه
شدّا يُـفصِّلُ هـامهـم تفصيـلا

مـا عـابـه أنْ بُـزّ عنـه لبـاسُـه
فـالسيفُ أهولُ مـا يُـرى مسلولا

ان يُـبتـذل فالبـدرُ لا يُـزري بـه
أن كـانَ ليلةَ تَـمِّـهِ مَـبذُولا (١)

ثم يمضى إلى عرض روحه المعنوية التى يتمتع بها ، فهو ليس بحزين على فقده المال إذ لم يسلب وسامته ، ولن يبدل دينه ويقينه وجنانه ، ولم ينقص شيئاً مادام غير جهول فيقول :

إنّ المَـصايبَ مـا تعـدّت دينـه
نِعَـمٌ وانْ صَعُبتْ عليهِ قليلا

لَن تَـسلبُـوه — وإنْ سَلبتـم كـلّ مـا ..
خـوّلتموهُ — وَسَامـةً وقبُـولا

هَـل تملكـونَ لدينـهِ ويقينـه
وجَنانـهِ وبَيانـه تَبديلا

لـم تَنقُصُـوهُ وقد ملكتـمْ ظُلمـهُ
مـا النقصُ إلا أن يَكونَ جَهـولا (٢)

وقد استحسن ابن المعتز قصيدتي ابن الجهم الدالية واللامية . وان القوم لما سمعوا الثانية أنزلوه ، وأكرموه . وبهما «حكموا له بأنه اشعر الناس فاذعنت له الشعراء وهابته الامراء» (٣) .

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧١ ١٧٣ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٣ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٣٢١ .

وهو في أبيات أخرى يهون أمر السجن على صاحبته مادام سالماً — وان اشتدت عليه صروف الدهر — ويشبه قيوده بالخلاخيل فيقول :

فَلا تَجزَعي إما رَأيتِ قُيودَهُ
فانَّ خلاخيلَ الرِّجالِ قيودُها(١)

ويبقى الشاعر محافظاً على عزته وشممه — وان طال به السجن وشق عليه المحال — بالاثابة إلى الله ، قائلاً :

إلى اللهِ فيما نابَنا نَرفعُ الشكوى
فَفي يَدِهِ كَشفُ الضَرُورةِ وَالبلوَى
خرَجنَا من الدنيا وَنحن من أهلها
فلسنَا من الاحياءِ فيها وَلا المَوتى(٢)

ويحسن التوكل على الله والتسليم لأمره — ليكشف عنه الضر — فيفزع بالدعاء الى من لا يرد الدعاء فيقول:

توَكلنَا على رَبِّ السماء
وَسلمنَا لأسبابِ القَضاءِ
وأفنية الملوكِ محجبات
وَبَاب اللهِ مَبذول الفناءِ
فما أرجُو سواه لكشفِ ضُري
وَلم أفزعْ إلى غيرِ الدُّعاء(٣)

وكأننا بالشاعر — في تجربة سجنه المريرة — قد صقلته وشذبته فخرج أصفى معدنا وأنقى جوهراً. وأدرك قيمة الحياة الحقيقية . وقد جعلها كما يقول :

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٥١ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩٦ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢ .

هَـــل العَيـــش إلا العزّ والأمـــن والغنـــى
غِنَى النفسِ والمغبوط مَنْ ذَلّ كاسحه (١)

ثم يصور نجدته في تفريج الكرب، وفزعه الى نصرة المحتاجين، ثم كرمه وسخاءه على ضيوفه فيقول :

وَمِـــن همم الفتيـــانِ تَفريـــج كربـــة
وَاطلاقُ عانٍ باتَ والبؤس فادِحه

وَضيفٍ تخَطّى الليلَ يَسأل مَـــــن فتىً
يُضيف فَدلّته عليه نَوابِحُه

وَلهفـــةِ مَظلومٍ تمنّـــاكَ حاضـــراً
وَقد ذعرَت أسرابُه وسَـــوارِحه

فجئـــتَ تخوض الليـــلَ خوضاً لنصـــره
وَلولاكَ لم يدفعْ عن السّرح سارِحه

والاّ يكُـــن مالي كثيـــراً فإنني
كثيرٌ إذا ما صاحَ بالجيشِ صائحه(٢)

ويقدم مقياساً دقيقاً لتفاضل بنى البشر فيجعله في الهمة العالية الصادرة عن الطبع الاصيل. وليس في الجود والبلاغة ولا الشجاعة والامارة فيقول :

مَا الجودُ عَن كثرةِ الأموالِ والنَّشـــب
وَلا البلاغةُ في الاكثـارِ وَالخطَبِ

ولا الشجاعـةُ عَن جسمٍ وَلا جَلَـــد
وَلاَ الامَارةُ إرثٌ عَن أبٍ فأبِ

لكنّهـــا همَمٌ أدّت إلـــى رُتَـــب
وكُلُّ ذَلك طَبعٌ غيرُ مُكتسَب(٣)

---

(١) ،(٢) ديوان علي بن الجهم ٦٥، ٦٦.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١١٠
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٩٤ .

فكأنك به خلال هذه الابيات يقول: « انما يعلو المرء بأدبه لا بنسبه » :

ومن إبائه وشممه الذي عرف به ـ قناعته بالفقر جوعاً وعرياً ترفعاً عن منة الآخرين، والانكسار لهم فهو يقول :

كلبسُ ثَوبيــــــنِ باليــــــنِ
وَطَـــى يَـــومٍ وَلَيلتيــــنِ
أيسـرُ مِــــن منــــةٍ لقوم
أغضُ منـــهـا جفُونُ عَينـي

وهو صيّن العرض، وان خس ماله حيث يقول:

إنْ خسَّ حَظي من مَالٍ تخوّنَــــــه
صَرفُ الزمان فماعرضي بمَخسُوس (١)

بل يشفق على الغريب ـ الذي فارق أحبابه وبعدت داره عنهم ـ لخشوعه وضعفه فيقول :

وارحمتَـــا للغريـب فـي البَلـد النَـــا
زح مَاذا بنفسـه صَنَعَـــا ؟
فَارق أحبَابَـه فَمـا انتفعُـــوا
بـالعيش مـن بَعده ولا انتفَعَـا
كَان عَزيزاً بِقرب دارهِـــــــمُ
حَتى إذا مَاتباعَدُوا خَشَعَـــا
يَقـولُ في نـأيـهِ وغـُربتِــــه :
عَدلٌ من الله كُلُّ مَاصَنَعا(٢)

ويؤكد على معنى هذه العزة باستحسانه موقف الصبر للحر في المحن . وقناعته حيث يقول :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٩٣.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٥٤ .

مَاأحسن الصَبـــرَ ولاَ سيمــــا
بـالحرِّ إنْ ضَاقـتْ به الحــال

يَشهـدُ اعـدائـي بأنـي فتـــىً
قَطـاعُ أسبـابٍ ووصَّال

لا تـمـلكُ الشـدةُ عـزمـي ولا
يُبطرُني جَـاهٌ ولا مَالُ(١)

ويجعل الراحة عاقبة الصبر فيكتب بهذه النصيحة لمن ضاقت حاله في السجن قائلاً لصاحبه :

صَبـراً أبـا أيوبَ حَـلّ مُعظَّــم
فـاذا جزعت من الخطوب فمن لها

إن الذي انعقـدتْ بـه عُقدُ المكـا
ره فيك عَنْ قُربٍ يحسِّنُ حلّها

واصبرْ فانّ الصبـر يُعقبُ راحــةً
وعَسى بها أنْ تنجلى ولعلّها(٢)

ومن المعاني الشعرية التي أدارها حول القيم والمثل الاخلاقية ، ماقاله في مدح الحياء على نحو يذكر بأبيات أبي تمام المشهورة في هذا الباب فيقول :

إذا رُزق الفتـى وجهـاً وقـاحـاً
تقلّب في الأمور كما يَشاءُ

ولمْ يَـكُ للدّواء ولا لشـَـيءٍ
يُعالجُه بـه عنـهُ غَناءُ

وربّ قبيحـةٍ مَاحـال بَينـي
وبين رُكوبـهـا إلا الحيـاءُ

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٦٨ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩٣، ٩٤ وراجع ص ٤٥ .

وكان هُو الذي ألهَى ولكــــــنْ

إذا ذهب الحياءُ فَلا دواءُ (١)

والمعنى – كما يلاحظ – يسوقه في معرض التمسك به ، وان كان الامر صعباً فهو يقول :

ولم نَدع الحياءَ لمَسِّ ضُرٍّ

وبعضُ الضرّ يَذهَبُ بالحياءِ

وجربَنا وجرّب أوّلونَا

فَلا شيءٌ أعزُّ من الوفاءِ (٢)

ومن المعاني الاخلاقية التي طرقها ابن الجهم – فضلا عن العزة والحياء – معنى الجود والسخاء والفخر بهما والدعوة لهما، فهو الشكور على نعم الله، والله يعود – على عطاء السخي بالمزيد فلم كنز المال والموت لاحق بالجميع ؟ وصروف الدهر تدور :

إذا جَدد اللهُ لي نعمةً

شَكرتُ ولم يَرني جاحِدا

ولم يزلِ اللهُ بالعائدات

عَلى مَن يجودُ بها عائدا

أيا جامع المال وفرّتَه

لغيركَ إذْ لمْ تكنْ خالدا

فإنْ قُلتَ أجمعُهُ للبنينَ

فقد يَسبقُ الولدُ الوالدا

وانْ قُلتَ أخشَى صُروفَ الزمانِ

فكنْ في تصاريفهِ واحدا(٣)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٠٣ وراجع ديوان أبي تمام ٢٩٦/٤ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٨٣ .

(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٧ .

ولا يفرحن أحد بماله فان الله محاسبه عنه:

يَسرُّ مَـــن عَاش مَالُــــهُ فَـاذا
حَاسَبَهُ اللّـهُ سَرّهُ القدمُ (١)

ولهذا يحسن بالمرء أن يبادر بالعطاء ولن ينقص هذا ماله:

وليـس يبيدُ مَـالٌ عَـــن نـوالٍ
ولا يُـؤتى سَخـــي من سَخاءِ
كمــا أن السُـؤالُ يَـــذلُ قَوماً
كذاك يُعزُّ قـــوماً بالعطاء (٢)

والشاعر ينكر على نفسه البخل كما ينكر سؤال الآخرين ويراهما بمنزلة الموت:

أعـاذلُ ليس البُخــلُ مني سَجيـةً
ولكـنْ رأيـتُ الفقـر شرَّ سبيلِ
لَموتُ الفتـى خيرٌ من البخــل للفتـى
وللبخلُ خيـرٌ من سؤال بخيلِ
ولا تسألـــنْ مَن كان يسألُ مـرةً
فللموتُ خيرٌ من سؤال سؤولِ (٣)

ويرسم صورة منفرة ساخرة للبخيل فيقول :

وليـس الفتـى مَن بات يَحسَـبُ ربحَــهُ
بَطيئـاً ضَنينـاً بالذي هُو رابحُه
يَـرى أنّـــه لا حقّ إلا لنفســـه
عَليـه وأنّ الجودَ بالمـالِ فاضحُه
لــه عيـــالٌ دُونَ الطعــــامِ كثيـرةٌ
ووجـهٌ قبيـحٌ أربدُ اللون كالحُه

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٩٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٤ .

كثيرُ همــــوم النفس كزّ كأنــــه

من البخل قُفلٌ ضاع عنهُ مفاتحُه(١)

وهكذا يجعل البخل من شر الآفات ،وشر منه الكذب والخلف فيقول:

إذا اجتمــع الآفـاتُ فالبخــلُ شرُّهــا

وشرٌ من البخـلِ المواعدُ والمَطلُ

ولا خَيرَ في وعــدٍ إذا كان كاذبـاً

ولا خَير في قَول إذا لمْ يكنْ فعلُ(٢)

ومن موضوعات شعر الاخلاق والآداب الاسلامية التي حوم حولها الشاعر ، ماتصل بالعلم والكتاب ، وما تعلق بالدعوة إلى الاقبال عليه والاعتزاز به ، إذ يصف لنا ليلة أمضاها مع الاخيار في الاسمار والملح والاشعار فيقول :

وليلــةٍ كـأنهــا نهــارُ

سهرتَهـا وفتيــةٌ أخيارُ

لا جاهــلٌ فيهــمْ ولا ختّــارُ

ولا على جليسهِ هـــرّارُ

لَهُــوهــمُ الاســارُ والاشعــارُ

وملحٌ تقدحُ منها النــارُ (٣)

وهو يفضل جلسات المذاكرة مع الادباء على الدنيا وما فيها فيقول :

لَجلسةٌ مَع أديبٍ في مذاكــرة

أنفي بها الهمّ أو استجلب الطربا

أشهى الىّ من الدنيا وزخرفهـا

وملئِها فضة أو ملئها ذهبا (٤)

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٦٦.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٦ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٣٧ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٨

وله قطعة يصف فيها الكتاب فيجعله السمير الممتع الذي يفضل بني البشر فيقول :

سَميرٌ إذا جالستَه كانَ مُسلياً
فؤادك مما فيه من ألم الوَجدِ
يُفيدكَ علماً أو يَزيدُك حكمةً
وغيرُ حَسودٍ أو مُصرٌّ على الحِقدِ
ويحفظُ ما استودعتَه غيرَ غافلٍ
ولا خائنٍ عهدا عَلى قدمِ العَهد(١)

ويرى الشاعر الجهل نقصاً كبيراً ، ولا حرج على المرء ان شاب رأسه على علم فيقول :

إذا لَم يَشِبَ رأسٌ عَلى الجهل لَم يكُنْ
عَلى المرء عارٌ أن يَشيب ويَهرَما(٢)

وهو يرى العلم ضرورة لطالب الهدى ، ولا يأتي ذلك إلا بالتعلم والتجارب فيقول :

إذا مامرؤٌ لَم يُرشِدِ العلمَ لَم يجِدْ
سَبيل الهُدى سَهلا وانْ كانَ مُحكما
ولم أَر فرعاً طَال إلا بأصلِه
ولم أَر بَدْءَ العلم إلا تَعلما
ومَن قارعَ الأيامَ أوفرَ لبّه
ومن جاور النَدم العييَّ تندَّما(٣)

ومن امتداد موضوع الرغبة في العلم وشغفه به ، وذم الجهل .. جاء اتجاه الشاعر إلى الشعر التعليمي حيث كان له قصب السبق إلى نظم حوادث التاريخ الاسلامي في أرجوزته المشهورة الموسومة بالمحبرة في التاريخ ،

(١) ديوان علي بن الجهم . ص ٢٥٩ وراجع بعض الاشارات إلى الكتابة /ص ١٠٨ ، ٢٥٨
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٩ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٥٢

ولعل أراجيز أخرى وجدت في موضوعات أخرى ، لكن هذه تتميز بأنها الاولى في موضوعها التاريخي الذي سجل به الحوادث من بدء الخلق إلى نهاية الخلافة العباسية بوفاة الخليفة المستعين ، وتقع المحبرة في ٣٣٠ بيتاً ،ويمكن تقسيم هذه المحبرة أربعة أقسام :

أرخ الشاعر في الأول منها للبشرية من لدن آدم عليه السلام إلى ظهور نبي الاسلام (صلوات الله عليه) ، وهو أكبر الاقسام حيث يشكل ثلثي الارجوزه ، إذ يقع في ثمانية ومائتي بيت وتحدث فيه عن قصة آدم وابنيه ، وقصة شيث ومن بعده ادريس (عليهم السلام) ، ثم قصة نوح وأولاده الثلاثة سام وحام ويافت ، وعرض لقصة هود وصالح (عليهما السلام) مع أقوامهما ، ثم انتقل إلى قصة ابراهيم وخبر ابنيه اسماعيل واسحق وأميهما هاجر وسارة ، ثم مضى إلى قصة يعقوب وابنه يوسف (عليهما السلام) ، ثم موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) ، ثم عيسى (عليه السلام) ، ثم صور الجو قبل البعثة النبوية ، وأول الارجوزة قوله :

الحمد لله المُعيد المبدي
حمداً كثيراً وهو أهلُ الحمدِ
ثمّ الصلاةُ أوّلاً وآخرا
علَى النبي بَاطناً وظَاهراً
يَا سَائلي عَن ابتداء الخَلق
مَسألة القَاصد قَصد الحقِ (١)

ثم يجيب السائل بالاخبار الموثوقة عن مجريات التاريخ بالنسق المذكور سابقاً ... وفي القسم الثاني من الارجوزة تناول عصر صدر الاسلام والخلافة الراشدة منذ البعثة النبوية إلى خلافة بني امية ، وذلك في تسعة وثلاثين بيتاً ، وفي اولها يقول :

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٢٨ .

ثـــم أزال الـظـلـمـــة الـضّـيـــاءُ
وعـاودتْ جِـدّتهـا الأشـيـاءُ

أتـــاهـــمُ المـنـتـخبُ الأواهُ
مُحمـدٌ صلّـى عليه اللـهُ

أكـــرمُ خلـق الله طُـراً نفسـا
ومولـدا ومحتـدا جنسـا (١)

ويسوق سيرته (صلى الله عليه وسلم) ، ثم قيام الصديق بالامر وموقفه من الردة وجهود الفاروق في الفتوحات الاسلامية ، واستشهاده ، ثم سيرة عثمان وعلي (رض الله عنهم اجمعين).

ويضم القسم الثالث أخبار بني أمية من خلافة معاوية إلى مروان بن محمد وهو في خمسة وثلاثين بيتاً ، يقول في أولها عن معاوية :

ثـُـم تـولـّى أمـرهـمْ مُعـاويـه
فعاش عشـرا بعد عشر خاليه

حـتـى إذا وافـاهـم عشـرينا
مات من التاريخ في ستينا (٢)

ويأتي القسم الاخير في بني العباس الذي يوليه الشاعر اهتماماً أكبر من العصرين السابقين ، فيؤرخ للخلافة العباسية من السفاح حتى المستعين خلال تسعة واربعين بيتاً . وفي أول هذا القسم يقول :

حتى أتـى اللـهُ ولـيّ الـنعمـه
بالحق منه رأفـةٌ ورحمـه

واخـتـار للنـاس أبـا العبـاس
من أنجدِ الناسِ خيار الناسِ (٣)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٢ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٢ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٤٧ .

ويلاحظ على الارجوزة – فضلاً عن موضوعيتها وايجازها التعليمي – استعانتها بالقرآن الكريم ، والاحالة اليه في الامور التي فصلها الكتاب كقوله في قصة لوط (عليه السلام).

وقال لُوطٌ إنني مُهاجِرُ
وبالذي يَأمرُ قومي آمِرُ

ما قد تولّى شَرحه القُرآنُ
وفي القُران الصدقُ والبيانُ (١)–

وبالمثل كانت اشارته إلى القرآن الكريم في قصة آدم وحواء مع ابليس ، وقصة يعقوب أبي يوسف (عليهما السلام)(٢).

واخيرا فنحن نقف على طائفة من الحكم والمواعظ في شعر ابن الجهم، يستمدهما من ثقافته العربية الاسلامية ، ومن تجاربه الخاصة المقترنة بظروفه العصيبة في السجن ، وتبقى هذه المادة الشعرية – على قرب مأخذها وبعدها عن العمق – وثيقة النسب بالقيم الاسلامية فمن ذلك قوله :

ولم أر أعدى لامرىءٍ من قرابة
ولا سيما إنْ كان جارا أو ابنما

ومن طالب المعروف من غير اهله
أطال عناءً أو أطال تندُّمَا

ومَن شكر العُرف استحق زيادةً
كما يَستحقُ الشكر مَن كان منعما

ومن سامح الايام يَرضَ حياتهُ
ومَن مَنَّ بالمعروف عاد مذمما

ومن نافس الاخوان قلَّ صديقه
ومَن لامَ صَباً في الهوى كان ألوما(٣)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٤ .

(٢) راجع ديوان علي بن الجهم ص ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٠ .

وقد مهد الشاعر لهذه الابيات بما يعرف بتجاربه التي أثمرتها فقال :

خليليّ من فرعى قريشٍ رزيتما
فتى قارعَ الأيامَ حتى تثلما

وأحكمه التجريب حتى كأنما
يُعاين من أسراره ما توهما

ومن ضعُفتْ اعضاؤه اشتدَّ رأيه
ومن قومته الحادثات تقوما (١)

ومن مقارعة الايام وتقويم الحادثات كما أشار في القطعة السابقة — ضعفت عنده مثالية الاخاء والصحبة الحسنة كما يقول عن أصحابه الذين تنكروا له في محنته :

ولا يغررك من وغدٍ إخاءٌ
لأمرٍ ما غدا حسن الاخاء

ألم ترَ مظهرينَ عليَّ غشاً
وهم بالامسِ إخوان الصفاءِ

بُليت بنكبةٍ فغدوا وراحوا
عليَّ أشدَّ أسبابِ البلاءِ

أبتْ أخطارهمْ أن ينصروني
بمالٍ أو بجاهٍ أو براءِ

وخافوا أن يقالَ لهمْ خذلتمْ
صديقاً فادعوا قدمَ الجفاءِ (٢)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٩ والمراد بفرعي قريش : قريش البطاح وقريش الظواهر
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٨٣ ، والمراد بالكلمة الأخيرة من البيت الرابع (الرأي).

رابعاً — شعر الجهاد والحماسة الاسلامية :

كان لاحداث العصر في قمع الفتن والانحرافات الداخلية ، وفي الحروب الخارجية ضد الروم صدى كبير في شعر هذا العصر ، خاصة في عصر الخليفة المعتصم الذي تمكن من اخماد حركة بابك الخرمن ، (١) وفتح عمورية (٢) من بلاد الروم .

ونجد ديوان أبي تمام يزخر في مدائحه بمعاني الجهاد والحماسة الاسلامية خاصة بعد القضاء على رؤوس الضلال والكفر أصحاب الفتن الداخلية ، وبعد الانتصارات الجليلة التى حققها القادة على ثغور بلاد الروم .

وقد كان شاعرنا علي بن الجهم بما عرف من رجولته وشجاعته . وبما تحلى به من أخلاق العزة والاباء والانفة والشمم ، كان ممن سجل هذه المواقف البطولية الرائعة احتفاء بالنصر المبين ، وطربا وجذلا للفوز والظفر اللذين كتبا على يد الخليفة المنتصر المعتصم ..

وقد اشاد في قصيدته الوحيدة التي مدح بها المعتصم — بقتله المازيار وبابك الحزمي ، صاحبي الفتنة العمياء التي استعصت على من قبل المعتصم ، ودامت أكثر من عشرين سنة ، وكادت تزيغ قلوب الناس ، وعبر عن فرحة الأمة وتقديرها لفتح عمورية ببلاد الروم ، ثم ذكر مفخرة ثالثة للخليفة في قمعه حركة الزط (٣) على يد عجيف بن عنبسة .

وقد ساق هذه الانتصارات بصورة متتابعة لانها تأتي في اتجاه واحد ، وهو تحقيق العزة لهذا الدين والثأر له من اعدائه والانتقام له من الذين يحاربون الله ورسوله . يقول ابن الجهم :

---

(١) خرج بابك في خلافة المأمون سنة ٢٠١ هـ بالبذ بين اذربيجان وأران ، وهزم جيوشا كثيرة .. حتى ظفر به الافشين قائد المعتصم وأسره سنة ٢٢٣هـ ، فقتل وصلب بسامراء.

(٢) تم فتح حصين عمورية سنة ٢٢٣ هـ بعد اعتداء الروم على المسلمين بزبطرة حين شغل المعتصم بأمر الخرمى ، فبلغت الخليفة صيحة الأسيرة المسلمة وامعتصماه ! ، فخرج اليها ولبى نداءها ، وأعاد للمسلمين عزتهم ، وكرامتهم ..

(٣) معرب (جت) طائفة من أهل الهند يبلغ عددهم زهاء ثلاثين الفا ، وزعيمهم محمد بن عثمان خرجوا على الخليفة واثاروا الفساد فتمكن منهم سنة ٢١٩ هـ .

وأنت خليفة الله المُعَلّى
على الخلفاء بالنعم العظام

وليت فلم تدعْ للدين ثأرا
سُيوفك والمثقفةُ الدوامي

نصبت المازيارَ على سحوقٍ
وبابكُ والنصارى في نظام (١)

مناظر لا يزالُ الدينُ منها
عزيزَ النصر ممنوع المرام

وقد كادت تزيغُ قلوبُ قوم
فأبرأتَ القلوب من السقام

وعمورية ابتدرتَ إليها
بوادرُ من عزيز ذي انتقام

فقعقعت السرايا جانبيها
وألحفت الفوارسَ بالسهام

رأت علمَ الخلافة في ذُراها
فخرتْ بين أصداءٍ وهام

وجمعَ السزطِ حين عمُوا وصمّوا
عن الداعي إلى دار السلام

أطلَّ عليهمُ يومٌ عبوسٌ
تعوّذُ منه أيامُ الحمام (٢)

---

(١) المازيار بن قارن خرج على المعتصم بطبرستان سنة ٢٢٤ ﻫ، وقبض عليه سنة ٢٢٥ ﻫ وقتل وصلب بجانب بابك في سامراء، والمراد بالنصارى قائد الروم في عمورية ناطس، وقد صلب سنة ٢٢٤ ﻫ بجوار بابك والمازيار.

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩ — ١١.

ولعل في اختلاف مذهب الشاعر عن مذهب الخليفة المعتزلي بعض السبب في عدم تعميق العلاقة بينهما ، وعدم انتاج شعر كثير يمجد مواقف الخليفة البارزة .

وانحسر نشاط الخليفة المتوكل على الثغور والعواصم ، فلم يترك لنا شعراً لشاعر المتوكل يسجل هذه الاحداث ، ويبرز نشاطه العسكري ، لكننا نجد ابن الجهم مهنئاً المتوكل على فتحه أرمينه وقتله اسحق بن اسماعيل ، وقد نال جائزة كبيرة حين سمع الخليفة مطلعها الذي يقول فيه :

أهلاً وسهلاً بك من رسول
جئتَ بما يَشْفي من الغليل
بجملةٍ تُغني عن التفصيل
برأسِ اسحقِ بنِ اسماعيلِ
قهراً بلا خَتْلٍ ولا تطويلِ

ثم وصف ابن الجهم جيش المتوكل ، وخيله المقاتلة ، ونزال الخليفة للمخذول ونصره العزيز فيقول :

جاوزَ نهر الكُرِّ بالخيول
تردى بفتيانٍ كأسدِ الغيل (١)
مُعوّداتٍ طلبَ الذُّحول
خُزْرِ العيونِ طيّبي النُّصُول (٢)
شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحول
جيشٌ يَدُكُّ الحَزْنَ بالسُّهول
كأنّه مُعتلجُ السُّيولِ (٣)
يَسُوسُهُ كَهلٌ من الكهولِ

---

(١) نهر الكر بارمينية يشق مدينة تفليس ، وردى الخيل رجمها الحصى بحوافرها
(٢) الذحول : الانتقام والخزر ضيق العين مما اتصف به الاتراك .
(٣) التطام امواج المسيل .

لا ينثني للصعب والذلول
على أغر واضح الحجول

حتى إذا أصحر للمخذول
ناجزه بصارم صقيل (١)

ضرباً طلحفاً (٢) ليس بالقليل
ومنجنيق مثل حلق الفيل

ترفض عن خرطومه الطويل
صواعق من حجر السجيل

تترك كيد القوم في تضليل
ما كان إلا مثل رجع القيل

حتى انجلت عن حزبه المعلول
وعن نساء حسّر ذهول

صوارخ يعثرن في الذيول
ثواكل الأولاد والبعول (٣)

والكلام عن شعر الجهاد والحماسة الاسلامية لدى الشاعر مرتبط بحياة الشاعر نفسه ، ففي حياته مايكشف عن رغبة الشاعر في الجهاد وارخاصه نفسه في سبيل الله .. فقد ورد عنه أنه — في آخر عمره — بعد خروجه من السجن وفقدانه أعز أصدقائه ، آثر العزلة بالحديث إلى القبور (٤) ثم أعد نفسه للخروج جهادا في سبيل الله ، وقد وافته منيته وهو بهذه النية الصادقة وأقدم مصدر ساق الخبر هو تاريخ الطبرى حيث يذكر سبب موته فيقول: « وكان سبب ذلك أنه توجه من بغداد إلى الثغر ، فلما كان بقرب حلب

(١) أصحر : برز ، والمناجزة : المنازلة .
(٢) الطلحف : الشديد .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٤ — ١٧٦ .
(٤) راجع الاغاني ١٠/٢٢٤ .

بموضع يقال له خُساف (١) لقيته خيل لكلب فقتلته ، وأخذ الاعراب ما كان معه .. » (٢)

ويورد خبر وفاته غازيا المرزباني أيضاً حيث يقول : «خرج متوجهاً للغزو فقتله أعراب من كلب » (٣) ، وبمثل هذا المساق أورد الخبر البغدادي فقال: «خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب فقاتلهم قتالا شديداً ، ولحق الناس وهو جريح بآخر رمق.. » (٤)

لكن التحريف وعدم الدقة في ذكر الخير وقع في بعض المصادر الأخرى، إذ أنها تجعل سبب السفر غامضاً كالذي وقع من ابن خلكان حيث قال : «متوجها إلى العراق » (٥) بدلاً من الغزو في نص البغدادي السابق، ولاجرم فان التحريف في هذه الكلمة منكر إذ لايصلح خروج من حلب إلى العراق — بعد أن أتى حلب من العراق — وانما الثغور تلي حلب ..

أما الخبر لدى المسعودي فأظهر خللاً — وربما يكون ذلك مقصوداً — فهو يذكر خبر خروجه يريد السفر» (٦) سنة ٢٤٩ ، والخروج نفسه يتضمن معنى السفر ، فلعل أصل الكلمة الثغر ، والتحريف ظاهر في نص المسعودي .

ويبقى صاحب الاغاني واضح الغرض (٧) في طمسه حقيقة سفر علي بن الجهم وتوجهه إلى الثغور ، وقد ساق في ترجمته خبرين جاء الأول غفلا

---

(١) خساف : برية بين بالس وحلب .

(٢) تاريخ الطبرى ٢٦٤/٩ وراجع الكامل ٧/ ١٢٤ .

(٣) معجم الشعراء ص ٢٨٦ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٦٩/١١ وجاء النص مطابقاً له في المنهج الاحمد ١٢٢/١ .

(٥) وفيات الاعيان ٣/ ٣٥٦ .

(٦) مروج الذهب ٤١٠/٢ .

(٧) يورد محقق الديوان الاستاذ خليل مردم بك مطاعن الاصبهاني الكثيرة في الشاعر ، فقد روى مايدفع نسبه عن قريش ، وسمى مذهبه مذهب الحشوية ، وجعل غضب المتوكل عليه لسوء خلقه وتهتكه ، وجعل هجاءه لاجل المال ، ووصعه بأنه فصيح مطبوع وهو — في اصطلاحه — دون الشاعر الفحل ولم يكد يذكر شيئاً من محاسنه راجع مقدمة الديوان ص ٢٣ .

عن طبيعة خروجه (١) . أما الخبر الآخر فقد الصق الاصبهاني به العيب والشنار ، وألحق به السوء والشر ، وجعل سفره للتخلص والنجاة من الناس حيث يقول : « لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشره وذكره كل أحد بسوء من صديقه وعدوه تحاماه الناس فخرج عن بغداد إلى الشام ..» فأين (٢) هذه الدواعي التي حملته على السفر من تلبيته داعي الجهاد الذي أوجب التطوع للقتال في سبيل الله بعد مقتل قائدين كبيرين من قواد الثغور الجزرية وعدد كبير من الجند ، وقد ساق الخبر ابن الاثير بصورة مفصلة فقال : « في صفر سنة ٢٤٩هـ شاع في بغداد خبر هاج له الناس وشغب الجند ، وذلك ان قائدين من أعظم قواد الثغور الجزرية هما عمر بن عبدالله وعلي بن يحيى قتلا مع عدد عظيم من جنودهما في غزو الروم ، وان الروم بعد مقتلهما كلبوا على الثغور الجزرية وعلى أموال المسلمين وحرمهم ، فهب الناس في بغداد وسامراء وأقبلت المتطوعة من نواحي الجبال وفارس والاهواز ، وأخرج أهل اليسار أموالا فرقوها فيهم ، وتلاحقوا نحو الثغر لغزو الروم » (٣)

وفي طريقه نحو الثغر لغزو الروم خرج عليه نفر من الاعراب الكلبيين — بخساف — فهرب من كان في القافلة من المقاتلة وثبت علي فقاتلهم قتلا شديداً ، وثاب الناس اليه فدفعهم ولم يحظوا منه بشيء .. فلما كان من غد خرج على القافلة منهم خلق كثير ، فتسرعت اليهم المقاتلة ، وخرج علي فيهم فاصابته طعنة قتلته ، فاحتمله أصحابه وهو ينزف دمه ، فلما أمسى قلق قلقاً شديداً وأحس بالموت ، .. ومات مع السحر فدفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب وفي شعبان سنة ٢٤٩ ورد على الخليفة المستعين كتاب صاحب البريد بحلب « ان علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو ،

---

(١) راجع الاغاني ١٠/٢١٥ .

(٢) الاغاني ١٠/٢٣٣ .

(٣) الكامل ٧/١٢١.

فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب فقاتلهم قتالا شديداً ، وقتل(٧) .

وقد سجل شعره طرفاً من هذه الاحداث . فصور المعركة التي خاضها ضد الاعراب ، وهي من أجود شعره ، وإن كان في القصيدة الوان من المبالغة — ، ففيها وصف يبرز المعركة — مجسمة مكبرة — في عنف أحداثها ودقة وقائعها ، ونشهد الاعراب قد اقبلوا من كل مكان وأثير — لكثرتهم — غُبار كثيف ، وقد أتوا معهم بالموت الزؤام حتى أصبح رأي العين ، عندها لم يكن بدٌّ من الاقبال دون احجام . وقد كان لهم الشاعر شجى إذ لم ينالوا منه شيئاً يقول :

صَبَرتُ ومثلي صَبرهُ لَيس يَنكرُ
وليس عَلى تَرك التقحم يُعذرُ

غَريزةُ حر لا اختلاقُ تكلف
إذا خامَ(٢) في يوم الوغى المتصبرُ

ولمّا رأيت المَوت تهفو بنوده
وبانتْ علاماتٍ لَه ليس تُنكرُ

وأقبلتِ الاعرابُ من كلّ جانبٍ
وثارَ عجاجٌ أسودُ اللونِ أكدرُ

بكلّ مُشيحٍ مَستميتٍ مشمّرٍ
يَجولُ به طرفٌ أقبٌّ مشمّر(٣)

بأرضِ «خُسافٍ» حين لمْ يَكُ دافعٌ
ولا مَانعٌ إلاّ الصَفيح المُذكّر

فقلّل في عَينيَّ عُظْمَ جُموعهمْ
عَزيمة قلبٍ فيه ماجَلَّ يصغرُ

---

(١) تاريخ بغداد ٣٦٩/١١ .

(٢) جبن ونكص .

(٣) المشيح : المقبل عليك ، الطرف : الكريم من الخيل ، الاقب : الدقيق الخصر الضامر البطن.

بمعترك فيه المنايا حواسر
ونار الوغى بالمشرفية تسعر

فما صنت وجهى عن ظبات سيوفهم
ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر

ولم أك في حر الكريهة محجما
إذا لم يكن في الحرب للورد مصدر

اذا ساعد الطرف الفتى وجنانه
وأسمر خطي وأبيض مبتر

فذاك وإن كان الكريم بنفسه
إذا اصطكت الابطال في النقع عسكر

منعتهم من أن ينالوا قلامة
وكنت شجاهم والأسنة تقطر(١)

الآثار الاسلامية في الاغراض التقليدية :

لم يقتصر أثر الاسلام على الاغراض الاسلامية الخالصة التى برزت في ديوان ابن الجهم ، من شعر عباسي ، وآخر مذهبي ، ثم شعر الاخلاق والآداب الاسلامية ، وشعر الجهاد والحماسه الاسلامية بل نجد الاثار الاسلامية مبثوثة منتشرة خلال الديوان كله .. مدحا وهجاء وفخرا وغزلا ورثاء ..

١ — **المديح** ويعتبر المديح من أبرز الاغراض في شعر على ، وتقوم معاني المديح على المثل الخلقية التى يعتد بها العربي منذ جاهليته من مروءة وسماحة وحزم وعفة ، وعزة نفس واباء ، وشجاعة وكرم ..

ويتضح أثر الاسلام في المديح حين يتضمن معاني تتصل بالقيم والمثل الاسلامية بحيث تجعل الممدوح مثلا عاليا وصورة يقتدي بها ، « وهي تضيف إلى مثالية الشيم والطباع مثالية اخرى من الحكم ، فتتغنى لهم بتقوى

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٣١ — ١٣٢ .

الله والتمسك بالشريعة وبالعدالة التى لاتصلح حياة الامة بدونها ..» (١)

ولم يكن ابن الجهم ـ الذي لم يمدح الا خليفة ـ متكسبا أو مستجديا في مديحه ، بل كان كما قال :

ومَا انا ممنْ سَار بالشعرِ ذكرُه
ولكن أشعاري يُسيّرها ذكري

وما الشعرُ مما استَظلُ بظلّه
ولا زادنى قدرا ولا حطَّ من قدري

ولكن إحسانَ الخليفة جَعفر
دعاني إلى مَا قُلت فيه من الشعر(٢)

فهو يذكر أنه لايتكسب بالشعر ، وهو لم يزده قدرا ، فقد كان نابه الذكر قبل أن يعرف شاعراً ، ثم اعتذر عن قوله الشعر لانه لم يصنعه فيمن دون الخليفة ، ويعلق ابن رشيق القيرواني قائلا عنه : « وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بازاء الخليفة بل مكافئا له بشعره على احسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغبا ولا مجتديا » (٣).

والشاعر حين يمدح الخليفة يقول بانه يصلح الفاسد ويمنع الفاحشة ويأمر بالعدل والاحسان ويتمسك بالدين، وهو يجمع الامة على الخير ويذب عنهم الاعداء ويدفعهم، ويبسط الامن على البلاد. نجد هذه الصبغة في مديح شعراء العصر العباسي الاول عامة مثل بشار ومروان وسلم الخاسر وأبي العتاهية وأشجع

---

(١) العصر العباسي الاول د. شوقي ضيف ص ١٦٠ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٤٦، ٢٥٣ .

(٣) العمدة ١/٢/٤ وقد أنكر بعض الباحثين قيمة هذا الغرض لانهم عدوه شعر تكسب مطلق اتخذ وسيلة للاستجداء والكدية ، وليس الامر كذلك فقد كان مظهراً احضارياً طبيعياً، وعنصر الصدق لايمكن الغاؤه من هذا الغرض لان المكافآت المادية لم تكزن الباعث الوحيد للمديح ولاسيما وقد كان في الممدوحين من الصفات ماجعلهم أهلا لهذا المديح . راجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ص ١٦٠ .

السلمي وغيرهم. ولكننا نجدها بصورة أوضح لدى أبي تمام وعلى بن الجهم في مديحهما للخليفة المعتصم والواثق والمتوكل .

فعلى بن الجهم في قصيدته الوحيدة في الخليفة المعتصم يصدر من هذه المشكاة إذ يضمنها معنى جلال ملكه حين دانت الدنيا له، كما عزّ الاسلام به، فيدعو له بطول البقاء مع تأييد الخلافة بابنه فيقول:

ليهنك يا أبا اسحق مُلك
يجلُّ عن المَفاخر والمُسامي

لسيفك دانت الدنيا وشُدّت
عُرى الاسلام من بَعد انفصام

فايِّدنا بهارونٍ وانّا
لنَرجُو أن تُعمّر ألف عَام (١)

كما يمدح الواثق الذي تعشقه الخلافة، فيجعل الشرف متشرفاً به إذ جمع القلوب وهي مختلفة — على طاعته(٢)، وهو يناصح ربه ويهب أمواله للغير، وصارت حجته عالية، وحزبه حزب الله(٣). والملاحظ أن عناصر المدح عند الشاعر لم تكن متصلة بالدين فحسب ولا متجردة للدنيا، بل جامعة بينهما، وهو أمر ينبع عن التصور الاسلامي الذي يدعو اليه تعالى بقوله: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا»(٤)، فيقول ابن الجهم بمناسبة بيعة الواثق بالخلافة :

قد فَاز ذُو الدنيا وذوْ الدين
بدولة الواثق هَارون

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١١ .
(٢) راجع ديوان علي بن الجهم ص ١٥ .
(٣) راجع ديوان علي بن الجهم ص ١٦ .
(٤) القصص آية ٧٧ .

أفـــاض مـن عـدلٍ ومـــن نـائـل

مـا أحسن الدنيا مـع الدين (١).

وبمثل هذا المعنى مدح المتوكل إذ يقسم بالله على حسن قيام المتوكل بأمر الدين والدنيا فيقول :

لا والــــذي يُعـرفُ بالعقـــــول

مـــن غيـر تحديدٍ ولا تَمثيل

مَـــا قَـام للّـــــه وللرســـول

بـالديـــن والدنيا وبالتنزيلِ

خليفةٌ كجعفرِ المأمولِ (٢)

وتأتي مدائح الشاعر في المتوكل كثيرة غزيرة، تحتل ربع ديوانه وتبلغ اثنتي عشرة قصيدة ،وتمثل ألواناً متنوعة سياسياً ودينياً واجتماعياً وذاتياً شخصياً (٣) فقد وجد الشاعر في الخليفة الامام المنتظر – لا تفاقهما في الرأي والمذهب ،وتشددهما في التسنن – فأكثر في مدحه وتفنن فيه ومن أوائل مدائحه ما قاله لما بويع حيث جعله أنور من الشمس حسناً، ومدحه بالفصاحة والفروسية والكرم والبأس الشديد في الحروب فقال :

وقائـــلٍ أيـهمـــا أنـــورُ

الشمسُ أم سيِّدنـــا جعفرُ

قلـــت: لقـــد أكبـرتَ شمسَ الضحى

جهـلاً ومَـا أنصفتَ من تذكرُ

هـل بقيـــتْ فيـــك مجوسيـــةٌ ؟!

فالشمـــسُ في ملتهـــا تكبــرُ

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٨ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٦ .

(٣) راجع علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٠٣ .

أحسنُ خلقِ اللهِ وَجهاً إذا
بَدا عليهِ حُلةٌ تُزهرُ

وأخطبُ الناسِ عَلى منبرٍ
يختالُ في وَطأتهِ المنبرُ

وَتطربُ الخيلُ إذا ما عَلا
مُتونَها فالخيلُ تَستبشرُ

وترجفُ الارضُ بأعدائهِ
إذا عَلاهُ الدرعُ والمغفرُ

قالَ: وأينَ البحرُ من جوده ؟!
قلتُ: ولا أضعافُهُ أبحرُ

البحرُ محصورٌ لهُ برزخٌ
والجودُ في كفيهِ لا يحُصرُ

قال: وكيف البأس عند الوغى؟!
قلتُ: أتاكَ النبأُ الاكبرُ

قالَ وأهلُ الارضِ في رجفةٍ
يخبطُ فيها المقبلَ المدبرُ

فأمّرَ اللّهُ أمامَ الهُدى
واللّهُ من يَنصُرُه يُنصَرُ (١)

والقصيدة طويلة شرح فيها الشاعر خطة الخليفة في الحكم وسياسة الامة فكانت أشبه بما يسمونه اليوم بخطاب العرش، وحمل فيها على المعتزلة وغلاة الشيعة وغيرهم من أهل البدع والاهواء (٢)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧١ ، ويمثل هذه المعاني وصفه بالرحمة والبأس والكرم ص٣٤

(٢) راجع مقدمة ديوان علي بن الجهم ص ٣٤ .

ويتكرر مدح الخليفة بحسن الطلعة. فهي — في قصيدة أخرى — تجاوز الشمس والبدر تألقاً حيث يقول :

فتــى تسعـدُ الأبصارُ في حسنِ وجهـه
كمـا تسعـدُ الأيـدي بنائله الغمرُ

أليس إذا ما قاس بالشمــس وجهـهُ
وبالبدرِ قلنا خافٍ للشمسِ والبدرِ (١)

ثم يبدىء ويعيد بمدحه بالكرم والسخاء، فضلاً عن إسعادة الايدي، فهو يفرق شمل المال ولا يجمعه إلا لبذله حتى شبه القطر والندى بجوده الذي فاق سبعة أبحر :

وفـرق شمـل المالِ جـُـودُ يمينـه
على أنـه أبقى له أجمل الذكرِ

ولا يجمـعُ الأمـوال إلا لبذلهـا
كما لا يُساق الهدي إلا إلى النحرِ(٢)

وان قال ان البحر والقطر أشبها
نداه فقد أثنى على البحرِ والقطرِ

ولوقرنتْ بالبحرِ سبعةُ أبحـر
لما أدركت جدوى أنامله العشر(٣)

وفي القصيدة مديح له بغيرته الاسلامية ، وقتاله الملحدين والمنحرفين ، كما تتضمن معاني تتصل بسداد رأيه ورشاده .

وفي قصيدة ثالثة يمتدحه بحسن تدبيره الامور . وسخائه وحسنه وكماله وشجاعته المعتصمية (٤) وفي قصيدة أخرى قدمها في مرض الخليفة —

---

(١) ،(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٤ .

(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٤.

(٤) راجع ديوان علي بن الجهم ص ١٥٤ .

امتدح فيها عدله — ببيان الحال قبل خلافته ثم بعدها — فقد اطمأنت زلازل الشرق والغرب ، واستقرت الحوادث التي أخلت بالموازين وقلبتها ، فارعوى الظالم وكف الجاهل والله ناصره مادام متوكلا عليه :

ثمَّ لما أقالك الله للدِّيـن
وَصحَّتْ فروعُه والأصولُ

أنِسَ البُرد والقَضيب وَهـزَّ الـ
ملك عِطفَيه واستبانَ السَّبيلُ

واطمأنَّت زلازل الشَّرقِ والغَر
بِ وغاضَتْ عن الصُّدور الذُّحُولُ

واستقرتْ حوادثٌ ذلَّ فيها
عِزُّ قَومٍ وعَزَّ فيها الذليلُ

وارعَوى ظَالمٌ وكفَّ جَهولٌ
وأَظلَّ الوليَّ ظلٌ ظليلُ

فَهنيئا للملكِ صحَّة راعيـ
ـهِ وللدِّينِ عزه الموصولُ

حسبُكَ الله ناصرا اذْ توكلتَ
على اللهِ وَهْوَ نِعمَ الوكيلُ (٣)

ويتكرر ذكر توكله على اللهِ المشتق من اسمه — في مدحة خصه بها لانه كفء لها وهو يثأر لدين الله :

خُصَّت الخليفةُ جَعفرُ بـ
نُ محمَّدٍ بِشَنائهـا

مَازَالَ مُـذ وَليَ الخِلا
فَةَ وارتَدى بِردائهـا

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥ ويتكرر مدحه بالعدل والقوة والجود ص ١٢٦ .

متوكلا فيها على
من خصه بسنائها
تدنيه أمة أحمد
للثأر من أعدائها (١)

وأخيراً يمدحه بوراثته الارض ، وأن الخلافة تشتاق اليه سريراً ومنبرا وقد غنما به . وأصبحت الايام كلها بوجوده أعيادا :

ياوارث الأرض الذي أصبحت
أقطارها من نوره تزهر
قد كان مشتاقاً إلى خطبة
منك سرير الملك والمنبر
ياشهر ذي الحجة قد أصبحت
تشبهك الأيام والأشهر (٤)

وقد كان من امتداد مديحه شعره العباسي والسني مما سبقت دراسته ..

٢ ـ الهجاء :

يقوم الهجاء على فكرة تجريد المهجو من القيم والمثل والاخلاق ، والكشف عن عيوبه ونقائصه بقصد اهانته والازراء به ، وهو على انواع شخصي وسياسي واجتماعي وديني . والصنف الأخير يعتمد على التعريض بالعقيدة الفاسدة والمذهب المنحرف القائم على الاهواء . وقد شاع هذا الاتجاه في شعر العصر العباسي الاول بتوجيه الاتهام للزنادقة والمنحرفين من أصحاب المذاهب الهدامة . وكان ـ في تكوين المجتمع وثقافته ـ مايدعو الى ذلك . فانتشار المجون والزندقة وانواع الشذوذ كان ـ كما

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٣٩ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٧ .

يقول الدكتور هدارة – يغري الشعراء بتضمين اهاجيهم مثل هذه الاتهامات الخطيرة (١) .

عرف ابن الجهم شاعرا هجاء كما يقول ابن المعتز (٢) ، وفي لسانه كما يقول المسعودي «فضل قلّ من سلم معه منه» (٣) ، «غير أن مكانة الشاعر وتسننه ، وتدينه وحياءه الذي كان يكفه عن كثير من القبائح .. عقل لسانه بعض الشيء – فلم يفرط في الهجاء افراطا يسلكه في عداد شعراء الهجاء الذين طبع شعرهم كله بهذا الطابع من أمثال دعبل وغيره (٤) ، وإن كانت تنتابه – أحياناً – حمية جاهلية تطغى على ماطالما تمدح به من التدين والأخذ بآداب السنة (٥) ، وبواعث الهجاء – عنده – تتصل بـالخصومـات السياسية ، والخصومات المذهبية ، الدينية ، والخصومات الشخصية ، والتملح والتظرف (٦) .

ومما نلمسه من الآثار الاسلامية في هجاء الشاعر على ، ماجاء في جوابه لابي طالب الجعفري الذي هجاه هجاء موجعا ، فلم يجبه ابن الجهم ، وأرسل أبو طالب يعتذر اليه فكتب اليه الشاعر :

لم تذقني حلاوةَ الانصـــــــافِ
وتعسَّفْتني أشدَّ اعتســــافِ

وتركتَ الوفاءَ جهـــلا بمـــا فيـ
ـه فأسرفتَ غايةَ الاســـرافِ

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٢٦.
(٢) طبقات الشعراء ص ٣٢٠ .
(٣) مروج الذهب ٤١٣/٢ .
(٤) علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٤٠ .
(٥) ديوان علي بن الجهم المقدمة ص ٣٨ وراجع ق ٤٠ ص ١٢٣ .
(٦) راجع علي بن الجهم حياته وشعره ص ١٤٠ .

غَيرَ أَني إذَا رَجعــــت إلــى حَــــــ

قَّ بني هَاشم وبنيِ عَبدِ مُنافِ

لَـم أَجدْ لي الى التشفّي سَبــــيــلا

بِقوافٍ ولَا بغيـرِ قَـــوافِ

لِيَ نَفسٌ تَأبَى الدنــيّـــةَ والأشـــ

رافُ لاتَعتَدي عَلى الأشرافِ (١)

وكأن الشاعر جعل للشرف والمكانة حقوقاً وموجبات دعته الى مثل هذا السلوك .. ومن طبيعة الشاعر خلال هذا الموقف نستبعد أن يكون للشاعر هجاء في علي (رضى الله عنه) مما اتهم به ، كما لم نجد لديه هجاءً لافراد أهل البيت أنفسهم ..

ومما وصل الينا من هجاء الشاعر مانقص به هجاء مروان الاصغر في مجلس المتوكل ، ونلمح فيه بعض الآثار الاسلامية إذ يقول فيه :

بَلاءٌ لَيــس يشــبهُــه بَـــلاءُ

عداوةُ غَيرِ ذي حَسَبٍ وَدينِ

يبيحكَ منه عِرضَاً لمَ يَصـــنـه

ويَرتَع منكَ في عِرضٍ مَصونِ (٢)

وقد عابه بقلة الدين ، كما عاب عمر بن الفرج الرخجي بكبره وبخله فقال فيه :

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما

تيه الملوك وأفعالَ المماليك

أردت شكرا بلا برٍّ ومرزئة

لقد سلكت طريقاً غير مسلوك

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٥٤ ، ونلمح هذه الروح في شعر أبي تمام راجع ديوانه ٢٩٦/٤

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٧ .

ظننت عرضاك لايُرمى بقـــارعـــة
ومأراك على حـــال بمتروك (١)

وعاب آخر بقلة العقل وشدة الغرور فقال : —

لَو كانَ عجبكَ مِثل لبِّك لم يـــكنْ
لكَ وَزن خَردلةٍ مـــن الاعجابِ

أَوكَان لبكَ مِثـلُ عَجبك لمَ يــكنْ
أَحَدٌ يَفوقُكَ مِن ذَوي الالبابِ(٢)

ويهجو على بن الجهم زيد بن منصور ببخله بطريقة ساخرة فيقول :

مَاكنت أَحسب أن الخبزَ فاكهـــةٌ
حتىَ نزلتُ عَلى زَيدِ بن منصورِ

الحابسُ الروث في أعفاجِ بَغلتِـــه
خَوفاً عَلى الحَبِّ من لقطِ العَصافيرِ (٣)

وكان من امتداد هجائه — في اطار الخصومات المذهبية الدينيه — شعره السنى خاصة ماورد منه في ابن أبي دؤاد ، وفي عبد الملك بن الزيات وغيرهما من أهل البدع والاهواء (٤) . وكان من امتداد هجائـه في إطار الخصومات السياسية شعره العباسي ..

٣ — **الرثاء:** يتضمن الرثاء معنى الندب والبكاء على الميت او التأبين بالثناء عليه وذكر مناقبه، والتعزية والمواساة، وتبرز المعاني الاسلامية واضحة جلية في المتوفى وذكر محامده وخصاله التي عرف بها شجاعة وكرماً ووفاء وسيادة.

وفي رثاء الشاعر الخليفة المتوكل يمتدحه بمعان تذكر بمدائحه له — حياً — مع ذكره لوقائع حادثة اخترام المنية له، وموقف جنوده منه، واشادته بموقف

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٦١، وراجع فيه ايضا ص ١٢٤ .
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١١٣ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٧ .
(٤) راجع فيهما ديوان علي بن الجهم ص ٨٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ وص ١١٨.

الفتح بن خاقان ، ثم حسرته على غيبة الطاهريين وهو يعزى بني هاشم على مصابهم ،ويذكر الاسباب التي أودت بالخليفة في اجتماع عصبة الزنادقة ، وبعد أهل النصح عنه ... ونقتطف بعض المعاني من قصيدته الطويلة حيث يقول :

بَنُو هَاشِمٍ مثل النّجوم وإنّمَا
مُلوك بَني العبّاسِ منها سعُورُها

بَني هَاشِمٍ صبْراً فكلٌّ مُصيبة
سيَبلى علَى طُولِ الزَّمانِ جَديدُها

عَزيزٌ علَينا أنْ نَرى سَرَواتكم
تُفَرّى بأيدِي الناكثينَ جلُودُها

فيا ناصرَ الاسلامِ غَرَّكَ عُصبةٌ
زَنادقَةٌ قَدْ كُنتَ قَبل أذودُها

أشاعَ وزيرَ السُوءِ عنكَ عجايباً
بها في كلِّ أرضٍ مُشيدُها

وبَاعدَ أهلَ النُصحِ عنكَ وأوغرت
صُدورُ المَوالي واستسّرتْ حقودها

فَطُلَّ دَمٌ ماطُلَّ في الارضِ مثلُهُ
وكانت أمورٌ ليسَ مثلي يُعيدُها (١)

والقصيدة ـ كما هو ملاحظ ـ تنم عن مودة الشاعر ووفائه الكبير للخليفة. وفي رثاء الشاعر لعبدالله طاهر نلحظ الاثر الاسلامي كذلك حيث يجعله من أركان الاسلام والظل الظليل والحمى العزيز . وقد مات الشاعر بموته . وان كان عبدالله حياً دائم الاحسان والانتقام فيقول:

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٦٢ ــ ٦٤ .

أيُّ ركنٍ وهى مــن الاســلام
أَيُّ يومٍ أخنــى على الأيامِ

سَلَبَتْنا الأيامُ ظِـلاً ظَليلا
وأَباحـت حِمىً عَزيزَ المرامِ

نَحنُ مُتْنا بموتهِ وأجلُّ الـ
ـخطبِ موتُ السّاداتِ والأعلامِ

لَم يمتْ والاميرُ طاهرُ حَيٌّ
دائمُ الانتقامِ والإنعامِ

وَهو من بعدهِ نظامُ المَعالي
وَقوام الدُّنيا وسيفُ الإمامِ (١)

٤ ـ الغزل : تنوعت أصناف الغزل في العصر العباسى ، فتميز أحدها بالعفة والحفاظ والمودة الدائمة، والتجرد عن الشهوات وتجنب المنكرات، وقدعبر شاعرنا في غزله عن هذه المعاني فهو يجعل الهوى من الخلق الكريم لانه سجية لا تسمو اليها همم اللئام فيقول :

خليليَّ الهَوى خُلُقٌ كريمٌ
تُقصّرُ عنهُ أخلاقُ اللئامِ

وَفاءً إنْ نأتْ بالجارِ دارٌ
وَرَعياً للمَودةِ والذِّمامِ (٢)

وفي قصيدته الرصافية يذكر صاحبته ظلوم. ويجري حوار بينهما يكشف فيه عن خلقه المتميز بالستر والحفاظ والادب الجم. ويرد على سوء ظن صاحبته به التي تتوقى ذيوع أمرها واشتهاره فيقول:

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٥.

وَمـا أنسَ لا أنســى ظلــومَ وقولهــا
لجارتِهــا: ما أولعَ الحبَّ بالحر

فقالــتْ لهـا الاخرى: فما لصديقنـا
مُعَنّىً وهَلْ في قتله لك من عذر؟!

فقالــت: أداري الناسَ عنــه وقلّمـا
يَطيبُ الهوى إلا لمنهتكِ السترِ

وايقنتـا أن قــد سَمعــتُ فقالتـا:
من الطارق الساري إلينا ولا ندري؟!

فقلت: فتــىً إن شئتمـا سَتَر الهوى
وإلا فخـلاّعُ الاعنّةِ والعذرِ

عَــلى أنه يَشكــو ظلــومَ وبخلهـا
عليه بتسليمِ البشاشـةِ والبشـرِ

فقالــت: كأنّــا بالقــوافي سوائــراً
يَرِدنَ بنا مصرا ويصدرن عن مصر

فقلــت: أسأتِ الظنَّ بي لستُ شاعــراً
وان كانَ أحياناً يجيشُ بهِ صدري

صِلي واسألي مــنْ شئتِ يخبرك أنني
على كلِّ حالٍ نعمَ مستودعُ السرِّ(١)

اقتباسه من الكتاب والسنة :

سبق في دراسة حياة الشاعر علي بن الجهم أن وقفنا على نشأته وثقافته، وما تميز به من دين متين وعقيدة سليمة، وخلق رفيع وأدب جم .. ثم وقفنا مرة أخرى على أغراض الشاعر الاسلامية البارزة، ثم أخيراً على آثار الاسلام في أغراضه التقليدية العامة.

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٣ ، وراجع ص ١٢٩ في معنى التزامه الود ، وراجع ص ١٠٨ .

ولعل مما يكمل صورة الشاعر الاسلامية الوقوف على ظاهرة بارزة في شعره، وهي اقتباسه الواسع من معاني القرآن الكريم والسنة المشرفة، وتضمينها في شعره، وقد ورد — فيما سبق — شيء من ذلك بصورة عرضية.

والظاهرة الشاخصة في ديوانه كثرة استخدامه الالفاظ والمصطلحات الاسلامية فأشعاره مشحونة بمثل هذه المفردات: الله، الرسول، الدين، كتاب الله، الطهر، الصلاة، الصيام، الحجيج، ذو الحجة، مكة، المقام، السقاية، الجنة، النار، المحشر، الشورى، المنبر، الفرض، البدعة والبدع، السنّة، الاعتزال، الروافض، التشيع، المجوسية النصارى، الكفر، الفتنة، الردة، الذنب، صفر. ومن الاعلام القرآنية داود عليه السلام)، وابو بكر الصديق (رضى الله عنه)

وفي قصيدة واحدة وهي التاسعة من ديوانه تدور هذه الكلمات والمفردات الاسلامية: الجبار، الامام، الخلافة، المسلم، الزنادقة، النصارى، الكافر، الملحد، سليمان وشياطينه سجدا(٢) ..

ومن شعره الظاهر الاقتباس من القرآن الكريم قوله في مدحه للمتوكل:

فأمرُ الله إمام الهدى
والله مَن ينصُرُهُ يُنصَرُ

وفوض الأمرَ الى ربّه
مُستنصراً إذْ ليس مُستنصَرُ

إنّي توكّلتُ على الله لا
أشركُ بالله ولا أكفرُ

أشكُرُه إنْ كُنتُ في نعمة
منه وإنْ أذنَبْتُ استغفرُ

(١) راجع ديوان علي بن الجهم ص ٧١ .

فليس توفيقي إلا به
يعلمُ ما أُخفي وما أظهر

وانفضّت الاعداءُ من حوله
كحُمر أنفرها قسورُ (١)

فالبيت الاول يتضمن قوله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » (٢) ، والبيت الثاني يتضمن قوله عز وجل : « وأفوض أمري الى الله »(٣) ، ومعنى التوكل في البيت الثالث يرد في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة .. » (٤) ، ومعنى الشكر على النعمة والاستغفار من الذنب الذي ورد في البيت الرابع يتردد في القرآن كثيراً منها قوله تعالى : « فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله » (٥) ، وقوله تعالى : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » (٦) ، وقد ورد معنى الشكر على النعمة — بصورة أصرح — بمواضع اخرى من ديوانه كقوله :

فشكراً لأنعُمه إنَّه
إذا شُكرتْ نعمةٌ جدّدا (٧)

وهو يطابق قوله تعالى : « واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم .. » (٨)
وفي البيت الخامس يأتي معنى استمداد التوفيق من الله على حد قوله تعالى :

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٧٤ .
(٢) سورة الحج آية ٤٠ .
(٣) سورة غافر آية ٤٤.
(٤) سورة هود آية ٥٦ وراجع يوسف آية ٦٧.
(٥) سورة النحل آية ١١٤ وراجع سبأ آية ١٥.
(٦) سورة النساء آية ١١٠ وراجع آل عمران آية ١٣٥ .
(٧) ديوان علي بن الجهم ص ٧٩ وراجع ص ١٢٧.
(٨) سورة ابراهيم آية ٧ .

« وما توفيقي إلا بالله » (١) والشطر الثاني من البيت نفسه يتصل بعلم الله بما نخفي وما نظهر ، وقد ورد في آي القرآن الكريم نحو قوله تعالى : « ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن » (٢) . وفي الشطر الثاني من البيت الاخير يقتبس قوله تعالى : « فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُر مستنفرة فرت من قسورة »(٣).

وتشيع مفردات القرآن الكريم وألفاظه في مواطن كثيرة من شعر علي بن الجهم . وتتردد صفات الله تعالى في شعره . فهو اللطيف الخبير . وهو نعم المولى ونعم النصير يقول ابن الجهم :

كان يبلوك بالرجاء وبالخو
ف اختبارا وهو اللطيفُ الخبيرُ

ثُمَّ ولاك ناصراً لك مولا
ك فنعم المولى ونعم النَّصيرُ (٤)

وهو الناصر والوكيل يقول علي :

والله ليس بغافل عن أمره
وكفى بربِّك ناصراً ووكيلا (٥)

بل هو نعم الوكيل :

حَسبكَ اللهُ ناصراً إذ توكلـ
ـت على الله وهو نعم الوكيل (٦)

---

(١) سورة هود آية ٨٨.
(٢) سورة ابراهيم آية ٣٨ وراجع آل عمران آية ٢٩.
(٣) سورة المدثر آية ٥١ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٣٦ وراجع قوله تعالى الملك آية ١٤ والحج آية ٧٨.
(٥) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٣ وراجع قوله تعالى في النساء الآية ٨١ ، ١٣٢ .
(٦) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥ وراجع آل عمران آية ١٧٣

والله بالغ أمره واليه المرجع :

والله بالغ أمره في خلقه
واليه مرجعنا غداً والمورد (١)

ومن صفاته تعالى مراقبته التي جاءت في قوله تعالى : « إن ربك لبالمرصاد »(٢) وقد ضمن الشاعر هذه الآية فقال :

فذق الهوان معجلاً ومؤجلا
والله رب العرش بالمرصاد (٣)

والظاهرة الواضحة الملفتة للنظر أن أكثر اقتباسه وتضمينه لآي القرآن الكريم يرد في اغراضه الاسلامية الخالصة ، كما نجد ذلك في شعره المذهبي والعباسي والاخلاقي ، فكأنه بذلك يبغي المواءمة بين معانيه وأغراضه الشعرية ، ومن هذا القبيل قول الشاعر في اثبات عباسيته :

نحن أشياعكم من أهل خراسا
ن أولو قوة و بأس شديد (٤)

وفيها تضمين لقوله تعالى : « قالوا نحن أولو قوة وألو بأس شديد » (٥) .

وفي مجيء الخليفة على القدر الموافق له تشابه بمن تم ميقاته فنزلت عليه النبوة مما ورد في قوله تعالى « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ..» (٦) ، ومن آثار الآية كان قول الشاعر :

فلما كملت لميقاته
وقاد الأمر إذ قادا (٧)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٤٧ وراجع قوله تعالى في الطلاق آية ٣.
(٢) الفجر آية ١٤ .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٩ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٣٤ .
(٥) سورة النمل آية ٣٣ .
(٦) سورة الاعراف آية ١٤٣.
(٧) ديوان علي بن الجهم ص ٧٨.

وقد ورد في معانيه الخليقة — التي عبر فيها عن أدب النفس الرفيع في العزة والمنعة والترفع — ماكان مقتبساً من القرآن الكريم .. فمن ذلك حسن ختامه لرائعته اللامية التي قالها مجرداً بالشاذياخ حيث يقول :

ولَيَعلَمُنَّ إذا القلوبُ تكشّفتْ
عنها الأكنّةُ من أضلُّ سبيلا..؟ (١)

والمعنى قريب من قوله تعالى « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا» (٢) وفي معنى التوكل على الله والضراعة اليه يبث حزنه اليه تعالى كما قال تعالى عن أبي يوسف (علية السلام) : « إنما أشكو بثى وحزني الى الله » (٣) في هذا المعنى يأتي قول الشاعر ابن الجهم :

و لِمْ لا أشتكي بثّى و حُزني
إلى مَنْ لا يَصَمّ عن النداءِ (٤)

ويستعين الشاعر في تجربته التعليمية بالقرآن الكريم — خاصة وقد جعله من مصادره التي نص عليها في مستهل الارجوزة — فيحيل اليه في الامور التي وضحها القرآن الكريم وفصلها فيقول في قصة آدم وحواء :

غرَّهما أبليس فاغترا به
كما أبان اللهُ في كتابه (٥)

ثم يقول عن توبة آدم :

و لمْ يَزلْ مُستغفراً من ذنبه
حتى تلقّى كلماتِ ربه (٦)

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٤ .
(٢) الفرقان آية ٤٢ .
(٣) يوسف آية ٨٦ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢.
(٥) ديوان علي بن الجهم ٢٢٩ وراجع سورة الاعراف آية ٢٢
(٦) ديوان علي بن الجهم ص ٢٢٩ وراجع البقرة آية ٣٧ .

ويقول في مدة دعوة نوح (عليه السلام) كما قال تعالى عنه :

فـأرسل اللهُ اليهـم نُـوحـا
عَبـدا لمـن أرسلـه نَصوحـا

فعـاش ألفاً غَيـر خَمسين سَنَـه
يَـدعـُو الى الله وتمضي الأزمنة (١)

ومثل ذلك تأتي اشارته الى اسحق ويعقوب (عليهما السلام) بما ورد في الكتاب عنهما حيث يقول :

وعَجبـت سـارةُ لمّـا بـشـرت
بـه فصكّـت وجهَهَـا وذعـرت

قالـت : وأنّـى تلـدُ العـجـوزُ
قيـل : إذا قـدّره العـزيـز (٢)

ثم يقول :

فكان مـن قصة يَـعقـوب النـبي
مـا ليـس يَخفـى ذكـرُهُ في الكتب

قـد أفـرد اللّـهُ بـذاك سـورةً
معروفةً بيوسفٍ مشـهـورة (٣)

وفي معاني شعره الحماسي يقتبس — بمناسبة الانتصار في ارمينية — من سورة الفيل التي سجلت نصر الله على ابرهة باغي الهدم للكعبة المشرفة فيقول:

تَـرفَضُ عَـن خُـرطُومـه الـطّويل
صَـواعقٌ من حَجَر السِّجّيل

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٢ وراجع العنكبوت آية ١٤ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٦ وراجع الذاريات آية ٢٩ وهود آية ٧٢ .

(٣) ديوان علي بن الجهم ص ٢٣٧ والاشارة إلى سورة يوسف واضحة .

تَتَـرِكُ كيـد الـقـوم فـي تَضليـــل
ما كان إلا مثلُ رجْع الفيـل (١)

وبمناسبة النصر المؤزر الذي تم على المازيار وصف حال الناس قبل هذه الفتنة المستعصية فقال :

وقـدْ كَادتْ تَـزيغُ قُـلـوبُ قَـــوم
فَأبرأت القلوبُ من السّقام (٢)

والاقتباس واضح من قوله تعالى : «من بعد ما كان يزيغ قلوب فريق منهم» (٣)

ومما اقتبسه من القرآن الكريم في رثائه الخليفة المتوكل الذي قبض وكان الموت محتماً عليه قوله :

لَعـزّ عَـلى أيـدي المَنـون اخترامُـهُ
وانْ كان مَحتوماً عليه وُرُودُها(٤)

والمعنى يوافق الآية الكريمة : «وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً» (٥)

وآثار القرآن الكريم في ديوانه من الكثرة والاستفاضة ما يتعذر معه ايراد النصوص كلها. وفيما سبق من الشواهد مغنى وبلاغ (٦)

ومن آثار السنة المطهرة في شعره ما ورد في شعره الذي يدعو إلى مكارم الاخلاق الذاتية في الجود والسخاء حيث يؤكد زيادة المال ونمائه بالعطاء فيقول :

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٧٦ والاشارة إلى سورة الفيل واضحة.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٩
(٣) التوبة آية ١١٧ .
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٦١.
(٥) مريم آية ٧١ .
(٦) راجع ديوانه في العصر الجميل ص ٢٢ ، وزوال الجبال ص ٢٣، وخشوع الوجود ص ٨٨ ، وخفض الجناح ص ١٧٨ ، وآية للسائلين ص ١٨٥

وليس يبيد مال من نوال
ولا يؤتى سخي من سخاء

كما أن السؤال يذل قوماً
كذاك يعز قوماً بالعطاء (١)

والمعنى في البيت الأول وثيق الصلة بقوله (صلى الله عليه وسلم) : «ما نقصت صدقة من مال» (٢)

والمعنى في البيت الثاني ملابس لقوله (صلى الله عليه وسلم) : لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به، ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى» (٣) وقوله : «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم» (٤)

ومن آثار السنة المطهرة قوله :

ومع الصحة السقام وحال ال
عز مقرونة بحال صغار

ليس دار الدنيا بدار قرار
فتزود فيها لدار القرار (٥)

فكأنه يستقى المعنى من قوله (صلى الله عليه وسلم) : اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك .. » (٦)، والبيت وهو معنى يوافق اتجاه القرآن الكريم والسنة المطهرة (٧).

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٨٢.
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الاصح مسلم .
(٤) رواه الاصح مسلم .
(٥) ديوان علي بن الجهم ص ١٤٨ .
(٦) رواه الترمذي .
(٧) راجع باب فضل الزهد في الدنيا من كتاب رياض الصالحين ص ١٧٩ .

ومن أثر الحديث النبوي ماضمنه بعض هجائه لقوم سوء لم يحسنوا مودته فقال :

حَاجيتُكُمْ مَنْ أبوكمْ يَابَنِي عُصُبٍ
شتى ؛ ولكنما للعاهر الحجرُ (١)

وقد أخذ الشطر الثاني من قوله (صلى الله عليه وسلم) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » (٢).

وفي شعره يستخدم بعض مصطلحات أهل الحديث كالتحديث بالاسناد، وهي الطرق التي يروي بها الحديث كقوله في هجاء زعيم المعتزلة :

كمْ مَجلسٍ لله قد عَطّلته
كي لايحدّث فيه بالاسناد (٣)

ومن طريف شعره ماجاء متأثراً بالقضايا الفقهية كقوله :

ولي حبيبٌ أبداً مُولعٌ
بزورتي في وقت اعدامي

كالصيّد في الاحلال لا يرتمي
وهو كثيرٌ وقت احرام (٤)

وهو يريد بالبيت الثاني : كثرة الصيد غير النافع وقت الاحرام لعدم جواز صيده .

الالتزام في شعر علي بن الجهم :

يعتبر مفهوم الالتزام في الشعر من المفاهيم النقدية الحديثة التي برزت في الآداب الغربية . لكننا نجد اصول هذا المفهوم مرتبطة بمفهوم المسؤولية في الاسلام خلال أي القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة . والقواعد الاسلامية العامة (٥).

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٣٣ .
(٢) رواه الامام البخاري .
(٣) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٨ وراجع ص ١١.
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ١٨٢ .
(٥) راجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ص ٥٨٣ .

وقد صدر كثير من الشعراء عن هذا المفهوم في العصر الاسلامي والاموي والعباسي .. ونلمح آثار هذا الالتزام في شعر العصر العباسي الأول خلال شعر المذاهب الاسلامية الذي اتخذ اصحابه موقفاً واضحاً تجاه الخلافة . وقد تخصص بعض الشعراء والتزموا بهذا الاتجاه بالتعبير عن اتجاههم . كما ظهر ذلك لدى شعراء المذهب العباسي والشيعي . والمعتزلة واهل السنه .. وكان شعر الجهاد من صور الالتزام الصادقة إذ عبر عن مشاركة الشعراء الوجدانية بتسجيل الانتصارات ضد الروم في الخارج ، وضد الحركات المنحرفة في الداخل . وكأن الشعراء يقاتلون في ميادين القتال .. وتمثل الالتزام في شعر الاخلاق والآداب الاسلامية في مواقف الشعراء تجاه القيم والمثل الخلقية الرفيعة بالاعتداد بها والدعوة لها (١)

وقد برز معنى الالتزام لدى شاعرنا علي بن الجهم ، وكأننا به الشاعر الملتزم — كما يعبر النقاد المعاصرون — فقد انطلق مدافعاً عن القضايا المذهبية بايمان وقناعة وحماسة وشجاعة . وآية ذلك ثباته على موقفه على اختلاف الظروف وتغيرها ، ووفائه لمبدئه بالرغم من العقبات والمعوقات التي دفع ثمنها باهظاً . حيث نالته ألسنة الشعراء بالهجاء — كما ينقل الحميدي عنه — حيث يقول : « وقد أكثر الشعراء من هجائه لانحرافه عن أهل البيت »(٢).

ولم يكن ابن الجهم متكسباً مستجدياً في شعره . بل عبر عن اعجابه واكباره للخليفة . وجعل مديحه مقابل احسان الخليفة عليه ..

ومن ناحية أخرى لم يكن اعتزاز الشاعر بالتسنن — عند المتوكل — موقفاً عرضياً يتفق مع سياسة الخلافة — بل موقفاً ثابتاً اصيلا امتدادا لموقفه السابق . وهو يصدر في ذلك عن ايمان وقناعة . ملتزماً بالاتجاه والمذهب الذي رسمه — مما سبقت الاشارة اليه — لذلك لم يتوان عن هجاء رؤوس الاعتزال ، وان كانت الظروف صعبة لاتعين على ذلك . وهو في ثباته على المذهب بين الشعراء

(١) راجع التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الاول ص ٥٨٥.
(٢) الإبانة ص ١٨٩ .

أشبه بثبات الامام احمد بن حنبل بين الفقهاء.

ونجد روح الاخلاق والآداب الاسلامية مهيمنة على ديوان الشاعر ، ونلحظه يبدو من خلالها بين آن وآخر ، ويطل علينا ضمن أغراضه الشعرية كلها ، ولا عجب أن يوافق قوله سلوكه فقد كان — كما سبق — مثلا صالحاً وقدوة حسنة.. فحرصه — على التمساك بالاخلاق — كبير وان كان ذلك أمراً شاقاً بالغ الصعوبة :

ولم تَدعِ الحياءَ لمَسِّ ضُرٍّ
وبَعضُ الضُرِّ يذهب بالحياء (١)

وهو يظهر التأثم من الحرام — خوف الوقوع فيه ، فيجتنب شرب الخمر ويقول :

وإياكما والخمر لاتقرباها
كفى عِوَضاً عنها الشرابُ المعسلُ (٢)

وقد رضي الشاعر بالسجن مقاماً واستهان به واستعلى عليه حفاظاً على حرمة نفسه ، وعزتها ومتعتها .. ووجدنا في نفسه الكبيرة رغبة عالية في تلبية داعي الجهاد للقتال في الثغور — حين دعا الأمر الى ذلك — وقد وافته منيته وهو بهذا العزم وعلى هذه النية الصالحة.

ولا يعني تحقق الالتزام لدى الشاعر تجرده عما يخل بهذا المفهوم تمام التجرد لان طبيعة الحياة العباسية وظروف الشاعر الخاصة لم تدعه على حاله ، ومن أجل ذلك تنكب الطريق السوي ردحاً من زمن فتوته خاصة وهو يتقلب في بلاط الخليفة ، وبعد استرداد حريته التي ضاعت طويلا ، فأقبل على لذات الحياة معوضاً عما فاته ، ولكن المهم أن حياة الشاعر في جملتها ، وأغراضه الشعرية الخاصة والعامة تعكس اتجاهاً واحداً لدى الشاعر . وتبرز التزامه للفكرة والمبدأ الذي آمن به وجاهد من اجله ، وهو الاسلام .

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٨٣.

(٢) ديوان علي بن الجهم ص ٧٠ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .. والسنة المشرفة .
- الابانة عن مساوىء المتنبي : العميدي .
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : د. محمد مصطفى هدارة ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م .
- الأغاني : أبو الفرج الاصبهاني : ط مصورة عن دار الكتب بالقاهرة دون تاريخ .
- البداية والنهاية : ابن كثيرة سنة ٧٧٤ ط مكتبة المعارف بيروت. النصر بالرياض سنة ١٩٦٦م .
- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي سنة ٤٦٣هـ ط السعادة : الخانجي بمصر سنة ١٩٣١م .
- تاريخ الطبري (الرسل والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ .
- ديوان علي بن الجهم تحقيق الاستاذ خليل مردم بك ط٢ لجنة التراث العربي بيروت لبنان دون تاريخ .
- شعر مروان بن ابي حفصة : جمعه وحققه د. حسين عطوان ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ .
- طبقات الحنابلة : محمد بن أبي يعلى ت سنة ٥٢٧هـ تحقيق محمد حامد فقي ط السنة المحمودية بالقاهرة .
- طبقات الشعراء لابن المعتز سنة ٢٩٦هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م .
- العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ط٤ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م .

- علي بن الجهم حياته وشعره : د. عبد الرحمن الباشا ط دار المعارف بمصر .
- العمدة لابن رشيق القيرواني سنة ٤٥٦ ط٢ المكتبة التجارية الكبرى مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٥م .
- الكامل لابن الاثير سنة ٦٣٠هـ ط دار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٦٧م.
- مروج الذهب : المسعودي سنة ٣٤٦هـ تحقيق محي الدين عبد الحميد ط التحرير، بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .
- معجم الشعراء : المرزباني سنة ٣٨٤هـ ط القدسي، القاهرة سنة ١٣٥٤هـ.
- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي. ونسك. ط
- المنهج الاحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد : مجير الدين العلمي سنة ٩١٨ تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد .ط المدني القاهرة سنة ١٩٦٣م .
- الموشح، المرزباني سنة ٣٨٤هـ تحقيق علي البجاوي ط دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥م .
- وفيات الاعيان : ابن خلكان سنة ٦٨١ تحقيق إحسان عباس ط بيروت

الزجاج النحوي في تخليط المؤرخين

«القسم الثاني»

الدكتور محمد صالح التكريتي
كلية التربية — جامعة بغداد

شهدت حاضره الخلافة في القرن الثالث للهجرة صراعاً حاداً بين الطبقات والاجناس والمذاهب ، خواص وعامة ، عرب واعاجم ، فقهاء ومحدثين. نحويين بصريين وكوفيين... الخ

وضمّت بغداد في النصف الثاني من ذلك القرن طائفة من النحويين واللغويين كان من مُشهريهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد البصري (ت ٢٨٥هـ) وأبو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب الكوفي (ت ٢٩١ هـ) ، وابو اسحاق ابراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت ٣١١ هـ) الذي تلمذ على الشيخين السابقين.

وكان الزجاج في مستهل حياته العلمية قد درس علوم العربية على شيخ الكوفيين ثعلب وظل ملازماً له حتى برع . وبلغ منزلة تؤهله للمناظرة والجدل في علم الكوفيين حصل هذا في بغداد قبل ان يلقى المبرد.

وتشاء الاقدار أن يهجر المبرد سامراء بعد مقتل الخليفة ويتجه الى بغداد

(١) نشر القسم الاول تحت هذا العنوان في المجلد الثاني من مجلة كلية الاداب — جامعة الرياض عام ١٩٧١ — ١٩٧٢ م .

وهنا يلقاه الزجاج ، فتسير حياة الأخير في مجرى آخر.

قال الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) :

« اخبرني اسماعيل (١) من حفظه قال :

لما قتل المتوكل بسرَّ من رأى رحل المبرد الى بغداد ، فقدم بلداً لا عهد له بأهله ، فاختلَّ ، وادركته الحاجة ، فتوخّى شهود صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره ، وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبّب له القول فلم يكن عند مَن حضره علم . فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفسّر ، يوهم بذلك أنه قد سُئل . فصارت حوله حلقة ، وابو العباس يصل في ذلك كلامه .

فتشوّف أبو العباس احمد بن يحيى الى الحلقة ، وكان كثيراً مايرد الجامع قومٌ خراسانيون من ذوي النظر ، فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم ، فاذا تبصر بهم ثعلب أرسل من تلاميذه من يفاتشهم (٢) ، فاذا انقطعوا عن الجواب انفض الناس عنهم . فلما نظر مَن حول أبي العبّاس أمر ابراهيم بن السّري الزجاج وابن الحائك(٣) بالنهوض ، وقال لهما: فُضّا حلقة هذا الرجل. ونهض معهما مَن حضر من أصحابه . فلما صارا بين يديه قال له ابراهيم بن السّري: أتأذن — اعزّك الله — في المفاتشة؟ فقال له ابو العباس: سَلْ عمّا أحببتَ ، فسأله عن مسألة فأجابه فيها بجواب أقنعه . فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متعجّباً من تجويد أبي العباس للجواب. فلما انقضى ذلك قال له ابو العباس : أقنعت بالجواب؟ فقال : نعم. فإن قال لك قائل في جوابنا هذا: كذا ، ما أنت راجع اليه؟ وجعل ابو العبّاس يُوهّن جواب المسألة

---

(١) هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون المعروف بأبي علي القالي ، ولد سنة ٢٨٠ هـ ودخل بغداد سنة ٣٠٥ واخذ عن مشايخ عصره ثم ارتحل إلى الاندلس سنة ٣٢٨ هـ ، وكان الزبيدي راوي القصة احد تلاميذه . توفي سنة ٣٥٦ هـ. طبقات النحويين واللغويين ١٨٥

(٢) المفاتشة : المناظرة والاستقصاء في البحث .

(٣) هو هارون بن الحائك الضرير من ابرز تلاميذ ثعلب وكان يوزن بميزان شيخه في النحو انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٥١ ، وبغية الوعاة ٣١٩/٢ .

ويفسده ويعتلّ فيه؛ فبقي ابراهيم سادراً لايحير جواباً، ثم قال: إن رأى الشيخ — أعزه الله — أن يقول في ذلك؟ فقال ابو العبّاس: فإن القول على نحو كذا، فصحّح الجواب الاول، وأوهن ما كان أفسده به، فبقي الزجاج مبهوتاً، ثم قال في نفسه: قد يجوز أن يتقدم له حفظ هذه المسألة واتفاق القول فيها، ثم يتفق إذا سأله عنها.

فأورد عليه مسألة ثانية، ففعل ابو العباس فيها بنحو فعله في المسألة الاولى حتى والى بين اربع عشرة مسألة، يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع، ثم يفسد الجواب، ثم يعود الى تصحيح القول الاول.

فلما رأى ذلك ابراهيم بن السّري قال لأصحابه: عودوا الى الشيخ، فلست مفارقاً هذا الرجل، ولابد لي من ملازمته، فعاتبه أصحابه، وقالوا: تأخذ عن مجهول لا تعرف اسمه، ولا تدع من قد شُهر علمُه، وانتشر في الآفاق ذكره! فقال لهم: لستُ اقول بالذكر والخمول ولكني أقول بالعلم والنظر. قال: فلازم أبا العباس، وسأله عن حاله، فأعلمه برغبته في النظر، وانه قد حبس نفسه على ذلك إلا ما يشغله من صناعة الزجاج في كل خمسة أيام من الشهر، فيتقوّت بذلك الشهر كله، ثم اجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً. وأمره أبو العباس باطّراح كتب الكوفيين. ولم يزل ملازماً له، واخذا عنه، حتى برع من بين أصحابه. فكان ابو العباس لا يُقرىء أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على إبراهيم ويصحح به كتابه. فكان ذلك اول رياسة أبي اسحاق...» (١).

ترك الزجاج شيخه الاول ثعلب، ولم يعد إليه على الرغم من معاتبة أصحابه له، واستنكارهم أن يأخذ عن مجهول لايعرف اسمه.

لقد بهره هذا المجهول بغزارة علمه، وثاقب فكره، وجودة اسلوبه، وتلك ضالّته، وهو لايقول بالذكر والخمول، ولكن يقول بالعلم والنظر فلماذا يعود الى الشيخ!؟.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٠٩ — ١١٠.

واشتدت المنافسة بين نحويين المدرستين بعد حادث تحول الزجاج متخذة — احيانا — صوراً من التقوّل والتزيّد كان للكوفيين نصيب وافٍ منها . دفاعاً عن مكانتهم العلمية والاجتماعية ، تلك المكانة التي هدّدها البصريون ، كما كان لحسّاد الزجاج ومخالفيه في المذهب الفقهي والكلامي نصيب منها ليس بالقليل .

ولقد عالج القسم الاول من البحث شيئاً من تلك الصور التي عرضت الزجّاج النحوي على غير حقيقته ، تضمّنته روايتان ، رددها المترجمون خلف عن سلف ، وشغلت صحائف من كتبهم ، احداهما رواها الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) قال :

«أخبرني علي بن أبي علي ، أخبرني أبي ، حدثني أبو الحسّين عبد الله بن احمد بن عباس القاضي ، حدثني أبو اسحاق ابراهيم بن السّري الزجاج ، قال : كنتُ أؤدب القاسم بن عبيد الله وأقول له : إن بلّغك الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي ؟ فيقول : ما أحببتَ ، فأقول له : تعطيني عشرين ألف دينار ، وكانت غاية أمنيتي ، فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة ، وأنا على ملازمتي له ، وقد صرتُ نديمه فدعتني نفسي الى إذكاره بالوعد ثم هبته . فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي : ياأبا اسحاق لم أرك أذكرتني بالنذر ! فقلت : عولتُ على رعاية الوزير أيده الله ، وأنه لايحتاج الى إذكار انذر عليه ، في أمر خادم واجب الحق . فقال لي : إنه المعتضد ولولاه ماتعاظمني دفع ذلك اليك في مكان واحد ، ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث فاسمح لي بأخذه متفرقا . فقلت : ياسيدي أفعل . فقال : اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار ، واستجعل (١) عليها . ولاتمتنع من مسألتي شيئا

(١) « الجعل بالضم : ماجعل للانسان من شيء على الشيء يفعله ، وكذلك الجعالة بالكسر.» الصحاح : جعل . « وأجعلت لفلان فعمل لي كذا أي بينت له جعلا . وفلان يجاعل فلانا : يصانعه برشوة » اساس البلاغة : جعل .

تخاطب فيه ، صحيحاً كان أو محالا ، الى أن يحصل لك مال النذر ، قال : ففعلت ذلك ، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها ، وربما قال لي : كم ضمن لك على هذا ، فأقول : كذا وكذا ، فيقول : غبنت هذا يساوي كذا وكذا ، ارجع فاستزد ، فاراجع القوم فلا أزال أماكسهم (١) . ويزيدونني حتى أبلغ الحد الذي رسمه ، قال : وعرضت عليه شيئا عظيما ، فحصلت عندي عشرون الف دينار وأكثر منها في مُديدة فقال لي بعد شهور : ياأبا اسحاق حصل مال النذر ؟ فقلت : لا ، فسكتَ وكنت أعرض فيسألني في كل شهر أو نحوه ، هل حصل المال ؟ فأقول لا ، خوفا من انقطاع الكسب الى أن حصل عندي ضعيف ذلك المال ، وسألني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل ، فقلت : قد حصل ذلك ببركة الوزير . فقال : فرجت والله عني ، فقد كنت مشغول القلب الى أن يحصل لك ، قال : ثم أخذ الدواة ووقّع لي الى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة ، فأخذتها ، وامتنعت أن اعرض عليه شيئا ، ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من غد جئته وجلست على رسمي (٢) . فأومأ إليّ : هات مامعك يستدعي مني الرقاع على الرسم (٢) ، فقلت : ما أخذت من أحد رقعه لان النذر قد وقع الوفاء به ، ولم أدر كيف أقع من الوزير ، فقال : ياسبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئا قد صار لك عادة ، وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه ، وغدو ورواح الى بابك ، ولايعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي ، أو تغيّر رتبتك ، اعرض عليّ على رسمك ، وخذ بلا حساب فقبّلت يده وباكرته من غد بالرقاع ، فكنت

---

(١) «المكس : الجباية ... والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ... وفي الحديث : لايدخل صاحب مكس الجنة ... والمماكسة في البيع انتقاص الثمن واستحطاطه » اللسان : مكس .

(٢) يقال : رسمت له أن يفعل كذا فارتسمه اي فامتثله . اساس البلاغة واللسان : رسم . والمراد هنا : الطريقة والعادة الجارية .

أعرض عليه كل يوم شيئا الى أن مات ، وقد تأثلت حالي هذه» (١) .

تلكم هي الرواية، وفيها مافيها من الغرابة والإدهاش، فالزجاج مفتون بحب المال، وغاية مايتمناه عشرون الف دينار، وهو يحل ماحرّم الله من الرشوة، فيأكل اموال الناس بالباطل، وهو يكذب ليستمر في أكل السحت ويظل يكذب حتى التخمة.وتصير الرشوة عادة متأصلة عنده، ويصبح بسببها قبلة الناس، وله عندهم منزلة وجاه، وإلى بابه غدو ورواح.

ومما يزيد في خطورتها تواترها بوجه يلفت إليه أنظار الباحثين : قد يحملهم على الاخذ بمضامينها ،فهي مسطورة — كاملة أو مختصرة — عند الكثير من المؤرخين والمترجمين كابن الجوزي (٢)وياقوت (٣)والقفطي (٤) وابن خلكان (٥) وابن كثير(٦) والسيوطي (٧) وابن العماد (٨) وغيرهم .

والغريب أن أولئك المؤرخين لم يفعلوا شيئاً إزاءها، فقد لاذوا بالصمت حيالها،لكأني بهم سكنوا على مضض وهم يجدون الزجاج من اهل الفضل والدين المتين، حسن الاعتقاد وجميل المذهب .

ولقد افضى بي البحث بعد تحقيق وتمحيص إلى دحض ماتضمّنته الرواية، وإثبات أنها محض اختلاق.

والرواية الاخرى : اوردها الخطيب أيضاً بعد فراغه من سرد الرواية السابقة، وهذه تجعل من الزجّاج رجل دعابة وعبث، يتملّق القاسم الغِلّيم،وإليك نصّها قال الخطيب :

---

(١) تاريخ بغداد ٦/٩٠ — ٩٢.

(٢) المنتظم ٦/١٧٧ .

(٣) معجم الادباء ١/٤٨ .

(٤) إنباه الرواة ١/١٦٠ .

(٥) وفيات الاعيان ١/٣٢ .

(٦) البداية والنهاية ١١/١٤٨ .

(٧) بغية الوعاة ١/٤١١ .

(٨) شذرات الذهب ٢/٢٥٩ .

«أخبرنا ابو الجوائز الحسن (١) بن علي بن ماريّ الكاتب الواسطي حدّثني ابو القاسم علي بن طلحة بن كردان (٢) النحوي، قال:

سمعت أباعلي الفارسي يقول: دخلت مع شيخنا أبي اسحاق الزجاج علي القاسم بن عبيدالله الوزير، فورد إليه خادم وسارّه بشيء استبشر له، ثم تقدم إلى شيخنا أبي اسحاق بالملازمة إلى أن يعود، ثم نهض ،فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك لأنس كان بينه وبينه ،فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لاحدى المغنيات فسمتها أن تبيعني إياها، وامتنعت من ذلك، ثم أشار إليها أحد من نصحها بأن تهديها إليّ رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلما وردت اعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشراً لافتضاضها، فوجدتها قد حاضت، فكان مني ماترى ، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب

فارس ماضٍ بحربته
حاذق بالطعن في الظلم

رام أن يدمي فريسته
فاتقته من دم بدم » (٣)

تلك هي رواية الخطيب اوردها بالسند، وليس من شك في أن واحداً من الرواة المذكورين أوغيرهم ممن يتميّز قلبه غيظا وحقداً على الوزير القاسم بن عبيدالله، وأبي اسحاق الزجاج كان يتعمد تلويث سمعة الرجلين باختلاق

(١) ابو الجوائز هذا تلميذ ابن كردان النحوي الواسطي قال ياقوت ، « حدث ابو الجوائز الحسن بن علي بن باري الكاتب الواسطي،قال: اجتمع معنا في حلقة شيخنا أبي القاسم علي بن كردان النحوي سيدوك الشاعر ونحن في الجامع بواسط بعد صلاة الجمعة ... » معجم الادباء ٢٢٧/٥ .

(٢) نحوي واسطي المولد والدار ، صحب ابا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني ، وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، والواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي . مات سنة ٤٢٤ هـ. معجم الآدباء ٢٢٦/٥ ، وبغية الوعاة ١٧٠/٢ ، رقم الترجمة ١٧١٥ .

(٣) تاريخ بغداد ٩٢/٦ .

مثل هذه القصص ،ولا استبعد صدورها عن نحوي بائس حاسد أوشعوبي موتور .

واوردها بعد الخطيب كل من ابن الجوزي (١) وياقوت (٢) والقفطي (٣) ، وابن خلكان (٤) وابن العماد (٥) . سردوها من غير وقفة عندها، أو تنبه إلى ما فيها من تخليط، لكن التحقيق أثبت انها كذب وافتراء بالأدلة الآتية:

١ ــ ولد أبو علي الفارسي في احدى المدن الفارسية سنة ٢٨٨هـ (٦).

٢ ــ توفي الوزير القاسم بن عبيدالله في بغداد سنة ٢٩١هـ في خلافة المكتفي(٧).

٣ ــ دخل الفارسي بغداد لاول مرة سنة ٣٠٧ هـ في خلافة المقتدر (٨) .

فكيف يدخل الفارسي مع شيخه الزجاج على الوزير القاسم وهو لم يدخل بغداد إلا بعد وفاة الوزير بست عشرة سنة ؟!.

ويعالج هذا القسم شيئا آخر من تلكم الصور تضمنته روايتان اخريان تناقلتهما الكتب، اولاهما أوردها القفطي في ترجمة الزجاج، قال «وذكر أبو القاسم الحسن بن (٩) بشر الآمدي الاصل البصري المنشأ احد أئمة الادب، قال: حدثني أبو اسحاق الزجاج، قال:

---

(١) المنتظم ١٧٨/٦ .

(٢) معجم الادباء ٥٠/١ .

(٣) إنباه الرواة ١٦٢/١ .

(٤) وفيات الاعيان ٣٢/١ .

(٥) شذرات الذهب ٢٥٩/٢ .

(٦) انظر : ابو علي الفارسي ٥٣ ، ٥٤ ، وسنة الولادة محققة .

(٧) انظر : مروج الذهب ٢٨١/٤ ، والمنتظم ٤٦/٦ ، وتاريخ الكامل ١٨٦/٧ ، والبداية والنهاية ٩٨/١١ .

(٨) انظر : ابو علي الفارسي ٥٤ ، ٥٧ ، وظهر الاسلام ٢٤٣/١ .

(٩) الحسن بن بشر الآمدي كاتب ، أديب ، شاعر له مصنفات عديدة منها : الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، والمختلف والمؤتلف في اسماء الشعراء ، توفي سنة ٣٧١ هـ . انباه الرواة ٢٨٥/١ ، معجم الادباء ٥٤/٣ ، وبغية الوعاة ٥٠٠/١ .

كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيدالله نشرب – وهو وزير – فغنّت بدعة جارية عريب:

أدلّ فأكرم به من مدلّ
ومن ظالم لدمي مستحل

اذا ما تعزّز قابلته
بذل وذلك جهد المقلّ

فأدّت فيه صنعة حسنة جدا، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً لجودة الصنعة والشعر، وأفرط، فقالت له بدعة: يامولاي: إن لهذا الشعر خبراً حسنا، أحسن منه، قال: وماهو؟ قلت هو لأبي خازم القاضي، قال: فعجبنا من ذلك من شدّة تقشف أبي خازم وورعه وتقبّضه، فقال الوزير: بالله ياأبا اسحاق إركب إلى أبي خازم، واسأله عن هذا الشعر وسببه، فباكرته..» (١)

ما من شك في أن قارىء الرواية سيتخيّل صورة المجلس الليلي، العامر بالشراب والطرب، ويعتقدان أن الزجاج يتساقى الكؤوس بصحبة الوزير القاسم ابن عبيد الله، فالليل والشراب والغناء والطرب – كما جاء في الرواية – تُوحي بذلك .

وهذه عبارة (نشرب) على لسان الزجاج واضحة لا غبار عليها، وعبارة (أفرط) بعد البيتين على لسان القاسم توحي بالإفراط في الشرب والطرب على حد سواء .

إن تلك الرواية لو وردت مرة واحدة لهان الامر، لكن القفطي اعادها – بما تضمّنته من قول الزجاج (نشرب) – في الجزء نفسه من كتابه في ترجمة الآمدي(٣) . وأوردها ياقوت كذلك في ترجمة الآمدي(٢) .

(١) إنباه الرواة ١/١٦٥ . وللقصة بقية، وفيها ان الزجاج ذهب الى القاضي المذكور وسأله عن سبب قول البيتين فاطلعه القاضي عليه .

(٢) انباه الرواة ١/٢٨٥ .

(٣) معجم الادباء ٣/٥٥ .

ان الشرب منسوباً الى الزجاج هو موضوع التقوّل، وموضع التحقيق فمن أين للقفطي تلك الرواية؟ وهو لم يذكر مصدرها.

لقد وجدتها مأخوذة من كتاب (نشوار المحاضرة) للمحسن التنوخي الكتاب الذي تحدثنا عنه وعن مؤلفه في القسم الاول من هذا البحث بما يغني عن اعادته. وصفوة ما قلناه ان مادة الكتاب، وطريقة التأليف، ودوافع المؤلف، والغمرات والمحن التي حلت به كل أولئك صيّرت النشوار قائماً على اساس غير قويم، وأثبتنا بالادلة القاطعة بطلان الاخذ منه والاعتماد عليه ونص الرواية في النشوار يختلف اختلافاً جوهرياً عن نص القفطي وياقوت قال المحسن:

«حدّثني ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي كاتب القضاة من بني عبد الواحد بالبصرة، وله شعر جيد حسن واتساع تام بالادب ورواية له وحفظ، وكتب مصنفة فيه، قال:

حدّثني أبو اسحاق الزجاج قال: كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله (١) وهو وزير، فغنت جاريته بدعة: (البيتين). فأدّت فيه صنعه حسنة، فطرب القاسم عليه طربا شديدا، واستحسن الصنعة والشعر، وأفرط (٢) في وصف الشعر، فقالت بدعة: يا مولاي: إن لهذا الشعر خبراً أحسن منه، قال: ماهو؟ قالت: هو لأبي حازم القاضي، قال: فعجبنا من ذلك مع شدة تقشف أبي حازم ...» (٣) الى آخر القصة

هذه الرواية هي الاصل، ومع أني لا أثق بكلام المحسّن التنوحي، ولا آخذ به للاسباب التي أشرت إليها سابقاً، فنحن لا نجد في روايته عبارة (نشرب) الدالة على السكر. وهي موضوع التقوّل، كما لانجد كلمة (أفرط) مجزورة توحي بالافراط في الشرب والطرب، وعليه فان الزجاج بريء مما نسُب اليه من الشرب.

(١) انظر الى هذا الموضع فعبارة (نشرب) لاوجود لها.

(٢) كلمة فرط هنا لاشبهة حولها.

(٣) نشوار المحاضرة ١/٥٠.

ويبدو أن العبارة الاولى مدسوسة بتعمّد، ولن أتهم القفطي، ولا ياقوت، وأغلب الظن أنها من فعل الحُسّاد والانداد، نساخاً كانوا أم نحويين.

والرواية الثانية : اوردها ابن النديم (١) وهي توضح سبب اتصال الزجاج بالخليفة المعتضد، واوردها بعده القفطي (٢) وياقوت (٣)،قال ابن النديم:

«ثم ارتفع الزجاج وصار مع المتعضد يعلّم أولاده، ومع عبيد الله بن سليمان أولا . وكان سبب اتصاله بالمتعضد أن بعض الندماء وصف للمتعضد كتاب (جامع النطق)الذي عمله محبرة النديم واسم محبره محمد بن يحيى بن أبي عباد ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد محابر بن يزيد (٤) بن الصباح العسكري ، وكان حسن الادب، ونادم المتعضد، وجعل كتابه جداول، فأمر المتعضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول، فبعث الى ثعلب وعرضه عليه، فلم يتوجه الى حساب الجداول، وقال: لست اعرف هذا، فإن أردتم كتاب العين فموجود ولا رواية له، وكتب (٥) الى المبرد أن يفسرها ، فأجابهم بانه كتاب طويل يحتاج الى شغل وتعب، وأنه قد أسنّ(٦) ، وضعف عن ذلك، فان دفعتموها (٧) الى صاحبي ابراهيم بن السّري رجوت أن يفي بذلك، فتغافل القاسم عن مذاكرة المتعضد بالزجاج (٨) حتى ألحّ عليه المعتضد فأخبره بقول ثعلب والمبرد، وأنه أحال على الزجاج بذلك (٩) ففعل القاسم، فقال الزجاج:أنا أعمل ذلك على غير نسخة ولا نظر في جدول،

---

(١) الفهرست ٩٦ .

(٢) إنباه الرواة ٣/٣٣٢ .

(٣) معجم الادباء ١/٥٧ .

(٤) الانباه والمعجم : جابر بن زيد .

(٥) المعجم : فكتب ابن عبيد الله الى المبرد .

(٦) المعجم : قد كبر .

(٧) الانباه والمعجم : وإن دفعتموه .

(٨) انباه : باسم الزجاج لانه كان مشتغلا بتعليم اولاده حتى .

(٩) إنباه : فتقدم المعتضد إليه بالتقدم الى الزجاج بذلك .

فأمر بعمل البتاني(١) ، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكّري وغيرهما لانه كان ضعيف العلم باللغة ، ففسد البتاني كله (٢) وكتبه بخط الترمذي الصغير (٣) أبي الحسن، وجلده وحمله الوزير الى المعتضد (٤) فاستحسنه وأمر له بثلاثمئة دينار، وتقدم إليه بتفسيره كله، ولم يخرج لما عمله الزجاج نسخة الى أحد إلاّ الى خزانة المعتضد(٥) .

قال محمد بن اسحاق (٦) : ثم ظهر في بقيات السلطان هذا التفسير متقطعاً، ورأيناه وهو في طلحي (٧) لطيف. قال : وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء ثلاثمئة دينار» تلك هي الرواية كما اوردها ابن النديم وياقوت والقفطي، وربما أنهى القارىء قراءتها من غير أن يستوقفه شيء مألوف فيها ، فأخبارها تبدو متآلفة لاول وهلة، وشخوصها معروفون، ذلك ان المعتضد والقاسم والمبرد وثعلب، والسكري والزجاج مشهورون جميعاً، ولكن بالتأمل والتمحيص تتجلى للباحث أمور غريبة .

لقد وقفت عند الرواية وسألت نفسي كيف ظهرت بتلك الصورة؟ وكم لساناً أسهم في ايجادها، ونقلها حتى وصلت بصورتها الى ابن النديم المتوفى (سنة ٣٨٥هـ) ؟ .

---

(١) الانباه والمعجم : فأمره بعمل الثنائي .

(٢) الانباه والمعجم : ففسر الثنائي كله .

(٣) إنباه : بخط الزيدي الصغير وجلده .

وقد ذكر ابن النديم ترجمة قصيرة لهذا الخطاط في موضع آخر من كتابه ، وسماه الترمذي الصغير ، قال :

«الترمذي الصغير واسمه ... احمد بن ابراهيم اللغوي استاذ أبي العباس ثعلب ويكنى ابا الحسن ، وخطه يرغب فيه ولامصنف له» الفهرست ١٢٥ .

(٤) الانباه والمعجم : وحمله الى الوزير ، وحمله الوزير الى المعتضد .

(٥) المعجم : خزانة المعتضد ووزيره .

(٦) هو ابن النديم نفسه مورد الرواية .

(٧) لم اعثر على معنى مناسب في المعجم لكلمة «طلحي» هنا فلعل فيها تصحيف ويفهم منها أن التفسير كان في جزء لطيف او شبه ذلك .

تحقيقها

بتحليل مضمون الرواية يتبين ما يأتي :

١ — ذكرت الرواية أن تفسير الكتاب اللغوي حدث في خلافة المعتضد وخلافة هذا بين (٢٧٩هـ — ٢٨٩هـ) (١) .

٢ — وان التفسير حدث في وزارة القاسم بن عبيد الله، ووزارة هذا بين (٢٨٨هـ — ٢٩١هـ) (٢) .

فيكون حدوث التفسير على وجه التحديد بين سنتي (٢٨٨، ٢٨٩هـ) وهي الفترة التي قضاها القاسم وزيراً للمعتضد ..

٣ — ذكرت الرواية أن القاسم ارسل الى ثعلب والمبرد يطلب منهما تفسير الكتاب ، أما ثعلب فلا اعتراض لنا عليه، لانه ادرك وزارة القاسم للمعتضد ، وتوفي سنة ٢٩١هـ(٣) .

وأمّا المبرد فمستحيل أن يرسل اليه القاسم في تلك الفترة لانه توفي سنة ٢٨٥هـ(٤) .

٤ — قال الراوية : « فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري(٥) وغيرهما لانه كان ضعيف العلم باللغة» .

---

(١) انظر : معجم الانساب والاسر الحاكمة ٣/١ ، ٧ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٢١٢/٥ ، . ووفيات الاعيان ٨٦/١ ، ومعجم الادباء ١٣٣/٢

(٣) انظر : تاريخ بغداد ٣٨٧/٣ ، ونزهة الالباء ١٥٧ ، وإنباه الرواة ٢٤٧/٣ .

(٤) هو الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن ... ابو سعيد السكري ، راوية ثقة مكثر وكان صدوقا يقرأ القرآن ، واغلب المصادر تذكر انه ولد سنة ٢١٢ هـ وتوفي سنة ٢٧٥ هـ . انظر : نزهة الالباء ١٤٥ ، ومعجم الادباء ٦٢/٣ ، وبغية الوعاة ٥٠٢/١ . وقال القفطي بعد ذكره سنتي الولادة والوفاة السابقتين : «وذكر ابن قانع انه مات في سنة ٩٠ هـ ، والاول اقرب الى الصحة ، والله اعلم» إنباه الرواة ٢٩١/١ ورأينا من المناسب ذكر الرواية الآتية في ترجمة السكري لصلتها بموضوعنا ، قال ياقوت : =

في النص السابق امور تدهش ! اذ كيف يستعير الزجاج كتب اللغة في سنتي ٢٨٨ ، ٢٨٩هـ من السكري ومعظم المصادر تنص على ان هذا توفي سنة ٢٧٥هـ .

وكيف يستعير الزجاج كتب اللغة من ثعلب !؟ أيصح هذا الكلام ؟ أولا يثير الدهشة ويدعو إلى الاستغراب ؟ ومن الذي ترك ثعلباً في حلقته ولم يعد إليه ولازم المبرد ؟ انه الزجاج ، وهو القائل لاصحابه :

عودوا إلى الشيخ فلست مفارقاً هذا الرجل ولابد لي من ملازمته.

ثم إن شيخه الجديد قدم له نصيحة لتزداد الصلة بينهما قوه ، بل «أمره ابو العباس باطّراح كتب الكوفيين» فأنّى لي أن اصدق قول الرواية «فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب ..» . هذه واحدة . وأخرى هي ان ابا إسحاق خطأ ثعلبا في فصيحه ، وكان لتلك التخطئة أثر بالغ سيء في سمعة كتاب الفصيح ، قال ياقوت :

«أنبأنا يزيد بن الحسن الكندي عن أبي منصور الجواليقي عن المبارك الصيرفي عن علي بن أحمد الدهان عن عبد السلام بن حسن البصري قال : كتب إليّنا أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي من الموصل قال : قال ابو اسحاق بن السّري الزجاج (رح) :

= «حدث ابو الكرم خميس بن علي الحوزي ... قال : قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد ، فحضر أبي زكريا الفراء ، وهو يومئذ شيخ الناس بها ، فاحلى الفراء باباً في التصغير (وتذكر الرواية ان الفراء شرح مسألة واستشهد لها ، فأخطأ في رأي السكري لكن الاخر انتظر حتى انفض المجلس ولم يبقى سوى الفراء فتقدم السكري الى أبي زكريا وصحح له الرواية قائلا) : ليس هكذا أنشدناه أشياخنا ، قال الفراء : ومن أشياخك قال : أبو عبيدة وابو زيد والأصمعي ...» ويعقب صاحب المعجم بعد الخبر بقوله : «قال المؤلف ياقوت بن عبد الله :
هكذا وجدت هذا الخبر في أمالي الحوزي ، وهو ماعلمت من الحفاظ ، إلا انه غلط فيه من وجوه ، وذلك ان السكري لم يلق الأصمعي ولا أباعبيدة ولا أبا زيد وانما روى عن روى عنهم كابن حبيب وابن أبي أسامة والخراز وطبقتهم ، ثم إن السكري ولد في سنة ٢١٢هـ وابو عبيدة مات ٢١٩ ، وابو زيد مات سنة ٢١٥ والاصمعي مات في ٢١٣ أو ٢١٥ فمتى قرأ عليهم وهذه الجماعة المذكورة هم في طبعة الفراء ، لان الفراء مات في سنة ٢٠٧ ، ولعل هذه الحكاية عن غير السكري ، واوردها خميس عنه سهواً ، واوردتها أنا كما وجدتها ...» معجم الادباء ٦٢/٣ — ٦٣ .

دخلت على أبي العباس ثعلب رحمه الله في أيام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ،وقد أملى شيئا من المقتضب ، فسلمت عليه وعنده أبو موسى الحامض ، وكان يحسدني حسداً شديداً ويجاهرني بالعداوة ، وكنت ألين له واحتمله لموضع الشيخوخة ، فقال لي أبو العباس : قد حُمل إليّ بعض ماأملاه هذا الخلدي (يعني المبرد) (١) ، فرأيته لايطوع لسانه بعبارة ، فقُلت له : إنه لايشك في حسن عبارته اثنان ، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك . فقال : مارأيته إلا ألكن متغلّقا . فقال أبو موسى الحامض : والله إن صاحبكم ألكن ، يعني سيبويه ، فأحفظني ذلك ، ثم قال : بلغني عن الفراءانه قال : دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه ، فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة ، فأتيته فاذا هو أعجم لايفصح سمعته يقول لجارية له : هاتِ ذيك الماء من ذاك الجرّة ، فخرجت من عنده ولم أعد إليه .

فقلت له : هذا لايصح عن الفراء ، وأنت غير مأمون في هذه الحكاية ولايعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئا ، وكيف تقول هذا لمن يقول في اول كتابه : هذا باب علم ما الكلم من العربية (٢) ، وهذا يعجز عن ادراك فهمه كثير من الفصحاء فضلاً عن النطق به فقال ثعلب : قد وجدت في كتابه نحواً من هذا ، قلت : ماهو ؟ قال : يقول في كتابه في غير نسخة : حاشا حرف يخفض مابعده كما تخفض حتى، وفيها معنى الاستثناء (٣) ، فقلت له : هذا كذا في كتابه وهو صحيح ، ذهب في التذكير الى الحرف ، وفي التأنيث الى الكلمة . قال : والأجود أن يحمل الكلام على وجه واحد . قلت : كل جيد ، قال الله تعالى : (ومن يقنت منكن

(١) زيادة من المزهر .

(٢) أول باب في كتاب سيبويه .

(٣) في الكتاب ٣٧٧/١ طبعة بولاق «وأما حاشا فليس باسم ولكنه حرف يجر مابعده كما تجر حتى مابعدها وفيه معنى الاستثناء» .

لله ورسوله ويعمل صالحاً) وقرىء : وتعمل صالحاً . وقال عز وجل : (ومنهم من يستمعون إليك) ذهب الى المعنى ، ثم قال (ومنهم من ينظر اليك) ذهب الى اللفظ ، وليس لقائل أن يقول : لو حُمل الكلام على وجه واحد في الاثنين كان أجود لأن كلاًّ جيد .

فأمّا نحن فلا نذكر حدود الفراء لان خطأه فيه أكثر من أن يُعد ، ولكن هذا أنت عملت كتاب الفصيح للمبتدىء المتعلّم وهو عشرون ورقة أخطأت في عشرة مواضع منه . قال لي : اذكرها ، قلت : نعم ، قلت ...» (١)

وراح الزجاج يذكر تلك المواضع محتجا ، وفي نهايتها يقول : «فما قريء عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي ، ثم بلغنى أنه سئم ذلك . فانكر كتاب الفصيح أن يكون له»

فكيف لي أن اصدق ماذكرته الرواية من استعارة الزجاج كتب اللغة من ثعلب والزجاج لايثق بكتب الكوفيين ولابشيخهم ثعلب ؟ ! ولماذا لم يستعر الزجاج كتب اللغة من عالمه المبرد إن كان المبرد حيّاً ؟ ثم ايتفق قول النص «لانه كان ضعيف العلم باللغة» وقول الزجاج : «أنا اعمل ذلك على غير نسخة ولانظر في جدول» والجواب عن ذلك كلا ، لانه لو كان ضعيف العلم باللغة مااستطاع ان يقول بلهجة الواثق بنفسه ، والقادر على تنفيذ قوله : انا اعمل ذلك على غير نسخة ، ولا استطاع تفسير الثنائى كله كما جاء في الرواية .

ويلوح لي بعد تلك التساؤلات ان النص السابق «فاشمار الزجاج ...» مقحم في الرواية إقحاماً . دسّه كوفي محب لثعلب كاره للزجاج ، لان الكوفيين والحسّاد قد ناصبوا أبا اسحاق العداء .

(١) معجم الادباء ٥١/١ ، وانظر : المزهر ٢٠٢/١ ، والاشباه والنظائر ١٢٢/٤ .

وجدير بالذكر هنا ان عبارة النص «لانه كان ضعيف العلم باللغة» قد جاء ما يماثلها في رد ابن خالويه (١) على الزجاج منتصراً لثعلب في الفصيح . فهو يخطىء أبا اسحاق ، ويصوّب قول ثعلب ، ويعلل خطأ الزجاج بقوله : «لانه كان قليل العلم باللغة» (٢) .

٥ ــ ذكر القفطي الرواية بشكلها الثالث في ترجمة محبرة النديم (٣) وذكرها في ترجمة الزجاج بشكل آخر ، قال :

«وكانت درجة الزجاج قد ارتفعت ، ونادم المعتضد ،وسبب اتصاله به ان بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب (جامع النطق) الذي عمله محمد النديم وهو محمد بن يحيى بن أبى عباد ويكنى أبا جعفر، واسم أبى عباد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري ، وكان حسن الادب، ونادم المعتضد وجعل كتابه جداول ، فأمر المعتضد قاسم بن عبيدالله أن يتطلب من يفسر تلك الجداول ، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه ، فلم يتوجه إلى حساب الجداول ، وقال: لست اعرف هذا ،فاعطى للزجاج ففكّه، وتقدّم به وصارله رزق في الفقهاء ورزق في الندماء» (٤) .

ونحن نرى خلو الرواية ــ بشكلها الثاني ــ من ذكر الاضطراب الذي بيّناه ، فلم يرد ذكرٌ للمبرد ، بل لثعلب فقط ، وهذا صحيح زمنيا . ولم يستعر الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري اللذين ذكرنا بطلان الاستعارة منهما ، ولم يرد ذكر ضعف الزجاج باللغة فماذا يعني ذلك؟ أتنبّه القفطي إلى الاضطراب فعالجه؟ قد يكون ذلك.

---

(١) هو الحسين بن احمد نحوي لغوي مشهور ، سكن حلب واختص بسيف الدولة الحمداني وله مع المتنبي مناظرات ، له مصنفات عدة منها اعراب ثلاثين سورة من القرآن . توفي سنة ٣٧٠ هـ . انظر : بغية الوعاة ١/٥٢٨ .

(٢) الاشباه والنظائر ٤/١٣٠ .

(٣) إنباه الرواة ٣/٢٣٢ .

(٤) المصدر السابق ١/١٦٤ .

والنتيجة التى اخرج بها هى: أن ابا اسحاق فسرّ (جامع النطق) وصار عمله سببا في اتصاله بالمعتضد، وعُدّ التفسير أحد كتبه وسمى بـ(تفسير جامع النطق) الذي ذكره ابن النديم في جملة كتب الرجل، كما ذكره غيره من المترجمين، ويؤيدنى ان صاحب الفهرست رأى الكتاب رأي العين في بقيات السلطان.

أما كيفيّة التفسير فأميلُ إلى أنها حدثت بالشكل الثاني الذي أورده القفطي.

أسباب التقوّل:

أثبتنا بالتحقيق بطلان التقوّلات السابقة على الزجاج، ورب سائل يسأل: أمن دوافع لها؟ وهل هناك مايهيجها؟ وماشأن الناس بالزجاج؟ لقد نهضت أمامي جملة أسباب كلها أجوبة عن تلك الاسئلة، ورأيت من خلالها أن التقول على أبى اسحاق لم يقم اعتباطاً بل قام على اسس من اهمها المخالفة في المذهب النحوي والعداوة والحسد وهذا باب واسع رأيت أن اكتفى منه بالاشارات المقتضية، فأقول:

ان الزجاج في اول امره كان كوفيا محضا، لازم استاذه ثعلب شيخ الكوفيين، فبرز في حلقته، وبحلول المبرد البصري ارض بغداد، تحول الزجاج إليه ولازمه. وتلميذان آخران هما الاخفش الاصغر (١) والدينور (٢) كانا يتركان حلقة شيخهما ثعلب ويذهبان إلى حلقة المبرد للدراسة عليه. فكانت تلك الحوادث نذير خطر على الكوفيين وزعيمهم ثعلب «واخذت

(١) هو ابو الحسين علي بن سليمان قرأ على ثعلب والمبرد وغيرهما، وكان يحضر مجلس ثعلب ثم يقوم قبل انقضاء المجلس فيقول له ثعلب: الى أين ماارالك تعبر عن مجلس الخلدي يعني المبرد. انظر: معجم الادباء ٢/١٤٧.

(٢) هو أبو علي احمد بن جعفر النحوي زوج ابنة ثعلب، كان يخرج من منزله وهو جالس على باب داره، فيتخطى اصحابه، ويمضي ومعه محبرته ودفتره، فيقرأ كتاب سيبويه على محمد بن يزيد المبرد، فيعاتبه على ذلك أحمد بن يحيى ويقول: إذا رآك الناس تمضي الى هذا الرجل وتقرأ عليه يقولون ماذا فلم يكن يلتفت الى قوله. طبقات النحويين واللغويين ١٤٢، معجم الادباء ٢/١٤١.

تهدد مركزه العلمي بتأييد مركز أبي العباس المبرد في أوساط بغداد العلمية» (١).

وكان وجود المبرد في بغداد «نقطة تحول في تاريخ المدرسة الكوفية» (٢) فهل يقعد الكوفيون بلا حراك عن الخطر المحدق بهم؟ كلا. فقد هاجموا خصومهم وتعصّبوا عليهم «وكان من نتائج هذا أن اسرى ثعلب وأتباعه يبذلون جهوداً عظيمة في الترويج لمذهبهم، فقد كان ثعلب يحمل كثيراً على المبرد من جهة، ويُشيد بأشياخه الاولين من جهة اخرى» (٣) وبديهي بعد انصراف الزجاج عن شيخه الاول أن تنقلب رابطة المحبّة وحسن الظن بين الكوفيين والزجاج إلى كراهتهم إياه وعداوتهم له. فهذا ابو موسى الحامض يجاهره بالعداوة، قال ابو اسحاق: ((وكان يحسدني شديداً ويجاهرني بالعداوة، وكنت ألين له واحتمله لموضع الشيخوخة (٤)

وزاد من العداوة بين الكوفيين والزجاج تخطئته ثعلباً في فصيحه، فلهج الناس بالأخطاء حتى هم الشيخ بانكار كتابه. قال الزجاج:

«فما قُرىء عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي، ثم بلغني انه سئم ذلك فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له» (٥).

وحادثة أخرى مشهورة سعرت أوار العداوة هي فوز أبي اسحاق مندوب المبرد على منافسه هارون بن الحائك مندوب ثعلب في مناظرتهما أمام الوزير عبيد الله بن سليمان من أجل تأدب القاسم، المناظرة التي بسببها أودى هارون كمداً (٦).

---

(١) مدرسة الكوفة ١٤٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١٤٩، وفي هذه الصحيفة والتي بعدها امثلة من تعصب الكوفيين وانظر نزهة الالباء ٤٠.

(٤) النصان سبقا قبل صحائف في حادث تخطئة ثعلب.

(٥) انظر: طبقات النحويين واللغويين ١٥١.

ومن مظاهر العداوة أن الحامض كان يكيد أبا اسحاق ، قال الزجاجي: «حدّثني بعض اخواني قال : حضرت أبا اسحاق يوم الجمعة بعد الصلاة فاندسّ أبو موسى الحامض رجلاً غريباً بمسائل... » (١) .

وقد أجاب عنها الزجاج أجابات بارعة ، وكان في المجلس رجل يدعى المشرق ((فأخذ بياضاً وكتب من وقته :

صبراً أبا اسحاق عن قدرة
فذو النهى يمتثل الصبرا

واعجب من الدهر وأوغاده
فانهم قد فضحوا الدهرا

لاذنب للدهر ولكنهم
يستحسنون الغدر والمكرا

نُبِّئت بالجامع كلباً لهم
ينبح منك الشمس والبدرا

والعلم والحلم ومحض الحجى
وشامخ الاطواد والبحْرا

والديمة الوطفاء من سحبها
إذ الرُبى أضحت بها خُضْرا

فتلك أوصافك بين الورى
يأبين والتيه لك الكبرا

فظن جهلا والذي دسّه
أن يلمسوا العيّوق والغفرا

فأرسلوا النزر إلى غامر
وغمرنا يستوعب النزرا

---

(١) مجلس العلماء ٢٠٧ . وانظر : امالي الزجاجي ٢٤٣ .

فآلــــه أبـــاسحـــاق عـــن خـــامـل

ولاتضق منك به الصدرا ...» (١)

وتلك الابيات الصادرة بداهة تؤكد علوّ منزلة الزجاج العلمية والاجتماعية من جهة وتكشف عن المحاولات التي صدرت عن الكوفيين من اجل النيل منه وتقليل شأنه.

هذا مايخص التقوّل بسبب الخلاف في المذهب النحوي وأمّا مايخص التقول بسبب الحَد والعداوة فهذا محتمل جداً لان شهرة الزجاج العلمية والجاه والمال اللذين حصل عليهما من لدن الخلفاء والوزراء كافية في خلق عشرات الحُسّاد والمعادين ممن كانوا يطمعون في الوصول إلى منزلته الرفيعة.

فليس غريبا — بعد هذا — أن يتَقَوّل على الزجاج المتقوّلون.



(١) مجالس العلماء ٣١١ ، وأمالي الزجاجي ٢٤٦ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصـــادر

١ — أبو علي الفارسي ، عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، القاهرة ١٩٥٨ م.
٢ — الاشباه والنظائر ، السيوطي ، حيدر آباد ١٣٦١ هـ .
٣ — الأمالي للزجاجي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .
٤ — إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة . بسنوات مختلفة .
٥ — البداية والنهاية في التاريخ ، ابن كثير . مطبعة السعادة . مصر .
٦ — بغية الوعاة ، السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . مصر ١٣٨٤ هـ .
٧ — تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، القاهرة ١٩٣١ م .
٨ — تاريخ الكامل لابن الأثير ، القاهرة ١٢٩٠ هـ .
٩ — شذرات الذهب لأبن العماد الحنبلي ، القاهرة ١٣٥٠ م .
١٠ — طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٧٣ م .
١١ — ظهر الاسلام ، احمد أمين ، القاهرة ١٩٥٨ م .
١٢ — الفهرست لابن النديم ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .
١٣ — كتاب سيبويه ، طبعة منصورة عن طبعة بولاق ١٣١٦ هـ .
١٤ — لسان العرب لابن منظور ، طبعة مصورة عن الطبعة الاولى ببولاق.
١٥ — مجالس العلماء ، الزجاجي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون. الكويت ١٩٦٢ م .
١٦ — مدرسة الكوفة ، مهدي المخزومي . القاهرة ١٩٥٨ م .

١٧ ـ مروج الذهب ، المسعودي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٨ م .
١٨ ـ المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار إحياء الكتب العربية .
١٩ ـ معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسكي . مصر .
٢٠ ـ معجم الأنساب والأسر الحاكمة ، زانباور ، مصر ١٩٥١ م .
٢١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ابن الجوزي ، حيدر آباد ١٣٥٧هـ.
٢٢ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ابو البركات بن الانباري ، تحقيق ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٥٩ م .
٢٣ ـ نشوار المحاضرة ، المحسّن التنوخي (ج ١) تحقيق مرجليوث ، مصر ١٩٢١ م .
٢٤ ـ وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٤٨ م

واقعة الزلاقة كما صورها الشعر الأندلسي

الدكتور منجد مصطفى بهجت
كلية الآداب — جامعة الموصل

إن معركة تاريخية أندلسية، لم تحظ بعناية الشعراء على نحو ماحظيت به معركة الزلاقة إذ حفظت دواوين عدد من الشعراء ومجاميع أشعارهم، وكتب الأدب والتاريخ الأندلسيين قصائد وقطعاً شعرية تحدّثت عنها في ظروفها الأولى، وصورت ضرامها وأوارها، ورسمت معالمها العامة ونتائجها البارزة.

ولم تغفل الدّراسات الاندلسية تلك الاشعار التي نظمت فيها، بل كان وقوفها عابرا عارضا دون تأنٍ أوترو... لذلك رأيت أن أجلّي هذه الزاوية في تاريخنا الشعري، وابسط الحديث فيها من حيث أنها أبرز واقعة في تاريخ الاندلس عرض لها الشعر الأندلسي وهي تذكر بأخوات لها في اليرموك والقادسية.

ومما لاريب فيه ان للوقائع والمعارك الحربية دورا فعالا في تحفيز الملكات الفنية وفيض القرائح الشعرية في ادبنا العربي، على نحو مايربط ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) في طبقاته بين الوقائع والاشعار فيقول: «فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر ايامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وماذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا من له الوقائع والاشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم،

ثم كانت الرواة بعد (١) «ويقول في موضع آخر :« وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء .... والذي قلل شعر قريش أنّه لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف» (٢)

دارت وهي هذه المعركة في فحص الزلاقة (Sagraias) على أحد نُهيرات وادي آنه المسمى نهر جيربرو على بعد نحو اثني عشر كيلو مترا إلى الشمال الشرقي من مدينة بطليوس ،(٣) ونشبت في يوم الجمعة الموافق ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ (٤) ، وقد فصّل المؤرخون الحديث فيها .

كان سقوط طيطلة في محرم سنة ٤٧٨هـ نذيرا خطيرا من شر مستطير يتربصّ بالاندلس بعد ان تفككت قطعا وتفرقت اشلاء إلى نحو ست عشرة دويلة يحكم كل واحدة حاكم او امير .

وقد سبق سقوط طليطلة سقوط بربشتر في شمال الاندلس سنة ٤٥٦هـ، واقترن بسقوطها ويلات وآهات، تحكيها قصائد الشعراء، لقد وجد المؤرخون في سقوط طليطلة اكبر نكبة اصابت الاندلس بعد سقوط الخلافة في قرطبة، ولم يقتصر خطر الفونسو على ما حاق بطليطلة وماجاورها بل كان وجوده يهدد ملوك الاندلس ويقلق مضاجعهم ويتربص بهم الدوائر .

إن حالة التداعي والضعف التي كانت عليها ممالك الاندلس وتعاقب سقوطها بأيدي النصارى أدى إلى نشوء دعوتين متشابكتين في الأسلوب

(١) طبقات فحول الشعراء ٤٦/١ .
(٢) نفسه ٢٥٩/١ .
(٣) واقعة الزلاقة : ١٩ الروض العطار ٢٨٨ وفي معجم البلدان ١٤٦/٣ . أنها موضع قرب قرطبة ، وهو محض وهم ، في تحديد المكان ، وكان أول من حدد مكان الموقعة بالدقة زايبولد ثم اكد تحقيقه مخندث بيدال ، الحلة السيراء ١٠١/٢ عامل (١) .
(٤) ورد هذا التاريخ بمن نص رسالة كتبها يوسف بن تاشفين بعد المعركة ، المعتمد بن عباد ١٥٥ ، وقد جعله بعض المؤرخين منتصف رجب ، وجعله آخرون في رمضان ، التاريخ الأندلسي ٤٠٧ ، هامش (٢) .

والهدف، دعوة إلى توحيد ممالك الاندلس وتآزرها على دفع الخطر المهدد، واخرى إلى مناشدة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين وقد نهض بهما ملوك الاندلس وعلماؤها وقضاتها.

وكان ثمرة هاتين الدعوتين جواز ابن تاشفين وعبوره إلى الأندلس، والنصر الذي تحقق للمسلمين في الزلاقة، وكان ذلك بمثابة نهضة واستفاقة من سبات عميق كان يمكن أن ينتهي بالاندلس انتهاء مبرما .

بادر المعتمد بن عباد بالاستنجاد بالمرابطين ويقال (١): انه توجّه بنفسه إلى يوسف بن تاشفين. وتنقل المصادر الاندلسية نصوص رسائل المعتمد بن عباد في ذلك :

«ونحن أهل هذه الأندلس ؛ ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ولا أخيه ..... لذلك استنصرت بالله ثم بك لتجور لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحيون شريعة الاسلام» (٢)

لقد رأى الحميري (ت٦٦٦هـ) ان فساد الصلح بين المعتمد بن عباد والفونسو السادس كان سببا مباشرا في واقعة الزلاقة ، وساق تفصيلات ذلك (٣).

لاشك أن الزلاقة كانت مأثرة عظيمة تحفظ ليوسف بن تاشفين فضله ومكرمته وترد على المدعين الذين اثاروا الغبار حول صدر نواياه في الجواز الى الاندلس ، من ذلك ماعرف عن ابن تاشفين من صدق ايمان ، وايثار للجهاد في سبيل الله ، حتى إنه لما جاز البحر بلغه خبر موت ابى بكر ، وهو أكبر أولاده ، الا أنه احتسب ذلك لوجه الله ومضى الى المعركة (٤)

ثم إنّ قدومه الى الاندلس لم يتحقق الا بعد الرسائل الكثيرة التي تدعوه الذلك : «وكان يوسف بن تاشفين لاتزال تغد عليه وفود ثغور الاندلس

---

(١) روض القرطاس ٩٢ - ٩٣ ، المعجب ١٩٠ وعبارته «ولما كانت سنة ٤٧٩ وجاز المعتمد على الله البحر قاصداً مدينة مراكش الى يوسف بن تاشفين» الحلة السيراء ١٨٦/٢

(٢) الحلل الموشية ٣٣ نقلا عن واقعة الزلاقة المجيدة ١٦ .

(٣) الروض العطار ٢٨٨

(٤) الحلة السيراء ١٠٠/٢ .

مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والاسلام ، مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته ، فيستمع اليهم ... وترق نفسه لهم (١) .

كذلك تأكدت نواياه السليمة حين قفوله الى المغرب ، بعد قضائه على نفوذ الفونسو السادس وتطلعه الخير في ملوك الاندلس ، وأن مايقال غير ذلك . لايعدو القول الذي يشيع على السنة الناس (٢) .

لقد نالت هذه الواقعة نصيبها من العناية لدى المؤرخين حتى أن الحميري قال : «قد خالفت بشرح هذه الوقيعة شرط الاختصار لحلاوة الظفر في وقت نزول الهمم ووقوعها في الزمن الخامل .....» (٣)

ولسنا بصدد سياق تفصيلات تاريخية عن الواقعة (٤) ، وحسبنا منها مايشير الى اهمية الواقعة وما نحن بصدده هو الصّورة التى جلاّها الشّعر الأندلسي عن هذه الواقعة .

قال الحميري : «ولما دخل ابن عبّاد اشبيلية جلس للناس وهنّىء بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه .... (٥).

وقال ابن بسام : ((وقيل في يوم الجمعة أشعار سارت بالمغارب والمشارق)) (٦) وقد سمّت كتب التاريخ هذا العام ((عام الزلاقة)) (٧) .

---

(١) الروض العطار ٢٨٩ .

(٢) نفسه ٢٩١ ، وفي رسالة يوسف بن تاشفين بعد الواقعة يقول : «وأخلصنا المعتمد بن عباد نياتنا وسرائرنا» المعتمد بن عباد ١٥٨ .

(٣) الروض العطار ٢٩٢ .

(٤) من الوثائق المهمة التي لاغنى للدارس للواقعة عنها ، رسالة يوسف بن تاشفين الى تميم بن المعز بالمهدية ، بعد الواقعة ، جاءت في مخطوط (لاعنوان له) بمكتبة الاسكوريال رقم ٤٨٨ ، نشرها د . صلاح خالص في كتابه المعتمد بن عباد ١٥٢ ، كما نشرها محمد عبد الله عنان من دول الطوائف ٤٣٣ .

(٥) الروض العطار ٢٩٢ .

(٦) الذخيرة ٢/٢٤٤ .

(٧) البيئة الأندلسية ٢٩٨ .

ولابد أن ننوه هنا الى مهمة القصيدة الشعرية ، ودور الشاعر في مثل هذه الوقائع والفرق بينه وبين المؤرخ الذي يعنى ويحرص على أن يلم بجميع تفاصيل الواقعة ومجرياتها ، على حين نجد أن القصيدة الشعرية تمثل انعكاس تلك الواقعة في نفس الشاعر واللقطات الخالدة منها ، ومبلغ تفاعله معها والانطباعات التى تطبعها في روحه ، والشاعر أمين في نقل مشاعره إزاءها — في الاحوال العادية — ، كما أن المؤرخ أمين في تسجيل تفصيلات الاحداث التاريخية ومن خلال هذا التصور سيتّخذ البحث مساره ، ويشرع منهجه .

إن الشّعر الأندلسي كان نظيرا لشقيقه المشرقي في نزوعه الى الفخر والاعتزاز بخوض المعارك وشهودها والبلاء فيها ، وهو شعور يتصل في جذوره الأصيلة بمفهوم الإيمان بقدسية الجهاد ، الذي هو من الفرائض الإسلامية ذات المكانة السامية ، والأشعار في هذا الباب اكثر من أن تحصى. يكفي أن نسوق في هذا المجال ، ما رآه المقرى في أبيات ابن خفاجة التي يقول فيها :

يا أهل أندلس لله دركم
ماءٌ وظل وأنهارٌ واشجارُ
ما جنةُ الخُلد الا في دياركم
ولو تخيّرت هذا كنتُ اختار
لاتَحسَبوا في غدٍ أن تدخلوا سَقَرا
فليسَ تَدخلُ بعدَ الجنة النّارُ

لقد وجد السبب في فخر ابن خفاجة بالاندلس ، واختصاصها بهذه المرتبة التى تضارع فيها ما أعد الله لعباده من جنان الخلد يوم القيامة، لكونها موطن جهاد ، ومقارعة للعدو وجلاد والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : ((الجنة تحت ظلال السيوف)) (١)

(١) نفح الطيب ١/٦٨٠ وفي أبياته روايات متعددة .

وحين نحاول حصر الاشعار التى قيلت في الزلاقة نجد ان جل القصائد التى قيلت فيها جاءت ضمن قصيدة المديح ، التى ـ لعلها ـ اشهر قصيدة في الشعر الاندلسي ، وتتضح هذه الظاهرة من القصائد الكاملة التى حفظتها لنا الدواوين والمصادر الاندلسية ليس في ذلك غرابة ، لأن قصيدة الحرب غالبا ماتتصل بقائدها وفرسانها ، الذين يعقد بهم النصر ، ويقترن بيأسهم الفتح .

لقد صوّر الشاعر الأندلسي هذه الوقعة في أبرز ملاحمها وتقرّاها في خطواتها ومراحلها بدأ باشتدادِ الأزمـــة في علاقات ملوك الطوائف بملوك اسبانيا النصرانية وانتهاءً بتفاصيل الوقعة المجيدة .

يلاحظ الدارس تردد اسم «يوم العروبة» في أشعار شعراء الاندلس المزامنين للوقعة وهو اسم يوافق اليوم الذي نشبت فيه الواقعة، اذ كان يوم «جمعة»، وقد عرف العرب لايام الاسبوع اسماء ، اختصوا يوم الجمعة منها باسم «يوم العروبة» سمى بذلك لحسنه حيث كان موسماً، (١)

فمن ذلك ما قاله المتوكل بن الافطس(٢) :

تخيـــــــــرتِ اليهودُ السّبتَ عيداً

وقلنا : في «العـــروبة» يـوم عيـــد

وقال المعتمد بن عباد(٣) :

و «يـــومَ العروبـــةِ» ذدت العـــدا

نصرتَ الهدى ، وأبيـــت الفرارا

وقال ابن وهبون(٤) :

(١) تاج العروس ٢/٣٧٣ وعروبة من الاسماء التي تدخلها الالف واللام مرة وتسقط منها اخرى ، وينظر الف باء البلوى ٢/١٣٩ .

(٢) الحلة السيرا ٢/١٠٦ .

(٣) ديوانه ٩٧ .

(٤) الذخيرة ٢/٥١٠ .

ومــــا «يـــوم العروبـــة» يـــومَ ســـر

لقـــد نَطَـــقَ الزمانُ بـــه فقـَالا

وقال ابن حمديس(١) :

نَذرتُ نَـــذوراً فاقتضاني قضاءَهـــا

إيابكَ من «يومَ العَروبة» سالمـــاً

وقال ابن عبد الصمد(٢)

هيهـــات لا يمضي لحقـــك شاهـــدٌ

بـــومُ العروبـــةِ شاهـــدٌ مشهودُ

وظل «يوم العروبـــة» يوماً للفخار والعزة يترنم به الشعراء إذ يقول عبد الله ابن أحمد بن جهور (ت٥٩٦هـ) (٣) :

لم تَعلـــمِ العُجـــم إذْ جاءَتْ مُصمّمةً

بـــومَ العَروبـــة أنّ اليومَ للعـــرب

كما نلاحظ ان الشعراء وجدوا فيها مقاماً عظيماً ورتبوا على نصرها اهمية كبيرة فيقول ابن وهبون في رحلة المعتمد الى المغرب(٤) :

لا تحمل الدّينَ والدّنيـــا عـــلى خطـــر

وليسَ يحمـــد مـــن امثالك الغـَرر

ويقول ابن عبد الصمد في سياق أبياته عن الزلاقة مخاطباً المعتمد بن عباد(٥)

لـــو زلـــتَ زالَ الدين وانتُهِبَ الهدى

وكَبَـــا اليقَينُ ونَافَقَ التّوحـــيد

(١) ديوانه : ٤٢٨ .

(٢) الذخيرة ٨١٥/٢ .

(٣) الحلة السيراء ١٠١/٢ وترجمته في هامش (٦) .

(٤) الذخيرة ٥٠٤/٢ .

(٥) الذخيرة ٨١٥/٣ .

لقد عرّج شعراء الاندلس في قصائدهم مشيدين بالخطوة الاولى التي خطاها المعتمد بن عباد بجوازه الى المغرب ودعوته لأمير المسلمين يوسف، لانقاذ الاندلس من الخطر المحدق بها، وتجمع المصادر الاسلامية على أنّ المعتمد كان اول من بادر من ملوك الطوائف بالاستنجاد بالمرابيطن (١)، وأنه جاز الى المغرب في العام الذي سقطت فيه طايطلة سنة ٤٧٨هـ، وقد عرض شعراء الأندلس لهذا الموضوع ومنهم ابو عبيد الله البكري (٢) (٤٨٧هـ) ساق ابن بسام خمسة أبيات من قصيدته وفيها يقول(٣) :

يهونُ علينا مَركبُ الفلكِ أن يرى
محيا العلا لما نبا مركب الجرد

فجزنا أجاجَ البحرِ نبغي زلالَه
وذُقنا جنَى الشريانِ نبغي جنَى الشّهد

يذكّرنا ذاك العبابَ اذا طمَى
ندى كفّك الهامي على القرب والبعد

والابيات الثلاثة الأخيرة ما جاء من القصيدة، تنصرف الى مديح المعتمد ابن عباد ولا يفوت شاعراً كبيراً هو عبد الجليل بن وهبون (ت٤٨٤هـ)(٤) أن يسجل الرحلة التاريخية في قصيدة رائية ساق صاحب الذخيرة أربعاً وعشرين بيتاً منها ومطلعها (٥) :

---

(١) واقعة الزلاقة المجيدة ١٣ .

(٢) ينظر في ترجمته : قلائد العقبان ٢١٨ – ٢١٩ ، الحلة السيراء ٢/١٨٠ – ١٨٧ مقدمة الدكتور عبد الرحمن الحجي في جغرافية الاندلس وأوربا ٢٩ – ٣٤ ، مقدمة مصطفى السقامي معجم ماستعجم ، تاريخ الأدب الجغرافي ٢٧٤٨ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ١٠٨ – ١٢١ .

(٣) الذخيرة ٢/٢٢٨ ، الحلة السيراء ٢/١٨٦

(٤) ينظر في ترجمته : قلائد العقبان ٢٧٨ ، الذخيرة ٢/٤٧٣ – ٥١٩ ، الخريدة ٢/٩٥ رايات للبرزين ١٠٩ ، فوات الوفيات ٢/٢٤٩ – ٢٥٣ .

(٥) الذخيرة ٢/٥٠٣ .

عـــزم تجـــددفيـــه الـــنّصر والظَفرَ
وفكـــرة خمدت من تَحتها الفِكرُ

يقول في قصيدته :

ركبتَ في اللّـــه حتّى البحرَ حين طَمَـــا
آذيّه وبسوط الرّيحِ يـــنحصـــــر

حملـــت نفســـك فيـــه فوق داهيـــة
دهمـــاء لا ملجـــأ منهـــا ولا وزر

كأنما النّهـــر لمّـــا سرت سـارَ إلـى
ذاك المجـاز فأجرى فلكاك النّهَـــر

ويستعيد صورة البحر لجوده وكرمه في أبيات القصيدة التي منها قوله :

احـــاط جـــودك بالدّنيـــا فليس لـــه
الا المحيط مثالٌ حين يُعتبـــــر

وما حســـبت بأنّ الـــكل يحمـــله
بعضٌ ولا كاملاً يَحويه مختصرُ

ويسترسل الشاعر فيستغرق أجزاء صورة البحر ليشاكلها بصورة الممدوح فيقول :

لم تثنِ عنكَ يـــداً أرجاء ضَفتّـــه
الا ومدّت يـداً أرجاؤه الأُخـــر

كأنّمـــا كانَ عينـــاً أنـــت ناظـرهـا
وكلٌّ شط بأشخاص الـورى شَفرُ

لم يكن ابن وهبون أقرب شاعر إلى المتمد بن عباد — بطل الزلاقة عند الشعراء — كما لم يكن من الذين شهدوها الا انّه استحق من المستشرق الروسي كراتشكوفسكي أن ينعته بأنّه شاعر الزلاقة (١) وأما بالثنيا فقال عنه «صاحب

(١) دراسات في تاريخ الادب العربي ١٢٥ .

القصيدة المعروفة عند وقعة الزلاقة» (١) وعلى الرغم من فقدان ديوان الشاعر (٢) الا أنّنا نقف من خلال ما وصل من أشعاره على اكبر مجموعة شعرية تصل بواقعة الزلاقة، ساق ابن بسام أكثر أشعاره فيها فالى جانب قصيدته الانفة نجد قصيدة رائية اخرى على الوزن نفسه — ولعلها جزء منها —، يبدأ الشاعر أبياته السبعة بنبرة فخر واعتزاز فيقول : (٣)

لم تنكر العُجم أنّ العربَ سادتُها
وتشْهد البيض والخَطّية السُمُر

ثمّ ينتقل مصوراً حال ملوك النصارى، واسترسالهم في ابتزاز أموال المسلمين من خلال الاتاوات المقدمة لهم والتي يسميها الشاعر «بِدَراً» ويلمح الشاعر إلى بعض أسباب الواقعة بمطالبة الفونسو المعتمد بن عباد في زيادة الضرائب على اثر تأخر في دفعه لها (٤) فيقول :

لما تعارضَ دون الشكر كفرهم
عادَتْ بوادرَ فيهم تلكم البدر

وهبَّ عن كل دينارٍ لهم بطلٌ
كخالص التبر مسبوك ومختبر

فليلقَبوها ألوفاً من أسودِ وغى
تزكو على السَبك لاجبنٌ ولاخور

ويسير الى بطلي واقعة الزلاقة المجيدين يوسف والمعتمد فيقول :

وليرقبُوا من أمير المسلمين ومن
مؤيدِ الدّين ليلاً ماله سَحَر

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسي ١٧ .

(٢) جمع ابن بسام صاحب الذخيرة ، شعره على حروف المعجم في تصنيف سماه : ‹‹كتاب الأكليل المشتمل على شعر عبد الجليل›› ينظر : الذخيرة ٢/٤٧٧ .

(٣) الذخيرة ٢/٢٥٥ .

(٤) الروض المعطار ٢٨٨ .

ان مدى تجاوب الشاعر مع الوقعة كان كبيرا ، والذلك استنفدت منه طاقته الشعرية حجما كبيرا اذ يحبك نسج قصيدة ميمية على بحر الوافر وصل لنا من ابياتها اربعون بيتا منفرقا من مصادر كثيرة ، وهي — كما يبدو — جزء من قصيدة طويلة ، واذا ماعددنا المديح من صلب قصيدة الوقائع والمعارك الحربية ، استطعنا أن نقرر بأنّ أبيات القصيدة لم تغادر الواقعة المجيدة من قريب او بعيد ومطلع القصيدة : (١)

أظنّ خُطوبَها قالت سلام

فلم يَعبَسْ لها منك ابتسامُ

وتتابع أبياتها في وحدة موضوعية تامة ، اذ يعرّج على مشاهد كثيرة للواقعة يستهلها بالوفاق والوئام الذي كانَ سبب انتصار الأندلسيين على عدوهم وأول لبناته ماأقدم عليه المعتمد بن عباد وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، يقول :

فثارَ الى الطِّعانِ حليفَ صدق

تثورُ به الحفيظاقة والذمام

نمى في حمير ونَمتك لخمٌ

وتلك وشائجٌ فيها التحام

ويصف لنا شجاعة المعتمد وثبات قلبه وقدمه في ساحة المعركة على شدة لأوائها وعنف أوارها

ولم يَحملك طرفك بل فؤادٌ

تعوّد أنْ يُخاضَ به الحمامْ

ثبتَّ به ثباتَ القطبِ لما

أدار رحاه خطبٌ لايرام

---

(١) الذخيرة ٢/٣٤٥ ، قلائد العقيان ١٣ ، الخريدة ٩٩/٢ ، المطرب ١٢٠ .

وتنفرد قصيدة ابن وهبون على سائر أشعار الزلاقة ، بأنها عكست لنا أوسع صورة عن جيش العدو وقائده (الفونسو السادس) الذي تسميه المصادر الاسلامية «الأذفونش» فيقول :

فيا أذفونش يامغرور هلا
تجنبت المشيخة ياغلام

ستسألك النساء ولا الرجال
فحدث «ماوراءك يا عصام»

أنام رجالك الأشقون ؟ كلا
وهل يحلو بلا رأس منام

رفعنا هامهم من كل جذع
كما ارتفعت على الأيك الحمام

وقد صورلنا هزيمته الخاسرة تحت ستار الظلام على نحو ماتؤكده الروايات التاريخية(١) ، فقال :

سيعبد بعدها الظلماء لما
أتيح له بجانبها اكتتام

ولا ينفعك كالخفاش يغضي
اذا مالم يباشره الظلام

نضا أدراعه واجتاب ليلا
يود لو آن طول الليل عام

ويحلو لابن وهبون أن يعرض لـ«الزلاقة» في مطولات أشعاره التي تناول فيها موضوعات تتصل بممدوحه الاثير «المعتمد بن عباد» ومن ذلك ماجاء

(١) الروض العطار ٢٩١ ، رسالة يوسف بن تاشفين عن المعركة ، المعتمد بن عباد ١٥٧ كذلك رسالة أخرى نقلها عنان عن الانيس المطرب في دول الطوائف ٤٣٠ ، التاريخ الاندلسي ٤٠٨ .

في قصيدته اللامية التي جعلها في وصف قصره المنعوت بـ«الزاهي» ومطلعها(١):

محـــلٌ ألبسَ الـدّنيـــا جمَــــالا
وإن فـضـح الـمـقاصرَ والخِـلالا

ويستغرق في وصف القصر خمسة وعشرين بيتا، حيث ينتقل بعدها إلى مدح صاحب القصر في عشرة ابيات ليدلف بعدها إلى بطولته في «الزلاقة» في سبعة ابيات يبدؤها بقوله:

ومـا يـوم العَروبـة يـوم سـر
لقـد نطـقَ الزّمـان به فقـالا

عجـزنا أن نحقـقَ منـه وَصفـاً
ومـا عَجـزَ الـرّشيد له امتثالا

ولا يسترسل في الحديث عن الواقعة بل سرعان مايعاود المديح، بعد أن تزاحمت عليه الهموم، ويصرح بحاجته طالبا الصلة الجزلة منه ويختم القصيدة بذلك قائلا:

وكنتمْ خَـير مـن يرجـى فمـالى
وجـدت يقيـن آمالـى محـالا

ولم أحمـل ودادكـم ادعـاءً
ولا أظهـرت مدحكـم انتحالا

وفي مقدمة شعراء الأندلس يأتي ابن حمديس، وهو من طبقة ابن وهبون، إن لم يفقه شاعرية الا أنّه يليه مرتبةً في هذه الوقعة. فقد توقف عندها في ثلاث قصائد حفظها لنا ديوانه، رأولى هذه القصائد، دالية على بحر الكامل مهد لها بقوله:

«وقال من قصيدة تهنئة بسلامة المعتمد ابي القاسم بن عباد، وقد ورد عليه كتابه بما فتح الله عليه، وظهور المسلمين على الروم، وفرار الفنش ليلا بعد

(١) الذخيرة ٢/٥٠٨ - ٥١١ .

قتل كماته ومن كان يعول عليه من صناديده(١))»

والقصيدة كما يتضح من عبارة ألحقها بها هي بعض من كلّ ،وانّها مما تبقى في ذاكرته فقد جاء في آخرها«هذا ماتعلق بحفظ عبدالجبار من القصيدة»(٢) وما تعلّق بحفظه من القصيدة اربعة عشر بيتا.

وعلى غرار قصائد الحرب تقيس قصيدته بعاطفة ايمانية ، وحرارة اسلامية، حيث يجعل النّصر مؤيداً من الله سبحانه ، وثمرة للاعتزاز بدين محمد عليه الصلاة والسلام :(٣)

الآنَ أفرخَ رَوعُ كلِ مُهيَّدِ
وأُعزَّ دينَ محمدٍ بمحمدِ

إن كانَ نصرُ اللهِ فتّحَ بابَه
فأبوكَ بادرَ فرعَه بمهنّدِ

واقتادَ حزبَ الله نحو عدوه
فالحربُ تجدعُ معطسَ المتمردِ

وفيها ثناء على بلاء المعتمد واعجاب بفروسيته ومهارته القتالية فيقول :

وكأنما احتطبَ العلوجَ وساقهم
بحريقِ ضربٍ ، بالصّوارم موقدِ

صدعت كتائبه الظبا حتى إذا
همّت به أعطى قذال معرّدِ

ويسير في قصيدته الى نتائج تلك المعركة من هزيمة الفونسو ، وان يوسف ابن تاشفين اعدّ من نصره الرائع منظرا مدهشا لجيشه ، ذلك انه أمر برؤوس

(١) ديوانه : ١٧٢ .
(٢) ديوانه : ١٧٣ .
(٣) ديوان ابن حمديس رقم ١٠٢ .

القتلى فصفّت في سهل الزلاقة على شكل هرم ، ثم أمر فأذّن للصلاة من فوق أحدها ، وكان عدد الرؤوس لايقل عن عشرين الف رأس (١) :

تُبْنَى الصّوامع من رؤوسهم بما

كانت على هدم الصوامع تعتدي

والقصيدة تأتي في وحدة موضوعية متكاملة بدءاً ببيتها الأول وانتهاء بالبيت الأخير ، واذا كانت القصيدة قد وصلت غير كاملة ، فانّه حافظ على الوحدة الموضوعية في قصيدة كاملة اخرى ، في اثنين وأربعين بيتا ، واستطاع أن يحافظ على الوحدة العضوية كذلك إذ جاءت القصيدة في نسيج متلاحم في وصف ملحمتي يوسف والمعتمد الرائعتين ، وهو يستهلها بزف البشرى الى المسلمين باياب المعد بن عباد ، سالماً منتصراً على عدوه فيقول (٢) :

ليُهنىء بني الاسلام أن أبتَ سالما

وغادرت أنف الكفر بالذلّ راغما

وتقترن قصيدته هي الاخرى بطابع الحرب المقدسة اذ يقول :

صَبرتَ لحرّ الطّعن ذائدا

عن الدين واستصْغرت فيه العظائما

أجبتَ الهدى لما دَعاك لنصره

وجرّدت عزماً اذ تقلّدت صارما

ويقول :

هنالكَ ثنيتَ الكفرَ خزيانَ باكياً

نعم ، وَرَدَدت الدّين جذلانَ باسما

---

(١) الروض المعطار ٢٩١ ، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ٥٥ ، أمير المسلمين ١٢٤

(٢) ديوانه رقم ٢٧٧ .

ويقول :

إذا اختصموا في الله كانت قضاتُهم
قواضبَ تَقضي بينهم ولهاذما

ويشير الى جرح أصاب وجه المعتمد بن عباد ، على نحو مايشير المعتمد بن عباد نفسه في أبيات له فيها (١) يقول ابن حمديس :

وكم شجةٍ في حُرِّ وجهك لم يزل
لك الحسن منها بالشجاعة واسما

وترد الاشارة كذلك الى غدر الفونسو ، ونيته في خديعة المسلمين في تحديد يوم بدء القتال على نحو ماتذكره الروايات التاريخية فيقول (٢).

نوى خدعة في الحرب والحرب خدعة
فأدبرَ مهزوماً وقد كانَ هازِما

وتحفل القصيدة بلوحات بطولية رائعة لضروب البسالة والشجاعة التي اتصف بها فرسان المسلمين ، وهو مايميز القصيدة على نظائرها من القصائد التي نظمت في الوقعة إذ يقول :

بَنو الحرب غذَّتهم لبان ثديّها
ولم يَستطيبوا منه الا العلاقِما

يخفون للهيجاء جُرداً سلاهباً
وينضون في البيداء بُزلاً صلادما

إذا طعنوا بالسمهرية خلتهم
ضراغمَ تفرى بالقلوب أراقِما

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد ٤٨ .

(٢) الروض المعطار ٢٩٠ . نفح الطيب ٣٦٥/٤ .

ومن صور بأس الفرسان المسلمين الرائعة قوله :

كأنك حرمت الحياة عليهم
غداةَ الوغى لها استحلوا المحارما

ويشير الى دور المرابطين في المعركة :

وان كرّ منهم ذو لثام مُصمِّم
غدا لفِم الهيجاء بالسيف لاثما

ويعيد صورة جماجم العدو واتخاذ الأهرام منها على نحو ماتقدم في قصيدته الدالية فيقول :

كانّ كراتٍ وَهْي هامهمُ غدت
صوالجها بيضاً تحز الغلاصما
وأيدٍ بَنت في القفر منها صوامعا
وكانت لها بالمرهفات هَوادما
علاهن للتأذين كلّ مكبّر
تكاد له كفٌ تمس الغمائما

وأبرز ما نلحظه عن القصيدة اختلافها عن الدالية السابقة في الوزن والقافية إذ جاءت ميمية على بحر الطويل واتسمت بطول النفس ، وروعة البيان وجودة السبك ، وجزالة اللفظ والبراعة في الصّبغ والصوغ ، فضلا عن اللوحات الفنية الضافية عن ملامح البطولة ومراسم الشجاعة والبأس ، دون أن ينصرف الى المديح الا في ابيات قليلة .

وتأتي قصيدته الثالثة كسابقتها ميمية ولكن على بحر الوافر في ستة وأربعين بيتاً (١) . الا أنها دون سابقتها في درجة وقعها ، ومرتبتها الفنية .

---

(١) ديوانه رقم ٢٨٣ .

استهلها بذكر الخمرة ، وتفضيله لمذهب ابي نواس في ذلك ، ومضت أبيات القصيدة في استنطاق الأعواد والنغمات حتى ينتقل الى مديح المعتمد بن عباد في البيت السابع عشر فيقول : —

في مغنى ابن عبـــاد حــللنــــا
وقـد نلنـا المُنـى عنـد الغَــريم

وبعد أن يمضي نصف أبيات قصيدته في موضوعيه السابقين ينتقل الى الوقعة فيقول :

ومِعتَــركٍ تلقّــى الـفنش فيـــه
غَريمــاً مهلكاً نفس الغَــريـــم

وتتكرر المعاني التي شهدناها في قصيدته فيشير الى فرار الفونسو في الظلام ، ويشير الى اضرام يوسف بن تاشفين النار في العدو كما ذكرته كتب التاريخ فيقول (١) :

وقـد ضَـرَّمـتَ نـارَ الحـرب حتى
حكـت زفراتُهـا قطـعَ الجحيـم

وفيها يعنى ببعض المحسنات البديعية من طباق وجناس ، لاسيما حين يمدح يوسف بن تاشفين فيقول :

وذاق بيـوسفٍ ذي البـأس بـؤسـاً
فَمـرَّ عنـدَه حلو النّعيـم

وقـد نَهَشَتـه حيـاتُ العَـوالـي
سَلـوا الليلَ السّليـم عن السّليـم

وتتكرر معاني الحرب المقدسة ، ومعالم الايمان التي انتصرت على الكفر حين يقول :

---

(١) روض القرطاس ٤٠ — ٤٣ نقلا عن واقعة الزلاقة ٢٠ ، امير المسلمين ١٢٢ .

ثنى توحيدُك التثليثَ منه

يعضّ على يدي فرعٍ كظيم

غداة أتى بصلبان أضلّت

علوجاً أبرموا كيدَ البريم

ولما أن أتاك بقوم عاد

أتيتً بصرصرِ الريح العقيم

فصلّ لربّك المعبود وانحر

قروماً منهم بعد القُروم

وعيّد بالهُدى وأعدْ عليهم

عذاب الحرب بالالم الأليم

والقصائد الثلاث نظمت، لتختص المعتمد بن عباد النصيب الأوفر من المديح، وأن كان النصيب الاكبر في النصر يقترن بيوسف بن تاشفين ذلك لأن يوسف لم يكن يعبأ بالشعراء ولا يبالي بأشعارهم أو يجزل أصحابها كما هو الحال لدى المعتمد بن عباد، والقصيدة الثانية أقوى القصائد الثلاث في المستوى الفني على نحو ما عرضنا في الصفحات الآنفة.

وبعد أنْ وقفنا عند أبرز شاعرين تناولت اشعارهما واقعة الزلاقة نعرج الى ماتبقى من أشعار شعراء الاندلس الأخرين فقد ساق ابن بسام قصيدتين حائية لابي عبدالله محمد بن عباد القزاز (١) ودالية لابي بحر يوسف بن عبد الصمد (٢) عدة ماوصل من كل واحد وعشرون بيتاً ومطلع القصيدة الاولى (٣)

ثناؤك ليس تسبقه الرياح

يطير ومن نداك له جناح

---

(١) ينظر ترجمته : الذخيرة ٨٠١/٣ وما بعدها .

(٢) ينظر في ترجمته : الذخيرة ٨٠٩/٣ وما بعدها .

(٣) الذخيرة ٨٠٣/١ ، ٢٤٥/٢ .

ومطلع الثانية (١) :

خَضَعَت لعزتك الملوك الصيّدُ
وعَنت لك الابطالُ وهي أسود

جاءت الاولى في بحر الوافر والثانية في الكامل ، وكلتا القصيدتين تنحوان نحواً واحداً في اختصاصهما المعتمد بن عباد بالمديح ، فالشاعران يتوجهان بهما اليه ، ففي القصيدة الاولى يباشر بالمديح في ثمانية أبيات ثم ينتقل الى مقامه واثره في الواقعة فيقول :

جَزاك الله خيراً عن بلاد
محا عنها الفسادَ بك الصّلاحُ

جنبت الى الاعادي أُسد غاب
براثنهنّ المهندةُ الصّفاحُ

وقفت وموقف الهيجاء ضنك
وفيه لباعك الرحبِ انفساحُ

وينتقل في الابيات الستة الاخيرة الى الحديث عن جرح أصاب المعتمد بن عباد بكفه وهو معنى عرض له ابن حمديس - كما تقدم - في ميميته (٢) - يقول :

وقالوا : كفّه جُرِحَت فقلنا
أعاديه تواقعها الجراح

وتستهويه صورة الجرح فيعللها ويحسن التعليل فيقول :

وما أثر الجراحة ما رأيتم
فترهبها المناصل والرّماح

ولكن فاض سيلُ البأس منها
ففيها من مجاريه انسياحُ

---

(١) الذخيرة ٣/٨٠٤ .

(٢) ديوان ابن حمديس رقم ٢٧٧ اعلاه ص ٢ .

ويلتفت فينسب الاعجاب بالمعتمد بن عباد ليوسف بن تاشفين فيقول :

رأى منـــه أبــو يعقــوب فيهـــا
عُقاباً لا يهاض لـــه جنَـــاح

وأما قصيدة ابن عبد الصمد فهي تقوم على تمجيد معاني البطولة المجسدة في شخص المعتمد بن عباد ويعرض لنا صوراً بيانية رائعة للوقعة ممثلة في لقطات فنية تصف الواقعة منها قوله :

يـــومٌ تـــواصلت الترائـــب والقنـــا
فيه وعانقَتِ الاسودَ أســـودُ

والشمـــس رَمْداء الـــجفـــونِ كليلةٌ
والجو مغبر الـــذرى مَســـدود

والمرهفـــات مـــن النّجيع كـــأنّها
صفحات بيضٍ بَينها تَـــوريـــد

والخيل قـــد نَكَصَت عـــلى أعقـــابها
والروم زرع والرؤوس حَصـيـــد

ومن أشعار الواقعة ما وقع في مراسلة وقعت بين المعتمد بن عباد ويوسف ابن تاشفين ففي ديوان المعتمد ان ابا بكر الخولاني منجمه، طالع وقتَ المعركة، فوجده أوفقَ طَالع فكتب مكتب المعتمد ليوسف مستبشراً (١) :

غـــزوٌ عليـــكَ مـــبـــاركٌ
في طَيّه الفتـــح الـــقـريـــبْ

لـــلـــه سَيفُـــك إنّـــــه
سخط عـــلى ديـــن الـــصليـــب

لابُـــدَّ مـــن يـــومٍ يـــكـــو
ن له أخاً يـــوم الـــقليـــب

(١) ديوان المعتمد بن عباد ٩٧ – ٩٨ .

ونقف على قصيدة شعرية طويلة في ديوان المعتمد يجزل في اكثر أبياتها الثناء، ويكيل المديح، ويقرن أسباب النصر والظفر بيوسف بن تاشفين، وهي وثيقة تاريخية مهمة تؤكد منزلة يوسف السلمية، وحُظوته لدى المعتمد، وتنفي مادونها مما يحلو للمستشرقين وامثالهم ترديده وترْويجه من خلافات بينهما سببها الملك والطمع بالرياسة (١) :

وقلبي نزوعٌ إلى يوسف
فلولا الضُّلوع عليه لطَارا

ولولاكَ يا يوسفُ المتّقي
رأينا الجزيرة للكفرِ دَارا

رأينا السيّوفَ ضُحى كالنجو
مِ، وكالليل ذاك الغبار المثارا

فلله دَرُّكَ في هوله
لقد زادَ بأسُكَ فيه اشتهار

تزيد اجتراءً اذا ما الرّما
ح عندَ التّناجزِ زِدْنَ اشتجارا

ستُلقى فعالُكَ يومَ الحسا
بِ تُنشَر بالمسكِ منك انتشارا

ونشهد ثناء عليك
بحسنِ مقامك ذاك النّهارا

إن الباحث يصابُ بخيبةِ أملٍ حين يقلّب ديوان الشّعر الاندلسي فيجده مقفراً جدباً خاوياً ... أوقد يقف على أبيات يتيمة على نحو ما نجد في مجموع أشعار ابن اللبانة الداني التى وصلت الينا. يقول في بيت (٢)

---

(٢) نفسه ٥٣ .

(١) الانيس المطرب ١٠٥ ، ابن اللبانه حياته وشعره رقم ٥٣ .

يوم العروبة كان ذاك (الموقف)
وأنا شهدتُ فأينَ من يستوصفُ

ويقول في آخر (١)

أحدّث عن يوم الوغى ملءَ منطقي
وأسأل عن يوم النّوال فأسكت

فقد ذكر ابن بسام أن ابن اللبانة قد حضرَ غزاةَ يوم الجمعة فلمّا ورد حضرة اشبيلية وتعذر عليه رؤية المعتمد كتب اليه شعراً قال فيه :

يامن عليه من المكارم والعُلا
بُردٌ بتطريز المحامد معلَمُ

والابيات التى ساقها ستة، ليس اشارة إلى الواقعة اللهم الابيات التى يدل منها بمكانته في تلك الوقعة فيقول : (٢)

قد كنت فى أرض الوغى أجنى الردى
وأنا بروض الجود لا أتنسّم

ما كان بينَ يديك غيري والظبا
متلفقات، والقنا يتحطم

فرشتني سهما فرشني طائرا
وكما نفذتَ فإنني أترنم

أهى البلاغة التى تقرن بالايجاز، فتدعوه إلى البيت والبيتين؟ أم هى بلاغة الموقف والعجب الذي يعقد معه اللسان، وتكلّ معه القريحة ؟

فاذا استحضرنا علاقة الشاعر بممدوحه، والوشيجة القوية والصّلة القريبة به، إذ انتظمت ثلث أشعاره قلائد في جيد المعتمد بن عاد، وألّف في دولته

(١) الذخيرة ٦٨٠/٣، المغرب ٤١١/٢، ابن اللبانه رقم ١٠ .
(٢) الذخيرة ٦٧٩/٣ — ٦٨٠ .

مجموعة تصانيف (١) كان ذلك مدعاةً لتساؤل : أين أشعار ابن اللبّانة في الواقعة ؟

ولماذا وقف الشاعر موقف الصمت منها، وهو الذي بكى سقوط دولة بطل الزلاقة أحرّ البكاء ؟ ويتوحد من هذا السؤال سؤال آخر هو، أين أشعار شعراء عصر ملوك الطوائف في الزلاقة، أمثال : ابن عبدون (ت ٥٢٠هـ) وابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ)، وابو الحسن الحصري (ت ٤٨٨هـ) وابو الصلت ابن ابي الصلت الدّاني (ت ٥٢٩هـ) وابن الزقاق البلنسي (ت ٥٣٠هـ) والأعمى التطيلي (ت ٥٤٢هـ) وغيرهم من شعراء عصر الطوائف المزاملين لتلك الاحداث.

وهي ظاهرة تذكر بظاهرة أخرى مماثلة — كنت قد ألممت بها — (٢) وهي عدم مشاركة شعراء الاندلس في تصوير النكبات الكبرى في الأندلس، والتعرض لها في اشعارهم .

وقد ترجح لديّ في تفسير صمت الشعراء من تلك الاحداث، — والزلاّقة واحدة منها — أمور منها :

١ — احتمال ضياع أشعارهم التي نظموها في الواقعة، ومما يوافق هذا، أنّ الكتب التي نقلت بعض أبيات الواقعة نقلتها على أنها جزء من قصيدة كما هو في بيت ابن اللبانة برويّ التاء (٣) كذلك نجد ابن حمديس يستذكر بعضاً مما قاله في قصيدته (٤)

٢ — أنّ عدداً من الشعراء أُصيب بالدّهشة فالذهول لعظم مقام النصر، مما يعقل معه اللسان وتتلكأ معه الملكات، فلا تملك الا الشكر لله سبحانه والثناء عليه

---

(١) ينظر فيها : التكملة ٤١١/١ ، المغرب ١٣١/١ ، نفح الطيب ٦١٢/٣ . ٢١٥/٤ كشف الظنون ٩٨/١ ، ٩٩٣/٢ ، ٩٦٣/٢ .

(٢) الاتجاه الاسلامي في الشعر الاندلسي ٢٩٨ .

(٣) الذخيرة ٦٨٠/٣ .

(٤) ديوانه ص ١٧٣ .

لتأييده ونصره، ذكر الحميدي (١) أنّ المعتمد بن عباد لما دخل اشبيلية جلس للناس وهنيء، بالفتح وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه، قال عبد الجليل ابن وهبون : حضرت ذلك اليوم، وأعددت قصيدة أنشده إياها، فقرأ القارىء: «إلاّ تَنصروه فقد نصَره الله» (*) فقلت : بُعداً لي ولشعري ، والله ما أبقت لي هذه الآية معنى أحضره اليه وأقوم به .

لقد ظلت « الزلاقة » تردد اصداؤها في ضمائر الشّعراء ، حتى بعد نشوبها بسنوات حيث يحلو لهم أن يتغنوا به يقول ابن وهبون :

إذا مدحت ففي لخمٍ وسيِّدها
عن الأنام وعمّا زَخرَفوا شُغُل

وان وصفت فكاليومِ الّذي عَرفَت
بكَ الفَرنَجة فيه كنهَ ماجَهلوا

وحين يمدح أبو بكر الصيرفي الامير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف (ت٥٣٩هـ) الذي كانت معركته في موضع قرب موضع « الزلاقة » يقول (٢).

لك يوم للعروبة إنه
يوم على الدِّين الكريم كَريمُ

فتحٌ عظيم القدر
فتح يَقلّ لقدره التّعظيم

وبعد هذه الوقفة المتأنية لدى شعراء الزلاقة وقصائدهم ، لنا أن نتساءل ماأبعاد التجارب الفنية التي أصدرت عنها تلك الاشعار . واولئك الشعراء ؟

---

(١) الروض المعطار : ٢٩٢ .
(*) التوبة ٤١ .
(٢) الذخيرة ٢/٤٩١ .
(٣) البيان المغرب ٤/٨٩ ، الاحاطه ١/٤٥٣ ، أعمال الاعلام ٣/٢٥٨ .

ونستعيد في أذهاننا عناصر التجربة الشعورية الاربعة : الاحاسيس والعقل والخيال والموسيقى .. لقد تحققت هذه العناصر في تجارب الشعراء بقدر متفاوت وليس صواباً مارآه الدكتور احمد عبد الواحد حين قرر :

«والتجارب في معظمها ـ كما يبدو من القصائد ـ غير واقعية بالنسبة للشعراء ، أي انهم لم يعانوا ماوصفوه في قصائدهم على الحقيقة ، لعدم مشاركتهم في الحروب .. » (١).

فاذا كانت تجارب الشعراء غير واقعية ، فليس معنى ذلك انعدام المعاناة التي هي عنصر اساس في تلاحم عناصر التجربة الشعورية .

ولنا في ماتقدم أمثلة تؤكد مانذهب اليه ، فقد مرت قصائد تحدثت الزلاقة وبلغت مرتبة عالية في الميزان النقدي ، على الرغم من أنّ شعراءها لم يشهدوا الواقعة على النحو الذي تنقله المصادر ، نجد قصائد أخرى ضعيفة فنيا ، الا أن شعراءها شهدوا الواقعة وحضروها .

إن المراد بصدق التجربة ، هو صدق الشعور بالحياة ، ومطابقته للوجدان ولايراد به مطابقته للحقيقة والواقع دائما (٢)، كذلك ليس المقصود بها الممارسة الفعلية أو ان يكون الشاعر رأى ببصره مشهدا معيناً فاستجاب له بعمله الفني .

فابن اللبانة الدّاني ، وابو بحر بن عبد الصمد كانا شاعرين مقربين من المعتمد بن عباد وقد شهدا الواقعة المجيدة ، لكن ابن حمديس وابن عبادة القزاز غابا عنها وسمعاها فوصفاها على السماع .

والدارس الناقد يستشعر براعة ابن عبادة وعجز ابن اللبانة ، فضلا عن ابن حمديس وابن وهبون المرسي اللذين تفوقا في تجربتيهما الفنيتين ، على نحو مابسطناه في البحث آنفاً .

---

(١) اثر الحملات المسيحية ص ٩٤ .

(٢) في النقد العربي الحديث ٨٣ .

ولعل أروع تجربة اقترنت بالواقعة أبيات لبطلها المعتمد بن عباد الشاعر الملك تمثل المشاعر الأبوية الصادقة في وقتها ، وقلب الفارس الجلد في لقطة بارعة سجلها في بيتين ، يخاطب فيهما أصغر أبنائه واسمه المعلى وكنيته ابو هاشم كان قد تركه مريضاً (١)

أبـــا هاشم هشمتنـي الشّـــفـــار
فللـــه صبري لـــذاك الاوار
ذكـــرت شخيصـك مـــا بينـهـــا
فلم يدعنـــى حبّـــه للــفـــرار

جاءت دلالة البيتين بليغة في مؤداها ، إذ أصدرت عن تجربة عميقة ، فقد المح ابن حمديس ، وابن عبادة القزاز الى جرح المعتمد ، فجاءت اشارة الاولى الى جرح في حرُ وجهه وجاءت اشارة الثاني الى جرح في كفّه ، واما الاشارة التاريخية فعلى مايصفه الحميري فيقول « واثخن ابن عباد جراحات ، ضرب على رأسه ضربة فلقت هامته ، حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه ، وطعن في أحد جانبيه ، وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحدة قدم له آخر وهو يقاسي حياض الموت .. » (٢) يضرب يمينا وشمالا .

وبراعة الملكة تجلت في استخدام صيغة « هشمتني الشفار » على وجه التعميم دون ذكر جرح بموضع من الجسم بعينه ، وقد وفق الشاعر في حسن التجنيس بين لفظتي «هاشم» و «هشمتني» وتكرر الشين في أربع مواضع ، مع تضعيفها في موضعين يمنح الألفاظ جرساً موسيقيا يقرب الى الاسماع صوت الحرب في خفق سيوفها ، وتسديد سهامها ، واشراع رماحها .

وبعد فانا نخلص مما تقدم الى مايأتي :

١ — ان قصيدة واقعة الزلاقة ، — من خلال ماتمثلناه — دارت ضمن قصيدة المديح واقترنت جل القصائد ، بشخصية الممدوح ، وكان أبرز ممدوحين

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد ٤٨ .
(٢) الروض المعطار ٢٩١ .

هما : المعتمد بن عباد الاشبيلي ، ويوسف بن تاشفين المرابطي ،وعلى الرغم من ان المعلومات التاريخية التي روتها كتب التاريخ تـؤكد أن عدداً آخر من القادة الكبار من ملوك الاندلس امثال : عبدالله بن بلقين صاحب غرناطة واخوه تميم صاحب مالقة والمتوكل بن الافطس صاحب بطليموس (١)، قد شاركوا مشاركة فعلية في الواقعة ، الا أن اي اسم من هؤلاء القادة لم يرد ضمن القصائد التي وصلت لنا في اشارة مباشرة أو عابرة ، وليس من الصواب أن نظن بأنّ الشعراء انزلوا يوسف بن تاشفين المنزلة الثانية بعد المعتمد بن عباد ، على نحو ما بدا للدكتور مصطفى عوض الكريم (٢) اعتماداً على مقولة الشقندي (ت ٦٢٩ هـ) التي تقول : « لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس ماأجروا له ذكراً ، ولا رفعوا لملكه قدرا » (٣) ذلك لان الشقندي كان مدفوعاً بدافع التعصب والانحياز ، وكان بصدد تفضيل الاندلس على المغرب .

ان أحد الشعراء صرح بمكانتهما المتقاربتين بل فضله على الممدوح الذي وجّه اليه قصيدته فقال (٤) :

فيوسف يوسف إذ أنت منه

كيامَنَ لا وهَي لكما نظام

إن تعليل كثرة ما نظم الشعراء في المعتمد بن عباد قياساً بيوسف بن تاشفين هو أن الاول كان يحفل بالشعر وقائليه اكثر من الثاني ، ولذلك توجه اليه الشعراء ووجدوا فيه ضالتهم ، ونرى أن مدح المعتمد في توجهه الى يوسف واستعانته به هو مدح ضمني يضاهي مدحه اياه .

٢ ــ حفلت قصائد الزلاقة بوصف عدد المسلمين ، من سيوف وقنا ودروع وخيل وفق اطار قصائد المعارك الاسلامية الاخرى . الا انها ضربت كشحا

---

(١) ينظر دول الطوائف : ٣١٠ .
(٢) الادب الاندلسي ٢٢ .
(٣) نفح الطيب ٣/١٩١ .
(٤) الذخيرة ٢/٢٤٥ .

عن جيش الفونسو السادس ولم تعبأ به ، وتوقفت وقفتها عند هزيمته المنكرة وخسائره الفادحة ، وابرز صفة اكدتها قصائدهم هي ثبات فرسان المسلمين في واقعة تزل بها الاقدام ، وتسوخ بها الأرجل ، ولا سبيل في ذلك الا لاصحاب القلوب الثابتة والنفوس الرابطة الجأش .

٣ — اتسمت قصائد الزلاقة ، بالمعاني الاسلامية ، والمعالم الايمانية ، وهي تمثل الجانب المعنوي في اسباب تحقيق النصر ، لاسيما في قصائد ابن حمديس الصقلي ، والمعتمد بن عباد ، وكان ابرز شاعر تألق في سماء الواقعة ابن حمديس وفي طليعة قصائده تأتي قصيدته الميمية التى مطلعها :

ليهنـــيء بنـــي الاسلام أن أُبـــت سالمـــا
وغادرت أنف الكفـــر بالـــذل راغمـــا

٤ — تباينت قصيدة الواقعة من حيث عدد الأبيات بين الطول والقصر ، حيث اكتفى بعضهم بالبيت أو البيتين ، واسترسل اخرون في قصائد طويلة تجاوزت أربعين بيتا في وحدة موضوعية تارة وعرضوا لها ضمن قصائد اخرى تارة اخرى .

٥ — جاءت قصائد الواقعة منتظمة في البحور الطويلة ، وهو اكثر ماتجنح اليه قصائد المعارك الحربية ، ومن مجموع ماوصل الينا من هذه القصائد جاءت أربع قصائد في بحر الوافر وثلاث في بحر الكامل رقصيدتان في بحر الطويل وواحدة في البسيط ، ولم تصل الا قصيدتان في البحور القصيرة واحدة في المتقارب ، واخرى في مجزوء الكامل لقد رأى الدكتور ابراهيم أنيس ، ان الاجدر بالمديح أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع (١)، وهي البحور التى انتظمت اكثر قصائد قصائد الواقعة ، وابيات ابن عباد التي جاءت في خطاب ابن تاشفين ودعوته الى شن القتال ، جاءت في بحر قصير ، لأن فيها تثور النفس ، ويتملكها من اجل ذلك انفعال نفساني (٢) .

(١) موسيقى الشعر ١٧٨ .
(٢) نفسه ١٧٨ .

م/٢٩/ا.م.س


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصادر والمراجع

١ – اثر الحملات المسيحية في شعر الاندلس وصقلية، د. أحمد عبد الواحد ابراهيم أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الازهر، القاهرة ١٩٦٩م.

٢ – الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، د. مصطفى عوض الكريم ط١ مصر، السودان ١٩٦٨م.

٣ – أعمال الاعلام او تاريخ اسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، القسم الثالث تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب في الدار البيضاء ١٩٦٤م.

٤ – أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، قاهر الصليبيين في الغرب، وموحد المغرب والاندلس ابراهيم محمد حسن الجمل، مطبوعات الشعب، القاهرة ١٩٧٦م.

٥ – البيئة الاندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، د. سعد اسماعيل شلبي ط١ النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٦م.

٦ – البيان المغرب، من أخبار ملوك الاندلس والمغرب : ابن عذارى المراكش (ت ٧١٢هـ) جا – ٤ تحقيق كولان وبر فنسال، ود. احسان عباس، باريس ١٩٢٩م، ١٩٢٨م، بيروت ١٩٦٧م.

٧ – تاج العروس، مرتضى الزبيدي، جا – ١٠، ط الخيرية، القاهرة ١٣٠٦، تصوير دار ليبيا للنشر – بنغازي.

٨ – التاريخ الاندلسي منذ الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، د. عبد الرحمن علي الحجي ط١ دار القلم – دمشق ١٩٧٦م.

٩ – تاريخ الفكر الاندلسي، بالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس ط١ النهضة المصرية ١٩٥٥م.

١٠ ــ التكملة، ابن الأبّار البلنسي (ت ٦٥٨هـ) جـ١ ــ ٢ ط العطار، القاهرة ١٩٥٥م .
١١ ــ الحلة السيراء، ابن الابار البلنسي (ت ٦٥٨هـ) جـ١ ــ ٢ . تحقيق د. حسين مؤنس ط١ الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣م .
١١ ــ خريدة القصر وجريدة العصر. العماد الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ)ط١ ــ ٣ (قسم المغرب والأندلس) تحقيق آذا رتاش آذرتوش ومحمد المرزوني ومحمد العروسي والجيلاني بن يحيى ط١ الدار التونسية ١٩٧٠ ــ ١٩٧١م .
١٣ ــ دراسات في تاريخ الادب العربي، كراتشكوفسكي، ترجمة محمد المعصراني اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ــ موسكو ١٩٦٥م.
١٤ ــ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، محمد عبدالله عنان، ط١لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٠م.
١٥ ــ ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق د. احسان عباس ط١دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
١٦ ــ ديوان المعتمد بن عباد الاشبيلي، تحقيق د.احمد احمد بدوى، د. حامد عبدالمجيد ط١القاهرة ١٩٥١م.
١٧ ــ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) جـ١ ــ ٨ تحقيق د، احسان عباس، ط١دار الثقافة، بيروت ١٩٧٦م.
١٨ ــ رايات المبرزين وغايات المميزين: ابن سعيد الاندلسي (ت.٦٨هـ) تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضى ط١ المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٣م.
١٩ ــ الروض المعطار من خير الاقطار، ابو عبدالله الحميرى (ت٨٦٦هـ) تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان ــ بيروت ١٩٧٥م.

٢٠ ـ الزّلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، شوقي ابو خليل ط١ دار الفكر دمشق ١٩٧٠م

٢١ ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ج) تحقيق محمود محمد شاكر، ط١ المدني، القاهرة ١٩٧٤.

٢٢ ـ فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) ط١ ـ ٥ تحقيق د. احسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٣.

٢٣ ـ

٢٤ ـ قلائد العقيان، الفتح بن خاقان (ت٥٢٨هـ) نشر محمد العنابي ط١ العتيقة، تونس ١٩٦٦م.

٢٥ ـ كشف الظنون عن آسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) ط استانبول ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢م.

٢٦ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية الاندلسي (ت٦٣٣هـ) تحقيق د. مصطفى عوض الكريم ط١ مصر الخرطوم ١٩٥٧م.

٢٧ ـ المعتمد بن عباد الاشبيلي، د. صلاح خالص ط١ شركة بغداد للطبع والنشر بغداد ١٩٥٨م.

٢٨ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت٦٣٦هـ) ط١ دار صادر دار بيروت ١٩٥٣م.

٢٩ ـ المغرب من أخبار المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت٦٨٠هـ) ط١ ـ ٢ تحقيق د. شوقي ضيف ط١ دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م.

٣٠ ـ موسيقى الشعر، د. ابراهيم أنيس ط٣ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٣م.

٣١ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقّري التّلمساني (ت١٠٤١هـ) تحقيق د. احسان عباس ط١ دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

٣٢ ـ واقعة الزلاقة المجيدة، د. أمين توفيق الطيبي مجلة كلية التربية العدد ٦ جامعة الفاتح ليبيا ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧م.



الزهاوي والتجديد في الشعر

منعم حميد حسن
كلية الآداب – جامعة البصرة

المقدمة

تعددت الكتب والمقالات التي تصدت لدراسة الزهاوي انصب اكثرها على دراسة حياته وشعره وجمع آثاره.درسته انساناً وشاعراً وعالماً ومفكراً وفيلسوفاً . الا انها لم تدرسه ناقداً اللهم الا بعض محاولات قام بها بعضهم لاتتناسب ودور الزهاوي في حركة النقد الأدبي في العراق في الثلث الاول من هذا القرن .

فقد كتب الاستاذ عبد الرزاق الهلالي مقالا بعنوان (الزهاوي ناقداً) نشره في مجلة الأديب اللبنانية عام ١٩٧٣ . وحين اصدر كتابه (الزهاوي) عام ١٩٧٦ عقد فيه فصلاً بعنوان (الزهاوي ناقداً) ولكنه لم يقدم فيهما دراسة نقدية تحليلية مفصلة بل اقتصر على الاشارة الى انه اكتشف حقيقة ظلت خافية لفترة طويلة من الزمن هي نقد الزهاوي لدوارين كل من العقاد وشوقي والرصافي الذي نُشر في مجلة (لغة العرب) عام ١٩٢٨ ،وصحيفة (الفيحاء) الدمشقية . وثبت فيهما نصوص هذه المقالات النقدية .

الزهاوي ناقد كما هو شاعر له آراء ومواقف من الشعر تستحق الوقوف عندها ودراستها دراسة مستقصية . لذا ارتأيت ان ألج هذا الموضوع فأكتب فيه بحثاً . ولكني حين شرعت في الاعداد للبحث تبين لي أن هذا الموضوع واسع جداً لايوفيه بحث قصير محدود الصفحات وانما يحتاج الى عدة بحوث وهذا الذي بين ايدينا هو مما تيسر لي انجازه .

تقوم دراستي في هذا البحث على التعرف على دور الزهاوي في تجديد الشعر العربي ، وعرض آرائه فيه من خلال ماكتبه من مقالات ومحاضرات نشرتها الصحف والمجلات في حينها . وهذه الآراء قائمة على التجديد في القوافي والاوزان والروي ، والدعوة الى (الشعر المرسل) . ثم عرضت مواقف الادباء والنقاد من آرائه بخاصة في قضية (الشعر المرسل) .

وارجو أن أكون قد وفقت في مسعاي . ومن الله التوفيق .

الزهاوي من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، رفع لواء التجديد في وقت كان العراق، تابعاً من توابع الدولة العثمانية يعاني التخلف والركود في الحياة العامة .

كانت الحياة راكدة، والادب يراوح في مكانه، والشعر يحاكي النماذج القديمة، ويترسم خطاها، في المعاني والصور والاخيلة والاغراض والاوزان والشاعر يحذو حذو القدماء في أساليبهم واتجاهاتهم. فالصنعة البديعية، والزخرفة اللفظية، وأساليب البيان التي لونت الادب العباسي ظلت تلون الادب في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عند كثير من الشعراء.

في ذلك العصر وفي تلك البيئة نشأ الزهاوي ونظم الشعر وقلد القدماء. ولكن ما ان اطل على نوافذ الثقافة الأجنبية من خلال اسفاره الى عاصمة الدولة العثمانية قبيل نهاية القرن التاسع عشر ببضعة أعوام، واطلاعه على نتاج الشعراء الاتراك، بخاصة الشعراء المجددين، وتأثره بالنظريات العلمية الحديثة، كنظرية (دارون) في التطور، وآراء (غوستاف لوبون) في كتابه (جوامع الكلم)، وقراءته للمجلات والصحف المصرية واللبنانية التي كانت تصل بغداد، كالمقتطف والمقطم والهلال، والمجلات الأخرى التي تضم انواع المقالات العلمية، والفلسفية، والاجتماعية، والادبية، التي تقع بيده، حتى انفتح على العلوم العصرية، يتزود منها، ويتأثر بها الأمر الذي نبهه الى التجديد وحفزه للدعوة اليه. فراح يطلق صيحات التجديد في العراق في القضايا الاجتماعية والعلمية والادبية. ما لبثت ان وجدت نفوساً ظامئة للتجديد مقبلة عليه، وأخرى كارهة له ساخطة عليه، مطمئنة للقديم. ترى في القديم الذي ألفته انه تحفة ثمينة ينبغي الحفاظ عليها .فكانت صيحات الزهاوي قرقعة مزعجة في آذانها . فراحت تقيم العثرات في طريق دعوات التجديد، الامر الذي ادى الى قيام الصراع بين القديم والجديد. فكان للقديم انصار وللجديد أنصار.

كان الزهاوي ينزع نزعة تجديدية ظهرت هذه النزعة من خلال شعره ومقالاته. فلا نكاد نجد مقالاً من مقالاته ولا مقدمة من مقدمات دواوينه،

تخلو من ذكره المجديد والتعلق به كما نجد ذكر الجديد في العديد من قصائده. فقد جعل الجديد المحور الذي تدور حوله مقالاته النقدية. وآراؤه ،في الشعر. وكان يجري وراء كل جديد في الحياة. وقد عبر عن حبه للجديد ، وسأمه من القديم وضيقه به في قوله :

سئمـــــــت كـــــل قديـــــم
عرفتـــه في حيـــاتـــــي
ان كـــان عنـــدك شـــــيء
مـــــن الجديـــــد فهات(١)

ظهرت دعوة الزهاوي الى التجديد ،ونبذ القديم في وقت مبكر من هذا القرن. ولعل اول دعوة حقيقية الى التجديد في الشعر عند الزهاوي هي ما جاء في مقدمته للجزء الثاني من كتاب (شعراء العصر) لمحمد صبري الذي نشر في مصر عام ١٩١٢م . فقد دعا فيها الى تحرير الشعر العربي من قيود القافية، والروي، وعدم الجمود على الاوزان القديمة، والتجديد في المعاني.

ودعوته الى التجديد في الشعر غالباً ما تتناول عناصر الشكل . ففي مقالاته النقدية التي نشرها في الصحف والمجلات ، وفي مقدمات دواوينه عالج فيها قضايا الشكل بصورة خاصة. فقد بسط آراءه في عناصر الشكل، كالقافية ، والروي، والوزن. ولم يشر الى المعاني والافكار والاغراض الا اشارات قليلة.

لعل من الضروري ان نتبين مفهوم (الجديد) عند الزهاوي قبل الدخول في القضايا التي عالجها .

يحدد الزهاوي مفهوم الجديد بقوله: « لاشيء مما له تعلق بحياة الانسان الا وهو يتطور تبعاً لتطور الانسان نفسه؛ومن جملة المتطورات اللغة والنثر والشعر وكل تطور فيه جديد بالنسبة الى ما تقدمه، وقديم بالنسبة الى ما تأخر عنه وانا لا اسمي جديداً الا ما كان على آخر طراز من التطور» (٢)

(١) الديوان : ٥، دار العودة ، – بيروت، ١٩٧٢.
(٢) مجلة الاصابة، ع ٥ : ٣٥-٣٦، ٨ت١ ١٩٢٦.

فالجديد عند الزهاوي هو ما كان على آخر طراز من التطور . واذا كانت اللغة والادب قد مرا بمراحل من التطور ثم جنحا الى الركود لفترة طويلة من الزمن، تبعاً لركود الحياة العامة؛ فان كل شيء من شأنه ان يبدد الركود، ويبعث الحياة والحركة في الادب واللغة، يكون جديداً. فكل رأي، او فكرة، او نظرية تخالف او تغاير، اوتضيف، او تخلق حالة لم تكن موجودة من قبل، هي حالة جديدة، او هي خطوة في سبيل التجديد.

والشاعر الحق عند الزهاوي هو الشاعر المجدد المبدع الذي لا يقلد غيره ولا يعيد ما قيل قبله :

ليـــس بالشاعـــر مـــن كا ... ن لمـــا قيـــل يعيـــد

انمـــا الشاعـــر مـــن كا ... ن لـــه فكـــر جديـــد (١)

والتجديد عنده: « هو ان ينظم الشاعر عن شعور عصري صادق يختلج في نفسه لا عن تقليد. وذلك ما كان يفعله شعراء الجاهلية، وان كان شعورهم محدوداً. فالجديد موجود في القديم وفي الحديث اذا لم يسبقه أحد اليه»(٢)

فالشاعر المجدد عند الزهاوي هو من يعبر عن أحاسيس وانفعالات صادقة يحسها في نفسه، لا ان يقلد فيها غيره. اي انه يعيش التجربة بأبعادها، ويحياها بتفاصيلها، ليكون تعبيره عنها تعبيراً صادقاً. فالقصيدة الجديدة عند الزهاوي ينبغي ان تحوي عنصري الابداع والصدق الفني ، فان حوَتْ القصيدة هذين العنصرين فقد حوت سمات التجديد. والشاعر الذي ابدعها هو الشاعر المجدد، سواء أكان الشاعر قديماً او حديثاً. وعلى هذا الاعتبار يكون التجديد في كل من الشعر الجاهلي او العباسي او المعاصر. ولم يكن الزهاوي متطرفاً

(١) الديوان : ٣٨٧.

(٢) الاوشال : الزهاوي، ص (ه) مطبعة بغداد، ١٩٣٤.

في فهمه للجديد ولم يتخذ الزمان مقياساً للشعر الجديد . وهي نظرة صائبة وعادلة،سبقه اليها من النقاد القدامى ابن قتيبة والقاضي الجرجاني.اذ انهما لم يتخذا من الزمان مقياساً لتفضيل شاعر على شاعر.وفي هذا يقول الزهاوي «ولا يفهم من قسمتي للادب الى قديم وجديد أني أحسب كل ما قيل في الازمنة الغابرة قديماً وكل ما قيل في هذا العصر جديداً فان فيما قيل في تلك الازمنة ما هو جديد في كل عصر غير انه كذرة ضائعة بين ركام قديم. ومن هنا نعلم اني لا انظر الى القديم والجديد من حيث الزمان بل انظر اليهما من حيث النزعة والاعتبارات التي ذكرتها» (١)

واذا كان الزهاوي يرى ان الشاعر المجدد هو الذي لا يقلد غيره من الشعراء القدامى او المعاصرين؛ فهو في الوقت عينه لا يريد بالتجدد ان يقلد الشاعر العربي شعراء الغرب؛ لأن لكل أمة شعورها النابع من طبيعتها وظروفها وخصوصياتها .

فاذا ترجم الشعر العربي والغربي احدهما الى الآخر، فقدا روعتهما . ولكنه أباح الترجمة في حالتين اثنتين «احداهما: اذا تصرف فيه المترجم فقربه من شعور قومه. وثانيتهما: اذا كان الشعور الذي يترجمه مشتركاً بين الاثنين»(٢)

أراد الزهاوي للشاعر ان يستقل بشخصيته، لا أن يكون نسخة مكرورة لغيره من الشعراء .

وقد نعى الزهاوي على الشعراء المقلّدين الذين قلدوا الشعر القديم الذي يرى فيه انه مشحون بالمبالغات والخيالات الباطلة والصناعات اللفظية ، كذلك الشعراء الذين قلدوا شعراء الغرب، ونعتهم بـ (المتشبهون) و (المتفرنجون) وهاجمهم هجوماً عنيفاً في مقاله (الشعر). الذي نشره في جريدة العراق عام ١٩٢٢ .

(١) م الاصابة : ع ٥ : ٣٦، ٨ت١ ١٩٢٦.
(٢) الديوان : ٥.

لعل اقدم آراء الزهاوي في تجديد الشعر والثورة على القديم هي ما نشره في مقدمة الجزء الثاني لكتاب (شعراء العصر) لمحمد صبري عام ١٩١٢م. والتي كانت نواة لآرائه التي طورها وفصل فيها فيما بعد .

واذا قرأت هذه المقدمة تلمس فيها روح التمرد والثورة على القديم وانصاره. ففي قوله : «كأن المتقدمين آلهة الشعر اذا حاد المتأخر عما سنوه كفر، فلم يدخل في جنة القبول. وعسى ان لا يغيظ كلامي هذا بعض الشعراء فيسبوني كما سبني غيرهم ممن نصحتهم» (١) يتبين موقفه واضحاً من القديم .

وقد بين آراءه ومواقفه من الشعر وعناصره في هذه المقدمة بشكل مقتضب وسريع واطلق احكامه على الشعر التي تمثل آراءه. فقال : «وأسهل الشعر ما كان مرسلاً ليس عليه من الروي قيد يثقل رجليه فلا يمشي مطلقاً» (٢): اما الروي والقافية فقد قال فيهما : «واما الروي فليس في مذهبي من الشعر في شيء بل هو في الحقيقة سلاسل واغلال يقيد الشاعر بها شعوره، فلا يقول كل ما يريد، بل يمشي في سبيل شاعريته مشي المقيد في الوحل. واصعب ما في الشعر هو هذه القافية المشؤومة لا يعلو كعب الشاعر الا اذا أجادها» (٣)

اما الاوزان فقد قال فيها : «وجمودنا على القديم من الاوزان هو كجمودنا على كثير من العادات الموروثة سبب كبير لتأخرنا في الشعر عن الغربيين الذين سبقونا فيه اشواطاً» (٤) .

ولكن الزهاوي يرجع آراءه في التجديد إلى ما قبل هذا التاريخ ففي مقالة الذي نشره عام ١٩٢٢. يقول فيه: «واني لا أصر على التزام القافية بل انا اول من نبذها ظهرياً وقال بقطع هذه السلاسل والاغلال وتحرير الشعر من وقرهما في مقالة نشرت لي قبل الدستور بسنوات» (٥) اي قبل سنة ١٩٠٨.

---

(١) الزهاوي : شعراء العصر، ج٢، ص ٩، مط هندية بالموسكي بمصر، ١٩١٢.
(٢) المصدر نفسه : ص ١٢.
(٣) المصدر نفسه : ص ١١.
(٤) المصدر نفسه : ص ٨.
(٥) جريدة العراق ع ٥٣٨، ٢٥ شباط، ١٩٢٢، ص ٢.

اي ان نشر هذه المقالة على وجه التقريب في اواسط العقد الأول من هذا القرن. غير ان الزهاوي لم يشر إلى الصحيفة او المجلة التي نشر فيها هذه المقالة. ولم يذكر تاريخا محددا لنشرها. وهل انه نشرها في الصحافة العراقية ام العربية؟ ثم عاد في عام ١٩٢٧ في مقدمة قصيدته «بعد الف عام» وهي من الشعر المرسل ليؤكد انه نشر قبل اكثر من عشرين سنة قصيدة بعنوان «الشعر والرسل» في جريدة المؤيد المصرية (١) .

ولكي يبين الزهاوي ريادته في التجديد وسبقه في نظم الشعر المرسل منذ اواخر القرن التاسع عشر، ثبت في القسم الاول من ديوانه «اللباب» الذي نشره عام ١٩٢٨، ثبت أحد عشر بيتاً من الشعر المرسل تحت عنوان «من الشعر المرسل» تحت هذه العبارة : «هو ماقاله بعد سفره الأول إلى الاستانة سنة ١٨٩٦» وهذا الابيات باستثناء البيت الحادي عشر منها هي ابيات وردت في قصيدته «الشعر المرسل » التي نشرها في ديوانه «الكلم المنظوم »الذي نشر عام ١٩٠٩ وقد أرخ القصيدة في ا نيسان ١٣٢٣هـ اي ١٩٠٥م(٢). اليك قسماً من هذه الابيات التي اوردها في اللباب:

اذا حيي الانسان صادق منكرا
وان مات لاقى منكرا ونكيرا

إذا قلت حقا خفت لوم مخاطبي
وان لم أقله خفت لوم ضميري

أرى الناس الا من توفر عقله
من الناس اعداء لكل جديد

ألاليت اعمالي اذا كنت ميتا
وقد نقدوها لاعلي ولاليا(٣)

(١) م الهلال ج٨، ايونيه ١٩٢٧، ص ٩١٣ .

(٢) الكلم المنظوم : جميل صدقي الزهاوي ص ١٧١ – ١٧٥، المطبعة الأهلية – بيروت ١٩٠٩ .

(٣) اللباب : الزهاوي، ص ٢ ، مطبعة الفرات، بغداد ١٩٢٨.

هذه الابيات يختلف كل منها عن سابقه ولاحقه في القافية فهى من الشعر المرسل ولكنها تختلف في الغرض والموضوع. واذا قرأنا قصيدة (الشعر المرسل) في الكلم المنظوم نجد ان ابيات القصيدة متنافرة لاترابطها وحدة موضوعية وانما هي ابيات مبعثرة وتبدو القصيدة متعددة الاغراض والموضوعات كالابيات المذكورة اعلاه يبدر انها ليست من قصيدة واحدة وانما جمعها من قصائد متعددة قيلت في موضوعات متعددة.

فان صح قول الزهاوي في نظمه هذه القصيدة في عام ١٣٢٣ - ١٩٠٥ اوبعد عام١٨٩٦ فانه يكون من اوائل المجددين وناظمي الشعر المرسل ويكون بذلك قد وضع فكرته في ارسال الشعر موضع التطبيق في وقت مبكر من هذا القرن وقبله بقليل وفي هذا يكون قد سبق غيره من شعراء هذا القرن في نظم الشعر المرسل.

وهناك آراء متضاربة في ريادة الشعر المرسل. فالاستاذ دريني خشبة يرى أن ريادة الشعر المرسل هى بين الاستاذ الشاعر عبد الرحمن شكري والاستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد، ولم يقطع بأيهما أسبق. ولكنه اعتبر الاستاذ محمد فريد أبو حديد هو الشاعر الثائر الأول الذي فكر في نظم دراما كاملة بالشعر المرسل. فقد نظم «مقتل سيدنا عثمان» في عام ١٩١٨، الا انها لم تر النور الا في عام ١٩٢٧ (١).

اما الاستاذ عمر الدسوقي فيذهب إلى أن أول من تجرأ النظم في الشعر المرسل شعراء المهجر وقلة من شعراء مصر منهم عبد الرحمن شكري. وقد نظم قصيدته «كلمات العواصف» التى أنهى بها الجزء الاول من ديوانه «ضوء الفجر» (٢).

---

(١) انظر م الرسالة ع ٥٤٠، ٨ نوفمبر ١٩٤٣ ص ٨٨٩ - ٨٩٠. من مقال «الشعر المرسل وشعراؤنا الذين حاولوه»

(٢) في الادب الحديث ج٢: عمر الدسوقي، ط٧، مطبعة الرسالة ١٩٧٠.

ويرى الاستاذ س.موريه أن التجربة الأولى في الشعر المرسل كانت قبل بداية القرن العشرين . قام بها الاستاذ رزق الله حسون في ترجمته المنظومة للفصل الثامن عشر من سفر أيوب في كتابه «أشعر الشعر» عام ١٨٦٩ (١) واعتبر الزهاوي أول شاعر حاول أن ينظم في هذا النوع في القرن العشرين وقد اعتمد في رأيه هذا على ماقاله الزهاوي في مقاله (الشعر) المنشور في عام ١٩٢٢ (٢) ومقدمة قصيدته «بعد الف عام» التي نشرها في عام ١٩٢٧ في مجلة الهلال المصرية(٣) . واستبعد أن يكون توفيق البكري أول شاعر حاول الشعر المرسل في الادب العربي الحديث (٤) ولم يعتبر قصيدته «ذات القوافي» المنشورة في مؤلفه «صهاريج اللؤلؤ» عام ١٩٠٦ ـــ ١٩٠٧ من الشعر المرسل لأن كل بيتين منها متحدان في القافية وقد عدها من المزدوج وليس من الشعر المرسل (٥) .

ويرى الاستاذ عبد العزيز الدسوقي أن التجديد في القافية حاوله في العصر الحديث توفيق البكري وجميل صدقي الزهاوي وعبد الرحمن شكري»(٦) .

فاذا ما أخذنا أقوال الزهاوي بنظر الاعتبار من أنه نشر قصيدة أو مقالة قبل الدستور بسنوات في تجديد القافية وانه أول من نبذها بنظر الاعتبار قال : «واني لأصر على التزام القافية بل أنا أول من نبذها ظهرياً وقال بقطع هذه السلاسل والاغلال وتحرير الشعر من وقرهما في مقالة نشرت لي قبل الدستور بسنوات (٧)» أي قبل عام ١٩٠٨ . وقوله أيضاً عام ١٩٢٧ : «وقد

---

(١) حركات التجديد في موسيقى الشعر الحديث : س. مورية ترجمة سعد مصلوح مطبعة المدني القاهرة، ط١، ١٩٦٩ ص ١٩ ـــ ٢٠ .

(٢) ج العراق ع ٥٣٨، ٢٥ شباط ١٩٢٢ ص ٢.

(٣) م الهلال حـ٨ أول يونية ١٩٢٧ ص ٩١٣ .

(٤) حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث : س موريه ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق : ٢٢.

(٦) جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث : عبد العزيز الدسوقي، ص ٥١٤، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ .

(٧) ج العراق ع ٥٣٨، ٢٥ شباط، ١٩٢٢، ص ٢ .

نشرت لي المؤيد في مصر قبل أكثر من عشرين سنة قصيدة بعنوان «الشعر المرسل» ونشرت لي جريدة في العراق (١) قصيدة أخرى قبل سنتين تقريباً فقامت قيامة المحافظين على القديم(٢)» وقوله في مقدمة كتاب شعراء العصر عام ١٩١٢ : «وأسهل الشعر ماكان مرسلاً ليس عليه في الروي قيد بثقل، رجليه فلا يمشى مطلقاً (٣)» تبين لنا أن الزهاوي قد سبق عبد الرحمن شكري وتوفيق البكري ومحمد فريد أبو حديد في هذا اللون الجديد (الشعر المرسل) وانه كان أكثر حماساً للشعر المرسل من أي من الشعراء الآخرين وكان سباقاً للدعوة اليه .

فالزهاوي قد نشر مقالة او قصيدة بعنوان الشعر المرسل قبل الدستور أي قبل عام ١٩٠٨ كما انه ارخ قصيدته (الشعر المرسل) المنشورة في الكلم المنظوم في ١ نيسان ١٣٢٣هـ ــ ١٩٠٥م أما عبد الرحمن شكري فقد نشر قصيدته في ديوانه «ضوء الفجر» عام ١٩٠٨ . ومحمد فريد أبو حديد نظم قصيدته عام ١٩١٨ ونشرها عام ١٩٢٧ــ أما توفيق البكري فقد كانت قصيدته من المزدوج الذي يتحدد كل بيتين منها بقافية وهذا لاينطبق عليه معنى الشعر المرسل من انه خال من القافية . وانما نتفق مع س. موريه على أن الزهاوي أول شاعر حاول النظم في هذا النوع في القرن العشرين .

أما ماقيل عن محاولات لرزق الله حسون أو أحمد فارس الشدياق في هذا المضمار فانها محاولات ضيقة لم يتوسع فيها اصحابها ولم يتحمسوا لها كما تحمس الزهاوي في دعوته للشعر المرسل وما قامت حوله من ضجة.

واذا اردنا ان نتتبع تاريخ المحاولات الاولى للشعر المرسل فان هنــاك محاولات للنظم في هذا اللون يعود إلى عصر صدر الاسلام . فقد نقل الاستاذ

---

(١) يقصد قصيدة (في الصباح) التي نشرها في ج السياسة ع ٤٧٤، ٢٩ آيار ١٩٢٥.
(٢) م الهلال حـ٨، أول يونية ١٩٢٧ ص ٩١٣ .
(٣) شعراء العصر حـ٢ : ص ١٢ .

حسين الظريفي مثالاً من الشعر المرسل انشده أبو عبيدة لابنة أبي مسافع وقد قتل أبوها يوم بدر :

فما ليثُ غريفٍ ذو
أظافير واقدام

كحيّ اذا تلاقوا و
وجوه القوم اقران

وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزبدٌ آنٍ

وبالكف حسام صا
رم أبيض خذام

وقد ترحل بالركب
وما نحن بصحبان (١)

ثم قال : «والمعروف ان الاستاذ الزهاوي هو الشاعر الوحيد في المحدثين الذي رفع لواء الشعر المرسل . ولا اعلم العلة التي حدت بكم الى اغفال ذكره في الموضوع ، وهو معيد الفكرة إلى نشأتها الأولى (٢)» هذا اذا علمنا ان الاستاذ الظريف كان في خصوم الزهاوي في العشرينات . له ردود على الزهاوي وانصاره . لكن الرجل كان محايداً في اشارته ينشد اظهار الحقيقة.

وعلى هذا يمكن ان نعتبر محاولات رزق الله حسون واحمد فارس الشدياق ومن تقدمهما في القرن التاسع عشر بذرة تعهدها الزهاوي فانبتها . فكان له فضل انباتها واثمارها .

وعلى الرغم من تعهد الزهاوي لهذه الفكرة والدعوة اليها الا انه لم يستمر في النظم على هذا اللون الجديد ولم تكن له الا قصائد قليلة في الشعر المرسل

(١) م الرسالة ع ٧ س١، ١٥، أبرل ١٩٣٣ ص ١٣.
(٢) المصدر السابق .

وبقي حتى اواخر حياته يذعن للنظام التقليدي للقصيدة . وليس أدل على ذلك من نظمه قصيدة «ثورة في الجحيم» الطويلة عدد أبياتها (٤٣٥) بيتاً في عام ١٩٢٨ والتى بقيت القافية وحرف الروي بارزين في خواتيم أبياتها ولم يستفد الزهاوي من الشعر المرسل في توظيفه لاداء المعاني في القصة الشعرية .

والخروج على القافية ليس جديداً في شعرنا العربي .فقد خرج الاندلسيون على نظام القافية الموحدة منذ بضعة قرون . لعل الزهاوي استوحى فكرته في الخروج على القافية من شعراء الاندلس في نظمهم الموشح والزجل اللذين خففا من وطأة القافية، فاستحسن صنيعهم، وهاهو ذا يقول: «وقد أحسن الاندلسيون اذ وضعوا الموشح والزجل فخففوا بعض هذه القيود»(١) ومن تنويع القوافي في المثلثات والمربعات والمخمسات والبناء.

ان دعوة الزهاوي للتجديد قد سبقت اوتزامنت مع بعض دعوات التجديد التى انطلقت في الوطن العربي والمهاجر الأمريكية. فهنالك حركات تجديدية ظهرت في المهجر وفي مصر تمثلت بخليل مطران والرابطة القلمية ومدرسة الديوان تضافرت هذه الحركات على تجديد الشعر العربي وتطويره فكانت هذه الحركات ارهاصات لظهور تيارات جديدة في الشعر العربي الحديث كحركة الشعر الحر التي انطلقت من العراق في الاربعينات من هذا القرن .

واصل الزهاوي دعوته إلى التجديد في الشعر وابتدع فكرة الشعر المرسل التى سنتكلم عليها فيما بعد . وحين اصدر مجلته (الاصابة) في عام ١٩٢٦ سخرها للدفاع عن الجديد فنشر فيها بضع مقالات عن الجديد والقديم ولكنها لم تدم طويلاً فقد توقفت عن الصدور بعد العدد السادس وقد افتتحها بقوله: «قد جعلنا صحيفتنا «الاصابة» مثار النضال عن الحق في العلم والادب يتنازل فيها ابطال الجديد منهما انصار القديم الذي لم تعد منه فائدة لأمة تريد نهوضا . مع الناهضين في العصر العشرين (٢) . اما السلاح فيراع

(١) الزهاوي : مقدمة شعراء العصر، ح٢، ص ١٢.

(٢) يقصد القرن العشرين .

مرهف، وحجج دامغة، وهو نضال النهاية والحسم. فلا يكون فيه رأفة بمن يتشيعون للباطل، مهوشين بعصيهم شأن العميان الجاحدين للنور على المبصرين القائلين به» (١)

ثم يقول:

«والاصابة قد أخذت على نفسها ان تغسل بالماء السخن وجه الادب ولاسيما الشعر منه مما علق به من الادران التى الحقتها به العصور والاحقاب فتخرجه للناس ابيض، وضاح الجبين، خلوا من المبالغات والتقليد، حدا يمشي حيث يشاء في رحب من الطبيعة ويناجيها فتوحي اليه أسرارها حتى اذا قرع الاسماع ففتحت له مغالقها ودخل في حريم الارواح هزها كأنها تيار من الكهرباء وتعيد للعربية جلالها، وللشعر روعته بتحريره من قيوده الثقيلة وتفهم الكثيرين ممن يقرضونه انهم لم ينظموا عن شعور بحيث يجيش في صدورهم كأن ماينظمونه اعادة لما نظمه من سبقهم، ونسخة ثانية منه فلايكون له ذلك الأثر المطلوب وتلك القيمة الادبية. وهى تشيد بالجديد وتنبذ القديم الرث الخالي من الاحساس ظهريا، وتعلم الفرق بينهما وترفع مقام الادب الصادق وتدفن الكاذب منه في حفرته فلايقوم بعد ذلك من جدثه إلى أبد الآبدين» (٢)

ونشر في اعداد مجلته (الاصابة) عدة مقالات عن الجديد والقديم مثل (كلمة عن الادب في الماضي) و(بين الجديد والقديم) و(تحديد القديم والجديد) و(إلى اي حد يتطور الشعر).

ولم تقتصر دعوة الزهاوي على التجديد في الشعر بل اتسعت لتشمل اللغة ففي مقاله (خطر الجمود على اللغة) يقول فيه «المحافظون في اللغة كالمحافظين في الادب. يتمسكون بالقاعدة «ابقاء ماكان على ماكان» ولايجوزون ان

---

(١) م الاصابة : ع٤، ١٠ أيلول ١٩٢٦، ص ١.

(٢) المصدر السابق : ص ٢.

يعتورها شيء من التغيير مهما كان طفيفا، والمتجددون يزرون على المحافظين جمودهم على القديم منها ويرون فلك ارجلها من السلاسل التي تربطها بالماضي البعيد ليسير طليقا في تقدمه» (١)

وعلى الرغم من تشبث الزهاوي بالجديد في الشعر في شكله ومحتواه، الا انه لم يقطع الصلة بالقديم بكل اشكاله . فقد حافظ على وشائج الصلة بالقديم لأن الجديد غصن تفرع عن الشجرة الأم. اذ لايتصور غصن بلا شجرة تتعهده وتزوده بوسائل الحياة والنمو. فهو يريد الحفاظ على الجزالة العربية والاسلوب والشعور وهاهو ذا يقول: «ولاأجمد على الاوزان الستة عشر الدارجة عندنا. ولكني أقول بالمحافظة على الجزالة العربية والاسلوب والشعور العربيين لنبقى عربا وان لانزخرف الشعر بما لاطائل تحته فنزعم انا قد جددناه»(٢) ويقول أيضاً : «الله الله ايها الشعراء في الشعر العربي لاتقتلوه، فانكم ان قتلتموه قتلتم العرب» (٣)

وقد تفاءل الزهاوي بمستقبل الشعر العربي وتكهن بأن «سيرتقي الشعر العربي اكثر مماهو عليه اليوم (عام ١٩٢٠) طبقا لارتقاء شعور العرب المناسب لحضارتهم وعلومهم . كما ارتقى في زمن بني العباس عما كان عليه في الجاهلية» (٤)

واننا لنجد في الحركات التجديدية في الشعر بعد الحرب العظمى الثانية التي جددت في القوافي والاوزان والمعاني والموضوعات مصداقا لتوقعات الزهاوي فقد عمت حركة الشعر الحر الوطن العربي كله. وتطور الشعر ايما تطور.

---

(١) م الاصابة : ع ٤٤ ، ١ ت١ ١٩٢٩، ص ٢٥ .
(٢) ج العراق : ع ٥٣٨، ٢٥ شباط ١٩٢٢، ص ٢٢٥.
(٣) ج العراق : ع ٥٢٤، ٩ شباط ١٩٢٢، ص ٢٢٥.
(٤) ج العراق : ع ٥٢٦، ١١ شباط ١٩٢٢، ص ٢٢٥.

تجديد القافية

ان دعوة الزهاوي قائمة على تحطيم الشكل التقليدي للشعر العربي .وابرز مافي دعوته هو تحطيم عنصر مهم من عناصر الشكل وهو القافية . هذا العنصر الذي ألفه الشعر العربي ودرج عليه منذ أكثر من خمسة عشر قرناً او يزيد. ولم يجرؤ الشعراء على التمرد عليه منذ عصر ماقبل الاسلام إلى عصرنا الحديث، باستثناء بعض محاولات قام بها الشعراء في الاندلس وفي المشرق لكسر هذا القيد في مانظموه من الموشح والزجل والبند والمربعات والمخمسات . وظلت القافية محافظة على جلالها إلى أن قام بعض الشعراء في أوائل هذا القـــرن بمحاولات لتحرير الشعر العربي من قيودها . والزهاوي من اوائل الشعراء العرب الذين حاولوا تحطيم قيود القافية الموحدة . وكان يرى ان القافية «ليست من الشعر المنظوم في شيء»(١) .

ولا نكاد نجد مقالة للزهاوي في الشعر او رأياً فيه الا ويدعو للقضاء على القافية التي يرى انها قيدت الشاعر ووقفت عائقاً في سبيل شاعريته وانها أصعب مافي الشعر ، لايعلو كعب الشاعر الا اذا اجادها (٢).

وعلى الرغم من سخط الزهاوي ونقمته على القافية ودعوته للقضاء عليها قضاء تاماً ، الا انه كان يدرك ان ليس من السهل خلع القافية التي الفها الذوق العربي دفعة واحدة كما يخلع الخاتم من الاصبع . فالعربي ذو طبيعة محافظة . لذا راح يرسم طريق الخلاص منها بشكل تدريجي فعمد إلى تنويع القافية في القصيدة الواحدة بأن جعل لكل مطلب من مطالبها روياً . فيقول : «وعندي ان خير طريق للخلاص من عبئها (القافية) هو ان يحافظ الشاعر في قصيدته على البحر، سواء كان من بحور الشعر القديمة ام الجديدة . وان ينتقل بعد

(١) ج العراق : ع ٥٣٨، ٢٥ شباط ١٩٢٢، ص ٢.
(٢) انظر شعراء العصر، جـ٢، ص ١١.

كل بضعة أبيات إلى روي جديد ، فان القصيدة لاتخلو من مطالب مختلفة مع مناسبة بعضها لبعض ، فيجعل لكل مطلب روياً »(١) .

وقد نظم الزهاوي على هذا النسق قصائد عديدة مثل قصيدة (شهقات) و (على قبر ابنتها) و (كلمتي) و (يا أم كلثوم) و (يا خير من عزم) وقصائد أخرى متفرقة في دواوينه. اليك أنموذجاً من قصيدة (شهقات)

(١)

ما ان يريد حياة ... في الذل الا الجبان

نخشى المنون وشر ... من المنون الهوان

لسنا نريد أماناً ... منه وفيه الأمان

الارض ليست بدار ... فيها الحقوق تصان

بين الذين عليها ... يحيون حرب عوان

لا تلحني ان تأخر ... ت يوم جد الرهان

فقد اردت لحاقاً ... وما اراد الزمان

(١) ج العراق : ع ٥٣٨، ٢٥ شباط ١٩٢٢، ص ٢. والديوان ص ٤.

(٢)

ان السماء لتبتغي
في كل يوم شهيداً

والارض تعلن للنا
ظرين قبرا جديدا

لا يوم الا وفيه
الانسان يبكي فقيدا

مات الوحيد لأم
فالأم تبكي الوحيدا

لقد شجاني صبي
يلوي من اليُتم جيدا

كم قد طلبت سعيدا
فما وجدت سعيدا

إنْ نيل بالعسف عيش
فلا يكون رغيدا

(٣)

قد أطبق الموت عينين
من فتاة رداح

هوت بها وهي بكر
يد بغير جناح

ماتت فنامت بقبر
اعد غير فساح

ما للمقيم به بعـ
ـد ان ثوى من براح

يأتي على المرء فيه
ليل لغير صباح

فزاره صاحب كا
ن نضو حب صراح

يهدي إلى القبر زهراً
من نرجس واقاحي (١)



(١) الديوان : ٥٦ – ٥٧د .

تنويع القافية

لقد قام الزهاوي بمحاولات جدية في تنويع القافية انطلاقاً من آرائه الجديدة في القضاء على القافية الموحدة. ولكي تأخذ دعوته في التجديد طابعاً عملياً ، نظم قصائد عديدة متنوعة القوافي تفنن في تنويعها واخراجها ، وبالغ في تأنقها . فاخرجها في حلل متنوعة . فهي تارة في زي موشح واخرى بشكل مثلثات او رباعيات او مخمسات وثالثة بشكل مجموعات كل مجموعة من سبعة ابيات او عشرة بقافية واحدة ، تختلف عن قوافي المجموعات الأخرى مثل قصيدة (حسرات) و (لم تدم لنا) و [(تنويماً لطفلتها)] والشعر المرسل) و (شهقات) و (القوة والمادة) و (على قبر ابنتها) و (بكى على نفسه وناحا) و (مشهد من الحرب الكبرى) و (الربيع والطيور) و (الصارخة) و (الا أنا وحدي) و (العلم والجهل) و (كلمة في الشعر) و (تحية وترحيب) و (كلمتي) و (في موقف الشكر) و (شكاة) و (تذكرت ليلى) و (ياأم كلثوم) و (ياخير من عزم) و (نشيد فيصل المعظم) و (الذكرى الألفية) .

هذه القصائد اتخذت قوالب واشكالاً جديدة ومتنوعة ، اراد ان يجسد بها فكرته في التجديد في قوالب الشعر واشكاله .

حرف الروي

كثيراً ما يقف حرف الروي في سبيل الشاعر فيضطره الى ابدال المعنى بمعنى آخر ليناسب حرف الروي فيضحي بالمعنى من أجل الروي. وحرف الروي يستدعي الشاعر ان يلم الماماً كبيراً بمفردات اللغة ومرادفاتها واشتقاقاتها ليسهل عليه اختيار اللفظة المناسبة للمعنى المشتملة على حرف الروي. واختيار الالفاظ التي تنتهي بحرف الروي لا تخلو من الصعوبة، بخاصة اذا كانت القصيدة طويلة ولو لا هذه الصعوبة لولج ميدان الشعر كثير ممن لا يحسنونه. فقد قطع السبيل على الذين تعوزهم الثروة اللفظية والخبرة اللغوية والموهبة الشعرية.

والقدرة على نظم الشعر هي التي ميزت الشاعر من غيره فاراحت غير الشعراء من الخوض فيه. ولم يرتق سلم هذا الفن الامن اسعفته قريحته وأمدته موهبته واعانه طبعه. وقد برز في ميدان الشعر شعراء أسلم الشعر لهم قياده فأتوا بكل بديع رائع وكل كلام رائق، تطرب له النفوس، وتهتز له القلوب وتستجيب له الارواح. وليس ادل على هذا من مئات الدواوين وآلاف القصائد التي خلدها الزمان وحماها للاجيال جيلا بعد جيل.

فحرف الروي الذي أرهق الشعراء وأرقهم وكد أذهانهم على مدى خمسة عشر قرناً او يزيد يرى فيه الزهاوي انه «ليس في مذهبه من الشعر في شيء بل هو في الحقيقة سلاسل يقيد الشاعر بها شعوره فلا يقول كل مايريد بل يمشي معها في سبيل شاعريته مشي المقيد في الوحل» (١).

والروي في رأي الزهاوي هو بقية جناس كان موضع اعجاب المتقدمين في الزمن الغابر. وتوقع ان الشعراء سينكبونه في شعرهم كما نكب الكتاب عن السجع في نثرهم(٢) فهو عضو أثري سوف يزول في المستقبل(٣)

(١) الزهاوي : مقدمة كتاب شعراء العصر، حـ٢ ١١ .

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) م المقتطف : حـ٥ : ٤٩٧، ك١ ١٩٢٤ .

وقد اختفى حرف الروي في بعض قصائد الزهاوي التي نظمها على طريقة الشعر المرسل. ولكنه ظل بارزاً بوضوح في أكثر قصائده التي نظمها في أواخر حياته. وخير دليل على ذلك هو دواوين الزهاوي التي بدأ فيها حرف الروي شامخاً في معظم قصائده .

ونبوءة الزهاوي في زوال حرف الروي قد تحققت بزوال القافية عند اكثر الشعراء الذين ساروا في ركاب التجديد .



الشعر المرسل

لعل اعنف ثورة قام بها الزهاوي على الشعر التقليدي حينما طرح فكرته في الشعر المرسل كبديل للشعر التقليدي الموحد القافية ودعا إلى نبـذ القافية في مقاله (الشعر المرسل) الذي نشره في جريدة (السياسة) عام ١٩٢٥ . والذي بدأه بقوله : ((القوافي قيود ثقيلة في ارجل الشعر العربي، يرسف فيها ، ولا يكاد يمشي حراً كما يجب ان يمشي . وكم من شاعر خسر المعنى لانصرافه إلى القافية او نبذه ما يكابد من صعوبتها . وآخر رسف القوافي رسفاً وأخذ يستخرج المعاني منها كأنها الحجر الأساسي لبناء أبياته فهو لم يتحر القافية للمعنى بل تحرى المعنى للقافية ، فجاءت معانيه تافهة متناقضة او مبالغاً فيها. وما التزام شعرائنا للقافية الا جمود منهم على القديم الذي ألفوه جيلا بعد جيل متوارثين اياه منذ الوف السنين وتهيب منهم من الجديد وان كان غض الشباب جميلاً)) (١)

ووجه تهماً متلاحقة للقافية ، ونسب اليها علة تأخر الشعر العربي . ورأى ان الشعر العربي لايتقدم الا ببتر هذا العضو المعوق للتطور فقال :((القافية وحدها سبب تقصير الشعر العربي عن اللحاق بالشعر الغربي ، والقافية هي سبب قلة الابتكار وتفاهة المعاني والموضوعات عند شعراء العرب . وبالاختصار هي آفة الشعر العربي وعقبة الشاعر الكأداء)) (٢) .

وقد عزز الزهاوي مقاله بقصيدة عنوانها (في الصباح) من اربعة وعشرين بيتاً لتكون مثالاً لهذا اللون الجديد (الشعر المرسل) . هذا قسم منها :

قـــد شجـتـنـــي تـغـــــــنـي
فوق غـصـن لـدن مـن الليمـون
سجعـت في الصبـاح إذيثـــب النـــو
ر علـى النـهر والـربـى والبطـاح

(١) ج السياسة : ع ٧٤، ص ٣، ٢٩ أيار ١٩٢٥
(٢) المصدر السابق

ورأتني ادنو فكففت عن السجـ
ـع كمن خاف طارئاً قد يضير
لاتخافي مني فما انا الا
شاعر شجوه كشجوك جم

* * *

انما نحن ياحمام سواء
فكلانا قد أبعد الدهر إلفه
وكلانا يرى الحياة شقاء
وكلانا قد بات يرقب حتفه

ثم يختمها بهذين البيتين * * *

ليس لي من لبانة في حياتي
غير انى أراك ثم أموت
فلنقم ساعة معاً نتشاكى
انها فرصة لنا ستفوت

* * *

يتبين من هذه القصيدة ان الزهاوي لم يمح القافية محواً تاماً وانما نوع فيها كما يبدو في البيتين الخامس والسادس والبيتين الأخيرين وذلك للتدرج في نزعها.

اثار مقال الزهاوي (الشعر المرسل) زوبعة عنيفة في الاوساط الادبية والنقدية فانبرى عدد من الادباء للرد عليه واختلفت مواقفهم منه مابين مؤيد له يناصره ويثنى عليه وبين ساخط حانق يقف في سبيله ويفند آراءه. فالذين ينزعون إلى التجديد ناصروا الزهاوي في قضية الشعر المرسل، والذين ينزعون إلى القديم ناهضوه.

انعكست مواقف النقاد من قضية الشعر المرسل من خلال مانشروه من مقالات وآراء وتعليقات على صفحات (السياسة، والمفيد، والعالم العربى،

ومجلة الحرية) كانت سببا في قيام حركة نقدية نشيطة في تلك الفترة . فقد نشرت مقالات عديدة استمرت لفترة تزيد عن الشهرين . مثل مقال (الشعر المنثور لاالشعر المرسل) لـ(أ.خالد) و(الشعر والغناء) بلا توقيع و(حول مقال الشعر المرسل للاستاذ الزهاوي) و(العودة إلى الاستاذ الزهاوي) لتوفيق السمعاني، و(الزهاوي المجدد ، حول الشعر المرسل) بحلقتين لاحمد حامد الصراف، و(الشعر المرسل) لمحمد بهجة الأثري، و(الشعر المنثور والمرسل) لابراهيم ادهم الزهاوي، و(الشعر المرسل، دفاع عن الاستاذ الزهاوي) لـ(ف. كنعان)، و(الانتصار للاستاذ الزهاوي، الشعر المقفى والشعر المرسل) بحلقتين لعبد الرزاق الناصري، و(حديث الرصافي) المنشور في مجلة الحرية الذي اجاب الرصافي فيه على أسئلة رئيس تحرير المجلة المذكورة عن السؤال الخاص بالشعر المنثور والمرسل.

ولم تنحصر هذه الزوبعة في العراق فحسب بل تجاوزته الى البلدان العربية المجاورة. فقد نشرت جريدة (المفيد) في عددها ٤١٠ الصادر في ١٢ حزيران ١٩٢٥ على صفحتها الأولى صورة الزهاوي ثم علقت عليها بالعبارة الآتية : «ننشر هنا رسم الاستاذ الزهاوي لمناسبة الضجة الادبية التي احدثها اقتراحه الأخير في اطلاق الشعر العربي من قيوده». والى جانب الصورة كتبت الجريدة هذه الكلمة تحت عنوان« اقتراح الزهاوي» ما نصه:

«كتب الينا احد أدباء دمشق يقول ان اقتراح الزهاوي بشأن ما وصل اليه الشعر العربي من التأخر والانحطاط احدث تأثيراً كبيراً في اندية عاصمة الامويين . وسوف تنشر جريدة الميزان (الدمشقية) مقالات خطيرة في هذا الشأن» (١) .

من الضروري الوقوف عند آراء ومواقف بعض نقاد الزهاوي في قضية الشعر المرسل. وسأقف عند ثلاثة منهم كانت لهم مواقف مختلفة من هذه القضية هم: (أ. خالد) و(توفيق السمعاني) و(محمد بهجة الأثري). كان

(١) ج المفيد : ع ٤١٠، ١٢ حزيران ١٩٢٥، ص ١

أسبقهم في الرد على الزهاوي هو: (أ. خالد) الذي نشر مقالاً بعنوان (الشعر المنثور لا الشعر المرسل) فقد ذهب فيه أبعد مما ذهب الزهاوي .

يذهب (أ. خالد) الى ضرورة تطور الادب العربي واللغة العربية. ويرى ان الحروف العربية الحاضرة وقواعد الصرف والنحو وعلم البديع والعروض تقف حائلا دون نهضة الادب العربي نهضة صحيحة. وسارع الى التنبيه الى انه لا يريد ان يذهب مذهب المتفرنجين الذين يريدون استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وانما دعا الى ان توكل مهمة تطوير اللغة العربية وعلومها الى مجمع لغوي. والعالم العربي يفتقر الى هذا المجمع(١) .

في الواقع ان دعوة أ.خالد لتطوير علوم اللغة العربية كافة أعم وأشمل من دعوة الزهاوي التي اقتصرت على تطوير الشعر بصورة خاصة. فعلوم اللغة وآدابها بحاجة ماسة الى التجديد والتطوير .

واذا كان الزهاوي قد ذهب الى تحرر الشعر من القافية فان أ. خالد ذهب الى تحرر الشعر من الوزن والقافية معاً اي (الشعر المنثور) متأثراً بفكرة أمين الريحاني في الشعر المنثور الذي تابع الشاعر الامريكي(والت ويتمان) الذي اطلق الشعر من الوزن. فأراد أ. خالد نقل هذه الفكرة الجديدة الى الشعر العربي. وتحطيم عناصر الشكل في الشعر العربي والابقاء على عناصر المضمون، فهو يرى ان الشعر شيء آخر غير الوزن والقافية (٢) .

وهذه دعوة الى تطور سريع وقفزة كبيرة بالشعر فتراه بين ليلة وضحاها يفقد عناصر الشكل التي الفها منذ نشوئه الى اليوم. وهذا يتعارض والتطور الطبيعي للأشياء .

يرى أ. خالد ان اطلاق الشعر من قيود الوزن والقافية هو تطور في الشعر في حين يرى الزهاوي انه تطور في النثر لا في الشعر. لعل رأي الزهاوي هو أقرب الى الصواب لان محو الوزن والقافية من الشعر، يعني تحول الشعر الى نثر بفقده عنصر الموسيقى .

---

(١) انظر ج السياسة : ع ٨١، ٦ حزيران ١٩٢٥، ص ٣

(٢) انظر المصدر السابق

يبدو ان أ. خالد لم يفرق بين الشعر المنثور الذي ادعى انه نظم فيه وانه سبق الزهاوي اليه، وبين الشعر المرسل. في قوله: «وقد عجبت كيف ان الاستاذ الزهاوي يجدد الآن الدعوة الى الشعر المنثور الذي يسميه المرسل في حين انه كان من خصومه ومن المشنعين عليه وآخر ذلك سلسلة مقالات في الطعن في جريدة الاستقلال البغدادية حين نقدت شيئاً من شعره فادعى ان عجزي عن النظم الجأني الى الشعر المنثور وتهكم باحدى قصائدي المنثورة بعنوان النابغة مع ان صاحب طريقة الشعر المنثور بالعربية الاستاذ الريحاني اعترف بشعري المنثور ونبرته واقتبس قطعة من تلك القصيدة عينها في كتابه الجليل ملوك العرب الجزء الثاني» (١) فالشعر المنثور يخلو من عنصر مهم من عناصر الشكل وهو الوزن في حين ان الشعر المرسل يحافظ على الوزن دون القافية . وهذا فرق كبير بين اللونين

رد الزهاوي على أ. خالد في الحلقة الثانية من مقاله (الشعر المرسل والرد على ناقديه في جريدة (العالم العربي) وفند ما زعمه أ. خالد في رده عليه .

اما توفيق السمعاني فقد ادلى بدلوه في قضية التجديد في القافية والوزن وفي الشعر المنثور.

يؤمن السمعاني بضرورة القافية واهميتها في الشعر الا انه في الوقت عينه يراها سببا لتأخر الشعر العربي عن اللحاق بالشعر الغربي لذا راح يدعو إلى التخفيف من وطأتها بأن يلجأ الشعراء إلى القافية القصيرة التي لاتتجاوز خمسة أبيات بخاصة في القصائد الطويلة (٢) وفي هذا يلتقي مع الزهاوي في تفتيت القافية الا ان الزهاوي اباح للشاعر ان ينتقل من قافية إلى أخرى حسب مطالب القصيدة ويدعو السمعاني الشاعر إلى التمرد على اوزان الخليل وابتكار اوزان جديدة ويرمي ماأتى به الخليل من القيود والاوزان في زوايا

(١) المصدر السابق .
(٢) انظر ج المفيد ع ٤٠٦، ٨ حزيران ١٩٢٥ ص ٢.

م/٣١/ا.م.س

النسيان (١) ثم لايكتفي السمعاني بهذا بل يذهب إلى خلع الوزن وتجريد الشعر منه فيرى «ان الوزن يعجز عن حصر الشعر فيه، وان الوزن لقاصر عن اظهار مافي النفوس والميول والعواطف والخواطر »(٢) وهنا يختلف السمعاني عن الزهاوي في ان الزهاوي يؤمن بضرورة الوزن للشعر .

اذن هي ثورة على الشعر التقليدي الموزون المقفى ودعوة إلى الشعر المنثور الطلق من قيود الوزن والقافية .واذن هي ثورة على الشعر ولكن في اتجاه مغاير لاتجاه الزهاوي فالزهاوي ثائر على القافية داع إلى الشعر المرسل والسمعاني ثائر على الوزن والقافية داع إلى الشعر المنثور سائر في الاتجاه الذي سار فيه أمين الريحاني .

ولكن السمعاني لم يستطع التخلص من هيمنة الاتجاه المحافظ فلذا ارتأى ان يسير الشعر التقليدي والشعر المنثور جنبا إلى جنب لاتاحة الحرية للشاعر في اختيار ايهما شاء وفي هذا يقول: «وماضررنا اذا كان في الشعر العربي شعر منظوم وشعر منثور شعر منظوم لمناجاة الروح والخيال واطراب الاسماع وشعر منثور لمناجاة الروح والخيال »(٣)

أما الاستاذ محمد بهجة الأثري فقد نقد بعنف مقال الزهاوي وآراءه بمقال في جريدة المفيد بعنوان (الشعر المرسل) علقت عليه الجريدة المذكورة بما نصه : «جرى بيننا وبين الاستاذ الفاضل الأثري حديث كاف حول اقتراح الاستاذ الزهاوي . ولما كان الاستاذ الأثري ممن وهبهم الله اطلاعاً واسعاً في مثل هذه المباحث الخطيرة ، اقترحنا عليه ، ان يبعث الينا برأيه . وها هو الآن قد بر بوعده اذ بعث الينا بهذه المقالة الممتعة ننشرها له شاكرين عنايته مثنين». (٤)

---

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) ج المفيد ع ٤١٩، ٢٣ حزيران ١٩٢٥، ص ٢.

(٣) المصدر السابق .

(٤) ج المفيد : ع ٤١٣، ص ٣، ١٦ حزيران ١٩٢٥.

يبدو أن الصحف كانت تحث الادباء إلى رفد الحركة النقدية بآرائهم ومناقشاتهم فتتوجه إلى هذا الناقد أو ذاك تطلب اليه المساهمة في تحبير المقالات التي توسع دائرة النقاش . وتلقي الاضواء على بعض القضايا والمواقف النقدية لاتحاف قارئيها بالآراء والافكار التي توسع آفاقهم .

رد الأثري في مقاله على الزهاوي بعنف . اذ بدا في مقاله متزمتاً ساخطاً تلمس فيه روح القدماء في غيرتهم على القديم كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وآراؤه في الشعر هي صدى لآراء القدماء واستمرار لنزعتهم . فقد لبس عبوسهم واستخدم مقاييسهم وعبر عن آرائهم . فآراؤه هي خلاصة لآراء قدامة وابن رشيق . وقد نقل الاثري في مقدمة مقاله ماقاله ابن رشيق في حد الشعر وعناصره الأربعة (اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية) وعرف كل عنصر من هذه العناصر . ثم حمل على الزهاوي وأشياعه حملة شعواء ونعتهم بنعوت قاسية تدل على الاحتقار والاستصغار من شأنهم وشأن آرائهم الجديدة . وحاول سلب صفات الشاعرية منهم . فوصفهم بـ(المتشاعرون المستعربون) ((المفحمون) و (الشويعر المفحم ، الالكن الاعجم) . يقول فيهم : «اما أولئك المتشاعرون المستعربون الذين منيت بهم العربية والعروبة فلهم أن يستثقلوا مايستثقلون ، أو يريدوا التقصي مما يريدون ،فالطبع منهم ناب والفكر أصلد ، والقريحة قريحة واللسان أعجم يرتضخ لكنة : فلا اللفظ يطيعهم ، ولا المعنى يأتيهم . وهنالك حيث لالفظ ولا معنى يتلكأ الوزن وتستعصي القافية بعد عصر الدماغ واستبراء زناد الفكر طويلا من الزمن)) (١) .

ان نقد الأثري للزهاوي كان نقداً تأثرياً منفعلاً غاضباً يتنافى وصفات الناقد المتجرد . فالناقد ينبغي ان يتعامل مع النص بتجرد لا يأخذه هوى او عصبية ، وتنطلق احكامه من مبدأ الحق والعدل ، يتوخى بها توجيه المنقود وارشاده ويبين له حسنات النص وسيئاته . لا ان يغضب ويحقد على المنقود.

(١) المصدر السابق .

ولم ينفرد الأثري بهذه الصفة بل هو واحد من كثير . فقد كان الحقد والسب والخصومة سمة بارزة من سمات النقد في العراق في تلك الفترة .

ويواصل الاستاذ الاثري هجومه على الزهاوي فيقول : ((فلا بدع اذا ماثار بركان غضب الشويعر المفحم ، الالكن الاعجم وصب جام لعناته على العربية وآدابها واصدر حكمه الصارم على عجز اللغة وضيق عطن الاداب ثم تناسى عجزه وجهله ، وقام يصور أوهامه بصور الحقائق ويبني حججه على مقدمات هي أفسد من اضغاث الاحلام ويدعو الناس غير خجل إلى مشاركته في رأيه المأفـــون .

والرزية كل الرزية ان ترى اولئك المفحمين الذين انكرت العربية عجمتهم ونعت عليهم فساد ذوقهم ، وزيغ طباعهم — يقولون باسم (التجدد) على العربية وآدابها ويسلقونها بالسنة حداد ، ينسبونها واعاظم علمائها إلى العجز والضيق وانت اذا نظرت في منظومهم او منثورهم لاترى فيه غير اللفظ المغلوط ، والمعنى المقلوب ، والرأي السخيف ، والفهاهة الباقلية والحماقة الغبشانية . وان عثرت على مافيه شيء من المعنى فذلك هو المأخوذ المنتحل لامحالة)) (١) .

ان مقال الأثري قد اتسم بالانفعال والتزمت ، وكان الاولى ان يكون موضوعياً ونقاشه هادئاً متزناً يستند فيه إلى الحجة الدافعة والدليل المقنع ، وبعد كل ماعرضناه مما جاء في مقال الأثري نرى الأثري يقول : ((ولا يتوهمن احد من كلامي هذا اني متعصب هنا للقديم ، ومعاد للحديث وانما انظر في الطريقتين فاقبل منهما ماهو حسن مقبول، والفظ ماهو سخيف مملول ، فلا اتعصب للقديم ولا أمقت الحديث)) (٢) .!

وليست هذه هي المرة الأولى التي يرد فيها الأثري على الزهاوي . فهنالك ردود أخرى سنتحدث عنها .عندما نتحدث عن معارك الزهاوي الأدبية والنقدية في بحث آخر .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

وانا نلتمس العذر للاستاذ الأثري فان غيرته على العربية وآدابها وحبه لها هي التي جعلته يقف بوجه من يريد طمس معالمها وتغيير طبيعتها . فوقف ينافح عنها بقلمه ويرد المشككين بقدرتها . فكان يرى في الزهاوي واحداً من هؤلاء .

ولا يفوتنا قبل أن نختم موضوع الشعر المرسل أن نتعرف إلى رأي الرصافي فيه . الواقع اننا لم نجد للرصافي مقالاً او رأياً في الشعر المرسل سوى اجابته على الأسئلة التي وجهها اليه رئيس تحرير مجلة الحرية فاجاب على السؤال الخاص بالشعر المرسل بقوله «وجل مايتجلى لي من هذا الشعر الذي يسميه صاحبه بالمرسل ، انما هو اقتران الرعونة بالشعور وخلط السخافة بالظرافة وادغام التفاهة بالنباهة وطلب السمعة من وراء البدعة» (١) .

يتبين من هذا القول ان الرصافي قد أنكر على الزهاوي فكرته الجديدة (الشعر المرسل) ويعتبرها بدعة من البدع . لعل ذلك يعود إلى سوء العلاقة بينهما وادبار احدهما عن الآخر في تلك الحقبة .

(١) م الحرية : جـ١ — ٢، ص ١٥، ١ تموز ١٩٢٥، من (حديث الرصافي) .

تجديد الأوزان

اذا كان الزهاوي قد تحمس للقضاء على القافية واطلاق الشعر من آسارها لأنها في رأيه «ليست من النظم في شيء» (١) فان موقفه من الوزن يختلف عن موقفه من القافية. فقد آمن بضرورة الوزن للشعر لأن الشعر بلاوزن يخرج عن كونه شعرا. لذلك حافظ على الوزن في شعره ودعا الشعراء إلى المحافظة عليه فقال: «انظم على ماتشاء من القوافي الا انك مضطر إلى محافظة الوزن والاخرج ماتقوله من كونه شعرا »(٢)

ويبين الزهاوي أهمية الوزن للشعر فيعتبره عنصرا ضروريا للشعر لايقوم الشعر الابه لأن الوزن هو مصدر الموسيقى والايقاع في الشعر المتمثل بالحركات والسكنات والقضاء على الوزن قضاء على الشعر فيقول : «الوزن للشعر قبل كل شيء ولايهون علي بوجه من الوجوه ان يعتريه مايقضي على حياته (لاسمح الله) وهل يجعل الشعر شعراً الا الموسيقى التي هي منبعثة ، من الوزن، ام هل هنالك شعر من غير وزن ليكون الوزن قد طرأ عليه فغل أيديه وكبله بسلاسله»(٣)

ويذهب إلى ابعد من هذا .فيقول: «وأرى رفع الوزن من الشعر قتلاله معتقدا اني لو فعلت لجنيت على الأدب العربي جناية لاتغتفر وحاشا لي أن أفعل» (٤).

واذا كان الزهاوي يؤمن بضرورة الوزن وأهميته للشعر فان هذا لايعني انه لم يخضع الاوزان للتجديد .فقد أجاز للشاعر ان ينظم على الاوزان الخليلية او سواها من الاوزان المستحدثة او التي يبتدعها الشاعر كما انه اباح

---

(١) ج العراق ع ٥٣٨، ص ٢، ٢٥ شباط ١٩٢٢.

(٢) ج العراق ع ٥١٨، ص ٢، ٢ شباط ١٩٢٢ .

(٣) ج العالم العربي ع ٣٧٤، ص ١، ١١ حزيران ١٩٢٥ .

(٤) ج العالم العربي ع ٣٧٥، ص ١، ١٢ حزيران ١٩٢٥ .

الاوزان العامية والبدوية كالاوزان التي استحدثتها قبيلة المعدان في العراق او الشاعر الشعبي عبود الكرخي شريطة ان يراعي الشاعر انطباقها على الالحان الموسيقية (١) وتلك دعوة للعامية، اذ ان اباحة الاوزان العامية هي اباحة النظم في العامية ويبدو ان الزهاوي يعد النظم في العامية لون في الوان التجديد في الشعر.

هال الزهاوي ان يظل الشعر العربي جامداً على بحور الخليل القديمة ودعا إلى كسر هذا الجمود الذي ادى إلى تأخر الشعر العربي عن الشعر الغربي لذا اجاز الشعراء في توليد اوزان جديدة من اللغة التي يتكلمونها لكي توافقها. فيقول: «وجمودنا على القديم من الاوزان هو كجمودنا على كثير من العادات الموروثة سبب كبير لتأخرنا في الشعر عن الغربيين الذين سبقونا فيه اشواطاً. ولو كان الشعر متقدما عندنا لما اضطررنا ان نغير كثيرا من الكلمات عن طبيعتها لتجيء موافقة للوزن... واما اصحاب الاوزان الجديدة فلا يضطرون لأجل الوزن إلى الحياد عن طبيعة اللفظ لأن اوزانهم قد تولدت من لغتهم التي يتكلمون بها فهي توافقها كما في اناشيد عرب المعدان في العراق»(٢)

للزهاوي آراء في الاوزان وردت في مقالاته ومحاضراته ومقدمات دواوينه فقد وردت في مقدمة الجزء الثاني لكتاب شعراء العصر وفي محاضرته (الشعر) التي نشرتها جريدة العراق عام ١٩٢٢م وفي ديوانه الا انه فصل القول في الأوزان في مقاليه (تولد الغناء والشعر) و(تولد الغناء والشعر، علم العروض) المنشورين في مجلة (المقتطف) فقد أسهب فيهما القول عن اصل الاوزان ونشأتها وتطورها وتحدث عن الاوزان العامية وعرض لها نماذج من الشعر ثم عرض طريقة جديدة في التقطيع الشعري.

---

(١) انظر الديوان: ٤، م المقتطف حـ٥ مج ٦٥، ل١ ٤١٩٢٤، ج السياسة ع ٧٤، ٢٩ آيار ١٩٢٥.

(٢) الزهاوي: مقد حـ٢ شعراء العصر، ص ٨ – ٩.

بسط الزهاوي آراءه في أصل الاوزان ونشأتها فقال: «الاوزان في مبدئها تكون هجائية ثم ترتقي فتكون عروضية كما هو شأن الشعر العربي اليوم والظاهر ان الاوزان نشأت من التهيج فان الانسان اذا تهيج تهيجا عصبياً اكتسب كلامه انتظاماً، وهذا الانتظام هو شيء في الوزن، وكلما كسب الفكر ثراء كان الكلام اكثر موسيقيا او امتزج بالموسيقى» (١)

وآراء الزهاوي في أصل الاوزان ونشأتها قائمة على الافتراض اعتمد فيها على مظاهر السلوك للرجل والمرأة في حالات الانفعال كالذي يقوم به الرجل او المرأة في التعبير عن حالات الفرح اوالفجيعة عند بعض القبائل. ففي حال الفجيعة تكرر المرأة كلمات التوجع وفاق لطم الوجه، اواللدم على الصدر، او الشهيق والزفير، وهي تطيل تلك الكلمات تارة وتقصرها أخرى، اوتبدي تأوهات وتنهدات. فاذا ندبت ترفع صوتها وتخفضه تبعا لفوران احساساتها اوضعفها، ويتخلل كلماتها او حروفها انقطاعات قصيرة وفي حال الفرح، فان الرجل المتحمس او المرأة الجذلى يبدبان احساسهما بكلمات توافق رفس الأرض بالرجل مرة او مرتين، اومد الذراع وقبضها، اوقفزاتهما عند الرقص وعند المناحات والافراح المعقبة للانتصارات يشترك عدد من الرجال او النساء، باعادة الكلمات التي تفوه بها النائحه او الرئيس او اعادة رفس الأرض ومد الايدي وقبضها على نسق واحد ونظام من غير زيادة او نقصان.

فالشعر والغناء في رأي الزهاوي قد تولدا من تلك الاصوات والانقطاعات التي تتخللها، وارتفاعاتها وانخفاضاتها، باعادتها، أو بزيادة مقطع عليها، اوحذفه، اوتبديل مقطع بآخر، بالفاظ تدل على احساسات جديدة، ومعان تريدها النائحه، او المتحمس، تشعران بتلك الاحساسات القديمة. (٢)

---

(١) ج العراق ع ٥١٨، ص ٢، ٢ شباط ١٩٢٢.

(٢) انظر م المقتطف حـ٥ مج ٦٥، ص ٤٩٤، ك١ ١٩٢٤، مقال الزهاوي (تولد الغناء والشعر)

ويذهب الزهاوي إلى ان الاوزان في أصلها هي الفاظ مكررة ترددها النائحة في حالات الفجيعة تنبعث من اعماقها، تحمل معها نفثات الألم وهي تلطم وجهها وتلدم صدرها كما اذا قالت: «ويلي ويلي» او «اوه اوه» بفترات قصيرة اوقالت «قد ماتوا قد ماتوا» او «ياويلنا ياويلنا» او «اين أهلي اين أهلي» او «لقد هلكوا لقد هلكوا» إلى غير ذلك من الكلمات التي يكررها المفجوع ثم تقدموا فيه فأخذوا يؤلفونه من تفاعيل ثلاثة او اربعة ثم جعلوا يغيرون بعض تلك الكلمات مع المحافظة على الوزان ثم جعلوا يؤلفون بين الكلمات من وزانين مختلفين» (١)

ويخضع الزهاوي الشعر في تطوره الى سنن النشوء والارتقاء فيرى ان الشعر في أوله كان شطراً واحداً ثم تدرج فصار شطرين متطابقين، مع تكرار الكلمة الأخيرة، ثم ترقى الى عدة ابيات موافقة لأول شطر من غير إعادة شيء من الكلمات الا الروي فتكونت القصيدة بشكلها البسيط ثم المركب، وهو نهاية ما وصلت اليه القصيدة التقليدية(٢) ويرى ان وزن القصيدة في البداية كان من بحر واحد او بحرين بسيطين ثم تفنن الشعراء في توليد بحور كثيرة بسيطة ومركبة. البحور البسيطة هي ما كانت تفاعيلها على وزان واحد كالمتدارك والمتقارب اما البحور المركبة فهي ما كانت تفاعيلها على وزانين، كالطويل والخفيف، والاولى من الثانية لبساطتها(٣).

ان اوزان الشعر العربي التي شاعت وألفها الشعراء هي الاوزان الستة عشر المعروفة. ولكن هل هي كل اوزان الشعر العربي القديمة؟ فقد لا تقتصر الاوزان القديمة على الاوزان الستة عشر. وانما كانت هناك اوزان أخرى لكنها لم تشع لعدم اقبال الشعراء عليها فماتت. وليست الاوزان الستة عشر دستوراً لا يجوز

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٩٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الخروج عليه فقد خرج عليها بعض الشعراء كأبي العتاهية . روي انه قيل له حين خرج على بحور الخليل في احدى قصائده : « قد خرجت على العروض قال : انا اكبر من العروض» .

ان خروج ابي العتاهية خروج محبب فتح نافذة جديدة للشاعر العربي ليطل منها على روضة الشعر. وهي بادرة طيبة في ابتكار اوزان جديدة في الشعر. العربي تلائم روح العصر. يرى الزهاوي ان «ليس لهذه الاوزان حد لتكون ستة عشر بحراً بل الابحر الستة عشر هي الاوزان التي سمعت من عرب الجاهلية وقد أتى بعض المولدين بأوزان أهملها العرب منها:

ما أجزاؤه: مفاعيلن فعولن. مرتين لكل شطر وهو عكس الطويل كقوله:

لقد هاجَ اشتياقي في غرير الطرف أحورْ

أدير الصدغ منه على مسك وعنبرْ

ومنها ما أجزاؤه : فاعلن فاعلاتن مرتين لكل شطر وهو مقلوب المديد كقوله :

صاد قلبي غزال أحور ذو دلال

كلما زدت حبا زاد مني نفورا

ومنها ماأجزاؤه :فاعلاتن مفاعيلن لكل شطر كقوله :

من مجيري من الاشجاب والكرْب

عن مديلي من الابعاد بالقرب (١)

ولا يقف الزهاوي عند الأوزان التي استحدثها المولدون بل تعداها إلى الاوزان العامية والبدوية التي استحدثها شعراء قبيلة المعدان وشاعر العامة الملا عبود الكرخي . وشعراء البدو . فيرى انها جميلة ويعرض لنا بعض الاوزان العامية كقول بعض النائحات :

---

(١) المصدر السابق : ٤٩٥ – ٤٩٦ .

دحّجت لنّ الكبَر كَامة   لن اللحد ضيّج منامه   تلوذ بعلي ذيج الجهامة.

(دحجت) نظرت (لنّ) واذا (الكبر) القبر (كَامه) قامه (ذيج) تلك (الجهامة) الصورة . واجزاؤه لكل شطر مستفعلن مستفعلن لن. وقول بعضهن :

مــــكلــت لـــج يايمّــــه

مـــدري الرحيّـــة ثجيـــلة   عــلى الرحـــى عينيـــي

لولا العـــشج راميـــنـــي

(مكلت) ما قلت لك (يايمّه) ياأماه (مدري) ماأدري (الرحيّه) الرحى (ثجيلة) ثقيلة (لولا) أم (العشج) العشق ؛ واجزاؤه :

مفاعلن مفعولن او مستفعلن مفعولن لكل شطر .

وكقول احد شعراء البادية من قصيدة :

يــامــا حديناهــم ويامــا حدونــــه

يــامــا سجيناهــم ويامـا سجونــــه

لاجننا أصبر من الـراشـــجونه

ولا مثلنــا يوجـد على الموت صبّار

(سجونا) سقونا (لاجننا) لكننا (الراشجونه) المشبهون لنا.

وجزاؤه : مستفعلن مستفعلن فاعلاتن لكل شطر (١).

واستحدث الزهاوي اوزاناً جديدة ((فعولن فعلن ، او مفاعيلـن . فعولن ، اومستفعلن لن فعولن او فعولن مستفعلن لن او فعلن مستفعلن فعلن اوفاعلن فعلن ، اومفاعيلن فاعلاتن فعلن إلى غير ذلك . (٢)

وفي مجال التقطيع العروضي للشعر سلك الزهاوي طريقة بسيطة سهلة خالف فيها طريقة التقطيع القائمة على اساس تقطيع الكلام إلى سبب ووتد بنوعيهما . السبب الخفيف والثقيل ، والوتد المجموع والمفروق . طريقة

---

(١) المصدر السابق : ٤٩٦ .

(٢) المصدر السابق : ٤٩٧ .

الزهاوي تقوم على اساس تقطيع الكلام إلى مقاطع أصغر . فالمقطع عنده اما ان يكون من حرف متحرك او حرفين احدهما متحرك والثاني ساكن فاذا كان المقطع من حرف واحد متحرك من غير ان يستند المتلفظ به على ساكن سماه (السبب) . واذا كان المقطع من حرف متحرك يستند المتلفظ به على حرف ساكن سماه (السند) .

ثم ابتدع طريقة لضبط الاوزان (التقطيع) فهو يرمز بالنقطة (.) إلى السبب وبالخط المائل (/) إلى السند ، وبالنقطتين (..) للسببين وبالخطين المائلين (//) للسندين ، وهكذا (١) . فاذا اريد تقطيع البيت الآتي فيقطع بهذه الصورة.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

/./.   ./ . /// . // .   /./. // . /// . // .

فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن

ويرجع الزهاوي البحور الخليلية الستة عشر — بضمنها بحر المتدارك — إلى بحرين أصليين هما : المتدارك المتقارب .

فالبحور (الرمل ، المديد ، الخفيف الرجز ، الكامل ، البسيط ، المجتث ، السريع ، المنسرح ، المقتضب). يرجعها إلى المتدارك .

والبحور (المضارع ، الطويل ، الهزج ، الوافر) يرجعها إلى المتقارب .

البحور التي ترجع إلى المتدارك عشرة .والتي ترجع إلى المتقارب أربعة(٢).

---

(١) انظر م المقتطف، ح١ مج ٦٦، ص ٢٣ وما بعدها، ك٢ ، ١٩٢٥.

(٢) انظر المصدر السابق .

التجديد في المضمون

تحدث الزهاوي كثيرا عن الشعر ولم يترك سانحة للحديث عن الشعر الا وتحدث عنه. الا ان اغلب آرائه في الشعر قد تناولت الشكل اما مسألة المعنى فانه لم يتحدث عنها في مقالاته الا لماماً .

ويمكننا ان نتلمس تجديده في المعنى من خلال أفكاره وآرائه في القضايا الاجتماعية والوطنية فيما نظم من شعر ،فقد ضمنه كثيرا من المعاني الجديدة العصرية.

والشعر عند الزهاوي هو ماكانت معانيه مبتكرة فان لم تكن مبتكرة فهو ليس من الشعر، والمعاني المبتكرة لاتتأتي الا للشاعر الأصيل المبتكر

والشعـــرإن لم يـفـد معـنى يخلـده فانما هو معدود من الهذر

ولايجيد سوى من كـان مبتكراً وليـس كـل أخي شعر بمبتكر(١)

واحسن الشعر عنده من حيث المعنى هو «ماكان تصـويراً اللطبيعـة او الاحساسات ،او وصفا منطبقا على الواقع، او رواية ممثلة لحادثة جرت، اوفلسفة ناطقة بالحقيقة» (٢)

— ٥ —

تجديد الاغراض والموضوعات

لقد خطا الزهاوي كما خطا غيره من شعراء عصره كالرصافي والشبيبي والبصير وغيرهم خطوات جدية في تجديد الاغراض والموضوعات وتوسيع آفاقها. فقد نظم الزهاوي الشعر في اغراض لم يكن يحتل بها شعراء القرون الماضية كالشعر الوطني والاجتماعي والقصصي والعلمي وعالج بعض

(١) الديوان : ٢٦٦.
(٢) شعراء العصر : مقدمة حـ٢، ص ٦ .

القضايا الاجتماعية كمسألة تحرر المرأة ورفع الحجاب واختيار الزوج.. الخ و«اذا اردت ان تقف على دعوة ناهضة حقا، اعتصم بها رائدها اعتصام مؤمن ووفق لها نفسه ، فان الدعوة إلى «تحرير المرأة» قد كانت أسمى ماابدعه الزهاوي في الميدان الاجتماعي، واجود مانظم» (١)

وقد نظم الزهاوي الشعر القصصي الذي يحوي مضامين اجتماعية وسياسية وادعى انه اول من نظم هذا اللون من الشعر وانه سبق صياغة القوافي من الشعراء العراقيين خاصة والعرب عامة وان الرصافي حذا حذوه (٢) مثل قصيدة، ارملة الجندي وسلمى المطلقة والغريب المحتضر والى فزان وليلى والربيع.

كما اكثر الزهاوي من نظم النظريات العلمية الحديثة في الفلك والطبيعة فهو يستوحي من هذه الحقائق شعره ، ويكاد الشعر يكون نظماً لها(٣) وكان للزهاوي ثقافة علمية جيدة حتى عده الدكتور داود سلوم من احسن العقليات المثقفة علمياً في العراق بصورة خاصة وفي الشرق الاوسط بصورة عامة(٤) والزهاوي قد قرأ العلوم الحديثة واستوعبها من خلال ما كتبه العلماء وما نشرته الصحف من اخبار ونظريات علمية ولم يكن الزهاوي عالماً قابعاً في مختبر يقوم بتجارب علمية وانما كان قارئاً متابعاً لما ينشر من الآراء العلمية. والزهاوي في هذا «كان يسعى الى ان يعد في الشعراء المجددين لعصره، ولكن يظهر انه حلق بعيداً عن آفاق الشعر ودولته، فقد ذهب يرضي آفاق العلم والعلماء، ويجلب من كتبهم ونظرياتهم ما يحلي به طائر شعره» (٥) .

---

(١) محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي : ناصر الحاني مطبعة دار المعارف بغداد، ط٢، ١٩٥٤ ص ٧٣ .

(٢) انظر ج الناشئة الجديدة ع ٢، ٧ ك٢، ١٩٢٣ .

(٣) انظر دراسات في الشعر العربي المعاصر : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ط ٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٤) مقالات عن الجواهري وآخرين : داود سلوم، مطابع دار النعمان بالنجف ١٩٧١، ص ١٥٨ .

(٥) دراسات في الشعر العربي المعاصر : ٧٧ .

والشعر الوطني من الاتجاهات الشعرية الحديثة وقد ظهرت عند الزهاوي والرصافي اول ما ظهرت على شكل مطالبة بالدستور. وحملة على السلطان عبد الحميد قام بها الزهاوي في قصيدته التي مطلعها:

ألا فانتبه للامر حتام تغفل
اما علمتك الحال ما كنت تجهل (١)

وتجد ظاهرة الشعر الوطني واضحة في ديوان الزهاوي والرصافي اذا قارنتها بدواوين الشعراء في القرن التاسع عشر وما قبله «ومن العجب ان الشعر الوطني هذا قد غلب كل المميزات الاخرى في مدرسة الزهاوي والرصافي وعند كل الشعراء الشباب في العالم العربي حتى أصبح هذا الشعر ظاهرة في أي ديوان(٢)



---

(١) سوانح : محمد مهدي البصير : ١٢٠ .
(٢) مقالات عن الجواهري وآخرين : ١٦٧ .

الخاتمة

يتبين مما تقدم ان الزهاوي رائد من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث ساهم في هذه الحركة في وقت مبكر، ودعا إلى تحرر الشعر من قيود القافية والروي والتجديد في الأوزان باستحداث أوزان جديدة إلى جانب الاوزان القديمة.

ولم تقم دعوة الزهاوي على مجرد الدعوة إلى الجديد ورفض القديم وانما قدم البديل الذي اعتقد فيه انه هو المناسب لروح العصر فطرح فكرة (الشعر المرسل) وروج لها ونافح عنها وقد لاقت هذه الفكرة قبولاً عند البعض وانكاراً ورفضا عند البعض الآخر وقد قامت إلى جانب دعوة الزهاوي دعوات أخرى لتجديد الشعر العربي في مصر والمهجر طرحت فيها أفكار أخرى كفكرة الشعر المنثور لأمين الريحاني . وهذه الدعوات كانت بمثابة ارهاصات لحركات تجديدية أعم وأشمل تحققت بعد الحرب العالمية الثانية كحركة الشعر الحر.

ان دعوة الزهاوي كانت قائمة على تحطيم الشكل التقليدي القديم للشعر العربي وقيام اشكال خالية من القيود كقيد القافية والروي لاتاحة الحرية للشاعر في النظم دون كد او ارهاق.

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب والدواوين :

١ — الأوشال : جميل صدقي الزهاوي . مطبعة الفرات بغداد ١٩٣٤ .

٢ — جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث : عبد العزيز الدسوقي . مط الرسالة ، ط ٧ ، ١٩٧٠ .

٣ — حركات التجديد في موسيقى الشعر الحديث : س . موريه ، مط المدني القاهرة ١٩٦٩ .

٤ — دراسات في الشعر العربي المعاصر : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط٥ ، ١٩٧٤ .

٥ — ديوان جميل صدقي الزهاوي : دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ .

٦ — سوانح : محمد مهدي البصير ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٦ .

٧ — شعراء العصر ، ج ٢ ، محمد صبري ، مط هندية بالموسكي بمصر ١٩١٢ .

٨ — في الادب الحديث : عمر الدسوقي مط الرساله ، ط٧ ، ١٩٧٠ .

٩ — الكلم المنظوم : جميل صدقي الزهاوي المطبعة الاهلية بيروت ١٩٠٩

١٠ — اللباب : جميل صدقي الزهاوي ، مط الفرات بغداد ١٩٢٨ .

١١ — محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي ، حياته وشعره : ناصر الحاني ، مط دار المعارف بغداد ، ط٢ ، ١٩٥٤ .

١٢ — مقالات عن الجواهري وآخرين : د . داود سلوم ، مطابع دار النعمان بالنجف بغداد ١٩٧١ .

ثانيا : الدوريات

ا ــ المجلات :

١ ــ الاصابة ع ١ ، أيلول ١٩٢٦ .
ع ٤ ، ا ت ا ١٩٢٦ .
ع ٥ ، ٨ ت ا ١٩٢٦ .

٢ ــ الحرية حـ ١ ــ ٢ ، تموز ١٩٢٥ .

٣ ــ الرساله ع ٥٤٠ ، ٨ نوفمبر ١٩٤٣ .

٤ ــ المقتطف حـ ٥ مجـ ٦٥ ، ك ١٩٢٤/١ .
حـ ١ مجـ ٦٦ ، ك ١٩٢٥/٢ .

٥ ــ الهلال حـ ٨ ، ايونية ١٩٢٧ .

ب ــ الصحف :

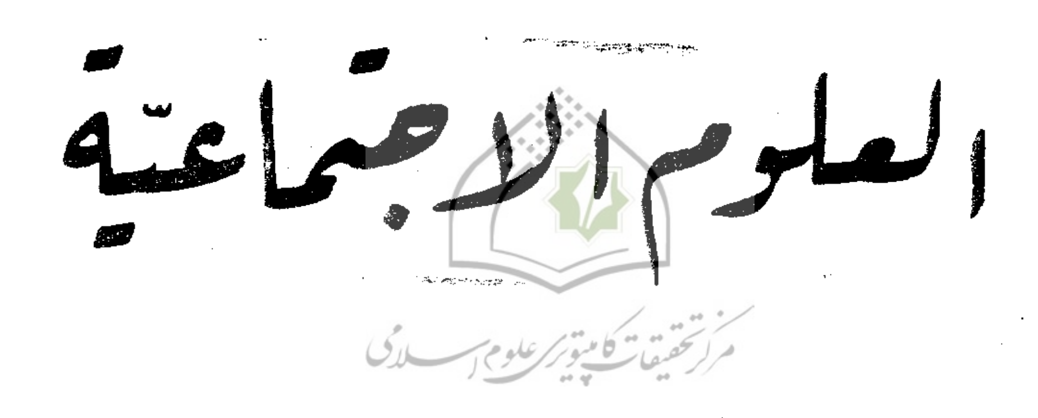
١ ــ السياسه ع ٧٤ ، ٢٩ آيار ١٩٢٥ .
ع ٨١ ، ٦ حزيران ١٩٢٥ .

٢ ــ العالم العربي ع ٣٧٤ ، ١١ حزيران ١٩٢٥ .
ع ٣٧٥ ، ١٢ حزيران ١٩٢٥ .

٣ ــ العراق ع ٥١٨ ، ٢ شباط ١٩٢٢ .
ع ٥٢٤ ، ٩ شباط ١٩٢٢ .
ع ٥٢٦ ، ١١ شباط ١٩٢٢ .
ع ٥٣٨ ، ٢٥ شباط ١٩٢٢ .

٤ ــ المفيد ع ٤٠٦ ، ٨ حزيران ١٩٢٥ .
ع ٤١٠ ، ١٢ حزيران ١٩٢٥ .
ع ٤١٣ ، ١٦ حزيران ١٩٢٥ .
ع ٤١٩ ، ٢٣ حزيران ١٩٢٥ .

٥ ــ الناشئة الجديدة ع ٢ ، ٧ ك ٢ ١٩٢٣ .


العلوم الاجتماعيّة



الادراك في الجغرافية

د. ابراهيم محمد حسون القصاب
كلية التربية — جامعة الموصل

لقد تحدث البعض في الثلاثين سنة الماضية عن حدوث ثورات في الفكر الجغرافي فتمثلت الاولى منها في المرحلة التي استعانت بها البحوث الجغرافية بالوسائل الكمية، واستخدام النماذج الساكنه والديناميكيه بغية الوصول إلى صياغه نظريات استنتاجيه، فكانت هذه نقله سريعة اعطت ثمارها وسمحت للجغرافية بان تقف في صف العلوم الانسانية الاخرى بعد ان كانت متخلفة عنها غير ان هذه النماذج التي استخدمت لفترة طويلة في محاولة للتوصل إلى الحل الامثل للقرار المكاني كانت في العديد من الحالات حالات نظرية مجردة لايتوافق البعض منها مع السلوك البشري. كالافتراض ان سلوك الانسان تحدده عوامل اقتصادية بحته. الامر الذي اظهر بان استخدام بعض هذه النماذج في تفسير الظواهر البشرية قد يؤدي احيانا إلى نتائج ناقصه او غامضه لاتتطابق مع الواقع الفعلي. فقد بينت الدراسات بان ادراك الحل الأمثل ليس ممكنا دائما في الدراسات المكانيه ومثال على ذلك ليس من الضروري دائما اختيار اقصر الطرق للتنقل وانما اكثرها ادراكا(١). بسبب تعقد الظروف

(١) مثال الدراسة التي اجراها بالهوس على حركة سائقي سيارات الاجرة في مدينة باريس.
Pailhous. J. la representation de L' espace urbain, L'exemple du chauffeur de taxi: paris. P.U.F. 1970.

والعوامل المؤثرة في اتخاذ القرار، الامر الذي دفع بعض الباحثين بالقبول بالحل الاقل مثاليه(١) وهذا لايتفق احيانا مع استخدام المعايير الرياضية: فالانسان لايخضع في الكثير من قراراته لهذه المعايير وانما يتمرد عليها فظهرت هنالك دعوات لمراجعة العديد من الافتراضات المستخدمة في النماذج وان تصبح هذه النماذج اكثر انسانية واكثر واقعيه؛ فاخذ العديد من الجغرافيين يهتمون بادراك الانسان واثر ذلك على سلوكه المكاني محاولين اعادة النظر من جديد ببعض المصطلحات مثل السطح الجغرافي؛ الامتداد والبعد. مما دفع البعض منهم بالقول ان هنالك ثورة جديدة قد ظهرت في الفكر الجغرافي هي الثورة السلوكية(٢).

ان الحديث عن الثورة السلوكية او الاتجاه السلوكي ليس حديثا وانما تمتد جذوره إلى فترة مبكرة من القرن العشرين، فقد اشار ثوربيردج عام ١٩١٣ إلى ان بعض الاشخاص في المدينة لديهم ادراك جيد للاتجاهات(٣) ان ادراك الاتجاهات يساعد على تحديد الاماكن المهمة في مخيلة الساكن الحضري، وفي بواكير العقد السابع من هذا القرن برزت اهتمامات لينس

---

(١) Marble, D. F. Atheoretical exploration of individual travel bahavior "in Quantitative Geography" Garrison W. L. Marble D.F Ed. part; Evanston. North westhwestern Univ. stuclics ingeography no 13 1967. p. 290.

(٢) انظر مثلا :
Kasperson, R. The post behavioural revolution pp. 2–20 in contemporary geography, western viewpoints, leigh, R. Ed. Vancourver, occasional papers ingeography no12 1971.
Claval. p. Elements de geographie hamainc. paris. M. th Gen in 1974 pp 60–63.

(٣) Gould. p. a, white. R. Mental Maps. Harmonsdworth, penguin books ltd 1974. p28.

بمسألة الادراك المكاني خاصة في كتابه صورة المدينة (١) عندما طلب من السكان ان يبينوا تصوراتهم المكانيه للشوارع الرئيسية والاماكن المحيطة بها في مدن بوسطن وجرسي ولوس انجلز محاولا الوصول إلى صورة ادراكية لهذه المدن.

ومنذ فترة اواسط الستينات تكاثرت الدراسات الجغرافية في هذا الاتجاه فظهرت دراسات قام بها مجموعة من الباحثين باشراف جلبرت وايت (٢) ودراسات ان برتن وروبرت كاتز (٣) وظهر هذا الاتجاه واضحا في الدراسة المقدمة من قبل دافيدلونثل (٤) . الذي أكد فيها على الجانب الثقافي للادراك المكاني وتغير السطح المدرك عبر الاجيال ودراسه لونثل وبرنس (٥) المقدمة لمؤتمر لندن الجغرافي عن المظهر الارضي البريطاني.

وفي فترة السبعينات ظهرت دراسات متعددة من هذا النوع على نطاق العالم الثالث مثل دراسة توبيت على تطور مفهوم السطح في المجتمع البدوي

(١) Lynch. K. The image of the city. M. I. T. 1960.

(٢) White. G. F. Choice of adjustment to floods. University of Chicago. Department of Geography. Rescarch paper no 93 1974.

(٣) Burton. I., Kates. R. Theperception of natural hazards in resource management, Natural ressources Jouranl Vol3 no412 1961 pp. 412-441.

(٤) Lowenthal D. Geography, experience and imagination: toeards a geographical intrpretation. Annals of the Association of American Geographers, Vol 51 no3. 1961. pp. 241-260.

(٥) Lowenthal. D. and prince. H. English land scape tastes Heogrophical Review, Vol 55 no2 1965 pp 189-222.

الموريتاني (١) ،وان تخصص احدى المجلات العالمية الشهيرة وهي السطح الجغرافي جزء كبيرا من احد اعدادها لدراسة السلوك والادراك المكاني لمجموعات مختلفة من سكان العالم الثالث (٢) .

لقد انصبت جهود الباحثين السلوكيين في الوقت الحاضر في مجالين اساسيين وهي :

١ ـ الاختلاف الموجود بين القرار الحقيقي والقرار الأمثل في محاولة لفهم كيفية اتخاذ القرار المكاني (٣) (شكل ١)

٢ ـ دراسة الفرق الموجود بين السطح الحقيقي والمدرك سواء عن طريق دراسة الفرق بين الابعاد الحقيقية والمخمنة لعدد من المواقع المهمة او تحديد مواقع هذه الاماكن وملزمة الاماكن الاكثر تفضيلا لدى السكان ، (شكل٢)

لقد ميز السلوكيون ثلاثة انواع من السطح وهي :

١ ـ السطح الموضوعي او العلمي .

٢ ـ السطح الماثل او النفسي .

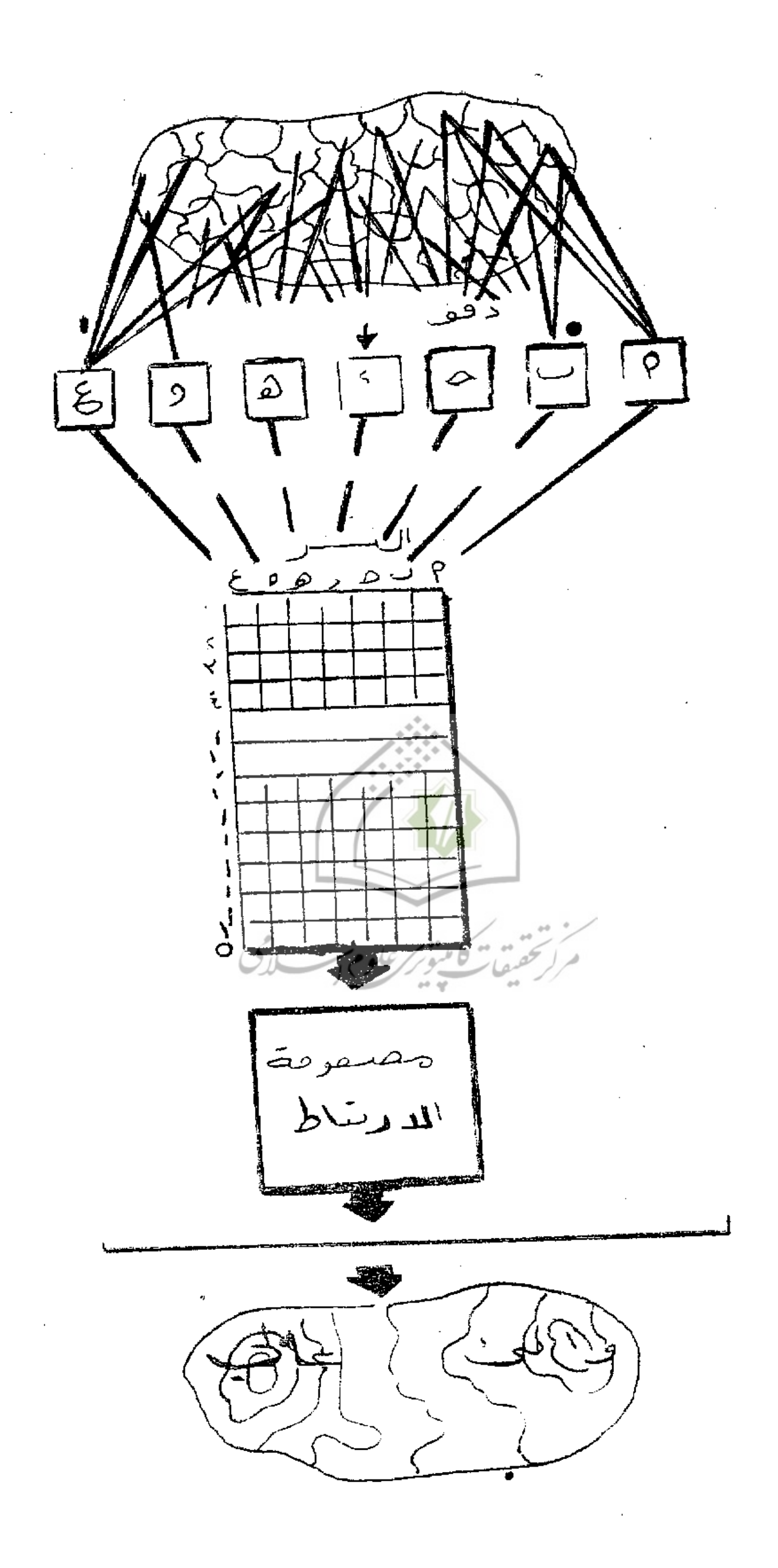
٣ ـ السطح الذاتي أو مايسمى بالسطح المدرك وهو سطح تأملي تتكون صورته عند الانسان بسبب قابليته على الادراك وشعوره بالسطح الماثل وارتباطهما بالسطح الموضوعي بواسطة الأسس المنطقية للترابط بين الظواهر ، وهذا السطح يختلف شكله باختلاف الثقافة والحالة الاجتماعية والعمر والخبرة السابقة .

---

(١) Toupet. C. L' evolution de la notion d' espace dans un pays nomade du Tiers Mode L'exmple sle la Mauritanie, Bull de L' Ass. des Geogrophes francais, Juill-oct. 1973. p. 505-605.

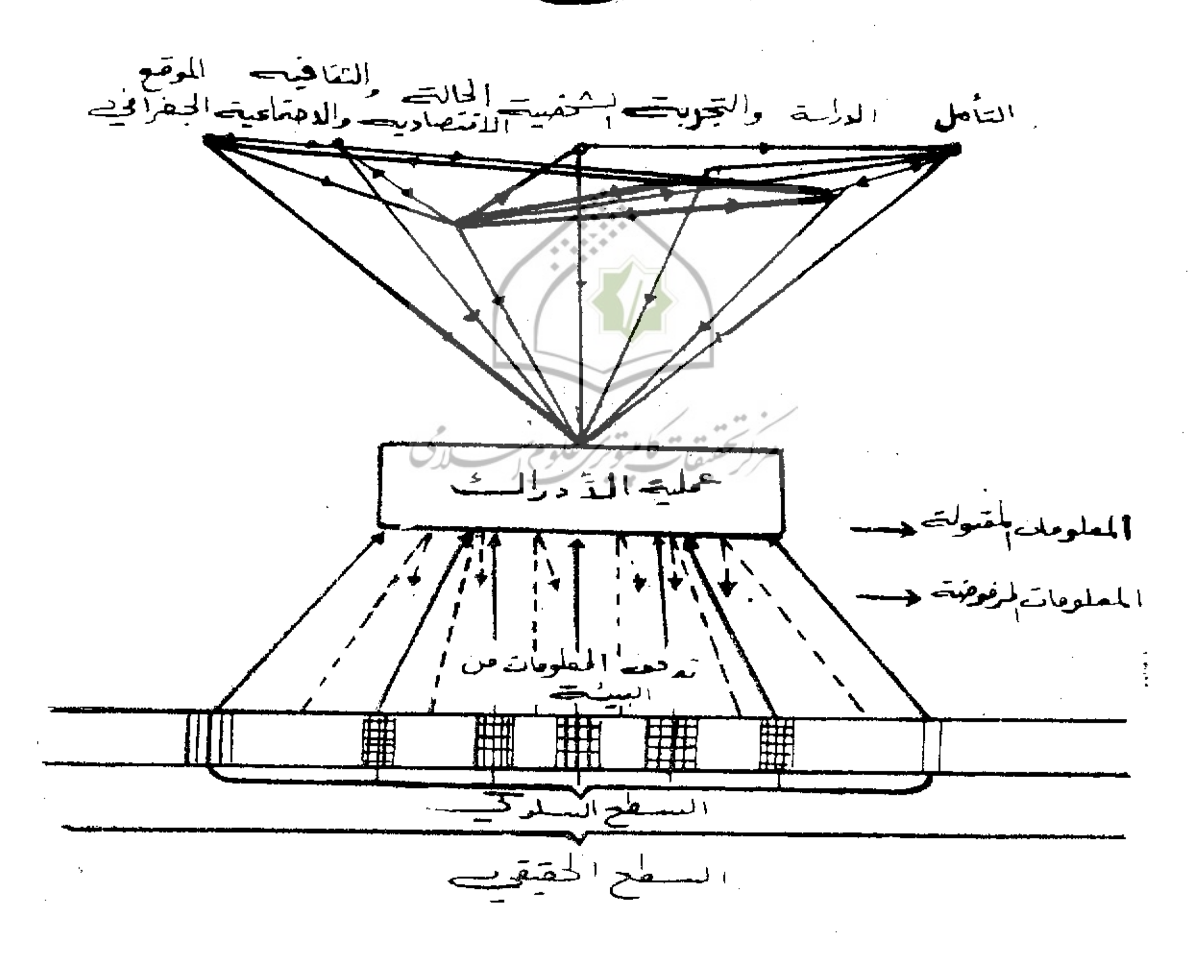
(٢) انظر مثلا L' espace geograpique nol 1976

(٣) Lloyd. p. E, Dicken. p. location in space. Atheoretical apprach to economic geography. N. Y. Harper and Row 1972. pp. 136-162.


مصفوفة
الارتباط

ان بحثنا هذا يمكن ان يصنف ضمن المجال الثاني من خلال دراسة الابعاد المدركة وبيان الفرق بين هذه الابعاد والابعاد الحقيقية لاثني عشر موقعا مهما في مدينة الموصل وكشف توزيع الابعاد المدركة هذه من خلال استجواب

شكل - ٢



عينة صغيرة (١) تتألف من اثنين وعشرين طالبا وطالبة من طلبة الصف الاول بقسم الجغرافية في كلية التربية بجامعة الموصل من سكنة المدينة ذاتها حيث طلب تقدير ابعاد هذه المواقع عن مدخل جامعة الموصل وعلى خط مستقيم فتكونت بذلك لدينا نتيجة هذا الاستجواب مصفوفة من ١٢+٢٢ عنصرا وكان الوسط الحسابي والانحراف المعياري لتقدير هذه المواقع كما يلي :

جدول (١)

الموقع	الوسط الحسابي للتقدير / كم	الانحراف المعياري
١ ـ باب الطوب	٦/١٩	٢/٥٩
٢ ـ الساعه	٧/٠٢	٣/٧٣
٣ ـ قصر المطران	٧/٦	٣/١٨
٤ ـ باب جديد	٨	٣/٨٩
٥ ـ المحافظه	٦/٥٦	٣/١٤
٦ ـ دورة اليرموك	٧/٩٥	٦/٢
٧ ـ المستشفى العام	٥/٠٩	٤/٣٦

(١) لقد اعتاد الباحثون في الدراسات السلوكية المكانية استخدام عينات صغيرة جداً ففي الدراسة التي قام بها سينريري، مارشا، ريمبرت على مدينة فريبورك بسيوسرا استخدم الباحثون ١٤ فرداً فقط :

Ciceri. M. F. Marchand. B. Rimbert. S. Introduction a' L'ana lyse de L' espace. paris. Masson. 1977. p102

وفي دراسة ايبدون استعان الباحث بطلبة الصف الأول في قسم الجغرافية بجامعة نوتنكهام فقط لدى دراستهم للمدينة ذاتها .

Ebdon. d. statistics in geography. Oxford. Basil Black well. 1977. p118.

٨ — النبي يونس	٤/٤٧	٢/١
٩ — باب شمس	٦/٠٤	٤
١٠ — المحطه	٨/٥٤	٤/١٣
١١ — جسر السويس	٢/٨	١/٥٣
١٢ — مدينة الالعاب	٥/٠٥	٣/٠٢

وقد اظهر ارتباط قوي ٠٫٩٣٦ بين البعد الحقيقي ومتوسط التقدير وتشير الخارطه (١) والشكل البياني المرفق معها الى الفروق بين الابعاد الحقيقيه والمتوسط الهندسي لتقدير هذه الابعاد مرسومه بمقياس لوغاريتمي حيث ان المقياس اللوغاريتمي هو اكثر ادراكا من المقياس الحسابي . ويظهر كذلك ارتباط اقل قوه ٠/٧٢١ بين البعد الحقيقي والانحراف المعياري للتقدير (١) الامر الذي يشير الى حقيقه هامه وهي انه كلمازاد بعد المسافه كلما ازداد الاختلاف في تقديرها .

ولمقارنه ترتيب الابعاد المدركه مع الابعاد الحقيقيه جئنا الى معامل ارتباط الرتب لسبيرمان حيث تم حساب الفروق بين رتبه البعد الحقيقي لكل موقع والرتبه التي اعطاها كل طالب لهذا الموقع فظهر الترتيب الادراكي كما يلي .

الموقع بحسب الترتيب الادراكي	معامل الارتباط	ترتيب البعد الحقيقي
١ — جسر السويس	٠/٩٤٩	١
٢ — باب الطوب	٠/٩٤٢	٥
٣ — قصر المطران	٠/٩٣٣	١٠
٤ — الساعه	٠/٩٢٤	٧
٥ — باب جديد	٠/٩١٨	٩

(١) ان الارتباط الأول والثاني هي ارتباطات ذات دلالة بدرجات حرية ١٠ وبمستوى معنوية ٠٫٠١ .

٦ — المحافظه	٠/٩١٣	٨
٧ — المحطه	٠/٩١٠	١١
٨ — النبي يونس	٠/٨٨٣	٣
٩ — المستشفى العام	٠/٨٧٣	٣
١٠ — مدينة الالعاب	٠/٨٣٣	٢
١١ — باب شمس	٠/٨٢٦	٦
١٢ — دوره اليرموك	٠/٦٢٤	١٢

وعند اختبار معنويه معامل الارتباط وجد ان جميع هذه المعاملات ذات دلاله احصائيه (١) وهـذا يعني بانّ افراد العينة قد رتبوا هذه الابعاد ترتيبا جيدا وكان هذا الترتيب عاليا للمواقع التي يسهل الوصول اليها بوسائط وسائل النقل العامه ولم تظهر علاقه بين الترتيب الادراكي لهذه المواقع وبعدها الحقيقي عن جامعة الموصل اذ كان معامل ضعيفا وهو ٠/١٥٤ وهو ارتباط غير معنوي (٢) .

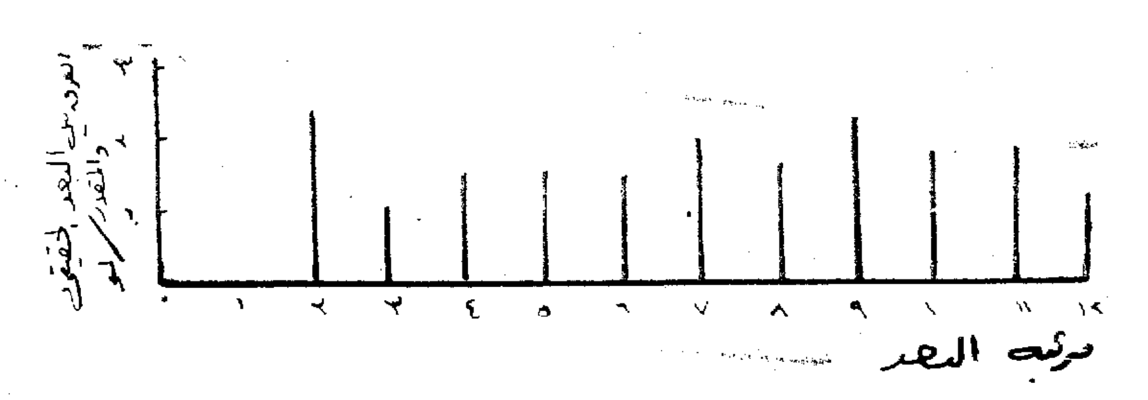
والخلاصه فيتضح بان الجغرافيه تقف اليوم على عتبه تحول اخر فهي تصبح اليوم اكثر انسانيه في مضمونها تهتم بالانسان وبانظمة سلوكه وادراكه المكاني وان دراسه هذا السلوك يمكن ان يؤثر في تخطيط المكان بحيث توضح الظاهرات الجغرافيه المحبذه للسكان في الاماكن الاقل إدراكا لتنميتها والظواهر الاقل تميزا من الاماكن الاكثر ادراكا وذلك في محاوله للحد من ظاهره الاستقطاب ولجعل حياة الناس اكثر ترفيها .

(١) بدرجة حرية ٢٠ ومستوى دلالة ٠٫٠١ .
(٢) بدرجة حرية ١٠ ومستوى دلالة ٠٫٠٥ .

البعد الحقيقي

البعد المقدر

مقياس لوغاريتمي



خارطة رقم (١) العلاقة بين البعد الحقيقي و البعد المقدر

المراجع /

1 – Barton . I., Kates . R. The perception of natural hazards in resource manavement ent, Natural ressources journal Vol 3 no 412 . 1961 .

2 – Ciceri . M . F . Marchand . B . Rimbert . S. Introduction a' L' analyse de L'espace. paris Masson 1977 .

3 – Claval. P. Elements de geographic humainc , paris M. th Genin 1974 .

4 – Ebdon . d. statistics in geography . Oxford. Basil Blackwell 1977 .

5 – Gould . p. white . R. Mantal Maps . Harmonsd worth , penguin Book . Ltd . 1974 .

6 – Kasperson . R. The post behavioural revolution, in contemporary geography. western viewpoint, leigh. R.Ed. vancouver, occasional papers in geography No12 . 1971 .

7 – L'espace geographique No 1, 1976 .

8 – Lloyd . p. E., Dicken .p. location in space . A theoretical approach to economic geography . N. Y. Haeper and Row 1972 .

9 – Lowenthal . D. Geography. experience and imagination : towards a grographicol interpretation . Annals of the Association of American Geographers, Vol 51 no3 1961 .

10– Lowenthal . D., prince . H. English landscape tastes, Geographical Review Vol 55 no2. 1965 .

11– Lynch . K. the image of the . M. I.T. 1960 .

12– Marble. D.F. A theoretical exploration of inidividual travel behavior "Quantitative geography" GarrisonW. L. Marble D.F. Ed. part I Evanston Northwestern Univ. studies in geography No13 1967 .

13– Pailhous . J. La representation de L'espace urbain , L' exemple du chauffeur de taxi, paris P. U. F. 1970 .

14– Toupe. C. L'euolution de la nation d'espace dans un peyav nomade du Tiers Monde. L' exmple de la Mauritanie Bull de L' Ass. des Geographes francaois , Juill-oct 1973

15 – White.G.F. Choice of adjustment to floods, univ of chicago Dep. of Geog. Research paper no93 . 1974 .



التنشئة السياسية وقنواتها الفكرية والتربوية

الدكتور احسان محمد الحسن
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

التنشئة السياسية هي تلك العملية التي يكتسب الفرد من خلالها معلوماته وحقائقه وقيمه ومثله السياسية ويكوّن بواسطتها مواقفه واتجاهاته الفكرية والايديولوجية التي تؤثر في سلوكه وممارساته اليومية وتحدد درجة نضجه وفاعليته السياسية في المجتمع(١). وهناك منظمات عديدة تشارك في عملية التنشئة السياسية هذه أهمها الاسرة والمدرسة والحزب السياسي والمهنة ووسائل الأعلام الجماهيرية والمجتمع المحلي ... الخ. وتأثيرات هذه المنظمات في الأفكار والمبادىء السياسية، التي يكوّنها الفرد منذ بداية حياته الأجتماعية والسياسية قد تكون قوية وفاعلة اذا كانت جميع هذه المنظمات تردد نفس المعلومات والأفكار السياسية وتعتمد نفس الأساليب التأنيسية والتربوية في زرع الافكار والقيم السياسية عند الافراد(٢). بينما تكون تأثيرات هذه المنظمات ضعيفة وهامشية عند ماتكون تعاليمها وتوجيهاتها وأساليبها التثقيفية والتربوية مختلفة ومتناقضة. ومن الجدير بالملاحظة أن التنشئة السياسية تساعد على بقاء وديمومة وأستقرار النظام السياسي طالما أنها تستهدف تمرير الأفكار والخبرات والاساليب السياسية التي يعتمدها المجتمع بين أبنائه وتحاول زرعها وبلورتها

(١) Dawson, R. and Prewist, K. Political Socialization, Boston, 1969, pp. 14–18.
(٢) Himmelweit, H.T.V. and the Child, U.K., 1961, pp. 161–163.

في نفوسهم مهما كانت خلفياتهم الأجتماعية والطبقية. فالأستقرار السياسي أي ديمومة النظام السياسي هي خاصية أيجابية ومرغوبة وان التنشئةالسياسية هي الوسيلة التي يصبح الفرد من خلالها واعياً ومدركاً للمبادىء والأهداف السياسية التي يؤمن بها النظام الأجتماعي، أما الأشخاص الذين ينحرفون عن مبادىء الثقافة والوعي السياسي بسبب السلبيات والعثرات التي جابهتهم خلال مراحل تنشئتهم السياسية فلا يمكن الأعتماد عليهم في تثبيت أسس النسق السياسي للمجتمع وتحقيق أهدافه وطموحاته.

بيد أن الجماعات التي تتم من خلالها عملية التنشئة تترك تأثيراتها المتباينة والمتناقضة في الافراد. ففي السنوات الأولى من حياة الفرد تلعب العائلة دوراً أساسياً في عملية التنشئة الأجتماعية والأخلاقية والوطنية لأنها المنظمة التي يحتك بها الفرد اكثر من بقية المنظمات الأجتماعية الأخرى(١). وبعد نموه يخرج عن نطاق عائلته ويلتحق بمؤسسات أخرى تؤمن تحقيق طموحاته وأشباع حاجاته الأساسية والثانوية كالمدرسة والمجتمع المحلي والعمل والحزب السياسي والنادي الرياضي ... الخ. ولدى التحاقه بهذه المؤسسات أو الجماعات المرجعية (Reference Groups) يتأثر بتعاليمها وثقافتها وبرامجها الأجتماعية والأقتصادية والسياسية والتربوية الى أن تتكامل شخصيته وتتبلور أفكاره ومواقفه ويصبح مستعداً لأتخاذ الأحكام القيمية أزاء الأمور والقضايا التي يشهدها(٢).

ولعل من المفيد أن نميز بين هذه المنظمات او الجماعات المرجعية على أساس أن بعضها منظمات غير سياسية والبعض الآخر منظمات سياسية أو

(١) Al – Hassan , Ihsan . Social Structure and Family Change in Iraq under Conditions of Industrialization A Ph.D. Thesis in Sociology, Budapest, 1977, p. 56 .

(٢) الحسن، احسان محمد (الدكتور). العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام. بحث منشور في مجلة الأعلام ١٩٨٠/٤/١ .

ذات طبيعة سياسية. فالتنشئة السياسية التي تقوم بها المنظمات غير السياسية كالعائلة أو المدرسة أو المجتمع المحلي أو النادي الرياضي هي تنشئة كامنة(١) LatentSocialization أي تنشئة لا تتعلق بالمسائل السياسية بصورةمباشرة . بينما التنشئة السياسية التي تتعهد بها المنظمات السياسية كالدولة والأحزاب السياسية والجماعات الضاغطة والسلطات السياسية هي تنشئة قصدية (Purposie Sociali Zatiom) . أي تنشئة تتعلق بتكوين المواقف والأتجاهات السياسية عند الافراد والجماعات(٢). أن التنشئة السياسية غير المباشرة التي تقوم بها الأسرة مثلاً تتجلى في قيامها بزرع القيم والمثل والأهداف العامة عند الأفراد التي قد تظل معهم طوال حياتهم. فالقيم الوطنية والفكرية التي يؤمن بها الآباء سرعان ما تمرر الى الأبناء عن طريق التنشئة الأجتماعية . ويمكن التأكد من صحة هذه النظرية بفحص السلوك الأنتخابي للآباء والأبناء. ففي الأنتخابات البريطانية العامة غالباً ما يصوت الآباء والأبناء لنفس الحزب السياسي وذلك لتشابه أفكارهم ومواقفهم السياسية بسبب الظروف المادية والأجتماعية والثقافية المتجانسة التي مروا بها(١).

لكن الأحزاب السياسية في معظم الدول النامية تلعب الدور القيادي والحساس في عملية التنشئة السياسية وفي خلق وتغيير الثقافة السياسية التي تحتاجها هذه الدول. أن معظم الدول النامية كما هو معروف متخلفة في نظمها السياسية وأجهزتها الأدارية البيروقراطية . لكن الأحزاب السياسية فيها تلعب الدور القيادي في تمشية الأمور السياسية وغير السياسية. فالأحزاب ليست هي أدوات أنتخابية صرفة أو منظمات تتكون من طوائف معنية من الناس تعتقد بمبادىء

---

(1) Greenstein , T. and Sidney , M. The Study of French Political Socialization , an article published in "world politics" xxII , 1969 , p. 51 .

(2) Ibid ., p. 57 .

(3) Mackenzie, R. British Political Parties, London , 1957 , pp. 23 -25 .

وقيم وأهداف مختلفة ومتناقضة، وانما هي منظمات سياسية تقوم بوظائف مختلفة ومتشعبة. فهي الوسيط بين الدولة والجماهير وبين القاعدة والقيادة(١). وهي التي تستطيع فرض أرادتها على الدولة وتدفعها على القيام بأعمال تخدم المصلحة الجماعية لأبناء المجتمع . وهي التي تستطيع التدخل في منح العمل والثقافة والتربية والتعلم الى الجماهير(٩). وأخيراً تقوم بمراقبة ومحاسبة السلطة السياسية عند خروجها عن الخط المرسوم اليها من قبل الجماهير. أضافة الى توفيرها المعلومات لأبناء الشعب وقيامها بتحقيق التكامل بين الجماعات المختلفة وأقتراح البرامج القومية ذات الأبعاد التنموية والتجديدية. فالتنشئة السياسية أذن عملية مستمرة ودائمه فهي لا تتوقف عند مرحلة الطفولة أو المدرسة او العمل والانتاج. فالتجارب والخبرات السياسية التي يكتسبها الأفراد من خلال أحتكاكهم وتفاعلهم مع الدولة او الحزب او السلطة او الجماعة الضاغطة، وأدراك الأفراد لدور رجال السياسة والقوة والحكم هي عوامل أساسية تسهم مساهمة فعالة في تحقيق التنشئة السياسية.

قنوات التنشئة السياسية

لايمكن لعملية التنشئة السياسية أن تتم بصورة حتمية وتلقائية أذ أنها تحتاج إلى مجموعة قنوات أو ممرات يمكن من خلالها زرع وترسيخ وتنمية المفاهيم والأفكار والممارسات السياسية عند الأفراد والجماعات . وهذه القنوات أو الممرات المسؤولة عن أيصال المعلومات والحقائق والأفكار السياسية إلى المواطنين وترسيخها في نفوسهم، بحيث تصبح جزءاً من شخصياتهم ونظامهم الفكري والمبدئي هي بالحقيقة منظمات أو أجهزة ثقافية وتربوية في أساليبها ولو أنها تختلف الواحدة عن الأخرى في أغراضها وقوانينها ووظائفها وتراكيبها (٣) . إن قنوات التنشئة السياسية بأنواعها المختلفة لاتتحمل

(١) الكتاب الثقافي المركزي لحزب البعث العربي الأشتراكي، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٧٨، انظر إلى موضوع الخلية الحزبية : أهميتها ومهامها .

(2) MacIver, R. The Modern State, London , 1951 , op. cit., p. 400.

(3) Hyman, H. Political Socialization, New York, 1959, p.103.

فقط مسؤولية التلقين والتعليم والتثقيف والتهذيب السياسي للمواطنين بل تتحمل أيضاً مهمة فرز وتشخيص الأفكار والقيم والمواقف والممارسات السياسية المطلوب نشرها وتكريسها في المجتمع . أضافة إلى مسؤوليتها عن مجابهة التحديات الفكرية والعقائدية التي تواجه أبناء الأمة والتصدي لآثارها الهدامة والمحزبة . لكن قنوات التنشئة السياسية التي تتجسد في المؤسسات المجتمعية ذات الأغراض التأنيسية والتربوية والتثقيفية يمكن تصنيفها إلى أربعة أقسام أساسية هي

١ — المؤسسات الثقافية والتربوية .

٢ — وسائل الأعلام الجماهيرية .

٣ — العائلة .

٤ — المنظمات المهنية والشعبية .

ويجب علينا هنا شرح أثر كل من هذه المؤسسات الفكرية والتربوية في عملية التنشئة السياسية التي تقوم بها في المجتمع والتي تستهدف نشر وترسيخ القيم والممارسات السياسية الأيجابية عند المواطنين وفي نفس الوقت مواجهة التحديات العقائدية التي يواجهها أبناء المجتمع والتصدي لآثارها السلبية والهدامة .

١ — المؤسسات الثقافية والتربوية

يمكن أن تلعب المؤسسات الثقافية والتربوية كالمدارس والمعاهد والكليات والجامعات والمكتبات والمتاحف ومراكز البحث العلمي الدور الكبير والمؤثر في نشر الأفكار والقيم الوطنية والقومية والأشتراكية بين الناشئة وترسيخها في نفوسهم وحثهم على الألتزام بها والتصرف بموجبها (١). وفي نفس الوقت تستطيع التصدي للتحديات العقائدية والفكرية التي تواجه القطر العراقي

---

(11) Davis , K. Human Society, New York, 1967 , pp. 208–209.

والوطن العربي في هذه الفترة من الزمن . وتقوم هذه المؤسسات بواجباتها ومهامها الخطيرة والحساسة من خلال الألتزام بقوانينها وأحكامها ، نظمها وممارساتها ، مبادئها وفلسفتها ، وسائلها وغاياتها . فعندما تكون فلسفة وأستراتيجية التربية والتعليم مشتقة من مبادىء وتعاليم حزب البعث العربي الأشتراكي ومتأثرة بالأفكار والممارسات القومية والأشتراكية التي تتبناها حركة الثورة العربية فأن المؤسسات الثقافية والتربوية في القطر على أختلاف مستوياتها ودرجاتها ستكون أدوات فعالة ومؤثرة في أرساء دعائم عملية التنشئة السياسية في المجتمع التي تضمن زرع ونشر الأفكار والقيم المطلوبة بين الناشئة والشباب وأشعاع الفكر القومي والأشتراكي في كل مكان والتصدي للأفكار المضادة على أختلاف أنماطها ومصادرها .

أن فلسفة التربية والتعليم التي تعتمد الأصول التراثية والأخلاقية للأمة العربية وتتبنى الممارسات الأشتراكية والأنسانية وتنتهج الطرق العلمية المنهجية في كشفها للحقائق وبنائها للفرضيات والنظريات والقوانين الكونية الشمولية المتعلقة بالأختصاصات النظرية والتطبيقية هي فلسفة تتناقض مع شتى الأفكار والطروحات التي تلتزمها وتتبناها الجهات والأوساط المعادية للأمة العربية. فالمثقف العربي الذي يحمل العلم والمعرفة المستندة على أسس وأصول قومية وأنسانية وتقدمية لايمكن أن يتأثر بالأفكار والمواقف والقيم الأمبريالية والصهيونية والرجعية أو ينحاز نحو المبادىء الشعوبية والفوضوية . لأن جميع هذه الأفكار والمبادىء الغريبة عن الواقع والتراث العربي تتناقض كل التناقض مع الخلفية الثقافية والعلمية التي تبلورت عند المثقف العربي نتيجة دراسته وتفاعله مع المؤسسات الثقافية العربية ذات الفلسفة والأصول القومية والتراثية والأنسانية (١٣) . من هنا يتبين لنا ضرورة رسم وتحديد أستراتيجية واضحة وفلسفة عميقة للتربية والتعليم تعتمد عليها المؤسسات. وقد بادرت فعلاً القيادة السياسية في القطر العراقي في تحديد ا ستراتيجيات

---

(١) فرح ، الياس (الدكتور). التربية والسياسة، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٥، ص .

وفلسفات التعليم الأساسي والتعليم العالي وبقية المؤسسات الثقافية والبحثية .

وبجانب تشخيص وبلورة وتعزيز أستراتيجية التربية والتعليم التي تكفل نشر الوعي السياسي وترسيخ الأفكار القومية والتراثية والتقدمية في قطاعات المجتمع كافة ولجم التجاوزات الفكرية المشبوهة والمعادية فأن المؤسسات الثقافية والتربوية ينبغي تخطيط وتنظيم مواضيعها ومناهجها ومفرداتها وكتبها المقررة بطريقة تضمن اكتساب الطالب او المثقف او المختص المعلومات والحقائق التي تتناقض مع الأدعاءات والمزاعم والفروض المبدئية والسلوكية التي تعتمدها الأوساط المعادية في محاربة القومية العربية. كما يجب أن تكون المواضيع والمناهج والمفردات والكتب متعلقة بالجوانب النظرية والتطبيقية ومنبثقة من واقع المجتمع وأحتياجاته ، وتخدم تطوير وتنمية الجوانب النوعية للانسان والمجتمع (١). أضافة إلى ضرورة كونها متطورة ومنسجمة مع طبيعة العلم الحديث وروح العصر . فالمواضيع التي يدرسها الطلبة أبتداءً من مرحلة الدراسة الأبتدائية ومروراً بمرحلة الدراسة الثانوية وأنتهاءً بالمرحلة الجامعية ينبغي أن تكون مواضيع لاتنمي وتوسع القدرات والملكات والقابليات العلمية والأدبية والفنية غير الطلبة فقط بل يجب أن تزودهم بالثقافة السياسية والقومية وتطور عندهم السمات الأخلاقية والأجتماعية الفاضلة التي يثمنها المجتمع ويؤيدها التراث . وهنا يكون الطالب قد تزود بالمعلومات والحقائق العلمية وفي نفس الوقت اكتسب الثقافة السياسية الثورية التي تجعله يرفض الثقافات والأفكار البرجوازية والرجعية والشعوبية والعنصرية التي تتحدى مجتمعه وتتآمر على أضعافه وبعثرته وتشتيت موارده الطبيعية والبشرية . فالشاب في جميع المراحل الدراسية يجب أن يدرس المواضيع العلمية والفنية ويلمّ بأهم العلوم الأجتماعية والسياسية التي توسع مداركه الذهنية وتنمي عنده القابليات التفكيرية والأبداعية . ومن المواضيع الاجتماعية والسياسية

(١) البسام، عبد العزيز (الدكتور) : الأتجاهات المعاصرة في التربية، كتاب الدورة التدريبية الثامنة للعاملين في وحدات التخطيط التربوي، وزارة التربية، ١٩٧٤، ص ٨٦ .

التي ينبغي على الطالب دراستها منذ مرحلة الدراسة المتوسطة فصاعداً الثقافة القومية والاشتراكية ، الأقتصاد ، العلوم السياسية ، علم الأجتماع ، علم النفس ، التربية الدينية والأخلاقية والوطنية ، الفلسفة .... الخ .

ويجب أن لاتحدد المواضيع الدراسية للطلبة فقط بل يجب أن تحدد مفرداتها ومناهجها النظرية والتطبيقية . فالمفردات والمناهج يجب أن تدور حول تاريخ وظروف ومشكلات الواقع العربي وما يتضمنه هذا الواقع من تناقضات وأيجابيات . وأن تتعلق بتشخيص الاخطار الداخلية والخارجية التي تهدد كيان الأمة العربية وأن تتضمن الأبعاد القومية والأشتراكية والأنسانية التي تجسد تراث وأمجاد الأمة وتدفع الجيل الناشيء على المشاركة الفعالة والجادة في اعادة بناء صرح الأمة ودفع عمليات التحول الثوري والتقدم الأجتماعي إلى أمام . وينبغي أن ترد المناهج والمفردات الدراسية على الدعايات المضللة والأكاذيب الملفقة التي تروجها الأوساط المعادية والحاقدة في كتبها ومناهجها الدراسية ضد الأمة العربية وتراثها المجيد . والرد يكون هنا من خلال الاستشهاد بالأدلة المادية والمنطقية التي تدينها وتعري أكاذيبها وفتراءاتها وتكشف أساليب تزويرها للحقائق والمعلومات . وفي نفس الوقت يوضح الحقائق الناصعة عن ماضي الأمة العربية وحاضرها ومسيرتها نحو البناء والتقدم والنهوض .

والسيطرة على المواضيع والمفردات والمناهج والكتب الدراسية وجعلها اكثر موضوعية وعلمية وخدمة لنضال وأهداف الأمه العربية هي عملية غير كافية بحد ذاتها اذا لم تصاحبها عملية مماثلة تتعلق بطبيعة ونوعية ومستوى المدرسين والأساتذة . ونوعية ومستوى المدرسين والأساتذة يعتمد على مؤهلاتهم العلمية وخبراتهم الوظيفية وتتبعهم الدراسي والعلمي . ويعتمد أيضاً على أفكارهم ومبادئهم وقيمهم السياسية والأجتماعية . لذا ينبغي على السلطات العلمية والتربوية في القطر أختيار المدرسين والأساتذة من الأشخاص الذين يحملون المؤهلات العلمية والخبرات الوظيفية ويهتمون

أهتماماً كبيراً بالتتبع الدراسي والتحصيل العلمي . ويتميزون بالنزاهة والكرامة والأخلاص في أداء العمل ويحملون الأفكار الوطنية والقومية والأنسانية التي من شأنها أن تقود الى تطوير الأنسان والمجتمع نحو الأحسن والأفضل . أما بالنسبة لطبيعة محاضرات المدرسين والأساتذة فأنها يجب أن لاتقتصر على الجوانب العلمية والفنية والمنهجية فقط بل يجب أن تتطرق الى القضايا القومية والمصيرية التي تهم مصالح وأماني الأمة العربية وأن ترتبط بالجوانب المادية والحضارية المتعلقة بالمجتمع ومشكلاته الآنية والمستقبلية (١) .

وعلى صعيد التعليم العالي ينبغي على الأقسام الدراسية والكليات والجامعات بالاتفاق مع المنظمات المهنية والشعبية كالأتحاد الوطني لطلبة العراق والأتحاد العام لشباب العراق والأتحاد العام لنساء العراق .... الخ أقامة الندوات والحلقات الدراسية العلمية منها والثقافية . ويمكن مشاركة الأساتذة والطلبة والمتخصصين والخبراء العرب والأجانب في هذه الندوات والحلقات الدراسية . أما مواضيع الندوات والحلقات الدراسية فيجب أن تتناول الأمور والمشكلات والتحديات السياسية والحضارية والأقتصادية التي تواجه الأمة فكلية الآداب من خلال قسمي علم الأجتماع وعلم النفس تستطيع مثلاً أقامة حلقة دراسية عن الأساليب والممارسات العنصرية والشوفينية للصهيونية أو أقامة ندوة علمية عن الأجراءات الأجتماعية والنفسية التي يمكن أتخاذها لتخفيف الفوارق الطبقية بين الافراد من أجل تحقيق المجتمع العربي الأشتراكي الموحد . أو تستطيع كلية القانون والسياسة أقامة حلقة دراسية عن طبيعة الترابط المصلحي بين الأمبريالية والصهيونية . أو تستطيع كلية الأدارة والأقتصاد أقامة حلقة دراسية عن المشكلات الأقتصادية التي تواجه دول العالم الثالث وكيفية علاجها . و تستطيع كلية التربية عن طريق قسم التاريخ أقامة ندوة علمية عن الجذور التاريخية للحركة الفارسية الشعوبية العنصرية في الوطن العربي .

---

(١) صدام حسين (رئيس الجمهورية العراقية)، الثورة والتربية الوطنية، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧، ص ٨١ .

أن مثل هذه الندوات والحلقات الدراسية العلمية تزيد سعة المعلومات التي يحملها المشاركون عن مواضيعها وتعطيهم المجال لتبادل المعلومات والخبر والتجارب . وأخيراً تخرج الندوة او الحلقة الدراسية بنتائج ومقترحات وتوصيات يمكن الأستفادة منها في تخطيط وتنمية المجتمع في شتى المجالات والحقول . وبجانب الندوات والحلقات الدراسية هناك المحاضرات العامة التي يلقيها الأساتذة والمتخصصون على الطلبة وأبناء الشعب الراغبين باكتساب العلم والمعرفة . ومواضيع المحاضرات العامة قد تتعلق بالقضايا والمشكلات التي يواجهها المجتمع او تتعلق بالرد على التحديات والأكاذيب والأفتراءات التي تروجها الجهات الحاقدة والعميلة والمشبوهة وفائدة هذه المحاضرات ومايدور فيها من مناقشات وأستفسارات وتساؤلات تكون كبيرة ومؤثرة في مستوياتهم الثقافية والعلمية وفي آرائهم ومواقفهم وأتجاهاتهم الفكرية والسياسية .

٢ ـ وسائل الأعلام الجماهيرية

يتأثر الرأي العام في المجتمع العصري الحديث بصورة مباشرة او غير مباشرة بوسائل الأعلام الجماهيرية التي تسيطر عليها أجهزة ومنظمات الدولة كالتلفزيون والراديو والجرائد والمجلات والكتب والأفلام والتمثيليات التي تعرض من شاشات دور السينما والمسارح . ووسائل الأعلام الجماهيرية تستطيع خلال فترة الأمد البعيد المشاركة في تغيير الآراء والمواقف والميول والأتجاهات الأجتماعية والسياسية التي يحملها أبناء المجتمع تجاه القضايا والأمور الأقتصادية والأجتماعية والأديولوجية التي تهمهم شريطة قيام هذه الوسائل بتكييف عروضها ومناهجها وفعالياتها الأدبية والفنية مع حاجات وطموحات الجماهير ، وشريطة أنسجام العروض والمناهج والفعاليات مع أفكار وممارسات وأهداف المؤسسات البنيوية للمجتمع الكبير (١) .
ووسائل الأعلام الجماهيرية لايقتصر تأثيرها على (١٣) تغيير الآراء والمواقف

(1) Klapper, J.T. The Effects of Mass Communication, New York , p. 150 .

والميول والأتجاهات بل تستطيع أيضاً دفع المواطنين بكافة خلفياتهم الأجتماعية والمهنية على الأعتقاد بأراء ومواقف ومثل جديدة تنسجم مع الواقع الأجتماعي والسياسي (١) . وفي نفس الوقت تستطيع الرد على التحديات والأستفزازات الفكرية والقيمية التي تقوم بها الأوساط الحاقدة والموتورة حيث تفندها وتدحض أكاذيبها وأفتراءاتها وتجمد مؤامراتها وخططها العدوانية واللاأنسانية . وتستطيع وسائل الأعلام تبديل أفكار وقيم المواطنين من أفكار وقيم فردية ورجعية متخلفة الى أفكار وقيم جماعية وقومية متحررة اذا نسقت أعمالها وجهودها ووحدت خططها وأساليبها وغاياتها . كما تستطيع نشر وترسيخ القيم والممارسات القومية والأشتراكية كالشجاعة والتضحية في سبيل الأخرين ونكران الذات وتحمل المسؤولية والأعتزاز بماضي وتراث الأمة العربية المجيدة وحب العمل الجماعي والتعاون مع الأخرين والتواضع والصدق والأخلاص في العمل .

أن قيم الأستعمار وأفكاره ومعتقداته تنتشر بواسطة وسائله الأعلامية العامة كالتلفزيون والراديو والسينما والأعلان . وهذه القيم والأفكار والمعتقدات موجهة أصلاً الى دول العالم الثالث بصورة عامة والوطن العربي بصورة خاصة. وأن محاولة تنظيم الضغوط الثقافية والأعلامية العدوانية المباشرة وغير المباشرة ماتزال مستمرة بفضل وسائل التأثير في الرأي . وفيما عدا بعض الأقطار التي تخلصت من الأستعمار والتي تملك بعضاً من وسائل الأعلام فأن رؤى الأستعمار وشرائعه في الخير والجمال وقيمه المضادة تنزل الى الشارع في بعض أقطار الوطن العربي وتسهم في تفكيك عادات وتقاليد وقيم أبنائها. وليس أدل على ذلك من الافلام السينمائية الأمريكية والموضات الأوربية المتعلقة بالملابس ووسائل الترف الفارغة (١) . وهناك مع شديد الاسف القطيعة الجذرية مع الماضي لدى الكثير من المثقفين في الوطن

(1) Krech, D. and Crutch field , R. Individual in Society, New York, 1962 , See the Ch. on Attitude Change .

(١) الثورة العربية، المجلد التاسع، العدد الأول – ١٩٧٧، ص ٤٥ .

العربي الذين وصلت بهم الدعوة الى محاربة كل ما هو وطني وقومي والوقوف ضد التاريخ والتراث والتكلم بلغة المستعمرين . ومما يزيد في هذة المشكلة تعقيداً سيطرة الغرب الاقتصادية والتقنية والثقافية على بعض أقطار الوطن العربي . وهذا الواقع المرير يفسر قيام الثورات العربية التحررية في بعض أقطار الوطن العربي، هذه الثورات التى تستهدف فيما تستهدف تأكيد الذات من جديد واعادة خلق وبناء الشخصية وأستعادة الهوية القومية. بيد أن التأثير الاستعماري يبقى عميقاً ويستمر تقليد المستعمر وخاصة في الميدان الثقافي حتى بعد الأستقلال. كما أن الأستعمار الغربي والشرقي يكبح كل الجهود التي تبذلها الدول المتحررة لأستعادة هويتها الثقافية الخالصة وبعث تراثها وأمجادها وقيمها الحضارية والقومية .

لهذا يجب مواجهة التحديات الفكرية الأستعمارية مواجهة حقيقة وفي جميع الميادين خصوصاً ميادين الثقافة والأعلام. يشير التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاستراكي، لقد آن الأوان لان يكون للثورة أعلامها وثقافتها المعبران عنها تعبيراً دقيقاً وصادقاً وخلاقاً وملهماً للجماهير وللطلائع المثقفة لا في القطر العراقي فحسب وأنما في الوطن العربي (١) وبالأضافة الى ضرورة تحقيق هذه المهمة كهدف أساس من أهداف الحزب والثورة فأنها تحتل آهمية أستثنائية نتيجة لما ينتظر الحزب والتجربة الثورية في هذا القطر وحركة الثورة العربية من هجوم وحصار من جانب الدرائر الأمبريالية والرجعية يشكل الأعلام والثقافة ميداناً أساسياً من ميادينهما . فكما يتحتم علينا مغالبة هذا الهجوم والحصار في جميع الميادين وتحقيق الظفر على القوى الأمبريالية والرجعية فأن علينا أن نجابه أعلام وثقافة الأمبرياليين والرجعيين وأن نحقق الظفر عليهما أيضاً .

---

(١) التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الأشتراكي ، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٦١ .

واذا أرادت وسائل الثقافة والأعلام نشر وترسيخ المبادىء والقيم والاتجاهات الفكرية والسياسية الأيجابية عند الأفراد والجماعات ومواجهة الدعاية المضادة التى تقوم بها الجهات الأستعمارية والرجعية والشعوبية فأنها يجب تبني المهام التالية :

١ - تنمية وتطوير الجوانب الفكرية والتربوية والأخلاقية والأنسانية عند الفرد وذلك لما يتمتع به من أهمية بالغة في تكوين المجتمع ورسم صفاته الأساسية .

٢ - تنمية العادات والتقاليد والقيم العربية الأصيلة كالشجاعة والأيثار وتحمل المسؤولية والتواضع والأخلاص في العمل . ومحاربة العادات والتقاليد والقيم الأجتماعية السلبية والضارة كالأنانية وحب الذات، الطائفية والأقليمية التحيز والتعصب بجميع أشكاله وصوره، ضعف الشعور بالمسؤولية، والسلبية، تجاه العمل الأجتماعي .

٣ - تركيز وسائل الأعلام على محاربة أسباب الطبقية والتمايز الأجتماعي وتنمية الممارسات الديمقراطية في المجتمع كنشر ودعم الديمقراطية الشعبية التي تصون حرية العمل النقابي والمهني وحرية أنتخاب المجالس الوطنية والتشريعية والشعبية وحرية المرأة .

٤ - قيام وسائل الثقافة والأعلام بالتأكيد على أهمية الذات الوطنية وأعادة خلق وبناء الشخصية وأستعادة الهوية القومية وأعادة الثقة بالنفس وعدم الأعتماد على الأجنبي في تمشية أمور الدولة والمجتمع وتطوير أجهزتها الفنية ومؤسساتها البنيوية .

٣ - العائلة

تعتبر العائلة من القنوات المهمة والأساسية للتوجيه الفكري والعقائدي لأبناء المجتمع . وأهميتها التربوية والأجتماعية والخلقية والأديولوجية لاتقل عن أهمية المؤسسات الثقافية والتربوية ووسائل الأعلام الجماهيرية . العائلة

هي من أولى المؤسسات البنيوية التي تؤثر في أفكار ومواقف وسلوكية وأخلاقية الفرد . فهي تهتم بتنشئة الطفل تنشئة أخلاقية وأجتماعية ووطنية اذ تزرع عنده منذ البداية الخصائل الأخلاقية التي يقرها المجتمع ويعترف بها وتصب في عروقه النظام القيمي والديني للمجتمع وتوجه سلوكه وتصرفاته في خط معين يتماشى مع مثل ومقاييس المجتمع . كما أنها تنمي مهاراته وخبره وتجاربه وتدربه على أشغال أدواره الأجتماعية وأداء مهامها والتزاماتها بصورة متقنة وجيدة (١) . وهي تشبع حاجاته العاطفية والأنفعالية وتنظم علاقاته الداخلية مع بقية أفراد الأسرة وتحافظ عليه من الأخطار الخارجية التي تداهمه . أضافة الى وظائف العائلة المتعلقة بالحفاظ على كمية السكان وزيادتها من خلال الزيجات التي تنتج بتكوين العوائل الجديدة .

لهذه الوظائف الخطيرة والحساسة التي تقدمها العائلة للمجتمع نرى بأن السياسي (The politician) يهتم بها ويرعاها ويقدم لها شتى أنواع الخدمات والأعانات التي تكفل تطويرها ونموها ورفع نوعيتها . من هنا تبرز حقيقة أهتمام الدولة بالعائلة وتبرز أهمية أجهزة ومؤسسات الدولة المختلفة كالأجهزة والمؤسسات الأقتصادية والثقافية والتربوية والدينية والصحية والسكنية والأجتماعية والترفيهية في مقابلة الحاجات والمتطلبات المتفرعة للعائلة المعاصرة (٢) . أن الغاية من الخدمات والواجبات الكثيرة والمتشعبة التي تقدمها الدولة لعائلات المجتمع على أختلاف أنحداراتها الأجتماعية والمهنية تكمن في مساعدة وأعانة هذه العوائل على القيام بمهامها والتزاماتها تجاه أبنائها وبالتالي أرتفاع نوعيتها ومقدرتها على بلوغ الرفاهية الأجتماعية والحضارية وتحقيق السعادة والطمأنينة لأبنائها .

(١) Al-Hassan, Ihsan . Social Structure and Family Change , p. 55.

(٢) الحسن ، إحسان محمد (الدكتور) : علم الأجتماع : دراسة نظامية، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٨٧ .

واذا كانت العائلات في المجتمع تتمتع بمستويات أقتصادية وأجتماعية وثقافية رفيعة فأن وعيها الأديولوجي والسياسي ودرجة مسؤوليتها والتزاماتها تجاه الدولة والمجتمع تكون ناضجة ومتطورة . وهنا لايمكن للقوى والتيارات الفكرية المضادة كالأمبريالية والصهيونية والرجعية والشعوبية أن تنفذ وتبث سمومها وأحقادها بين الجماهير . بينما اذا كانت عائلات المجتمع متخلفة أقتصادياً وأجتماعياً وثقافياً فأن وعيها الأديولوجي والسياسي يكون مبعثراً ومستوى مسؤولياتها والتزاماتها تجاه الدوله والمجتمع يكون واطئاً وضحلاً وهنا تستطيع القوى والتيارات الفكرية المضادة الأنتشار بسهولة بين الجماهير والسيطرة على أفكارها ومواقفها وبعثرة صفوفها ودفعها على الوقوف ضد أمانيها ومصالحها وأهدافها القريبة والبعيدة الأمد. من هنا تتجسد أهمية العمل الجاد والمخلص على تحرير العائلات من الفقر والحرمان الأقتصادي والمضي قدماً نحو رفع مستوياتها المادية والمعاشية بتوفير العمل لابنائها وزيادة أجورهم ومرتباتهم الشهرية وتهيئة المستلزمات المادية للعيش الكريم . كما ينبغي تطوير المستويات الأجتماعية للعائلات كتقديم الوصايا والأرشادات لها حول الأساليب الناجحة والمتطورة للتنشئة الأجتماعية . وتقديم خدمات التقاعد والضمان الأجتماعي التي تضمنها ضد البطالة والمرض والهرم والموت. أضافة إلى تقديمها الخدمات الأجتماعية الأخرى كخدمات الأرشاد الأجتماعي وخدمات الأمومة والطفولة وخدمات مكافحة الجنوح والجريمة . وينبغي أيضاً تخفيف الفوارق الطبقية الأجتماعية ، محاربة الأمراض الأجتماعية الموروثة كالعصبية القبلية . الأقليمية . الطائفية . العادات والتقاليد المتخلفة .... الخ. أما الخدمات الثقافية والتربوية التي يمكن تقديمها لعائلات المجتمع فتأخذ عدة صور أهمها فتح مراكز محو الأمية والمدارس الشعبية والمدارس النظامية على أختلاف أنواعها ودرجاتها. المعاهد والكليات والجامعات . وشن الحملات الأعلامية المكثفة التي تحث عائلات المجتمع على أرسال أبنائها اليها لاكتساب الثقافة والتربية والتعليم ومتابعة الدراسة والتخصص في الحقول العلمية المختلفة التي

تمكن أبناء العوائل من أشغال المهن الأدارية والفنية الحساسة التى يحتاجها المجتمع العصري المتطور (١) .

ان مثل هذه الخدمات الأقتصادية والأجتماعية والثقافية التى تقدمها الدولة لمجموع عائلات المجتمع لابد ان تطورها وترفع مستوياتها وتقود إلى رفاهيتها وسعادتها. وهنا تلقن العائلات من خلال وسائل الأعلام الجماهيرية، دوائر التوجيه السياسي، التنظايم الحزبي والمؤسسات الثقافية والتربوية بالأفكار والقيم السياسية المطلوبة التى تدفعها على العمل من أجل تحقيق الاهداف الكبرى للامة العربية وفي نفس الوقت رفض جميع الأفكار والممارسات الرجعية والشعوبية والفوضوية والتصدي لها ومحاربتها في كل مكان. وحالة كهذه لابد ان تجعل اعداء الأمة العربية يخفقون في تحقيق اهدافهم الشريرة وتمرير مؤامراتهم الخبيثة الا وهي تمزيق وبعثرة الأمة العربية ونهب خيراتها وسلب حقوقها المشروعة وجعلها تابعة لقوى الأستغلال والشر والعدوان.

٤ ــ المنظمات المهنية والشعبية

تساهم المنظمات المهنية والشعبية من خلال نشاطاتها وأعمالها الثقافية والتربوية بدور كبير في التوجيه الفكري والعقائدي لأبناء المجتمع الذين ينتمون اليها. والمنظمات المهنية والشعبية في القطر العراقي كالأتحاد العام لشباب العراق الاتحاد الوطني لطلبة العراق الاتحاد العام لنقابات العمال، الأتحاد العام لنساء العراق وبقية التنظيمات الشعبية والمهنية الأخرى تقوم بأداء عدة مهمات وواجبات لأعضائها وللمجتمع الكبير يمكن تلخيصها بالنقاط التالية

(أ) الدفاع عن الحقوق والأمتيازات المهنية والأجتماعية والمادية لأعضائها .

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور). أثر التنمية الأقتصادية في تنمية الموارد البشرية في منطقة الخليج العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، الأنسان والمجتمع في الخليج العربي، الكتاب الأول، ١٩٧٩، ص ٢٤٦ .

(ب) تقديم الأنشطة الترويحية والترفيهية على أختلاف أنواعها للاعضاء.

(جـ) تقديم تسهيلات الضمان الأجتماعي والصحي والأقتصادي للأعضاء وقت تعرضهم للأزمات والكوارث والمشكلات الحياتية .

(د) تطوير الجوانب الفكرية والثقافية والتربوية عند الأعضاء من خلال الأجتماعات الأسبوعية والمؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والايفادات والمجلات العلمية والمطبوعات والكراسات التي توزعها على الأعضاء بين فترة وأخرى .

(هـ) الدفاع عن الحزب القائد والثورة ضد الأخطار والتحديات التي قد تهددهما في الداخل أو الخارج .

(و) المحافظة على منجزات الحزب والثورة والعمل على تعميقها وترسيخها في عقول الجماهير .

أما طبيعة الواجبات التثقيفية والفكرية التي تقوم بها المنظمات المهنية والشعبية فتعتمد على سياساتها الوظيفية وخططها التنظيمية وأبعادها الحضارية وأغراضها التعبوية والمجتمعية . فالأتحاد العام لشباب العراق يتحمل دوراً أساسياً في التوجيه الفكري للشباب بأعتباره المنظمة الجماهيرية لهذا القطاع من جهة، وكونه الجهة الوحيدة التي تمتلك الصيغ التنظيمية والتعبوية للأتصال بالشباب والتفاعل معهم . وقد أولى الأتحاد هذا الميدان أهتماماً بالغاً تمثل في تشكيلة مكاتب متخصصة هي المكتب الثقافي المركزي . ومكتب الأعلام والنشر ومكتب البحوث والدراسات . أما الأتحاد الوطني لطلبة العراق فيقوم بأعمال ونشاطات متعددة تدخل في مجال التوجيه الفكري للشباب، ، منها الندوات والدورات والأسابيع الثقافية والمعارض الفنية والعلمية والمهرجانات الفنية والثقافية والأدبية لمهرجانات الشعر والخطابة والقصة والمقالة والأغنية السياسية والمؤتمرات العلمية . كما لابد من الأشارة إلى معسكرات العمل الشعبي بشكل خاص والتي تعتبر تجربة رائدة في تعميق الوعي الوطني والقومي للشباب

وأشاعة وتثبيت القيم والممارسات الديمقراطية والأشتراكية كحب الوطن والتضحية والعمل الجماعي وأحترام العمل والزمن والتفكير المبدع والخلاق والمناقشة الواعية والنقد الذاتي وأحترام القيادات وغيرها من القيم الثورية والعربية الأصيلة .

والأتحاد العام لنقابات العمال يساهم بالتوجيه الفكري للعمال من خلال النشاطات والبرامج والندوات الثقافية والفنية ومجلة وعي العمال والنشرات والكتب الثقافية . كما يساهم المسرح العمالي بأشاعة القيم والممارسات الديمقراطية والأشتراكية . أما الأتحاد العام لنساء العراق فيقوم بنشاطات مختلفة تدخل ضمن مجال التوجيه الفكري للشباب في القطاع النسوي حيث تقوم مكاتب الثقافة والبحوث والدراسات بتنظيم المؤتمرات والندوات الثقافية والفنية المختلفة بالتعاون مع الجهات الأخرى كالوزارات والجامعات ومراكز البحوث ، ومن خلال الصيغ الأعلامية المتعددة كالبرامج والندوات الأذاعية والتلفزيونية ومجلة المرأة والنشرات والكتب حيث تقوم بأشاعة القيم الأجتماعية الجديدة وابراز دور المرأة في المجتمع الأشتراكي كما تقوم النقابات الأخرى بتوجيه منتسبيها من خلال النشاطات الثقافية كالندوات والمؤتمرات والنشرات والمجلات التي تصدرها كنقابة المعلمين والمهندسين والمحامين وغير ذلك . ولابد من الأشارة هنا الى الجمعيات العلمية كجمعية الأقتصاديين وجمعية الأجتماعيين وجمعية الجيولوجيين والجغرافيين وغيرها من الجمعيات التي تقوم بنشر وأشاعة الفكر القومي الأشتراكي ومناقشة وتحليل القضايا المتعلقة بالتنمية القومية والتخطيط الأقتصادي والاجتماعي .

من هذا الشرح المفصل نستنتج بأن من أهم الواجبات التي تقوم بها المنظمات المهنية والشعبية في القطر العراقي الوجبات الثقافية والتربوية التي تهتم بنشر وترسخ الأفكار والقيم والممارسات والثقافات القومية والأشتراكية والانسانية وذلك من خلال المناقشات التي تدور في الأجتماعات الأسبوعية والمؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والمطبوعات التي توزع على الأعضاء بين فترة

وأخرى . وتهتم بتنمية الجوانب الثقافية والعلمية للاعضاء التي تمكنهم من الوصول إلى اعلى المستويات الدراسية واكتساب المهارات والكفاءات التي من خلالها يستطيعون تطوير أعمالهم ومهنهم وتقديم أفضل الخدمات الوظيفية والفنية للمجتمع . ومثل هذه الواجبات لابد أن تنتج في زيادة الوعي الثقافي والعلمي لأبناء المجتمع (١) ، هذا الوعي الذي يعتبر حجر الزاوية في مواجهة التحديات العقائدية التي يمارسها أعداء القومية العربية والتخلص من آثارها السلبية . وفي تنمية الموارد البشرية من خلال تدريبها على مختلف الاختصاصات والكفاءات العلمية والتكنولوجية .

وبعد تحديد طبيعة الواجبات المهنية والثقافية والتربوية الملقاة على عاتق المنظمات المهنية والشعبية وربطها بمسألة مواجهة التحديات الفكرية التي تشهدها الأمة العربية، يجدر بنا الأشارة إلى ضرورة قيام الحزب والدولة بتقديم المزيد من الدعم والتأييد والتوجيه والأشراف لهذه المنظمات ودفعها على تكثيف نشاطاتها الفكرية والتربوية المتعلقة بتأجيج روح الحماس والوعي القومي والأشتراكي والتقدمي عند أفرادها وحثهم على تنمية قدراتهم وكفاءاتهم الأنتاجية والمهنية والعلمية. أضافة إلى التدخل بتنظيم نشاطاتها الثقافية والفكرية بما يخدم طموحاتها المهنية ويتناسب مع الظروف السياسية والأجتماعية للقطر ويتفق مع الأهداف المصيرية للأمة العربية. أخيراً ينبغي على هذه المنظمات تنسيق العمل الفكري والتربوي فيما بينها وتنسيق خططها وأساليبها وغاياتها مع خطط وأساليب وغايات المؤسسات المجتمعية الأخرى التي تكلمنا عنها في هذه الدراسة لكي يكون المجتمع الذي بكتنفها قادراً على حماية أفكاره وتراثه ومقدساته وحضارته وشخصيته من التحديات والأستفزازات الشريرة التي تواجهه والتي تستهدف كيانه ووجوده وأستقلاليته وشرفه وعزته وكرامته.

---

(١) Dreyer, D. Cultural Changes in Developing Countries, Moscow, 1976, See the Introduction.

المصادر العربية :

١ ــ الحسن، احسان محمد (الدكتور). علم الأجتماع : دراسة نظامية، بغداد، ١٩٧٦م .

٢ ــ الحسن، احسان محمد (الدكتور). أثر التنمية الاقتصادية في تنمية الموارد البشرية في منطقة الخليج العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة، الأنسان والمجتمع في الخليج العربي، الكتاب الأول، ١٩٧٩م .

٣ ــ القوصي، عبد العزيز (الدكتور). علم النفس : أسسه وتطبيقاته التربوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٤ ــ محمد، علي محمد (الدكتور) . دراسات في علم الأجتماع السياسي، الأسكندرية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٧م.

٥ ــ البسام، عبد العزيز (الدكتور). الأتجاهات المعاصرة في التربية، كتاب الدورة التدريبية الثانية لوزارة التربية، ١٩٧٤م.

٦ ــ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الأشتراكي، بغداد، ١٩٧٤م .

٧ ــ الثورة العربية، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٧م .

٨ ــ الكتاب الثقافي المركزي لحزب البعث العربي الأشتراكي، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٧٨م .

٩ ــ صدام حسين (رئيس الجمهورية العراقية)، الثورة والتربية الوطنية، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧م .

١٠ ــ فرح . الياس (الدكتور) . التربية والسياسة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٥م .

المصادر الأجنبية :

11- Al-Hassan , Ihsan M. Social Structure and Family Change in Iraq Under Conditions of Industrialization , A Ph. D. Thesis in Sociology, Hungarian Academy of Sciences, Budapest , 1977 .

12- Dawson, R. and Prewist, k, Political Socialization , Boston, 1969 .

13- Davis, K. Human Society, New York, 1967 .

14- Dreyer, D. Cultural Changes in Developing Countries , Moscow , 1976 .

15- Greenstein , T. and Sidney, M. The Study of French Political Socialization , an article published in World "Politics", xxII , 1969 .

46- Himmel weit, H. T.V. and the Child, H.&. 1961 .

17- Hyman, H. Political Socialization , New York, 1959 .

18- Klapper , J.T. The Effects of Mass Communication , New York .

19- Krech, D. and Crutchfield , R. Individual in Society , New York, 1962 .

20- Mackenzie , R.T. British Political Parties London , 1956 .

21- MacIver , R. The Modern State , London , 1951 .

22- Mac Greger S, Political Ideology in Mackenzie (ed.) A Guide to the Social Sciences, :London, 1966 .

23- Pareto, V. Sociological writings, Pall Mall, London, 1966 .

24- Shumpeter , A. Capitalism, Socialism, and Democracy , New York , 1954 .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أساليب المعاملة الوالدية وتأثيرها على انحراف الأحداث

الدكتور صباح باقر
كلية التربية — الجامعة المستنصرية

المقدمة :

ان ظاهرة جنوح او انحراف الاحداث تعتبر من الظواهر التى عاصرت والتى تعاصر المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء بغض النظر عن تقدمها الحضاري والثقافي او تخلفها عن ذلك .

وتتجلى خطورة هذه المشكلة في ان أكثر الدراسات والبحوث أكدت بأن معظم المجرمين الكبار قد بدأوا حياتهم الاجرامية وهم في مرحلة الطفولة المتأخرة أو في مرحلة المراهقة المبكرة . وقد أكدت احدى الدراسات حول تشرد الاحداث وانحرافهم بأن ٨٧٪ من نزلاء اصلاحية الرجال في بغداد ارتكبوا جرائمهم قبل سن العشرين (١).

وقد اصبحت جرائم الاحداث في المشكلات الدولية التي تعقد من أجلها المؤتمرات حيث تصرف الاموال وتبذل الجهود ويتم تبادل الخبراء والبعثات من أجل دراستها والوقاية منها أو علاجها .

ان الاهتمام بالاحداث ومشاكلهم مسألة مستأثرة بأهمية استثنائية في

(١) تشرد الاحداث — دراسة احصائية من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بغداد — العراق ١٩٨٠ .

الوقت الحاضر لان هؤلاء يكونون نسبة عالية من مجموع السكان من الفئة العمرية بين ٧ ـ ١٩ سنة حيث تشكل فئة الصغار والشباب حوالي ٦٢٪ من المجموع العام للسكان ويشكل الصغار والاحداث لوحدهم والذين تقع فئاتهم العمرية ما بين ١٥ سنة فأقل حوالي ٥٢٪ من هذا المجموع وذلك استنادا إلى الاحصاء العام للسكان .

لهذا وانطلاقاً من واقع التطور الاجتماعي والاقتصادي في القطر العراقي كان الاتجاه إلى حماية المجتمع من الجريمة والحد من مشكلة الاحداث الجانحين وكان هذا جزءاً لايتجزأ من السياسة الاجتماعية ان نسعى إلى رفع شأن الانسان من خلال تحسين ظروف المجتمع باسره ليكون قادرا على مواكبة مسيرته الحضارية . ان الحد من مشكلة جنوح الاحداث والوقوف بشكل فعال امام تفاقمها انما يتحقق عن طريق ايجاد النظم الوقائية والعلاجية تستند إلى الأسس العلمية وإلى التناسق في العمل الذي يبدأ من الوقاية وينتهي بالرعاية اللاحقة (١) .

أهمية البحث :

تنبثق أهمية البحث الحالي من أن للاسرة التأثير الفعال في عملية التنشئة الاجتماعية حيث دلت التجارب على ان للتربية أثراً عميقاً في بناء الشخصية خلال فترة الطفولة المبكرة والمتأخرة وهنا يبرز دور الوالدين في وضع اللبنات الأولى لشخصية الطفل في تكوين الذات أو الذات العليا حيث ان اصابة الذات بأي خلل في احدى مكوناتها وهي القدرات الحركية والحسية والقدرات الذهنية والنضج الانفعالي فان ما يترتب على هذا الخلل يكون في بناء الذات العليا حيث يشكل ذلك خطورة على بناء الشخصية بصورة عامة ويعرض الطفل إلى التكيف الاجتماعي المضل وعدم التوافق مع الاخرين حيث ثبت أن هناك علاقة وثيقة بين السلوك المعتاد للمجتمع وعدم التكيف والتوافق

(١) د. صباح باقر د. عبد اللطيف حسن / انحراف لاحداث – دراسة اجتماعية تقويمية / محكمة الاحداث مكتب الخدمة الاجتماعية / بغداد ١٩٨٧.

الاجتماعي وبين التفكك العائلي وهذا ما اثبتته كثير من الدراسات والبحوث التي اجريت داخل القطر (١) وعلى نطاق العالم العربي (٢) وكذلك على نطاق العالم (٣) .

ويظهر من ذلك أن للجو الأسري تأثيراً كبيراً على بناء شخصية الاطفال واتجاهاتهم المستقبلية حيث ان الاسر التي يسودها الود والتفاهم القائم على الثقة والاحترام والتقدير والتي تحتفظ بتوازن معقول بين الحرية الممنوحة للاطفال والقيود المفروضة عليهم هي التي تعطى قوافل الاسوياء ، اما الاسر التي يسودها التصدع والتفكك والتي تبث في نفوس اطفالها عواطف النقمة والحنق والكراهية والانفعالات القائمة على الخوف والغضب والقسوة فهي التي تخرج للحياة قوافل المنحرفين والجانحين .، وقد أثبتت احدى الدراسات بأن للمستوى الثقافي والتعليمي للاسرة أثره في التنشئة الاجتماعية حيث أن الاسر ذات المستوى الثقافي والاجتماعي الواطىء هي التي تعطي احداثا منحرفين كما أن للمستوى المادي أثره العميق في دفع الاحداث إلى الانحراف حيث ثبت أن اكثر من ٩٠٪ من الاحداث المنحرفين هم من ذوي خلفيات اقتصادية واجتماعية واطئة (٤) .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى الاجابة عن السؤال التالي :

هل هناك فروق ذات دلالة احصائية بين الجانحين والاسوياء فيما يتعلق

---

(١) سعدي لفته : الخلقية الاقتصادية والاجتماعية للوالدين واثرها في جنوح الاحداث رسالة ماجستير — جامعة بغداد ١٩٧٣ .

(٢) محمد علي حسن : علاقة الوالدين بالطفل واثرها في جنوح الأحداث / مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٠ .

(٣) Andry, R.G. Family Parental and materral relatinnship affectmoln and delinquency , Brit J. delinqueing 18. 19 .

(٤) د. صباح باقر — انحراف الأحداث — دراسة تقويمية — محكمة الأحداث ١٩٧٨.

بمشاعرهم تجاه علاقة والديهم بهم وتجاه اساليب المعاملة الوالدية والتربية التي تعرضوا لها .

حدود البحث:

يتحدد البحث بدراسة مجموعة من الاحداث الجانحين في مركز محافظة بغداد والمودعين في دار الملاحظة ومجموعة من الاحداث الاسوياء واثر اساليب المعاملة الوالدية على الجنوح .

تحديد المصطلحات:

الحدث الجانح: هو الذي يخالف القانون بارتكابه جريمة أو جنحة أو مخالفة ويحكم بإدانته. والحدث المجرم في نظر القانون العراقي هو ذلك الحدث الذي اتم السابعة ولم يتجاوز سن الثامنة عشرة من عمره ويخالف القانون بارتكابه جريمة أو جنحة أو مخالفة ويحكم بادانته.

اساليب المعاملة الوالدية:

وهي النماذج السلوكية التربوية التي يعامل بها الوالدان الطفل وهي التي تتمثل في الرعاية أو الاهمال، الحرمان، العطف، الحنان والنبذ والاهمال او التقبل، التساهل، القسوة، السيطرة، الشدة، العقاب والتوجيه...الخ

الجو الاسري الذي يعيش فيه الطفل:

ويشمل هذا الجو الظروف الاسرية التي عاش فيها الحدث، نوع وطبيعة العلاقات بين الوالدين ، الجو الانفعالي في المنزل. وأثر كل ذلك حيث تهيئة الظروف السليمة التي يعيش فيها الحدث او الظروف التي تؤدي الى انحرافه.

الفصل الثاني

المفهوم العلمي لجنوح الاحداث

من اجل التعرف على ظاهرة جنوح الاحداث في هذا الفصل ولو بصورة مركزه لابد للباحث من دراسة هذه الظاهرة لان الجنوح ليس اسما لمرض معين ولكنه حصيلة عوامل متداخلة تؤدي بالنتيجة إلى العمل المعادي للمجتمع وتعريف الجنوح من وجهة النظر القانونية امر قاطع لايقبل التجزئة وهو كل عمل يعتبر معاديا ويقع تحت طائلة القانون، ولكن هذه الظاهرة لايمكن ان تتسبب عن خال نفسي مثلا كما لايمكن ان نتهم الجانب الاجتماعي لوحده في التسبب منها او الجانب البايولوجي والفسيولوجي وتأثير الوراثة فان كل هذه العوامل تعتبر متداخلة حيث تسبب الظاهرة، كما ان للمجتمعات المختلفة تقاليد وعادات تختلف بعضها عن البعض الاخر، فالفعل الذي يعتبر اعتياديا في مجتمع ولا يقع تحت طائلة القانون يعتبر عملا معاديا في مجتمع آخر يعاقب عليه، وكذلك فان تحديد المسؤولية الجنائية تختلف من مجتمع لاخر ومن دولة لاخرى. فمثلا تحدد المسؤولية الجنائية في العراق في عمر التاسعة وفي دولة عربية أخرى العاشرة أو الثانية عشره وفي بعض البلدان الاوروبية يحدد بأربعة عشر عاما ولا يسأل جنائيا من ارتكب عملا عدوانيا وهو دون السن المحدد في القانون، ولا بد لنا ان نذكر بأن الحدث في الثامنة من عمره لايتمكن من تقدير المسؤولية بصورة واضحة ومحددة.

ان موضوع انحراف الاحداث من الصعوبة بحيث لايتمكن كل باحث ان يتخذ قراراً بشأنه وتتمثل في فردية كل حالة تطرح على نطاق البحث والدراسة.

ان النظرة الحديثة للجنوح تتمثل في القاء المسؤولية الضخمة والكبيرة للجنوح على طبيعة العلاقات الاسرية واثرها على الطفل الامر الذي يوضح

بأن على مقدار نجاح هذه العملية أي عملية التنشئة الاجتماعية والعلاقات الاسرية يتوقف نمو الفرد نموا سليما متكيفا او انحرافه واعوجاج سلوكه.

فالتربية ممثلة في اسلوب التنشئة الاجتماعية ومحاور علاقات الطفل المختلفة بوالديه، ونوع مايقدمونه له عليها العبء الاكبر في هذا بل ان مجموع العمليات والظروف والاحوال التي تحيط بهذه العملية ومنها علاقة الطفل بوالديه وعلاقة الحب والحرمان والعطف والتقبل والرفض وخلق الجو النفسي السليم لنمو الطفل كل هذه العمليات الهامة لها دورها واهميتها وخطورتها في حياة الطفل . وفي نموه النفسي والاجتماعي.

التنشئة الاجتماعية ونشوء الذات والذات العليا:

يولد الطفل وهو غير متكامل حيث ان قسما كبيرا من جهازه العصبي غير ناضج والذا فان فعالياته العقلية غير متسقة وتخضع هذه الفعاليات جميعها إلى مبدأ الحصول على اللذة وتفادي الالم وتتمثل في الرضاعة والافراغ ومص الاصابع والفعاليات الحركية غير المنتظمة وتصرفاته هذه كلها تتمشى مع دوافعه ويحاول الوالدان تنظيم حاجاته في الطعام والعناية به وتنظيفه ويميل بالتعبير عن عدم الراحة بالبكاء وبعبارة أخرى فانه يحاول الحصول على الراحة والمتعة بما تسمح به قدراته المحدودة ، وهذا الدور هو مانسميه بالأنا. ويرى بعض علماء النفس من مدرسة التحليل النفسي ان الاعراض الجناحية انما ترجع في اساسها إلى اضطراب الانا وان الجنوح ماهو الا نمو مضطرب للانا وان هذا النمو المضطرب يكون نتيجة لعدم حدوث التعديل اللازم في الدوافع الفطرية غير المهذبة للطفل من وجهه ، وإلى ان الذات العليا تكون عاجزة عن التحكم في الانا، وبالتالي فان هؤلاء الاطفال لايجدون في هذه المرحلة التكوينية من النواحي والاوامر مايحول بينهم وبين تعديل دوافعهم الفطرية، ومن ثم ينشأون ونظرتهم الى المعايير الخلقية والقيم الاجتماعية تكون فطرية وغير كاملة، أو بمعنى آخر ينشأون وهم يعانون ضعفا في نمو الشعور بالاثم او الخطيئة ومن ثم تبدو لديهم جميع

تصرفاتهم خاصة الشاذة منها على انها سوية، فمن يسرق مثلا لايجد في هذا السلوك اية غضاضة بل على العكس من ذلك يجد فيها نوعاً من أعمال البطولة(١).

وجينما تنمو الاركان الرئيسية للذات والمتمثلة بنمو القدرات الحسية والحركية والعقلية والنضج الانفعالي فان الطفل يكون اكثر قدرة على التمييز بين المؤثرات الداخلية والخارجية والشعور بكينونته وشخصيته وقدراته البسيطة في التحكم في بعض غرائزه ويستطيع التصرف وامتلاك الوسائل على الاتصال بالاخرين وبالتالي التكيف الاجتماعي وهو مايعرف بتكوين الذات وهذه الذات تعيش على مبدأ الحصول على اللذة ولكن مع مبدأ ادراك الواقع، وهنا يحاول الطفل بما لديه من قدرات حركية وحسية وعقلية مع نضجه الانفعالي التكيف مع الواقع الجديد، وكلما كان ادراك الطفل لواقعه أكثر كلما تمكن من كبت غرائزة وبذلك يتمكن من الموازنة بين متطلباته مع ادراكه لواقعه شيء اساسي في شخصيته مستقبلا .

مراحل نشوء الذات:

ونحن نعرف ان تكوين الذات لدى الطفل تمر بعدة مراحل ــ المرحلة الاولى حيث تخضع الذات لمبدأ اللذة فيسيطر على سلوك الطفل كل مايحقق له اللذة ويبعده عن الالم ويستمر هذا اللون في السلوك طيلة العام الاول وقد يمتد فيشمل جزء من العام الثاني.

اما المرحلة الثانية حيث تبدأ الام في توجيه ابنها بابعادة عن السعي وراء مبدأ اللذة نتيجة لعدم رضاها عن سلوكه، فهي تعاقبه اذا ماأتى ألوانا من السلوك لاتتقبلها ولاترتضيها، ومن هنا يبدأ الطفل يحسب حسابا لعامل جديد يدخل حياته ويبدأ في التحكم فيه وهو عامل الالم، ويضطر الطفل الى التعديل في كثير من سلوكه حتى يمكنه التكيف مع عالم الواقع فيحرص

(١) محمد علي حسن / علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جنوح الأحداث مكتبة الانكلو ــ المصرية ــ ١٩٧٠ .

على أصدار كل سلوك طيب مقبول يتيح له فرص الحصول على عطف امه ورضاها وتجنبه غضبها ومضايقتها ويدعم مابينهما من علاقات عاطفية وذلك هو التكوين الطبيعي للانا الشعورية. اما مايحدث بالنسبة لانفصال الطفل عن امه او حرمانه منها ومن عطفها، فهو ان هذا الانفصال وفي هذه الفترة الهامة من حياته يؤدي الى اضطراب تكوين هذه الذات الشعورية وينعكس ذلك الاضطراب على تكوين شخصية الطفل ويعرضه للانحراف وللاضطرابات السلوكية المختلفة.

ان نشوء الذات نشوءاً طبيعيا يهيىء للطفل الشعور بالضمان إزاء تصرفاته وازاء مجتمعه وهذه من العوامل الأساسية التي تبعده عن الانحراف مستقبلا، وتكمن الخطورة في عدم الموازنة مابين الحصول على اللذة وتحقيق الرغبات من جهة وادراك الواقع من جهة اخرى فاذا تغلبت الرغبة في تحقيق اللذة في هذه المرحلة فقد ينتج عن ذلك مصاعب اجتماعية لاتحمد عقباها لذا فان تربية الطفل منذ مراحل الطفولة الأولى على العادات الصحية وتعليمه الخطأ والصواب وتنمية الروادع الداخلية والقيمية امر في غاية الأهمية، كما ان متطلبات التكيف الاجتماعي السليم تتطلب بناء قدرات جديدة لدى الطفل منها عقلية وانفعالية وذلك لتكوين علاقات صحيحة وسليمة مع الاطفال الاخرين بصورة تدريجية حيث يتحرر الطفل من آنانيته ويتحرر من كونه طفيليا ومعتمدا على الاخرين ويتعود على مبدأ الاخذ والعطاء وهنا نجد الكثير من الامثال على بقاء الطفل على حب ابيه وأمه بالرغم من أنهم يستخدمون العقاب كوسيلة تربوية في بعض الأحيان وهناك مشاعر مختلفة للطفل اتجاه والديه واتجاه اخوانه واخوته او زملائه تنحصر سلبا او ايجابيا وهذا يمثل مجتمعه الصغير ويمتد هذا الشعور إلى المجتمع الكبير وفي هذه المرحلة العمرية ينضج ويصبح شابا جديدا في الشخصية وهو ما نسميه بالذات العليا .

الذات العليا : "Supt Ego"

ويمكن تعريف الذات العليا على أنها حصيلة امتصاص أو اندماج كل ما

تعلمه الطفل من مبادىء خلقية وسلوك تتمثل في الاقوال والافعال التي تعلمها من والديه او الاخرين الذين حوله والذين قاموا على تربيته (١) ولاحاجة للتأكيد هنا ما لهذه المرحلة من أهمية قصوى في التكيف الاجتماعي السليم حبث يمتلك الطفل القدرة على تكوين العلاقات مع الاخرين وكذلك القدرة على استيعاب مبادىء السلوك الصحيح وهذه تمكنه من الموازنة الدقيقة بين الحصول على اللذة واشباع الرغبات من جهة وادراك الواقع من جهة اخرى حيث تضفى على تصرفاته جميع الصفات الضرورية لحياته في المجتمع من الثبات والشعور بالضمان والوقوف بحزم عند الشدائد .

العوامل الجسدية والبنيوية : Somtic and Constitutioal Factors

لابد لنا من الاهتمام بهذا الجانب كسبب من اسباب الجنوح ويجب أن لانهمل ما للتكوين الجسدي والبنيوي من تأثير في الميل واستعداد بعض الافراد للجنوح او اننا حين نرث الصفات البنيوية كالطول — لون البشرة — لون العين والشعر درجة الذكاء وغيرها من الصفات الموروثة الاخرى فلماذا لاتقدر الوراثة الصفات الاخرى للانسان كالسلوك والميل نحو العدوان وعدم التكيف الاجتماعي السليم وقد دلت الدراسات والبحوث التي اجريت على الكروموسومات وهي التي تحمل الصفات الوراثية ان العديد من نزلاء السجون والمستشفيات العقلية والمؤسسات الاصلاحية العقابية للاحداث يحملون كروموسوم (XYY) وهؤلاء يتصفون بكونهم طوال القامة يميلون بطبعهم إلى العدوان وعدم التكيف الاجتماعي السليم وان واحداً لكل الف ولادة جديدة يحملون هذه الصفات وان ٢٠٪ من نزلاء السجون والمستشفيات والمدارس الاصلاحية يحمل هذه الصفات ومن هنا تأتي أهمية دراسة وتحديد الصفات والاستعدادات الوراثية الشخصية للجنوح . ولكن نسبتهم خارج السجون غير معروفة (٢) .

---

(١) Bowelly J. *Child care and the growth of love 1964* .

(٢) Nelson Text book of pediatrics Psychiatric Aspcets of Juvenile Delinquency, London 1954 .

الشخصية السايكوباتية :

وهي الشخصية التي تحمل صفات غير طبيعية دائمية من اصل عضوي وغير متأتية عن مرض عصبي أو عصابي أو تخلف عقلي وهذه الصفات تعرض صاحبها إلى اغراقات واتجاهات سلوكية مضادة للمجتمع يعاني هو والمجتمع من نتائجها على حد سواء ان هناك من يضع السيكوباتية كمرادف للجنوح ، ولكن هنالك تصنيفا خاصا لهذه الشخصية ومظاهرها حيث تمتاز (بالخمول والكآبة وبالخمول العصبي وتأخرها في النضج العاطفي والتغلب وعدم الاستقرار ، وعدم الاستبصار بنتائج الامور ومصيرها ، وعدم التعلم من التجارب السابقة او الاتعاظ من العقاب او الالم ، الاستفادة من المكافأة والتشجيع وكذلك تتسم هذه الشخصية بالسطحية والضحالة العاطفية والشعور بعدم الكفاءة وبالنقص ونلاحظ وجود هذه الصفات بين كثير من نزلاء السجون والمؤسسات الاصلاحية ، والسيكوباتي شخص لايرحم ، لاتحركه العواطف ، ذكي مندفع ، اناني ، كذاب ، معاكس ، يعشق اللذة ويحب الحيلة ، عديم الاستبصار ، قليل الحذر . ان قلة الاستبصار تجعله لايعي ما يفعل او يعقل اشياء بانجذاب لاسبيل إلى مقاومته ، وقد يتعرض إلى الالم أو الاذى (١). وفيما يتعلق بالوراثة فان اكثر علماء الوراثة يعتقدون بأن هنالك حقيقة لايمكن انكارها وهو ان الانسان يرث الاستعداد وبعض الصفات التي لو اجتمعت واتيحت لها الظروف لأدت بالتالي إلى سلوك منحرف وبالتالي فان الانسان لايرث الجنوح (٢) ولكنه يرث الاستعداد للجنوح .

التخلف العقلي :

لقد اجريت دراسات مختلفة حول علاقة التخلف العقلي بالجنوح ، ووجد ان عددا لايستهان به من الاحداث المنحرفين مصابون بدرجة معينة من التخلف

---

(١) دكتور فخري الدباغ / اصول الطب النفساني — مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل ١٩٧٤ .

(٢) د. صباح باقر د. عبد اللطيف حسين — انحراف الأحداث — دراسة اجتماعية تنوعية/ محكمة الأحداث / مكتب الخدمة الاجتماعية، بغداد ١٩٧٨ .

العقلي ويستدلون بذلك على ان نسبة الجانحين من الذين لم يدخلوا المدارس او تخلفوا عنها او تركوها تعادل خمسة اضعاف نسبة الطلاب المستمرين في الدراسة وطبيعي ان هذا غير معول عليه حيث ان الظروف المحيطة بهؤلاء تختلف عن الظروف المحيطة بطلاب المدارس المستمرين في دراستهم . ومهما يكن الربط بين التخلف والجنوح فان مستقبل المتخلف الجانح ومحاولة اعادة تكيفه الاجتماعي هو أصعب بكثير من الجانح ذي المستوى الطبيعي في الذكاء ، ولذا فان تصنيف مثل هؤلاء الاحداث ومعالجتهم وفق برنامج خاص يخفف العبء في المؤسسات التي تحوي جانحين يحملون قدرا معقولا من الذكاء . وهناك ناحية اخرى ان الاذكياء من الجانحين لايعودون للجريمة ونسبة العودة تكوّن اكثر في فئات الاحداث الاقل ذكاء ولو رجعنا إلى نشوء الذات وتطور الشخصية في مراحل الطفولة الاولى لوجدنا ان الذات العليا لابد ان نبنيها على أساس متين من ذات سفلى قوية بحيث يتسنى بذلك للحدث من التكيف الاجتماعي السليم وعليه فان اي خلل في الذات السفلى كالتخلف العقلي الجزئي يؤدي بالحدث إلى اعمال معادية للمجتمع ولوحظ انه لابد من قدر معين من الذكاء لدى الحدث لارتكاب جريمة ما وان هناك نسبة ضئيلة من المتخلفين عقليا ممن احيلوا إلى مكتب الخدمة الاجتماعية هم في العادة كانوا يسخرون من قبل الاذكياء من الجانحين لارتكاب افعال معادية للمجتمع(١).

الأسرة واهميتها في حياة الطفل النفسية :

ان الكثير من مظاهر التكيف او عدم التكيف التي تظهر في سلوك الافراد خاصة الاحداث منهم وتحقق نجاحهم او فشلهم في الحياة يمكن أرجاعها إلى نوع العلاقات الانسانية التي سادت أو تسود بين افراد اسرة الحدث في سني حياته الاولى وإلى اساليب المعاملة التي واجهها في هذه الحياة أو أن ما يتميز به الحدث من مواصفات انسانية صالحة أو غير صالحة انما يكتسبه بعد

(١) د. صباح باقر . د. عبد اللطيف حسين — انحراف الأحداث — دراسة اجتماعية تقويمية / مكتب الخدمة الاجتماعية / محكمة الاحداث — بغداد ١٩٧٨ .

ولادته ونتيجة لتفاعله مع البيئة التي تستقبله وتتعهده بالرعاية ، فالام تحتضن الطفل في مرحلة المهد ، ومنها يستمد شعوره بالامن وعن طريقها يشبع حاجاته وهي مرحلة اعتماد كامل على الغير وهي مرحلة أخذ من جانب الطفل ولايقابلها أي عطاء ويستمر الطفل في كنف امه حتى يبدأ في ادراك وجود أبيه ويحس أيضا أنه عن طريق هذا الاب يمكن ان يشبع الكثير من حاجاته ورغباته وان ينال منه مثل ما نال من امه من العطف والتقدير والمحبة ، يأخذ الوالدان في تعليم وتدريب الطفل حب الاخرين والتعاون معهم واحترام حقوق الاخرين ويتعلم عن طريق والديه الكثير من العقائد والمخاوف والافكار والاراء التي تدل على التسامح او التعصب ويؤكد علماء النفس بأن هذه الاتجاهات التي يكونها الاطفال في صغره وما يصاحبها من شعور بالحب او الكراهية توجه في المستقبل نحو المجتمع بصفة عامة ، كما ان الكثير من جرائم الاحداث وانحرافهم يرجع في اصله إلى كراهية الاطفال نحو السلطة وخاصة اذا كانت هذه الكراهية اصلا موجهة نحو الاب حيث يعتبر رمزاً للسلطة .

والواقع ان الأسرة تنجح في تحقيق التكامل النفسي للطفل اذا ما نجحت وأدركت حاجات الطفل النفسية والعاطفية المرتبطة بتطور نمو مفهومه عن نفسه وعن علاقته بغيره من الناس، ومن أهم هذه الحاجات حاجة الطفل إلى الشعور بالامن والطمأنينة والحاجة إلى التقدير والحب والثقة بالنفس والحاجة إلى الانتماء وإلى بناء علاقات اجتماعية مرضية والحاجة إلى العطف وإلى التعليم والتوجيه والنجاح. وكذلك فان للطفل قدرات واستعدادات تختلف عن قدرات واستعدادات غيره من الاطفال فلا يقارن الوالدان بينه وبينهما خصوصاً اذا كان الغرض من المقارنة امتهان الطفل أو إذلاله .

علاقة الطفل بالام :

وهناك ثم اتفاق بين علماء النفس والمهتمين بدراسة الشخصية ، على أن خبرات الطفل الأولى وخاصة التي ترتبط بعلاقته باسرته لها أهمية كبيرة

في نمو شخصيته وفي تطوره النفسي والاجتماعي، فالحرمان من عطف الأم وحبها ورعايتها يسبب أذى كبيراً للطفل حيث إن الحرمان الجزئي يؤدي إلى الشعور بالقلق والحاجة الشديدة إلى الحب ومشاعر العدوان القويه التي يصاحبها عادة الشعور بالذنب والاكتئاب أما الحرمان الكامل فيؤدي إلى الانحراف وسوء التكيف وفشل الاطفال في اقامة علاقات اجتماعية سليمة مع أفراد المجتمع. والحرمان يكون اشد على الطفل اذا حدث في السنتين الثانية والثالثة في حياته حيث يكون اغلب اعتماد الطفل في هذه الحالة على امه في قضاء حاجياته واشباع رغباته ويكون اقل خطورة لو حدث في العام الأول من حياته وقام على رعاية ام بديلة حيث أنه لم يكن قد تعلق بعد بهذه الأم التعلق الكبير وارتبط بها الارتباط النفسي الذي يشكل توتر في حياته وشخصيته فيما بعد.

علاقة الطفل بالاب:

اما علاقة الطفل الصغير بوالده فتبدأ في الوضوح والظهور في السنة الثانية من حياة الطفل حيث يزداد انتباهه لوالده ويتعرف عليه ويحاول الوصول اليه واجتذابه كلما اجتمع به ويزداد حب الطفل لابيه وتتوثق علاقته به كلما كان هذا الاب عطوفاً ومحباً لطفله، كلما زاد التقاؤه بابنه في اكثر من فرصة وفي أكثر وقت وهناك حقيقة يتفق عليها علماء النفس هي ان الابوة الرشيدة الحكيمة الناجحة لا تقاس بعدد الساعات التي يقضيها الاب مع طفله او بتوفير الحاجات الضرورية له بل على مقدار ما يمنحه الاب لطفله من حب ومودة وطريقة معاملاته له. ومثل هذه المعاملة من الاب لطفله يساعد وبدرجة كبيرة على اطراد نمو الطفل العاطفي والنفسي وشعوره بالسعادة والرضا. وعن طريق هذا الاتصال النفسي بين الاباء وابنائهم يشعر الابناء بمدى اهتمام الاباء بهم ورعايتهم والعناية بهم وهذا يؤدي إلى اشاعة الاستقرار النفسي والامن في حياة الصغار.

.. فالطفل الذي يعيش في اسرة يسود فيها الجو العاطفي والانفعالي السليم

المتوازن يجد فيه اشباعا لحاجاته الانفعالية والعاطفية واستقرارا نفسيا ييسر له حياته ويسبغ عليها جوا من الامن والطمأنينة ويدفعه هذا كله إلى التمسك باسرته وبهذه الحياة مادام يشبع فيها حاجاته وتستقر فيها انفعالاته اما الطفل الذي يعيش في جو اسرة مشحونة بالانفعالات والاضطرابات لايجد فيها الاستقرار النفسي السليم ويدفعه هذا الجو إلى القلق والشعور بعدم الضمان والضيق بالحياة فانه يحاول الفرار إلى أي مكان آخر عله يجد فيه منفساً عن الالم الذي يعانيه والقلق الذي يسيطر عليه وبذلك فانه يسير نحو الانحراف. ويؤكد « هيلى» (١) ان الشجار المتعاقب في المنزل والخلافات المستمرة بين الوالدين هما سبب اساس من اسباب الجنوح وخاصة اذا عمد الوالدان إلى اتخاذ الطفل محورا لشجارهما وخلافهما .

وكذلك فان ازدحام الاسرة بالاطفال وبالدرجة التي لايجد الوالدان معها وقتا لاحاطة اولادهما بالعطف والرعاية ، أو أن تكون كثرة الابناء في الاسرة مثيرا لقلق وقلة راحة الوالدين في الوقت الذي تكون امكانياتهم فيه ضعيفة ولاتستطيع ان تقوم بمطالب الحياة فهذا غالبا مايؤدي إلى القلق والاضطراب المستمر في المنزل وسرعة الاستثارة وخاصة ماكان متعلقاً بمطالب الاسرة وبذلك يصبح كل مطلب للابن أمرا ثقيلا وكل رفض من جانب الاب انكارا لهذا الابن ولحقه في الحياة ويكون في كثير من الاحوال مثيرا للقلق والانفعالات في الاسرة وقد يدفع هذا الابن إلى الفرار من المنزل او نبذه بدوره ، فمادام هذا المنزل مقلقا لراحته مثيرا لانفعالاته غير محقق لحاجاته فيتجه الى متنفس آخر يحقق فيه اماله واهدافه ويحقق فيه أمنه الانفعالي ورضاه وسروره . وكثيراً ماتكون المجالات الخارجية أكثر استثارة واغراء لهذا الابن ، وكثيرا ماتكون العصابات هي المجال الحيوي لهذا الابن يشبع فيه

(١) Healy.W. and Bromer, A.F. *New light on Delinguency and its treatment New York, Yale Univ . 1974* .

حاجاته كذلك وكما يقول « هربرت» (١) فان هؤلاء الابناء كثيرا ما يأخذ جناحهم الشكل الخاص بالسرقة من اجل الحصول على العطف والرعاية من زملائهم في العصابة والتي افتقدوها في اسرهم .

ان الاسرة لها دورها الهام والذي لايمكن اغفاله في حياة الطفل وفي تربيته وتنشئته وتشكيل شخصيته ، وبقدر اصلاح هذا الدور الذي تقوم به ومقدار تحملها وحسن قيامها بالاعباء المفروضة عليها تصلح شخصية الطفل ويصلح نموه وبقدر اضطراب هذا الدور تضطرب شخصيته والمهم أن هذه الاثار التربوية الهامة لايقتصر اثرها على مرحلة الطفولة بل تترك آثارها في كل حياة الطفل المستقبلة وتشكل مستقبل حياته فيما بعد . ان سلامة الجو النفسي الذي يعيش فيه الطفل وفي اسرته هو الضمان الاكيد الذي يحول بينه وبين اي انحراف سلوكي أو أي لون من المرض النفسي ، او أي اضطراب في تكوينه الشخصي والنفسي (٢) .

ان التفاعل الاسري بمختلف اشكاله سواء بين الوالدين ، معا او بين الاطفال والوالدين أو بين الاطفال بعضهم وبعض ضرورة لابد منها للنمو النفسي السليم للطفل من حيث أن (دينامية) العلاقات التي تحدث بين هؤلاء الافراد جميعا تترك آثارها التي لايمكن تغافلها أو اهمال قيمتها في تشكيل شخصيته وحياته (٣) .

---

(١) Herbert .W.L. and garvis , F. *Dealing With Delingemts London Methuer 1969*

(٢) Andry , R.G. : Deling uncy and Parntal Patterology London Mettunen . (1960), PP. 226 – 227 .

(٣) Bennet, I. Delinguent and Neurotic Children London , 1960 .



الفصل الثالث

منهج البحث وخطته:

يعتبر المنهج التجريبي من أهم الأسس العلمية التى يقوم عليها المنهج العلمي السليم حيث أنه يعتبر الاداة العلمية السليمة والتي يمكن بواسطتها ملاحظة الظواهر السلوكية ودراستها واجراء التجارب عليها للوصول إلى أفضل النتائج ، لذلك كان لزاما على الباحث أن يتمسك بالتجربة في هذه الدراسة وان يختار عينات تكون ذات مواصفات معينة يمكن عن طريق دراستها التحقق من صحة فرضية البحث .

١- العينة :

لقد تم اختيار عينتين من الاحداث ، الأولى تجريبية والاخرى ضابطة وقد اخذت المجموعة التجريبية وعددها ٥٠ حدثا جانحا من دار الملاحظة وهى مؤسسة اجتماعية لتوقيف الاحداث من الذكور والتى تقرر المحكمة أو السلطات المختصة توقيفهم ويجرى دراسة شخصيتهم وسلوكهم تمهيدا لمحاكمتهم .

اما المجموعة الضابطة وعددها ٥٠ حدثا من الاسوياء فقد تم اختيارهم من نفس مناطق السكن وحاول الباحث أن يكون اختياره لهذه المجموعة قريب الشبه إلى حد كبير بالمجموعة التجريبية من حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي ونفس المستوى التعليمي . وتشابه المجموعتان كذلك من حيث متغير السن ووضع الأسرة وظروفها وكذلك تم اختيار المجموعة الضابطة من المدارس الموجودة في المناطق السكنية التى جاءت منها المجموعة التجريبية ، وقد تم اختيار طلبة المجموعة الضابطة اعتمادا على تقارير المدرسين وملفات الطلبة وكذلك البطاقة المدرسية وعلى أن يكون الطالب ممن لم يتعود ارتكاب المخالفات السلوكية التى تضعه تحت طائلة العقاب مثل السرقة ، والعدوان الشديد ،

والالفاظ السيئة ومن لم يتعود الهروب من المدرسة ولم يلاحظ كثرة شكوى والديه أو مدرسيه منه .

وفيما يلي نتائج قياس المجموعتين من حيث الظروف وتغيرات البحث

المجموعة	جانحة	غير جانحة
العدد	٥٠	٥٠
متوسط السن بالشهور	١٨٠,١٢	١٦٨,٤
الانحراف المعياري	٢٦,٦	١٤,٤٦

يتضح من الجدول رقم (١) الذي يوضح مستوى السن عند أفراد المجموعتين فان الفروق بين المجموعتين ليست ذات اتساع كبير ولذلك يمكن اعتبارها في مستوى عمري واحد. وهناك مبررات لاستخدام المرحلة العمرية التي تتراوح بين ١٢ ــ ١٥ حيث ثبت من الاحصائية السنوية لعام ١٩٨١، ١٩٨٢ لمكتب الخدمة الاجتماعية بأن المرحلة العمرية التي تقع بين ١٢ ــ ١٥ هي التي يقع فيها النسبة العالية من الجرائم والاحداث ومخالفتهم، كذلك فان هذه المرحلة العمرية هي أقرب المراحل إلى ادراك أثار عملية التطبيع الاجتماعي التي مر بها الطفل ومعرفة آثارها ونتائجها، كما أن الاداة المستخدمة في البحث كانت تحتاج إلى مستوى معين من النضج العقلي يساعد على تفهم الكثير من اسئلتهما، أما نوع التهم فيوضحها الجدول رقم (٢) .

جدول رقم (٢ يوضح) نوع التهم التي أودع بها افراد العينة التجريبية في دار الملاحظة

نوع التهمة	العدد	٪
سرقة	٣٤	٦٨
مشاجرة	١٤	٢٨
اخلاقية	٢	٤
المجموع	٥٠	١٠٠

ويوضح الجدول رقم (٢) التهم التي أودعوا بها افراد العينة التجريبيين من حيث ظهر بأن ٦٨٪ من المجموعة أودعوا في دار الملاحظة بتهمة السرقة و٢٨٪ بتهمة المشاجرة و٤٪ بتهم اخلاقية وهي التهم المنتشرة بين الاحداث الجانحين في الطرق اما المستوى التعليمي لافراد مجموعات البحث فان الجدول رقم (٣) يوضح ذلك .

جدول رقم (٣) يوضح المستوى التعليمي لافراد مجموعات البحث

المستوى التعليمي	جانح		غير جانح	
	العدد	٪	العدد	٪
حاصل على الشهادة الابتدائية	٢٨	٥٦	٢٥	٥٠
طالب في الصف الأول متوسط	١٥	٣٠	١٤	٢٨
طالب في الصف الثاني متوسط	٧	١٤	١١	٢٢
	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٣) أن ٥٦٪ من المجموعة الجانحة كانوا قد حصلوا على شهادة الدراسة الابتدائية هذا بينما كان ٣٠٪ منهم ممن كان طالبا في الصف الاول المتوسط ١٤٪ منهم ممن كان طالبا في الصف الثاني المتوسط . اما المجموعة غير الجانحة من الطلاب الاسوياء فقد كان ٥٠٪ منهم من حصل على شهادة الدراسة الابتدائية ٢٨٪ ممن كان طالبا في الصف الاول المتوسط

و٢٢٪ منهم كان طالبا في الصف الثاني متوسط . وتظهر هذه النسب تشابها كبيراً في المستوى التعليمي من افراد ومجموعات البحث . اما المستوى التعليمي لاباء وأمهات مجموعات البحث فان الجدول رقم (٤) يوضح ذلك .

جدول رقم (٤) يوضح المستوى التعليمي لاباء وامهات أفراد مجموعات البحث

الوضع التعليمي	مستوى الاباء				مستوى الامهات			
	جانح		غير جانح		جانح		غير جانح	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
يعرف القراءة والكتابة	٣٦	٧٢	٣٧	٧٤	٣٧	٧٤	٤٣	٨٦
حاصل على الشهادة الابتدائية	١٠	٢٠	٧	١٤	١١	٢٢	٦	١٢
حاصل على الشهادة المتوسطة	٤	٨	٦	١٢	٢	٤	١	٢
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

وكما يظهر في الجدول رقم (٤) فأن هناك تشابها بين آباء وأمهات افراد المجموعات من حيث المستوى التعليمي والثقافي إلى حد كبير حيث كان اغلبهم ممن يعرفون القراءة والكتابة ونسبة قليلة من الاباء والامهات ممن حصل على شهادة الابتدائية والمتوسطة .

اما من حيث وضع السكن اي (عدد غرف المنزل) فان الجدول رقم (٥) يوضح ذلك .

جدول رقم (٥) يوضح وضع المسكن لافراد مجموعات البحث

عدد الغرف المنزل	الجانحة	٪	غير الجانحة	٪
غرفة واحدة وهول	٢٨	٥٦	٢٥	٥٠
غرفتان	١٦	٣٢	١٤	٢٨
ثلاثة غرف	٦	١٢	١١	٢٢
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

ويتضح من الجدول رقم (٥) ان ظروف سكن اسر افراد مجموعات الدراسة كانت متشابهة إلى حد بعيد أو أن أغلب الاسر كانت تسكن في غرفة واحدة وهول او غرفتين وان زادت في مجموعة غير الجانحين بدرجة بسيطة نسبة من يسكنون ثلاث غرف .

أما من حيث كثافة الافراد في الاسرة فان الجدول رقم (٦) يوضح ذلك .

عدد افراد الاسرة	جانــح		غير جانــح	
	العدد	٪	العدد	٪
٩ أفراد	٢٢	٤٤	٢٣	٤٦
٧ أفراد	٢٣	٤٦	٢٤	٤٨
٦ أفراد	٥	١٠	٣	٦
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

ويتضح في الجدول رقم (٦) الخاص بعدد افراد أسر مجموعات البحث أن اغلب اسر المجموعتين الجانحة والسوية كانت من النوع الذي يكثر به عدد الافراد وكانت غالبيتها ممن ينحصر عدد أفرادها بين ٧ ــ ٩ افراد ، وبذلك تتشابه ايضا المجموعتان فيما يتعلق بعدد افراد الاسرة .

أما من حيث المناطق السكنية لافراد مجموعات البحث فان الجدول رقم (٧) يوضح ذلك .

جدول رقم (٧) يوضح توزيع افراد مجموعات البحث حسب المناطق السكنية التي يعيشون فيها

المنطقة	عدد الجانحين	٪	عدد غير الجانحين	٪
١ ــ مدينة صدام	١٨	٣٦	١٦	٣٢
٢ ــ مدينة الشعلة	٦	١٢	٧	١٤
٣ ــ مدينة الحرية	١٦	٣٢	١٧	٣٤
٤ ــ الكرادة	٢	٤	٢	٤
٥ ــ الكاظمية	٢	٤	٢	٤
٦ ــ الاعظمية	٢	٤	٢	٤
٧ ــ العامل	١	٢	١	٢
٨ ــ مدينة البياع	١	٢	١	٢
٩ ــ حي السلام	١	٢	١	٢
١٠ ــ الوشاش	١	٢	١	٢
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

ويوضح لنا الجدول رقم (٧) الخاص بالمناطق السكنية لافراد مجموعات البحث أن اغلبهم يقطنون في مناطق مدينة صدام « مدينة الثورة سابقاً» كما يلاحظ أن نسبة كبيرة منهم ايضا تسكن في مدينة الحرية يليها في النسبة مدينة الشعلة وبعد ذلك تأتي النسب القليلة باقي المناطق الاخرى ، وبذلك حقق الباحث كذلك تشابها كبيرا بين المجموعتين في هذه الناحية أو أن أغلب افراد هذه المناطق واسرها من الطبقة العاملة في المجتمع والتي تعيش في ظروف أقل من المتوسط اجتماعيا ومن المحتمل أن تكون ماديا أيضا كما وان اغلب هذه المناطق هي المجال الذي يظهر فيه السلوك المنحرف بصفة مستمرة .

أما من حيث مستوى دخل اسر مجموعات البحث فان الجدول رقم (٨) يوضح ذلك.

الدخـل بالدينار	عدد الجانحين	٪	عدد غير الجانحين	٪
من ٦٠ — ٨٠	٢٤	٤٨	١٥	٣٠
من ٨٠ — ١٠٠	١٢	٢٤	١١	٢٢
من ١٠٠ — ١٢٠	٥	١٠	٩	١٨
من ١٢٠ — ١٦٠	٩	١٨	٦	٣٢
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠

ويتضح من الجدول رقم (٨) بان الحد الادنى لدخل اسر افراد المجموعات كان لايقل عن ٦٠ دينار شهريا ولا يزيد عن ١٦٠ دينار ويلاحظ ان مستويات الدخول في اسر الجانحين أقل إلى حد ما عن مستويات الدخول في اسر غير الجانحين .

أما من حيث ظروف الوالدين المبينة فان الجدول رقم (٩) يوضح ذلك .

جدول رقم (٩) يوضح ظروف الوالدين المبينة ٢ ظروف الاباء

ظروف عمل الاباء	عدد الجانحين	٪	عدد غير الجانحين	٪	دلالة الفروق باستخدام (مربع كاي)
الاب يعمل عملا اساسياً	٣٦	٧٢	٣٧	٧٤	
عمل اساسي اضافي	١٢	٢٤	١١	٢٢	ليست ذات دلالة احصائية
عمل بعض الوقت	٢	٤	٢	٤	
ذوع عمل الأب					
موظف	٥	١٠	٦	١٢	
عامل	٤٠	٨٠	٣٨	٧٦	ليست ذات دلالة احصائية
فلاح	٣	٦	٣	—	
تاجر	٢	٤	٣	٦	
عمل الأب يضطره إلى التأخير عن المنزل					
نعم	٣٦	٧٢	١٦	٣٢	فروق ذو دلالة احصائية
لا	١٤	٢٨	٣٤	٦٨	في مستوى ٠٫٠٠١
الابن يحس بالضيق من مهنة الأب					
نعم	٣٤	٦٨	٦	١٢	فرق ذو دلالة احصائية
لا	١٦	٣٢	٤٤	٨٨	في مستوى ٠٫٠٠١
المجموع	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	

يوضح لنا الجدول رقم (٩) المستويات المهنية لاباء مجموعات البحث حيث ظهر بأن معظم آباء افراد المجموعتين كانوا يعملون في وظائف واعمال ذات صفة دائمة ولا توجد فروق ذات دلالة احصائية في هذه الناحية. اما من حيث نوع عمل الاب منذ كانت الاكثرية تعمل بصفة عامل يليها الموظف والفلاح. اما أضطرار الاب إلى التأخر عن المنزل بسبب العمل فقد كانت نسبة مجموعة الجانحين أعلى بكثير من غير الجانحين. أما احساس الابن بالضيق من مهنة الاب فقد كانت نسبة مجموعة الجانحين من المتضايقين أكثر ونسبة عالية من مجموعة غير الجانحين .

جدول رقم (١٠) يوضح ظروف الامهات ظروف الوالدين المختلفة

ب ـ ظروف الامهات

ظروف عمل الامهات	عدد الجانحين	٪	عدد غير الجانحين	٪	دلالة الفروق باستخدام (مربع كاف)
هل الأم					
تعمل	٥	١٠	١	٢	يوجد فرق ذو دلالة
كانت تعمل	٦	١٢	١	٢	احصائية عند مستوى
لا تعمل	٣٩	٧٨	٤٨	٩٦	٠,٠٥
عمل الأم يضطرها إلى التأخر عن المنزل					
نعم	٥	٠	٠		لا توجد فروق ذات
لا	٣		٢	٤	دلالة احصائية
لا تعمل	٣٧		٤٥	٩٠	
كانت تعمل	٥		٣	٦	
عمل الأم يسبب ضيقاً للابن					
نعم	١٢	٢٤	١	٢	توجد فروق ذات
الام لا تعمل	٣٨	٧٦	٤٩	٩٨	دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٥
المجموع في كل موقف	٥٠	١٠٠	٥٠	١٠٠	

يوضح لنا الجدول رقم (١٠) المستويات المهنية والظروف المهنية لامهات مجموعات البحث حيث ظهر بأن النسبة العالية من الامهات بالنسبة للمجموعتين لا تعمل ويظهر بأن عمل الام يسبب ضيقاً للابن ظهر بصورة واضحة من مجموعة الجانحين منها في المجموعة الأخرى.

٢ ـ أداة البحث

١ ـ قام الباحث باعداد استفتاء الهدف منه التعرف على اثر علاقة الوالدين بالطفل واثر هذه العلاقة في ظاهرة جنوح الاحداث. كما حاولا باستخدام هذه الاداة معرفة الفروق التي يمكن أن توجد بين الجانحين وغير الجانحين فيما يتعلق بعلاقة والديهم وفي سبيل تحقيق الاداة فقد اطلع الباحث على العديد من أنواع الاستفتاءات وطرق وضعها لكي يمكن وضع الاداة على اسس علمية.

وقد اطلع الباحث على استفتاء كان قد وضعه اندرى (Andry) وجاء في كتابه Delinguency and Parental Patolgy وقد استفاد الباحث كثيرا من طريقة اندرى في وضع الاستفاء، وكذلك فقد استفاد الباحث من المواقف التربوية المختلفة والتي وردت في البحوث المختلفة وخاصة مايتعلق منها بالتنشئة الاجتماعية وبالذات استفاد من الاستفتاء الذي وضع من قبل الدكتور محمد على حسن في كتابه علاقة الوالدين بالطفل واثرها في جناح الاحداث وكذلك استفاد الباحث من قراءاته في مجال الصحة النفسية وخاصة مايتعلق بعملية التكيف والعوامل الاساسية في احداث التكيف لدى الاطفال اوخلق الانحراف لديهم وكذلك كان الباحث في اشتغاله لمدة ١٠ عشر سنوات عضوا وخبيرا نفسانيا في مكتب الخدمة الاجتماعية التابع لمحكمة الاحداث في بغداد أثره في احتكاكه بالاحداث الموقوفين في مؤسة دار الملاحظة او الذين حسمت قضاياهم في مدرسة الفتيان أو المدرسة الاصلاحية وقد استفاد الباحث خصوصا مما كان يرد على لسان الابناء الجانحين في عبارات من نماذج العلاقات بينهم وبين والديهم وقصور وعيوب عملية التربية والتنشئة الاجتماعية التي تعرضوا لها. وقد جمعت هذه المواقف جميعا وصيغت في عبارات محددة كما وانه عرض قبل تطبيقه على خبراء في مجال الاحداث من المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية وكذلك مجموعة من اساتذة علم النفس.

وقد راعى الباحث ايضا ان يكون الاستفتاء من حيث وضعه وطريقة صياغة وحداته مطابقا للشروط العلمية الصحيحة.

٢ ــ تمت عملية اجراء الاستفتاء على كل فرد من افراد المجموعتين بطريقة فردية وبطريقة المقابلة الشخصية ومن المعروف ان من ميزات هذه الطريقة ان العينة والاجابات تكون اكثر تمثيلا للواقع والحقيقة في استخدام الطرق الاخرى لان الباحث يقابل كل حدث على حدة ويحصل منه على الاجابات بشكل فردي وشخصي هذا فضلا عن سهولة تسجيل ملاحظاته عنه أثناء الاجابة.

كما ان هذه الطريقة تكون نتائجها افضل واوفق كلما كانت هناك علاقة قوية بين الفاحص الذي هو الباحث والمفحوص الذي هو الحدث كما أن المقابلة الشخصية أتاحت للباحث معرفة الحدث ومراقبته وملاحظة سلوكه عند اجراء الاستفتاء.

٣ — التقارير المختلفة التي كتبها الباحثان الاجتماعيان عن سمات شخصية هؤلاء الاحداث وخاصة المجموعة الجانحة منهم حيث ان هذه التقارير جاءت واكدت صدق الاجابة التي وردت في الاستفتاء.

صدق الاستفتاء: من اجل التأكد من صلاحية الاستفتاء للقياس وصدقه فقد تم عرضه على خبراء في مجال الاحداث وكذلك على بعض اساتذة قسم علم النفس وتم استخراج النسبة المئوية لاتفاق الخبراء على صلاحية الفقرات لقياس المواقف وصلاحية الاستفتاء وقد تبين ان نسبة الاتفاق بين الخبراء كانت ٩٠٪ على اغلب الفقرات واستبعدت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق واطئة .

٣ — الوسائل الاحصائية

من الوسائل الاحصائية التي اتبعها الباحث في الدراسة هي:

١ — النسبة المئوية ٢ — المتوسطات والانحرافات المعياريه ٣ — استخدام مربع كاي .

وقد استخدم الباحث هذه الوسائل للوصول إلى تحقيق الهدف من البحث والمقارنة بين مجموعات البحث (الجانحين والاسوياء) ولمعرفة ما اذا كانت الفروق لاترجع لمجرد الصدفة وحدها . وقد كانت مستويات الدلالة الاحصائية التى اتخذت اساساً للفروق هي ٠٫٠٥و٠٫٠١ و٠٫٠٠١ .



التصوير على المسكوكات الاسلامية

عبد الواحد الرمضاني
كلية الاداب — جامعة الموصل

مقدمة : —

لقد بقي التصوير على المسكوكات الاسلامية حقلا بكرا لم ينل مايستحقه من اهتمام الباحثين الذين انصب جله على دراسة التصوير الاسلامي في الفنون الاخرى .

وماوصل الى ايدينا من بحوث في العربية في هذا الشأن لاتعدو ان تكون دراسات مقتضبة لبعض المسكوكات المصورة (الآدمية) التي وقعت بين ايدي الباحثين في فترات متباعدة فكانت دراستهم عنها ضمن سياق مواضيع اخرى . كدراسة نقود فترة من الفترات الاسلامية في العصور المختلفة والتي كانت بعض نقودها مصورة او دراسة بعض نقود الصلة لاحد الخلفاء او الولادة .

والحقيقة ان هذا الموضوع لم يفرد له بحث خاص مستقل ومنشور فيما عدا محاضرة القيت في عام ١٩٧١ في القاهرة على طلبة الدراسات العليا لقسم الاثار للدكتور عبد الرحمن فهمي محمد . وهي محاضرة عامة حول التصوير الاسلامي والتصوير على السكة بشكل خاص .

ولاجل دراسة الموضوع بشكل شامل واعطاء صورة واضحة لمسار التصوير على السكة العربية فقد قمت باختيار (٣٦) نموذجا مصورا لهذه السكة منذ زمن معاوية بن ابي سفيان وحتى فترات متأخرة من التاريخ

الاسلامـي (العهد المغولي) ، وقد انصب بحثي لهـا على دراسة نصوص كتاباتها (السكة) واماكن وسني ضربها واسماء الخلفاء والامراء الذين امروا بسكها فضلا عن دراسة تحليلية شاملة للتصاوير من حيث شخوصها الادمية وحالاتها وطريقة جلوسها او اتجاهاتها ؛ كما قمت بدراستها من حيث الملابس والاردية واغطية الرؤوس والعصائب والشعور المسترسلة والملفوفة .

كما تضمن البحث دراسة الحيوانات كالخيول والاسود والحيوانات الخرافية المنقوشة على بعضها كالنسطور ، وكذلك دراسة الطيور والنسور والاسماك والعقارب .

واتماما للفائدة فقد افردت لبعض الصور مخططات تتيح للقارىء دراسة مواضيعها بدقة .



لقد كانت الصور على المسكوكات الاسلامية وليدة القدرات الفنية الدقيقة للفنانين المسلمين الذين قاموا بوضع تصاميمها على قوالب خصصت لها قبل ابرازها على القطع النقدية بعد عملية الضرب وقد بقيت هذه النقوش البارزة معرضا رائعا للتصوير الاسلامي الذي لاقى بعض اهتمام الباحثين المسلمين الا انه كان دون الاهتمام الذي لاقته الفنون الزخرفية الاسلامية الاخرى بصورة عامة . لقد تداول عرب الجزيرة قبل الاسلام المسكوكات الساسانية والبيزنطية كما كان للدويلات العربية في جنوب الجزيرة العربية مسكوكات مستقلة عن هاتين الدولتين يتداولونها في اعمالهم وتجارتهم .

وقد ابرزت المسكوكات البيزنطية والساسانية فنونها بشكل واضح في تصاوير دقيقة وجميلة اعطت وجها دعائيا عن الحياة الاجتماعية السياسية والدينية ، كما عدت واسطة اعلامية ناجحة عجزت عن مجاراتها جيوشهم احيانا .

وكان الدينار البيزنطي الذي اتخذ نموذجاً على هيئة قرص من الذهب نقش على احد وجهيه صورة الامبراطور البيزنطي الذي امر بسكه وفي فجر الاسلام كانت الصورة للامبراطور هرقل وحده او مع ولديه هرقليوناس وقسطنطين وقد قبض كل منهما على صليب طويل وتوج كل منها بصليب اخر .

اما الوجه الثاني من السكة فقد نقش عليه صليب قائم على اربعة مدارج تحيطها عبارات من الدعاء تشير الى مكان ضرب الدينار مكتوب بالاحرف اللاتينية واليونانية (١) . اما الدرهم الساساني فكان على هيئة قرص من الفضة صور وجهه الاول الجزء العلوي من صورة جانبية لكسرى فارس يعتمر تاجا (Profile) . اما الوجه الثاني من الدرهم فصور عليه معبد نار ساساني يقوم حارسان مسلحان على حراسته . كما حوت هذه السكة

(١) ناصر النقشبندي / الدينار الاسلامي في المتحف العراقي / بغداد ١٩٥٣/ ص ١١، انظر لوحة رقم (١) .

كتابات بهلوية كذكر اسم الملك الذي ضرب الدينار في عهده مع دعاء لأسرته ، ويلاحظ ثمة زخرفة تشتمل على نجمة يحتضنها هلال وهي في الهامش الخارجي للدرهم ويعتقد ان هذه الزخرفة ترمز الى الرفاه عند الشرقيين يتراوح عددها بين ٣ ــ ٤ (١) وقد استعمل العرب الى جانب المسكوكات البيزنطية والساسانية الفلس البرونزي كعملة مساعدة وكان ايضا عبارة عن قرص مستدير على احد وجهيه صورة للامبراطور واقفا متوجا يعلوه صليب وبيده اليمنى عصا المطرانية وباليسرى كرة ، ويعلو كل منهما صليب ايضا وهو الشارة المسيحية المقدسة ، اما الوجه الثاني فعليه رمز نقدي حرف (M) اي رقم (٤٠) في اليونانية ويعني ان القطعة تساوي (٤٠) نميا (٢) .

لقد استمر هذا النوع من النقود المصورة متداولا قبل الاسلام وبعده ولحين ظهور المسكوكات العربية الاسلامية ، زمن عبد الملك بن مروان ٦٥ ــ ٨٦هـ الذي اقتبس منذ البدء هذا النوع من المسكوكات المصورة لدى البيزنطيين والساسانيين لغايات اقتصادية كما سنشير الى ذلك .

والحق ان مؤرخي الفن لم يعيروا اهتماما كبيرا لتصاوير النقود الاسلامية بسبب صغر حجمها ــ وتلف بعضها وصعوبة قراءة كتاباتها ، وغلبة الفكرة السائدة عنها من انها لاتحمل سوى اسماء الولاة والحكام والشعارات وبعض النقوش والزخارف ومكان ضرب المسكوكة وتاريخها .

لقد مرت سكة عبد الملك بن مروان او ماتسمى سكة فجر الاسلام المصورة بثلاثة انماط متطورة وعلى الشكل التالي : ــ

١ ــ ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دينارا عربيا مصورا على طراز الفلوس البيزنطية التي تصور هرقل وابنيه قسطنطين رهرقليوناس او على شكل سكة لهرقل وحده .

(١) عبد الرحمن فهمي / فجر السكة العربية / القاهرة ١٩٦٥ / ص ٣٠ انظر لوحة رقم (٢)

(٢) عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها / القاهرة ١٩٦٤ / ص ٢٧ انظر لوحة رقم (٣) .

ويلاحظ هنا ان الفنان العربي قام بنقش صورة الاباطرة البيزنطيين كما هي على النقود البيزنطية تقريبا الا انه حور الصلبان الى عصا فوق التيجان بالوجه ، او الحرف T فوق مدرجات اربع على الظهر ، كما حور صلبان عصا المعمدانية للامبراطور وولديه الى كرات وابقى على الكتابات اليونانية كما هي في الاصل البيزنطي (١)

٢ — وقد خطا الخليفة خطوة ثانية بضرب الدنانير على طراز الصور الثلاث لهرقل وولديه مع وضع كرات فوق عصا المعمدانية وعلى الظهر كرة فوق عمود يرتقي على مدرجات اربع وحوله حرفا I أ B بدلا من B أ I واحاط الهامش بنص يشير الى شهادة التوحيد والرسالة المحمدية كتب باتجاه عقرب الساعة (بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله)(٢) .

٣ — وكانت الخطوة الثالثة والاخيرة برسم صورة الخليفة عبد الملك بن مروان وهو واقف بشعر مفروق مسدل على كتفيه وبلحيته الكثة يرتدي جلبابا وعباءة فضفاضة ذات طيات يمسك بيمناه سيفا علامة الامامة عند المسلمين ويتدلى من حزامه شراشيب . وتحيط بصورته كتابات كوفية تدور باتجاه عقرب الساعة نصها ((بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله)) .

اما الظهر فقد نقش عليه كرة فوق عمود قائم يرتقي مدرجات اربع يحيط بها كتابة تدور باتجاه عقرب الساعة تتضمن البسملة وتاريخ الضرب (٣).

(١) انظر عبد الرحمن فهمي : فجر السكة العربية ص ٢٨٦ .

(٢) عبد الرحمن فهمي / نفس المصدر السابق ص ٢٨٧ .
عبد الرحمن فهمي / النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٣٩ .

(٣) عبد الرحمن فهمي / فجر السكة / ص ٢٨٧ .
انظر لوحة رقم (٤) .

وقد استمر هذا النمط من الطراز ابتداء من سنة سنة ٧٤هـ الى سنة٧٧هـ وهي السنة التي شهدت انتهاء طراز دنانير عبد الملك المصورة وبداية نمط جديد بدنانير عربية بنقوشها الخالية من التصاوير (١) .

ويبدو أن الدولة البزنطية قد ردت على الطراز الثالث من دنانير عبد الملك المصورة وهو يقبض بيده على سيفه حين وصلتها هذه السكة بأن قام الملك جستنيان بضرب دينار عليه صورته وهو واقف يقبض على الصليب بيمينه فوق مدرجات ثلاثة، ورسم على الوجه صورة السيد المسيح، وهكذا أصبحت المسكوكات ميدان صراع أيضاً، بين الدولة العربية الاسلامية والدولة البزنطية المسيحية .

والحق انه لم يصل الى ايدينا حتى الان اي دينار يحمل صورة عبد الملك قبل سنة ٧٤هـ تلك السنة التي وصلتنا منها أقدم هذه الدنانير .

وفي حوالي هذا التأريخ ضرب عبد الملك دراهمه المصورة بصورته سنة ٧٥هـ(٢) فقد ضرب درهماً من الفضة على الطراز الساساني الاسلامي نقش على وجهه الاول صورة الخليفة عبد الملك وهي مشابهة لصورة الخليفة على الدينار كتب باليمين (خلفت الله) ويقصد بها خليفة الله وفي اليسار امير المؤمنين، ويحيط بها زخرفة عليها أربعة اقمار بكواكبها المتقابلة . كما نقش على الوجة الثاني صورة نصفية لكسرى الثاني كتب خلف رأسه (ضرب في سنة) وامام وجهه (خمس وسبعين) ويحيط بهذا هامش كتابي بين أربعة اقمار بكواكبها نصه: (بسم الله لا اله الا الله ـ وحده محمد رسول الله) (٣).

وهناك فلسان نادران باسم الخليفة عبد الملك بن مروان مصوران يشيران الى سنة الضرب فأما الفلس الاول فقد نقش على وجهه صورة الخليفة واقفاً

(١) انظر لوحة رقم (٥) .

(٢) عبد الرحمن فهمي / التصوير على المسكوكات / فصلة لمحاضراته لطلاب الدراسات العليا في القاهرة سنة ١٩٧١ ص ٤ .

(٣) ناصر النقشبندي / نقود الصلة والدعاية / مجلة المسكوكات عدد ٣/ ص ٨، ٩، ١٠.

وشعره مسترسل على كتفيه ممسكاً بيده اليمنى السيف وكتب على يمين الصورة ما نصه (عبد الله عبد الملك) وعلى يسار الصورة (امير المؤمنين).

أما على ظهر الفلس فقد نقش صورة عمود يرتقي على أربعة مدرجات وكتب على يمين المدرج اسم مدينة الضرب(حلب) وفي الهامش شريط كتابي نصه(لا اله الى الله وحده محمد رسول الله) (١) .

وقد نقش على وجه الفلس الثاني صورة الخليفة بوضع مقابل يمسك بيده السيف ويحيط برأسه هاله ويعتقد انها اقدم هالة (٢) معروفة في التصوير الاسلامي حتى الان والى يمين الصورة كتابة كوفية نصها« لعبد الله» وعلى يسار الصورة كتابه نصها « امير المؤمنين» في حين زخرف ظهر الفلس بنقوش وكتابات تشابه الفلس الاول عدا اسم مدينة الضرب(حمص بدلاً من حلب)(٣) .

ومما يجدر ذكره ان المقريزي اشار الى ان معاوية بن ابي سفيان ٤١ ــ ٦٠هـ ضرب دنانير ذهبية نقش عليها صورته متقلداً سيفاً وانها وقعت بين أيدي المسلمين فقالوا((يامعاوية انا وجدنا ضربك شر ضرب)) (٤).

وان كان الامويون قد ضربوا هذا النوع من السكة المصورة زمن عبد الملك بن مروان فان العباسيين قد حذوا حذوهم أيضاً .

فقد ضرب الخليفة الواثق بالله ٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ مسكوكة نقش عليها صورة طاؤوسين متقابلين وأسد يركض (٥) .

---

(١) عيسى سلمان / المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله شكر الصراف / مجلة المسكوكات عدد ٢ ص ١٧ — انظر لوحة رقم (٦) .

(٢) انظر في موضوع الهالة د. زكي محمد حسن / مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي / بغداد/ نيسان ١٩٧٢ .

(٣) عيسى سلمان / نفس المصدر السابق / ص ١٩ — انظر لوحة رقم (٧) ورقم (٨).

(٤) المقريزي / نشر الاب انستاس الكرملي في كتاب (النقود العربية وعلم التنميات الجزء الخاص بالنقود من كتاب المقريزي (النقود القديمة الاسلامية) القاهرة ١٩٣٩م ص ٣٠. وفيما يخص نقود معاوية انظر لوحة رقم (٩) لدرهم عربي ساساني ضرب له عام ٤١هـ.

(٥) راجع مجموعة د. هنري عوض الشخصية / القاهرة .

كما ان هناك مسكوكة محفوظة في متحف تأريخ الفنون بمدينة فيينا على أحد وجهيها رسم يمثل الخليفة المتوكل ٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ وقد اشار اليها الدكتور زكي محمد حسن(١) كما أشار اليها كرزويل(٢)وارنولد(٣)حيث صور الخليفة المتوكل على الله يعتمر عقالاً وكوفيه وفي اذنيه قرطان مرتدياً ملابس اشبه ما تكون بملابس الحرب والصورة نصفيه وبوضع امامي ويحيط بالصورة دائرتان متداخلتان وحولها كتابه كوفية نصها «بسم الله محمد رسول الله المتوكل على الله».

وعلى ظهر القطعة رسم رجل يقود جملاً ويحيط بالرسم ثلاث دوائر وحولها اطار دائري عليه كتابه كوفية تشير الى تأريخ الضرب نصها« سنة احدى وأربعين ومائتين المعتز بالله»(٤) أي ٨٥٥م .

كما قام الخليفة العباسي المقتدر بالله ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ بضرب سكة مصورة وهي محفوظة في متحف برلين يشاهد عليها صورة الخليفة على الوجه لابساً ثوباً مزخرفاً بزخارف معينية وجالساً متربعاً يحمل بيده اليمنى كأساً وفي اليسرى

---

(١) أحمد تيمور / التصوير عند العرب / نشر وتعليق د . زكي محمد حسن، القاهرة ١٩٤٢ ص ٢٦١ – انظر لوحة رقم (١٠) .

(٢) Creswell K.A.C. : Early Muslim Architecture (Oxford Vol, II 1932 – 194) P. 277 Fig . 21 .

(٣) Arnold (Sir Thomas) and grohmann (Adolf), The Islamic book, Acontribution to it's art and History. pegagus ....Press Paris 1929 p. 10 F.g. 7.

(٤) د. ناهض عبد الرزاق / المسكوكات العربية ودورها الاسلامي / دراسات الاجيال / العدد الثالث / السنة الثانية / آب ١٩٨١ ص ٢٥٠ .

Arnold painting in Islam : Study of the place at pictroial Art in Muslim Culture Clarendon Press , Oxford 1928. P. 125 .

وانظر ناصر النقشبندي / نفس المصدر / ص ١١ .

خنجراً أو سلاحاً آخر وقد كتب على جانبي الصورة وبالخط الكوفي اسم المقتدر بالله، والصورة والكلمتان تحمهما دائرة يفصلها عن الكتابة الهامشية شريط دائري عليه رسوم نباتية (١) .

اما ظهر المسكوكة فرسم عليه سيدة تلبس رداء مزخرفاً ذا كم واسع في مجلس الطرب تجلس متربعه تعزف بعود، يتدلى من اذنيها قرطان وعلى رأسها تاج بالقرب منه غصن شجرة وتغطي مساحه الصورة زخارف منوعة(٢).

كما ضرب المقتدر ايضا «درهما» فضيا «محفوظا» في المتحف العراقي ببغداد يصوره على الوجه وهو ممتط جواده حاملاً سيفا بيده اليسرى وقد امسك بجواده بيده اليمنى. وقد اعتمر برأسه بعمامة، ويرتدي درعا وقد نقش على يسار الصور كلمة «لله» وعلى يمينه «جعفر» وهو اسم الخليفة المقتدر .

وعلى الظهر صورة غزال، واسع العينين ذو قرنين وسنام مرتفع يركض وقد نقش فوقه لقب الخليفة جعفر «المقتدر بالله» (٣).

وفي زمن الخليفة العباسي الراضي بالله ٣٢٢ - ٣٢٩هـ سك امير الامراء بجكم دنانير يزن الواحد منها عدة مثاقيل ،على وجهيها صور، ففي الوجه الاول رسمت صورته وهو شاكي السلاح والثاني جالس مطرقاً وكتب تحتها:

انــــمــــا الـــعــــز فــــاعــلم

الــــــلاميـــــر المــعظـــم

---

(١) د. عبد الرحمن فهمي / التصوير على المسكوكات / ص ١٠ .
وأنظر احمد تيمور / نفس المصدر السابق / ص ٢٦١ انظر لوحة رقم (١١).

(٢) د. ناهض عبد الرزاق / نفس المصدر / ص ٢٥٢ / وانظر ناصر النقشبندي / نفس المصدر ص ١٢ .

(٣) انظر مجلة سومر ج١ م٢ لوحة اولى. انظر لوحة رقم (١٢) ..
وانظر ناهض عبد الرزاق / نفس المصدر / ص ٢٥٢/ أنظر ناصر النقشبندي / نفس المصدر ص ١١ .

سيد الناس بجكم (١)

٣٦٣ – ٣٨١هـ

كما ضرب الخليفة الطايع لله ووزيره عزالدولة البويهي ديناراً في مدينة السلام سنة ٣٦٥هـ يصور الخليفة على الوجه الاول وقد ارتدى لباس المنادمة يعتمر بعمامه وفي يده اليمنى كأس وفي اليسرى غصن صغير وشعره مسترسل إلى مافوق كتفيه ووقفت على جانبيه جاريتان، بالبسة مزخرفه يتدلى من اذنيهما اقراط وهما تعزفان وشعرهما مسترسل على الاكتاف وهما متجهتان اليه، ويحيط بهذا المنظر شريط من الكتابه الكوفية نصها «لاإله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطايع لله الامير عز الدولة» ورسم على الوجه الثاني صورة جارية تحتضن عودا «تعزف عليه يحفها غصنان من الزيتون وتحت زخرفه يتدلى من اذنيها قرطان والبستها مزخرفة يحيط بها شريط من الكتابة الكوفية نصها (لااله الا الله وحده لاشريك له ضرب بمدينة السلام سنة خمس وستين وثلثماية) (٢) .

كما ضرب الخليفة العباسي القائم بامر الله سنة ٤٢٢ – ٤٥١هـ ووزيره السلطان طغرل بك ابو طالب السلجوقي دينارا «مدينة السلام سنة ٤٥٠هـ» يصور الخليفة على الوجه الاول جالسا» في مجلس للشراب وعلى رأسه تاج وله لحية كثيفة وشعر مسترسل على الكتفين وفي يده اليمنى كاس وفي اليسرى غصن صغير ووقفت بين يديه جاريتان للعزف ويحيط بهذه الصورة شريط من الكتابة الكوفية نصها (لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم القائم بامر الله امير المؤمنين).

(١) ناصر النقشبندي / نقود الصلة والدعاية / مجلة المسكوكات عدد (٣) ص ٨.

(٢) ناصر النقشبندي / نفس المصدر السابق / ص ١٢ ولدينا من مجموعة بهزات بوطاق في استانبول .

وأنظر أحمد تيمور / التصوير عند العرب / الذي اشار إلى ان السكة هي للخليفة المطيع لله ٣٣٤ – ٣٦٣هـ والصحيح هو ما ذكره ناصر النقشبندي حيث ضربت السكة سنة ٣٦٥هـ في زمن الطائع لله .. انظر لوحة رقم (١٣) أ .

كما نقش على الوجه الثاني صورة طغرل بك وهو جالس يقبض على الكأس بكلتا يديه له لحيه يعتمر بعمامه كبيرة وعند رأسه من اليمين هلال ونجمة كتب تحتها (بخ) وإلى جانبها كتابه كوفية نصها (ستة وخمسو) وعند رأسه في اليسار حربة وتحتها كلمة (بخ) وإلى جانبها كتابه نصها (خمسين واربعمائه) (١) .

وفيما بعد فقد حذا السلاطين والملوك من البويهيين (٢) والسلاجقة (٣) والاتابكة(٤) وبنوزنكي (٥) (في الموصل وسنجار والجزيرة واربل والشام). في القرنين (١٢ – ١٣) م والانيخانيون (٦) (في ايران والعراق) والايوبيون (٧) بنوارتق (٨) حذو الخلفاء في تزيين مسكوكاتهم بالصور ايضا» .

وسنقوم بايراد بعض الامثلة لمسكوكات بعض هذه الدول فحسب ليتسنى للقارىء متابعة التواصل في نقش التصاوير على المسكوكات الاسلامية .

فقد ضرب قطب الدين مودود من اتابكية الموصل ٥٤٤ – ٥٦٥هـ فلسا نحاسيا في سنة ٥٥٥هـ نقش على مركز الوجه صورة اشخص متجه نحـو اليسار قليلا فوق راسه ملكان مجنحان وكتب في الهامش (خمس وخمسين وخمسماية) ونقش على مركز الظهر كتابة من اربعة سطور نصها: —

---

(١) ناصر النقشبندي / نفس المصدر السابق / ص ١٢ .. انظر لوحة رقم (١٣) ب .
(٢) د. عبد الرحمن فهمي / التصوير الاسلامي على المسكوكات / ص ١١ .
(٣) محمد باقر الحسيني / نقود السلاجقة / رسالة دكتوراه مخطوطة قدمت لجامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ تحت رقم ٦٢٧. ص ٢٣٩ وما بعدها .
(٤) محمد باقر الحسيني / العملة الاسلامية في العهد الاتابكي / مطبعة دار الجاحظ / بغداد ١٩٦٦ ص ٢٢٥ .
(٥) محمد باقر الحسيني / نفس المصدر السابق / ص ٨٧ وما بعدها .
(٦) مهاب درويش لطفي / العملة الاسلامية في العهد الاليخاني / سومر م ٢٢ سنة ١٩٦٦ ص١٠٥.
(٧) د. عبد الرحمن فهمي / فجر السكة ص ٤٥ .
(٨) عبد الواحد الرمضاني / مسكوكات بني ارتق ذات الصور / رسالة ماجستير مخطوطة القاهرة سنة ١٩٧٢ ص ٤٧ وما بعدها .

الشرق والغرب/ الملك العادل/ العالم ملك امرا/ طغرلتكين اتابك وأحاط الكتابة المركزية بنص كتابي/ مودود/ بن زنكي/ بن آق سنقر(١).

وضرب السلطان كيخسرو الثاني بن كيقباز (٦٣٤ ـ ٦٤٤هـ) وهو احد سلاطين السلاجقة في اسيا الصغرى درهما نقش على وجهه صورة اسد وفوقه صورة الشمس بوجه انسان ويحيطه كتابه نصها الامام المستنصر بالله امير المؤمنين» . وقد نقش على مركز الظهر كتابة كوفية نصها السلطان الاعظم/ كيخسرو/ بن كيقباز ويحيطها هامش كتابي نصه/ ضرب هذا الدرهم في سيواس سنة ثمان ... وستمايه) (٢) .

كما ضرب الاراتقة سكه نحاسية مصورة كذلك ففي فلس لحسام الدين يولق ارسلان الذي حكم في ماردين سنة ٥٨٠ ـ ٥٩٧هـ نقش على مركز الوجه صورة رجل جالس ومتربع في جلسته يحمل بيده اليمنى سيفا مستقبما وضعه خلف رأسه افقيا وفي يده اليسرى رأس رجل لاجسم له يعتمر خوذة ذات ريش حمله الجالس منها والرجل يرتدي خوذة او طاقية مدببة وقميصا من زرد. وعلى يمين الجالس كتب (نور الدين اتابك).

كما نقش على ظهر السكة وفي المركز كتابة من ثلاثة سطور نصها (الناصر لدين/ الله امير/ المؤمنين/ ويحيط بالكتابة المركزية هامشان كتب في الهامش الداخل مانصه/ الملك الافضل على والملك الظاهر غازي بن الملك الناصر. كما كتب في الهامش الخارجي مانصه. حسام الدين يولق ارسلان ملك ديار بكر (بن ايل غازي بن أرتق) ضرب سنة ست وتسعين وخمسمائة (٣).

---

(١) محمد باقر الحسيني / العملة الاسلامية في العهد الاتابكي / ص ٩٧ .

(٢) عيسى سلمان / المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله الصراف / المسكوكات عدد (و) ص ٢٥ انظر لوحة رقم (١٤) .

(٣) عبد الواحد الرمضاني / مسكوكات بن ارتق / ص ٨٢ وما بعدها .. أنظر اللوحة رقم (١٥) أ .

وقد اشار الدكتور زكي محمد حسن إلى سكة ضربت لصلاح الدين الايوبي في بلاد الجزيرة رسم فيها وهو جالس على عرشه (١).

والحقيقة فان التصوير الاسلامي على السكة لم يقتصر على الخلفاء والملوك والسلاطين المسلمين بل تعداهم إلى الوزراء والولاة ، فقد اشار بعض المؤرخين إلى ان جعفر البرمكي قام بسك دنانير اعلامية ودعائية وزنها مائة مثقال ومثقال واحد نقش صورته عليها وقد وصفها الشاعر ابو العتاهية بقوله :

واصغر من ضرب دار الملوك
يلوح على وجهه جعفرا
يزيد على مائة واحدا
متى يلقه معسرٌ أيسرا (٢)

وكما اشرت فقد ضرب امير الامراء بجكم في عهد الخليفة الراضي بالله ٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ دنانير ذهبية نقش على وجهها الاول صورته وهو شاكي السلاحي ونقش على الوجه الثاني صورته جالس مطرق وكتب تحتها مانصه : ـ

انما العز فاعلم
للامير المعظم
سيد الناس بجكم

كما قام الفضل بن يحيى بضرب درهم فضي سنة ١٧٩هـ نقشت عليه في الوجه صورة شخص يلبس فوق رأسه خوذة محاطه بعمامة يتدلى منها عذبة إلى الخلف على هيئة شريطين ، ونقش على ظهر المسكوكة فارس يمتطي

---

(١) احمد تيمور / التصوير عند العرب / نشر وتعليق د . زكي محمد حسن) القاهرة ١٩٤٢ ص ١٢٦ .

(٢) انظر القاضي الرشيد بن الزبير / كتاب الذخائر والتحف / الكويت ١٩٥٩ ص ٢٢٤ وانظر د . ناهض عبد الرزاق / المسكوكات العربية ودورها الاعلامي / دراسات الاجيال / العدد الثالث / السنة الثانيه / آب ١٩٨١ ص ٢٤٨ .
وانظر ناصر النقشبندي / نقود الصله والدعايه / مجلة المسكوكات / عدد ٣ ص ٧ .

جواداً وفي يمينه كرباج وهو يعتمر بخوذة هلالية الشكل وحوله كتابة كوفية نصها «الفضل» (١).

ولم تقتصر نقوش السكة الاسلامية على الصور الادمية فقط بل تعدته إلى الصور الحيوانية ايضا وفيما يلي بعض النماذج المختلفة لهذه السكة عن مختلف العصور الاسلامية.

فقد نقش على ظهر فلس اموي صورة سمكة تتجه إلى اليسار ويحيطها هامش كتابي مربع ناقص نصه محمد — رسول — الله. اما الوجه فكتابة داخل مربع تمس زواياه دائره خارجية تتصل باضلاع المربع باربع دوائر صغيرة واحده عند منتصف كل ضلع، وفي داخل كل دائرة حبيبه صغيرة، نصها لااله /الا الله/ وحده (٢).

وكذلك نقش على ظهر فلس اخر صورة اسد متجه إلى اليسار وذيله مرفوع إلى اعلى. وكتب على وجه الفلس نص بثلاثة سطور متوازية. لا اله الا الله وحده (٣).

وفي فلسين اخرين نقش على ظهر كل منهما صورة عقرب يرفع ذيله إلى أعلى داخل دائره ونقش على وجهيهما كتابة نصها (الا الله وحده)(٤).

وقد نقش على وجه فلس اخر صورة حيوان اليربوع متجها نحو اليمين في داخل دائره تحيط به شهادة التوحيد ويحمل على ظهره داخل دائرة

---

(١) ناصر النقشبندي / نقود الصله والدعايه / ص ٨٢٧ .
وانظر احمد تيمور / التصوير عند العرب / ص ٣٢ .

(٢) د . عبد الرحمن فهمي / موسوعه النقود العربيه / فجر السكه / رقم ١٠١٤ ص ٤٣٠ ٤٣١ لوحة ٢٩ رقم ٦٩٢٦/١٢ متحف الفن الاسلامي / القاهره وانظر الى نماذج من الفلوس الامويه المصوره في لوحة رقم (١٦) .

(٣) د . عبد الرحمن فهمي / نفس المصدر / رقم ١٠١٥ ص ٤٣١ لوحة ٢٩ وهو يحمل رقم ١٦٠٩٨٦/١ متحف الفن الاسلامي / القاهره .

(٤) د . عبد الرحمن فهمي / نفس المصدر / رقم ١٠١٦ ص ٤٣٢ ، رقم ١٠١٧ ص ٤٣٢ لوحه ٢٩ والفلسان يحملان الرقم ١٦٩٨٦/٢ ، والرقم ١٦٩٨٦/٣ متحف الفن الاسلامي / القاهره .

كتابة من ثلاثة سطور متوازية نصها. محمد رسول الله. وقد ضرب في مدينة (حمص) (١) .

وكان للاتابكة ايضا فلوس منقوشة عليها صور حيوانية كما الفلس الاتابكي الذي نقش على وجهه صورة انسان يمتطي اسدا مؤرخا سنة خمسماية وتسعين، للامير مظفر الدين كوكبري ٥٨٦ — ٦٣٠ وهو من ضرب مدينة اربل (٢) .

كما ضرب الاراتقة فلوساً مصورة بتصاوير حيوانية كفلس الامير ناصر الدين ارتق ارسلان ملك ديار بكر ٥٩٧ — ٦٣٧هـ فقد رسم على الوجه صورة فارس يمتطي أسداً وهو في وضع متحفز وكأنه يرفع بيده رمحاً او سيفاً ويظهر من وراء ظهره عصابتان تلتفان باتساق وتخرجان من سرج الاسد ويضع الفارس رجله في ركاب ينحدر على بطن الاسد والصورة كلها في حالة حركة واضحة يستبان منها حركة الاقدام الامامية للاسد وكذلك من خروج لسانه، وهي تقليد واقعي للطبيعة في الحركة وقوة التعبير ، والصورة محاطة بهامش كتابي يدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصه /الملك العالم العادل ناصر الدين ارتق ارسلان ملك ديار بكر. وقد نقش على الظهر وفي المركز كتابه من اربعة سطور نصها الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين ويحيطها من ثلاثة وجوه كتابة أخرى نصها سنة /وست / ومائة.

ويحيط بالكتابه المركزية شريط كتابي يدور عكس اتجاه عقرب الساعة نصه: الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب ضرب بماردين سنة(٣).

---

(١) د . عبد الرحمن فهمي / نفس المصدر / ص ٤٣٢ لوحه ٢٩ والفلس يحمل رقم ١٩٩١٧ متحف الفن الاسلامي / القاهره .

(٢) ويشير د . عبد الرحمن فهمي الى ان بعض فلوس حمص والمزينه بصوره حيوان اليربوع ضربت بامر مروان بن بشير كما يذكر ان بعض القطع زين وجهها بصوره الفيل . باقر الحسيني/العمله الاسلاميه في العهد الاتابكي/رقم ٦٨ص١٣٩ انظر لوحه رقم(١٧)ب.

(٣) عبد الواحد الرمضاني / مسكوكات بني ارتق ذات الصور / رقم ١٧١٦٠/٤ متحف الفن الاسلامي / لوحة ٨٣ رقم ٢١ وانظر لوحه رقم (١٥) ب .

كما نقش الملك الظاهر بيبرس ٦٥٨ – ٦٧٦هـ صور السباع على الدراهم والفلوس(١) .

ولم تقتصر الصورة على السكة للحيوانات فقط بل تعدته أيضاً الى الطيور ومثل ذلك الفلس البرونزي الاموي الذي نقش على وجهه صورة نسر ناشر جناحيه ومتجه الى اليسار ويحيطه كتابه نصها محمد رسول الله وعلى الظهر كتابه داخل دائرتين نصها لا اله الا الله وحده(٢).

ولم يقتصر اهتمام المصورين المسلمين على الحيوانات او الطيور او الاسماك في تصويرهم على المسكوكات بل تعداها أيضاً الى الحيوانات الخرافية .

وفيما يلي امثلة على ذلك: –

فقد وردت صورة النسر ذي الرأسين وهو ناشر جناحيه على سكة نحاسية للملك محمد بن زنكي بن مودود ٥٩٤ – ٦١٦هـ ضربت في مدينة سنجار سنة(ستماية)(٣) كما ورد في سكة ارتقية أخرى زمن ناصر الدين محمود ٥٥٧ – ٦١٩هـ .

كما يلاحظ على وجه مسكوكه نحاسية ارتقية صورة انسان على هيئة الحيوان الخرافي النسطور جذعه ملتفت نحو اليمين وهو يرمي سهماً ومتجه بيده الى الداخل وذيل الحيوان على شكل تنين فاتح فاه، وقد كتب حول الصورة هامش نصه بماردين سنة تسع وتسعين وخمس مائة . وعلى ظهر السكة كتابه من ستة أسطر متوازية نصها« الناصر لدين الله امير المؤمنين

---

(١) انظر احمد تيمور / التصوير عند العرب / ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) د . عبد الرحمن فهمي / فجر السكه العربيه / ص ٤٣٣ رقم ١٠٢٠١ لوحه ٢٩ وهو يحمل رقم ٢١٣٧٩ متحف الفن الاسلامي / القاهرة .

(٣) محمد باقر الحسيني / العمله لاسلاميه في العهد الاتابكي / ص ١٣١ رقم ٦٠ انظر لوحه رقم (١٧) أ .

الملك العادل ابو بكر ملك ديار بكر ناصر الدين ارتق» وكان هذا قد تولى ماردين سنة ٥٩٧ ـ ٦٣٧هـ (١) .

كما وردت مسكوكه نحاسية باسم هولاكو ٦٥٤ ـ ٦٦٣هـ ضربت في العراق، صور على الوجه طائر بوجه بشرى والى يمين الصورة نقش باسم مدينة الضرب وهي «ضرب سنجار» وكتب على يسار الصورة تأريخ الضرب وهو سنة ثلاث وستين وست مائة. ويحيط بها شريط مزخرف. اما الظهر فكتب عليه في المركــز قاآن / الاعظم / هولاكو ايلخان / الاعظم ويحيط بالكتابة المركزية هامش كتابي نصه (لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢) .

ولابد هنا من الاشارة بهذا الصدد الى ان موضوع مهم ساهم الكثير من المؤرخين العرب والاجانب (٣) في الحديث عنه وهو التصوير في الاسلام والحق فقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع فمنهم من حرمه وكره وجوده ومنهم من رضى عنه واحله تأسياً بالرسول (ص) حين تداول بالعملة

(١) عبد الواحد الرمضاني / مسكوكات بني ارتق ذات الصور / رقم ١٧١٤٧/٥ متحف الفن الاسلامي / القاهره / لوحه ٣٠ . انظر لوحه رقم (١٨) .

(٢) عيسى سلمان / المسكوكات المصوره في مجموعة عبد الله شكر الصراف / ص ٢٦ . انظر لوحه رقم (١٩) وجه ولوحه رقم (٢٠) ظهر .

(٣) انظر احمد تيمور / التصوير عند العرب / ص ١١٧ ومابعدها
حسن الباشا / التصوير الأسلامي في العصور الوسطى / مكتبة النهضة المصرية القاهرة / سنة ١٩٥٩ ص ١٧ .
محمد كرد علي / خطط الشام / طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م ج ٤ ص ١١٤ .

Creswell : E.M.A. Vol I – p. 270 .
T. Arnold : Painting in Islam note I p. II–etc.
Lane poole, S. The Coins of the Urtukis , in Marsden Numismatic Chronicle . p. I .

البيزنطية والساسانية المصورة ولم ينكرها (١) .

وكما ذكرت سابقا من أن معاوية بن أبي سفيان ٤١ ـ ٦٠هـ كان أول من ضرب سكة عليها صورته ويبدو أن المسلمين تداولوا بها واستعملوها في حياتهم اليومية الا انهم انكروا نقشها لأن عليها صورة كما يشير إلى ذلك المقريزي (٢)

وفيما بعد فان عبد الملك بن مروان كان قد نقش صورته على السكة رغبة في أن لايجد الناس فرقا عظيما بينها وبين سائر العملة البيزنطية المتداولة والتي نقش عليها صورة امبراطور بيزنطة (٣) ، وكما رأينا فقد حذا الخلفاء العباسيون والدول الاخرى حذو الأمويين في ضرب سكتهم مصورة وبمختلف الصور الآدمية والحيوانية.

واذا تجاوزنا سكة معاوية المصورة لعدم ورودها بين أيدينا لحد الآن فهل يمكن القول أن عبد الملك بن مروان كان اول من نقش صورته على سكته كما تورد المصادر ذلك؟ وهل كان هذا النقش يمثل صورته الحقيقية أم أنها كانت مجرد تقليد لصورة الامبراطور البيزنطي ؟ .

يشير الدكتور زكي محمد حسن أن الرسم لم يكن صورة شخصية للخليفة بل كانت رمزا لخليفة المسلمين وقد ضربها تقليدا للعملة البيزنطية التي

د . عبد الرحمن فهمي/وقد اشار في جميع ابحاثه وكتبه الى ان تحريم التصوير في الأسلام لم يكن الا رأيا شخصياً اختلقه بعض العلماء والمحدثين ولم يلتزم به الخلفاء والمسلمون في الدول والأمارات الأسلامية المتلاحقة ، انظر مثال ذلك :

فجر السكة العربية والنقود العربية ماضيها وحاضرها

باقر الحسيني / العملة الأسلامية في العهد الأتابكي وتطور النقود العربية الأسلامية

عيسى سلمان / المسكوكات المصورة / مجلة المسكوكات عدد ٢

(١) ابن سلام / كتاب الاموال صححه محمد حامد الفقي / القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ٥٢٥ .

(٢) المقريزي / الكرملي / ص ٣٤

(٣) احمد تيمور / التصوير عند العرب / ص ١٢٥

كانت منتشرة في الشرق الأدنى والتي كان عليها صورة امبراطور بيزنطة ورغبة في أن لايجد الناس فرقا كبيرا بينها وبين سائر العملة التي عرفها من قبل.

ولكن اذا ماصح مثل هذا القول على الأمويين فهل يمكن أن ينسحب على المسكوكات المصورة الاخرى للدولة العباسية والدول الاخرى التي اوردت امثلة كثيرة على سكتها المصورة والتي ضربت فيمابعد إذ لايمكن القول حقيقة انها تقليد للدنانير البيزنطية المتداولة وانما يمكن القول أن الفنان العربي شارك في ميدان المسكوكات المصورة قدر مشاركة غيره في ميادين الفنون الاسلامية الأخرى على الخشب والمعادن والجص والفسيفساء وغيرها.

ولقد كانت ثمة فوارق واضحة بين الدنانير البيزنطية والدنانير الاموية زمن عبد الملك لالكونها صورا رمزية او انها لاتمثل صورة الخليفة حقيقة بل أن العقائد الدينية لكلتا الدولتين مختلفتان لا بل كانتا الاساس التي قامت عليه كلتا الدولتين ولذلك فاننا نشاهد صور الأمبراطور بمفرده او مع عائلته ذات طابع مسيحي واضح على المسكوكات البيزنطية سواء في التاج الذي يعلوه الصليب أو القضيب اوعصا المعمدانية التي يعلوها الصليب (١)، أما صورة عبد الملك فتفاصيلها تتفق وتعاليم العقيدة الاسلامية من حيث اسدال شعره او اطلاق لحيته وتقلده سيف الامامة عند المسلمين، سواء في الدنانير او الفلوس.

والحق أن صورة عبد الملك على المسكوكات الاسلامية لاتظهر فيها التأثيرات البيزنطية سوى في وقفة الخليفة المواجهة. وأن الفنان العربي حاول تصوير الخليفة بالدقة التي سمحت بها امكانياته الفنية المتواضعة.

وفي الختام لابد من الاشارة إلى أن السكة المصورة تعتبر معرضا للتصاوير الآدمية والحيوانية والخرافية. فضلا عما تحويه من زخارف هندسية كالنجيمات والدوائر والحبيبات. وسني واماكن الضرب وأسماء الخلفاء او الامراء الذين أمروا بسكها.

ان التصوير على المسكوكات الاسلامية لم تكن حالة معينة في زمن خليفة

(١) عبد الرحمن فهمي / التصوير على المسكوكات / ص ١٣

معين وفي عصر معين، بل كانت انماطا متواصلة لكافة الازمنة ومختلف العصور، بحيث أصبحت واسطة اعلامية عظيمة يحتاجها هؤلاء ، فمنذ زمن عبدالملك بن مروان كان لابد للدين الجديد من وسيلة اعلامية مادية ومتداولة على غرار الاعلام الديني البيزنطي في رسم صور السيد المسيح والسيدة العذراء والصليب على جدران الكنائس او التحف او النقود والذي كان قد لعب دورا كبيرا في تعميق روح الايمان لدى المسيحيين ، فحذا عبدالملك حذوهم بنقش صوره على السكة الاسلامية في زيه العربي مرتديا العباءة التي تمثل البردة عند الرسول (ص) وحاملا السيف بيمناه علامة الإمامة عند المسلمين، ومستشهدا ببعض الآيات القرآنية الكريمة التي تشير إلى الوحدانية وكذلك البسملة وهي بداية سور القرآن الكريم من أجل أن تكون واسطة اعلامية مادية في الدين الجديد.

ويبدو أن تواصل نقش الصور على السكة لدى الخلفاء العباسيين مثلا والولاة زمنهم ما كان لاهتمامهم بها لناحيتها الجمالية فقط وتأسيا بما سبقهم ممن ضرب سكة مصورة بل لابعادها الاعلامية أيضا لأنفسهم ولحكمهم حيث غالى البعض منهم في تعدد صورها واختلاف مواضيعها وخاصة في الفترات الحالكة والقلق السياسي اللذين كان يميزان زمن حكمهم. فلقد صور الولاة الضعفاء وحكام بعض الدويلات أنفسهم على النقود بأنماط جديدة لاتخلو من الغرابة كاعتلائهم ظهور الأسود او تصويرهم وهم يقتطعون رؤوس أعدائهم بأيديهم بمشاهدة تمثيلية بحتة تعويضا عن ضعفهم الحقيقي ومحاكاة أيضا لغيرهم من الحكام الضعفاء الذين بالغوا من ناحية أخرى في كتابة الالقاب المعظمة على نقوشهم وكتاباتهم الجدارية، في حين أننا لم نشاهد مثلا هذه الأنماط الغريبة لدى الحكام الاقوياء من بني العباس كأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد مثلا.

كما لابد من الاشارة أخيرا إلى أن دراسة المسكوكات الاسلامية المصورة لمختلف العصور الاسلامية تضيف بعدا جديدا للاراء التي قيلت من قبل في عدم تحريم التصوير في الاسلام.

مراجع البحث

أ ـ المراجع العربية

ابن سلام (القاسم بن سلام) ت ٢٢٤ هـ

١ ـ كتاب الأموال صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفقي / القاهرة ١٣٥٣ هـ

أحمد تيمور

٢ ـ التصوير عند العرب

نشر وتعليق د . زكي محمد حسن / القاهرة ١٩٤٢ م

حسن الباشا (الدكتور)

٣ ـ التصوير الاسلامي في العصور الوسطى / مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ١٩٥٩

الرشيد بن الزبير

٤ ـ كتاب الذخائر والتحف / الكويت ١٩٥٩ م

عبد الرحمن فهمي محمد (الدكتور)

٥ ـ النقود العربية ماضيها وحاضرها

المكتبة الثقافية العدد ١٠٣ طبع في المؤسسة العامة للتأليف والترجمة / القاهرة ١٥ شباط ١٩٦٤ م

٦ ـ موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة العربية) القاهرة ١٩٦٥ م

٧ ـ التصوير على المسكوكات الاسلامية / فصلة لمحاضرات لطلاب الدراسات العليا / القاهرة ١٩٧١

عبد الواحد الرمضاني

٨ — مسكوكات بني أرتق ذات الصور / رسالة ماجستير مخطوطة القاهرة ١٩٧٢ م
عيسى سليمان (الدكتور)
٩ — المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله شكر الصراف / مجلة المسكوكات عدد / ٢ .
محمد باقر الحسيني (الدكتور)
١٠ — العملة الاسلامية في العهد الاتابكي مطبعة دار الجاحظ ١٩٦٦ م
١١ — تطور النقود العربية والاسلامية
مطبعة دار الجاحظ — بغداد ١٩٦٩ م
١٢ — نقود السلاجقة / رسالة دكتوراه مخطوطة قدمت لجامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ تحت رقم ٦٢٧.
محمد كرد علي
١٣ — خطط الشام . طبع في مطبعة الترقي في دمشق سنة ١٩٢٦ م
المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ
١٤ — النقود الاسلامية القديمة (نشره الأب أنستاس الكرملي) في كتابه (النقود العربية وعلم النميات) الجزء الخاص بالنقود القاهرة ١٩٣٩م.
مهاب درويش لطفي
١٥ — العملة الاسلامية في العهد الايلخاني / سومر م ٢٢ ١٩٦٦ م
ناصر النقشبندي
١٦ — الدينار الاسلامي في المتحف العراقي بغداد ١٩٥٣ م
١٧ — نقود الصلة والدعاية / مجلة المسكوكات عدد / ٣
ناهض عبد الرزاق (الدكتور)
١٨ — المسكوكات العربية ودورها الاعلامي / دراسات الأجيال / العدد الثالث / السنة الثانية / آب ١٩٨١ .

Arnold and Grohman ,

19– The Islamic book, Acontribution to it's art and History Pegagus, Press Paris 1929 .

20– Arnold Painting in Islam Oxford 1928 .

21-- Creswell : Early Muslim Architecture Oxford 1932 .

22– Lane Poole, The Coins of the Hrtukis in MarsdenNumismatic Chronicle, Chicago, 1967 .



ثورة العراق مايس ١٩٤١ في استراتيجية الدول الكبرى

« وجهة نظر ومحاولة تحليلية »

الدكتور غانم محمد الحفو
كلية التربية — جامعة الموصل



مقدمة :

لقد تناولت اقلام المؤرخين وبغزارة هذه الثورة على المستويين العربي والاجنبي . وتشعبت من خلال ذلك كثرة التحليلات ووجهات النظر المختلفة سواء الحيادية منها او الذاتية او الموضوعية . وسنقتصر — في بحثنا هذا — على التوسع في جانب واحد منها فقط . والذي يتعلق بمساعدات قوى المحور العسكري للثورة وعلاقتها باصطراع استراتيجيات الدول الكبرى المتحاربة . بالاضافة الى اعطاء لمحة مختصرة عن الجوانب الاخرى للثورة كاطار عام للبحث ليس الا . فقد بدا لنا من خلال دراستنا لهذه الثورة . ان هذا الجانب منها . كان احد العوامل البارزة التي ادت . سواء بشكل مباشر او غير مباشر . الى اخفاق الثورة . كما دلت بشكل واضح صيرورة الاحداث والوثائق التاريخية .

وفي حالة القاء نظرة شاملة على هذه الثورة . يلاحظ انها وردت في اغلب المصادر الغربية على شكل ((حدث عسكري عابر)) او ((تحدي سافر)) للاستعمار . وكذلك بصيغة ((التمرد)) أو ((العصيان)) . كما انها جاءت في العديد من المصادر العربية بصفة ((حركة)) او ((ثورة)) . الا انه من وجهة نظرنا نلاحظ انها اتخذت ((شكل وسمة الثورة)) ذات الطابع الوطني التحرري ، وليس الصيغة الاستراتيجية لمعنى الثورة بالمفهوم التاريخي قياسا بمدى نجاح الثورة بصفة عامة ، والمعايشة الزمنية التي تحدد مسارها ، اي مجالي الفشل والتحقق . فقد تمكنت في حينها من احداث انعكاس وصدى واضح الى حد ما . في صفوف الجماهير سواء في العراق او في بعض الاقطار العربية . وكانت اذا اخذنا الظروف الموضوعية التي ظهرت فيها ، وبغض النظر عن النوايا ودرجات الوعي الوطني والقومي ، بمثابة المتنفس العضوي لهذه الجماهير برفضها وتحديها للاستعمار ، لاسيما الاستعمار البريطاني .

لقد مرت هذه الثورة في تقديرنا بمرحلتين . الاولى : (منذ انقلاب ٢ نيسان الى ٢ مايس) وفضلنا تسميتها بالمواجهة السياسية . اذ حاولت بريطانيا في هذه المرحلة امتصاص هدف هذا الانقلاب عن طريق محاولة التساوم مع قادته تارة . والتهديد والضغط تارة اخرى . اما المرحلة الثانية : فاصطلحنا عليها بالمواجهة العسكرية (٢ — ٣٠ مايس) ، اي عزم بريطانيا على تطويق الحركة القومية العربية التحررية النامية في العراق بعد فشلها في اجهاض الانقلاب الذي تحول في مرحلته الاخيرة الى اتخاذ ((سمة الثورة)).

ولذا فان المدة الزمنية النسبية والقصيرة للثورة — اي شهرين فقط — ليس بذي شأن مقارنة بجسامة الاحداث والاهداف التي مثلتها . وعلى هذا الاساس لاحظنا ان التسميات والاطلاقات المختلفة التي نعتت بها . انطلقت من المعيار الزمني لها وليس من منطلق التعمق في تصوراتها وابعادها واحتمالية تطورها وانعطافاتها . ونوعية التجربة التي ستخوضها في حالة التحقق .

بريطانيا والارضية الاستراتيجية للثورة :

يهدف تبيان وجهة نظر منطقية خاصة ، وفي سياق النعوت السلبية التي الصقت بهذه الثورة ، فانه من الجدير بنا ان نشير ، اذا جاز لنا القول ، ان الحرب العالمية الثانية لم تكن صراعاً بين الايديولوجيات فقط . بل كانت ، وبنفس الوقت ، توافقاً وتضارباً بين المصالح ، وهدنة آنية وحذرة بين هذه الايديولوجيات — كالتعاون السوفيتي الامريكي البريطاني على سبيل المثال لا الحصر — خدمة للاهداف الاستراتيجية للدول الكبرى . ورغم وقوع العراق آنذاك على حافة ذلك الصراع الدولي ((كدولة صغيرة)) ذات ارتباطات سياسية واقتصادية وعسكرية مع احدى الدول الكبرى المتصارعة — اي بريطانيا — بموجب المعاهدة المعقودة بينهما عام ١٩٣٠ (١) . فان السنتين الاولى والثانية تقريباً من الحرب قد شكلت مؤشراً سياسياً واضحاً في العراق، كدولة عربية طليعية ، تظهر فيها نزعة وطنية — قومية بهدف التخلص من قيود السيطرة البريطانية ، وذلك بمحاولة الاستعانة بقوى المحور وبشكل اساسي المانيا وايطاليا . وبهذا الصدد يتبادر إلى ذهننا ان نسأل : أو ليس للعراق حق مشروع في الاختيار السياسي الوطني — القومي في هذا الظرف الدولي الغامض ؟ أم ان هذا مسموح به للدول الكبرى فقط ؟ .لذا وعلى ضوء ذلك ، فقد اصبح العراق في هذه الفترة من الحرب العالمية الثانية مسرحاً للصراع بين قوى المحور وبين قوى الحلفاء — لاسيما بريطانيا — ذات المصالح الرئيسية فيه حينئذ . اذ ارادت الاخيرة ان يكون موقف العراق منسجماً مع موقفها في حربها الدائرة مع قوى المحور .

لقد كانت بريطانيا آنذاك تراقب عن كثب وبدقة الوضع في العراق . ولا تجهل مطلقاً بأن المد الوطني — القومي المتصاعد فيه ، وحسب وجهة نظر استراتيجيتها ، ((قد تجاوز الحد المسموح به ...)) (٢) . ولذا فانها وبمساعدة حلفائها ، لاسيما الولايات المتحدة الامريكية (٣) . قد مارست شتى انواع المراوغات الدبلوماسية والعسكرية وأسرعت وبتوقيت منظم

لاجهاض الثورة وتضييق الخناق عليها ، وتشويه سمعتها ، والانتقام من قادتها ومؤيديها ((كاتهامهم بالنازية ... والفاشية ... والطابور الخامس ... الخ)) . وتحت غطاء ((منع وإزاحة التغلغل الالماني في العراق والشرق الأوسط)) . وقد تحول هذا الغطاء او التبرير إلى ممارسة عملية في مسيرة الاستراتيجية البريطانية ليشمل المنطقة العربية كذلك (٤) .

كما استهدفت بريطانيا من وراء هذا التبرير، وبشكل جوهري ، احتلال العراق عسكريا، في هذا الظرف الدولي الحاسم. اذ كشفت عن نواياها بأن مصالحها فوق كل اعتبار. واظهرت بشكل عملي ان استقلال العراق حينئذ لم يكن، اذا جاز لنا القول ،الا على الورق فقط. «وتمادت بتصرف من جانبها في تفسير معاهدة ١٩٣٠» (٥). ثم بدا وكأنها وضعت هذه المعاهدة على الرف. وبعد ان تم لها ماارادت — اي الاحتلال العسكري الشامل للعراق — اخذت بتعزيز وتركيز نفوذها فيه من جديد، وتوظيف واستنزاف موارده الطبيعية وطاقاته البشرية لخدمة اهدافها الحربية (٦).

صدى اعلان ثورة مايس في دول المحور:

لم يظهر لحد الان، من خلال الوثائق التي عالجت هذه الثورة مايؤيد او يكشف بأن المواجهة السياسية — الدبلوماسية ثم المواجهة العسكرية بين العراق وبريطانيا بين ٢ نيسان — ٢ مايس ١٩٤١، كانتا «بايعاز» من قوى المحور — كما تشير إلى ذلك العديد من المصادر الغربية او حتى اغلبها — بل العكس على مايبدو هو الصحيح. وحتى الانقلاب العسكري في ٢نيسان ١٩٤١ لو فرضنا جدلا بأنه كان «متوقعا» من قبل بريطانيا فانه من جهة اخرى كان بمثابة «مفاجأة» من قبل قوى المحور (٧). وعلى هذا الاساس فان هذا الانقلاب الذي تمخضت عنه مواجهة دبلوماسية سياسية عنيفة بين العراق وبريطانيا، لم يخرج عن نطاق القرار الوطني البحت. وإلى هذا المعنى تقريبا يشير (بوند اريفسكي) بقوله: «إن الانقلاب المناوىء للامبريالية في بغداد حققته في ١نيسان ١٩٤١ القوى الوطنية وليس عملاء المانيا ابدا» (٨)

اما فيما يتعلق بالمواجهة العسكرية البريطانية العراقية ٢ — ٣٠ مايس والتي هي برأينا تمثل المرحلة الثانية من الانقلاب. فيمكن ان يعزى ذلك إلى عاملين اساسيين: (الاول) — ان المواجهة العسكرية قد حصلت بعد قيام القوات البريطانية بالهجوم الجوي على القوات العراقية المرابطة حول قاعدة الحبانية، بشكل مباغت وبثقل عسكري غير اعتيادي (٩). و(الثاني): ان المانيا وايطاليا لم يكن لديهما استعداد مبدئي صريح لمساعدة العراق جديا، لاسيما في المجال العسكري، حال اندلاع الثورة فيه في ٢مايس (١٠)

لقد كانت المانيا تريد توقيت ارسال السلاح إلى العراق مع اهدافها الاستراتيجية المقبلة في الشرق الاوسط . كما ان مسألة تزويد العراق بالمساعدات المالية والعسكرية لم تكن قد حسمت حتى اواخر نيسان ١٩٤١في ضوء تقديرات دول المحور. كما ان الحكومة الالمانية كانت قد ابدت عدة تحفظات ازاء هذا الموضوع. فعلى صعيد تطورات الاحداث في العراق، كان ريبنتروب (Ribbentropvon) وزير خارجية المانيا قد قدم إلى ادولف هتلر (Adolf Hitler)في ٢٧ نيسان ١٩٤١ تقريرا مفصلا عن هذه الاحداث التي وصفها بأنها «مواجهة فعلية مع بريطانيا» واكد في تقريره هذا على نقاط اساسية هي:

١ — ان مسألة نقل السلاح للعراق عن طريق ايران وافغانستان تستغرق عدة اسابيع. (أي ضآلة ضمان هذه الوسيلة بشكل او بآخر).

٢ — ان نقل السلاح عبر سوريا يتوقف على تحسن وتطور علاقات المانيا مع (حكومة فيشي الفرنسية) (١١) .

٣ — (فائدة ارسال السلاح للعراق) يعتمد على معرفة المانيا بالموقف السياسي والعسكري في العراق بشكل واضح. وفيما اذا كانت لبريطانيا القوة الكافية للقيام بعمليات عسكرية مضادة في حالة وقوع مواجهة مسلحة بينها وبين العراق.

٤ — (من وجهة نظر الاستراتيجية الالمانية) على الحكومة العراقية ان لاتدخل

في نزاع مسلح مع بريطانيا، مالم تتأكد — اي المانيا — من انه سيكون للعراق القوة العسكرية الكافية «وبمساعدة دول المحور» (١٢) .

بالاضافة إلى ذلك ، ان المانيا وإلى هذا الوقت ، كانت تفضل الاعتماد على الجانب الاعلامي والدعائي «لاسناد القضية العربية» والقيام «بعمليات مسلحة خاطفة ومحدودة» تستهدف المؤسسات البريطانية في المنطقة العربية، لاسيما في العراق، تكون بمثابة بديل للمواجهة العسكرية الشاملة مع بريطانيا . وبمعنى آخر ان المانيا كانت ترغب بمشاغلة الانكليز وارباكهم فقط ، معلقة مصير العراق مع «النتائج الايجابية» لعملياتها العسكرية «المقبلة» في الشرق الاوسط بصورة عامة والمنطقة العربية بشكل خاص. وبالرغم من «الامتيازات» السياسية والاقتصادية والعسكرية التي قدمتها حكومة العراق آنذاك لقوى المحور، من خلال المفاوضات والتعهدات السرية بينها وبين هذه القوى، الممتدة في الفترة من (اوائل تموز ١٩٤٠ إلى اواخر نيسان ١٩٤١) والمستندة على تطور ظروف السياسي الداخلي في العراق حينئذ (١٣) .

وحال وقوع المواجهة العسكرية العراقية — البريطانية في ٢مايس ١٩٤١، بادر العراق بطلب مساعدة عسكرية — مادية عاجلة من دول المحور ، لاسيما المانيا (١٤). وحتى على افتراض ان هذا الطلب قد جاء كمحاولة طارئة ، وبغض النظر عن النوايا ، فانه لايخرج عن نطاق ان العراق كان قد بنى إلى حد ما بعض الامال على هذه المساعدة. وعلى اية حال، جاء الرد الالماني على الطلب العراقي هذا في ٣مايس ١٩٤١ . اذ عاجلت وزارة الخارجية الالمانية بترشيح الدكتور فريتز كروبا (FritzGrobba) (الوزير المفوض الالماني السابق في بغداد) للذهاب إلى العراق . وبمواصفات خاصة اعطت لمهمته، أي كممثل لالمانيا في الشرق الاوسط ، وان يكون مقره في العراق على احتمال انشاء «نقطة انطلاق» عسكرية المانية من العراق باتجاه مصر. كما اظهر هتلر موافقته الاولية على ارسال مساعدات عسكرية للعراق من السلاح الجوي الالماني ، مشروطة بتوفر الوقود الكافي للطائرات المزمع

ارسالها هناك (١٥). ولذا، وعلى ضوء ذلك، فان المانيا لم تتخذ هذه الاجراءات الا بعد ان وجدت نفسها ضمن نطاق الامر الواقع ازاء ثورة العراق. كما بدا الموقف في العراق، بالنسبة لها، كعنصر مفاجأة في حساباتها الاستراتيجية. ولكن رد فعلها - اي المانيا - لم يختلف عن نظرتها الاستراتيجية المسبقة، رغم ان عزمها على مساعدة العراق قد اتخذ طابع الاستعجال والشكلية (١٦).

لقد اخذت المانيا على عاتقها في هذا المجال، زمام المبادرة المتقدمة بالنسبة لحليفتها ايطاليا. حيث اتسم موقف الاخيرة بالحذر والتردد المكشوف في علاقتها مع «القضية العربية» عامة وثورة العراق على نحو خاص. ومع هذا فان الموقف الايطالي قد تحدد حينئذ، من خلال المحادثات التي جرت بين الزعيم الايطالي بنيتوموسوليني (B.Mussolini) وريبنتروب ، وبحضور كونت شيانو وزير خارجية ايطاليا «بقصر فينيسيا» في ١٣مايس ١٩٤١. فقد اكد موسوليني - في احدى جوانب هذه المحادثات - على ان اسناد ثورة العراق سيساعد على فتح جبهة عسكرية جديدة ضد بريطانيا. كما اعتبر السيطرة على جزيرتي كريت وقبرص في شرق البحر المتوسط بمثابة المنفذ او الجسر الموصل الى سوريا لانزال قوات المحور العسكرية فيها، بشرط أخذ موافقة الحكومة الفرنسية المسبقة بهذا الصدد. وقد نوه موسوليني كذلك، عن عزم ايطاليا على ارسال مساعدة عسكرية «محدودة» للعراق (١٧). الا انه عبر عن رأيه، في حالة فشل هذه العمليات العسكرية في العراق، فانها ستؤدي على الاقل، إلى تهيئة الجو الملائم «لاثارة المتاعب بوجه الانكليز»(١٨). وبمعنى اخر ، فان ايطاليا هنا ، قد ربطت مساعدتها لثورة العراق - على نسق الاستراتيجية الالمانية - بمدى استثمار موقفها العسكري الايجابي في الحرب ضد بريطانيا.

•موقف حكومة فيشي الفرنسية:

لقد كان نقل السلاح الى العراق عن طريق ايران قد اصبح بعيد الاحتمال في ضوء التقديرات الالمانية. وبنفس الوقت كانت المانيا تحاول سحب

تركيا — التي التزمت جانب الحياد في الحرب — الى عقد معاهدة تعاون معها ، يقترن احد شروطها بمسألة نقل السلاح عبر اراضيها الى العراق (١٩) . ومنذ اواخر نيسان ١٩٤١ كانت المانيا قد فكرت بمفاتحة حكومة فيشي الفرنسية ، وبصدد نقل السلاح عبر سوريا واخذ موافقتها بهذا الصدد ففي ٢٨ نيسان ١٩٤١ وجه ريبنتروب رسالة الى الفيد مارشال فيلهم كايتل (kittel) (رئيس هيئة اركان القيادة العامة للقوات المسلحة الالمانية) أشار فيها ، بطرح مثل هذا الاقتراح على الحكومة الفرنسية خلال المباحثات معها (٢٠) .

ولذا كان مرور مساعدات دول المحور العسكرية للعراق عبر سوريا الوسيلة الوحيدة التي التجأت اليها المانيا ، سواء اكانت بصيغة شكلية او عملية . وهذا يرجع على مايبدو الى مايلي :

اولا : — ان الاستراتيجية الالمانية في هذا الوقت . وحتى قبيل ثورة العراق اعتبرت سوريا كبوابة يسهل الدخول من خلالها الى الشرق الاوسط . وهذا كذلك — كما ذكرنا آنفا — ماكانت تحلم به ايطاليا .

ثانيا : — ان ابتعاد ساحة العمليات العسكرية الالمانية عن الشرق الاوسط قد جعل من سوريا كمنطقة اختبار لها ، لاسيما ان طرح المقترح الالماني على فرنسا بهذا الموضوع . قد تميز بالتحفظ ، ومحاولة اعتبار الحوار معها من قبيل اكتشاف النوايا السياسية .

ثالثا : — ان المانيا ربطت مشروع مساعدتها للعراق بمدى نجاح تغلغلها العسكري في الشرق الاوسط عن طريق سوريا ، ولمعرفة ليس فقط حجم ردود الفعل الفرنسية . بل حتى ردود الفعل البريطانية كذلك .

وبهذا الصدد . أشار (لاتربيه) بما معناه : ان المانيا قد استغلت المواجهة العسكرية العراقية — البريطانية ، بهدف تحريك جمود المباحثات بينها وبين الحكومة الفرنسية حول العديد من المسائل العسكرية والسياسية المعلقة بينهما

فأسرعت ، اي المانيا ، عارضة على حكومة فيشي فتح باب المفاوضات لاسيما ان ثورة العراق اخذت تشكل فرصة استراتيجية لمشاريع المانيا المقبلة في الشرق الاوسط (٢١) .

وعلى هذا الاساس ، جرت المفاوضات الالمانية – الفرنسية في باريس بين اوتو آبيتس (Otto Abetz) (السفير الالماني في باريس) والاميرال فرانسوا دارلان (Franeois Darlan) نائب رئيس حكومة فيشي) في الفترة الواقعة بين ٣ – ٦ مايس ١٩٤١. وكان احدى جوانب هذه المفاوضات، الاقتراح الالماني حول امكانية الحكومة الفرنسية – باعتبارها الدولة التي تمارس سلطة الانتداب على سوريا ولبنان حينئذ – تحويل أسلحة للعراق من مخازن الجيش الفرنسي الواقعة تحت إشراف(لجنة الهدنة الايطالية) في سوريا(٢٢) ، وعلى ان تبذل فرنسا مساعدتها فيما يتعلق بتزويد العراق بالاسلحة والسماح للطائرات الالمانية – التي ستتوجه الى العراق – بالهبوط بالمطارات السورية والتزود بالوقود. وقد أبدى الاميرال دارلان – بعد ان اخذ موافقة حكومته – استعداده لقبول الاقتراح الالماني هذا، ولكن بشرط ان تتخذ المسألة طابع الصفة الامنية والسرية. ومقابل « تحفظات» عديدة هي :

١ – قيام بعثة المانية – فرنسية مشتركة بالذهاب الى بيروت وبطائرة فرنسية تجارية، لغرض تبليغ رئيس لجنة الهدنة الايطالية والجنرال فرنان دانتز (Fernand Dentz) (المندوب السامي والقائد الاعلى للقوات الفرنسية في سوريا ولبنان) حول الاتفاق الالماني – الفرنسي بهذا الصدد. على ان يتخذ أعضاء هذه البعثة صفة وكلاء خاصين بالاسلحة، وان يكونوا على اتصال مع ممثل الحكومة العراقية والجيش العراقي. ثم التزامهم بالتعليمات بعد وصولهم، لاتخاذ كافة الاجراءات الفورية الضامنة لشحن الاسلحة الى العراق« تحسباً من وقوعها بأيدي الشعب السوري» أثناء عملية نقلها.

٢ – يكون هبوط الطائرات الالمانية في القسم الشمالي من سوريا، لكي تصبح بعيدة عن المراقبة. شرط عدم كشف هويتها، ولا يميز ملاحيها أية

صفة عسكرية مع وضع مدافع مضادة للطائرات بهدف حماية المجال الجوي كإجراء احترازي .

٣ ـ تعهد الاميرال دارلان بابلاغ الجنرال دانتز برقياً، بشأن التسهيلات المعطاة للطائرات الالمانية التي ستهبط في سوريا.

٤ ـ في حالة الاحتجاج البريطاني ،تعهد الاميرال دارلان بالرد عليه« بصيغة توحي بالانكار والتمويه»، وفي الحالة القصوى يقدم بياناً رسمياً للحكومة البريطانية يشعرها من خلاله، بأن هبوط هذه الطائرات حالة طارئة واضطرارية ناجمة عن « خطأ من قبل طائرات مجهولة» تم شراؤها من قبل الحكومة العراقية .

ومع هذا ، اوضح الاميرال دارلان للسفير الالماني ، خطورة المسالة المتعلقة بقبول ((المقترحات)) الالمانية هذه خشية اثارة حفيظة بريطانيا (٢٣) والى هذا المعنى تقريبا ، اشار اوتوآبيتس بقوله :))... ان الاميرال دارلان كان يعتقد ان تحسينه العلاقات مع المانيا ستضعه امام موقف حرج تجاه الرأي العام الفرنسي ... وبعدم جدوى هذه المساعدة العسكرية للعراق وذلك لضعف امكانات الاخير العسكرية ، وعدم توفر الاستعدادات الملائمة والمسبقة له ... وأعرب عن قلقه ــ اي دارلان ــ من احتمال قيام بريطانيا باجراء عسكري ضد سوريا ...)) (٢٤) .

ولذا كما يبدو ، ان تلاقي وتعارض الاستراتيجية الالمانية والفرنسية ودفاع الاخيرة عن نفسها ازاء متاعبها العسكرية والسياسية ، قد جعل ثورة العراق في نطاق موقف معقد ومنعطف خطير ، خاصة انها كانت في مواجهة عسكرية مع بريطانيا .

وبهدف وضع اسس اتفاق للتعاون الفرنسي ــ الالماني ، وكمحاولة لخلق مناخ ملائم ومرن لهذه الغاية . اجرى الاميرال دارلان في الفترة بين ١١ ــ ١٢ مايس ١٩٤١ محادثات تمهيدية مع هتلر في مدينتي بيركوف

وبير شتزكادن الالمانيتين وفي سياق هذه المحادثات ، اشار هتلر بما معناه انه ((ليس مسؤولا)) عما جرى في العراق ، ورغم ذلك فان مساعدته للعراق تتخذ طابع ((الاجراء المناهض لبريطانيا)) وان المانيا تسعى من وراء ذلك الى ان يكون لديها ((استعداد افضل هناك)) . اما الاميرال دارلان فقد اوضح مجددا تأكيده حول مسالة نقل السلاح للعراق ، لكنه أبدى قلقة من مدى الاماكنية العسكرية للقوات الفرنسية المتواجدة في سوريا (٢٥) .

وبعد عودة الاميرال دارلان الى باريس ، اجرى في ١٥ مايس ١٩٤١ محادثات اخرى مع اوتوأبيتس . وتضمنت مسائل الدعم العسكري لثورة العراق عبر سوريا والتي قاربت قيمتها بحوالي ١٥ ــ ٢٠ مليون مارك ألماني وكذلك ((احتمال امكانية)) استخدام الفرقتين العسكريتين الفرنسيتيـــن المـرابطتيـن في سوريـا ((بجانب القوات المراقبـة ضد بريطانيا)) ، ثم الاجراءات الحربية المقترحة الممكن ان تتخذها المانيا في حالة صدامها مع بريطانيا هناك (٢٦) . وقد كانت هذه المباحثات بمثابة تمهيد لمفاوضات اوسع . ففي الفترة بين ٢٠ ــ ٢٦ مايس جرت في باريس ، مفاوضات المانية ــ فرنسية ذات صيغة عسكرية بين الاميرال دارلان والجنرال ڤاريلمونت (warlimont)(رئيس الوفد العسكري الالماني) . وقد توصل الجانبان الى اتفاق يشتمل على ((ثلاثة بروتوكولات)) عرفت بما يسمى بـ ((بروتوكولات باريس)) (٢٧) . والذي يعنينا في هذا ((الاتفاق)) هو ((البروتوكول الاول)) منها ، والمتضمن ((المسائل المتعلقة بسوريا والعراق)) فقد اقتصرت بعض بنوده على التعاون الالماني ــ الفرنسي بشأن تعزيز الوجود العسكري الفرنسي في سوريا ضد احتمال هجوم عسكري بريطاني عليها ، وكذلك ضد خطط بريطانيا الحربية في الشرق الاوسط . اما البنود الرئيسية فيه ــ ذات العلاقة بثورة العراق والتي تعهدت حكومة فيشي الفرنسية بتنفيذها فقد اشتملت على الاسس التالية :

١ ــ الموافقة المبدئية على نقل ، مايعادل ثلاثة ارباع المعدات الحربية المخزونة

«العائدة للجيش الفرنسي» في سوريا، الى العراق مقابل تسديد اثمانها.

٢ ـ «على ضوء الوضع في العراق» الموافقة على هبوط الطائرات الالمانية والايطالية في سوريا، وتجهيزها بالوقود بما هو ممكن، مع منح السلاح الجوي الالماني قاعدة جوية خاصة في مدينة حلب.

٣ ـ السماح باستخدام وسائل المواصلات السورية، كالموانيء والطرق وسكك الحديد، لتسهيل نقل المعدات الحربية المخصصة للعراق.

٤ ـ تدريب الجنود العراقيين، ضمن الاراضي السورية على استخدام الاسلحة الفرنسية «الممنوحة» بموجب تعليمات مفصلة من قبل المندوب السامي الفرنسي(٢٨).

الا ان هذا «الاتفاق» لم يطبق بشكل عملي تام بعدئذ. ماعدا البنود الثلاثة الاولى منه، وبشكل جزئي ايضا، والتي بدأ تنفيذها تقريبا قبيل التوقيع على هذه البروتوكولات. اذ كانت ثورة العراق على وشك الاخفاق. ومع هذا، فقد عكست هذه البروتوكولات بصورة عامة، ردود فعل عنيفة في الاوساط الفرنسية ضد حكومة فيشي على اعتبار انها اعطت «امتيازات» جديدة للالمان كما انها اثارت غضب بريطانيا، ثم استنكار الولايات المتحدة الامريكية(٢٩).

الاتفاق الالماني ـ الفرنسي بين التطبيق والفشل:

لقد اتصف الاتفاق الالماني ـ الفرنسي فيما يتعلق بثورة العراق بالحذر على النطاق الاستراتيجي. وبدا موقفهما ـ اي المانيا وفرنسا ـ بالنسبة لهذه الثورة كأنه مسألة ثانوية. ومما يعطي هذا الرأي وضوحا اكثر، هو السرية التامة والتحفظات المكشوفة في تطبيق هذا الاتفاق. فالمانيا كانت تريد ان تجعل لها موطيء قدم في سوريا وليس العراق فقط. وحكومة فيشي كانت تخشى التحالف الديكولي ـ البريطاني والبوادر الدعائية والسياسية التي كان يروجها هذا التحالف بهدف الهجوم على سوريا واسقاط نفوذه السياسي فيها. وقد تم هذا بالضبط كما سنلاحظ لاحقا.

ومهما يكن، ففي ٦ مايس ١٩٤١ — بعد المباحثات التمهيدية بين اوتو أبيتس والاميرال دارلان في باريس المشار اليها سابقا — أبرق الاميرال دارلان إلى الجنرال دانتز في سوريا، مشيرا له إلى هذا «الاتفاق» وهذه المباحثات، لاسيما فيما يتعلق بمسألة التسهيلات التي ستقدمها فرنسا لالمانيا في سوريا ومسألة نقل السلاح للعراق (٣٠). كما كانت وزارة الخارجية الالمانية قد اعطت تعليماتها — منذ ٦مايس كذلك — إلى كروبا بالتوجه إلى العراق على رأس بعثة سياسية، على ان تحاط مهمته هذه بالسرية التامة، وعدم التسرع بتقديم اوراق اعتماده الدبلوماسية للحكومة العراقية، كما اتخذ اسما مستعارا هو جيرك (Gercke) كاجراء تحفظي. وفي ٨مايس اعطت وزارة الخارجية الالمانية كذلك تعليماتها إلى رودولف ران(Rodolf Rahn) (مستشار السفارة الالمانية في باريس) بالتوجه إلى سوريا، وحددت مهمته بـ: أولا: ان يكون رئيس الوفد الالماني إلى جانب لجنة الهدنة الايطالية في سوريا (اي ممثل وزارة الخارجية الالمانية والحكومة الالمانية في هذه اللجنة وكذلك في سوريا بشكل غير مباشر). وثانيا: الاشراف على نقل اسلحة فرنسية إلى العراق (بموجب الاتفاق الالماني — الفرنسي) (٣١). وقد رافق ران هذا، ممثل عن حكومة فيشي هو جاك جيرار (Jacques Guerard) بناء على طلب رسمي من الاميرال دارلان ولتسهيل مهمة ران خلال التقائه مع الجنرال دانتز في سوريا(٣٢). بهدف — كما يقول (شرويدر) — : «ضمان افضل تعاون الماني — فرنسي في سوريا» (٣٣).

ومن الجدير بالذكر، انه ليس من قبيل المصادفة ان يلتقي كل من ران وكروبا في جزيرة رودس، خلال توجههما في مهمتيهما، الاول إلى سوريا والثاني إلى العراق. ويبدو أنهما كانا على اتفاق مسبق بهذا الصدد. ففي ٩مايس هبطا بطائراتهم الثلاث في حلب. وفي ١٠ مايس وصل كروبا الموصل ثم ادرك بغداد في اليوم التالي. وقد اشار كروبا نفسه إلى هذا الموضوع بما معناه: انه رافق ران لغرض مساعدته في تسهيل مهمته لشراء السلاح.

وشعر – اي كروبا – بوجود علامات من عدم الارتياح والارتياب والضيق بين صفوف معظم الضباط والجنود الفرنسيين ، من خلال تواجدهم بينهم(٣٤) ومهما يكن، فان مرافقة كروبا لران ، كانت أبعد من ذلك، على اقل تقدير، ولا يستبعد انه اراد الاطلاع على الوضع العام في سوريا، وطبيعة رد الفعل من الحضور الالماني فيها، ولتساعده في تحديد مدى نجاح مهمته الصعبة والمجهولة في العراق قبيل التوجه اليه.

وفي الواقع ، أن بعثة ران إلى سوريا كانت اشبه ما تكون بالمغامرة . ورغم انها حققت بعض النجاح، الا انه بدا عليها علائم الفشل تقريباً منذ البداية ويبدو أن ران بعد وصوله إلى سوريا لم يكن لديه اقتناع تام وواضح في الوسيلة المناسبة لنقل السلاح للعراق. وبهذا الصدد اوضح (شرويدر) : ان ران كانت تنقصه الخبرة العسكرية في هذا المجال بالاضافة إلى كونه يجهل طبيعة حاجة الجيش العراقي للمساعدة (٣٥). كما ان ران نفسه كان قد المح إلى ذلك بقوله: «... بعد المباحثات مع قواسار (voissard) – الممثل الخاص للاميرال دارلان الذي وصل إلى حلب – ومع القنصل العراقي في حلب (٣٦) . علمت بان الطريق السريع والمعتمد عليه الذي يمكن بواسطته نقل المعدات الحربية للعراق هو خط سكك حديد بغداد، ومن دون ان يضع الانكليز او الاتراك اية عقبات لعملية النقل ...» (٣٧) .

ومع ذلك، ففي ١٠ مايس ١٩٤١ توجه ران برفقة جاك جيرار إلى بيروت – على متن طائرة فرنسية خاصة – حيث قابل هناك الجنرال دانتز ، بهدف الاتفاق معه على التفاصيل المحددة لتجهيز العراق بأسلحة فرنسية. وكل ما كان يأمله ران نفسه منذ قدومه إلى سوريا هو أن تكون مباحثاته مع دانتز بعيدة عن التعقيد، وان تجري في جو نفسي يتصف بالمرونة. وقد عبر ران عن ذلك بقوله : «... انه من الضروري جداً، التغلب على الحواجز النفسية – يقصد مسألة التقارب الالماني الفرنسي – للحصول على موافقة لجنة الهدنة الايطالية في سوريا، لكي تدع لنا ابواب مخازن السلاح مفتوحة، ولتضمن لنا الجو

المناسب لنقلها إلى العراق، وان تمنع اية عوائق لعملية الشحن التي قد تقدم بها العناصر الديكولية ... » (٣٨) وفي الواقع أن العناصر الديكولية هي التي كان يخشاها ران بالاساس. فقد كانت منتشرة بصفوف الجيش الفرنسي في سوريا وبعضها كان يعلن تأييده للجنرال ديكول بشكل علني وصريح.

ومهما يكن، فإن المباحثات بين ران والجنرال دانتز قد اتسمت في بدايتها بالحذر والمماطلة كما طغى عليها البرود والتحفظ. وقد اشار ران إلى ذلك بقوله: «... لقد استقبلني المندوب السامي بمودة ولكن ببرود جداً...» (٣٩). ومع هذا، اكد ران له، أن مهمته الاساسية هي بمثابة «برهان» للتعاون الفرنسي — الالماني، الذي لم يكن «تكتيكا» بل هدفه «تحقيق نتائج ملموسة». وان مسألة دعم ثورة العراق يشكل اساساً لاظهار «النوايا الفرنسية الطيبة» بهذا الصدد. الا ان الجنرال دانتز ابدى في بادىء الامر تحفظات جدية، رغم التظاهر باقتناعه بهذه المسألة. وعبر عن خشيته من تفجر الوضع في سوريا كانعكاس للحضور الالماني فيها مذكراً ران بالاحداث التي جرت في سوريا في اعقاب بعثة فون هنتج (vonHenting) الالمانية (٤٠)، والتي وصفها « بانعدام النظام والتظاهرات والاضطرابات» ووقوع عدد كبير من الضحايا كما اضاف دانتز كذلك، ان روح الدعاية البريطانية — الديكولية قد انتشرت بين صفوف الجيش الفرنسي المرابط في سوريا ولبنان، وفي حالة اي هجوم بريطاني على سوريا ليس بامكانه ضمان الثقة الاكيدة لهذا الجيش. ومع هذا، فقد اقترح ران عليه — تجنباً لكشف هويته الالمانية — ان يكون متخفياً تحت اسم فرنسي مستعار هو روبير رينوار (RobertRenouard). كما اوضح دانتز عن موقفه اخيراً، بان استعداده وموافقته بهذا الصدد لا تخرج عن نطاق الاسناد لسياسة الاميرال دارلان. وفي نفس اليوم — أي ١٠ مايس — تمت الموافقة الرسمية بين دانتز وران على تحديد كمية السلاح المقرر شحنه للعراق وبحضور الجنرال دي جيورجيس (DeGiorgis) رئيس لجنة الهدنة الايطالية في سوريا ولبنان(. وقد أبدى الاخير نوعاً من عدم الاقتناع بهذه المسألة في بادىء

الأمر، الا انه اعلن موافقته اخيراً، على أساس تطابق وجهات النظر الالمانية ــ الايطالية. والدفعة الاولى من هذا السلاح تم الاتفاق على شحنها بقطارين عبر الحدود التركية (٤١). بواسطة سكة حديد حلب ــ الموصل وقد تولى راًن بنفسه مهمة الاشراف عليها. وفعلا وصلت الموصل عن طريق المحطة العراقية الحدودية (تل كوجاك) في ١٣ مايس ١٩٤١ (٤٢).

ولغرض تعزيز التعاون العراقي ــ الالماني بشكل اوسع. تم في الموصل في ١٤ مايس ١٩٤١ التوصل الى ابرام اتفاق الماني ــ عراقي تضمن تجهيز العراق بصفقة سلاح تقدر بـ٣.٣ مليون مارك. على ان تدفع الحكومة العراقية بالمقابل ثمنها بمنتوجات غذائية عراقية وبدون فائدة مالية. وتكون سارية المفعول لمدة ثلاث سنوات. وقد وقعها عن الجانب الالماني كل من راًن وكروبا وعن الجانب العراقي العقيد قاسم مقصود وكيل متصرف الموصل (٤٣). الا ان هذه الاتفاقية، على ما يبدو، كانت تهدف بالاساس. تعزيز الاستراتيجية الحربية الالمانية فيما لو كتب لها النجاح والتحقق.

ومن الجدير بالذكر، انه خلال وجود راًن بالموصل. طلب من الحكومة العراقية اعادة ضخ النفط العراقي عبر سوريا ولبنان إلى ميناء طرابلس، بهدف تأمين الوقود للوحدات العسكرية الالمانية بشكل خاص. وبهذا الصدد يقول راًن : «... حاولت أن اقوم بكافة الاجراءات الضرورية من اجل تجهيز كافة الوحدات الالمانية حين وصولها . ولهذا السبب طلبت في الموصل. اعادة فتح انابيب النفط ــ البايب لاين ــ إلى طرابلس وعلى الفور ....» (٤٤). وقد ايد كروبا صحة طلب راًن هذا. مضيفا بأن رشيد عالي الكيلاني (رئيس الحكومة العراقية) قد وافق فعلا على مثل هذا الاقتراح (٤٥).

وبعد عودة راًن إلى دمشق. غادر الموصل قطاراً محملا بالمواد الغذائية والوقود إلى سوريا. وكان ذلك، على ما يبدو، لسد النقص الناتج عن هبوط كمية التجهيزات الغذائية في سوريا ولبنان، وتأمين متطلبات الوحدات العسكرية الالمانية. وكذلك درءاً للمخاطر المحتملة لقيام هجوم بريطاني على سوريا والدعاية التي

ثرافقه ولا يستبعد ان يكون ذلك السبب المباشر وراء اختفاء التجهيزات الغذائية في العديد من المدن السورية (٤٦) .

وفي مجال كمال شحن السلاح للعراق.اجتاز الحدود العراقية قطاران محمّلان بها يومي ٢٦ و٢٨ مايس . وكان من المقرر شحن دفعة ثالثة منه يومي ٣ و١٠ حزيران ١٩٤١ . الا ان الدلائل الواضحة على نهاية ثورة العراق قد لاحت في الافق. كما تمكن الانكليز من تدمير الجسر – الذي على ما يبدو كان يشكل نقطة حيوية لنقل السلاح والواقع ليس بعيداً عن مدينة القامشلي السورية – قد شكل بدوره ضربة اساسية للاتفاق الالماني – الفرنسي بهذا الصدد (٤٧).

وفي العراق – ولاسباب عديدة ليست موضوع بحثنا تفصيلياً – بدا على البعثة الالمانية – الايطالية التي كانت تحت اشراف وتوجيه كروبان سوء التقدير الفني والسياسي والعسكري للموقف بالعراق. ودون ان يعطي للثورة فيه زخماً ايجابياً . ورغم المشاركة المبدئية للسلاح الجوي الالماني في القتال الدائر في العراق ضد القوات البريطانية بين ١٦ – ٢١ مايس. الا ان هذه المشاركة اخذت تفقد فاعليتها لا سيما بعد تقهقر القوات العراقية تجاه بغداد . وحالما اصبحت القوات البريطانية على مشارف بغداد في ٢٩ مايس. كان قادة الثورة قد شرعوا بمغادرة العراق. وهذا الحدث الاخير سجل عاملا ضافيا في ارباك البعثة الالمانية – الايطالية. فبنفس اليوم – اي ٢٩ مايس – ترك كروبا بغداد – عن طريق كركوك – إلى الموصل. وكان من رأيه – اي كروبا – كمحاولة اخيرة لانقاذ الموقف . امكانية تحويل المقاومة ضد الانكليز في شمال العراق على ان تقوم الطائرات الالمانية بعملياتها الحربية وذلك بالانطلاق من سوريا الا انه اخفق في سعيه هذا. فغادر الموصل في ٣١ مايس مع بقية اعضاء بعثته إلى سوريا (٤٨) .

كما ان السلاح الفرنسي الذي نقل إلى العراق لم يستفد منه الجيش العراقي بل تكدس في الموصل. ووقع اغلبه تحت سيطرة الانكليز (٤٩). وقد فشلت محاولات ران لاعادة هذه المعدات الحربية إلى سوريا. الا ان الامكانية العاجلة

قد سمحت باستعادة قطارين محملين بالقمح إلى سوريا قبل ان يتمكن الانجليز من غلق الحدود بالقوة (٥٠) .

وعلى ما يبدو فأن الالمان قد شعروا بأنفسهم حينئذ بأن مساعدتهم العسكرية للعراق قد فشلت. ولم تصل في الوقت المناسب وكميتها محدودة. ففي ٣١ مايس أبرق كايتل إلى ران، موضحا له بان مقاومة العراق للانكليز توقفت . وطلب منه اتخاذ الحيطة والحذر ، ومراقبة الوضع العام في العراق وسوريا وبشكل دقيق. وفي ٣ حزيران ١٩٤١ طلب ريبنتروب من ران البقاء في مهمته كيمثل للحكومة الالمانية في سوريا، وعودة كروبا وبعثته إلى برلين (٥١). وهذا يعني ان النشاط الالماني في العراق قد اصبح في حكم الانتهاء. كما بات وضع الالمان في سوريا قلقاً وتحف به الاخطار، رغم محاولاتهم التشبث بالبقاء هناك. كما ان بقاءهم فيها اصبح بمثابة مسالة وقت ليس الا .

مساعدات قوى المحور من التكتيك إلى الاستراتيجية :

لماذا فشلت قوى المحور بدعم واسناد ثورة العراق؟ هذا السؤال يفرض نفسه بهذا المضمار. ورغم تعدد الاراء ووجهات النظر، الا ان العامل الاستراتيجي تبقى له الاولية . وبغض النظر عن الاخطاء الفنية والقيادية — العسكرية والسياسية لثورة العراق، ومحاولات بريطانيا وحلفائها لاجهاض هذه الثورة باسرع وقت ممكن فبالامكان ان نشير الى ان وصول البعثة الالمانية — الايطالية للعراق، وامداد الاخير بالمساعدات المالية والعسكرية، قد اتصفت — كما اشرنا سابقاً — بالاستعجال والشكلية . وفقدان التنسيق المنظم بينها وبين قيادة ثورة مايس العسكرية والسياسية (٥٢) .

كما ظهر بعدئذ ، أن الأسلحة الفرنسية التي شحنت الى العراق ، ليست ذات قيمة فعالة ورديئة وعتيقة الطراز . بالاضافة الى عدم الاستعداد المسبق للجيش العراقي باستخدامها أو التدريب عليها . ووصلت في وقت أوشكت به القوة العسكرية العراقية — لاسباب فنية وتعبوية — على الانهيار والتصدع

وبهذا الصدد يقول (شرويدر) . «.. ان الفرنسيين حاولوا تصريف الاسلحة الرديئة والاحتفاظ بأكبر مايمكن من الاسلحة والمعدات الجيدة لتطعاتهم المرابطة في سوريا ولبنان » (٥٣) . بالاضافة الى هذا ، فقد القى الجنرال دانتز ـ خلال محاكمته في الفترة ١٨ ـ ٢٠ نيسان ١٩٤٥ ـ الكثير من الوضوح على هذه المسألة فقد سعى دانتز ان يبذل جهده لتقليل كمية هذه الاسلحة المرسلة للعراق عن الكمية التي حددها له المبعوث الالماني ران . كما رفض المطالب التي قدمها له ران فيما يخص ارسال مدربين فرنسيين الى العراق لتدريب الجنود العراقيين عليها أو بالعكس قبول جنود عراقيين للتدرب عليها في سوريا (حسب بروتوكلات باريس) . كما أشار دانتز بأن هذه الاسلحة تفتقد الى الكوادر الفنية المتخصصة بها وليست ذات نفع وانما كانت من قبيل « التضليل والمناورة والوهم » (٥٤) .

زد على ذلك ، ان الطائرات الالمانية التي عملت في العراق ، عانت من نقص واضح في الوقود . وقد رفضت ايران تزويد العراق به . وكانت محاولة العراق لنقله من الاتحاد السوفيتي قد تزامنت مع اختناق الثورة (٥٥). أما على الصعيد الاستراتيجي البعيد والحاسم . كانت « تعليمات» هتلر في ٢٣ مايس ١٩٤١ ـ الخاصة بمساعدة ثورة العراق (٥٦)، قد جاءت هي الاخرى متأخرة جداً ، وذات قيمة مشكوك في مدى فعاليتها واهدافها ، قياساً بالمدة الزمنية للثورة وتطورات احداثها . وقد اعطى كروبا مبررا غامضا لذلك وعزاه الى « القتال في جزيرة كريت وانتظار تبلور الموقف الحربي في العراق » (٥٧). الا ان هتلر المح في « تعليماته » هذه الى « عملية بربروسا» التي عرفت بعدئذ بانها الاستعدادات التعبوية العسكرية الالمانية للهجوم على الاتحاد السوفيتي في ٢٢ حزيران ١٩٤١ ـ وهذا يعني ان مصير ثورة العراق على ضوء تعليمات هتلر هذه ، يشكل موقفا ثانويا وتكتيكيا بالنسبة للاستراتيجية الحربية الالمانية (٥٨) . فيذكر (بيير روندو) : « ان المانيا لم تساعد ثورة العراق مساعدة فعالة لانها كانت منهمكة آنئذ في اعداد الحملة الروسية

ولا تستطيع تشتيت قواها بفتح جبهة شرقية اخرى بعيدة .. » (٥٩) . اما (شرويدر) فقد أوضح ان التوسع الالماني في شرق البحر المتوسط ثم احتلال جزيرة كريت « لم يزد عن كونه – من الناحية السوقية – مجرد تدبير أمني للجناح الأيمن للتعرض الالماني الوشيك على روسيا » (٦٠) . والى هذا المعنى تقريباً اكد (جورج كيرك) بقوله : « ان انشغال القوات الالمانية في غزو كريت والتخطيط لغزو روسيا أدت الى فشل المساعدة العسكرية للعراق . وان قرار هتلر هذا – أي تعليماته الآنفة الذكر – كانت بمثابة تشجيع للعراق لارباك وعرقلة المساعي الحربية البريطانية ، في حين تقوم المانيا بالهجوم على الاتحاد السوفيتي » (٦١) . اما (بوندار يفسكي) فيعزو مسألة التلكؤ والتباطؤ في المساعدة العسكرية للعراق من قبل دول المحور : الى « المتاجرة المحمومة » التي نشبت في روما وبرلين حول استخدام ثروات الاقطار العربية . « وبأنه لم يتم الاتفاق على اقتسام موجودات « شركة نفط العراق » والبترول العراقي كله بالتساوي بين ايطاليا والمانيا الا في منتصف ايار ١٩٤١ » ثم يضيف قائلا ان كروبا (اشترط على الحكومة العراقية لقاء المساعدة العسكرية الواسعة من قبل المانيا ان توافق على احتلال حقول البترول في الموصل مؤقتا وكذلك سكة حديد بغداد ذاتها . وبسبب الكارثة الحربية التي حلت بالبلاد اضطر رشيد عالي الكيلاني الى الموافقة التي احتجت عليها قيادة الجيش العراقي .. » (٦٢) .

وعلى مايبدو . فإن هتلر كان يعقد امالا كبرى على « احكام قبضته على قارة أوربا » ثم التوسع بعد الهجوم على الاتحاد السوفيتي باتجاه الشرق الاقصى . اما الوصول بشكل كلي الى الشرق الأوسط – وهذا مشكوك فيه حينئذ من ناحية الاعتبارات التكتيكية العسكرية – فقد اعتبره أمراً مقروناً بمدى نجاحه في تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي . ففي الرسالة التي وجهها هتلر الى حليفه موسوليني في ٢١ حزيران ١٩٤١ – أي عشية الهجوم الالماني على الاتحاد السوفيتي – اوضح هتلر من خلالها الدوافع الالمانية الاستراتيجية من وراء

هذا الهجوم الذي وصفه بأنه « اصعب القرارات التي اتخذها في حياته » . كما اكد فيها — انه وحلفاءه — لازالت لديهم القناعة بمسكهم دفة الحرب لصالحهم . بالاضافة الى توقعاته على ضوء مسيرة الحرب ، بأن القوة الفرنسية في سوريا ستصاب بالانهيار ، وان فرنسا بصورة عامة « لايمكن ان تكون موضع ثقة ». وابدى شكوكه بالقوة الحربية البريطانية وفعاليتها في شمال أفريقيا ، معتقدا بأن بريطانيا « قد خسرت الحرب » معللة نفسها بالعيش على «الآمال » في حربها (٦٣). وان هذه الآمال مبنية على دولتين هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية . ثم اضاف هتلر قائلا :

« ... ولا يوجد لدينا اية فرصة لمهاجمة امريكا . ولكن مهاجمة روسيا تبقى امرا حاضرا في أذهاننا . فإن مهاجمتها ، يعني في الوقت نفسه ، ارتياحا كبيرا لليابان في شرقي آسيا . وحينها فان امكانية تهديد النشاط الامريكي من خلال اليابان سيكون متوفرا لدينا ... » . واختتم رسالته مبررا هذا الهجوم بقوله : « ان فكرة التعاون مع الاتحاد السوفيتي بالرغم من جهودنا المخلصة والتامة لايجاد مصالحة نهائية ، لم تكن مجدية .. » (٦٤). كما انه بعد الهجوم على الاتحاد السوفيتي ، وفي اثناء المحادثات التي جرت ببرلين بين هتلر وشيانو وزير خارجية ايطاليا في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤١ . اوضح هتلر نواياه ، مبينا بانه في حالة فوز قواته وانتصارها في جبهة القفقاس — التي اعتبرها هدفا حيويا للجيش الالماني — فان الطريق سيمهد امامها سهلا بغية الوصول الى منطقة الشرق الأوسط ومن ضمنها المنطقة العربية (٦٥).

وليس من المستبعد أن بريطانيا — وحلفاءها — كانت تساورهم الشكوك حول مثل هذه الاحتمالات الاستراتيجية الالمانية . وربما يفسر هذا ، سرعة استماته واندفاع بريطانيا لمهاجمة سوريا بعد اجهاضها لثورة العراق . للعمل على ابعد تقدير ، على تعزيز « حياد » تركيا . ثم احتلال ايران بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي . وبمدة زمنية قصيرة ومتواصلة (أيار — آب ١٩٤١٢) .

لغرض تشكيل جبهة عسكرية استراتيجية مضادة ، بمواجهة التوغل العسكري الالماني « المتوقع » نحو الشرق الأوسط (٦٦) .

ومهما يكن ، فان التحالف البريطاني ـ الديكولي ، المؤقت والتكتيكي ، ثم الهجوم على سوريا ، واسقاط النفوذ السياسي والاداري لحكومة فيشي الفرنسية فيها . يشكل بنفس الوقت عاملا جوهريا ـ سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ـ لاخفاق ثورة مايس في العراق .

ثورة مايس والتحالف البريطاني مع حكومة فرنسا الديكولية :

منذ اندلاع ثورة مايس في العراق ضد بريطانيا ، اصبحت سوريا ـ الواقعة تحت الانتداب الفرنسي كما سبق الاشارة ـ بمثابة « الأرض المفضلة» في الحسابات الالمانية الاستراتيجية (٦٧). الا أن الحضور الالماني في العراق وسوريا قد واجه في البداية ، معارضة شديدة ليس من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فقط ، بل عارضته بشكل اساسي وبشدة كذلك حكومة فرنسا الحرة بقيادة الجنرال شارل ديكول (Charles de Gaulle) ومساعدة الجنرال جورج كاترو Georges Catroux . فقد شرعا بعزم وتصميم على التخطيط لازاحته ـ أي الحضور الالماني ـ بشكل أو بآخر . في الوقت الذي كانت به ثورة العراق قد تزامنت مع وصول مساعدات قوى المحور العسكرية للعراق عبر سوريا ، ثم تقدم القوات الالمانية بعملياتها الحربية في اليونان وبحر ايجة وجزيرة كريت باتجاه مصر .

وفي الواقع ، ليس من المستبعد القول في تقديرنا ، ان بريطانيا والحلفاء على وجه عام ، كانوا يراقبون الوضع في سوريا ، مطلعين عليه بوضوح وبدقة . فمنذ الشروع بعملية شحن الاسلحة الفرنسية الى العراق أي بين ١٣ ـ ١٤ مايس ١٩٤١ اخذ سلاح الجو البريطاني بتكثيف نشاطه فوق الأراضي السورية . وذلك بقصفه المطارات الحربية السورية في حلب (قاعدة نيرب الجوية) ودمشق وتدمر في الفترة بين ١٤ ـ ٣٠ مايس ، وبشكل متلاحق

وعلى مايلدو ، فان بريطانيا بعملها هذا لم تستهدف فقط أضعاف وزعزعة الحضور الالماني في سوريا ، بل كذلك ، خلق حالة من الارباك النفسي والمعنوي في صفوف القطعات العسكرية الفرنسية الخاضعة لحكومة فيشي ، ثم عرقلة أو ايقاف نقل السلاح للعراق على ابعد تقدير (٦٨) .

بالاضافة الى ذلك، اطلق انتوني ايدن (Anthony Eden) وزير الخارجية البريطانية) في ١٤ مايس ١٩٤١ ، تصريحاً رسمياً في مجلس العموم البريطاني اوقع فيه المسؤولية على حكومة فيشي الفرنسية في سوريا ، بسماحها للطائرات الالمانية بالهبوط في سوريا بهدف التوجه للعراق . كما اوضح ايدن كذلك ، ان الحكومة البريطانية قد اعطت الصلاحيات التامة لقواتها ، لمعارضة استخدام الالمان للاراضي التي تحت الانتداب الفرنسي — يقصد سوريا ولبنان — . كما قامت الطائرات البريطانية بنفس الوقت ، بتوزيع نص هذا « التصريح » تحت عنوان : « الى حليفتنا الامة الفرنسية » على المدن السورية . وبشكل خاص استهدفت به قوات حكومة فيشي (٦٩) .

وعلى ما يظهر ان بريطانيا ابتغت من وراء تصرفها هذا ، استغلال الانقسام السياسي والعسكري في فرنسا ، آملة تعزيز مواقعها الاستراتيجية في المنطقة العربية . وكمحاولة لاعطاء الأولوية لنفسها ، بمسكها لزمام الموقف في هذه المنطقة وعلى حساب المصالح الفرنسية التي كانت تواجه بهذا الصدد متاعب صعبة .

وبالنسبة لحكومة فرنسا الحرة . فان ثورة العراق ، كانت قد اقلقت الجنرال ديكول الذي اعطى لهذه الثورة تقديراً أو تفسيراً « شكليا » . وذلك بوصفه لها بانها ثورة جاءت (بتحريض وحث من قبل قوى المحور) . في الوقت الذي كان تفكير ديكول الاستراتيجي منصبا على العمل على « وحدة الامبراطورية الفرنسية » التي صدعتها وهددتها الحرب . بالاضافة الى هذا اعتبر ديكول النشاط الالماني في العراق وسوريا بمثابة « تواطؤ » بين حكومة فيشي والالمان . كما كشفت اتصالاته المتواصلة مع الحلفاء . بأن « احتمال »

التغلغل الالماني في سوريا « حادث على وشك الوقوع » . وكان من رأيه — أي ديكول — ان تقوم قوات فرنسا الحرة العسكرية التابعة له باحتلال سوريا « قبل وقوعها في قبضة الالمان » . الا ان رأيه قد استقر اخيراً ، بالخطة القائمة على ان الهجوم على سوريا لابد ان يتم بواسطة القوات البريطانية وبدعم من قوات فرنسا الحرة . اخذ بنظر الاعتبار ، ثقل القوة العسكرية المحدودة العدد والعدة التابعة له ، وكذلك الاعتبارات التكتيكية السياسية والمرحلية المنسجمة مع موقفه السياسي والعسكري حينئذ (٧٠) .

اما الجنرال كاترو فقد كان من المتحمسين جدا منذ البداية ، للاحتفاظ بسوريا ولبنان ، وابعادهما — حسب رأيه — عن القبضة الالمانية ، وتخليصهما من حكومة فيشي إذا لم تبد هذه الاخيرة تعاونا بهذا الصدد . كما اعتبر « الدعاية الالمانية » ضد بريطانيا قد ارتبطت مع ثورة العراق . وان الالمان كان هدفهم ان يصبحوا « العنصر المباشر — في سوريا — في سبيل اهدافهم حاضراً أو مستقبلا » . بالاضافة الى هذا ، فان كاترو اوقع مسؤولية التعاون الالماني — الفرنسي فيما يتعلق بالحضور الالماني في سوريا والعراق ، على عاتق الاميرال دارلان . كما انحى باللائمة على الجنرال دانتز « لتنفيذه الأوامر » التي استلمها من الاميرال دارلان بهذا الموضوع . واعتبر اطاعة دانتز لهذه الأوامر بمثابة « خطأ شائن مخل بالشرف » . الا ان الجنرال كاترو بشكل عام ، يلاحظ ان ثورة العراق ومحاولة مد الجسور بينها وبين حكومة فيشي قد عرض الحلفاء الى « اخطار متفاقمة » والزمهم ان يبذلوا جهوداً اضافية . وان « سوريا ولبنان ابواب مفتوحة نرق مسرح العمليات في الشرق الأوسط » ولا يمكن ان يتركا لقمة سائغة للالمان ، فيما لو أراد الحلفاء ان يحسموا « معركة البحر المتوسط » لصالحهم . وان الحيلولة دون ذلك يستوجب « العمل العاجل » (٧١) .

ولذا ، فانه حالما جهضت ثورة العراق ، وسقطت جزيرة كريت بيد القوات الالمانية . توجه انتباه الحلفاء الى سوريا بشكل واضح وبنشاط غير اعتيادي . حيث اصبح المجال مفتوحا امام الانكليز للتدخل فيها بصيغة عملية

واكثر سهولة . وبنفس الوقت شعرت حكومة فيشي بالخطر يهددها . ووجد الجنرال دانتز نفسه بمواجهة مأزق حرج ، وذلك في التوفيق بين ضغوطه الحذرة على الالمان لمغادرة سوريا ، وبين محاولة الدفاع عن سوريا في حالة هجوم بريطاني متوقع عليها. كما ان المراسلات التي تمت بين دانتز والاميرال دارلان قد اكدت بان مسألة الدفاع عن سوريا واقعة على عاتق قوات حكومة فيشي فقط ، بالاضافة الى اعتبار الاتفاق الالماني — الفرنسي فيما يتعلق بسوريا والعرق — السابق الذكر — هو في حكم الانتهاء . وعلى ضوء هذا ، سعى الجزال دانتز جاهدا بشكل أو باخر ، وبمرونة عالية ، على تطويق نشاط البعثة الالمانية بهدف مغادرتها سوريا . وفي ٦ حزيران ١٩٤١ لم يبق في سوريا — كما يقول دانتز — اية طائرة المانية ، ما عدا رودولف ران وعددا من اعضاء بعثته . كما سعى دانتز لابلاغ القنصل العام للولايات المتحدة الامريكية — الذي كان يرعى المصالح البريطانية في سوريا ولبنان بعد طرد القناصل البريطانيين منهما من قبل حكومة فيشي — باجراءاته هذه إزاء الوجود الالماني في سوريا (٧٢) . وربما أراد الجنرال دانتز بمسعاه هذا — رغم الاستعدادات العسكرية التامة التي اتخذها للدفاع عن سوريا — اظهار حسن نوايا حكومة فيشي تجاه الحلفاء ثم تخفيف حدة خطر الهجوم البريطاني المتوقع على سوريا ، او جعل بريطانيا تتخلى الى حد ما عن الاستعدادات التي تسعى اليها لهذا الغرض .

الا ان الاعتبارات الاستراتيجية هي التي حسمت الموقف اخيرا ، واصبحت بمثابة الحد الفاصل لهذه المسألة . وبهذا الصدد . يرى (ويليه) بان ثورة العراق « فهمت بأنها احتجاج ضد السياسة البريطانية في فلسطين وضد الادارة الفرنسية في سوريا معا . وإزاء — الخطر — بدأ البريطانيون والفرنسيون الاحرار الهجوم في حزيران ١٩٤١ على سوريا . » (٧٣) . الا ان مجريات الاحداث بعدئذ كشفت ان اهداف بريطانيا وفرنسا كانت ابعد مما ذهب اليه (ويليه) ، أي المحافظة على نفوذهما الاستعماري وتعزيزه في المنطقة العربية ، بعد ان اخذت تهدده الحرب وتطوراتها .

ومع هذا، واثر دخول القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة لبنان وسوريا، اعلن «التصريح المزدوج» للجنرال كاترو ومايلز لا ميسون (السفير البريطاني في مصر) في ٨ حزيران ١٩٤١ الخاص بمنح سوريا ولبنان «الاستقلال» ووضع «نهاية لنظام الانتداب» (٧٤). ومع ان هذا التصريح قد واجه بعدئذ صعوبات في التطبيق بسبب اختلاف وجهات النظر الاستراتيجية البريطانية — الفرنسية. الا انه على مايبدو، ربما قصد منه حين اصداره تبرير الهجوم على سوريا، ثم وضع حكومة فيشي بمواقف اكثر صعوبة، واثارة الأماني الوطنية السورية — التي كانت تعاني حينئذ من وطأة الانتداب وتنشد الاستقلال التام — وبشكل تكتيكي يسهل تحقيق الهدف الذي توخاه التحالف البريطاني — الديكولي، بالاضافة إلى ان هذا التصريح قد تزامن مع بدء الهجوم العسكري على سوريا ولبنان. ولذا، فبين ٨ حزيران ١٢ تموز ١٩٤١، تمكنت القوات البريطانية بمساندة بعض الوحدات العسكرية من قوات فرنسا الحرة — التي كانت بقيادة الجنرال كاترو — من السيطرة على سوريا ولبنان بعد قتال دام حوالي خمسة أسابيع، بينها وبين قوات حكومة فيشي الفرنسية بقيادة الجنرال دانتز. وفي ١٤ تموز ١٩٤١ ثم التوقيع على الهدنة بين الطرفين وعلى اثرها انتهت صلاحيات السلطة السياسية والعسكرية لحكومة فيشي في سوريا وغدا الجنرال كاترو (المندوب السامي الفرنسي الجديد) وممثلا عن حكومة فرنسا الحرة هناك (٧٥).

ومما تجدر الاشارة اليه انه منذ ١١ تموز ١٩٤١، كان رودولف ران قد غادر سوريا مع بقية اعضاء البعثة الالمانية. وبهذا يكون الحضور الالماني في سوريا — كما هو الحال في العراق — قد اصبح منتهياً من الوجهة العملية. ومن قبيل المفارقة، وفق تقديرنا، ان يشبه ران نفسه هذه «النهاية» للنشاط الالماني في المنطقة العربية الاسيوية «بالفرصة المفقودة» (٧٦).

ومع هذا، يمكن القول ان قمع ثورة مايس في العراق واخمادها، ثم الهجوم على سوريا، واحتلال ايران بعد الهجوم الالماني على الاتحاد السوفيتي

قد جعل الحلفاء في موقع استراتيجي اكثر مرونة. كما سمح لهم هذا الموقع، أن يتنفّسوا الصعداء في هذه المنطقة الحيوية، بهدف منع ومقاومة احتمال التغلغل الالماني فيها مستقبلا، وفق تصوراتهم وتقديراتهم السياسية والعسكرية. كما بدا على بريطانيا أنها «احتفظت بموقع اكثر قوة» في الشرق الأوسط بصورة عامة والمنطقة العربية على نحو خاص، والذي يضمن لها الطريق إلى آسيا وافريقيا واستراليا حتى انتهاء الحرب (٧٧).

الخلاصة والاستنتاجات :

لقد تميزت ثورة مايس ١٩٤١ في العراق بطراز خاص في النهضة العربية المعاصرة. وذلك لكون التوجه القيادي فيها قد التزم بالاطار القومي العربي، ولكونها ايضاً قد جاءت في ظرف دولي شائك ومعقد ومجهول النتائج حينئذ، وهو الحرب العالمية الثانية وحصلت في قطر عربي واحد هو العراق.

كانت هذه الثورة مفتقدة للدعم الدولي الواضح. ولم تحصل على الصعيد العربي الرسمي على أي تأييد واسناد يذكر. بل قوبلت بتأييد واسع النطاق تقريباً، داخل العراق وعلى المستوى الشعبي العربي فقط. الا ان هذا الاسناد الاخير، بدا وكأنه مفتقد للتنظيم السياسي المحكم والتعبئة الجماهيرية المنظمة والفاعلة(٧٨). اضافة إلى امتزاجه بالحماس العارم و «بالشعور الديني — القومي» (٧٩).

ان السرعة الملفتة للنظر في اخفاق هذه الثورة، لم تتوقف مساراته على التناقضات السياسية والعسكرية في بنيتها وقيادتها فقط. وانما لكونها اصبحت هدفاً لمرمى الصراع الايديولوجي والاقتصادي والاستعماري للدول الكبرى المتصارعة ضمن معسكرين متضادين. لا سيما ان آثار هذا الصراع قد امتدت ملامحه إلى العراق والاقطار العربية الاخرى بشكل عام. ومحاولة تحاذق الدول الكبرى في استخدامه كسلاح فعال كل حسب مصالحها الحربية. والتصور الشامل للثورة حينئذ يلقي الضوء على مدى التداول الايديولوجي المتعدد الجوانب في ذهنية الجماهير العربية وقيادتها ذات الوعي (الوطني — القومي — الطبقي)

المتنافر في المنظور المستقبلي للامة العربية، والمحدود في التصور والهدف كذلك

لقد تعامل العرب، مع القوى الكبرى خلال الحرب العالمية الاولى والثانية كذلك. لكنهم خرجوا من خضم هذا التعامل بتجربة مريرة جوهرية هي وقوعهم «كضحية» لاستراتيجية هذه القوى في كلا الحربين (٨٠). ففي خلال الحرب الثانية سعت ثورة مايس كذلك إلى مد جسور التعاون مع قوى المحور، لا سيما المانيا مستغلة ظروف هذه الحرب لتطرح قضايا العرب المشروعة. وراهنت على مواقف في الاستقلال لم تكن نتيجة الحرب ومسارها قد حسمتها. بالاضافة إلى تمركز عملها النضالي في المشرق العربي بشكل واضح، ولم يتجاوز مفهومها للوعي القومي وضع الامة العربية ككل موحد، كان معظمه خاضعاً للتجزئة والتخلف والسيطرة الاستعمارية المباشرة، لا سيما المنطقة العربية الافريقية. ولكن موقفها التكتيكي هذا لم يدخلها في نطاق المنظور القومي المجتزأ فقط. وانما اوقعها في دوامة الصراع الاستراتيجي للدول الكبرى المتحاربة حيث تكون (المبادىء، التحالفات، المعاهدات، الاتفاقيات، المساومات، الامن، الحرية، الاستقلال) في حينها، نسبية ازاء القوة وابعادها ورؤاها وتصوراتها في هذا الظرف الدولي الغامض، والمحدد مستقبله بمن يكسب الحرب. لذا فقد عاملها كلا المعسكرين المتحاربين كأنها مسألة هامشية يتقرر مصيرها على ضوء مسيرة أو نتيجة الحرب ومن منظور استراتيجيتهم نفسها ليس الا.

ومع هذا، كانت ثورة مايس صفحة نضالية معبرة لمسيرة التحرر الوطني — القومي بحدوده وظروفه وامكانياته المحدودة. وتحدياً مفعماً بالحماسة ضد الاستعمار وركائزه. كما افرزت بغض النظر عن اخطائها وايجابياتها، مسألتين اساسيتين استراتيجيتين جديرتين بالملاحظة. على الصعيد الوطني — القومي المستقبلي: (الاولى): اساسية اعتماد الامة العربية على قواها الذاتية قبل كل شيء كامكانية متصورة لانتزاع النصر والاستقلال اذا توفرت لديها القيادة الصائبة المبدئية والتعبئة الجماهيرية الفاعلة. واخذت بزمام الاستقلال السياسي والاقتصادي الفعلي والعملي، ووجهته توجيها يخدم الارادة الوطنية — القومية

ذات البعد الانساني. (والثانية) : احتمالية بقاء الاستقلال السياسي والاقتصادي ضعيفاً هشاً، في حالة فقدان النظرة الشمولية لمسار السياسة الدولية وتعقيداتها. والمفترض قيامها — اي السياسة الدولية — على خط استراتيجي مبدئي واضح يستند على احترام سيادة الشعوب واستقلالها، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، ونبذ الاستغلال بكل اشكاله — كسياسة القوة القائمة على الضغوط والابتزاز وسياسة الاحتواء والاحلاف وسياسة الاستعلاء الحضاري كأساس جوهري وانساني في التعامل الدولي .



الهوامش والمصادر

(١) بصدد المعاهدة العراقية — البريطانية وملاحقها. والمبرمة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ ،
انظر : الحسني، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية، جـ٣، ط٤، مطبعة دار الكتب (بيروت، ١٩٧٤) ص‌ص ١٨ — ٢٤ .

(٢) استوحينا هذه العبارة بالاقتباس عن : حسين، صدام : الثورة صراعات الحاضر والمستقبل، سلسلة الثقافة الثورية (١٤)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت — لبنان،)ص٥.

(٣) لا يخفى ما قدمته الولايات المتحدة الامريكية من تسهيلات دبلوماسية وسياسية لبريطانيا خلال مواجهتها الدبلوماسية والعسكرية مع ثورة مايس في العراق. كما حاولت الولايات المتحدة بهذه الفترة ان تتجنب الزج بنفوذها السياسي بالمنطقة العربية بشكل مكشوف، وانما اخفته فقط تحت ستار التعامل الاقتصادي والاحتفاظ به بأي شكل من الاشكال.
للتفاصيل بهذا الصدد انظر :

Foreign relations of the united states (Diplomatic papers). volun III , 1940 (washington , 1958). volum III, 1941 . (Washington, 1959). united states Government printing office

وكذلك : عبد الجبار ناجي : موقف الولايات المتحدة الامريكية من حركة مايس اعتماداً على برقيات نابنشو إلى وزير الخارجية الامريكي. مجلة افاق عربية (بغداد) السنة الخامسة. العدد (٩)، أيار ١٩٨٠ ص ٣٣ — ٥٥ .

(٤) AL-Haffou, Ghanim : L'Irak devant la deuxieme guerre mondiale . Doctorat de 3eme cycle. Universite de Poitiers France Juin-1981 . pp. 50-73 , 143 et s., 194 .

(٥) بوندار يفسكي : سياستان ازاء العالم العربي. ترجمة خيري الضامن، دار التقدم (موسكو، ١٩٧٥)، ص ١٨١ .

(٦) للتفاصيل بهذا الصدد انظر : حميدي، جعفر عباس : التطورات السياسية في العراق ١٩٤١ — ١٩٥٣. مطبعة النعمان (النجف، ١٩٧٦) ص ص ٨٢ — ٨٥، ١٠٠ — ١٠٣.

(٧) Al - Haffou, Ghanim : Op. cit ., p. 156 .

(٨) بوندار يفسكي : المصدر نفسه، ص ١٩١ .

(٩) بالرغم من اختلاف الاراء الغربية حول هذه المسألة، يجدر بنا ان نشير، إلى انه خلال محاكمة قادة ثورة مايس الشائع «.. ان حيثيات الحكم قد نصت على ان الجهة التي بدأت باطلاق النار كانت الجهة العراقية ...» انظر : علي محمود الشيخ علي : محاكمتنا الوجاهية. منشورات المكتبة العصرية (صيدا — بيروت،) ص ١٠٦. واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان هذا الحكم ينطبق مع وجهة النظر الانكليزية الرسمية. فبالمقابل نحبذ الاشارة إلى انه

في تقرير سري ارسله مارشال الجو سمارت قائد القوة الجوية البريطانية في الحبانية إلى كورنواليس السفير البريطاني في بغداد، حدد به — اي سمارت — الساعة الثامنة من صباح يوم ٢ مايس ١٩٤١ كحد اقصى لانسحاب القوات العراقية من جوار قاعدة الحبانية، وبعكس هذا، سيشرع بالهجوم الجوي عليها. ومن الثابت تاريخياً ان هذا الهجوم بدأ في الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين من اليوم المحدد نفسه — أليس من الجائز ان الانكليز قد غيروا وقت الهجوم بهدف التمويه واخذ الحيطة والحذر ولبقاء زمام المبادرة بيدهم في حالة عزمهم على القيام بهذه المهمة . أنظر :

F.O. / AIR 23 –5912 No . A 422 / A.H.Q Iraq to Cornwallis. Urgent . W/T . May 1, 1941).

(١٠) بهذا الصدد ، نود الاشارة إلى انه قبل ثلاثة ايام تقريباً من المواجهة العسكرية العراقية — البريطانية في ٢ مايس، واستناداً على محاضر اجتماعات مجلس الدفاع الاعلى (الجلسة الثالثة) المنعقدة بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٤١، لم يكن هناك اتفاق مسبق بين قوى المحور والحكومة العراقية على وقت وكيفية المواجهة مع بريطانيا — فيما اذا كان هناك تساؤل وشك بهذا المجال — وعلى نوعية ومقدار ومدى المساعدة التي يمكن لقوى المحور ان تقدمها للعراق في هذه الحالة. كما ان امكانية الاصطدام العسكري مع بريطانيا اخذت تلوح بوادرها في الافق، وحتى امكانية «الغاء معاهدة ١٩٣٠» في حالة خروج بريطانيا عن روحية هذه المعاهدة واصرارها على انزال قواتها العسكرية وعدم احترامها للمشاعر الوطنية العراقية. فرشيد عالي الكيلاني (رئيس المجلس) ورئيس الوزراء، ارتأى اتخاذ الاستعدادات الوقائية العسكرية «بسبب سوء نية البريطانيين» وناجي السويدي وزير المالية كان يرى «من الضروري جس نبض المحور» اما صلاح الدين الصباغ فقد حاول دمج القرار السياسي بالقرار العسكري وبدا اكثر حماساً وتوقداً، مفضلا الاعتماد على القوة الذاتية والثقة العالية بالنصر: «على الأمة التي تريد استقلالها ان لا تخاف من العواقب». اما وجهة نظره بمساعدة قوى المحور العسكرية فكانت، على ما يبدو ثانوية، ولم يدر بخلده الاعتماد الكلي عليهم بقوله وتساؤله : «هل المانيا ستعاوننا فاذا عاونتنا او لم تعاوننا ... انه في الامكان المقاومة لمدة اربعة أشهر وهذا يكلف بريطانيا غاليا .. اننا نتمكن من تهديدهم — اي الانكليز — باتخاذ اجراءات تجاه نقاط اخرى لهم فيها مصالح». للتفاصيل انظر : مجلة آفاق عربية (بغداد)، العدد (٧) آذار ١٩٨٠، ص‌ص ٢٩ — ٣٢ .

(١١) بعد انهيار القوة العسكرية الفرنسية في اوربا ودخول الالمان باريس في ١٦ حزيران، قدمت الحكومة الفرنسية التي يرأسها برل رينو (Paul Renault) استقالتها. وفي مساء هذا اليوم تشكلت حكومة المارشال بيتان (Philippe petain)، وارسل هذا في ليل ١٦/١٧ حزيران إلى المانيا وايطاليا طلباً بالهدنة. ووقعت الهدنة مع المانيا في ٢١ حزيران ومع ايطاليا في ٢٤ منه. ولكن الجنرال شارل ديكول (chales Gaulle de) كان قد القى في ١٨ حزيران من لندن نداءه الاول ودعا فيه إلى

المقاومة. وعلى اثر ذلك انقسمت السلطة الفرنسية إلى قسمين. الاولى : (حكومة فيشي) التي اخذت اسمها من مدينة Vichy الفرنسية وصارت ايضاً مقراً لها برئاسة الماريشال فيليب بيتان، وقد ابدت هذه الحكومة نوعاً من المرونة في التعامل مع الالمان بهدف المحافظة على ما تبقى من «هيبة» فرنسا بعد اندحارها العسكري. والثانية : (حكومة فرنسا الحرة) في المنفى برئاسة الجنرال شارل ديكول، والتي تعاونت مع قوى الحلفاء حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية. للتفاصيل بهذا الشأن : انظر :

Jaques Isorni: Philippe petain . Tome II, editions de la Table Ronde (paris, 1973) . Robert O. Paxton : La France de vichy 1940 – 1944 . edition du seuil, (paris, 1973).

بيير رونوفن : تاريخ القرن العشرين، ط٢، ترجمة د. نور الدين حاطوم دار الفكر (الكويت، ١٩٨٠) ص ٥١٥ .

(١٢) Doucments on German foreign policy (1918–1945). No 415. pp. 651 – 656. vol. xII published by Her majesty's stationery office (London , 1962).

(ومن الجدير بالذكر، وللاختصار، سنرمز لهذا المصدر لاحقاً بـ D.C.F.P.)

(١٣) للمزيد من التفاصيل بهذا الصدد أنظر :

Foreign office (London) .F. O. 371 / 27079. No. 189. (E 4732 /1/93) 7 August, 1941 . D. G.F. P. vol . X, (London, 1957). D.G.E.P. : vol. x, (London, 1957).

حداد، عثمان كمال : حركة رشيد عالي الكيلاني (صيدا – لبنان، ١٩٥٠) صص ٢٥ وما بعدها. غروبا، فريتز : رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ج٢، ترجمة فاروق الحريري (بغداد، ١٩٧٩) صص ٣٢٩ – ٣٧٧ .

(١٤) لقد تحقق هذا الطلب عبر قنوات اساسية ثلاث هي : كابر يللي (Gabrielli) (الوزير الايطالي المفوض في بغداد) وكامل الكيلاني (الوزير العراقي المفوض في انقرة) وطالب مشتاق (القنصل العام العراقي في فلسطين) والذي قام بالسفر إلى طهران لهذه الغاية.

(١٥) D.G. F.P. : Document No. 436, pp. 68, 690, Vol XII .

(١٦) في رسالة (بدون تاريخ) موجهة من المفتي الحاج محمد أمين الحسيني إلى المؤرخ عبد الرزاق الحسني. يقول المفتي بها : «... لم يكن الالمان حينئذ راغبين في قيام حركة عسكرية في العراق. وقد علمنا بعد وصولنا برلين انهم كانوا على وشك ان يقدموا الدكتور غروبا.. إلى المحاكمة لاتهامهم اياه بالتحريض على الحركة والحقيقة انه لا الالمان ولا العرب ولا احد من المسؤولين العراقيين كانوا يريدون ان تنشب هذه المعركة حينئذ لانه لم يكن لهم فيها مصلحة، ولكن الانكليز وحدهم كانوا يريدون ذلك، لانهم كانوا في حاجة لجعل العراق قاعدة لحشد الجيوش البريطانية ليتمكنوا من صد الزحف الالماني المتوقع على الشرق الاوسط، والضغط الالماني على تركيا وايران ...» .

انظر : الحسني، عبد الرزاق : الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية. ط٤، مطبعة دار الكتب (بيروت، ١٩٧٦) ص ٤٨. ولكن ليس من المستبعد — في تقديرنا— ان المفتي الحسيني قد ادلى بهذا التصريح في وقت اختلفت فيه الظروف، وبعد مراجعة لنتائج المواقف التاريخية للحرب. كما لا يمكن التجاهل بأن المفتي نفسه كان منغمراً بالاحداث نفسها في العراق ثم مكوثه في المانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

(١٧) تحددت هذه المساعدة الايطالية المقترحة بـ : ١٢ طائرة مقاتلة و ٥ طائرات لشحن السلاح، تتضمن نقل ٤٠٠ مدفع رشاش و٢٠ قطعة سلاح مضادة للدبابات .

(١٨) D.G.F.P. : Document No. 511 . p. 806 . vol. xll.

(١٩) Op. Cit ., Documents : No. 436 , 466 , 472 , 529, vol. XII.

(٢٠) هيرزويز، لوكاز : المانيا الهتلرية والمشرق العربي. ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى (القاهرة، ١٩٧١) ص ٢٠٧. غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، صص ٣٨٦ — ٣٨٧ .

(٢١) Latreille, Andre : La seconde guerre mondiale Essai d'analyse. (paris, 1966). p. 129 .

(٢٢) تشكلت هذه اللجنة بعد انهيار القوة العسكرية الفرنسية في اوربا، ودخول الالمان باريس، ثم ابرام فرنسا الهدنة مع المانيا وايطاليا، واتخذت مقرها في بيروت في .

(٢٣) D.G.F.P. : Document No. 459, vol. XII .

(٢٤) Abetz , Otto : petain et les Allemands Memorandum d'Abetz sur les rapports franco-Allemands. (paris, 1948) pp. 100-101 .

(٢٥) D.G.E.P. : Document No . 491 , vol. XII

(٢٦) Op. cit ., Document No. 520, vol. xll .

(٢٧) في الواقع تضمن هذا الاتفاق ثلاثة اقسام : الاول يتعلق بسوريا والعراق. والثاني : بشمال افريقيا. والثالث : بافريقيا الغربية الاستوائية. وقد تم التوقيع عليه بشكل رسمي في باريس يومي ٢٧ و٢٨ مايس ١٩٤١، بين الاميرال دارلان والجنرال فارليمونت.

(٢٨) D.G.F.P. : Document No. 546 vol. cxll

(٢٩) للتفاصيل انظر :

Woodward, Liewellyn : British foreign policy in the second world war. Her Majesty's stationery office. First published (London , 1962). pp. 103 -110.

(٣٠) London , Geo : L'Amiral Esteva et le General Dentz devant la Haute cour de Justics . (Lyon , 1945).p.174 .

(٣١) يعطي كروبا تفسيراً مشابها تقريباً لمهمة ران هذه. فيذكر – اي كروبا : ان مهمة ران كانت شراء الاسلحة الفرنسية من سوريا ونقلها إلى العراق، ووجب عليه أن يرجع إلى باريس فور انتهاء مهمته. الا انه – اي ران – تقدم برجاء إلى وزارة الخارجية الالمانية كسؤول عن الارتباط مع الجنرال دانتز. وقد حبذ – أي كروبا – مقترحه هذا لدى الوزارة ونال الموافقة. ورفع مقامه بتنسيبه «كمبعوث» لدى الجنرال دانتز في سوريا أنظر : غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٢ .

(٣٢) D.G.F.P. : Document No . 476. vol XII .
أنظركذلك : غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٠٣ .

(٣٣) شرويدر، بيرند فيليب : حرب العراق ١٩٤١. ترجمة فاروق الحريري مديرية المطابع العسكرية (بغداد، ١٩٨٢) ص ٥٤ .

(٣٤) غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٠٥.

(٣٥) شرويدر، بيرند فيليب : المصدر نفسه، ص‌ص ٥٤، ٥٦.

(٣٦) كان القنصل العراقي العام في حلب حينئذ هو (اسماعيل الاغا). ويذكر ران في كتابه (حياة قلقة) حول لقائه بهذا القنصل : «انه قدم الي معلومات غير مشجعة عن الوضع في العراق ...». أنظر : بحري، يونس : اسرار ٢ مايس ١٩٤١ أو الحرب العراقية الانكليزية .
مطبعة الحرية (بغداد، ١٩٦٨)، ص ١٢٤ .

(٣٧) D.G.F.P. : Document No . 165 (Memorandum by Minister Rahn. Report on the German mission in syria from May to July 11, 1941).Westfallen, July 30, 1941 . p. 239 . vol . XIII (London , 1964).

(٣٨) Ibid ., pp. 237 , 239 .

(٣٩) Ibid ., p. 239 .

(٤٠) في كانون الثاني ١٩٤١ أصدرت وزارة الخارجية الالمانية تعليماتها إلى فون هنتج بالتوجه إلى سوريا على ان يتصل شخصياً حال وصوله بالجنرال دانتز. وقد تمت بعثته هذه تحت غطاء «بعثة استقصاء واستعلامات» على ان تتجنب «الحاق الضرر بالحكومة الفرنسية في سوريا». الا ان هدفها الاساسي كان لغرض معرفة حجم الدعاية البريطانية ومدى نشاطها.. وكذلك نشاط العناصر الديكولية .. ومدى ما وصلته الدعاية الالمانية في المنطقة العربية.

وقد اقترح فون هنتج بعد وصوله تمثيل المانيا في لجنة الهدنة الايطالية، والحد من نشاط العناصر الديكولية، كما حذر العرب من التعامل مع ايطاليا . وقد حقق عدة اتصالات بعدد من الشخصيات العربية في دمشق. بالاضافة إلى نشاطاته الأخرى التي استهدفت غرس الدعاية الالمانية في سوريا. انظر :

D.G.F.P. : Document No . 626, p. 1054 , vol. XI 'London, 1961)

هيرزويز، لوكاز : المصدر نفسه، صص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٤١) حول هذا الموضوع يقول شرويدر : «... بعد الحاح الماني شديد وافق الاتراك على التغاضي عن نقل الاسلحة والمعدات للعراق باستخدام قطار حلب — الموصل المار في بعض نقاطه من الحدود التركية — السورية مع تحفظهم المسبق ازاء اي نقل لوقود رومانيا او ايصال اية مواد حربية إلى ايران عبر اراضي الاناضول في المستقبل لدواعي تطور سير الحركات». أنظر : شرويد، بيرند فيليب : المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٤٢) D.G.F.P. : Document No . 165 , pp. 239–240. vol. xIII

وقد قدرت زنة هذه المعدات الحربية بـ ٨٠٠ طن وكانت فرنسية الصنع ومن أصناف متعددة تقريباً. للتفاصيل انظر ايضاً : شرويدر، بيرند فيليب : المصدر نفسه، ص ٥٦.

London , Geo: Op. cit ., pp. 212 – 213 .

(٤٣) الخطاب، رجاء حسين : تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي ١٩٢١ — ١٩٤١. دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٧٩) ص ٣٦٢. أنظر ايضاً : غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤١٤ .

(٤٤) D.G.F.P. : Document No. 165 , p. 244 . vol. cII.

(٤٥) غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤١٤ .

(٤٦) D.G.F.P. : Document No . 165, P. 241 , vol. XIII

(٤٧) Ibid, p. 245 .

أنظر كذلك : شرويدر، بيرند فيليب : المصدر نفسه، ص ٤٦. وقد شاع حينئذ — دعائياً وليس تأكيداً — بأن تدمير هذا الجسر كان من قبل جنديين وضابط فرنسي من العناصر الديكولية. الا انه بهذا المجال لا يستبعد التعاون الديكولي — البريطاني. أنظر : حسين، توفيق : غروبا في الموصل (بغداد، ١٩٤٧)، ص ٥٤.

ومن المناسب الاشارة إلى ان هناك تساؤلا متداولا حول وجود «رسائل» متبادلة بين الجنرال دانتز وحكومة الكيلاني في العراق، فيما يخص «التعاون» بين حكومة فيشي

الفرنسية والحكومة العراقية. ولكن لم يتسن لدينا الاطلاع عليها حتى لو تأكدت فرضية وجود مثل تلك الرسائل. بل اطلعنا على وثيقة — لا يمكننا بشكل او بآخر الربط بينها وبين افتراض الرسائل المذكورة آنفاً لعدم توفر الادلة التاريخية المقنعة للربط بينهما — مخطوطة بقلم احد قادة مايس هو العقيد صلاح الدين الصباغ، وتحت عنوان «على ضوء معلوماتي» وقال فيها بالنص : «.... لقد اتفق العراق مع حكومة فيشي أن تضم سوريا اليه وان تنسحب جميع الجيوش منها وذلك مقابل اعادة اعطائها حصة فرنسا السابقة من نفط العراق وذلك لمدة معينة من الزمن ..». وفي تقديرنا، ان قول الصباغ هذا يكتنفه الغموض لخلوه من اطار التسلسل المنطقي التاريخي والوثائقي للاحداث حينذاك . بخصوص هذه الوثيقة انظر : الخطاب، رجاء حسين : المصدر نفسه صص ٣٤٩ — ٣٥٠ .

(٤٨) للتفصيل حول هذا الموضوع انظر :

D.G.F.P. : Documents. No . 598 , No. 571 , No . 576 . vol. XIII . Al-Haffou, Ghanim : Op. cit ., p. 188 .

غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، صص ٤٢٥ — ٤٢٩ .

(٤٩) شرويدر، بيرند فيليب : المصدر نفسه، ص ٥٧ .

(٥٠) D.G.F.P. : Document No . 165, Vol. xIII .

(٥١) Op. cit., : Document No. 577 , No. 590 , No. 587 . Vol.XII.

(٥٢) من الملاحظ، ان (شرويدر) بهذا المجال، اوقع اللوم على كروبا، وعاب عليه تدخله في مختلف المسائل ووصفه «بالرجل غير المناسب» لمعرفة مدى حاجات الجيش العراقي للاسلحة والتجهيزات، وبأنه لم يعط «صورة واضحة لبرلين» عن موقف السياسة الداخلية في العراق على الرغم — حسب رأيه — من احتواء بعثة كروبا على عدد من الخبراء «الكفوئين بالمجال العسكري» كما اتهم كروبا، بأنه كان يخبر برلين — هكذا — «بتقديرات غير صائبة». وربما اراد (شرويدر) أن يعطي تبريراً خاصاً لفشل النشاط الالماني في العراق بهذا الصدد. ولكنه — أي — شرويدر — اجاب على ذلك بنفسه قائلا : «ان العلاقات بين القادة السياسيين والقادة العسكريين كانت في غاية السوء ولم تتغير خلال تلك الفترة إلى ما هو احسن». والمفارقة ان شرويدر بنفس الوقت لا ينكر بأن البعثة الالمانية في سوريا والعراق كانت تحت الاشراف السياسي أنظر :

شرويدر، بيرند فيليب : المصدر نفسه، صص ٥٥ — ٥٧ .

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٥٥ .

(٥٤) London , Geo : Op. cit pp. 206 –211 .

(٥٥) D.G.F.P. : Documents No . 552 , No 541. Vol. XII .

(٥٦) كانت تعليمات هتلر هذه تحت عنوان (امر رقم ٣٠ بشأن الشرق الاوسط) . جاء في مقدمتها: «ان حركة التحرر العربية في الشرق الاوسط حليفتنا الطبيعية ضد بريطانيا». وفيما يخص العراق اقترح ترشيح اللواء الطيار هولموت فلمي (Hullmuth Felmy) كرئيس للبعثة الالمانية العسكرية في العراق، على ان تكون جميع القوات الالمانية العاملة في العراق تحت قيادته. الا ان هذا الاقتراح لم يكتب له ان يتحقق. اذ كان فلمي قد وصل سوريا في ١ حزيران ١٩٤١، أي بعد اخفاق ثورة العراق. للتفاصيل انظر :

Jachosen , Hans. Adolf : La seconde querre mondial. Tome I. (paris , 1968). P. 102 .

الحسني، عبد الرزاق : الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية صص ١٨٢ – ١٨٣ .

(٥٧) غروبا، فريتز : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٣ .

ومن الجدير بالاشارة هنا. ان القوات الالمانية استكملت احتلالها لجزيرة كريت بين ٢٠ – ٣١ مايس ١٩٤١ (أي مع انتهاء ثورة العراق زمنيا). وسميت عملية غزوها «بعملية الزئبق». واعتبر البعض موقع هذه الجزيرة الحيوي بمثابة «مفتاح الموقف» لحوض البحر المتوسط الغربي. وقد زجت المانيا بهدف احتلالها قوات عسكرية ضخمة (فرقة برشوت وفرقة محمولة جوا من قوات الفيلق الجوي الحادي عشر، واشتملت الغارة الجوية الاولى عليها بـ ٤٩٣ طائرة). ورغم نجاح الالمان باحتلالها واجبارهم الانكليز على الانسحاب منها باتجاه مصر. الا انهم – أي الالمان – تكبدوا فيها خسائر جسيمة، بحيث تحاشوا طوال مدة الحرب من الاقدام على مثل هذه المغامرة. للتفاصيل انظر :

Bekker , Cajus : Raid Altitude 4000. Journal de guerre de la luftwaffe . (paris, 1966). PP. 191–196 , 227 .

(٥٨) Gegrelle, leon : Front de L'Est 1941 –1945 (paris, 1964). pp. . 2–4 .

وهناك اشارات إلى ان البرنامج الاستراتيجي الالماني لغزو الاتحاد السوفيتي كان قد وضع على بساط البحث والتخطيط منذ تموز ١٩٤٠. اما (رونوفن) فيذكر ان فكرة غزو روسيا تعود إلى أوائل أيلول ١٩٤٠ والمح إلى ان هذا القرار كان «عملا شخصياً» من هتلر. كما اوضح ان هتلر وضع في ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ التوجيهات رقم ٢١ لسير العمليات. على ان تبدأ التعبئة مباشرة لتكون منتهية في ١٥ آيار ١٩٤١. وان تاريخ الهجوم في ٢٢ حزيران ١٩٤١ لم يحدد نهائياً الا في اول ايار ١٩٤١. انظر :

رونوفن، بيير : المصدر نفسه، صص ٥٣١ – ٥٣٢ .

Dallin , Alexander : La Russie sous la Botte Nazie . (paris, 1970) P. 23 Macintyre, Donald : La Bataille de Mediterr-
.. ane . (Paris, 1964) pp. 102 –103 .

(٥٩) روندو، بيير : مستقبل الشرق الأوسط، ط١ ترجمه عن الفرنسية نجده هاجر وسعيد الغز. منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر (بيروت، ١٩٥٩) ص ١٣٤.

(٦٠) شرويدر، بيرند فيليب : المصدر نفسه، ص ٤٧ .

(٦١) Kirk, Georg : The middle east in the war 1939 – 1946 .

(٦٢) يوندار يفسكي : المصدر نفسه، ص ١٩٩ .

(London, New York , 1952) p. 78 .

(٦٣) يرى (رونوفن) : إلى ان هتلر منذ اواخر أيلول ١٩٤٠ قد ادرك ان الهجوم على بريطانيا والنزول فيها لا يعطي النائج التي ينتظرها منه، ولذا فانه قرر العدول عن مشروعه لان الاخفاق فيه خطير، غير ان الانكلز كانوا يخشون النزول في ذلك الحين وظلوا يخشونه حتى شهر حزيران ١٩٤١ أي إلى أن تورط هتلر في حرب روسيا . اما (برنداريفسكي) فيعطي رأيا تقريبيا إلى حد ما فيذكر : ان المانيا سعت منذ اواخر صيف ١٩٤٠ . عندما اتضح لديها اخفاق عملية « اسد البحر» –أي خطة انجاز الحرب في الغرب عن طريق الانزال في بريطانيا –لتعطي لسياستها زخما في الشرق الاوسط دون الالتفات إلى مطامع ايطاليا ، بهدف تسديد الضربة إلى بريطانيا من الطرف الاخر ، انظر : رونوفن ، بيير : المصدر نفسه ، ص ص ٥٢٣–٥٢٤. براندار يفسكي : المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

(٦٤) D.G.F.P. : Document No . 660 . (Adolf Hitler to Mussolini June 21, 1941). pp. 1066 – 1069. vol. II.

(٦٥) Jacbosen , Hans – Adolf : Op. cit., p. 132 .

(٦٦) Al - Haffou, Ghanim : Op . cit ., pp. 234 – 235

(٦٧) Paxton, Robert O. : Op. cit., P. 118.

(٦٨) Al–Haffou, Chanim : Op. cit., p. 191 .

كما يشير ران بما معناه : بعد وصول الدفعة الاولى من شحنة السلاح الى محطة تل كوجك طرق سمعه – اي ران – اشاعة مفادها ان الانكليز قد احيطوا علما بموضوع شحنها الى العراق . ثم يضيف مبينا الى ان احد الطائرات البريطانية الحربية القت باحدى قنابلها على بعد حوالي نصف كيلو متر من القطار الذي يحمل الاسلحة ، بعد مغادرته تل كوجك بمسافة قصيرة

D.G.F.P. : Document No. 165 ., p. 244., vol. xIII .

(٦٩) Archives des Affaires Etrangeres Francais . (Paris) Dossier CNF No . 39 . pp. 92 – 93 .

(٧٠) De Gaulle (General): M emoires de guerre .
L' Appel 1940–1942 . (paris , 1954). pp. 192 – 194 .
بهذا الصدد انظر كذلك :
Chamoun , Camille : Crise au moyen –Orient Editions Gallimard (Montrouge , 1963). P. 96 .

(٧١) Catroux (General): Dans la Bataille de Mediterranee 1940 – 1944 . Julliard Sequana. (Paris , 1949) .pp. 105–106 115 – 116 .
ومن الجدير بالذكر ، هناك من يلاحظ : ان استعجال الجنرال كاترو للانكليز بمهاجمة السلطة الفرنسية الفيشية في سوريا ولبنان ، كان بايعاز من الجنرال ديكول . انظر :
Isorni , Jaques : Op. cit ., p. 279 .

(٧٢) London , Geo: op. cit., pp. 210 – 211 . D. G.F.P. : Document No . 165 . pp. 245 – 264 , Vol. XIII .

(٧٣) ويليه ، فرنان : الاسس التاريخية لمشكلات الشرق الاوسط . ط١ ، ترجمة نجدة هاجر وطارق شهاب . منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر (بيروت – لبنان ١٩٦٠) ، ص ١٢٣ .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ . انظر كذلك :
Archives des Affaires Etrangeres Franfais (Paris). Dossier CNF No . 39. p. 109 .

(٧٥) Op. cit., pp. 109 –111 . D.G.F.P. : Document No. 165., pp. 253, 264 .

(٧٦) Op. cit., p. 265 .

(٧٧) Edith and E.F. penrose : Iraq International Relations . National Development : (London, 1975) p. 107 .

(٧٨) محيي الدين ، جهاد مجيد : العراق والسياسة العربية ١٩٤١ – ١٩٥٨ .

مطبعة الرشاد (بغداد ، ١٩٨٠) ص ص ٥١ – ٥٦ . انظر كذلك : حميدي ، جعفر عباس : المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

(٧٩) فرح ، الياس : الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٧٥) ص ٣٣ .

(٨٠) نقصد بذلك ، ومن سياق العبارة ، ثورة حزيران ١٩١٦ في الحجاز وتحالف الشريف حسين بن علي مع بريطانيا بشكل خاص والحلفاء بصورة عامة ضد الدولة العثمانية على أمل تشكيل مملكة عربية تضم المشرق العربي .



التعبير الفني عند الطفل وكيفية توجيهه

فخرية جميل الطائي

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

الفصل الاول

التعبير الفني عند الطفل وكيفية توجيهـــه

اهمية البحث :

تتجلى اهمية البحث في مقدار حب الطفل للعب بالأشياء الملونة الجذابة من لعب وادوات ومواد وكتب ومجلات واقلام وغير ذلك، وحب الطفل للعبه بالقلم يبدأ منذ سن مبكرة جدا عندما يستطيع مسك القلم بيده فيمسكه بقبضته كما يمسك بالخنجر ويبدأ بالتخطيط والشخبطة فيه غير مهتم بما يتركه من اثر على الجدران او الارض او الكتب وغير ذلك ......،

ومتعته في رؤية الآثار التي تتركها الاقلام او الادوات التي يخطط بها كمتعته عندما يلعب بالماء او الرمل او بما يتوفر لديه من لعب واشياء اخرى هذا ومع ان الخطوط التي يسطرها في بداية حياته هي لعب ومتعة ولكنها في الوقت نفسه ومع مرور الزمن هي تعبير عن ذاته واحاسيسه وتنفيس عن رغباته وطاقاته الانفعالية، وكما يعتمد الطفل على الاصوات والالفاظ ليبلغ ما عنده لمن حوله فانه يستعمل الخطوط والالوان لينقل الينا كثيرا من المشاعر والمعاني التي لايعرف كيف يعبر عنها بالالفاظ ولذلك فقد استخدم كثير من علماء النفس طريقة التعبير الفني للطفل للكشف عن مكنونات نفسه وما يعاني من صراعات. كما استخدم التعبير الفني للتنفيس عن هذه الصراعات ولعلاجها او للتخفيف منها .

ولكن مما يؤسف له ان هذا النوع من التعبير لدى الطفل لايلاقي التشجيع من الكبار لكي ينمو نموا طبيعيا كما تنمو لغة الطفل . بل ويجابه احيانا بالسخرية والاستنكار . واذا استطاع الاهل والمربون تشجيع الطفل لكي ينمي لغته المصورة فان اتجاها جديدا للنمو والارتقاء لابد ان يتفتح امامه

وتكون رسوم الاطفال نافذة يطل منها الاهل والمربون على عقلية الطفل واحاسيسه وانفعالاته .

هذا ولما كان الطفل في مرحلة الحضانة ورياض الاطفال غير قادر على التعبير عن نفسه بالكتابة وكثيرا مايمنعه الخوف والخجل من الكلام للتعبير عن حالته ، لذا فان التعبير بالخطوط والالوان يكون خير منفذ للتعبير والتنفيس لدى الطفل سيما ونحن نعرف مدى اهمية مرحلة الطفولة المبكرة في صياغة وارساء السمات الاساسية للشخصية التي سيكون عليها الطفل في المستقبل لذلك فان الاهتمام بالتعبير الفنى وكيفية توجيه الاطفال ورعايتهم خلال التعبير عن انفسهم بالخطوط والالوان والاشكال يكون من الاهمية بمكان ، وعلى العكس من ذلك فان عدم الاهتمام بالتعبير الفني للطفل يؤثر تأثيرا سلبيا على الطفل وعلى تفتح قابلياته وقدراته الخاصة اذ يعزف كثير من الاطفال عن التعبير عن انفسهم عن طريق المواد الفنية حتى ولو كانت عندهم صفات ابداعية موروثة مما يؤثر على مستقبل حياتهم فيما بعد .

هدف البحث :

يهدف البحث الى الاجابة على الاسئلة الآتية : ـ

١ ـ كيف يعبر الطفل عن نفسه تعبيراً فنياً وما اهمية هذا التعبير ؟

٢ ـ كيف نستطيع ان نرعى التعبير الفنى عند الطفل وكيف نوجهه لكي يبلغ اعلى مستوى من النضج والاتقان والابداع .

حدود البحث :

يقتصر البحث على رعاية التعبير الفني لدى الطفل في مرحلة الحضانة ورياض الاطفال والمرحلة الاولية من الدراسة الابتدائية ، وبعبارة اخرى، يقتصر على مرحلة الطفولة المبكرة بالدرجة الاولى ثم الطفولة المتوسطة .

تحديد المصطلحات :

١ ــ التعبير الفني ــ ويقصد به في هذا البحث الوسيلة التى يعبر بها الطفل عن نفسه واحاسيسه وافكاره وينقل الينا مابداخله بواسطة الرسم والتلوين بالاقلام والاصابع والفرش والاوراق وبمواد اخرى منظورة وملموسة .

٢ ــ المربية ــ هي الشخص الذي يقوم بتربية وتعليم الطفل ويشرف على مختلف أوجه نشاطه في دور الحضانة ورياض الاطفال ومرحلة الدراسة الاولية وتشمل مربية الاطفال في الحضانة والمعلمة في الروضة والمدرسة الابتدائية .

٣ ــ دور الحضانة ــ وهي مؤسسات تربوية اجتماعية تقبل الاطفال من عمر شهر واحد الى ٤ سنوات ويكون الطفل فيها تحت رعاية واشراف توجيه مربيات مؤهلات يشبعن حاجات الطفل عن طريق تهيئة خبرات يومية وفق برامج وخطط تربوية علمية منظمة ترعى نمو الطفل الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي .

٤ ــ رياض الاطفال ــ هي مدارس للاطفال الصغار من عمر ٤ الى ٦ سنوات يتعلم فيها الاطفال تحت اشراف معلمات مؤهلات تأهيلا علميا تربويا خاصا ، ولهذه المدارس مناهج وبرامج منظمة وفق اسس تربوية علمية ومخططة من جانب اختصاصيين بهذه المرحلة من العمر .

٥ ــ المرحلة الاولية ــ وهي المرحلة الاولى من الدراسة الابتدائية وتشمل الصف الأول والثاني والثالث الابتدائي.

الفصل الثاني

١ ـ التعبير الفني والعملية الفنية في مرحلة الطفولة

التعبير الفني :

لقد استخدم الانسان الرسم قبل الكتابة كما دلت الصور والنقوش الموجودة في داخل الكهوف والمعابد وجدران الابنية الاثرية التي تعود الى الحضارات القديمة ، كما ان اول الكتابات التي ظهرت كانت صورية ، ورغبة الانسان في التعبير عن نفسه رغبة فطرية ولهذا فاننا نجد الرغبة في التعبير بواسطة المواد الفنية ظاهرة موجودة عند كل طفل ولوان الاطفال يختلفون في وقت ظهور هذه الرغبة بالنسبة الى مستويات نموهم ورغباتهم . ويؤكد بعض الباحثين بأن هناك غريزة ابداع متأصلة تأصلا عميقا في الطفل وان الاطفال يمكن ان ينتجوا اعمالا ابتكارية بدون مشجعات اضافية اذا تحرروا من اي تدخل في نموهم أو بعبارة اخرى اذا ما نموا نمواً حراً دون حواجز او عراقيل كما يعتقد بأن التعبير الابداعي هو صفة موروثة (٨ص ١٣) .

ولكن سواء اكان الابداع موروثا أو أن بعضه يأتي نتيجة للتعليم ، فالمهم هو ان نعرف بان هناك رغبة قوية عند الاطفال للتعبير عن انفسهم وان كل طفل يحصل على رضا نفس من كفاءة هذا التعبير ، واذا ترك الطفل حرا ليستجيب تلقائيا وابداعيا وليس قسريا فليس هناك شيء لايستطيع ان يفعله هذا الطفل لأنه غير عارف بانه لايستطيع ان يفعل ذلك الشيء (٩ص ٤٦٠).

هذا ويكتسب الاطفال القيم والمعايير والمفاهيم من بيئتهم وتنعكس في تعابيرهم ورسومهم وطريقة المربية أو الوالدين مهمة جدا في ابراز تلك القيم التلقائية .

وتتولد الطريقة الجيدة في ابراز هذه القيم التلقائية في اثناء النشاط الفني وتكون مؤسسة على السيطرة على الوسائل والخامات والعدد والاندماج في

الموضوع فالمربية الناجحة تستطيع تحقيق الهدف من خلال العمل مع الاطفال ومشاركتهم في انفعالاتهم وتشجيعهم اثناء العمل ومنحهم الثقة الذاتية وازالة الخوف من نفوسهم لان خوف الطفل من ان تعبيره سيصبح عرضة لسخرية وتهكم الكبار يمنعه من ان يعبر عما يريد وان يصبح فنانا حقيقيا في المستقبل فاذا استطعنا اقتلاع الخوف من الطفل فاننا سنساعده على الانطلاق هذا وتوجد عوامل كثيرة تمنع الطفل من التعبير عن نفسه بصورة طبيعية اضافة الى ما ذكر اعلاه نلخصها كالآتي :

١ ــ عدم توفر الفرص للطفل للعمل مع المواد والوسائل الفنية .

٢ ــ تقليد النماذج أو الأنماط .

٣ ــ الاستنساخ والطبع .

٤ ــ التعليمات الصارمة وغير المرنة في منهج التربية الفنية او الصادرة من المربية المشرفة على العملية الفنية .

٥ ــ النقص في الدافعية والتوجيه (٩ ص ٤٦٠).

هذا ومن حق جميع الاطفال وليس فقط الاطفال الموهوبين ، أن يمارسوا جميع الفعاليات التي يتضمنها منهج التربية الفنية في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية والثانوية ، من تلوين ورسم بالمواد المختلفة بالاقلام الشمعية والطباشير أو الاصباغ على ورق ناشف أو رطب باشكاله المختلفة (جرائد ورق كارتون أو ورق اعتيادي ..) وعمل النماذج والاشكال من العجائن المختلفة واستعمال الادوات والمواد المختلفة لغرض التعبير المجسم وانتاج اشياء ذات ابعاد ثلاثة.

العملية الفنية :

تبدأ العملية الفنية مع الطفل الذي عنده خبرة أو تجربة ولديه الرغبة للافصاح والتعبير عن هذه الخبرة كولادة طفل في العائلة أو حفلة عيد ميلاد للطفل نفسه أو زيارة لبعض الاماكن واية وسيلة يستعملها الطفل للتعبير تعد نوعاً من تصرف أو سلوك الطفل ولذلك نرى الاطفال يختلفون في طرق تعبيرهم عن انفسهم نتيجة وجود الفروق الفردية بينهم ومهما اختلفت وسائل التعبير هذه فقد

اثبتت البحوث والاحصائيات على ان هذه التعابير سواء اكانت كلامية ، كتابية ، موسيقية ، أو بواسطة الرسم فهي تعبير خارجي عن حياة الطفل النفسية والفكرية والحسية ، تعبير عن فرحه وغضبه ، عن مخاوفه ورغباته ، عن آماله وفشله أو خيبته ، تعبير عن افكاره واحاسيسه وبصورة عامة فان الباحثين يتفقون على ان الطفل يرسم مايشعر به ويعرفه لا ما يراه لان الطفل لايعتمد في تعبيره الفني على خبرته البصرية وحدها وانما يعتمد على خبراته جميعها من بصرية وسمعية ولمسية وشمية (٨ص ١٢).

هذا وقد اجريت بعض التجارب على الاطفال في هذا الميدان وكانت النتيجة ان الاطفال قد رسموا ما وضع امامهم كما يعرفون الشيء لا كما يرونه باعينهم حتى بعد ان لفتت انظارهم الى صفات الشيء الموضوع امامهم وهذا هو اسلوب الاطفال الخاص بهم وبطبيعتهم (٣ص ٥٢ ـ ٥٣). هذا وتحتوي العملية الفنية على عاملين مهمين هما :ـ

١ ـ العامل العقلي أو الفكري .

٢ ـ العامل الانفعالي (٨ ص ١٢).

وهذان العاملان متداخلان ولا يمكن فصلهما لكن وللسهولة والايضاح ندرجهما كالآتي :ـ

١ ـ العامل العقلي او الفكري وهو الذي يظهر على العناصر الشكلية لتعبير الطفل وهي الاشياء التي يعرفها الطفل او يكتشفها عندما يعبر عن نفسه خلال الوسائل الفنية وبعبارة اخرى الادوات التقنية او الاسلوب الذي يستخدمه الطفل في التعبير عن نفسه ومثال على ذلك عندما يقرر الطفل استعمال الفرشاة ويكرر استعماله لها فهو يعبر عن نفسه بواسطة مايعرفه، او عندما يتعمد الطفل استعمال لون خاص في رسمه فهذا توصل عقلي لمسألته الفنية.

٢ ـ العامل الانفعالي ويظهر على الطفل باحاسيسه وبسرعة ادراكه فانفعالات الطفل تحدد اختياره للون فمثلا يستعمل اللون المناسب حسب احساسه بأن

هذا اللون هو اللون المناسب والصحيح وليس حسب تفكيره اوحسب ما يعرف ولذلك نرى طفلا يرسم التفاحة بلون اسود ويرسم الجمل مثلا باللون الاحمر كذلك تظهر انفعالات الطفل في بعض المواضيع الخاصة عند الاطفال كالزيادة او النقصان في الصورة كان يرسم احد الاطفال صورة ابيه بدون آذان وعندما تسأله المربية عن السبب يقول لانني لا استمع لما يقوله لي ابي فلماذا ارسم له اذنين؟ (٨ص١٣)او الطفل الذي عاقبه ابوه وبعد فترة نراه يرسم والده وله يدان كبيرتان جدا دلالة على انه قد ضرب بهاتين اليدين، هذا ويعتمد الطفل على الذاتية في التعبير لذلك فهو لايراعي النسب بين الاشياء كأن يرسم الشخص اكبر من البيت الذي يقف بجواره او ان يرسم الطير أكبر من الشجرة وهكذا.. فأدراك الطفل للنسب بين الاشياء ادراك ذاتي ولهذا فمن الضروري ان ننتبه للعامل الذاتي او الانفعالي في رسم الاطفال فقد رسمت احدى الاطفال في روضة الجامعة دائرة كبيرة وفي داخلها فتحة ومدت من الدائرة خطين مستقيمين وعندما سألت المربية الطفلة عن رسمها هذا قالت هذه ماما عندما تصرخ علي وتصيح هكذا يصبح شكلها وقامت بتمثيل صوتها ومنظرها ، هكذا نرى ان الطفلة قد اكدت على الفم في وجه الام لان الصراخ يخرج منه واكدت على الذراعين لان امها تفتح ذراعيها عندما تصرخ وهذا يظهر لنا شعور الطفلة اتجاه هذا الموقف فاذا اردنا ان نساعد الطفل لان يصبح فنانا في المستقبل فسحنا له المجال وتركنا له الحرية في أن يعبر عن احاسيسه وافكاره ويرسم بمحض ارادته دون أن نطلب منه ذلك وبالتالي فان انتاجه سيكون فنا محضا وليس عملا مطلوب منه اداؤه .

٢ ـ مراحل التعبير الفني عند الطفل وكيفية توجيهه

يتأثر التعبير الفني عند الاطفال بمراحل النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي اذ ان لمراحل النمو ميزات وصفات أساسية معينة تجعل كل مرحلة تختلف عن سابقتها في كثير من النواحي ولو انها امتداد لما قبلها كما

ان من الصعوبة بمكان فصل مراحل النمو من بعضها لان النمو عملية تغير مستمرة متداخلة متصلة وليس هناك فاصل بين مرحلة واخرى ولكن علماء النفس والمربين قد قسموا النمو الى مراحل لسهولة البحث ولوجود صفات عامة ظاهرة تميز كل مرحلة عمرية عن غيرها ولذلك فأن مميزات فنون الأطفال تتغير وتتطور بالنسبة لاعمارهم كما ان تعبيرهم الفني ينمو نموا طبيعيا ويمر بمراحل معينة لكل مرحلة طابع خاص يشترك فيه جميع اطفال العالم رغم اختلاف سلالاتهم وجنسهم وبيئاتهم اذ يشتركون في المميزات التي تظهر في طريقة تعبيرهم حسب هذه المراحل .

هذا ولقد قسم علماء النفس والباحثون في التربية الفنية هذه المراحل واختلفوا بعض الشيء في تسمية المرحلة او السن التي تبدأ بها علما بأن تحديد السن لهذه المرحلة ليس بالتحديد القاطع بين مرحلة واخرى لان المراحل كما قلنا متداخلة ومن الصعب معرفة بداية كل مرحلة ونهايتها على وجه الدقة كما ان الاطفال في العمر نفسه قد يسبقون اقرانهم او يتأخرون عنهم في تعبيرهم الفني ودخولهم المرحلة الفنية الجديدة ولكن يمكننا ان نعطي تقسيما عاما لهذه المراحل وكالآتي : — (٨ص١٦ ، ٧ص ١٩) .

١ — مرحلة ماقبل التخطيط من سنة الى سنتين :

ونستطيع أن نقول ان هذه المرحلة تبدأ قبل السنة من العمر عند بعض الاطفال وبصورة عامة فأنها تبدأ عندما يستطيع الطفل من مسك القلم واللعب به وترك آثار القلم على الورقة او الاشياء الاخرى بصورة غير منتظمة لانه لايمتلك القدرة العضلية الكافية في يده والتي تمكنه من السيطرة على نشاطه الحركي ولكن باستمرار الوقت وبعد بضع شهور يكتشف الطفل وجود علاقة بين حركات يده المشوشة وبين الآثار التي تتركها على الورقة فتصبح بعضها مقصودة بعد ان كانت العملية لعب خالص . والاطفال في هذا السن يعتبرون

جدران المنزل وأثاثه وكل سطح تقع اعينهم عليه كصفحة الورق فيملأون هذه السطوح بتخطيطاتهم ويطربون حين يشاهدون آثار اقلامهم واضحة على هذه السطوح ولهذه التخطيطات صلة ببداية التعبير في بعض نواحيه كالاصوات التي يحدثها الطفل في مرحلة المناغاة فانه يمر بمرحلة اللعب بالاصوات ويتلذذ الطفل حين يكرر بعض المقاطع الصوتية التي تساعده في الاتصال بالعالم الخارجي كذلك نرى الطفل يستمتع عندما يمسك قلما ويحرك به يمينا وشمالا الى ان يحدث تخطيطا من غير قصد او وعي بأن يسيطر على آثاره التي يحدثها على الورقة لأن التخطيط في هذه المرحلة هو نتيجة طاقة غير مقصودة أو موجهة كما قلنا هذا ويجب على المربي وكل من يشرف على الطفل ان يوفر الخامات والادوات البسيطة الملائمة للطفل كالورق والطباشير واقلام الباستيل الكبيرة لكي يستعملها الطفل تحت ارشاد الكبير ليلعب بها وليعبر عن نفسه بطريقة تعتبر اعداد للمراحل التي تليها .

٢ ــ مرحلة التخطيط او الشخبطة

وتبدأ من سنتين الى ٤ سنوات او ٥ سنوات حسب رأي بعض الباحثين كما ان بعض الباحثين قد اعتبر مرحلة ما قبل التخطيط جزء من مرحلة التخطيط وعلى كل حال فان قدرة الاطفال في هذه المرحلة على الامساك بالقلم للتخطيط بصورة منتظمة اكثر من السابق ولكن الطفل لازال في بداية المرحلة لايقصد عن وعي ان يسيطر على آثاره التي يحدثها على الورقة لذلك نرى خطوطه تتجه كل الاتجاهات فتتراكم احيانا بعضها فوق البعض الآخر ويدرك فيها الكبير المتخصص انواعا من النظام الايقاعي ولكن الطفل لايعني بهذا النظام هذا وكلما نمت عضلات الطفل وظهر توافق بين بعضها والبعض الآخر يأخذ اتجاه التخطيط وجهـــة ايجابية مقصودة ومنظمة ويكتشف الطفل ان هناك صلة بين الآثار التي يحدثها على الورقة وبين حركات يده فيبدأ بالتالي بمحاولة السيطرة على اتجاه يده لينتج تخطيطات مقصودة فيزداد سروره كلما زاول هذه العملية ووجد ذا نتائج اكثر تعقيدا كما يزداد سروره عندما يتتبع آثار

الخطوط التي يحدثها وهي تتجه الاتجاه الذي يريده ولذلك سمى كثير من العلماء هذه التخطيطات بأنها تخطيطات مسيطر عليها اذ يمكن ان تتجه الخطوط لاتجاهات أفقية أو رأسية أو مائلة أو تأخذ شكلا دائرياً هذا ويحاول الطفل تكرار التخطيط لاشباع متعته وشعوره بالقدرة على التحكم والسيطرة لوجود علاقة بين تخطيطات الطفل بحركاته واتجاهات العين المختلفة . ولكن ادراك الطفل للاشكال لازال ناقصاً كما أن ادراكه للون يكون إدراكاً ذاتياً وناقصاً. هذا وفي حدود السنة الثالثة والنصف من العمر تقريباً ومن تطوير الشخبطة البندولية التي تنتج عن تحريك الذراع من اليمين الى اليسار تخرج لنا مجموعة من الخطوط الدائرية المتداخلة المتكررة وتعتبر التخطيطات أو الشخبطة البندولية أساساً للرسم. كما وتعتبر النواة التي ينمو منها الفن الخطي.

هذا وتتخذ الشخبطة بعد ذلك أشكالا حلزونية أو دائرية وبعد أن يسيطر الطفل على حركات يده يبتكر تخطيطات جديدة منكسرة أو مستقيمة أو حلزونية أو زوايا .. كما يرسم دوائر وأشكالا رباعية بسيطة ولكن لا يحاول جمعها معاً في شكل واحد ثم يبدأ بمحاولة تقليد حركات الكبار في أثناء كتابتهم أو رسمهم ولكن ادراكه للاشكال لازال ناقصاً كذلك ادراكه للون فهو ذاتي وناقص .

هذا وتظهر رسوم الاطفال للكبار في هذه المرحلة على شكل تخطيطات أو (شخابيط) ولكنها تستحق التشجيع من الكبار وعليهم توفير الوسائل التي تكفل للطفل ممارسة هذه العملية بنجاح وتيسيرها له ذلك لان الآثار التي يحدثها الطفل في الرسم وانبعاثها كنتيجة مقصودة لتوجيه عضلاته وممارستها تعتبر من أهم ما يحققه الطفل في هذه الفترة وهي أعلى درجة من الاتجاهات غير المقصودة التي كان يمارسها الطفل في البداية بطريقة عشوائية. (٧ص ٢٠) هذا ويمثل هذا التخطيط نوعاً من اللعب الخيالي بالنسبة للطفل اذ ينتج هذا اللعب عادة عن تخيل الخطوط التي يضعها الطفل فوق الورق وبين الاجسام التي يراها الطفل في العالم الخارجي أو بعبارة أخرى ان الطفل يكتشف شبهاً

بين خطوطه وبعض الصور التي يراها لذلك نرى الطفل يسرد لنا قصصاً حول تخطيطاته اذ يقول هذه ماما وهذا بابا دون ان تكون علاقة واضحة بين التخطيطات والتسمية لان الطفل هنا لا يعتمد في تخطيطاته على حركاته الجسمانية فقط بل يعتمد أيضاً على تفكيره وخياله الذي تتأثر به حركاته فهو يستطيع ان يتخيل صوراً يتحدث عنها ، والكبير عندما ينظر عادة الى تخطيط الطفل في هذه المرحلة لا يستطيع ان يتعرف على عناصر هذا التخطيط ولكن يجب الا يحس الطفل نتيجة استجابة الكبير ان تخطيطاته غير مفهومة اذ من الممكن ان يطلب الكبير من الطفل ان يتحدث عن تخطيطاته وفي هذه الحالة يتحدث الطفل بكل طلاقة وحرية وحديثه هذا سواء لمربيته أو معلمته أو والديه يعتبر خبرة حية بالنسبة له.

هذه الخبرة تجعله يشعر بالفخر بعمله وتبادل الحديث حول تخطيطاته هذه يساعد على الاستمرار والنمو في اللعب بخامات الرسم وتحقيق نتائج حية . هذا وينتقل الطفل تدريجيا من التخطيط الى ربط هذا التخطيط بقصص من خياله وبخاصة عندما يمر في خبرات حية ، اذ قد يلمح الطفل خبرات جديدة تثيره في مسكنه او في الحديقة او في الحضانة ويحس بضرورة نقل هذه الخبرات الى الكبار ليشاركوه فيها ولذلك تبدأ عملية التخطيط ويهتم الطفل برسم الانسان اكثر من اي شيء آخر لاهتمامه به وتواجده في محيطه ثم يلي هذا الاهتمام رسم الحيوان ثم الاشياء والاشكال الاخرى حسب اهميتها بالنسبة له لان الطفل ذاتي المركز في هذه المرحلة من العمر اذ يفهم الاشياء حسب فائدتها له واحتكاكه بها (٦ ص ١٥٢) وبصورة عامة فإن الطفل يبدأ برسم رأس الإنسان لأنه مألوف لديه اذ اول ما يلاحظ الطفل وجه امه وتعبيراتها في العين والفم فيرسم دائرة ويضع داخلها نقطتين للعين هذا وكلما كبر الطفل يبدأ برسم تفصيلات اكثر فمثلا يضع خطين للذراع والساق ويرسم الذراع أولا لانه يستعمل ذراعه ويشعر بها دائما هذا وربما يحذف الطفل من الصورة او يزيد وكل هذا غير مهم في هذه المرحلة لان

الفكرة التي يعبر عنها هي المهمة اذ ربما يرسم اناسا بل اشياء مختلفة وربما يملأ ورقته بالخطوط والالوان ليرسم اشكالا جميلة حسب خياله ورغبته في التعبير ، هذا وتشمل هذه المرحلة اطفال الحضانة وبعض اطفال رياض الاطفال .

موقف المربية والخامات المستعملة :

من واجب المربية هنا عدم التدخل في اسلوب الطفل الخاص او الفكرة التي يعبر عنها ولكن من الممكن تقديم بعض الاقتراحات ومن ضمنها بعض المواضيع التي يحبها الطفل ، وتشجيعه على التعبير بطريقته الخاصة ومناقشته احيانا او عند طلب المساعدة كأن يقول الطفل انني ارسم سيارة فتقول له المربية كم عدد عجلات السيارة ؟

والقصد من السؤال يكون لمساعدة الطفل الى الوصول لأقصى ما يمكن ان يحققه من مستوى وليس لمحاكاة الطبيعة .

هذا ولتعبير الطفل المجسم في هذه المرحلة اهمية خاصة اذ ان نشاط الطفل في إنتاج اشياء ذات ابعاد ثلاثة جديرة بالاعتبار فخامة الصلصال او البلاستين يشكلها الاطفال حسب تفكيرهم فيعملون منها طيرا او صحنا او حية او حبلا او غير ذلك . كذلك يستخدم الاطفال الكتل الخشبية ذات الاحجام والاشكال المختلفة ليخلقوا منها اشكالا بنائية متنوعة ويتعلمون منها الخطوط المستقيمة والافقية والرأسية ويدركون الثقل والخفة والتشابه والتنوع والاستقرار والاتزان وغير ذلك كما انهم يعملون بالالوان فيتعلمون تمييز الالوان البراقة من غيرها فيعرفون الاحمر والاصفر والازرق ثم الالوان الثانوية كالأخضر والبرتقالي . كذلك يستفيد الاطفال كثيرا عند معالجتهم الخامات المختلفة كالورق الخشن والناعم والفاتح والقاتم وانواع الاقمشة اللينة والخشنة ويستنتجون صفات هذه الوسائل . فهذا القماش ناعم وهذا الحجر ثقيل وصلب وهذا الخشب جاف ويمكن ان يتحطم ، ويكتشف الطفل بمعالجته لهذه الوسائل والخامات خبرات تنفعه كثيرا في المستقبل .

٣ ـ مرحلة البحث عن الرموز :

وهي المرحلة الممتدة من ٤ ـ ٦ سنوات اي مرحلة اطفال الروضة . يكون الطفل نشيطا ويندمج مع عمله خلال هذه المرحلة وتصبح تعبيراته معتمدة نوعا ما على التفكير المستمد من الواقع ، فنراه يختار رموزه التي تعبر عن عمله من بين العديد من الصور والخيالات التي تكون عالمه المرئي المحيطة به ويضع هذه الرموز على صفحة الورقة تبعا لاهميتها له وبالرغم من ادراك الطفل ان للانسان انفا وفما واسناناً . فهو لايرسم منها الا الاجزاء التي لها نشاط هام عنده والتي توضح فكرته وبعبارة اخرى لايهتم الطفل هنا بالشكل المرئي بمظهره الكلي وإنما يهتم بالتعبير عن فكرته لذلك ايضا فهو لايهتم بالنسب ويحذف الكثير من التفاصيل لانه كالفنان البالغ يعبر عما يراه بالدرجة التي يتفهم بها مايراه ويجده محققا لأهدافه التعبيرية ، هذا وتتغير رموز الاطفال ورسومهم ومدلولاتهم التعبيرية كلما تغيرت مدركاتهم عن العالم الخارجي ووصلوا الى درجة اعلى في النضج وعندما تصبح نظرة الطفل للعالم موضوعية ، يراعي النسب في رسمه وعندما يتجه الطفل الى التحليل تزداد التفاصيل في رسومه ، هذا وطريقة الطفل في التعبير عما يفهمه ويفكر فيه تكون حتى في الحالات التي ينقل الطفل عن عمد جسما خارجيا فهو يختار من هذا الجسم بعض المواصفات التي تثيره وتشغل فكره لذلك نراه لايتقيد بتفاصيل هذا الجسم بل يحذف بعضها او يبالغ في بعضها او يهملها كل ذلك يجعل تعبيره مرآة صادقة تعكس فكرته والطفل في هذه العملية يلخص خبرته في الحياة في مجموعة من الرموز والاشكال البسيطة التي ترتبط بعالمه الملموس بما فيه من اشخاص واشياء فالاشخاص الذين يرسمهم يرتبطون بـه فهم امـه او ابيه او اخوته فيرسم دائرة تمثل الرأس ويضع فيها احيانا تفاصيل العين والانف والفم والاذن واحيانا يهمل هذه التفاصيل ويضع خطوطا للأذرع والارجل وبدون كفوف واقدام .

هذا ويكون رسم الطفل في هذه المرحلة عرضة لكثير من التغيرات

والاضافة والحذف ويتوقف ذلك على الموقف او المثير الذي يؤثر في الطفل وغالبا ما يرسم الطفل الاشخاص بوجه كامل او بوجه جانبي كما انه يرسم الجسم بحجم الرأس هذا ولكل طفل طريقته في التعبير واسلوبه الخاص سواء في اختياره للموضوع الذي يعبر عنه او لطريقة ادائه للخطوط والالوان وهذا انعكاس لتركيبه الجسمي وتكوين شخصيته وتعبير عن تفكيره ، فقد رسمت طفلة في الروضة ثلاثة مربعات الواحد اكبر من الاخر معبرة عن بيتها وعندما سألتها عن رسمها قالت هذه الغرفة الكبيرة لماما والصغيرة لي والاخرى لابي وعند مراجعة السجل التراكمي للطفلة وجدت ان امها مسيطرة على البيت وبيدها مقاليد الامور فعبرت الطفلة عن هذه الحالة باعطاء الام مساحة اكبر في الرسم .

هذا والطفل في هذه المرحلة من العمر اي بين ٤–٦ سنوات لاتعنيه العلاقة المكانية بين الاشياء فهو لايربط الاناء بالمنضدة ولا بالسيارة فوق الشارع بقدر ما يعنيه وجود هذه الاشياء على الورقة لانه يعتمد على المعرفة وليس على الرؤية البصرية وهو لايحس بحاجة الى ايضاح الارضية التي تظهر عليها الاشياء فيرسم الاشخاص بلا ارضية وفي وسط الصفحة احيانا وقد يرسم احيانا كل العناصر فوق ارضية مكونة من خط واحد بينما في رسم آخر يبعثر العناصر فوق الصفحة كلها .

ومن مظاهر هذه المرحلة عدم استقرار الطفل على رمز محدود اذ قد يتغير رسمه سريعا ففي اثناء الرسم ربما تاتيه فكرة جديدة فيبدأ بتعديلات على رسومه ويغير ما اراد ان يرسمه فاذا كان يرسم وجه انسان مثلا وقام برسم الدائرة والعين وطرأت له فكرة رسم فنجان نراه يغير الرسم بوضع عروة للدائرة فتصبح فنجانا وهكذا.. او يرسم مستطيلا ليعبر برسمه عن منزل او سيارة ثم يقلبه الى كلب اوحصان ،فالطفل هنا في حالة تغير وبالتالي فإن رموزه تتغير .

موقف المربية والمواد المستعملة :

على المربية عدم التدخل في رسم الطفل بل تهيئة الخبرات المثيرة للطفل، والمواقف التي تساعد على جمال التعبير ومثال على ذلك اخذ الاطفال في جولات في المتنزهات وحدائق الحيوانات والكلام مع الاطفال عما شاهدوه في جولاتهم او تربية بعض الحيوانات في الروضة تساعد الطفل الذي يرغب في رسم بعض الحيوانات فعند لمسه للارنب مثلا ولعبه به والكلام عنه كل ذلك يساعد هذا الطفل على التعبير عن رغبته في الرسم ، هذا ومن المهم ان تكون الخبرات لها علاقة بذات الطفل وما يرتبط بها .

وكلما نضج الطفـــل ازدادت التفاصيـــل في رسمه وتعددت العناصر وسيطر على مساحة الصفحة ورسم بشكل مكبر ويستمر في ذلك حتى يصل الى مرحلة الكمال ولكن يجب الا ننسى انه بالرغم من مرور جميع الاطفال بهذه المراحل فهناك فروق فردية بين الاطفال في المرحلة الواحدة لذلك نرى رسومهم تختلف باختلاف مهاراتهم ودرجة نضجهم .

ويمر نمو الطفل في تشكيلاته للاجسام بالصلصال أو البلاستسين في مرحلة موازية لنموه في الرسم فبعض هذه التشكيلات تكون على شكل الحبال وتعبر عن فكرة الديدان أو الثعابين كما ان الكتلة الكروية الشكل توحي برأس انسان وتؤدي هذه الفكرة عادة بوضع تفاصيل العين والفم والاذن.. هذا وقد ينتج الاطفال أشكالا أخرى تعبر عن بعض اللعب كالدمية والاثاث والمقاعد لهذه الدمية ويكون موقف المربية من الطفل كموقفها من رسومه اذ تهيىء له الخبرة الفنية والمواد الملائمة كالصلصال وعجين الصمون والطين الطبيعي اما للرسم فأصباغ البوستر السائلة والفرش المتوسطة والكبيرة والرسم بها مباشرة خير وسيلة للطفل للتعبير بطلاقة وحرية هذا ويجب أن يكون الحامل متناسباً مع طول الاطفال كذلك تستخدم الالوان الشمعية والطباشير والاوراق الكبيرة الحجم .

٤ — مرحلة الرموز من ٧ — ٩ سنوات :

يستقر الطفل في هذه المرحلة على بعض الاشكال التي يستخدمها للتعبير عن الاشخاص بعد مرحلة البحث عن الرموز ويقتنع الطفل بالرمز الذي يستخدمه ويكرره مرة بعد أخرى كما يضيف اليه بعض التفاصيل، وتتوضح الاشياء عند الطفل أكثر من السابق وتظهر في رسمه .

ويختار الطفل مواضيع عامة من محيطه كرسم منظر طبيعي وغالباً ما يرسم على الحافة العليا والسفلى من الورقة. فيرسم الارض كخط فوق حافة الورق ويرسم السماء كخط مواز لحافة الورقة العليا ويملأ الفراغ أحياناً بالاخضر دلالة على العشب، وغالباً ما تكون الشمس موجودة في الرسم .

وفي هذه المرحلة أيضاً تظهر صفة أخرى في رسم الطفل وهي اظهار باطن الشيء وظاهره وتسمى الشفافية فقد يرسم النهر مثلا ويرسم الاسماك داخل الماء أو عندما يرسم البيت يرسم داخل البيت الاشخاص والاثاث وغير ذلك. ذلك لان الطفل لا يعترف بالحقائق المرئية بقدر الحقائق الذهنية كما ان حقيقة الاشياء عند الطفل تتمثل في وجودها والرسم في هذه المرحلة لازال رمزاً للشيء وليس صورة حية له لكنه يصبح أكثر وضوحاً وتفصيلا. فالطفل مثلا يستخدم أحياناً رأساً وجسماً صغيراً ويضع اذرعاً مكونة خطوطاً مفردة وكذلك السيقان ولا يضع أصابع اليد أو القدم كما أنه لا يضع ملابس للشخص أو قد تظهر بعض التفاصيل كالاصابع والشعر و الاسنان وغير ذلك. وذلك حسب أهمية الشيء له كأن يرسم والدته كبيرة الحجم ويرسم أباه أصغر منها. هذا ونرى معظم الاطفال يرسمون وجه الانسان من الامام ولكن بعضهم قد يرسم انساناً بوجه جانبي. وغالباً ما يرسم الطفل أشكاله إما جالسة أو راكضة ويستخدم أشكالا شبه ثابتة لتمثيل الانسان.

٥ ــ مرحلة الانتقال من ٩ ــ ١٠ سنوات :

خلال هذه المرحلة يشعر الطفل كثيراً بنفسه وعماه والاشخاص الذين يرسمهم يكونون جامدي المظهر ولكنه يصبح أكثر شعوراً باظهار التفاصيل ولذا يفضل الطفل استعمال القلم، وتظهر صفة الكمال واظهار الحقيقة في الرسم عند الاطفال اذ يحاول الطفل ان يرسم الشيء مثل الحقيقة فيرسم السماء على مستوى الافق وليس كخط في أعلى الصفحة .

أما موضوع الرسم في هذا العمر فيختلف أيضاً اذ يرغب الاطفال في رسم اشياء معينة كرسم الحصان والسيارات .. كذلك يختلف الاطفال في استعمال المادة الفنية كالباستيل أو الاصباغ المائية او الاقلام .. كذلك تكون عنده الرغبة في العمل الجماعي كرسم لوحة مشتركة أو عمل هيكل سيارة.. هذا و لانريد ان ندخل بتفاصيل أكثر في هذه المرحلة لأنها خارجة عن مجال بحثنا ولكننا نود ان نقول قبل الانتهاء من موضوع مراحل النمو، ان الاطفال في مرحلة نمو معينة يكونون في مستويات مختلفة أحياناً لاسباب عديدة منها نفسية وانفعالية وعقلية وجسمية، لذا يجب على المربية ملاحظة ذلك والاهتمام بكل طفل على حدة اضافة الى الاهتمام بالاطفال كمجموعة واحدة .

٣ ــ (المفاهيم الاساسية للتعليم)

نستخلص مما مر ان تعبير الاطفال عن أنفسهم واحاسيسهم وافكارهم مهم جدا في العملية الفنية وهذا التعبير يختلف باختلاف مراحل النمو التى يمر بها الطفل كما انه يتأثر بالجو النفسي الذي يتوفر في مكان تواجد الطفل . فالاطفال يعبرون عن افكارهم ومشاعرهم بحرية وتلقائية متى ما وفرنا لهم جوا مريحا خاليا من القيود والشروط وراعينا مستويات نموهم وقدراتهم وميولهم ورغباتهم . ويعتقد الاختصاصيون في التربية

الفنية للاطفال انه من المهم والضروري للمربية فهم وتطبيق القواعد الاساسية في موضوع التربية الفنية لكي تستطيع مساعدة الاطفال في التعبير عن انفسهم وابراز تجاربهم الفنية ، وفي أدناه نلخص اهم القواعد او المفاهيم الاساسية وكالآتي : -(٨ ص ١٤) .

١ – توفير الجو المتسامح :

يجب ان يسود جو الصف او القاعة روح التسامح وذلك من خلال السماح للاطفال لان يعبروا عن جميع افكارهم واحاسيسهم الخاصة بهم بحرية تامة وان يفسح المجال لهم للتعبير عن هذه المشاعر بطريقتهم الخاصة لان للطفل طريقة خاصة به للتعبير عما يجول بخاطره وطريقته هذه تختلف كثيرا عن طريقة الكبار فاذا افسحنا المجال لهذا الطفل في ان يعبر عن مشاعره وافكاره بكل حرية وبدون تدخل استطاع حينئذ ان يعبر كما يريد وبالطريقة التي يرغب ، علما بأن الاطفال يختلفون فيما بينهم في القدرات والمهارات والملك فأن لكل طفل طريقة خاصة به يعبر بها عن نفسه بواسطة الكلام أو الرسم او عمل الاشياء اضافة الى المرحلة العمرية التي لها خصائصها المعينة ، لذلك كان من واجب المربية اعطاء كل طفل فرصة للتعبير عن آرائه ومشاعره كذلك فسح المجال له لاختيار واختبار واكتشاف مواد فنية متعددة كي يعمل الطفل بعد ذلك الى طريقة عمل خاصة به ولكي لايقلد غيره من الاطفال فتصبح العملية الفنية تقليدا وليس تعبيرا فنيا أصيلا .

هذا ومن الامور التي تؤثر كثيرا على جو الصف الحر او بتعبير آخر على حرية الاطفال داخل الصف ، وجهة نظر المربية وفكرتها ونبرة صوتها وتعابير وجهها وحركاتها والفاظها وتقبلها للاطفال واثارها لاعمالهم ... الخ .

وبصورة عامة نستطيع ان نقول ان جو الصف يتأثر كثيرا بروح التقديم

او الطريقة اي طريقة تقديم المربية لمادة التربية الفنية فاذا كانت المربية متجهمة وذات نبرة عالية في الكلام او عصبية المزاج فأن الطفل يتأثر ويخاف من هذه المظاهر فلايستطيع ان يعبر عن نفسه كما يريد ولايشعر بحرية التعبير. وعلى العكس المربية العطوفة والمبتسمة وذات الصوت الدافىء اللطيف تشجع الطفل على ابداء ما في نفسه والتعبير عن حاله ومكنوناته ولايشعر بأي حرج او ضغط عليه لذلك نراه يرسم بكل حرية وراحة . هذا ويجب الا يغرب عن بالنا ان هناك حدوداً للتسمح والحرية فالطفل احيانا لايستطيع ان يعمل كل شيء يريده لذلك تستطيع المربية ان تقترح موضوعا عاما للطفل وتطلب منه ان يعبر عن مشاعره الخاصة خلال هذا الموضوع العام والاقتراح لايعني الفرض اذ يجب الا تفرض المربية رأيها على جميع الاطفال لان يعبروا عن مشاعرهم خلال ذلك الموضوع فمثلا لو اقترحت المربية على الاطفال ان يعبروا عن شعورهم اتجاه يوم العيد مثلا وقالت لهم ماذا نعمل يوم العيد واين نذهب ؟ .. وتركت الحرية للاطفال لان يرسموا ماشاءوا لوجدنا بعض الاطفال لايحبون ان يرسموا شيئا حول هذا الموضوع وانما يعبرون عن شيء آخر يريدون لذلك نقول يجب على المربية الاتفرض الموضوع على جميع الاطفال فرضا بل تقترح بعض المواضيع احيانا لكي يشترك فيه اكبر عدد ممكن من الاطفال هذا من جهة ومن جهة اخرى فان استعمال الطفل للمواد الفنية الموجودة في الصف والتي تناسب مستوى نموه هي التي تحدد نوع وطريقة تعبيره . ونستطيع ان نقول ان على المربية وضع الطفل في دائرة واسعة لايتجاوز حدودها ولكن تعطيه الحرية الكافية التنقل والاختيار وسط هذه الدائرة كما يجب الا تكون الدائرة ضيقة بحيث لايستطيع الطفل من الحركة فيها والمثال على ذلك ان يرسم الاطفال ما يشاؤون بما يرغبون دون ان تفرض عليهم المعلمة اي موضوع معين أو تقترح المعلمة على الاطفال ان يعبروا عن مشاعرهم اتجاه يوم العيد او الاحتفالات الوطنية مثلا حيث يستطيع كل طفل ان يرسم اشياء

كثيرة او الشيء الذي يريده ضمن هذا الموضوع الواسع اما الدائرة الضيقة فحين تطلب المعلمة من الاطفال ان يرسموا تفاحة مثلا او زهرة ..حينذاك تحدد حرية الاطفال ولايستطيعون التعبير عما طلب منهم .

٢ ــ الحث والتشجيع :

هناك وسائل كثيرة تتبعها المربية لكي تشجع الاطفال وتحفزهم على ان يعبروا عن افكارهم ومشاعرهم بطرق مختلفة ومن الوسائل التي تجعل التعبير الفني عند الاطفال ناجحا ما يأتي ــ

١ ــ ان تقترح المربية مواضيع لها علاقة مباشرة وقوية برغبة الاطفال وخبراتهم مثلا موضوع عيد الميلاد أو هذه امي .

٢ ــ أعطاؤهم الامثلة التطبيقية والتجارب العملية، مثال على ذلك ان تستخدم المربية الرسم بالاصابع كحافز للاطفال ولإثارة انتباههم فيلتف حولها الاطفال لمشاهدة ما تعمل وهذا يثير لديهم الرغبة في استخدام الالوان والاصابع للتعبير عما يريدون .

٣ ــ المناقشات الهادئة والهادفة مع الاطفال لكي تحث الاطفال وتشجعهم على التعبير عن انفسهم بالكلام والحوار ومعرفة ماذا يريدون ان يفعلوا وما هو شعورهم اتجاه شيء ما تم الطلب منهم بعد المناقشات ان يعبروا عن افكارهم تلك وشعورهم بواسطة ايديهم او بعبارة اخرى بواسطة الرسم والعمل اليدوي وتستطيع المربية فتح الحوار والمناقشات بواسطة توجيه سؤال بسيط للاطفال مثلا ؟ .

المربية : ماذا تريدون ان تفعل اليوم ؟

او : اي مكان تودون مشاهدته والذهاب اليه ؟

او : هل انتم مسرورون اليوم ؟

فيجيب بعض الاطفال نعم ، ثم تسأل :

المربية : كيف يبدو الانسان عندما يكون مسرورا .

الجواب : يضحك او يبتسم .

المربية : هل يستطيع احد ان يريني كيف يبتسم؟ كيف يضحك ؟

ما الفرق بين الابتسامة والضحكة ؟

وهكذا تستمر المناقشات بين المربية والاطفال حتى تسأل :

المربية : من منكم يستطيع ان يريني كيف يضحك على الورقة ؟

هل تستطيعون ان تعبروا عن الابتسامة او الضحكة بالرسم على الورقة ؟ ثم تقوم المربية بتوزيع الاوراق والاصباغ على الاطفال لكي يرسموا بأصابعهم كيف يضحكون وهكذا ..

٤ ـ عرض المواد والوسائل الفنية بطريقة تجلب انتباه الاطفال وتشوقهم لان يستعملوها كذلك عرض المواد الفنية غير المألوفة لدى الاطفال او الجديدة عليهم، يشجع الاطفال على تناولها والسؤال عنها وبالتالي استعمالها .

ومثال على ذلك تقديم الطباشير الملون لاول مرة أو الفرشاة واللوحات والبوستر، هذا ولما كان الحافز هو ماتفعله المربية لتثير رغبة الاطفال لان يرسموا او يلونوا أو يجسموا أفكارهم ومشاعرهم حول الموضوع فلابد أن نعرف ان نوع الحافز يتوقف صباحاً أو ظهراً وعلى الجو(الفصول الاربعة والاحوال الجوية) وعلى المواد والوسائل الفنية الموجودة في الروضة، والمدرسة كذلك يتوقف على تجارب الاطفال ورغباتهم ومستوى نموهم الجسمي والذهني فاذا حل الربيع مثلا وبدأت الازهار بالتفتح تلفت المربية انتباه الاطفال الى ذلك وتأخذهم جولة في حديقة الروضه ثم تطلب منهم ان يرسموا ما شاهدوا وربما يرسم احد الاطفال خطاً واحداً وعليه دائرة ويقول : هذ غصن وعليه وردة ..

ومن المواضيع العامة التي تكون بمستوى طفل الروضة مثلا، موضوع حديقة الحيوان، العيد، ماذا تعمل في الروضة، أنا وأمي، كيف تبدو السماء في الشتاء، وكيف تبدو الشمس في الصيف؟

ومن المهم جداً ربط المواضيع العامة التي لها علاقة بحياة الطفل بموضوع التربية الفنية وبخاصة بالرسم، كالمناسبات مثلا الاعياد الوطنية والمناسبات الدينية وعيد الام ....

٣ — طريقة الارشاد والتوجيه :

من أجل ان تكون العملية الفنية عند الاطفال مرضية لانفسهم، يجب على المربية ان ترشد الاطفال وتساعدهم في التعبير عن أنفسهم بصورة أمينة وصحيحة ومؤثرة وبعبارة أخرى ان تساعد الطفل على ان يعبر عن نفسه بصورة واضحة وصحيحة ومعبرة عما يريد ان يقوله في رسمه أو ما يعبر به عن حالة ويتم ذلك كالآتي : —

(آ) بواسطة مساعدة الاطفال على اختيار وتوضيح أفكارهم ومشاعرهم.

(ب) بتقديم المواد والوسائل الفنية المناسبة للاطفال وفي الوقت المناسب وذلك بأن تتذكر المربية بأن تجارب الاطفال وخبراتهم ومعرفتهم هي أقل بكثير من تجارب الكبار وخبراتهم ومعلوماتهم فخبرات الاطفال وتجاربهم تدور حول أنفسهم بصورة مباشرة وحول محيطهم المباشر الخاص بهم لان الطفل في هذا العصر ذاتي في تفكيره يدور حول نفسه فلا يهمه هدف التفكير أو موضوعه بقدر ما يهمه ان يكون هو قطب الرحى في كل ما يدور بخاطره كما يعتقد بياجيه (٦ص ١٥٤) .

هذا وكلما كبر الطفل ازداد تفاعله الاجتماعي واختلاطه بغيره من الناس، وازدادت تجاربه وخبراته ومعلوماته، هذا ولوجود الفروق الفردية بين الاطفال في الموهبة والقدرة والذكاء تستطيع المربية ان تساعد بعض الاطفال على انفراد في توضيح أفكارهم اذا احتاجوا المساعدة كما ونوعاً.

على قدر ما يحتاجه كل طفل ،ومثال على ذلك عندما يزور الاطفال حديقة الحيوانات ويعودون الى الروضة، يحبون ان يرسموا أو يعملوا بعض الحيوانات من الطين الصناعي نرى أحد الاطفال يريد أن يعمل فيلا ولكنه

لايعرف كيف يعمل هذا الفيل حينذاك تساعده المربية على انفراد وتجلس بقربه وتوجه له بعض الاسئلة مثلا .

تقول المعلمة: لنتكلم اولا عن الفيل ما هو شكله

هل رأيت جيداً الفيل في حديقة الحيوانات ما هي صفاته؟

ثم تبدأ المربية بوصف الفيل للطفل بعد ان تستمع الى اجابته على أسئلتها وبعد ان توضح له الفكرة يستطيع الطفل ان يتصور الفيل.

فيبدأ بالعمل وهو أكثر طمأنينة من قبل وبدون مساعدة المعلمة وذلك لأن الفيل قد توضح في فكره .

ومثال آخر أن تتكلم المربية مثلا للاطفال عن بيوتهم والشارع الذي يعيشون فيه وعن الروضة ثم تطلب منهم ان يرسموا ما يرون أو ما يتخيلون حول هذا الموضوع بعد ان أوضحت لهم الفكرة.

(ج) بتقديم المواد والوسائل الفنية المناسبة للاطفال وفي الوقت المناسب من واجب المربية معرفة مرحلة النمو الجسمي والذهني التي يمر بها مجموعة الاطفال ودرجة نمو كل طفل لكي تعرف ما يناسب طفلها من مواد ووسائل فنية مختلفة فالطفل في الروضة يستعمل أشياء بسيطة كالباستيل والطباشير والبوستر مع الفرشاة الكبيرة والتلوين بالاصابع مثلا بينما يستعمل الطفل في العاشرة من العمر مثلا الاقلام الملونة بأشكالها والفرش الصغيرة والالوان المائية .

كما ان طريقة استعمال الطفل لهذه المواد والوسائل تختلف بالنسبة لنموه كما ان هنالك اختلافاً بين الاطفال انفسهم في المجموعة الواحدة لذلك أصبح لزاماً على المربية ان تراعي نمو الاطفال الجسمي والذهني والفروق الفردية بينهم في النمو والقدرات العقلية والمواهب وغير ذلك.

٤ — الايجابية او روح التقبل :

ونقصد بذلك تقبل المربية لاعمال الطفل الفنية بروح ايجابية مهما اختلفت وسائله التعبيرية او اساليبه الفنية او المواضيع التي يريد ان يعبر عنها وذلك لان رغبة الاطفال تختلف عن رغبة الكبار كما ان الاطفال يعبرون عن رغبتهم هذه بطرق تختلف عن طرق الكبار بطرق خاصة بهم وبمرحلتهم العمرية التي يمرون بها فالاطفال يمرون بمراحل نمو في الناحية الفنية كما يمرون بمراحل نمو في النواحي الاخرى كما رأينا لذلك من واجب المربية ان تفهم وتقدر افكار الاطفال ومشاعرهم بأية صورة يعبرون عنها حسب مستوى نموهم الخاص وذلك بواسطة ترك الحرية للطفل لان يعمل بطريقته الطبيعية وان تقدم الارشادات له بطريقة ودية وغير مباشرة كأن تقول لزيد عندما يرسم شيئا ولايعرف كيف يختار الالوان فيضرب بالفرشاة على غير هدى او يستعمل الالوان الغامقة جدا كالاسود مثلا فتقول له المربية لو كنت انا مكانك لاخترت لونا زاهيا من هذه الالوان ولونت به فستان امي ربما يرتاح زيد للفكرة فيختار اللون الاصفر مثلا من بين الالوان التي تضعها المربية امامه وهكذا تقدم المربية المساعدة لزيد دون ان تتدخل فعلا في اختيار اللون المعين بل تجعله يخرج من حيرته ويختار اللون الذي يعجبه هذا وتستطيع المربية ان تشجع الاطفال بواسطة عرض صورهم واعمالهم الفنية على حائط مخصص لهذا الغرض وهذا يمنحهم فخرا واعتزازاً وثقة بالنفس على الا تطلب المربية من الاطفال الباقين ان ينظروا إلى الصور المعروضة ويقارنوا بينها وبين صورهم او اعمالهم لان الطفل كما ذكرنا سابقا لا يرى مانراه نحن الكبار ولاننا لا نريد ادخال عنصر المنافسة او المباريات في هذه المرحلة لاسيما في الاعمال الفنية. وعرض الصور والاعمال على الجدار ماهو الا تشجيع للطفل نفسه وليس استثارة لغيرة زملائه .

٥ ـ مستويات النمو والارتقاء او مراحل التعبير الفني ومميزات كل مرحلة :

من الضروري جدا ان تعرف المربية مراحل نمو الطفل من جميع النواحي الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية لكي تعرف ما يصاحب تلك المراحل من تغيرات وتطورات عند الطفل ولكي تعرف ان التعبير الفني عند الطفل له علاقة وثيقة وارتباط متين بمراحل نموه هذه، ولكي نفهم ما تتخلل تلك المراحل من عمليات في كيفية استعمال كل مادة او وسيلة فنية خلال ارشادها للاطفال في فترة التربية الفنية، ولايسعنا المجال لبحث مراحل النمو للاطفال لانه خارج عن نطاق بحثنا هذا كما اننا قد بينا مراحل نمو التعبير الفني في الفصل السابق فيرجى الرجوع اليه.

٦ ـ تقويم الاعمال الفنية للاطفال :

في تقدير عمل الطفل الفني ومحاولة اعطائه الدرجة يجب ان نضع نصب اعيننا فكرة الطفل وشعوره الذي حاول ان يعبر عنه، كما يجب الا يغرب عن بالنا مرحلة نموه وتطوره ونضجه وطريقة استعماله الوسائل الفنية، كل هذه الاشياء يجب ان تدخل في تقديرنا لرسم الطفل او عمله الفني، هذا ويجب ان نعلم بأن الدرجة تعطى للطفل عندما يكون مستعدا لها نفسيا. وبعبارة اخرى عندما يكون الطفل بمرحلة نمو يفهم فيها معنى الدرجة ولا تؤثر على نفسيته ومن الطبيعي ان هذا لا يكون في دور الحضانة ورياض الاطفال لان الطفل في هذه المرحلة العمرية لا يفهم ما معنى الدرجة ولكنه يفهم تقبل المربية لعمله الفني او رفضها له وارشاداتها وملاحظاتها خلال قيامه بالرسم او بالعمل الفني، وهذا مايساعده على توضيح افكاره ومشاعره.

هذا واذا ارادت المربية ان تحتفظ بسجل للاعمال الفنية للاطفال لغرض تربوي توجيهي ولكي تطلع الاباء والامهات على اعمال اطفالهم، فتستطيع ان تكتب بعبارات واضحة رأيها عن عمل الطفل الفني والتأكيد يكون على الفكرة والمشاعر التي اراد ان يعبر عنها الطفل وليس على كيفية استعماله

للمواد والوسائل الفنية او الطريقة الفنية التي استعملها الطفل . وما يسري على رياض الاطفال يسري على الصفوف الثلاثة الابتدائية حيث يكون التأكيد على الطرق الفنية قليلا لان ذلك يربك الاطفال كما ان الاطفال لا يفهمون الطرق الفنية ومعاني المجردات بل واحيانا حتى اطفال الصفوف العليا (الرابعة والخامسة والسادسة) لا يفهمون معاني الكلمات المجردة(٨ص ١٩) .

هذا وتستطيع المربية ان تعرض بعض اللوحات الفنية للاطفال على مجموعة الاطفال وتطلب منهم ان يتكلموا عنها وهذا يكون نوعا من التقييم للطفل وتساعد المربية هي في ابداء بعض الملاحظات البناءة لكي تساعد تنمية فهم الطفل ولذته في عمله الفني وكذلك في عمل رفاقه.

وعرض اعمال الاطفال الجيدة على لوحة في القاعة وبصورة منظمة وجذابة بحيث تجذب انتباه الاطفال، عامل مشجع للطفل وحافز له على الاستمرار والنمو في العملية الفنية على ان يكون ارتفاع اللوحة التي تعرض عليها رسوم الاطفال ارتفاعا يتناسب مع طول الاطفال لكي ينظروا اليها من آن لآخر . ومن المهم ايضا ان تجمع رسوم الاطفال في ملف خاص حسب تسلسلها بحيث يمكن تتبعها الواحدة بعد الاخرى كما يجب ان يعرف الطفل اي صورة من انتاجه افضل من السابقة او اللاحقة وبذلك يستطيع ان يميز عمله الفنى وتطوره.

هذا وفي جميع الأحوال يجب على المعلمة الا تقارن بين اعمال الاطفال وتطلب من بعضهم ان يعملوا مثل الآخرين وتخلق روح المنافسة بينهم لان هذا سيفسد عمل الطفل الفني ويقتل روح المغامرة والجرأة عنده وربما يؤدي إلى انسحاب عدد من الاطفال من التعبير بواسطة الرسم رغم وجود الموهبة لديهم، لذلك يجب الحذر عند تقييم عمل الاطفال ومراعاة الفروق الفردية وعدم دفع الطفل او اسراعه للانجاز والاتقان بل ترك الحرية لكل طفل للتعبير عن نفسه كيفما يشاء مع ارشاده وتوجيهه بصورة غير مباشرة وبطريقة ودية تساعده على النمو الفني والارتقاء وبالتالي إلى الابداع والاداء الفني المطلوب.



الفصل الثالث

خلاصة البحث :

يتضح لنا مما سبق ان الرسم والاعمال الفنية بالنسبة للطفل لغة او نوع من التعبير اكثر من كونه وسيلة للهو او لخلق شيء جميل. والطفل في السنوات الاولى من حياته يرسم ما يعرفه لا ما يراه حتى في حالة وجود الشيء امامه وتوجيه نظره اليه، ولكن كلما تقدمت به السن اعتمد في التعبير على حاسته البصرية. هذا والطفل في السنوات الاولى من حياته قد يحذف او يبالغ في اجزاء رسومه تبعاً لحالاته الانفعالية المختلفة ومزاجه وقت الرسم، وهو يعبر تعبيراً سطحياً في بدء حياته ثم تزداد قدرته على ادراك النسب بين الاشياء وموضعها بالنسبة لبعضها البعض كلما تقدمت به السن. ويميل الطفل منذ البداية وحتى السنة العاشرة من العمر تقريباً إلى رسم الاشخاص اكثر من المواضيع الاخرى، وبصورة عامة فان هناك صلة بين طريقة رسوم الاطفال جميعاً وتطور تعبيراتهم بغض النظر عن اختلاف بيئاتهم، والتعبير الفني هو الوسيلة التي يعبر بها الطفل عن احاسيسه ومشاعره ويعكس الوان الصراع والمعاناة لديه ، لذلك فان الاهتمام بالطفل في مراحل النمو المختلفة وتوجيه تعبيره توجيهاً تربوياً صحيحاً يكون من الاهمية بمكان ، لذا وجب مراعاة القواعد الاساسية في توجيه التعبير الفني لدى الطفل والاخذ بها من جانب المربية في دور الحضانة ورياض الاطفال والصفوف الاولى من المدرسة الابتدائية لغرض الوصول إلى اقصى نمو ونضج ممكن لتحقيق الهدف المنشود في هذا المجال والله الموفق للصواب .

التوصيات والمقترحات

نظراً لاهمية التعبير الفني عند الطفل ولاهمية الاخذ بيد الطفل ومساعدته على التعبير عن نفسه تعبيراً تلقائياً حراً وتوجيهه توجيهاً تربوياً فنياً يوصله إلى النضج والابداع الفني المطلوب، لذا نرى لزاماً علينا تقديم بعض المقترحات والتوصيات التي من الممكن الاستفادة منها في مجال تربية الاطفال والاشراف عليهم في دور الحضانة ورياض الأطفال والصفوف الاولى، وفي ادناه ندون بعضها :—

١ — ان عرض رسوم الاطفال على غيرهم والطلب منهم محاكاة هذه الرسوم مبدأ غير سليم لان الطفل تصعب عليه رؤية اعمال غيره من الاطفال، لانه يعبر عن الشيء بأسلوبه في الرؤية، فهو يعتمد في التعبير كما ذكرنا على خبراته جميعها وعلى حواسه كلها في حين يعتمد في الحالة الثانية (الرؤية) على خبرته البصرية وحدها وهناك اختلاف كبير بين التعبيرين بالنسبة لكل طفل .

٢ — لا مبرر لدفع الطفل بالاسراع نحو اسلوب الكبار في التعبير لان للاطفال اساليب خاصة بهم خلال مراحل يمرون بها وللكبار اساليب خاصة يستعملها الطفل عندما يكبر فلا داعي لدفعه مبكراً نحو التعبير البصري الذي هو اسلوب الكبار .

٣ — من الصحيح ان تختار المربية المواضيع التي تتفق مع اسلوب الطفل في التعبير كما يعرفه ويشعر به كما يراه .

٤ — اهتمام المربية بالاوقات المخصصة للتعبير الفني في البرامج والجداول اليومية في دور الحضانة والرياض والمدارس الابتدائية ومراعاة القواعد الاساسية في عملية التعبير الفني، امر ضروري. فتوفير الجو النفسي المريح واعطاء الحرية للاطفال في اختيار مواضيعهم وكيفية التعبير عنها والحث والتشجيع من جانبها وطريقة توجيهها وارشادها للاطفال او مرونتها وايجابيتها. كل ذلك يساعد الطفل على ان يعبر عن نفسه تعبيراً فنياً محضا دون قيود او شروط .

٥ ــ الرجوع إلى المراجع والكتب الخاصة بالتربية الفنية لغرض الدراسة والاطلاع ومعرفة مستويات النمو ومراحل التعبير الفني عند الاطفال وميزات كل مرحلة ومراعاة الاطفال خلال تلك المراحل والتعامل معهم وفق ما تقتضيه كل مرحلة نمو معينة لكي لا يتخلف الطفل عن باقي الاطفال ولكي يجتاز تلك المرحلة إلى المرحلة التي تليها بسلام واطمئنان ويحقق التقدم والنجاح المطلوب في تعبيراته الفنية وقدراته الابداعية ولكي يصل إلى مستوى الانجاز المطلوب .

٦ ــ مراعاة الفروق الفردية بين الاطفال امر ضروري يجب الاهتمام به من جانب المربية لان بعض الاطفال قد يتأخرون او يسبقون مرحلتهم العمرية في التعبير الفني .

٧ ــ على المربية ان تختار المواد الفنية حسب مستوى نمو اطفالها الموجودين تحت اشرافها في القاعة الواحدة .

٨ ــ التنويع في توفير المواد الفنية لمجموعة الاطفال لكي تلاقي وتسد حاجة ورغبة كل فرد في المجموعة ولمراعاة الفروق الفردية بين الاطفال في كيفية وسرعة استخدام هذه المواد .

هذا ولتحقيق التوصيات المارة الذكر بالنسبة للمربية نقترح ما يأتي : ــ

١ ــ تأهيل المربيات في دور الحضانة ومعلمات رياض الاطفال والمدارس الابتدائية تأهيلا مهنياً فنياً وفق احدث الطرق التربوية لكي يقمن باداء عملهن على الوجه الصحيح وليتمكن من توجيه الطفل توجيهاً تربوياً نفسياً فنياً صحيحاً يصل به إلى اقصى درجة من النمو والنضج المطلوب ويكون ذلك اما بالحاقهن بمعاهد فنية خاصة او ادخالهن دورات تدريبية خلال مدة خدمتهن للرفع من كفاءتهن .

٢ ــ الاهتمام بمادة التربية الفنية وتخصيص وقت كاف لها في برامج ومناهج دور الحضانة ورياض الاطفال واوقات الحصص اليومية في المدارس الابتدائية

واعطائها اهمية وقيمة كقيمة الدروس الاخرى بحيث لا يستغل وقتها في اعطاء معلومات او اكمال منهج مادة من المواد المقررة في المنهج وبخاصة في المدرسة الابتدائية .

٣ ـ توفير مرسم او مكان خاص للنشاط الفني في القاعة او الصف حيث توضع فيه المناضد والكراسي ولوحات الرسم والخزانات الواطئة التي تحتوي على جميع المواد والادوات الفنيةالمطلوبة للمرحلة العمرية المعينة بحيث يشعر الطفل بحرية تامة في تناول واستعمال هذه المواد والادوات عندما يشعر برغبه في التعبير

٤ ـ الاهتمام باقامة المعارض الدورية حسب الامكانات الموجودة وذلك لاشعار الاطفال بأهمية تعبيرهم الفني واظهار النواحي الجمالية والتعبيرية الصادقة لديهم وتبادل الخبرات فيما بينهم وبخاصة في مرحلة الدراسة الابتدائية.

٥ ـ الاشتراك في المعارض العالمية الفنية الخاصة بفنون الاطفال لغرض تبادل الخبرات والاطلاع على التعبير الفني عند اطفال شعوب العالم ومعرفة اوجه الشبه والاختلاف في هذا التعبير بين اطفالنا والاطفال الآخرين .

هذا والله نسأل ان يأخذ بأيدينا لما فيه الخير لجميع اطفالنا ولامتنا انه السميع المجيب.

مراجع البحث

١ — د. خميس، حمدي : «الفن ووظيفته في التعليم» .

٢ — د. الخادم، سعد : «دراسات في رسوم الأطفال» .

٣ — د. البسيوني، محمد : «اتجاهات في التربية الفنية» .

٤ — د. البسيوني، محمد : «سلسلة عن التربية الفنية» .

٥ — ريد، هربرت : «التربية الفنية عن طريق الفن»
ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .

٦ — د. السيد، فؤاد البهي : «الاسس النفسية للنمو» .
دار الفكر العربي ١٩٧٥

٧ — د. رضا، صالح : «التربية الفنية»، مكتب رنا للطباعة بغداد ١٩٧٦.

8 – Knudsen & Christensen Ches . A. "Children's Art Education" Bennett Co., Inc., Illinois , 1959 .

9 – "Educational Leadership", Journal of Tre A.S.C.D., NEA, April 1962 .

أضواء على
مسؤوليات الجامعات العربيـة
في القرن الخامس عشر الهجري

الدكتور جاسم مهدي الهاشمي

كلية الطب ــ الجامعة المستنصرية

اذن فقد مضت ١٤٠٢ سنة على هجرة الرسول واصحابه من مكة الى المدينة المنورة. وها نحن ندخل القرن الخامس عشر. وها هو جيلنا يدخل القرن الخامس عشر الهجري بعد ان بدأ أباؤه واجداده الدخول في القرن الرابع عشر الهجري ــ ولسوف يواصل الزمن مساره فيرى الاباء وابناء المئات القادمة من السنين تترى على هذا الكون وهذه الامة فيه.

فما احرانا ان نقف وقفة تأمل لكل ذلك الزمن الذي مضى وهذا الزمن الات نقف وقفة هادئة عقلانيه نتأمل ونحلل . نستنتج ونستنبط مزيدا من الافكار والمناهج والمشاريع التى تساعدنا على الاستمرار بالمهمة الكبيرة التى اوكلتها الينا السماء حين نادانا الله عز وجل بخير امة «أخرجت للناس». ونترك لهؤلاء الابناء جامعات تساعدهم على تلبية متطلبات الحياة وخدمة اهداف المجتمع وترسيخ قيمه ومثله العليا . ولا تكون عبئا عليه وعلى حياته وعلى اقتصاده.

ان هذا المؤتمر مناسبة من هذه المناسبات العزيزة التي ارجو ان نخرج

بعدها بتوصيات علمية تخرج من صفحات الكتب وتآخذ بيد الناس طلابا واساتذة ومسؤولين لما هو افضل واقرب للاهداف المرجوه كما ارجو إلا يكون حصادنا مزيدا من الكلام الذي قصده فؤاد زكريا وهو ينتقد الدستور الدائم لمصر العربية حين قال :

(ان للكلمة عندنا سحرا خاصا، وقدرة عجيبة على التأثير تدفعنا إلى الاكتفاء بها وتغنينا عن بذل الجهد من اجل اخراجها الى حيز العقل فنحن لانحب الكلمة فحسب وانما نستعيض بها عن الفعل الذيلم تظهر هذه الكلمة اصلا الا لكي تدعو إلى ممارسته*٣.

١ - نظرة إلى تأسيس الجامعات العربية، مقارنة بالجامعات الغربية (غير الاسلامية)توجد في مشرق العالم الاسلامي من الجامعات*٤ ماهو موضح في الجدول رقم(١).

ويتبين من الجدول المذكور اعلاه ان عدد الجامعات في مشرق العالم الاسلامي الى تأسست منذ أكثر من ١٠٠ عام لاتتجاوز جامعات اثنان منها تحولتا إلى تراث - *٤ وواحدة تحصر نشاطها باللغة والدين ولم تدخل علوم الطب والهندسة والزراعة والعلوم الاخرى الا قبل اقل من ربع قرن وجامعة الجزائر التى تنطق بالفرنسية وتهتم بخدمة الامة الفرنسية . وجامعة القرويين في المغرب .

اما في العالم الغربي فاننا نجد ما يلي :

في فرنسا انشئت جامعة باريس في ١١٥٠ - ١١٧٠ م وجامعة مونبليه ١٢٨٩م، تولوز ١٢٢٩م، اورلينز ١٣٠٥م .

وفي بريطانيا. توجد ٦ جامعات بعمر يتجاوز المئة عام . بل ان جامعتي اكسفورد وكامبرج تتجاوزان في العمر السبعمائة عام. وكلاسكو وابردين حوالي الخمسمائة عام وادنبره الاربعمائة عام .

الجدول رقم (١)

	عدد الجامعات الكلي	عدد الجامعات التى مضى اكثر من ١٠٠ عام على تأسيسها.
		* ٤
العراق	٦	٢
ايران	٦	—
		* ٥
تركيا	٩	٢
		* ٦
لبنان	٤	١
سوريا	٢	—
السعودية	٣	—
الكويت	١	—
		* ٧
مصر	٨	١
		* ٨
الجزائر	٣	١
تونس	١	—
الخرطوم	٢	—
الاردن	١	—
الصومال	١	—
المغرب	٣	١
ليبيا	١	—
افغانستان	٢	—
اندنوسيا	١	—
		* ٩
الباكستان	٦	١

في امريكا هناك خمسة جامعات بعمر يزيد على المئتي عام اقدمها هارفرد التى تأسست عام ١٦٣٦ .

في كندا هناك ٤ جامعات تأسست قبل اكثر من ١٠٠ عام .

في بلجيكا توجد جامعة تأسست سنة ١٤٢٥م * ٨ وهى جامعة لوفان .

في جيكوسلوفاكيا توجد جامعتان تأسستا قبل اكثر من ٤٠٠ عام .

في يوغوسلافيا توجد ٣ جامعات تأسست قبل أكثر من ١٠٠ عام.

وحتى في امريكا اللاتينية نجد ان القرن السادس عشر الميلادي قد شهد افتتاح ستة جامعات من قبل الجهات الكنسية والحكومية * ١٠ .

من الناحية الكمية عدد الجامعات في الوطن العربي والمشرق الاسلامي ٥٨ جامعة الثمان والخمسون جامعة هذه يفترض فيها ان تقدم خدماتها لاكثر من ٣٠٠ مليون نسمة .

اما في الوطن العربي :

(آ) فان دليل الجامعات العربية الذي اصدره الاتحاد العام الجامعات العربية يشير إلى ان هناك ٣٢ جامعة تضم

١٦ كلية آداب	١٢ كلية طب بشري
١٦ كلية علوم	٨ طب بيطري
١٣ كلية زراعة	٥ صيدلة
١٣ كلية هندسة	٤ طب اسنان
٢ كلية تمريض	١ تربية رياضية

(ب) تقديرات الاحصاءات الدولية لمنظمة الامم المتحدة ان جملة السكان في الاقطار العربية بلغت ١٢٣ مليون نسمة سنة ١٩٧٠ بمميزات ديموغرافية منها ارتفاع معدل المواليد السنوية وفتوة بالسكان وغالبية من الريف وان نسب المسجلين في الفروع العلميـة والتكنولوجيـة بالقياس إلى مجمـوع

المسجلين يعادل ٣٦,٤٣ ٪ في سنة ١٩٧٠ بعد ان كان ٢٧,٦٥٪ في سنة ١٩٦٠ «في عشرة اقطار عربية » تمثل نسبة البنات فيها ١٤,٣٢ سنة ١٩٦٠ و٢٠,٣٣ سنة ١٩٧٠ *.

(ج) نسب المسجلين في هذه الجامعات ٠,٤٪ لمجموع المسجلين الذكور والاناث في ١٢ دولة عربية لسنة ١٩٦٠ . ارتفع هذا المتوسط إلى ٢,٤٪ في سنة ١٩٧٠ . تمثل نسبة البنات فيها ١٨,٧٠ في سنة ١٩٦٠ و٢٣,٥ في سنة ١٩٧٠.

(د) تخلو بعض الاقطار العربية من الجامعات كاليمن وبعض اقطار الخليج وموزيتانيا .

(هـ) وهذه الجامعات موزعه توزيعا غير متكافىء ففي الوقت الذي تحرم بعض الاقطار العربية من التعليم الجامعي نرى ان بعض الجامعات الناشة في الاقطار الاخرى تعيد نفس النموذج الموجود في القطر المجاور. ولايبدو لي من تصفح نتائج تحليل الاحصائية في الجدول رقم ٢ ان هناك تخطيطا تكامليا في فتح الجامعات بالوطن العربي ... وهل يتناسب الموجود مع الحاجة الفعلية لتنمية الوطن العربي ولندرس الحالات حالة حالة لكيما نتبين اين وجه الخطأ في توجهنا .

من الناحية العددية .

نلاحظ ان هناك ١٦ كلية أداب بمقابل ١٢ كلية طب بشري و٨ طب بيطري و ٥ صيدلة و ٤ طب اسنان و ١ تمريض و ٢ تربية رياضية .

ان علوم النحو والآداب واللغة والفقة والشريعة كانت لتستمر حتى والم تفتح لها جامعات ولاتفعل الجامعات التي تهتم باللغة العربية والدين غير ان تدرس ماكان . فهي مازادت في اللغة العربية حرفا كما يقولون في علوم اللغة ولن وما ضافت للسنة النبوية حديثا . ولقد بقى القرآن خالدا كما وعد الله ((انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون)) .. وبقت اللغة العربية

خالدة .. فاذا كانت اغلب جامعاتنا لم تبدأ نشاطاتها الا قبل اقل من مئة عام فكيف احتوى الخلود هذه الآداب وتلك اللغة والشريعة تلك المئات الكثيرة من الاعوام . بل كيف صمدت هذا الزمن الطويل رغم الغزوات الفارسية والمغوليه والتركيه والاوربيه .

التاريخ لايذكر من المدارس المهتمه بالادب اكثر من الازهر في مصر والذي بدأ نشاطه في عام ٩٧٠ اي في القرن الرابع الهجري وكان مختصا بعلوم اللغة والشريعة ومقتصرا على نخبة من الناس ثم لدينا المستنصرية في ١٢٣٤ م اي في القرن السابع الهجري والمدرسة النظاميه في ١٠٧٦ في القرن الرابع الهجري وتمتلك المدرستان نفس المحدوديه من ناحية المكان والزمان والسعة وكانت خاصة ايضا بنخبة من الناس وهناك جامعة القرويين في فاس المغرب التي افتتحت في القرن التاسع الميلادي والتي تهتم بعلوم القرآن واللغــة .. ومع كل ذلك .. مـع الانعدام العملي لوجـود جامعي اكاديمي منظم وبرغم الغزوات والاتلاف المتعمد وغير المتعمد بقت الشريعة وبقى القرآن وبقت اللغة .

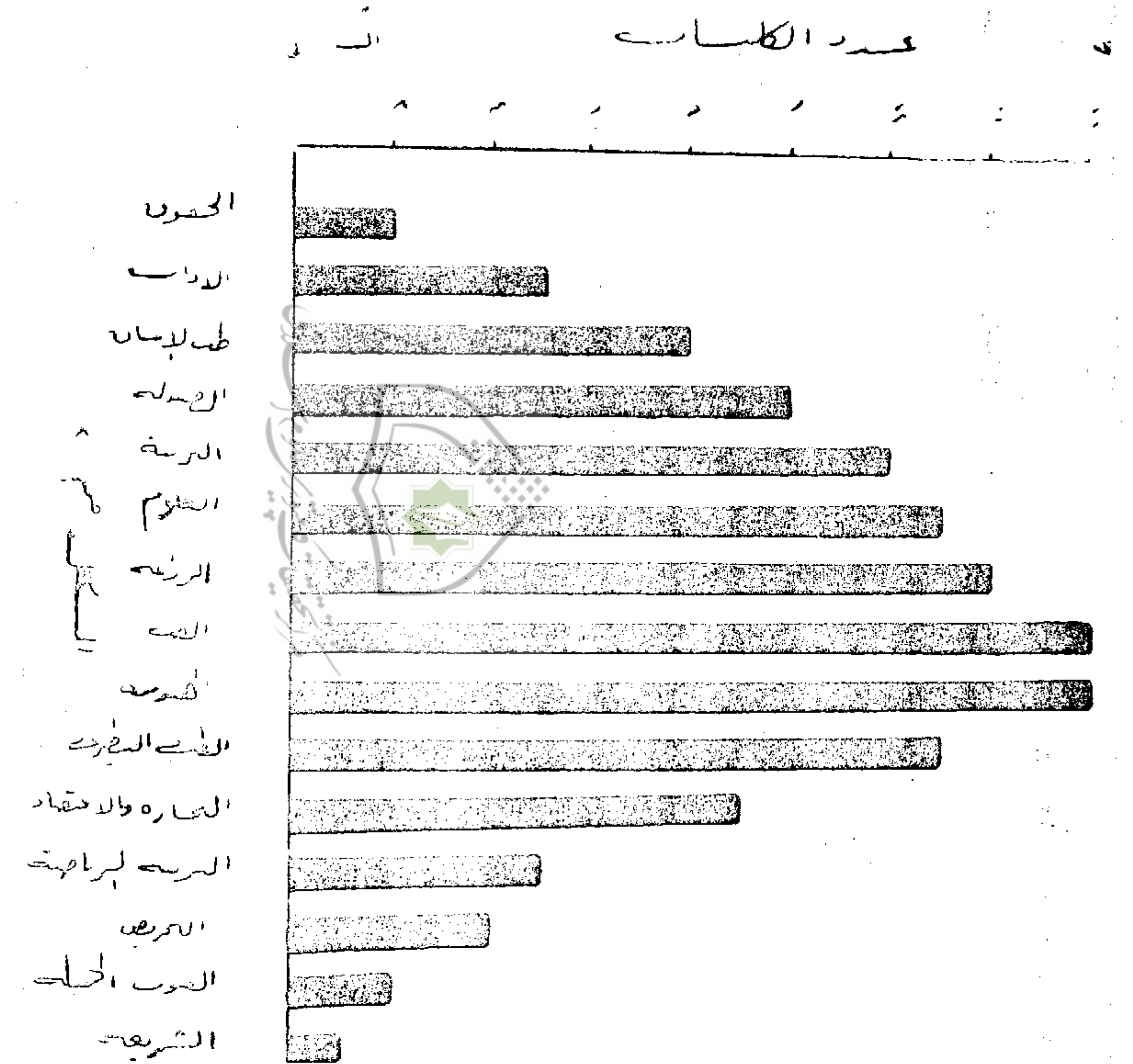
ومع ذلك ماذا فعلت كليات الآداب واللغات هذه منذ افتتاحها الى يومنا هذا .

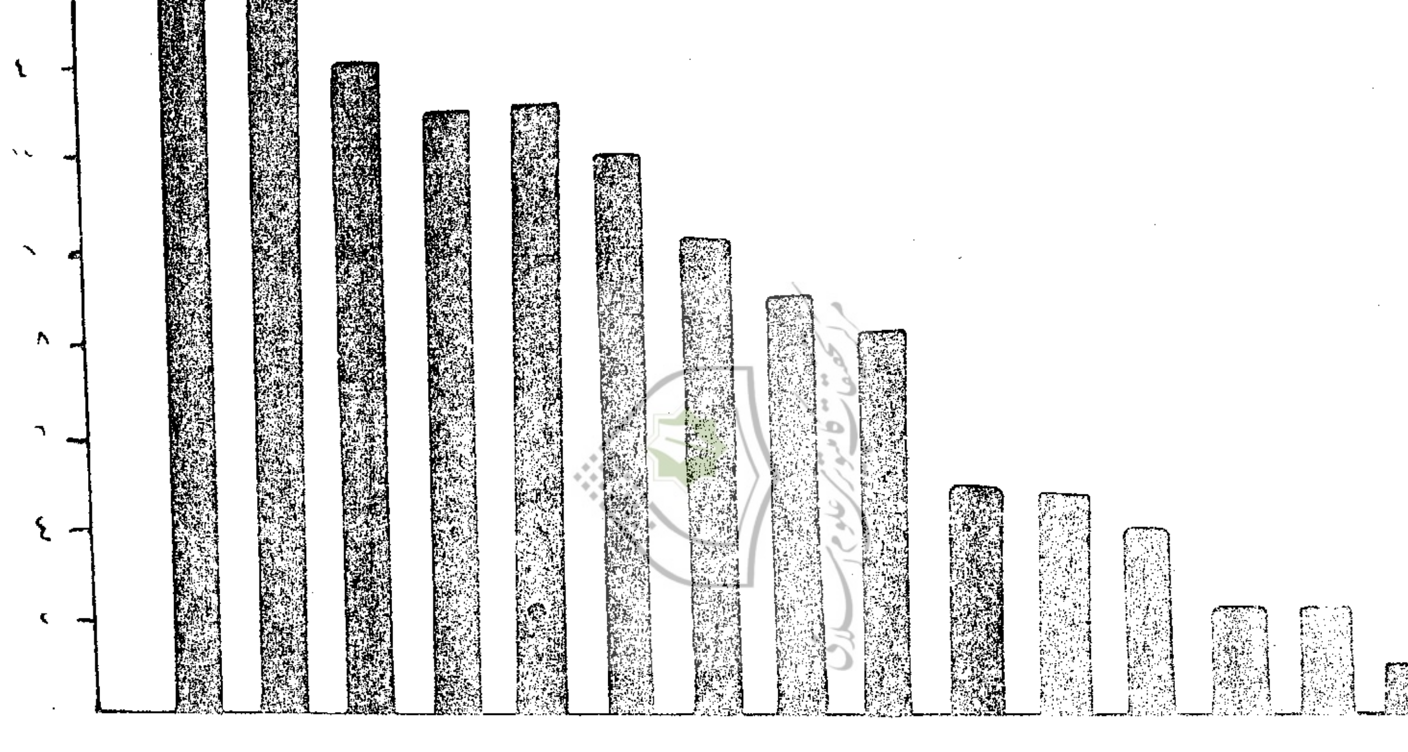
١ ـ على صعيد اللغة العربية هناك استمرار محنك لتدريس العلوم والطب والهندسه باللغة الانجليزيه وبمختلف التبريرات التي لم تتصد لها الجهة ذات الاختصاص (كليات الاداب واللغات) التصدي المقنـع والمؤثر .

٢ ـ لاتزال اللهجة العاميه سائده في المجتمع وهـي سائده بنفس الدرجة في كليات الاداب بل وفي داخل صفوف اللغة العربية . وعـلى صعيد الوطن العربي لاتزال اللهجات المحليه هي المتداوله تلقائيا واللغـة الصافيه النقيه توضع في المعلبات بانتظار الظروف الخاصة المصطنعـه . وعندنا في العراق كانت الجهـة التي تصدت لهـذه الظاهرة هـي القيادة السياسيـه للحزب فاصدرت قانون سلامة اللغة العربية * ١٧ .

ان الشكل رقم (١) يبين لنا توزيع الكليات في الجامعات العربيه . فهو عبارة عن جبل تمثل قمته كلية الاداب وتقع كلية التمريض والتربية الرياضية والفنيه في اسفله بينما تتراوح الكليات العلميه على السفح ولو تصورنا جبل المعرفه هذا كما في الشكل رقم (٢) لتكونت لدينا صورة اكثر ايجابيه وانسجام مع واقع احتياجات الوطن العربي * .

(*) خاصة لو عرفنا أن عدد المتسربين من الاحصائيين والفنيين والمهندسين وعلماء الطبيعة والاجتماع والاطباء والممرضات قد بلغ من ١٩٦٢-١٩٦٩ (سبع سنوات فقط) وفي ٨ أقطار عربية ٤٢٦٦٩ فرداً . خسارة العراق منها ٩٥٤٨ / وقائع وبحوث المؤتمر الاول .


عدد الكلمات
الحيوان
طب الإنسان
التجارة والاقتصاد
التربية الرياضية
المرض
الشريعة


توزيع الكليات في جامعات الوطن العربي
عدد الكليات
الآداب
العلوم
التجارة والاقتصاد
الزراعة
الهندسة
الطب
التربية
الحقوق
الطب البيطري
الصيدلة
الشريعة
طب الأسنان
التربية الرياضية
الفنون الجميلة
التمريض

تأريخنـا العربي الاسلامـــي

مرت فترة علينا ونحن صغار كنا فيها نعرف الكثر عن روبسبير ومترنيخ وماري انطوانيت وكليمنصو وبسمارك.. وإلى اخره من اسماء هؤلاء الاوروپيين في سالف الزمان وما فعلوه. كيف بدأوا وكيف نموا وكيف انتهوا. كنا ندرسهم ضمن مفردات المناهج وكنا نقرأهم في المكتبات. تزين صورهم الكتب المؤلفة وكنا نقرأ تراجم ما ألفوه بل وكانت حياة بعضهم تتحول إلى روايات تترجم إلى العربية باخلاص وبطبعات انيقة بجهود دور نشر عربية معروفة. ولكننا للأسف كنا نجهل التاريخ العربي الاسلامي لنفس الفترة المذكورة. بل ان جوانب كثيرة من هذا التاريخ اصبحت مثار استغرابنا عندما كبرنا واطلعنا عليها في كتب يتيمة هنا وهناك. كان هناك افراد مجهولون في التاريخ لعبوا ادوارا كبيرة وكانت هناك احداث كبيرة نامت عليها عوادي الزمن بقصد او بغير قصد.. كما ان هناك احداثا شوهت او نقلت مبالغا فيها او مبتورة. ولست مؤرخا حتى اواصل الحديث واضرب الامثلة من موضوع هو خارج الاختصاص ولكني كمواطن عربي مر بهذه المراحل واكتشف بعض سلبياتها سوف اورد لكم نماذج منها :

ولنأخذ الاسلام واساليب تقديمه في منهاجنا :

١ ــ بقصد او بغير قصد اهمل الوجه العربي للدين الاسلامي واهمل كل ما من شأنه الاشارة إلى علاقة العروبة بالاسلام فكان اختيار السماء العرب كحملة للرسالة كان محض صدفة ولم يكن وفق مميزات خاصة كان اجدادنا يتمتعون بها جعلتهم يرتفعون في المقام إلى رفعة التميز.

فتم التعتيم على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تلقي الضوء على أهمية العروبة ورفعتها وتشرح اختيار السماء لهذه الامة. او انها كانت تتطرق الى ما يذكر من تلك الآيات والاحاديث بطرق ملتوية اجتهادية وفق الهوى الشخصي والطائفي والعنصري. فلعل الكثير منا لم يكن لتقابله الآيات التالية

الا بصورة نادرة مقروءة في ترتيل أو مذكورة في كتاب أو منشورة في مقال . واذا قابلته أو أنها ترد اليه وروداً هامشياً ولا توقفه ملياً للتحقق منها والتعرف على مدلولاتها. وهكذا فقد قدمت الروح بلا جسد. حرم المؤرخون الشعوبيون العربي من التعرف على ما فعله الآباء والاجداد من أجل الدين الاسلامي. كان أغلبنا لا يعرف ان القرآن الكريم يضم الآيات التالية عن العرب والعروبة.

— انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون «سورة يوسف آية ٢»

— كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر «سورة آل عمران آية ١٠٩»

— ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق .

— لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين «سورة الاحقاف آية ١٢»

— والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب. وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ماجاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولاواق «سورة الرعد آية ٣٦، ٣٧.»

— وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا «سورة طه آية ١١٣»

— وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون «٩٢ الانبياء»

— وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون «٥٢ المؤمنون»

— وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين. على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين. «الشعراء الايات ١٩٢-١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨»

ـ وماارسلنا من رسول الابلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم «سورة ابراهيم آية ٤»

ـ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين «سورة النحل اية ١٠٢،١٠٣»

ـ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون «الزمر ٢٧،٢٨».

ـ ولو جعلنا قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد «سورة فصلت ٤» .

ـ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير. «الشورى ٧» .

ـ وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا «سورة البقرة ١٤٣»

وقد اهتم الرسول بالعرب ولغتهم وقال :

(رحم الله امرءا اصلح من لسانه) «معجم الادباء .ياقوت ج١ ص٦٧»

وان رسول الله قال:

(احب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي)

(الالوسي بلوغ الارب ج١ ص١٦٦)

وقال عمر بن الخطاب بها :

(تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد من المروءه) (معجم الادباء).

ولم يقولوا لنا في التاريخ « ان العرب امتازوا بين امم العالم وشعوبه في العصر الجاهلي باخلاق ومواهب تفردوا بها او فازوا فيها بالقدح المعلى . كالفصاحة

وقوة البيان وحب الحرية والانفه والفروسية والشجاعة والحماسة في سبيل العقيدة والصراحة في القول وجودة الحفظ وقوة الذاكرة وحب المساواة وقوة الارادة والامانة » ١٤ وماقال لنا احد ان العرب في العصر الجاهلي «كانوا يعتقدون الله انه اله اعظم خالق الاكوان ومدبر السموات والارض ، بيده ملكوت كل شيء فلئن سئلوا: من خلق السموات والارض ليقولن الله «........... ولكن كانت اذهانهم بعيدة العهد بالرسالة والنبوة والمفاهيم الدينية تسيغ ان دعاء احد من البشر ينطرق إلى السموات العلى ويحظي عند الله بالقبول مباشرة بغير واسطة وشفاعة قياسا على ذلك العالم القاصر وعاداته واوضاعه الملوكية الفاسدة ومجاري الامور فيها ، فبحثوا لهم عن وسطاء توسلوا بهم إلى الله واشركوهم في الدعاء، وقاموا نحوهم ببعض العبادات ورسخت في اذهانهم فكرة الشفاعة حتى تحولت إلى عقيدة قدره الشفعاء على النفع والضرر والخير والشر والاعطاء والمنع «١٤»

ولم يسلطوا الضوء على حقيقة ان فترة البعثة النبوية انقضت للرسول بين قومه العرب وان الرسالة لم تصل غير العرب الا عن طريق السيف فكأنما صعب على الشعوبيين كتبة التاريخ ان يرحل الرسول الكريم لوجه ربه ويتركهم خلفه شعوبا مشركة كفرة . وينتهي عهد الرسالة ويأتي عهد الراشدين فتنزل بالتاريخ العربي الاسلامي الواضح ويقدم لنا رجالنا العظام ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وكأنهم كانوا لا هم لهم سوى الصراع على الخلافة والاستئثار بها .. او يقدمون واحدا افضل من الآخر بطريقة او بأخرى بل ويجعلون ساحات القرن الرابع والخامس عشر الهجري حلبات صراع من تأليبهم على الخلفاء الراشدين الذين رحلوا قبل مئات السنين.

لم يحدثنا المؤرخون الا لماما عما يسمى الشعوبية في الاسلام. ربما لان الشعوبيين هم انفسهم كانوا من بين كتاب التاريخ العربي مع الأسف .

(*) أو ليس الرسول هو محمد وأبوه عبد الله .

ولم نكن نعرف ان العرب قالوا بكل وضوح وشجاعة لإمبراطور المملكة الفارسية العظيمة واركان دولته : «الله اتبعثنا ليخرج بنا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الاديان إلى عدل الاسلام» .

ولم نسمع احداً يتحدث عن الكيفية التي وجد بها الاسلام بلاد فارس بعد فتحها . لم يحدثنا احد عن المانوية والمزدكية والزرادشتية الاباحية وان مزدك الذي ولد عام ٤٨٧ ميلادية «احل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ *١٥» وان الاكاسرة كانوا يدعون انه يجري في عروقهم دم الهي وكان الفرس ينظرون اليهم كآلهة وانهم كانوا لايبغون لهم بديلا ويدينون بوراثة البيت المالك واذا لم يجدوا رجلا ملكوا عليهم امرأة فقد ملكوا ازدشير بعد شيرويه وهو ابن سبع سنين وملك فرخ زاد خسرو ابن كسرى ابرويز وهو طفل وملكت بوران بنت كسرى وبنت ثانية اسمها ازرمى دخت بينما لم يول عليهم رستم وحابنان لانهم ليسوا من البيت المالكي *١٤ .

وفي عهد الدولة الاسلامية الاموية والعباسية نقل الينا المؤرخون التاريخ من خلال الخلفاء لا الخلفاء من خلال التاريخ فقالوا بفتوحات الخليفة فلان ومنجزات الخليفة فلان . وهكذا اختفت صورة الشعب العربي في ذهن القارىء بفلاحيه وعماله وجنوده . برجاله ونسائه وظل للتاريخ العربي صورة خيالية يحتلها الخليفة وتحيط به صورة هلامية غير واضحة للدولة او للنظام او للزمان والمكان في ذلك التاريخ ومع ذلك فانهم لم يتركوا مطعنا يسيء للدولة العربية الا وابتدعوه. دولة الامويين مثلا التى بنت الاساطيل واسست البريد وسكت النقود ووضعت القوانين ووسعت رقعة الاسلام حتى تجاوزت حدود الامة العربية . دولة الامويين تلك التي دامت المئة عام لاتذكر منها الاسيئات خليفة صغير من خلفائها . ولكني كما قلت لكم خارج هذا الاختصاص نعم عانيت منه كمواطن وقد يعاني اولادي منه لو بقيت

الحالة ولكني سوف اترك لاهل الاختصاص الحديث الرئيسي عن المناهج الاخرى . نحن لو وضعنا عيون الوطن رالله والحقيقة في رؤوسنا وتجردنا من صغائر الاشياء لاكتشفنا الوجوه الاخرى للحقيقة التى اهيل عليها التراب.

ان الحيف الذي اصاب كتابة التاريخ والجغرافيه واللغة والعلوم الانسانيه الاخرى على يد الشعوبيين والعابثين لم تسلم منه العلوم الحديثة . اننا نرى في عالم الطب مثلا تكرار الصورة . صورة((ان الافضل يقع خارج الحدود)) فأنت لاتجد اذنا صاغية حين تتحدث عن الارض والمجتمع والظروف الموضوعيه وضرورة انسجام المناهج معها. فمناهجنا الان مشتقة إن لم تكن مستنسخة من المناهج الانجليزيه او الامريكيه في بعض الاحيان . وسوف نتطرق لهذا الموضوع ضمن الاستكشاف الخاص الذي اجراه المؤلف .

الاساليب

المحاضرة :

ليست لدينا قطعة من الحياة الفردية للطالب بل أمر طارىء عليها. وفي أحيان كثيرة تمثل عبئاً عليها. وتقع ضمن أسباب ذلك عدم ميل الطالب للدراسة التي اختارتها له أجهزة التسجيل البشرية أو الآلية أو عدم ميله ضمن الدراسة التي يدرسها الى موضوع معين لسبب من الاسباب، أو ظروف التدريس البيئية كنوعية الصفوف والوسائل الصحية فيها ووسائل الايضاح والازدحام. ولكن يترأس كل تلك الاسباب الاستاذ المعلم نفسه. فهو عندما كان جيداً كالرازي كان الطلبة يتحلقون حوله جلوساً على الارض .. فاذا راجعنا هوية الاستاذ المهنية وجدنا لديه اسباباً عدة للتقصير يشترك في بعضها مع طلبته كعدم الرغبة اصلا في الاختصاص* .

أو انه متخصص بموضوعه ولا يجيد تدريس ذلك لان عملية نقل الافكار

(*) أو ليس الاستاذ اليوم هو طالب الأمس الذي عينت له الأجهزة الآلية والادارية الكلية التي ترى انها تلائمه .

من رأس الى رأس ليست عملية سهلة كما يتصورها البعض. انها ليست مجرد تجميع الافكار في مستودع والقاءها(كالحصى) في مستودع آخر. فالفكرة بها صوت وصورة لها تأثير فيزيولوجي وتتحول الى اشكال عدة كالكلمات والرسوم والانغام والالوان وتقطع مسافة تعبر فيها خلال ظروف كيمياوية وفيزياوية متنوعة وتستهلك زمناً يبدأ بالثواني وينتهي بالسنين فلا يصحو طالب المراحل الاولى الا وقد أسقط من حسابه خمساً أو ستاً من السنين.. وعليه فان تعاملنا مع الافكار ونقلها يجب ان يكون مثل تعاملنا مع الحياة. نريد هواء نقياً للتنفس وطعاماً جيداً للأكل ونغلق انوفنا عن الهواء الفاسد ونمتنع عن الطعام السيىء يقابل ذلك وجوب اختيارنا للافكار الجيدة التي نود أن يستوعبها الطلبة .

نفضل طعامنا الجيد في أوان نظيفة ومريحة للعين والمزاج وتأبى أنفسنا حتى الطعام الجيد اذا كانت أطباقه قذرة يقابل ذلك اننا يجب ان نقدم الافكار الجيدة بالاساليب الجيدة ومن بين الاساليب المتبعة بالعالم:

١ ـ استعمال الوسائل السمعية المرئية وبطريقة غير متعبة من حيث الزمن والوضوح والصوت * وكذلك استخدام طرق المشابهة Simulation Techniques

٢ ـ الزوبعة الذهنية Brain storm

وهي الحصول على المعلومات المتعلقة بالموضوع من الطلبة أنفسهم عن طريق مجموعة من الاسئلة الموجهة وكتابة أجوبتهم أمامهم (فوق العارضة فوق الرأسية مثلا) ثم مناقشة الاجوبة ونقدها وبعد ذلك تقديم المعلومات المصححة أو الاضافية .

٣ ـ التغذية المردودة Feedback

وهي الحصول على بعض المعلومات من الطلبة أثناء المحاضرة عن طريق القاء الأسئلة الشفهية وسماعها وتثبيتها أو مناقشتها أو رفضها .

---

* مثل عارضة الشرائح Slide projector العارضة فوق الرأسية overhead projector والسينما Flin projector والتلفزيون Television

٤ — اقتران المسموع بالمرئي والمحسوس والملموس كيما تتكامل صورة الحقيقة في ذهن الطالب وتتضح جزءاً من الحياة.

٥ — استعمال اللطف أو المرح بالقدر المقبول. ويشبه اللطف بالمحاضرة التوابل في الطعام التي ان كثرت جعلت الطعام مراً وان فقدت أفقدت الطعام نكهته ومذاقه .

٦ — تشجيع أساليب التعليم المستقل Indepenoant Learnint
وهذه تتم بتوفير المكان الملائم لذلك من حيث البناء ،والاجهزة والشرائح والامكانيات الاخرى حسب الاختصاص بحيث تبقى المعلومات متوفرة للطلبة باستمرار الامر الذي يمكن الطلبة الغائبين من متابعة المنهج بصورة أكثر انتظاماً*(١٩) .

٧ — تشجيع تعليم المجاميع الصغيرة Seminrs التي تبرز فيها المهارات والنقد والنتائج المعرفية .

٨ — توحيد التعليم في المناهج المتقاربة Integration

المناهج

المناهج في عموم الاقطار العربية لا تستند الى فلسفة إجتماعية معينة كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي حيث يستند وضع المناهج على متطلبات تطبيق الفلسفة الماركسية اللينينية وهي في الصين تصطبغ بأفكار ماو وفي كوبا بأفكار كاسترو وفي الغرب بأفكار الرأسمالية. اما لدينا فالطابع الغالب على هذه المناهج هو الطابع التقليدي الاكاديمي النظري حيث يكاد يوجد انفصام تام بين التعليم والعمل وكذلك بين التعليم والتدريب والتعليم الاكاديمي نجده متخلفاً لأن المناهج تقوم على تجزئة المعرفة الى مواد منفصلة وموضوعات متفككة، محتوياتها جامدة جافة غير متصلة اتصالا وثيقاً بالحياة والبيئة اذ انها

(*) يمكن للطلبة ملء كارتات بما يخطر لديهم من أسئلة وتقديمها للاستاذ .

لا تجعل واقع المجتمع ومشكلاته وحاجاته محوراً تتحلق حوله المواد الدراسية ولا تتخذ من المواقف الحياتية أساساً للخبرات التعليمية. والتأكيد فيها على المعارف رليس للقيم والاتجاهات والمهارات مكان بارز فيها . والواقع ان هذا الانفصام الحاصل بين المناهج التربوية التى نقدمها لطلبتنا وبين الواقع التطبيقى ما هو الا تعبير عن الانفصام الحاصل في النفس العربية بين الفكر والسلوك والتي تعزى في أغلب الاحوال الى(احتواء الثقافة العربية على عناصر كثيرة متداخلة تنتمي الى ثقافات متعددة تشكل كثيراً من عاداتنا وسلوكنا في كثير من الامور) من جهة .والى تأثير الوجود الاستعماري في الوطن العربى ولفترات طويلة جعلت اجيالا كثيرة من العرب« تنوء في قبورها من ثقل الاحلام التى حملتها معها»* (١٤) من جهة أخرى فقد العربي ثقته بالاجواء التى تحيط به والتي تجعله غريباً في بلده بينما يتنعم بها الاجنبي .. لقد ولدت هذه الحالة الكثير من الامراض التى أخذت عجلة التقدم في مسيرة النهضة العربية الحديثة وكانت المناهج احدى هذه الولادات الصعبة التى جعلت المحيط العربى مسرحاً لكثير من الموجات الفكرية التي تجد البيئة العربية المتعودة حضارياً على اللغة والآداب والحوار بيئة خصبة لها ، بينما حرمت الجماهير العربية من تلقي العلوم التى تحتاجها للتقدم الحقيقي واكبر دليل على ذلك الفقر المدقع لهذه المناهج في المواضيع المتعلقة بالطاقة والمعادن فبالرغم من تدفق النفط من الارض العربية قاطبة واكتظاظ هذه الارض بالمعادن النفيسة وبرغم التحديات الموجهة للاحتكارات والاستعمار والصهيونية نجد ان مناهجنا تكاد تتجاهل هذه الحقائق الكبيرة فينقصها الاهتمام بالنفط ومصادر الطاقة الاخرى .

ويحق للمرء ان يتصور في بعض الاحيان ان هذا الوضع وضع مقصود، الغاية منه ابقاء الحالة في الوطن العربي ضمن حوزة القوى الامبريالية وتحت نفوذها المباشر او غير المباشر. ولكي نفهم جيدا موقع المناهج التعليمية من التقدم بأسره نقترح هذا الرسم المخطط التوضيحي الذي يبين الارتباط بين

حاجات الناس والتكنولوجيا والمناهج التعليمية وسياسة الدولة* الشكل٢.
وان اي خلل في اية عجلة يجعل الطرف الاخر يعمل في الفراغ او يلغي عمله، يقول بوسنك خبير المناهج في الامم المتحدة *١٨:

ان تغيير المنهج وتطويره يعني في حقيقته تغييرا وتطويرا للواقع الثقافي والحضاري.

هذا اذا تصورنا حياتنا المستقبلية بمنظار ستراتيجي يمتد إلى مئات السنين ولم تأخذنا مشاكل الساعة فتحدد نظرتنا إلى المستقبل. ويبقى تسلسل التأثيرات كالتالي:

الدولة هي المحرك لتلك العجلات. فلن تستطيع اية عجلة التحرك بدونها. كما انها يجب ان تتمتع بقوة تمكنها من تدوير كل تلك العجلات. وهذا يعني ان تتوفر بالسلطة صفات الرغبة الصادقة بتطوير الشعب والقوة على تنفيذ الرغبة والنفس الطويل بالمتابعة. ولن يتأتى لاية سلطة ان تكون بهذا الشكل مالم تكن سلطة شعبية تؤمن بالتقدم وتسعى اليه جاهدة ليل نهار محشدة جماهير الشعب حولها مفجرة طاقاتها ومنظمة لتلك الطاقات ومستثمرة لها في سبيل التقدم. ان السلطة الجيدة اذن ليست تلك التي تلبي حاجات الناس تلبية سلبية. بل تلك التي تربط حاجات الناس بضرورات التطوير فتجعل الناس بحاجة إلى التقدم في جميع مضامير الحياة ومعنى ذلك ان الدولة ستعلم ناسها حاجاتهم الايجابية وهكذا يسعى الناس مثلا بحكم وجودهم في عالم يملؤه التحدي التكنولوجي ان يربطوا مصيرهم بالعلم. الخطة التعليمية من جهتها تأخذ بنظر الاعتبار تلك الحاجات وتترجمها إلى مفردات. فاذا كانت الامة العربية مجزأة والحاجة الماثلة هي الوحدة ازاء تحديات المعسكرات العالمية وسباق التسلح يكون واجب المنظر التربوي ان يترجم ذلك إلى مفردات مناهج تهدف إلى البحث عن افضل الاساليب لتوحيد اقطار الامة العربية. واذا كانت الامة العربية الان تقع في كون تعج به

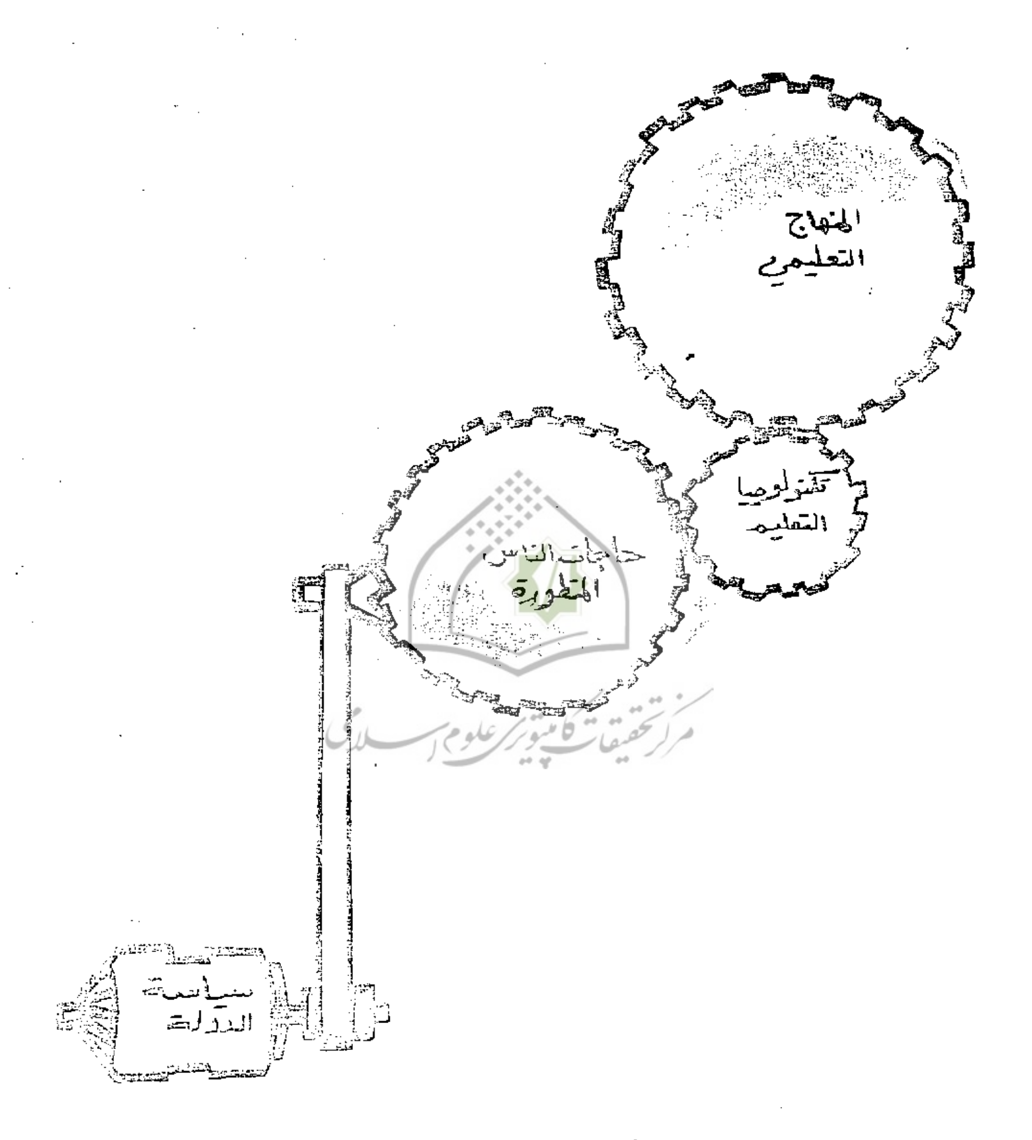
النظريات الاشتراكية والاقتصادية فإن الحاجة تكون هي البحث عن الهوية الاشتراكية الملائمة للواقع العربي وعلى المنظر ان يرعى ذلك في وضع مفردات النظرية الاقتصادية والاجتماعية الملائمة للوطن العربي. واذا كانت ثروات الوطن العربي تعتمد بشكل رئيسي على خزائن الارض من النفط والمعادن وبرزت الحاجة إلى التكنولوجيا الملائمة لاستخراج واستثمار هذه الموارد وهكذا وجب على المنظر ادخال المفردات الملائمة للعلوم هذه في مناهج التعليم.

واذا كانت هناك هجمة شرسة من الشعوبية على التاريخ العربي فإن المنظر يأخذ ذلك بنظر الاعتبار فيعيد جلاء الاشياء التي تراكم عليها الصدأ ويبحث في اعماق التاريخ عن كل مايرفع رأس العربي مرة ويجعله سيدا في الارض وملهما للاخرين.

واذا كانت اسرائيل قد تأسست بخطة علمية وببطء استغرق حتى الان جيلين او حتى ثلاثة اجيال فإن الحاجة الآن لدراسة الواقع من جديد والبحث عن وسائل علمية للتحرير وتعليم طلبتنا ذلك بمناهج واضحة بسيطة هو من صميم واجبات المخطط التربوي ..... الخ.

ولاتقتصر المسألة على المحتوى بذلك لان عملية اعداد المناهج الجيدة وتركها على الرفوف او تسليمها لغير المؤمنين بها اشبه ببذر الحبوب الصالحة في الارض السبخة. ان المعلومات وملقي المعلومات ومتلقي المعلومات يجب ان يكون لهم حضور واحد في الموضوع وهو حضور الحياة. اني لمستعير بهذه المناسبة الفقرة الفقرات ٥/٦ من التوصيات النهائية للمؤتمر الفكري الاول للتربويين العرب ١ — ٥/٧ الفقرة ٥ يدعو المسؤولين إلى تأييد الربط بين واقع النشاط التعليمي وواقع المجتمع العربي ومشكلاته وصولا إلى اشعار النشء بالانتمائية والمسؤولية والالتزام والانضباطية والواقعية وارادة التغيير والتطوير والنظرة العلمية والعصرية.

الفقرة٦: عمليات تطوير المناهج عمليات متكاملة تقضي ان يشمل التطوير المقررات والاساليب والكتب واعداد المعلم واساليب التقويم وهي، عمليات مستمرة لأن سمة العصر هي التغيير.



شكل رقم (٣)

ايديولوجية حزب البعث العربي

الامتحانات

القصة التالية التى يرويها البروفسور ر .م هاردن ١٧٠* من دندى تبين موقع الامتحانات في نفسية الطلبة :

عزيزتي ماما وبابا :

آسفة لتأخري في الكتابة اليكم . ولكنى سوف اجعلكم على بينة من الامر والآن ارجوكم قبل الاستمرار بقراءة الرسالة ان تجلسوا وتستريحوا . ان حالتي تتحسن باستمرار فلقد شفت جمجمتي من الكسور التى سببها سقوطي من شقتي الى الارض حيث قفزت ناجية بنفسي من الحريق الذي الم بالشقة لم امضي في المستشفى اكثر من اسبوعين وانى استطيع الان الرؤية جيدا . لقد كان من حسن حظي ان يراقب سقوطي والنار في شقتي عامل محطة البنزين القريبة الذي زارني في المستشفى عدة مرات وبما اني لم اعد املك سكنا او ملجأ فلقد كان هذا العامل لطيفا جدا وسمح لي ان اشاركه الشقة وشقته ليست اكثر من سرداب ولكنها مع ذلك حلوة . وهو شاب طيب جدا . لقد وقعنا في غرام بعضنا ونأمل ان نتزوج ولكننا لم نثبت حتى الآن موعدا لذلك امل ان يكون ذلك قبل ظهور علائم الحمل علي . وبالرغم من انه من عنصر ودين مختلفين عنا فان مواقفكم التي عودتمونا عليها سوف لن تسمح بأن تزعجكم هذه الحقيقة . والان وقد شرحت لكم كل مالدي اود ان اخبركم انه ليس ثمة نار في شقتي واني لم اسقط منها وجمجمتي بخير ولم اذهب للمستشفى وانى غير مخطوبه ولكني رسبت في امتحان التشريح واريدكم ان تستقبلوا هذا النبأ بهذا المنظور .

لعل هذه الرسالة الطريفة على مايبدو — تمثل مواقع الامتحانات في نفوس — الطلبة في بلد كبريطانيا . والواقع ان هذه المشكلة لاتزال احدى

(*) تمنح بعض الجامعات درجات الماجستير والدكتوراه في موضوع التعليم الطبي مثل جامعة دندى .

مصاعب التعليم في العالم كافة .. وقد انتبهوا اليها في الستينات والسبعينات فاسست لذلك البرامج الكفيلة برصد المشكلة وتقييمها والبحث عن حلول لمشاكلها المتفاقمه ولعل جمعيات التعليم الطبي احدى هذه الوسائل .

والامتحانات اذن هي الوسيلة الرئيسية لتقييم الطلبة ضمن المعروف ان هـذه الامتحانات تجري للطلبة من قبل الاساتذة وعلى مناهج موضوعه سلفا مجهولة الاهداف غاية الامتحان في اغلب الاحيان قياس مقدار ونوعية معرفة الطلبة . Assessment of Knowledge

لامهارتهم او مواقفهم الشخصية في حالات حياتية مقابلة

كما ان اسلوب اجراء الامتحان غالبا مايتم بنفس الطريقة وهي الطريقة الانشائيه حيث يعطي الطالب عددا من الاسئلة عليه الاسهاب في الاجابة عنها ثم يشرع الاستاذ بتصحيح المعلومات وتقدير الدرجة حسب قناعته ومزاحه ودوافعه وتنتهي مسيرة التقييم الانسانيه بورقة ومعلومات منقوشه واستاذ مصحح * قد يضع درجة اقل او اكثر بكثير من استاذ اخر تقدم له نفس الورقة لنفس الغرض .

ولكي ننتقد هذا الاسلوب في التقييم علينا ان نسأل انفسنا الاسئلة التالية

١ — ماذا نقيم ((المادة او المواد))

٢ — كيف نقيم ((الاسلوب والاساليب))

٣ — لماذا نقيم ((الهدف او الاهداف))

٤ — متى نقيم ((الوقت))

٥ — من الذي نقيم ((الجهة الممتحنة او الجهات))

ونضع جوابا لـ ((ماذا نقيم)) فنقول المعرفة / المعلومات Knowledge ((ماذا نعرف)) والمهارات skills ((ماذا نعمل ؟)) والمواقف / attitudes ((ماذا نشعر)) ولكي نفهم الحال هذا نورد حالة طالبة طب في شمال امريكا طردت من كليتها برغم كونها من الطلبة الممتازين في الدرجات

وقد بينت الكلية اسباب فصلها للمحكمة بكونها قبيحة ومفرطه السمنه وقذرة المظهر ولم تكن منسجمة مع محيطها وزملاءها ولم تكن لها علاقات طيبه مع المرضى . وهكذا طلب منها ان تغادر الكلية باسابيع قليلة قبل تخرجها . اما المهارات فكيف يمكن لنا ان نقيس قابلية طبيب على استخدام السماعة باستعماله قلما وورقة ؟

وجوابا لاسلوب التقييم وكيف نقيم فأن البروفسور هاردن يورد الامتحان النشائي والاختيار المتعدد Multiple choice واساليب الامتحانات العملية المتعددة . وعلى علمي وخاصة في الحالات الطبيه يمكن ان يضيف المرء الامتحانات الانشائيه القصيرة short assay المقابلة oral ولكل نوع من هذه الامتحانات محاسنها ومساوئها ولكن مهما تكن هذا الميزات هناك ثلاث قواعد يمكن استخدامها في اختيار طريقة التقييم وهي

١ ـ الشرعية او الفعاليه Validity

بمعنى انها طريقة تمكننا من قياس مانرغب ان نقيسه .

٢ ـ انها طريقة معول عليها (موثوق منها) ومتساوقه . Reliable consitsten.

٣ ـ انها ممكنة التطبيق فيما يتعلق بالامكانيات المتوفرة وعدد الطلبة الخاضعين للامتحان او التقييم (Practical) .

اما بالنسبة لسؤال لماذا نقيم (اي الغرض) :

يمكن لطرق التقييم ان تخدم عددا من الاغراض .

١ ـ لانجاح الطالب او ترسيبه

٢ ـ لتدريج معدلات او مراتب الطلبة (تصنيفهم)

٣ ـ التغذية الراجعه للطلبة (مؤشر عمل للمستقبل)

٤ ـ التغذيه الراجعة للاساتذة (معرفة مستوى الطلبة واخطاء التعليم) Feedback

٥ ـ تحفيز وحث وتحريك الطلبة Motivation

الاجابات الصحيحة

اما متى يتم الامتحان :

فكيف يكون سابقا للتعليم pretest (معرفة ماتم معرفته سابقا مثلا) وقد يكون خلاله او مستمرا او متقدما . وقد يكون في نهاية الفصل .

واخيرا من يقوم الامتحان :

الجهات التالية او الافراد لها علاقة بطريقة التقييم المتبعه :

١ ـ (الحكومة الدوائر الصحية في حالة طلبة الطب مثلا)

٢ ـ الهيئات الاجتماعية الاخرى .

٣ ـ الجامعات والمعاهد الاخرى .

٤ ـ لجنة جامعيه .

٥ ـ رئيس القسم الذي يهمه الموضوع .

٦ ـ المدرسون في القسم .

٧ ـ الطلبة .

يبدو ان عهد تفرد رئيس القسم بأحقية الحكم على اهلية الطلبة قد مضى فأن من الممكن اشتراك جهات حكومية كما يحدث في المانيا مثلا (بالنسبة لطلبة الطب) .

اما دور الاساتذة الخارجيين في الامتحانات External Examiners فهو مثار جدل واختلاف في اهميته وخاصة بعد تطوير الاساليب الامتحانيه والقيام بالامتحانات الموحدة . integrated والامتحانات متعددة الاختيار MCQ .

ان لاساتذة المراحل المتقدمة الحق بمعرفة الجزء المتعلق بموضوع من المراحل الاولى وتقييم طلبه هذه المراحل في هذا الجزء . اما بالنسبة للطلبة فان احد اهداف الامتحانات يجب ان تكون الاستمرار بامتحان النفس لاثبات قدراتها وكفاءتها الامر الذي يتطلب توفير متطلبات التقييـــــم الذاتية خلال فترة التعليم (مختبرات التعليم الذاتي) .

التعريب :

بعد ان ذكرت كل ماذكرت عن العروبة ولغتها وتقدير الخالق الاعظم لها وتمييزه الشعب الناطق بها بكل واكثر مما ذكرت .اعود فاقول ان على رأس دعاة اهمالها هم البعض من ابنائها بل والبعض من ابنائها المطلعين والعارفين وصناع القرار فهم يفضلونها شعرا وغناء ولهجة مفككة (عامية) تثير الضحك ولايفضلونها لغة لهم واداء متقناً وفلسفة موضوعية ورشداً بشرياً عالياً. وعندما تقول لهم سائلا:

اذن متى نبدأ باحيائها يقولون نؤجل ذلك الان.

تقول لهم من التاريخ:

ان ابا بكر الرازي شرح الحصبة والجدري والمغص الكلوي والمعوي والف كتاب المنصوري الذي ترجم إلى اللاتينية وهو مرجع في الطب والسموم والامراض الباطنية والف معجم الحاوي في العربية قبل اكثر من ١٠٠٠عام (٨٦٥ ــ ٩٢٥) وابن زهر الف بالعربية كتابا عن الاورام في ١١٦٢ وابن النفيس بالتشريح ووضائف الاعضاء ١٢١٠ ــ ١٢٨٨ وابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب الذي طبع بالعبرية سنة ١٤٩١م بعد ٥سنوات من وفاة ابن سينا. وفي الجبر الف محمد بن موسى الخوارزمي في زمن المأمون (٨٣١ ــ ٨٣٣م) كتاب الجبر والمقابلة .

وفي علم الديناميكا لدينا: (الحركة والصوت وامواجه، والاحتكاك، والمقاومة.. الخ)، اخوان الصفاء (في رسائلهم) في (القرن العاشر الميلادي) .

الحسن بن الهيثم (المناظر) ٩٦٦ ــ ١٠٣٩م. وابن سينا ٩٨٠ــ١٠٣٧م (الشفاء. الطبيعيات. الاشارات. النجاة).

ابن ملكا البغدادي: المعتبر في الحكمة.

واني لطالب إلى المجاميع العلمية العربية ان تنشر هذه المؤلفات وغيرها بعد تحقيقها وبطبعات رخيصة إلى جميع الناس وتهدى نسخا مجانية إلى ذوي

الاختصاص من حملة مانسميه اليوم . ph D.-M. Sc كلا ضمن اختصاصه .

اقول لهم ثي الجغرافية ارونا في الكون البلدان التي لاتدرس في لغتها ثم قولوا لنا هل قدمتها هذه اللغة ام اخرتها . بل ان هناك الصهاينة التي نبشوا القبور واخرجوا العبرية ونفخوا فيها واستعملوها كلغة لهم . وهم يدرسون بها الان بعض طلبتنا العرب وهناك اليابان التي تزاحم امريكا الان في التكنولوجيا وتعلم ابناءها بلغة الادباء. في المجال التطبيقي.

١ — اللغة الاجنبية تمثل مشاكل للطلبة والاساتذة فالكلام الاجنبي يحتاج المستمع العربي فيه إلى فهمه بمرحلتين : الترجمة اولا ثم الاستيعاب ثم الاستجابة.

٢ — الجهد الذي يبذل اذن جهد مضاعف ومضن.

٣ — ني جميع الاحوال سوف لاتتوفر هذه الثقافة لكل مواطن وسوف يحرم الكثيرون مما اقرته لهم الدساتير من حق التعلم.

٤ — لم نسمع عن ابداع متميز للجامعات العربية التى تدرس الانجليزية رغم مرور ٥٠ عاما على بعضها وهي على هذا الحال. بينما يمكن تصور فرص الابداع العلمي امام من يتكلم لغته كما نحسها في مجالات الابداع الادبى والفلسفى والفنى وكما سبق وحدث في التاريخ في المجالات العلمية الاخرى.

٥ — الاخطر من هذا تسرب الروح المستهينة بعظمة اللغة العربية إلى طلبتنا من خلال تأمليهم اساتذتهم وهم يؤكدون لهم ان هذا العمر الطويل في الخبرة والمعرفة التي مرت بهم اكدت لهم لاجدوى التعليم باللغة العربية مع العلم انهم لم يمروا بتجربة ذلك. وهكذا اصبح الحس القومي حسا عاطفيا لاموضوعيا تنقطع الصلة به عندما يكون الموضوع علميا ومصيريا.

٦ — اعترفت باللغة العربية دول العالم والامم المتحدة والمنظمات العالمية ولم يعترف بها بعض ابنائها وخاصة منظري التعليم العالي في الوطن العربي.

المحاضـــــرة :

لعل تعريف المحاضرة الذي اقترحه

(بأنها عملية نقل المعلومات من دفتر ملاحظات المحاضر إلى دفتر ملاحظات التلميذ دون ان تمر بذهن اي منهما) هو التعريف الملائم لكثير من المحاضرات التي تعطى في جامعاتنا.

فبالرغم ان ٦١٪ من اساتذة الكلية يستخدمون الوسائل الضوئية والصوتية كعارضة الشرائح والعارضة فوق الرأسيه والفانوس السحري فان ٧٣٪من الطلبة يحسون بالتعاسة في داخل المحاضرة الامر الذي يشير بأننا بحاجة إلى معرفة ادق بكيفية استخدام تكنولوجية التعليم بحيث تكون فعلا وسائل ايضاح لاوسائل ايضاح. ان العارضة فوق الرأسية لوظلت متوهجة المصباح طيلة المحاضرة فانها سوف تسيل الدموع من عيون الطلبة وتتعب ابصارهم كذلك فان الاستاذ الذي يستغل هذا الجهاز ليكلف بمهمة النيابة عنه في القاء المحاضرة يجعل من هذا الجهاز مشكلة اخرى من مشاكل الطلبة.

وعلى اية حال فان اية اجهزة صوتية وضوئية في العالم لاتستطيع القيام مقام استاذ جيد بينما يستطيع الاستاذ الجيد استغلال ابسط الاجهزة المتوفرة لديه في سبيل اتمام المهمة وجعلها مفهومة ولذيذة في نفس الوقت .

وعن مادة المحاضرة اظهر الاستكشاف ان نسبة عالية من المحاضرين يقدمون معلومات مخالفة للكتاب المقرر (٨٥٪) وهذا يعني مايلي:

١ — ان المحاضرين يقدمون معلومات خاطئة.

٢ — ان المحاضرين يقدمون معلومات اضافية مفيدة.

ولما كان ٧٣٪ من الطلبة يحسون بالتعاسة اثناء المحاضرة فان المرء يستطيع ان يلغي الاحتمال الثاني اعتمادا على رأي الطلبة. ينقص هنا ان يقرن ذلك باستجواب للاساتذة . على ان المفاجأة كانت في عدم رغبة اكثرية الطلبة

في التعريب (٦٣٪) (اشير هنا إلى ماتطرقنا اليه في التعريب) كما ان هناك ظاهرة ان طالب الطب يفضل ان يتحدث بلغة انجليزية محطمة مخجلة على التحدث بلغة عربية سليمة ومشرفة . فعلى رأسه اساتذة ونظام تعليمي يزقونه باستمرار بهذا الموقف وفي باب التدريب ابدى ٥٨٪ من الطلبة باجوبتهم انهم لم يعطوا فرصة حقيقية للتدريب كاطباء ذلك للأسباب التالية وحسب الترتيب.

ضيق المجال في المستشفى	٨٠ ٪
قلة الاساتذة	٦٥ ٪
قلة الاجهزة الطبية	٥٠ ٪
غيابات الطلبة	٤٦ ٪
كثرة الطلبة	٢٠ ٪

يتبين ان التعليم الذي تلقاه الطالب بالطريقة التي شرحت في البداية (باب المناهج والمحاضرة) سوف تطعم طلبتنا معرفة محرومة من المهارة skills مادامت اكثرية الطلبة لم تتدرب في المستشفى تدريبا كافيا. وسواء كانت الاسباب عدم ملاءمة الابنية (٨٠٪) او قلة الاساتذة (٦٥٪) والاجهزة ٥٠٪ او كانت الاسباب تنحصر في غيابات الطلبة انفسهم (٤٦٪) فان النتيجة واحدة هي ان المنهج تقدم نظريا ولاتلتقي بالمجال التطبيقي بالتدريب المناسب. ولهذا قد يتخرج لدينا نظريا (فلاسفه في الطب ولكن لايجيدون القيام بحقنه وريديه). وفي الكتب المنهجية المقررة كانت ٩٣٪ من اجوبة الطلبة تشير إلى انها مفيدة في معظم الاحيان ولكن الطلبة اختلفوا في كونها مطولة بدون داع او عكس ذلك فوقف ٤٨٪ مع كونها مطولة و٤٥٪ مع عكس ذلك وعندما اقترحنا عليهم حلا للمشكلة ان وجدت اختار ٦٠٪ من الطلبة تغيير الكتب المنهجية (معنى ذلك تغيير الكتاب برمته بكتاب آخر ربما اقل حجما حيث بلغت نسبة المطالبين بالتقليص (٢٨٪)

هذا ويؤكد الطلبة هذه المرة وبكل اسف رأيهم بعدم الرغبة بتعريب الكتب المنهجية حيث طالب طالب واحد فقط من المستجوبين بالتعريب.

في باب الامتحانات :

يبدو ان تجربة امتحانات الاختيار المتعدد هي الناجحة فلقد وافقت عليها (٨٠٪) من الاجابات وهذا يكون علامة اكيدة على صحة الـ MCQ كأسلوب امتحاني ولكنها ليست الوحيدة كما ان اختيار الـ MCQ من قبل الطلبة ربما كان لمجالات استنباط الحل الكثيرة في صميم الأسئلة ذاتها (elues). ان اسئلة الاختيار المتعدد ليست سهلة الوضع. اذ قد يعطي بعضها حلا للاخر بدون علم الواضع. كما انها اذا لم توضع — كما اوضحت — في خدمة هدف معين فانها سوف لاتفي غرضا باكثر من نجاح ورسوب الطلبة المطلق بدون الاهداف البقية المخططة. ومن هنا فان مراكز التعليم الطبي في بعض الاقطار تمنح شهادات اكاديمية عليا في موضوع التعليم الطبي. وقد رأيت اطروحة احدهم وكانت في موضوع اسئلة الاختيار المتعدد ودلالاته وكيفية بنائه. ان امتحان الاختيار المتعدد يمنح فرصة التغذية الراجعة Feedback لكلا الطرفين الطلبة والاساتذة (شكل رقم ٤).

واضح أيضاً ان أكثرية الاجابات تفضل نمط المقال القصير (٦١٪) Short assay والخطأ والصواب (٦٣٪) true & false هنا أيضاً وخاصة في الخطأ والصواب يجب ان « الخطأ يأكل الصح » منعاً للاختيار العشوائي ولعبة الصدفة. يبدو لي أيضاً ان من المناسب بعد التعرف على هدف الامتحان وضع امتحان مزيج من أنماط الاختيار المتعدد والمقال القصير والخطأ والصواب . لقد أثبتت التجربة صواب هذا الاسلوب وقدرته على اداء المهمة في بلوغ الاهداف المقررة للامتحانات .

وعن موعد الامتحانات انقسمت الاجابات الى مفضله لامتحانيين فقط نصف السنة والنهائي (٥٦٪) وامتحانات « فصلية «٥٥٪» » وتقييم مستمر

«٥٠٪» وطالبت«١٣٪» من الاجابات بالغاء الامتحانات وطالبت (١٠٪) من الاجابات بامتحان نهائي واحد فحسب .

ان سياسة التقييم المستمر هي المعمول عليها في بناء الاجيال وذلك لانها استمرار لعملية بناء المعرفة والشخصية والسلوك وتطور المواقف والمهارات ان عملية التعليم كالحياة نفسها ليست هناك مناسبة معينة لها لانها هي المناسبة ذاتها . وعليه فان التحديات التي تصادف الحي أثناء وجوده العادي والتي يمتحن ازاءها هي نفسها التي يواجهها المتعلم بعد ان تكون قد تكاثرت وتبلورت وانتظمت بمسارب حضارية وقوانين واكتشافات ومثلما يصعب الطلب في الحياة من ظرف صعب معين أن يتأجل حتى يتم استعداد المتلقي له يجب الا يحدث الشيء نفسه في مسيرة التعليم. ان فلسفة دمج التعليم بالحياة وجعل التعليم هو الصورة الاجمل من الحياة نفسها هي التي تجعل كل ملامح هذه الصورة جميلة وبضمنها الامتحانات. ثم ان فرز العملية التعليمية في جانب آخر عن الحياة يوحي للطالب انهما حقيقتان منفصلتان عن بعضهما . فقد ينجح الطالب في الامتحان دون ان يكون قد تعلم شيئاً وقد يتعلم الطالب مجمل المنهج ولا يجتاز الامتحان الفادح هذا. ومادام الطالب يعتقد بأن الحياة شيء والتعليم شيء آخر فلا حل لهمومه ولا تقدم للمسيرة على ضوء هذا المنظار . لنر اجابات الطلبة في باب الحياة العامة.معاملات الاساتذة للطلبة خلال فترة وجودهم بها كانت عادية« ٦٦٪» وسيئة (٦٪) وجيدة (٣٠٪) ومع اختلاف مسارب الاعتبارات فاننا نجد بوضوح ان هناك تقصيراً في الواجبات التربوية. ان معاملة الاستاذ للطالب يجب ان تكون بالضرورة جيدة ذلك لانها لو بقيت عادية فسوف لا ترفع الطالب الى مستوى الصورة الاجود للمستوى الحياتي المرجو. وبهذا نشجع الطالب على التفكير بان التعليم ليس الصورة الافضل وبالتالي لا يشكل حلماً وبالتالي يتحول الى متاعب شباب أخرى. اما كيف تكون العلاقة جيدة فهذا أمر نسبي تقرره الظروف

الموضوعية للاطراف والبيئة. ولكن يسود كل ذلك رغبة المعلم بالقيام بواجبه التربوي واهتمامه الشخصي به .

معاملات الادارة في الكلية كانت سيئة بنسبة (٣١٪) و(٥٣٪) عادية و (١٥٪)جيدة ولهذا ظروف محلية خاصة بهذه الكلية ومنها انقسام الادارة الى موقعين اني انتهز هذه الفرصة لأعلن ان من الخطأ انقسام أية ادارة جامعية الى موقعين متباعدين. كما ان الانظار يجب ان تتوجه الى ان ادارات الكليات والجامعات انما قامت أصلا لتعبيد الطريق امام المسيرة التربوية التعليمية وان الطالب هو الامل المرجى سيد المستقبل ومستودع احلام الجماهير هذا واننا نرى نفس الموقف من الاقسام الداخلية* (انظر الجدول رقم ٦). وبرغم ان الدولة قد وفرت التعليم المجاني من الروضة الى انهاء الدراسات العليا وانها جعلت الظروف الدراسية افضل(٨٦٪) فاننا لو أخذنا مجموع الاجابات السلبية تجاه المسيرة التعليمية المتمثلة برأي لمفردات المناهج والمحاضرة والتدريب والكتب والامتحانات والحياة العامة لرأينا اننا سوف نحصل على خرج مليء بالسلبيات كاف لان يجعل من فترة التعليم فترة متعبة للكثير من الطلبة والاساتذة، بدلا من ان تكون اكثر الفترات جمالا واشراقاً في حياة الانسان. فليس غريباً اذن ان تقول ٤٥٪ من الاجابات« لا » لمهنة الطب. يبقى لدينا التوجه بعد التخرج فلعل التقييم المستمر لا ينحصر اثناء اعطاء مفردات المناهج بل يتعداه الى ما بعد فترة التخرج لمعرفة مقدار وجدوى ما تعلمه الطلبة على صعيد التطبيق*. ففي الوقت الذي تشجع الدولة والحزب اتجاه الوقاية من الامراض ورفع مستوى الافراد الصحي نرى ان ٧٦٪ من الطلبة يفضلون حياة المستشفيات وانتظار المرضى في عيادات انيقة بدل الذهاب الى

(*) ذكرت نسبة ٤٥٪ من اجابات الطلبة ان صحتهم كانت سيئة. والمرء هنا يتذكر مايسميه الامريكان بمرض طلبة الطب الذي كان مثلا بنسبة ٧٨،٨٪ اصابة بين طلبة كاليفورنيا*١٧

(*) علمت أخيراً أن مشروع تقييم الخريجين قد بدأت به مجموعة من أساتذة كلية طب البصرة وانهم شرعوا بمسح الخريجين فعلا .

مواقع المرض والصراع معه ومحاولة القضاء عليه كأطباء مجتمع (١٠٪) بينما تحلل (١١٪) من هذا وذاك مفضلين العمل بعيادات خاصة. ان هذا مؤشر معظم لحال الخريجين ورغباتهم لم يبنوه لوحدهم بل ساعدتهم عليه جل العوامل التي تحدثنا عنها آنفاً .

ان اختيار كلية داخل جامعة عربية واختيار صف أخير داخل هذه الكلية قد منحنا كل هذه المعلومات التي تستدعي منا اهتماماً نشطاً بالمحصلات ومراقبة خطأ المستقبل. فكيف لو جرت الدراسة على كلية بأسرها أو جامعة أو عدد من الجامعات .

وأخيراً فان من المفيد ان تطرح نتائج ما تبحثونه، وما سوف تتوصلون اليه، على القادة والحكام العرب عموماً. ولابد لنا جميعاً من ان نعترف بأن مسألة البحث العلمي والاهتمام به ، هي مسألة جديدة بالنسبة لنا. وان حاجة الامة العربية الى الاهتمام بالعلم مساوية لحاجتها لأن تعيش . وان الاهتمام ببناء الامة يساوي الاهتمام بالعلم *١٠ .

الجدول رقم (٢)

(آ) مفردات المناهج

	نعم
تنسجم وواقع العراق	٦٦٪
تنسجم وواقع الوطن العربي	٥٨٪
اكثر مما يجب	٣٠٪
اقل مما يجب	٤٦٪
تعتقد انها مفيدة كلها	٢٨٪
تعتقد انها مفيدة جزئيا	٦٦٪
تعتقد انها غير مفيدة	٣٪

الجدول رقم (٣)

(ب) المحاضرة

	معظم الاحيان	لاأونادراً
هل يستخدم المحاضر وسائل صوتية وضوئية	٦٩٪	٣٨٪
	راحة	تعاسة
هل تحس بالراحة اثناء المحاضرة اوالتعاسة	٢٣٪	٧٣٪
	معظم الاحيان	لاو نادرا
هل تخالف معلومات المحاضر الكتاب المقرر	٨٥٪	٢٠٪
هل تمنيت ان تكون المحاضرات بالعربي	٤١٪	٦٣٪

جدول رقم (٤)

(ج) التدريب

	معظم الاحيان	لا او نادرا
هل كان منسجما مع المحاضرات	٧٥٪	١٨٪
هل اعطيت فرصة حقيقية للتدريب كطبيب	٥٨٪	٣٨٪
ماسبب قلة التدريب		
كثرة الطلبة	٢٠٪	٥١٪
قلة الاساتذة	٦٥٪	٢٠٪
ضيق المجال في المستشفى	٨٠٪	١٠٪
قلة الاجهزة الطبيه	٥٠٪	٢١٪
غيابات الطلبة	٤٦٪	٣١٪

جدول رقم (٥)

(د) الكتب المنهجية المقررة

	معظم الاحيان	لا او نادراً
هل استفدت منها	٩٣٪	٢١٪

	نعم	كلا
هل هي مطوله بدون داع	٤٨٪	٤٥٪

	تغييرها	تقليصها	حذفها	تعريبها
ماذا تقترح	٦٠٪	٢٨٪	——	١٪

جدول رقم (٦)

(ز) الامتحانات

		نعم
المقالة	SSAY	١٦٪
الاختيار المتعدد	MCQ	٨٠٪
المقابلة	ORAL	٣٠٪
الإجابات القصيرة	SHORT ASSAY	٦١٪
الخطأ أو الصواب	FALSE TRUE	٦٣٪

		نعم
التقييم المستمر	CONT. ASSES	٥٠٪
الامتحانات الفصلية	SEMEST. EX.	٥٦٪
امتحانات نهائية واحدة	FINAL	١٠٪
امتحان نصف السنة	MID-FINAL	٥٦٪
والنهائي بلا امتحان	NO EXAM	١٣٪

الجدول رقم (٧)

(ح) الحياة العامة

	جيدة	عادية	سيئة
معاملات الاساتذة خلال فترة وجودك كانت	٣٠ ٪	٦٦ ٪	٦
معاملات الادارة في الكلية كانت	١٥ ٪	٥٣ ٪	٣١٪
ظروف معيشتك بالاقسام الداخلية كانت	٨ ٪	١٦ ٪	١٥٪
حالتك الصحية كانت	٢٠٪	٢٠٪	٤٠٪

	نعم	كلا
لو لم يكن التعليم العالي مجانا هل تعتقد ان دراستك ستكون افضل	١١٪	٨٦٪

جدول رقـــم (٨)

النتيجة :

الان وقد اوشكت على التخرج

	طبيب مستشفى	طبيب مجتمع	طبيب عيادة
هل تحب ان تكون	٧٦٪	١٠٪	١١٪

	نعـــم	كـــلا
هل انت سعيد بدخول مهنة الطب	٥٣٪	٤٥٪

(١) سورة آل عمران ٣ آية ١١٠ .

(٢) مؤتمر اتحاد الجامعات العربية ٧-٤ شباط ١٩٧٣ .

(٣) انظر الموسوعة البريطانية تحت : university

(٤) ودليل الجامعات العربية / / مطبوعات لتحدد الجامعات العربية ١٩٧٠ .
نعتبر هنا المدرسة النظامية التي تأسست ١٥٧٦ والمدرسة المستنصرية عام ١٢٣٤م دليلين لهذا الغرض رغم انهما لم تعودا ماثلتين للوجود الا بالآثار والاسم .

(٥) هما : جامعة اسطنبول تأسست عام ١٤٥٣،وجامعة اسطنبول التكنولوجية عام١٧٧٣.

(٦) جامعة القديس يوسف : اسست لتكون جامعة تبشيرية يسوعية.

(٧) نعتبر أن جامعة الأزهر التي كانت قائمة منذ ٩٨٠م موفية للغرض .

(٨) جامعة الجزائر . اسست عام ١٨٧٩ تنطق الفرنسية .

(٩) جامعة بنجاب في لاهور تأسست عام ١٨٨٢ .

(١٠) وهي :
١٥٣٨ University Sainto Domingo
١٥٦٢ National University San Carlos
١٥٧٣ University of Colombia
١٥٤٠ University San Carlos Cibu eity
١٥٩٥ University of Sainto Thomas Mainla
١٦١١

(١١) التربية والتنمية في الوطن العربي / د. رياض رشاد البناء .
بعض الخطوط العريضة لاستراتيجية تربوية جديدة وقائع وبحوث المؤتمر الاول للتربويين العرب بغداد ٧-١٥ حزيران ١٩٧٥ .

(١٢) مطالب التنمية على محتوى التربية في الوطن العربي / د. سعاد خليل اسماعيل وقائع وبحوث المؤتمر الاول للتربويين العرب ١٩٧٥ .

(١٣) السورة المنشودة للتنمية سنة ٢٠٠٠ في العالم العربي/ د. محمود السيد سلطان / المصدر السابق / كلية التربية / عين شمس .

(١٤) في سبيل البعث / ميشيل عفلق .

(١٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي معتمد دار العلوم عضو المجمع العلمي بدمشق / دار الكتاب العربي .

(١٦) الثورة والتربية الوطنية : الرئيس صدام حسين .

(١٧) Medical Teacher.R.M.HARDEN : ASSES Students an Overview Voll No2 1979 Medical ediediur

(١٨) لوسنك Michael Simpsen, Butterworth

(١٩) واقع الخدمات الصحية والتعليم الطبي وآفاق التطور / احمد الخفاجي / جاسم الهاشمي / مصطفى النعمة وآخرون / بحث من كلية الطب / البصرة / كانون الاول ١٩٨٠ لم ينشر حتى الآن .

(٢٠) جريدة الوقائع العراقية / قانون سلامة اللغة .






مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

CONTENTS

Bibliographie sommaire

Bally Ch., Linguistique générale at linguistique française, Berne 1944 Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Lausanne, 1916 Maurice Grammont , Traite de phonetique Paris 1950.

Oscar Block et Van Warthburg, Dictionnaire etymoligique de la langue française, Paris 1932

OED , The Oxford English Dictionary, Oxford 1933.

lle (le signifiant) est antérieure, plus le son qui frappe notre oreille est sombre plus il est traduit par une voyelle grave, la série des possibilités d'articulation et de l'aperture de la bouche étant paralléle a' la série de timbres possibles .

Il a été déjà dit qu'il n'est guere admissible d'intérpréter tout onomatopee comme si elle existait dans le vide . Il y a des phonémes qui ne s'expliquent que dans le cadre d'une certaine langue. L'ancien français a formé plusieurs mots avec l'initiale (dz) que le français moderne a perdue: japper, , jaser, jangler. Le phonéme (z) est peut-être d'origine expressive, symbolisant l'emportement, l'élan, la joie. Le phonéme (z) a formé beaucoup de mots en arabe, comme zaqzaqa " زقزق " (gazouiller), ziaq'a " زعاق " "chanter" (en parlent du coq), za'ib " زعيب " (en parlant du bourdonnement des abeilles), "za'r" ' زئير " (rugissement du lion). L'anglais a un assez grand nombre de mots commencant par (j) qui désignent des sons vocaux d'un certain genre: yell "crier", yap "glapir", yowl (désignant le cri prolonge d'un chien ou chat). En francais l'initiale (j) ne se trouve que dans des mots étrangers.

L'étude des onomatopées doit être méthodique. Il ne suffit pas de donner une déscription plus ou moins générale de la valeur symbolique, mais il faut considérer les phonémes du point de vue de leur productivité dans la formation de mots nouveaux. On s'est borné ici à étudier principlalement quelques phonémes initiaux, en limitant le domaine de l'étude aux onomatopées. On a vu que certains phonemes initiaux ont apparemment une valeur générale dans ce sens que dans plusieurs langues on se sert du même phonéme pour la même id ée IL y'en a d'autre qui trouvent dans certaines langues seulement qui ont recu leur valeur symbolique grace à un groupement plus ou moins accidentel de certains mots appartenant au méme champ sémantique.

Soulignons aussi que ni en français, ni en angais, les phonémes ('t) et ('d) n'introdui desent de bruits vocaux .

La vibration légére de sons exterieurs est associée avec la vibration du passage nasal qui a lieu quand nous prononçons(m) (n), (y) ou les voyelles nasalisésss en francais, vibration causee par l'ouverture du passage nasal de façon que l'air sort par le nez. Donc les phonémes de nasalisation sont les traductions naturelles de sons caracterisés par une vibration légére et nous les trouvons partout. Il y a pourtant un élément d'arbitraire dans ce sens que dans les langues ou les trois phonémes (m). (n), (y) existent,tous les trois sont possibles en principe. Les mots anglais bang et slam désigenent à peu la même chose, à savoir le bruit fait quand on ferme une porte en la claquant . On dit "pim" en français pour désigner le bruit du marteau qui frappe l'enclume, on dit "ping" en anglais quand on parle du bruit d'une balle ou d'un mosquito. Mais on ne pourrait pas substituer un l, s, v etc. a une nasale.

Le timbre des bruits que nous entendons a un rapport bien régle avec les voylles du langage . Un son tres aigu, un ton haut sont necessairement traduits par la voyelle (I), des exempls ples français cri–cri, tri–tri , pim, en anglais nous avons "whinny (hinnir), "ting" (son produit quand on frappe contre un verre légérement).

Un ton bas, un bnuit sombre ou sourd ne porraient jamais être traduits par la voyelle (i). Les seules voyelles aptes à les traduire sont des voyelles dites sombres (u) ou (o). On ne pourrait pas substituer un (i) a la place du (u) dans "glou–glou" ou "roucouler".

On voit, selon ce qui précéde, que pour le timbre et la hauteur des tons aussi il y a motivation du signe par le signifié dans ce sens que plus un son (le signifie) est clair plus la voyelle

petits animaux, surtout d'oiseauX , ou le (p) est imitatif du mouvement du bec, respectivement de la bouche ne diminue en rien la valeur 'explosive'. L'idée d'un bruit explosif brusque exige comme signifiant l'initiale ('p). Des exemples sont français "pif paf" (en parlant d'un coup de feu), péter, pétiller, pouffer (éclater de rire), anglais pop (bruit du bonchon qui saute, etc.) pom–pom (espece de mitrailleuse), francais bouffer, bondir, anglais bang (claquer une porte,), bump (cogner), etc. On ne pourrait remplacer (p), (b) par aucun autre phonéme. Ceci s'explique facilement quand on considére que l'ouverture brusque des lévres et la sortie brusque de l'air sont l'image physioigique la plus proche d'une explosion.

Pour indiquer l'idée d'un frappement sec contre quelque chose on se sert généralement d'un (t). L'origine de l'initiale (t) est peut–être imitative d'aprés le mouvement de la pointe de la langue qui frappe contre des dents ou les alvéoles . La finale est (k) quant l'idée du choc entre le frappant et le frappé est celle d'une collision séche qui finit brusquement
Le caractére général de la combinaison phonématique (t.k) apparait clairement dans l'existance un peu partout du radical dans les vanantes Tak, Tik, Tok, Tuk, En anglais il y a les variantes "tick" avec le (I) qui symbolise la petitesse du coup. "tuck" (dit d'un tambour). tick–tack, les formes nasalisées "tink" ou "tinkle " (dit du son de petites clochettes), "tang" (frapper une cloche), "tum–tum" (en parlant du son produit par le tambour). En arabe nous avons taiktaik (dit du son produit par le brisement de quelque chose), (en parlant du son produit par le montre).

Ainsi que le montrent les exemples cités, le phonéme initial (t) a'un caractére de nécessité occasionné par son signifié, c'est–a–dire l'idée de coup sec qui finit brusquement, abruptement

A vrai dire nous distinguons deux catégories de phonémes (1) les phonémes qui ont une valeur linguistique générale, et 2) 'les phonémes qui ont une valeur seulement dans une certaine langue et dans certaines conditions. Le premier groupe de phonémes est caractérisé par le fait qu'une certaine idée phonique demande comme signifiant un certain phonéme, tandis que dans le second groupe les phonemes sont arbitraires jusqu'à un certain degré. Cette différence comporte une différence par rapport à la motivation du signe .

Les mots exprimant des sons vocaux commencent le plus souvent avec (k) ou (g), mais en général seulément les sons qui sont imaginés provenant des régions posterieures de la bouche ou du gosier. L'occlusion faite par le dos de la langue contre la région vélopalatale est généralement associess avec des sons vocaux a attaque dure de facon que dans les diverses langues les initiales sont toujours ou (k) ou (g). La plupart des noms des animaux dont les voix sont caracteris ees par une attaque violente des sons commencent par un (k) ou un (g) (arabe "kaikab") c'oucou', anglais "cuckoo", français "coucou"; anglais "crow", français "corbeau"; français "coq", anglais "cock". français "canard", arabe karawan , français "courbi", anglais "curlew". Comparez aussi tous les mots désignant le chant ou le cri violents, comme français "coasser" anglais "croaking"; français "cocorico", arabe kiki anglais "cock-a-doodle-doo", allemand kiberibi.

La violence des sons est donc intinctivemant rapprochée de la sensation que notre oreille éprouve quand nous prononçons des (g) ou (k) velaires .

L'idée d'explosion a pour traduction phonique le phonéme initial (p) ou (b) (quand l'explosion est moins brusque). Que le méme phonéme introduite des mots désiganat des sons de

LA VALEUR DE CERTAINS PHONEMES INITIAUX DANS LA FORMATION DES MOTS ONOMATOPEIQUES

Dr Abid Ali Abdulridha

Cet essai tend à faire une méthode de comparaison portant sur un certain nombre de mots étudiés dans des langues de familles différentes. Le probléme est celui des onomatopées, c'est–à–dire en général des mots bases sur le principe de symbolique imitative .

En effet los approches faites jusqu'à présent dans l'explication des onomatopées souffrent toutes d'un manque de méthode. Les onomatopées ont toujours été interprétées du point de vue de la phonétique générale. Le défaut de méthode est là. Il va de soi que la phonétique générale aide à expliquer beaucoup de choses, mais il n'en est pas moins vrai qu'il faut considérer une onomatopée dans le systéme de la langue à laquelle elle appartient. Ceci est surtout vrai pour les éléments initiaux des onomatopées.

M. Grammont dans son traité de phonétique souligne que "le 9 comporté une sonorite et une mollesse qui ne conviennent pas si l'attaque de la voyelle ést brusque".Les équivalents du du mot "coucou" devraient donc tous commencer par (k). Nous pensons que cette explication ne pourrait être acceptable que pour un certain nombre des langues, puisque, en fait, les dictionnaires étymologiques qu'on a feuilletés ont bien montré qu'il ya des langues ayant l'occilsive sourde (g) comme inivialsi l'arabe caloob écossais gowk, bavarais guabu etc.

NOTES

1. Correspondances générales. Tome IV.P. 164.
2. J. Bruneau.Langages de Flaubert. P. 34.
3. Education Sentimentale P. 71.
4. IBID. P. 72.
5. Correspondances générales. Tome. I.P. 223.
6. Education Sentimentale. P.156.
7. IBID. P. 226.
8. IBID. P. 226.
9. IBID. P. 469.
10. IBID. P. 429.
11. IBID. P. 12.
12. Correspondances generales. Tome. III. P. 291.

Ouvrages consultes

— J. Bruneau, langages de Flaubert, Colin, Paris, 1973.

— Desharmes et Dumesnil, Autour de Flaubert, Paris, 1911.

— R. Dumesnil, Gustave Flaubert, Paris, 1917.

— Ferdinand Brunetiere, Le roman naturaliste, Paris, 1881.

— G. Flaubert, Correspondances générales, Paris, 1958.

G.Flaubert, Oeuvres completes, Conard, Paris, 19123.

— A.Thibaudet, Flaubert, Paris, 1922.

Dussarier. Quant aux héros eux-mémes, Frédéric et Mme Arnoux, Flaubert ne cesse de se moquer des "faiblesse" de Frédéric; il le décrit ainsi au début du romén: ,un jeune homme dė dix-huit ans,a longs cheveux et qui tenait un album sous son bras restait auprés du gouvernail, immobile. Atravers le brouillard, il contemplait des clochers, des édifices dont il ne savait pas les noms; puis il embrassa, dans un dernier coup d'oeil, l'île Saint-Louis, la Cité Notre-Dame; et bientôt, Paris disparaissait, il poussa un grand soupir'. (ES) (11)'

L'auteur n,est donc ni invisible ni' tout-puissant dans l'Education Sentimentale "et il est aiso d'en' conclure que Flaubert est infidéle a ses propres théories. Ce serait une grande' erreur Il se réserve le droit d'intervenir directrment dans son oeuvre et surtout par le ton même de l'oeuvre,ici si profondément satirique.

Flaubert croit à la vérité de ses romans, ainsi que le prouvent tant de textes; un exemple suffira: "Ma pauvre Bovary, saus doute souffre et pleure dans vingt villages de France à la fois, a cette heure meme. " (12)

Sa présentation de la vie comme tragédie lui paraît vraie, et devrait suffire à convaincre ses lecteurs. Et c'est là, laraison de la présence de l'auteur dans l'Education Sentimentale, sous toutes ses formes.

caractéristiques: Frédéric et Rosanette sont à Fontainebleau: "Il lui découvrait enfin une beauté toute nouvelle, qui n'était peut-être que le reflet des choses ambiantes, à moins que leurs virtualités secretes ne l'eussent fait s'epanouir". (ES) 'g) Flaubert veut expliquer ici une sensation tres complexe de Frederic, celle de la "beaute nouvelle" de Rosanette. Il s'agit la d'un fait psychologique que Flaubert lui-meme avait certainement éprouvé, mais qu'il se sent incapable d'expliquer totalement. Enfin, quand le sentiment échappe à l'analyse quand il s'avit, pour ainsi dire , d'un secret de l'âme humaine, Flaubert a recours a ces adverbes (sans doute), (peut-etre) qui ont en outre l'immence avantage de sonner plus de vie à ses personnages: de même que le lecteur s'est rendu compte des limites de sa propre connaissance des autres, de même, l'auteur admet qu'il ne peutpas sonder tous les reins et tous les coeurs". Malgré leur nombre et leur importance, ce interventions de l'auteur sont reduites. Mais il est une autre forme de la présence de l'auteur dans l'Education Sentimentale, et celle-la est presque ominprésente, c'est-à-dire, la présentation satirique des personnages. Flaubert ne cesse de commenter leurs actions de les juger, de maniére le plus souvent impitoyable rarement élogieuse. Voici des exemples des deux manieres: Frédéric parle à Mme Arnoux , habilenment et naivement a la fois, la tête basse, tout en souriant de son beau sourire". Il ne s'agit plus ici d'un jugement de Frédéric, c'est l'auteur lui-même qui prend à son compte le "beau sourire" de Mme Arnoux. Plus loin, quand Frederic decide de se presenter la deputation, Flaubert commente: "Frédéric , homme de totes les faiblesses, fut gagne par la demence universelle" (ES) (10) Flaunert prend plaisir à se moquer des fantoches qu'il met en scéne; tous y passent: Deslauriers, Hussonnet, Pellerin, Regimbart, Arnoux, Les Dambreuse, Rosanette, Louise Roque, à l'exception de

revu cette femme-là, j'ai eu mal àla reconnaitre ...." (ES). C'est là l'une des vérites psychologiques importantes dont Flaubert veut convaincre son lecteur:que l'amour n'est jamais éternel, sauf dans les romans. Une autre maxime va-plus loin encore, et révéle le secret même de Flaubert; Frédéric cherche à se distraire de "Sa passion calamiteuse" pour Mme Arnoux, et Flaubert commente: "En plongeant dans la personnalité des autres, il oublie la sienne, ce qui est la seule maniére peut-être de n'en pas souffrir " (ES). (7) C'est là précisement la grande découverte de Flaubert à la fin de la crise de 1843-1845, et qu'il a longuement commentée dans les deriers chapitres de la premiére Education Sentimentale. Mais Education Sentimentale de 1869 se veut l'histoire d'un jeune homme ",d'un jeune cemme les autres, et Frédéric ne trouvera le salut que l'espace d'un moment: "un jour qu'il prenait des notes tranquillement, la porte s'ouvrit et le domestique annonça Mme Arnoux" (ES). (8) Le pauvre Frédéric retombe, pour toujours, dans son orniére Les autres maximes sont de moindre conséquence. Mais l'essentiel, c'est le principe même d'insérer des maximes au temps Présent dans un récit fait au passé. L'auteur y énonce ce qu'il considére comme les lois de la destinée humaine; ces lois sont peut-être vraies; en tout cas, présentées ainsi elles doivent le paraitre aux yeux du leteur. Convaincu par l'intrigue du roman le lecteur est amené a prendre pour argent comptant, sans les discuter, ces lois psychologiques qui ne font, en fait que refléter la vision du monde de Flaubert lui-même. Si l'auteur n'est pas invisible dans l'Education Sentimentale , il n'yest pas non plus tout-puissant.

Flaubert se sert souvent dans son roman d'adverbes comme (sans doute), (peut-etre) ou bien traduit ses hésitations sur le comportement de ses personnages en évoquant plusieurs explications possibles. En voici un exemple parmi les plus

réflexions ineptes de Frédéric : "Il se demanda sérieusement" s 'il serait un grand peintre ou un grand poéte; et il se décida pour la peinture, car les exigences dece métier le rapprocheraient de Mme Arnoux. Il avait donc trouvé sa vocation! Le but de son existence était clair maitenant, et l'avenir infaillible". (ES)(4) le second se rapporte a des expériences de Flaubert , quand il quittait ceux qu'il aimait : Elisa Schlesinger à Trouville en 1836, sa famille en 1840 , lors du voyage aux Pyrénées et en Corse, Eulalie Foucaut de Langlade, à Marseille , durant le même voyage, les soeurs Collier, au commencement de leur liaison, etc.. Pet– etre fandrait-il donner un sens plus profond encore à cette loi de la nature humaine Flaubert ne voudrait pas seulement dire que la perte de l'être aimé précéde la séparation elle–même , mais que les plus belles amours ont toujours une fin sur cette terre; huit jours aprés leur premiére nuit d'amour Flaubert écrit à Louise Colet :"va,je t'aurai bien aimée, avant que je ne t'aime plus".(5)
Quoi qu'il en soit, Flaubert ne se sert que deux fois, dans son roman, de ce"vous" et ce "nous" qui lient l'auteur et ses lecteurs, mais c'st chaque fois pour exprimer l'une de ses intuitions les plus profondes et les plus personnelles de la destinee humaine.

La seconde frome de présence de Flaubert dans l'Education Sentimentale est l'emploi fré quent de maximes qui demontrent les actions des personnages.
Plusieurs d'entre elles vont droit au centre même du roman. Quand Flaubert écrit: ( ) les passions s'étoilent quand on les dépayse ( ) . (66), il s'appuie sans aucun doute sur sa propre expérience, et surtout ses rencontres à Paris, en 1842-1843, avec Elisa, connue àTrouville en1836: ") je n'ai eu qu'une passion véritable .... j'avais à peine ouinze ans quand j'ai

LA PREENCE DE FLAUBERT DANS L'EDCATION SENTIMENTALE

Dr.Dawood Salim Ismael

La Présence de Flaubert dans L'Education Sentimentale Dans l'une des formules les plus souvent citées concenant sa conception du roman, Flaubert écrit à mademoiselle Leryer de Chantepie : "L'artiste doit être dans son ceuvre comme Dieu dans la création , invisible et tout–puissant:qu'on le sente partout , mais qu'on ne le voie nulle part."(1)

Une étude attentive de l'Education Sentimentale prouve que Flaubert n'y est ni invisible , ni tout–puissant ." "Car il intervient souvent dans son roman et de maniéres trés diverses Nous pouvons les classer en cinq catégories : Les appels au lecteur, Les maximes , Les doutes exprimés par l'auteur sur les causes réeles du comportement de ses porsonnages, les jugements qu'il porte sur eux, enfin le ton si fortement satirique de la majeure partie de l'oeuvre."(2)

La premiére catégorie , celle des appels au lecteur, se réduit à deux exemples, mais d'une importance extrême. Les voici: "Alors, il (Frédéric) fut saisi par un de ces frissons de l'âme ou il vous semble qu'on est transporté danse un monde supéri eur." (ES)(3) ; "Il ya un moment dans les séparations ou la personne aimée n'est déjà plus avec nous". Il faudrait étudier avec le plus grand soin l'emploi du"vous", du "on" et du "nous" dans ces deux passages, mais une évidence saute aux yeux :il s'agit là de deux des expériences les plus profondes de Flaubert Le premier texte fait allusion "aux extases panthéistes," dont nous avons tenté de mentrer L'importance dans la vie et l'oeuvre de Flaubert, et que l'auteur mesure au compte–gouttes à son heros, puisque cette révélation n'a pour resultat que ces

14— Zévaés (Alexandre) .... *Zola*, édition de la Nouvelle revue Critique - Paris - 1945.

15— Zola (Emile) .... La vérité en Marche Garnier Flammarion, 25op.

٧٩

BIBLIOGRAPHIE GENERALE

1— Abraham et Roland Desne........*Histoire littéraire de la France.*

2— Al-Dujaili Mouayed .... *Image de l'Islam dans l'oeuve de Pierre Loti,* thése 3 éme cycle. Littérarture, univ. de Provence-Aix-1980.

3— Barrés 'Maurice) .... *Le Culte de Moi*-Plon, 1922

4— Blancpain (Marc) .... *La civilisation française,* Hachette, 1980 .

5— Delhorbe (Cécile) .... *L'Affaire Dreyfus et les écrivajns francsais;* Paris, V. Attinger, 361 p.

6— Domenach (Jean Marie) .... *Barrés par lui-même* Aux éditions du Seuil, 191 p. 1954.

7— Drumont (Alfred) .... *La Libre Parole*

8— France (Anatole) .... *M. Bergerert* à *Paris*-Calmann-Lévy -Edition livre de poche, 250 p. 1974.

9— Honataux (Gabriel) .... *Histoire de ja nation française,* Paris, Plon, 1924.

10— Maurois (André) .... Le Monde de *Marcel Proust, Hachette,* 1960.

11— Paléologue (Maurice) .... *Journal de L'affaire Dreyfus* Paris, Plon, 1955.

12— Pierre Loti .... *Aziyadé,*
- In oeuvres complétes, Paris, Calmann-Lévy 1893, t1, pp. 285- 528 .

13— Robert (Paul) .... *Le Petit Robert-Dictionnaire* Universel des noms propres. SNL-Le Robert - 1980.

comble. Elle a divisé le peuple français en deux parties. Certes les francais sont conscients de l'injustice subie par Dreyfus. Ils préferent l'injustice a un désordre qui affaiblirait la France devant l'Allemagne" (ç) . Nous voyons là, la preuve que les francais ont trouvé dans l'Affaire un prétexte pour justifier leur antipathie à l'egard des juifs .

L'antisémitisme chez Loti a pour origine religieuse. Il remonte à la crucifixion de Jésus–Chrish. Pour lui, les juifs sont traitres, sordides parce qu'ils ont crucifie Jésus-Chris .

A part Barres, nous avons montré la campagne qu'ont menée Emil Zela et Anatole France en faveur de Dreyfus et comment ils ont du affronter des difficultés énormes pour arriver a réaliser leurs objectifs. L'antisémitisme ne passe pas sous silence dans leurs oeuvres. Emile Zola fut convaincu de la vague antisémite traversant la France à cette époque, il ne négligeait pas d'identifier ses raisons essentielles.
Pour lui, la raison matérielle passe au premier rang. Bien qu'étant une minorité au sein du peuple francais, les juifs dominaient le commerce et occupaient des postes importants. La deuxiéme raison était représentee par une antipathie héréditee à l'égard des juifs. I.I existait également la barriére d'incompréhension et la différence de races entre les deux communautés, chrétienne et juive.

(1) *Historire litteraire de la France,* p. 475 ..

Bien que Zola prétend défendre une cause justeé en même temps, il est conscient qu'il a fait face àune majorité écrasante antisémite et qu'il a été contre l'opinion publique francaise. C'est pourquoi ses idées se sont heurtées à une forte opposition , sa lutte acharnée ne fut jamais facile .

La presse

A l'époque de l'affaire Drefus, la presse jouait un rôle important; c'est elle qui animait les foules assoifées d'information .Peu nombreux furent les journaux dreyfusards; "leurs seuls organes sont ceux de la presse d'opinion, à faible tirage, tribune politique de gauche ou du centre, ou s'expriment des personnalités influentes :

L'Aurore (Clémenceau), le Radical, la Petite République, le Siécle, le Figaro .... "(1).

A part les journaux déjà mentionnés , les antidreyfusards accaparérent la presse francaise qui n'évoquait pas seulement la trahison de Dreyfus mais elle publiait aussi des idées antisémites .

Conclusion

A travers cette ȇtude, il s'avére que l'antisémitisme a ses raisons et ses préjugés. Même avant l'affaire Dreyfus, les juifs bénéficiaient d'un prestige au sein de la société francaise . Ils accaparaient également le commeree et l'industrie .

Maurice Barrés pense que les francais commencent à souffrir de la présence des juifs qui se mélent à la politique du socialisme et du communisme. Ils contribuent à répandre les idées athéistes .

L' affaire Dreyfus fit exploser la situation étant donné que le mécontentement populaire vis-à-vis des juifs fut à son

(1) *Histoire liiteraire de la France* , p. 480.

nez me jette hors de moi, parce que toute ma chair se révolte, à'les sentir differents et contraires,"(1)

La deuxiéme raison de cette répugnance est l'amour de l'argént. Selon Emile Zola, les juifs se sont regroupés pour se défendre étant donné qu'ils ont été persécutés, frappés et injuriés. N'oublions pas que les juifs ne se marient qu'entre eux et qu' lis sont solidaires . Ainsi, ils ont crée une "sorte de secte internationale" et sont devenus des trafiquants et des usuriers (2) .

Bien que les juifs ne soient pas nombreux en France, p ar par rapport aux catholiques , ils sont puissants et intelligents. Emile Zola nous cite un exemple. En parlant des juifs . um banquier catholique lui a dit "Ah! monsieur, ils sont plus forts que nous, toujours ils nous battront ".'(3)

La mort brusque de Zola suscite de multiples questions Certains pensent qu'il a été victime d'un accident ; d'autres trouvent en sa mort une suicide car il a beaucoup d'adversaires. En effet, Zola est mort asphyxié, Alexandre Zévaes affirme cette vérité. Zola meurt "foudroyé, en pleine force, aprés avoir fait sa carriére, sans avoir connu le déclin "(4).

Le New York, journal du 1er octobre, 1902 , publie les paroles proncncées par le pape Léon XIII en apprenant la mort de Zola :

'C'etait un ennemi de l'Eglise, mais c'etait un ennenmi franc et honnéte. Que son âme repose aux cieux (5).

---

(1) *La Vérité en Marche*, p. 59.

(2) *I bid* , p. 58

(3) *Ibid*, p. 59.

(4) *ZOla par Alexandre Zéaés*, p. 259.

(5) *I bid* , p. 259.

Pour Proust, il en va autrement. Il ne put être antidreyfusard étant donné que sa mére était juive et qu'il l'aimait beaucoup. Dans une lettre, adressée à 'Robert de Montesquiou, il nous fait sa confession :

"Je n'ai pas répondu hier à ce que vous m'avez demandé des juifs. C, est pour cette raison tres simple : si je suis catholique, comme mon pe'ı e et mon frere, par contre,ma me're est juive . Vous comprenez que c'est une raison assez forte pour que je m'abstienne de ce genre de discussion... (1)".

Pourtant, ses amis furent antidreyfusars comme Mme Straus. Il n' ya que sa mére qui est restée fidéle à' l'Affaire; elle soutenait son fils dans ses opinions. A vrai dire, l' Affaire approfondit le fossé entre Proust, sa mére et leurs amis. (2)

Emile Zola

Emile Zola mena une campagne en faveur de Dreyfus jusqu'à ce qu'il fut réhabilité. Le 13 Janvier, 1898 , il a adressé une lettre au Président de la République, sous le tître "J'accuse". Cette lettre fut publiée dans L' Aurore. Suite à cette lettre, il fut jugé et renvoyé en Angletterre (3) .

Dans "La Vérité en Marche", Emile Zola consacre un chapitre intitulé "pour les juifs". Dans ce chapitre , il rappelle aussi que les franc,ais éprouvent de l'antipathie à l'égard des juifs à cause de leur laideur physique. Ils ne veulent ni les approcher ni les toucher. Pour eux, ils sont différents. "En somme, dit-il, l'horreur physique est une bonne raison, la seule raison même car il n'ya rien à repondre aux gens qui vous disent :" Je les execre parce que les execre, parce que la vue seule de leur

(1) *Le Monde de Marcel Proust .p* . 48.

(2) *Ibid* , p. 49.

(3) *La Vérité en Marche, P.* 17.

yfusarde. "Vous etiez, lui ecrivit–elle, mon cher Loti antidreyfusard l'été dernier ce qui me paraissait admirable et de claire voyance (sic) patriotique dans un huguenot")(1).

Pierre loti a pris cette position pour deux raisons. D'abord étant pour les nationalistes il désire l'instauration de la monarchie, Puis, il éprouve une antipathie d'ordre religieux envers les juifs . Dans "Aziyadé", il n'hésite pas a révéler une partie de ses sentiments antisémitiques, "Le vieux Kairoulha, entremetteur de jeunes garcons semble devoir son "abjection humaine à sa race juive plus qu'au milieu dépravé oū il vit"(2).

En palestine, il éprouve du dégout en face des juifs en priére devant le mur des lamentations . Ils apparaissaient à l'écnivain "agités d'une sorte de dadinement général comme les ours des caves". Pierre Loti réfléte leur laideur physique sur leur culpabilité. Il avoue que son" "antisémitisme a pour origine la crucifixion de Jésus par la race juive, "Son antipathie envers eux va jusqu'a leur attribuer "un regard oblique", ou s'imaginer sur leur front "un signe particulier", "un sceau d'opprobre". En quittant le mur des lamentations, Loti note que "l'on éprouvait je ne sait quelles préoccupation puériles de vols, de mauvais oeil et de maléfice ."

Au Maroc, son antisémitisme n'a pas une cause religieuse mais plutôt matérielle. Les bijoutiers juifs lui semblérent" "horriblement sordides" ils détiennent non seulement l'or, les fortunes mais aussi les pierreries (...), les vielles choses précieuses que des vizirs, des caids endettés ont fini par laisser entre leurs mains.(3)

(1) Image de l'islam , p. 224 .
(2) Aziyadé , p. 355.
(3) *Image de l'islam dans l'oeuvre de Loti,* p. 224

Signalons que lorsque les élections eurent lieu dans le quartier des Grands-Ecuries, les nationalistes scandaient des slogans hostiles aux juifs :"A bas les traîtres ! A bas les juifs!" Vive l'Armée ! A bas les dreyfusards !'...) Mort aux juifs(1)

Anatole France a bien montré dans son livre comment les nationalistes ont gagné lés élections en tirant profit de l'antisémitisme dont l' Affaire a donné l'élan initial, "Enfants !... dit Henri Léon (un nationaliste); nous n'avons qu'un noyau d'action, un seul mais sur, puissant , efficace. C'est l'Affaire, Nous sommes nés de l'Affaire : nationalistes , ne l'oubliez pas. Nous avons grandi et prospéré par l'Affaire . Elle seule nous a nourris, elle seul nous substente encore .(...) Si arrachée , elle se desséche et meurt, nous languissons et nous dépérissons."(2).

Même les socialistes, défenseurs de la cause Dreyfus , furent égalememt, aprés la trahison du capitaine animés par l'antisémitisme. Tous ont applaudi le jugement . Citons le cas de Jaurés qui trouve que la peine n'etait pas assez forte. Dans une violente interpellation adressée à La Chambre au lendemain du verdict, il note :

Le maréchal Bazaine, convaincu de trahison, a été condaamné à mort. Et en face de ces jugements, le pays voit qu'on fusille, sans grace et sans pitié, de simples soldats coupables d'une minute d'égarement et de violence,"'(3).

Pierre Loti

Quant à pierre Loti, il a pris position contre Dreyfus .Cette attitude a beaucoup ému Mme Adam qui fut également antidre-

(1) *I bid* , p. 199.

(2) *I bid* . p. 227.

(3) *La VéJité en Marche,* p, 28 .

Anatole France

De même, Anatole France montre dans son roman "M.Bergeret à Paris" que la droite ressent une haine à l'egard des juifs. Son personnage Josephe Lacrisse, secretaire du Comité départemental de la Jeunesse royaliste, pense que "les juifs et les francs–macons devorent la France. Ils nous ruinent, dit–il, et nous mangent." (1) Anatole France est représenté dans son livre par M. Bergeret qui fut un des défenseurs acharnés de la justice et de la cause Dreyfus. Apres la nomination de M.Bergeret comme professeur à la Sorbonne, Anatole France reconnait que" les étudiants de la faculté de lettres protestent energiquement contre la nomination de ce protestant antifrancais. Et nous ne sommes pas surpris d'apprendre que le bon nomber d'entre eux ont décidé d'accueillir comme il le mérite, par des huées, ce sale juif allemand." (2)

Suite à l'affaire Dreyfus, Anatole France montre qu'il ya eu une rupture entre les français et les juifs. Les républicains et les progressistes furent dreyfusards, (3) tandis que les monarchistes et les nationaux se rallièrent au camp opposé. Dans "M.Bergeret à Paris" Anatole France met en évidence cette rupture à travers le comportement de la baronne de Bonmont qui a invité à "sa fête de charité" tous les chatelains tîtrés et tous les chatelains industriels et financiers de la région". mais elle n'avait envoyé aucune invitation aux juifs bien qu'elle y eut des amis et des parents" (4).

---

(1) *M.Balgeret a Paris,* p.107
(2) *I bid,* p.124
(3) *Histoire littpraire de la France,* 479.
(4) *M.Bergeret a Paris,* p.135

voient ces principes par une action isolée, qui leur est propre, par des moeurs d'accaparement, de spéculation, de cosmopolitisme. En outre, dans l'armée, dans la magistrature, dans les ministéres, dans toutes nos administrations, ils dépassent infinement la proportion normale à laquelle leur nombre pourrait leur donner droit. On les a nommés préfets, juges, trésoriers, officiers parce qu'ils ont de l'argent qui corrompt" (1).

Maurice Barrés pense que les socialistes ont tort d'avoir considéré que les étrangers "les juifs", apportaient "des éléments énergiqués" pour la France. Pour lui, ces éléments énergiques existent dans la classe des pauvres et "déshérités" français (2).

Il affirme que le juif est lié à la faute, à la trahision. Lors du jugement de Dreyfus, il raconte comment il fut dégradé devant les militaires. "....l'adjudant de la Garde, terrible par sa taille et magnifique de tenue, le dépouillait si vite et si lentement de ses boutons, de ses galons, de ses épaulettes, de ses bandes rouges". (3) Barrés le compare à juda, il le qualifie par ""Juda marche trop bien", "Juda traître" ou par "cet individu"; voire,il l'inferiorise et le méprise.

Non seulement Barrés insiste sur la trahison attachée aux juifs mais aussi, sur leur laideur physique. En peignant le portrait physique de Dreyfus, Barres desapprouve "son nez" ethnique; sa figure de race etrangere, sa laideur impassible. (4) Par contre, il admire les jolies figures des gendarmes francais, presents au jugement de Dreyfus.

---

(1) *Ibid*, p.134
(2) *Ibid*, p.134
(3) *Jbid*, p.131
(4) *Ibid*, p.132.

L'Affaire sera le pivot de cette recherche car celle nous fournit un exemple concret de l'antisémitisme de la fin du XIX éme siécle. Puisque notre objectif consiste à montrer les raisons de l'antisémitisme francais, se mettre à la recherche des Dreyfusards et des Antidreyfusards nous révélera l, antipathie qu'éprouvent les écrivains francais à l,egard des juifs.

Maurice Barrés

Parmi les Antidreyfusards, on peut privilégier Maurice Barrés qui est cosidéré comme le leader de l'antisémitisme, attitude dont il avait fait preuve durant toute sa vie, Il mena un combat acharné face aux juifs et avertit le peuple francais du danger que représente pour la France la puissance de la communauté juive.

Barrés a ses raisons pour être antisémite, ilmit en garde le peuple francsais contre le danger du socialisme provenant de l'exterieure. "Il faut se garder, dit-il, contre ce socialisme trop cosmopolit ou plutot trop allemand qui énerverait la défense de la patrie" (1).

Barrés ne veut pas que les juifs prennent le flambeau de la révolution francaise et deviennent les leaders de ses principes ipes car, pour lui, ils sont des etrangers, "Mais les juifs, dit-il,

---

Arrêté (oct.1894), jugé de fascon sommaire par le conseil de guerre, il fut condamne à la degradation mili-taire et à la déportation à vie à l'ile du Diable, Guyane (dec.1894)".

- Robert 'Paul) -le petit Robert, Dictionnaire universel des noms propres.

(1) Barrés *par lui-même*, p.133

L'ANTISEMITISME CHEZ CERTAINS ECRIVAINS FRANCAIS DE lA FIN DU XIXéme SIECLE

Dr. Mouayed Abbas Al-Dujaili

Université De Moussul Faculté De Lettres

INTRODOCTION

Durant cette période de l'histoire littéraire française, l'antisémitisme fut plus marqué qu'auparavant, A cette époque, les juifs parurent former un noyau agissant et actif, au milieu du peuple francais, Bien que peu nombreux, ils occupérent des postes importants dans le commerce, l'industrie et à L'armée

Queles sont les racines de cet antisémitisme renaissant ? Quels sont les préjugés sur lesquels les écrivains francsais s'appuyérent? L'affaire Dreyfus (1) fut à la fois le catalyseur et le point culminant de la montée de l'antisemitisme. Cette affaire vint accompiir le méconteutement populaire et accroître l'antisémitisme chez les Francais. Parmi les ecrivains que nous étudierons dans cette recherche figurent Maurice Barrés, Anatole France, pierre loti, Emile Zola et Marcel proust.

---

(1) Dreyfus (Alfred) Officier francais (Mulhouse, 1859–Paris, 1935)

D'une famille juive alsacienne, il entra dans la carriére militaire et fut attaché au 2éme bureau de l'état-major de l'armée au ministére de la Guére. Il fut accusé, sur ressemblance d'écriture, d'avoir livré à l'attaché militaire à Paris, le major Schwartzkoppe des renseignements militaires.


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است



۹۴

Seashore, C. *Introduction to Psychology*, Macmillan, 1924.

Strang, R., McCullough, C. M.; and Traxler, A. E. *The Improvement of Reading*, McGraw–Hill, New York, 1961.

Strauss, A. A. and Lehtinen, L. *Psychopathology and Education of the Brain–Injured Child, Vol. J*, New York, 1947.

Sutphin, F. *A Perceptional Testing Handbook for First Grade Teachers*

Wepman, J. The perceptual Basis for Learning, in *Meeting Individual Differences in Reading*, H. A. Robinson (ed.), Chicago, 1964.

Johnson, D. J. Educational principles for children with learning disabilities. *Rehabilitation Literature*, XXVII, 1967, 317–322.

Johnson, D. J. and Myklebust, H. R. *Learning Disabilities: Educational principles and practices*, New York, 1967.

Kephart, N. C. *The Slow Learners in the Classroom*, Columbus, Ohio, 1960.

Kephart, N. C. perceptual–motor aspects of learning disabities. *Exceptional Children*, 31, 1964, 201–206.

Knickerbocker, B. M. A central approach to the development of spatial and temporal concepts, in *Learning Disorders*, Vol. 3, Special Child publications, Seattle, washington, 1968.

Lewis, R. S., Strauss, A. A., and lehtinan, L. E. *The other Child: The Brain–Injured Child*. Grune and Stratton, New York, 1963.

Monsees, E. K. Aphasia in Children, *Journal of Speech and Hearing Disorders*, XXVI, 1961, 83–86.

Munn, N. L. *Psychology: The Fundamentals of Human Adjustment*, Houghton Mifflin, Boston, 1951.

Myklebust, H. and Johnson, D. Dyslexis in Children, *Exceptional Children*, 29, 1962, 14–25.

O'Neili, J. J. *The Hard of Hearing*, prentice–Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, 1964.

Otto, W. and McMenemy, R. A. *Corrective and Remedial Teaching*. Houghton Mifflin, Boston, 1966.

Reynolds, M. C. The capacities of children, *Exceptional Children*, 31, 1965, 337–342.

Russell, D. H. *Children's Thinking*, Boston, 1956.

Bibliography

A Teacher's Working Guide for developing a special education program for minimally brain-injured children in the local community. Texas Education Agency, Austin, Texas, 1965.

Bartley, S.H. *Principles of Perception.* Harper and Brothers, New York, 1958.

Bender, L. Psychiatric Aspects in *The Concept of Congenital Aphasia from the Standpoint of Dynamic Differential Diagnosis.* American Speech and Hearing Association, Washington, D. C., 1959.

Black, M. E. *Speech Correction in the Schools.* Prentice-Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, 1964.

Bruckner, L. J. and Bond, G. L. *The Diagnosis and Treatment of learning Difficulties.* Appleton-Century-Crofts New York, 1955.

Capobianco, R. F. Diagnostic methods used with learning disability cases, *Exceptional Children*, 31, 1964, 187-193.

Clements, S. D. and peters, J. E. Minimal brain dysfunction in the school-age child, *Archieves of General psychiatry*, 6, 1962, 17-29.

Cruickshand, W. M., et al. *A Teaching Method for Brain-Injured and Hyperactive Children.* Syracuse University press, New York, 1961.

Frostig, M. and Horne, D. *The Frostig program for the Development of Visual perception*, Teacher's Guide, Follett publishing Company, Chicago, Illinois, 1964.

Harris, A. J. *How to Increase Reading Ability.* David Mckay, New York, 1961.

٩۶

4. Memory disturbances interfere with calculation since the child cannot retain the sequence of steps used in solving problems. For this reason, ask the child to verbalize each step in detail while working the problem. Each new concept should be introduced with concrete materials and problems of everyday living should be stressed.

d. Concrete to Abstract Concepts (A Teacher's Working Guide, 1965)

1. The developmental sequence which the teacher should follow when presenting arithmetic concepts begins with concrete experiences that stimulate a variety of sensory modalities. Give the child a bacus, blocks, pegs and pegboards, sticks or other materials, one at a time and in a controlled space.

2. In the semi-concrete stage, give the child pictures, number symbols, and color cues to work with. Have him count pictures, add, and record answer. Similar problems should be given to him to work independently.

3. In the abstract stage, present problems in numeral form only showing the child how to work the problem but letting him work independently. Give the child only a limited number of problems per page and allow him concrete aids with which to work. Introduce problem solving and use different colors for numerals and words.



b. One-To-One Correspondence and Counting:

1. Taction is effective when working with small quantities. Have the child put his fingers on each of five pennies. The teacher may prepare several pieces of flannel on which there are various numbers of buttons and a second set in which there are only button holes so that the child is asked to match buttons and holes.

2. The teacher may utilize several other activities such as placing a series of doll figures in a row and asking the child to draw a hat for each one, or giving the child a series of circles in a row and asking him to write a number in each circle.

3. Have the child close his eyes and concentrate on counting and listening to the beat of a drum. For concept of ordinal counting, arrange three or four toy cars in a line near toy garage and lead the child to discover the meaning of ordinal numbers by asking questions.

c. Visual symbols, Alignment, and Sequence of Steps:

1. The child must now hold an auditory sequence and relate it to a visual sequence; he must associate auditory and visual symbols and relate them to a given quantity. The number line is a useful aid in discovering and understanding the quantitative concepts. If a child is unable to relate quantity to the visual symbol, present dot configurations such as those found on dominoes.

3. The child must be taught that he cannot write the figures in any position, but that they must be arranged in specific ways to be meaningful. Teach him the name of each process sign and what it means in terms of mathematical operations. For practice give cutout numbers and process signs to be arranged, first according to a visual model and then from dictation.

books should picture the different parts of speech as vividly as possible.

E. Disorders of Arithmatic ('Dyscalculia)

Perceptual disorders in arithmetic usually occur in conjunction with related problems especially those of language. Many words used in describing mathematical processes are difficult for the receptive aphasic because he cannot shift meanings from one context to another. The problem of reauditorization prevents the child from quickly recalling numbers and deficits in his auditory span interfere with his proper listening to story problems presented orally. On the other hand, visual perceptual disturbances which result in confusion of letters usually affect number work as well as reading . This is also true with those children who are unable to learn the motor patterns for writing

Educational Procedures (Johnson and Myklebust, 1967)

a. Form, Size, and Nonverbal Concepts:

1. Abilities in the areas of figures, forms, sizes and distances should be explored. Begin with puzzles in which only one figure can be fitted into space. Two-dimensional figures are recommended in the early stages since many dyscalculics are more confused when working with blocks, cubes, or spheres.

2. Gross motor activities and kinesthesis are helpful in estabing diifference in form. Auditorization as a mediating process often is the key to the child's understanding of numerical relationships.

3. Color cones and other toys which have pieces of graduated size help establish the concept of size. Have the child match various size circles into proper holes as well as matching index cards to different sized envelopes.

۹۹

c. Formulation and Syntax:

1. Awareness of errors.

Training begins by having the child write sentences and listening to the teacher read them aloud. When he identifies an error auditorially, the corrections are made on paper so that he can see the exact position of the omitted word. He is then taught to monitor his own material by reading it aloud very slowly, checking it word by word.

2. Ideation and productivity.

The environment of the classroom should be lending itself to spontaneous expression. Oral discussion of experiences, ideas, and feelings should be encouraged. These auditory verbal expres sions are then converted into written language.

3. Concrete to abstract ideas.

The four levels of abstraction sequentially are:

(a) Concrete-descriptive where emphasis is on writing in a simple descriptive manner;

(b) ideas from pictures or experiences;

(c) Abstract-descriptive where stories with more detail are developed and emphasis is on concepts of time and sequence; and

(d) Abstract-imaginative where emphasis is on a plot, imaginative setting, figures of speech, and some connotation of moral values.

4. Punctuation, spelling, and grammar.

The significance of the positions and number of punctuation marks should be mphasized To facilitate spellin, the teacher should separate words into those which are phonetic and those for which there are no consistent spelling rules. Grammar

lly by making simple stencils and templates, drawing roads and tracing with copy paper.

3. In order to improve spacing, place cut-out letters on a flannelboard in sentence form without leaving spaces and then read the sentence and have the child separate words. After the child can identify errors and arrange words correctly, ask him to write sentences structuring the task by darawing a series of rectangles in which each word is to be written.

4. Strauss and Lechtinen (1947) suggest that cursive writing be taught first so that the child would not transfer from one form to another. On the other hand, Johnson and Myklebust (1967) recommend manuscript writing for dysgraphic children suggesting that one form should be taught for both reading and writing until the child can read it successfully.

b. Revisualization:

1. All materials should be selected carefully where all pictures, letters, and words are clear with well defined lines. Unsuitable materials and poorly distributed practice must be avoided.

2. It is beneficial to work from recognition to partial recall to total recall through the auditory or kinesthetic tactile modalities. Revisualization can be improved by making the child aware of the "feel" of the letters.

3. The teacher should attempt to secure the attention of the child since memory is dependent upon good attention. Present a picture or a letter and vive the child a sheet of Paper with three or four figures to circle the one he saw. Increase the complexity of the task.

4. Train the child in spelling tasks by writing two or three spellings of a word and then having the child select the correct one. Give the child a partial design or letter and ask him to complete it.

it. Making a general outline of a whole selection gives the child an insight into the overall plan of the writer.

4. Comprehension of nonliteral language.

All forms of nonliteral language which include similes, metaphores, euphemisms, etc., should be categorized under "figures of speech" rather than confuse the child with ambiguous terminology. It can be pointed out to him that the power of the sentence rests upon the element of comparison which underlies such expressions. It has been found both helpful and pleasurable for children to try at deciphering those figures of speech.

D.Writing Disability (Dysgraphia)

A perceptual disorder in writing results from a disturbance in visualmotor integration. It is the ability to copy which differentiates dysgraphia from other writing disorders. Other perceptual disturbances which occur with dysgraphia are most frequently in visual-spatial relationships, nonverbal visual-motor functions, and arithmetic. The arithmetic disturbances include difficulties in writing numbers and in understanding concepts related to space, distances, and time. It is often necessary to begin treatment by developing pre-writing skills, including posture, use of pencil and position of paper.

Educational Procedures (Johnson and Myklebust, 1967)

a. Visual-Kinesthetic Coordination:

1. Introduce each new exercise by presenting the pattern visually where the child watches the movements while the teacher draws, then kinesthetically where the child closes his eyes while his hand is guided over the figure which was presented visually, and then in combination.

2. Work from gross to fine movement patterns and encourage development of orderly movements. Reinforcement of the visual-motor patterns by repetition is very important especia-

۸۰۳

size the rhythmic sequence of words as well as blending syllables and combining individual sounds into words.

4. Analysis and synthesis.

Prepare written exercises which provide visual clues to aid auditory discrimination. Have the child write a word in the blank space that rhymes with the underlined word. Also reinforce short vowel discrimination by using pictures and visual letters and then gradually reducing the visual symbol while providing auditory stimulation.

c. **Comprehension** (Ottio and McMencmey, 1966)

1. Comprehension of sentences.

Begin with very simple sentences and proceed to those of more complex consturction. The puprpose here is to give the child a great deal of practice in answering the key questions of who, what, where, when, why, and how. It is also helpful to present the child with some scrambled sentences and give him practice in unscramblig them.

2. Comprehension of paragraphs.

The two factors that usually need the greatest amount of emphasis are the function of topic sentences and the use of pronouns. Have the child first develop some paragraphs of his own. Strang, McCullough, and Brexler (1961) give a very lucid explanation of how this may be done in regular classwork. Have the child then practice designating to whom or to what the pronouns in practice sentences refer.

3.Comprehension of the whole selection.

It is important that the child develops the ability to understand organizational structure in the pattern of introduction, body, and conclusion. Only after some understanding of this pattern is gained can the teacher advance to writing that deviates from,

prepare drawings to show internal designs as well as figures for use on the flannelgraph .

3. Visual sequentialization.

Arrange colored beads on a string according to a specific pattern Also have the children line up according to specific orders. Make paper chains of colored strips as well as patterns of pictures or desings to be placed on bulletin boards.

4. Rate of discrimination :

Prepare exercieses where the child finds a word in each row that is the same as the first and keep time records to show progress. Also present various stimuli including pictures, letters, digits, and words at varying speeds.

b. **Auditory Dyslexia:**

1. Auditor-visual coordination.

The main problem of the auditory dyslexia is a problem in perceptual integration which impedes use of phonetic analysis. The teacher should relate auditory symbols and select a meaningful reading vocabulary where the child can see, hear,and say the word.

2. Auditory discrimination.

Since the auditory dyslexic have difficulty discriminating between various forms of sound, attention should be directed toward improving the ability to discriminate by means of reauditorization, matching sounds, and utilizing visual and kinesthetic clues.

3. Sequentialization, blending, and integration.

Develop awareness and recognition of nonverbal auditory patterns, imitate sound and rhythm patterns, and develop awareness of the number of syllables within the words. Empha-

stress through locating words, subjects, and situations which appear to trigger the stuttering, and then working to reduce the fears which color these spots. Situations must be created in which the child can feel satisfied with himself especially those from which he receives ego satisfaction and in which he may communicate with a minimum amount of stress.

C. Reading Disability (Dyslexia)

Myklebust and Johnson (1962) suggest that reading is a visual symbol system superimposed on auditory language. The child first integrates nongerbal experiences directly. Next he aquires auditory, then later a visusl verbal system which represents both the experiences and the auditory symbol. A disturbance of reading can be expected if a child has difficulty integrating maningful experiences or learning through either the visual or auditory modality. It is often accpompanied by other perce-ptual disorders such as deviant motor patterns, memory impai-rments, and distortions in laterality, body image, and time orientation (Johnson and Myklebust, 1967).

Educational Procedures

a. Visual Dyslexia

1. Phonovisual approach.

Teach letter sounds by saying the sound of each letter while holding a flash card and then asking the child to say the sound. Present short visual units which can be blended into words. Also intro-duce long vowel combinations and consonant grouping that are represented by a single sound.

2. Perception of general form and details.

Matching picture to outline drawings and preparing designs or pre-letter forms will help estabiish the foundation for perc-eiving the veneral configuration of words. For perceiving details

۸۰۶

c. Disorders of Auditory Expressive Language:

1. Reauditorization and word selection.

Fácilitate the spontaneous recall of words by means of word associations, such as bread and butter, shoes and socks, etc., by teaching words in series or categories, then words from the series at random, and by giving visual, kinesthetic, and tactual clues which are gradually reduced. For those who are slow to respond, rapid naming drills are helpful.

2. Auditory- motor integration.

A child with this type of deficiency can comprehend and recall but cannot associate words with the motor patterns for speaking. He cannot talk until he léarns to coordinate a sequence of sounds with a sequence of movements. For this reason, the child should be taught to make symbolic vocalizations and be given visual clues and detailed verbal instructions. The motor kinesthetic approach must be emphasized.

3. Formulation and syntax deficiency.

In order to develop a correct, natural, spontaneous flow of language, the child must retain certain linguistic patterns in mind and store them to make the abstractions necessary for correctly venerating sentences of his own. Arrange for meaningful experiences either through play activities or pictures, provide the phrases or sentences which coincide with the experience and encourage responses from the child. Use pictues to illustrate various epople, provide auditoy-kinesthetic clues and give work in the written form.

4. Stuttering.

Black (1964) suggests that several approaches to the problem of stuttering, all used concurrently, may provide an effective therapy design. She puts emphasis on reducing communicative

cannot differentiate sounds (words) and relate them to the proper unit of experience. Comprehension is established only when the meaning units are structured, isolated, and timed with the presentation of the symbol.

2. Simultaneity and repetition.

The spoken word and the experience must be carefully timed to make the exact association. In order for the child to retain a word, however, the words and concepts must be done over again and again. Only then do they become meaninvful to him and are remembered.

3. selection of vocabulary.

The child's vocabulary should be individualized to meet his particular needs· He should be ginen as many experiences as possible since sensory impressions must be received and integrated before comprehension can occur. Nouns should be introduced first to establish the principle of naming, then verbs to represent action, then adjectives to represent qualities, and finally prepositions to denote location and enable the child to deal with concepts of space and time.

4. Auditory memory span and comprehension.

In order to improve memory span, emphasis should be placed on meaningful materials, organization, and systematic plans. Attention of the child should also be secured. Techniques include giving nonverbal memory span training, words or objects in a series to recall, and reading sentences asking questions about each, to mention only a few examples. This training helps also develop critical listening which is an important factor in understanding spoken language.

(O'Neill, 1964).

and nonauditory activities should be alternated to prevent fatigue.

2. Awareness .

Begin training by making the child aware of sound and no sound. Toys such as drums, bells, and telephones are used to produce sound in a relatively quiet environment. The child should be taught to respond consistently after awareness has been established. For instance, ring a bell behind the child and then ask him to raise his hand when the bell stops ringing .

3. Localization .

The child must be able to localize sounds before he can react appropriately. Have the child close his eyes and ring a bell on his right side . Ask him where the sound is .

4. Discrimination .

Select two noisemakers having different sounds , such a horn and a drum. Ask the child to identify each sound. When success has been gained, introduce a third sound making the task more complex.

5. Memory.

Auditory memory is critical for language development since comprehension and expressive use of the spoken word depend upon retaining a sequence of sounds within words and a sequence of words within sentences . Face the child and clap hands once, then twice, etc. Have the child repeat the number of claps.

b. Disorders of Auditory Receptive Language (Receptive Aphasia)

1. Meaning units.

Reduce the amount of language used and explain every new word to be introduced since the auditory receptive aphasic

tion into meaningful organization of the world around him, focus should be gradually directed toward more exploratory aspects of the environment .

3. Utilize those activities which create objects of childhood interest.Direct the child's attention to the correct one of the contour of objects around the room and those shapes with which he is working. Encourage him to explore what he can create with these shapes. Some helpful suggestions are found in Sutphin's book (1964) and similar references for primary education .

4. Frostig (1964) has designed specific exercise sheets for developing spatial relationships and perception of position in space. She suggests that before the child attempts paper and pencil exercises he should have practice in exercises involving the positions of two objects that are three–dimensional in relation to each other.

B. Auditory and Language Disabilities

A child with auditory disabilities is handicapped by his inability to understand neither spoken words nor environmental sound and, therefore, fails to respond accordingly. He is unable to structure his auditory world and to sort out and associate sounds with particular objects or experiences. Such a child will, in particular, have difficulties in learning reading, writing, speech, and arichmetic. *Educatioal Procedureds* (Johnson and Myklebust, 1967).

a. Disorders of Auditory Language

1. Meaningful auditory environment.

In the first stage of training, the auditory environment shou.d be structured as much as possible . The classroom should be away from traffic and plaground noise. Short planned auditory

ing to size, color, texture, and shape. Since sorting involves the correct identification of such qualities as form and size, it therefore helps improve pereceptual constance at the same time.

3. Shifting attention .

Ask the child to pick out particular objects from boxes containing many different articles. Use first objects which differ gretly from each other and gradually shift to objects which differ only slightly .

4. Drawing and coloring .

Kephart (1960) suggests the use of chalkboard training by asking the child to trace wiht chalk around a template, copy the form, and then reproduce it. After form per ception is established ask the child to color in the figure and to draw its contour. In this way, both form perception and figure–ground relationships are strengthened.

f. Spatial Orientation (knickerbocker 1968).

1. Break down the process into sequential steps. This required the addition of only one new factor at a time, leaving the child free to concentrate his whole attention on that factor. Since the process of "pattern vision" is usually so swift that the perceiver seeems to experience all the steps simultaneously, such a break–down of the process is quite essential. Disabilities are often manifested in the improper perception of the sequence of letters in a word or the sequence of processes involved in arithmetic problems.

2. A constant gradual shift toward experiences in which less and less structure is imposed by materials and methods should be made. As the structure and upgrading of spatial relations is stabilized from within, the child is able to integrate informa-

right and it is advisable that the teacher holds the child's hnads throughout the exercise until he is able to move smoothly .

3.: Directionality .

When such a point of reference is firmly established for identifying top, bottom, left and right, the child has a sound foundation for the relationship of the letters which mirror each other, "b" , "d" , "p" , and "q". In each of the four quandrants formed above, draw a circle and then place the appropriate lines to form the four letters.

4. Identification of body parts .

Once the child can stablize the directionality of these four symbols, he is realy to identify the numerous left and right parts of a sample drawing of the body.Imitation of the position of the limbs of a toy often supplements and accelerates this process od identification .

5. Angles–in–the –snow (kephart, 1960) .

Ask the child to lie down in the snow, move his arms and legs, and then get up and look at the patterns created by his movements . Proceed from bilateral to unilateral and cross–lateral movements. This is very helpful in orienting the child with his own body and how to control it .

e. **Figure-Ground Perception** (Forstig, 1964) .

1. Discriminating objects in a room .

Ask the child to point out various categories of objects in a room or play yard. Ask him then to pick out specific objects such as a particular book, picture, or toy.

2. Sorting .

Ask the child to sort objects such as cubes and spheres accord-

2. Tracing and coloring .

Ask the child to trace and then to color shapes that gradually increase in complexity. For children who have a motor handicap it is often necessary to introduce an intermediate step of having them first trace the exercises on the work sheets with their fingers.

3. Kephart (1960) lists many useful techniques for developing fine motor coorodination. He suggests the use of pegboards puzzles, stringing beads, and chalkoard training, such as connecting dots and drawing geometric shapes. However, he suggests that, as a first step, the child should be left to scribble and to mak any sort of lines on the board without restriction in order to get him back into the "uninhibited experimentation" which is required before he can move to more refined movements.

4. Cruickshank (1961) gives a list of useful activities to develop fine motor coordination. He recommends that all children with poor small muscle coordination be taught cursive writing because of its flowing quality .

d. Body Image (Knickerbocker, 1968)

1. Laterality .

Ask the child to hold a weight in his right hand and keep both arms up until he is quite aware of which arm gets fatigued. As a variation, ask the child to touch his right shoulder. Once the awareness of the right side has been established kinesthetically it is easier to establish awareness of the left side by visual clues.

2. Establishing a point of reference.

Ask the child to stand before a large sheet of wrapping ppaer or isinglass holding red and blue grease pencils in his left and right hands respectively. Ask him to draw lines up and down the sheet and to the right and left. With the hyperactive child it is

the right eye alone, then with the left eye, and finally with both eyes together.

b. Gross Motor Coordination:

1. Regaining an upright posoition.
   Have the child sit on the floor with his knees bent and feet on the floor. Ask him to get up and sit down again.

2. Locomotor activities and games.
   Crawling, skipping, galloping, duck walking and a variety of similar games which offer variation in total body movements are very helpful.

3. Balancing.
   Ask the child to stand for ten seconds on tiptoe on both feet and then on one leg at a time. kephart (1960) gives many useful suggestions some of which require specialized materials, such as a balance board or trampoline. Others require only the standard equipment which is found in any school, such as swing and slides.

4. Isometric exercises.
   These exercises are particularly useful in the classroom since they do not require a large amount of space nor a great amount of skill to be performed.
   See *The Instructor*, September, 1966.

c. Fine Motor Coordination

1. Cutting , placing and pasting .

Proceed from the simple cutting of a fringe from a piece of paper to gradually more and more complicated figures, placing and pasting train the child not only in eye-hand coordination but also in the ability to sort, to alternate, to follow a pattern , and to remember a motor sequence.

cutting, pasting, or drawing. Such a child will further have difficulties in learning how to write. His self –concept will also be affected because of his failure to meet the expectation of parents, teachers, and peers.

Educational Procedures (Forosting and Horne, 1964) .

a. Eye Movement

1. Left–right progression.

Ask the child to focus on an object about five feet in front of him as it moves without turning his head. This ability to move the eye without moving the head or losing focus is essential for reading skil.

2. Stimulation of peripheral vision.

Have the child hold his head still and erect while gazing at a button or pin on your clothing. Slowly move an object in a horizontal line on the child's eye level about 20 inches in front of him. Ask the child to name and describe the object.

3. Focusing the eyes .

In many activities, especially sports, it is essential to be able to focus on objects while the head is moving . Other activities, particularly reading, require consistently smooth movements and pauses of the eyes across the lines of print while the head is still .

4. Following regular and irregular movements.

   Ask the child to follow with his eyes such regular movements as an object on a piece of string. Likewise ask him to follow with his eyes some complex movements such as movements of chalk on the chalkboard.

5. Kephart(1960) lists many useful techniques for developing ocular control in the perceptually handicapped child. He suggests that it is desirable to train the child first with

3– Neurological examination.

This includes tests for postural reflexes and coordination and for other complex integrated behavior which is rarely observed or specifically tested for by referring physicians ('Clements and Peters, 1962).

Since diagnostic procedures are still inconsistent, it is difficult, at best, to expect the classroom teacher to succeed in the technical aspects of diagnosis. The prime responsibility of the teacher lies in utilizing techniques and procedures.. based on classroom observations. Periodic outbreaks of unexplained behavior, short attention span and hyperactivity, coupled with poor scholastic performance, would warrant concern on the part of the teacher. Gross distortions at play serve to implement further the informal diagnosis within the classroom (Capobianco, 1964).Bender (1959) emphasizes the importance of following these children "long enough", observing their personality development and working with them. With information gathered from these observations, the teacher not only systemizes her own interpretation of the child's performance but also preserves diagnostic information which would be invaluable to the psychologist who may ultimately be responsible for the complete assessment of the child. Monsees (1961) advises that "the child's response to the methodology used during the period of diagnostic teaching is of major importance in arriving at an accurate differential diagnosis".

Treatment and Remedial Techniques

A. Poor Visual-Motor Coordination

A child with defective or poorly developed visual-motor coordination is handicapped by his inability to adjust to the varied demands of his environment. He may be unable to dress himslf or to perform the simplest nonacademic skills such as

the basis of that diagnosis.Harrier '(1961) points out the need for a "test, teach, retest" sequence, where the teacher tests initially to find out what the needs are, teaches to meet these needs, and then retests to see whether the teaching has been effective and whether new needs have arisen. In this manner, treatment proceeds on a tentative, experimental basis where modifications are made as may be advisable.

Three levels of diagnosis have been identified by Brueckner and Bond (1955) as follows:

1- General diagnosis which includes the use of comprehensive survey tests and other general evaluation procedures to give the teacher essential information about the general level of the child's performance.

2- Analytical or differential diagnosis which involves the use of systematic procedures for locating or identifying specific weaknesses in some curriculum area.

3- Case study procedures which are based on the application of clinical diagnostic techniques that will enable the teacher to determine specifically the nature and seriousness of the difficulty.

In general diagnostic procedures must include the following :

1- Physical examination and history.

This includes gestation and developmental history, childhood diseases, and behavioral and academic observations.

2- Psychological evaluation.

The minimal psychological test battery should include the complete Wechsler Intellivence Scale for Children, the Bender Visual Motor Gestalt, and a standardized reading test such as Gray's or Gates.

15

the child is unable to introduce such variation for himself and continues to perform the same activity in exactly the same way over and over again, the teacher should introduce it for him; the same material should be presented in different ways at the same point in time.

Thirdly, attention should be directed toward the establishment of veridicality in the already existing body of the child's information by working in his strongest area of performance in order to insure correct structuring while, at the same time, stressing his weak areas of activity in order to insure adequacy of structring.

It is generally accepted that by the age of six the normal child has acquired sufficient experience to promote his readiness for formal education. On the other hand, the perceptually handicapped child may not be ready at the same age. The experiences of drawing, coloring, and the matching of shapes in puzzles and games do not necessarily promote perceptual readiness in the handicapped child. The question arises as to whether such a child can become ready at a later age. Some school administrators take this view but others maintain that the perceptually handicapped child does not become ready by time alone (Lewis, Strauss, and Lehtimen, 1963). Instead, he has to be helped to become ready; he must be taught how to perceive so that he can learn, and he should be taught as early as possible.

Diagnostic Procedures

As has been mentioned earlier, the first step in any treatment program should be a complete diagnosis of the child's difficulties. But this should not be taken to imply that a diagnos is ever complete in the sense that after we do a diagnosis we proceed to outline a long range of teaching program on

١٧

are some common principles which apply to all cases of this nature. Brueckner and Bond (1955) list some of these principles in the following:

1— Treatment must be based on a diagnosis.

2— The child's personal worth must be considered.

3— Corrective treatment must be individualized.

4— The program must be well motivated and encouraging to the child.

5— Materials and exercises must be carefully selected.

6— The entire environment of the child must be considered.

7— Continuous evaluation must be made.

8— Sound teaching procedureas must be utilized.

In all cases of perceptual difficulty teachers should further recognize that the problem of the perceptually handicapped child is not primarily a problem of needing better tests or of devisng better prediction methods (Reynold, 1965). Different things are expected or predicted under diverse conditions and the main task of teachers should be to choose and to apply the most fruitful procedures in each case.

Kephart (1960) suggests three major principles in teaching the perceptually handicapped child. The first of these principles is that teaching should be developmentally oriented in that the initial body of moto information becomes the basis for the more extensive pe ceptual space-time structure and, likewise, the perceptual information becomes the basis upon which the conceptual structure is built.

Secondly, teaching should be directed trward the development of generalization by introducing a large number f similar but not identical experiences through variation. Since

This interaction is essential for out of it comes a system of directional relationships which mast be transferred to outside objects Since the child cannot investigate in a motor fashion all of the bojects in his environment, he must learn to investigate them perceptually. It is through the perceptual-motor match that the child projects motor information onto perceptual information. As he manipulates an object or relationship motorwise, he observes the perceptual data which he is receiving. Throuvh a matching of the motor data and the perceptual data, these two areas come to give him the same information. Through such a projection process, the perceptual world comes to be organized in the same fashion that the motor world was previously organized.However,i mportant in this process of projection is the control of the external sense organs, particularly that of vision. The child must learn to explore an object with his eye in the same way in which he previously explored it with his hand, and the exploration with eyes must reoinforce the exploration with the hand.

Diagnosis and Treatment of Perceptual Disabilities: Educational Principles:

Since no two cases of perceptual difficulty have exactly similar causes, no two cases can be treated exactly alike. Every child is, in many respects, different from any other child. Whereas some children have difficulty speaking, others have problems in reading, writing, or arithmetic, while still some some others have only nonverbal problems. The nature of the educational program must, therefore, depend upon the severity of the disorders and the multiplicity of inolvements. These programs should further be differentiated from tutoring in which a teacher provides only supplemental help (Johnson, 1967).

Basic to all treatment programs of perceptual disorders

۱۹ .

integrative process. Thus, memory and learning become more than a mere mechanical addition of performances.

It follows from this that the experiences of the child must be integrated in such a way that the structuring of the organism which results will produce a total and logical pattern. Essential to the building up of such a structure is consistency of input. This implies that two identical experuiences must not have different alterations in the organism . The⁄ rather, must reinforce each other. The external sense organ and the control exerted by the child over it must be such that they give consistent input for similar experiental situations. This is one of the most important considerations in the area of perception that has a direct bearing on the process of learning.

It must be further emphasized that major differences exist in children at the perceptual level which may materially affect their learning . These differences underlie the conceptual level and provide the basic percepts upon which concepts are built (Wepman, 1964).

It may be that the child has not so much difficulty in learning to read as he has in seeing the words on the page. It may be that he has not so much trouble in understanding arithmetical reasoning as he does in organizing the steps of the reasoning in time.

For a very large number of children, the learning difficulty begins at the early motor stage. The child learns to use his motor responses to accomplish certain ends, but he fails to expand or veneralize these motor responses so that they form the basis of information garthering. In other words, he has learned a motor response for a specific end, but has not developed a motor interaction with his environment (&ephart, 1964).

Since perceptions pertain to qualities of things and to abstract relations between things, they integrate into concepts and judgement. The processes of integration and development build up the complex constellation of the individual's ideas, beliefs, and systems of knowledge where their constant reference to an outside reality is always present (Bartley, 1958). This is where the essence of knowledge is crucially involved and is one of the primary areas dealt with in studying perception

The Perceptual Process and Leanring:

Any aspect of the perceptual process cannot be clearly viewed without considering the total activity involved since all of these aspects operate as a whole and not as separate units. After an input pattern has been elaborated througnh the integrative process, an output pattern is generated which becomes an additiona input pattern because of the feedback . Thus, the perceptual process is not a static affair but a continuing process that remains active until an exact adjustment occurs between feedback and input (&ephart, 1960). Because of this, we cannot think of perceptual activities and motor activities as two different items. Hence, in our teaching we cannot separate what parts of the child's activity in any task are perceptual and what parts are motor. Many successful teaching programs have recognized this fact and have trained all aspects of the perceptual process at one time.

In like manner, we cannot separate the integrative process from the total activity, since many past experiences are retained in the organism not as separate pieces of information but as alterations in the organism itself (Russell, 1956).

۲۱

It is the effect of the accumulation of these alterations upon present perceptual processes which determines the nature of the elaboration of the input which will occur in the

DIAGNOSIS, TREATMENT, AND INSTRUCTIONAL MATERIALS FOR CHILDREN WITH PERCEPTUAL DISABILITES

by

Nazahat Hussein Redha
Department of Psychology
Al-Mustansiriyah University
Baghdad, Iraq

Introducrion

Definition of Perception :

The process of perception may be simply defined as the interpretation of sensory information . Accordingly, sensations alone do not carry meaning but mere awareness of sense quality. When we experience redness, sweetness, smoothness, and coldness in eating an apple, we are merely experiencing the sensations associated with these qualities; but when these qualities are interpreted as representing an apple, then we have a perception (Seashore, 1924).

The process may be viewed as one comparable with observing and differentiating; but the term "perception" is usually used with reference to complex receptor and neural processes which underlie our awareness of ourselves and the world around us. This involves the mental association of present stimuli with memories of past experiences. Aside from this, the term has certain behavioral implications. Thus, when we perceive a difference between two objects, we behave differently toward each of them (Munn, 1951).

REFERENCES

1— Bolinger, Dwight L. *Degree Words*. The Hague: Mouton. 1972.

2— Chomsky, Noam, *Reflections on Language*, William Collins Sons and Co Ltd, Glasgow.1975.

3— Greenbaum, Sideny, *Studies in English Adverbial Usage*, London, Longman 1969.

4— Kastovosky, Dieter, "Intensification and Semantic Analysis", *Foundation of Language*, Vol. 14: No, 14, 1976.

5— Knowles, John, "The Degree Adverbial", *Journal of English Linguistics*, Vol. 8. March. 1974.

6— Leech, Gheoffery, *A Communicative Grammar of English*, London, Longman Group Ltd., 1978.

7— Quirk, Randolf et al, A Grammar of Contemporary English, London, Longman Group Ltd;, 1972.

8— House, H. C. and S. E. Harman, *Descriptive English Granmmar* 2 nd, ED., New York: Prentice Hall. 1970.



The diagram shows that "much" and "very" are in complemetntary distribution The adjective phrase includes the modifier "very" and the head element "much"

The intensifier "much" is commonly used with verbs of liking and disliking and wanting. It occurs in final position onlyin negative sentenses (See Bolinger 1972, Quirk, 1972): and when it is preceded by "very". Compare the following:

1— I much appreciate your nelp.

2— I much admire your cleverness.

But not.

3— I appreciate your help much.

4— I admire your cleverness much.

Consider the following examples:

5— I don't like him very much.

6— I appreciate your help very much.

7— I admire your cleverness very much.

A distinction must be made between "much" as an intensifier and "much" as a qualifier. While the former collocates with verbs, the latter collocates with nouns as shown below:

e. g. I like coffee with much milk.

7— Conclusion:

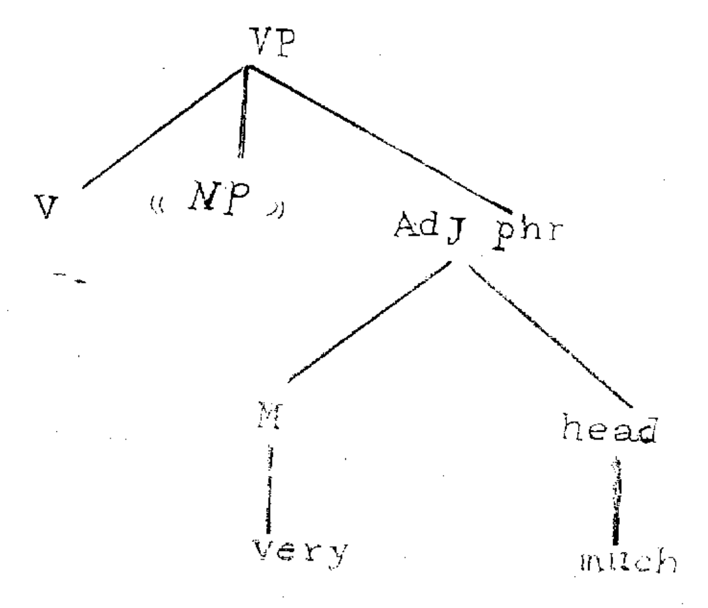
The notion "verbal degree intensifier" is used in the present paper to mean the modifier of a verb which is realized either as Adj-ly or as an underived intensifier like ("much" and "very") and is dominated by the same node as that which dominates the Manner adverbial, and whose head lexeme is marked for the feature (–extent). Traditional grammarians distinguished between the two types by assuming that manner adverbials are adjectives having the feature (–quality)while the degree adverbials have the feature (–extent).

e. g. He runs to the forest *quickly*.
e. g. He *quickly* runs to the forest.
e. g. He forgot her name *completely*.
e. g. He *completely* forgot her name.

The above comparison indicates that both degree intensifiers and manner adverbials are not distinct distributionally or categorically. Besides, the fact that these two types of modifiers cannot occur in the same sentense is a good justification that they are derived from the same source.

* e.g. He completely forgot to telephone his mother quickly.

The last observation above concerns "ly" degree adverbials only i. e. group 2and not I (includug "much" and "very" much). Since the latter expression cannot be derived through the adjective paraphrase relation, a different source of derivation should be suggested in the grammer. Katz and Postal (1964) suggest that such an expression can be introduced into the phrase structure rule with the feature (– extent) and can be put under the same node Adj phr as shown in the tree diagram below :



2— He badly needs the money.

1— How does he treat her?

2— To what extent does he need the money?

2— Manner adverbials can occur in three positions, initial, pre-verbal and final while degree intensifiers occur in two positions only, pre-verbal and final. Compare the following:

1— *Apparently*, he lost nerves. (initial) position)

2— He is *simply* behaving like a fool. (pre-verbal position)

3— He answered the question *well*. (final position)

4— I *absolutely* agree with you. (pre-verbal position)

5— He decided to give up *completely*. (final position)

In the first three examples we have manner adverbials while in the last two we have degree intensifiers.

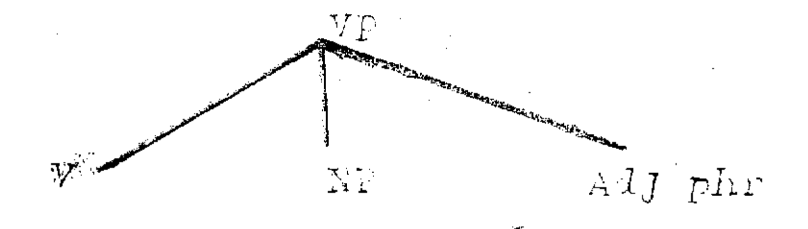
3— Degree intensifiers and not manner adverbials can contrast in alternative negation with "to some extent".

e. g. He does not need the money badly but he needs it *too certain extent.*

but not.

* e. g. He does not treat her badly but he treats her to a certain extent. . .

4— Both degree intensifiers and manner adverbials can be derived from the same node which is "adj phrase" as in:



and because of that they are subject to the same transformation (permutation rule) (Jackendoff, P. 52).

C.The extent to which he admires her work is great.

3— A.He rejects the suggestion *totally*.

B.The extent to which he rejects the suggestion is total.

? C.He rejects the suggestion *to a total extent*.

4— A.I entirely agree with you in this respect.

? B.The extent to which I agree with you is entire.

To paraphrase verbal degree intensifiers in the above sentences, a prepositional phrase must be added to the "S" node, which then forms a relative clause on the subject of the main copula clause containing "adj" (Jackendoff, p.70).

6— Degree Intensifiers and Manner Adverbials :

It is assumed by transformational grammarians (Knowles, p. 29) that degree intensifiers reveal certain similarity to the manner adverbials in that they are both realized by two different forms; one of them is the "adj–ly" form and the other is a prepositional phrase.

```
                    adj-ly
Degree ————————
                    pre phe
```


Consider the following examples:

1— She totally rejects his offer.

1— She rejects his offer to a total extent.

2— She runs quickly.

2— She runs in a quick manner.

Yet degree intensifiers can be distinguished from the manner adverbials in the following respects:

1— Manner adverbials unlike degree intensifiers don't have the feature (–extent). The former answer the question "how?" while the latter answer the question "to what extent?" as shown vbelow:

1— He treats her badly.

۲۷

3— Those which indicate a position near the lower limit of the scale like (nearly, slightly and hardly).

The above classification adopted by the writer has been attempted by Leech (1975, P. 100). Since it is impossible to deal with all types in this short paper (See p.1), the first two only will be discussed. For a more elaborate classification, see Quirk-, Greenbaum et al. (1972, p.139) who distinguish the following classes of intensifiers:

	Emphasizers	(e.g. definitely)	
Intensifiers	Amplifiers	maximizers	(e.g.: completely)
		boosters	(e.g.very much)
	Downtoners	compromisers	e.g.: kind of
		diminishers	e.g.: (partly)
		minimizers	e.g. (hardly)
		approximators	e.g. (almost)

5— Derivation :

The general approach of transformational grammar to adverbs including "-ly" intensifiers" is to derive them from adjectives in the deep structure i.e. through paraphrase relation%. Yet there are certain intensifiers which cannot undergo the paraphrase relations. Such intensifier like ("very" much) must be introduced into the surface structure as such but with the semmantic feature (– extent) in the base. Thus the term in this case cannot be eliminated from the lexicon.

Consider the following examples:

1— A.He understands the lecture *Perfectly*.

B.He understands the lecture *to a perfect extent.*

C. The extent to which he understands the lecture is perfect

2— A.He *greatly* admires her work.

B.He admires her work *to a great extent.*

2— Value of the Study:

It has been observed that Iraqi students learning English find it difficult to use adverbs in general and degree intensifiers in particular. This is due to the fact that Arabic does not have a separate category called "adverb". Besides, since there is no literal translation in Arabic for degree intensifiers, there must be some difficulty in selecting the suitable intensifier when translating a text from Arabic into English or vice versa. The difficulty is due also to the nature of intensifiers mentioned above. Thus knowing the syntactic and semantic properties of intensifiers might help in solving the problem.

3— Definition:

Verbal degree intensifiers are those which denote "extent" or "quality" which can be scaled or measured by answering the question "to what extent?" or "how much?" (See Bolinger 1972, Brend and Pike 1970). They are used to intensify adjectives adverbs or verbs. When they intensify the latter, they are referred to as "verbal-degree intensifiers ". There are two positions only for verbal-degree intensifiers. Some occur in a pre-verbal position only like "badly", "much" unless preceded by "very" and "greatly". Others occur in both pre-verabl and final positions such as "perfectly", "completely", "utterly" "totally" and "entirely".

4— Types of verbal Degree Intensifiers :

Employing "scale" or "quality" of intensification as a semantic criterion of classification, verbal degree intensifiers can be divided into three types:

1— Those which indicate the highest point on a scale like (completely, entirely, absolutely, totally and utterly).

2— Those which indicate a relative position on the scale like ("very" much).

SOME OBSERVATIONS ON VERBAL DEGREE INTENSIFIERS

Lamia A.AL-Ani
College of Education
Department of English
University of Baghdad

1—Introduction :

Degree intensifiers form one of the most complicated areas in English language since they are not identical in their syntactic and semantic features.To quote Bolinger in this respect:

> "Degree words afford a picture of fevered invention and composition that would be hard to come by elsewhere for in their nature they are unsettled."

Kastorsky refers to this area of language as that which is subject to more rapid changes than others (P. 380).

The present paper is an attempt to examine the syntactic and semantic properties of the following verbal degree intensifiers (badly, completely, entirely, greatly, perfectly, totally, utterly and "very" much). The reason for choosing only eight intensifiers is the following: With a subject matter that is as wide in scope as this one, one is bound to make a choice. Either one tries to cover all types of intensifiers, but is forced to deal with them rather superficially, or one selects some of them and is able then to discuss these into some detail, but has also to narrow down the scope considerably. We choose for the latter option. It is noteworthy that the collocability of each of these intensifiers with a certain verb differs from one intensifier to another, which adds to the complexity of intensifiers.

9– Wilkins, D. A. (1974)
Linguistics in Language Teaching London, Edwie Arnold.

10– —————— (1975)
Second Language Learning and Teacging London, Edwin Arnold.



References

1- Al-MURADI, H. A. (1979)
Cultural Content in TEFL for the Iraq learner of English. Unpubl ished TEFL M Ed. Dissertation, UWIST., U. K.

2- Brooks, N (1964)
Language and Language learner, New York, Har Court, Brace & World Inc.

3- Corder S. P. (1975)
Introducing Applied Linguistics, London, Watson & Viney Ltd.

4- Dulay, H. C. & Burt, M. K (1975)
"A New Approach to Discovering Universal Strategies of Child second Language Acquistion" in *George Town University Round Table on Developmental Psycha-Linguistics*, pp 209-233 Georgetown, Georgetown University Press, U. S. A.

5- George, H. V. (1972)
Common Errors in Language Learning, Rowley, Massachusetts.

6- Lado, R. (1964)
Language Teaching
Mc Graw-Hill, Inc, New York.

7- Richards, J. C. (1974)
Error Analysis: Perspectives on Second Language Acquisition, London, Longman.

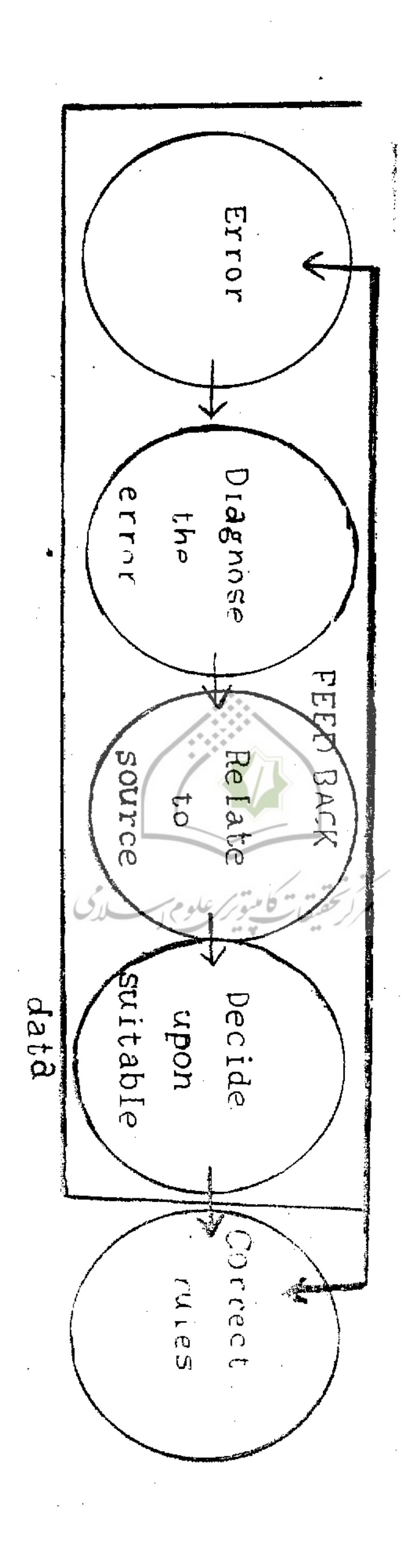
8- Widdowson, D. A et al., (1974)
Learning about Linguistics, London, Baccles and Clochester.

Owing to the fact that language is versatile, there might be more than one choice of eradication strategy for an error. In this case the learner is helped to find out the most easily accessible one. If, however, the learner makes correlation between two separate categories, using for example, the present perfect with the past tense, he can first be helped to break the correlation; and by providing sufficient data the learner can be guided into discovering the rules of each category.

Diagnosing the learner's errors would help the teacher determine what areas in the learner's English need attention and how much attention each area deserves. It is through this procedure that the foreign language teacher can achieve the most ambitious objective, that is to equip the learner wihth better abilities to form the rules of the FL, being taught, in accurate ways.

* * * *

This paper emphasises that intralingual and developmental errors in FL learning and teaching are significant. The analysis of this class of errors is greatly valuable in that it leads to a greater understanding of the problems that the FL learner encounters, and assists in the development of better methodological strategies for the target language. Steps should be taken to see that these errors are properly dealt with by the teacher in his teaching and pedagogic strategies. In fact this is an irksome task and it can only be persued through care, patience and perseverance. Neverthless it has its own rewards.


Error
Diagnose the error
Relate to source
data
Decide upon suitable
Correct rules
FEED BACK

to adapt himself to his environment to create his own cultural surrounding, and it is through language that he expresses his own cultural life and vision. Learning a language is to gain insight into the cultural life and vision of a particular nation.."
(H. A. Al-Muradi, 1979:1)

Eradication of Errors:

Language acquistion is a very complex process which consists of acquiring a host of new rules, categories, systems of choices besides many other things. Hence errors are inescapable throughout the complexity of the FL learning process. They are, in fact, evidence of the existence of an "interim grammar" evolved by the learner at a particular stage in his process of the acquisition of the FL.

If we are to help the learner eradicate his errors, it should be a waste of time and effert to teach him all things all over again. Strategies require that we must first diagnose errors. Then we relate them to their sources. Relating errors to their sources will help us decide what data we should provide the learner with in order to enable him to find out the correct rules. This procedure can be diagrammatically represented as follows:

Learners often think that pairs such as:
do, make; lend, borrow; come, go; bring, take; give, take; look, see; tell, talk; and the like are synonyms.

It should be useful to point out that misunderstanding usually emerges from premature contrastive presentation.

5- Lack of Complete Socio-Cultural Understanding of the Foreign Communtity:

If we are to teach an FL adequately we should take into account the relatedness of culture and language and to assess the importance of the cultural element in FL learning. This is so because language is deeply embedded in culture. In fact language and culture are so interwoven that any attempt to separate them will never succeed. (see Stork & Widdowson (1974: 15), Lado (1964: 149), Wilkins (1974: 81) & (1975: 154) Brooks (1974: 85).

It has been argued, therefore, that as soon as the learner starts to communicate in the FL he will find out that there are overtones in the meaning that are not connected with skills, grammar, or lexicon. He may commit errors that are either funny or impolite through ignorance of the total situation in which language is used. Such errors do not belong to any theory of lanvuage, but to a theory of language users. The problem as such is therefore, transferred from linguistics to culture. This amounts to saying that unless the foreign language teacher considers the cultural elements of the FL thoroughly, the learner will fail to express himself, understand and respend to FL easily and naturally:

> "Man is not merely a creature of instinct but one who is a ble to comprehend and communicate all that is significant to him. He has an inner ability

The reason for such errors is that the learner interprets the verbs "was" and "is" as markers of "past tense" "and" present tense" respectively. He also misuses the tenses by using, for example, the continuous aspect instead of the simple past narrative, or the present perfect instead of the simple past, for example:

"be-verb-ing" for "verb-ed" in narrative

* On Friday thay *were doing* their homework and they *were watching* the television and after that they *were taking* a bath.

Present perfect instead of simple past:

* She has *got up* early last night.
* We *have seen* him in London last year.

Some FL textbooks, often in their attempt to lay stress on the tenses which never exist in the learner's MT, cause a multiplication of such errors. Many specialists of FL teaching confirm the fact that a course which concentrates too much on the main trouble spots without paying attention to the structures of the FL as awhole, will leave the learner with a patchwork of unfruitful and partial generalizations.

Courses may also complicate the teaching of items by establishing contrasts between them. For instance "too" and "very" create much trouble if they are taught by contrast.It is only reasonable to say that when such items function differently it should be safer to teach them separately.

Contrasting "since" and "for" also creates confusion for the learner particularly in exercises that require choosing a correct preposition in sentences such as.

They have been learning English (since/for) 1917.
She has been in London (since/for) three year.

also be a result of imperfect learning processes.

An example of this source of errors is the learner's difficulty in producing grammatically correct questions. In his written English he may use the statement form as a question and vice versa. Richards (1974:177) suggests that the learner's incapacity to produce grammatically correct questions may be attributed to his almost exclusive interest in communication which distracts him from paying attention to the elementary grammatical rules of question formation in English. The following are some examples of errors in the use of question:

Omission of "be" before "verb-ing"

* What–he eating?
* When–Jack going?
* Why–they coming?

Omission of "do"

* What–he *says?*
* How long–it *takes?*
* How–he *gets* it?
* Why–she *goes* early?

Miscellaneous errors

* Did he *slept* late?
* Please tell me what *is* his name?
* How many books–you *have?*
* Does she *meets* her friend?

4- False Concepts Hypothesized:

Poor gradation and unsuitable presentation may lead to another group of developmental errors. The learner produces deviant utterances such as:

* He was spoke French.
* He is speak French.

I will lend you $ 400. Produces:

* I will *borrow* you $ 100.

He said to her. produces:

* He *asked* to her.

She talked to him produces:

* She *conversed* to him.

We can hear him. produces:

* We can *listen* him.

Articles may also be used erroneously by rational analogy. F. G. French(4) argues that in English, statements such as:

The sparrow is a small bird,

Sparrows are small birds,

are grammatically correct. Nevertheless, since the statements are exactly parallel, a logical substitute for the FL learner may be:

* The sparrows are small birds.

(Richards, 1974: 176)

3- Incomplete Application of Rules:

Incomplete application of rules, which indicates that grammatical rules have not yet become a part of the FL learner's 'comptence' should be a mark of inefficient teaching process. Through a faulty presentation of his data, the teacher sometimes inereases the learner's difficulties in assimilating the foreign language rules. Incomplete application of rules can

---

(4) *Common Errors in English*, London, 1949.
Quoted by Jack C. Richards 1974 in his article:
" A Non – Contrastive Approach to Error Analsis" in *Error Analysis, perspectives on second language Acquistion*, London, longman.

* information , *informations* ;
* salmon , *salmons;*
* fife , *fives;*
* machinery , *machineries* ;
* woman, *womans* ; etc.

M. P. Jain suggests (3) that certain generalizations seem to be encouraged by particular teaching strategies. Some of these strategies, in turn, might be reinforced by the learner's age and sociolinguistic situation.

2- Ignorance of Rule Restrictions:

The learner may fail to observe the restrictions that some FL structures require. For example, he may utter the former sentence in the following way:

* The learner may fail to observe the restrictions that some FL structures require *them*.

The following examples are of the same grammatically erroneous kind:

* This is not an easy question which I can answer *it*.

* That is the person whom I met *him* two weeks ago.

By ending up these defining relative clauses with a pronoun the learner is violating a rule restriction in English. Violation of rule 'restriction' is often caused under the pressure of false analogical creation as in:

Ali shows her the book produces:
* Ali *explains* her the book

He will tell you everything about it. produces:
* He will *say* you everything about it.

---

(3) In his article 'Error Analysis: Source, Cause and Significance' in Richards (1974:193)

he will talk
he will have talked, etc.,

Then he may use them confusedly to produce deviant utterances such as :

* he talk
*he has talking
*he has talk
*he will be talk, etc.

Another example of overgeneralization is that the learner may wrongly infer, from his experience of the regular plural forms with endings, '–s' or '–es' , that any word ending in '–s' or '–es' is a plural from, and therefore the removal of these endings will turn words into singular. For example, he may assume 'trousers' and 'scissors' as plural forms of 'trouser' and 'scissor' respectively , producing the following utterances:

* The girls need three more scissors .
*She wants to buy a scissor .

Sometimes the learner places numerals before such nouns to give the idea of number :

*These are two sad news .
*He used to carry two spectacles with him .
* In the lift we lost about fifteen clothes

Based on a fairly high degree of regularity of several inflexions the learner may produce many inflexional errors such as :

* mouse, *mouses* ;
* buy , *buyed*
* hit , *hitted;*
* equipment , *equipments;*
* furniture , *furnitures* :

Intralingual and developmental errors which constitute the subject of this study can be traced to the following sources[2]

1– Overgeneralization,
2– Ignorance of rule restrictions,
3– Incomplete application of rules,
4– Flase concepts hypothesized, and
5– Lack of complete socio–cultural understanding of the foregn community whose language is being learned.

1— Overgeneralization :

Overgeneralization is the inappropriate use of the already acquired strategies in some situation through the learner's recognition of superficial similarities. The learner may generalize a specific rule and apply it rather indiscriminately to many irrelevant cases because of its heavy pressure. He may , for example, omit the '–s' in the third person singular present indicative : **he/she say*, owing to the rule which governs all other endless forms with the other persons (Richards, 1974: 174).

Overgeneralization may also be described as the inter ference of the FL structures with one another. The learner acquires a variety of grammatical structures, for example :

he talks
he is talking
he has talked
he has been talking
he will be talking

---

(2) Error analysis being speculative in the ultimate analysis; one cannot deny the possibility that in some cases it is possible to trace an error to more than one source which may be interlingual or lintralingual.

mental errors,,errors which reflect the learner's competence at a particular stage and illustrate some of the general characteristics of language acquisition. The origin of this class of errors is found within the structure of the FL being learned and with reference to the strategy by which it is acquired. This class of errors can be exemplified by the following deviant utterances :,

*He playing, *They plays, *She may plays, *I can to play, etc. Such errors which can be produced by any FL learner may be ascribed to the following reasons:

I – Failure to memorise the correct FL segments, units and forms,

II– Lack of knowledge and experience of the world. This kind of errors is referred to as 'referential errors' because the learner does not know how to use linguistic forms appropriately for certain objects he is dealing with. S. Pit Corder expinins :

> "When a learner invites us to climb that 'mountain' with him, and we can see only hills, his knowledge is not erroneous or unacceptable, as we have been using these terms, but inappropriate... It may, of course , also be that his knowledge and experience of the world does not include what we call 'mountains'. In such a case the teaching of language is also the teaching of knowledge of the world".
> (S. Pit Corder , 1975 : 280)

III– Imperfect 'competence' of the learner in the FL : Such errors reflect the learner's 'interim–grammar' , a stage in his linguistic evolution in the FL learning process.

Intralingual and Developmental Errors in Foreign Language Learning With Special Emphasis on English Learning and Teaching

By

HASHIM A. HUSSEIN

Introduction :

The learner's deviant utterances in a Foreign Language (FL) undeniably exhibit interference from the mother Tongue (MT), and it is the job of the contrastive-analyst to examine how problematic the learning difficulties caused by negative transfer(1) are. Neverthless, research studies such as Dulay & Burt (1975), Richards (1971) and George (1972) have shown that not all errors committed by FL learners can be traced back to the MT. It is now realised that the role of MT in FL learning was for sometime magnified beyond reasonable proportions especially in the wake of the heyday of the structuralism of the 50's and 60's.

The studies referred to above have also revealed that contrastive analysis strongly predicts errors at the level of phonology, but very weakly at the level of syntax. One of the studies referred to above, a project done on Spanish–English bilingualism made it clear that interfernce from Spanish is not a major factor in the way bilinguals construct sentences and use the language (Richards, 1971 : 172). All the errors noted were not interlanguage, that is they were not derived as transform sfrom MT. Rather they were intralingual and develop

(1) a term indicating MT interference with tne skills, habits and structures of the FL being learned .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

15– Kal thleen Tillotson, *Novels of the Eighteen-Forties*, Oxford, 1954.

16– Margaret Lane, *The Bronte Story*, 1953 .

17– M. Peters, *Charlotte Bronte-Style in-the Nonel' The Misco-*nsin, 1973 . *vel,*

18– Nancy Pell "Resistance, Rebellion, and Marriage:The-Economics of Jane Eyre." in *Nineteenth Century Fiction*, Vol. 31., Number 4, 1977, pp. 397–420.

19– Norman Sherry, *Charlotte and Emily Bronte*, 1976.

20– Patricia Beer, *Reader, I Married Him*, 1974 .

21– Peter Grudin "Jane and the Other Mrs. Rochester: Excess and Restraint in *Jane Eyre*." in *Novel A Forum on Fiction*, Vol. 10, Number 2, 1977, pp. 145–157 .

22– Peter Coveney, *The Image of Childhood*, Harmondsworth 1967.

23– Phyllis Bentley , *The Brontes*, 1973 .

24– R.B. Martin, *The Accents of Persuasion* , 1966 .

25– Rebert M. Levett and Helen S. Hughes, *The History of the Novel In England*, 1933 .

26– Sara Poli, "La Fortuna Di Charlotte Bronte "*English Miscellany.*, No. 6, Rome, 1955, pp. 36–107 .

27– Terry Eagleton, *Myths of Power*, 1975.

28– Tom Winnifrith, *The Bronte's and Their Background*, 1973.

29– Valentine Cunningham, *Everywhere Spoken Against*, Oxford, 1975 .

30– W.A. Craik, *The Bronte Novels*, 1968.

31– Wilbur L. Cross , *The Development of the English Novel*, 1922.

Book List

All books published in London unless otherwise stated .

A. 1 – Charlotte Bronte, Jane Eyre , The *Clarendon Edition of the Novels of the Bronte's* , ed. by Jane Jack and Margaret Smith Oxford, 1969 .

2 – Charlotte Bronte, *Jane Eyre* , ed. by Q.D. Leavis, Harmondsworth, 1966.

B. 1 – Clement K. Shorter, *Charlotte Bronte and Her Sisters,* ed. by W. Robertson Nicoll, 1905 .

2 – David Cecil , *Early Victorian Novelists,* Glasgow, 1966.

7 – David Lodge, *Language of Fiction* , 1966.

3 – David Loge, *Language of Fiction,* 1966.

4 – Earl A. Knies, *The Art of Charlotte Bronte,* Athens: Ohio, Univ. Press, 1969.

5 – Edwin Muir, *The Structure of the Novel,* 1954.

6 – Elizabeth Gaskell, *The Life of Charlotte Bronte,* Harmondsworth, 1975 .

7 – Enid L. Duthie, *The Foreign Vision of Charlotte Bronte,* 1975.

8 – Francoise Basch, *Relative Creatures,* Translated by Anthony Rudelf, 19754.

9 – F.B. Pinion, *A Bronte Companion* , 1975 .

10– Hazel Mews, *Frail Vessels,* 1969.

11– Inga–Stina Ewbank , *Their Proper Sphere,* 1968.

12– John Bunyan, *The Pilgrim's Progress,* Harmodsworth, 1965.

13– John Halperin, *Egoism and Self-Discovery in the Victorian Novel,* New York, 1974 .

14– John Malham–Dembley, *The Key to the Bronte Works,* 1911.

28– *Ibid*, pp. 402 –3 .

24– *Ibid*, pp. 404–5 .

25– Kathleen Tillotson, *Novels of the Eighteen-Forties* Oxford, 1954. p. 304 .

26– *C.E.N.B.*, p. 489 .

27– David Lodge, *Language of Fiction*, London, 1966, p.137.

28– *C.E.N.B.*, pp. 520–21.

29– *Ibid*, p. 522 .

30– *Ibid*, p. 578 .

31– *Ibid*, p. 571 .

32– *Ibid*, p. 573 .

33– *Ibid*, p. 573.

34– *Ibid*, p. 579.



Notes

The text of Charlotte Bronte's *Jane Eyre* used in this essay is *The Clarendon Edition of the Novels of the Bronte's Jane Eyre*, ed. by Jane Jack and Margaret Smith, 1969, hereafter referred to as *C.E.N.B*.

1 – *C.E.N.B.*, p. XXXI
2 – Norman Sherry , *Charlotte and Emily Bronte* , London, 1969, p. 53 .
3 – *C.E.N.B.*, p. 13 .
4 – *Ibid*, pp. 13 –14 .
5 – Peter Coveney, *The Image of Childhood*, Hormondswort, 1967, pp. 106–7 .
6 – *C.E.N.B.*, pp. 13–14 .
7 – *Ibid*, p. 24 .
8 – *Ibid*, p. 24 .
9 – *Ibid*, p. 39 .
10– *Ibid*, p. 39.
11– *Ibid*, p. 40 .
12– *Ibid*, p. 40.
13– *Ibid*, p. 35 .
14– *Ibid*, p. 73
15– *Ibid*, p. 72 .
16– *Ibid*, p. 74 .
17– *Ibid*, p. 62 .
18– *Ibid*, p. 66.
19– *Ibid*, p. 66.
19– *Ibid*, p. 66.
20– *Ibid*, p. 99.
21– *Ibid*, p. 370.
22– *Ibid*, p. 225 .



of Miss Temple and Helen Burns. These two characters, first give Eyre an example of restraint and self-control. In the Thornfield section Jane Eyre is called upon to make use of the good qualities she has seen at Lowood.

After rejecting the passionate demands of Mr. Rochester, Jane Eyre has to overcome the demand to asceticism offered by St. John Rivers. In terms of the symbolism of the novel she has to take a middle-course between the fire of Mr. Rochester and the ice of St. John Rivers. At the end of the novel, Jane Eyre is able to accept the love of Mr. Rochester which has now been tempered by the fire at Thornfield . In the final chapter both Mr. Rochester and Jane Eyre have achieved a mature moral position. So the novel ends on a note of calm and quiet happiness, with the achieved faith of St. John Rivers's final words when facing death, constrasting with the human fulfilment of the lovers;:

" 'My Master. ' he says, 'has forewarned me. Daily he announces more distinctly, – 'Surely I come quickly;" and hourly I more eagerly respond,–"Amen; even so come, Lord Jesus!"(34)

faithful." (30) In this statement the regular clauses reflect the balance of Jane Eyre's mind , which is able to see the weaknesses and strengths of St. John Rivers and to form a conclusion about him .

Mr. Rochester's radical change of heart is seen in the sinc-ere religious attitudes which he describes to Jane Eyre:
"Of late, Jane – only of late – I began to see and acknowledge the hand of God in my doom. I began to experience remorse, repentance; the wish for reconcilent to my Maker. I began sometimes to pray : very brief prayers they were, but very sincere." (31) He goes on to thank God in a humble way, that is the antithesis his earlier passionate, wilful manner :
" 'I thank my Maker, that in the midst of judgement he has remembered mercy. I humbly entreat my Redeemer to give me strength to lead henceforth a purer life than I have done hitherto !' " (32) .

The ending of the penultimate chapter describing Jane Eyre and Mr. Rochester is reminiscent of the description of Adam and Eve in *Paradise Lost* by Milton :
"We entered the wood, and wended homeward ". (33) Its calmness and pastoral language suggests that a good deal of the fire and passion has been burnt out of both characters .

The novel *Jane Eyre* largely deals with morality, both in showing moral faults in some of the characters and in showing the moral development of Jane Eyre and also Mr. Rochester. People and events affect the development of the main charac-ters. In the early stage of Jane Eyre's life the novel is mainly concerned with showing the origin of Jane Eyre's passionate temperament, and with examining the faults of those characters who attempt to subdue her. However, in the Lowood section, the first beneficial influences on Jane Eyre are seen in the form

By the last section of the novel, set at Ferndean , both Mr. Rochester and Jane Eyre have changed from what they previously were. Mr. Rochester ceases to present the temptation of illicit passion for he is no longer a married man and, moreover, he has been subdued by the fire at Thornfield so that he is now crippled and nearly totally blind, a much meeker figure than before. He no longer appears as the Byronic figure with the sinful past and the passion–filled present, but as a rather pitiful person.

Jane Eyre, too, has changed, although not so radically as Mr. Rochester. A gradual process of change has been taking place in her throughout the length of the novel. From the rebellious and passionate child at Gateshead, she has changed to the self–controlled and stoical person to be seen at the close. Although she is still passionate and loving in nature, she is able to accept what destiny brings. Thus, Jane Eyre can gladly accept the duties and chores involved in being the wife of the blind and crippled Mr.Rochester. Jane Eyre's maturity would seem to be much greater than her mere nineteen years of age would suggest as possible. Her final position is seen in the calm and fair way in which she speaks about St. John Rivers. Her praise for him illustrates the balance and maturity in her judgement.

"He may be stern; he may be exacting ; he may be ambitious yet: but his is the sternness of the warrior Greatheart, who guards his pilgrim–convoy from the onslaught of Apollyon. His is the exaction of the apostle, who speaks but for Christ, when he says– 'Whosoever will come after me, let him deny himself, and take up his cross and follow me.' His is the ambition of the high master–spirit, which aims to fill a place in the first rank of those who are redeemed from the earth–who stand without fault before the throne of God; who share the last mighty victories of the lamb; who are called, and chosen, and

tation is obvious to Jane Eyre, St. John Rivers' offer of marriage appears to be a well-motivated one, although in reality it would lead to an equally bad result.

Charlotte Bronte makes use of structural parallels and patterned relationships in order to point out similarities between St. John and other characters who are more obviously wrong-headed. The same family structure of two sisters and one brother is seen in the case of both the Reed and Ingram families. Thus, a parallel is drawn between the evil of St. John Rivers and the more obvious faults to be found in these other two families.

Jane Eyre at last comes to realise the deficiencies of St. John's offer of marriage for she knows that her passionate nature requires love and that he cannot satisfy her :

"but as wife – at his side always, and always restrained, and always checked–forced to keep the fire of my nature continually low, to compel it to burn inwardly and never utter a cry, though the imprisoned flame consumed vital after vital– *this* would be unendurable." (28). She tells St. John Rivers:

" 'I scorn your idea of love; ... 'I scorn the counterfeit sentiment you offer: yes, St. John, and I scorn you when you offer it .' "(29).

There is a parallel between St. John's offer of loveless marriage to Jane Eyre and Mr. Rochester's marriage for money to Bertha Mason, and his proposed similar marriage to Blanche Ingram. Although the former is for religion and the latter for money, yet , both are seen to be equally wrong. In the case of marriage to St.John Rivers, the final result would be that Jane Eyre's passionate nature would be repressed, and in the case of Mr. Rochester's marriage to Bertha Mason, because no love was involved, eventually Bertha went mad .

stringent are they; inviolate they shall be. If at my individual convenience I might break them, what would be their worth?"24.

In the Moor House section of the novel the main figure of influence on Jane Eyre's moral development is St. John Rivers who in many respects is the opposite of Mr. Rochester. While Mr. Rochester tempts Jane Eyre towards unrestrained passion St. John Rivers tempts Jane Eyre towards a loveless marriage and a life of self-sacrifice. As Kathleen Tillotson points out, both Mr. Brocklehurst and St. John Rivers are seen in terms of stone, the former as black-marble (as mentioned above) and the latter as white stone. (25) Thus, although Mr. Brocklehurst is the much more obviously evil of the two, a comparison between them is implied.

The main fault in St. John Rivers is in his lack of response to the natural world. He is pictured in terms of water and ice (as well as stone). This imagery is used when St. John Rivers visits Jane Eyre on a stormy night :

" 'But I apprised you that I was a hard man,' said he; 'difficult to persuade.

'And I am a hard woman, – impossible to put off.'

'And then,' he pursued, 'I am cold: no fervour infects me.'

Whereas I am hot, and fire dissolves ice.' "(26) As David Lodge says :

'In subsequent stage of their relationship Jane persistently returns to imagery of water and earth in forms suggestive of hardness, coldness, destructiveness – ice, rock, stone, torrents, avalanches to express her physical and emotional alienation from Rivers."(27) like Mr. Brocklehurst, St. John Rivers is a Calvinist. Not only does he wish to sacrifice himself, but he is also prepared to sacrifice Jane Eyre to further his egoistic aims. Whereas the moral wickedness of Mr. Rochester's temp-

illustrates her arrogance, her cold–bloodedness, and mercenary attitude towards marriage .

During the whole novel Mr. Rochester presents the most formidable temptations to Jane Eyre's moral sense. While his love for Jane Eyre is real enough, the temptation to live with him as a mistress is one that Jane Eyre must resist. Not only must she resist this on moral grounds, but, also, because as a mistress she would have eventually become worthless to Mr. Rochester, as his three former mistresses has become. In the figure of Mr. Rochester, Jane Eyre must renounce both idolatry and physical passion :

"Terrible moment: full of struggle, blackness, burning ! Not a human being that ever lived could wish to be loved better than I was loved; and him who thus loved me I absolutely worshipped: and I must renouce love and idol. One drear word comprised my intolerable duty–'Depart' "'(23). By this stage, Jane Eyre's moral maturity is seen by her ability to reject Mr. Rochester's temptation. She is now able to put into practice the lessons learned from Helen Burns and Miss Temple. Jane Eyre's reason for refusing to co-habit with Mr. Rochester is not, however, that of bending to the conventions of society but rather due the obeying of God's laws.Her final reply to Mr. Rochester illustrates this and the putting into practice of the stoicisim she has learned :

" 'I care for myself. The more solitary, the more friendless, the more unsustained I am, the more I will respect myself . I will keep the law given by God; sanctioned by man. I will hold to the principles received by me when I was sane, and not mad– as I am now. Laws and principles are not for the times when there is no temptation : they are for such moments as this , when body and soul rise in mutiny against their vigour :

to be put into practice. At Thornfield, the major figuer with whom Jane Eyre has to content is Mr. Rochester, although Bertha Mason and Blanche Ingram are also of some importance.

During the Thornfield episodes, the major temptation to Jane Eyre is that of the passion of physical desire. The danger of unlicensed passion is imaged in the figure of Bertha Mason, who represents the result of this. The end-product of unbridled passion is seen in the bestial picture of Bertha Mason that is revealed after the near-marriage of Jane Eyre to Mr. Rochester :

"What it was, whether beast or human being, one could not, at first sight, tell: it grovelled, seemingly, on all fours; it snatched and growled like some strange wild animal: but it was covered with clothing; and a quantity of dark, grizzled hair, wild as a mane, hid its head and face." (21) , and :

"the clothed hyena rose up, and stood tall on its hind feet"21.

While Bertha Mason is an example of the result of a marriage not brought about by love, Blanche Ingram is an example of such a figure before marriage . As with Bertha Mason, Mr. Rochester is prepared to marry her for money rather than for love. The narrator shows a critical attitude towards Blanche Ingram for her selfish interest in monetary matters , and her pride and condescending attitude to Jane Eyre. Blanche Ingram's attitude to marriage is seen in the conversation which Jane Eyre overhears :

" 'Whenever I marry, 'she continued, after a pause which none interrupted, 'I am resolved my husband shall not be a rival, but a foil to me. I will suffer no competitor near the throne; I shall exact an undivided homage: his devotions shall not be shared between me and the shape he sees in his mirror. Mr. Rochester, now sing, and I will play for you .' "(22)This speech

for the emotional Jane Eyre, so that Miss Temole, in face, provides a better example for Jane Eyre to follow. . .

Miss Temple is a major influence on Jane Eyre's moral development for unlike Helen Burns, she has human affections, which are seen, for example, when she marries. Also (unlike Helen Burns) she does not meekly accept the wrong-doing of others, for she is righteously angry at the manner in which Mr. Brocklehurst starves his pupils. By providing both sympathy and practical help for Jane Eyre and Helen Burns, she gives an example of a correct mode of action. Rather than simply reacting emotionally against Mr. Brocklehurst, she practically helps the objects of his oppression. Just after Mr. Brocklehurst has branded Jane Eyre as a liar in front of the class, Miss Temple invites Jane Eyre and Helen Burns to her room and after hearing Jane Eyre's story agrees to publicy clear her of the accusation made by Mr. Brocklehurst. In the cool and rational way in which Miss Temple acts on this occasion she provides a useful example to Jane Eyre. The heroine acknowledges her debt to Miss Temple when she says :

"From the day she left I was no longer the same : with her was gone every settled feeling, every association that had made Lowood in some degree a home to me. I had imbibed from her something of her nature and much of her habits: more harmonious thoughts, what seemed better regulated feelings had become the inmates of my mind. I had given in allegiance to duty and order ; I was quiet; I believed I was content ."(70).

With the death of Helen Burns and the marriage of Miss Temple, Jane Eyre has learned all she can at Lowood School and so moves away from that establishment. In the next section of the novel, which concerns Jane Eyre's residence at Thornfield, some of the moral lessons learned at Lowood School have

the undernourishment of the pupils in his Lowood School: "The two younger of the trio (fine girls of sixteen and seventeen) had gray beaver hats, then in fashion, shaded with ostrich plumes, and from under the brim of this graceful head-dress fell a profusion of light tresses, elaborately curled; the elder lady was enveloped in a costly velvet shawl, trimmed with ermine, and she wore a false front of French curls."(16)

While Mr. Brocklehurst is important in the Lowood section because of his hypocrisy and injustice, as an influence on Jane Eyre's development he is less important than Helen Burns and Miss Temple. Helen Burns gives Jane Eyre an example of endurance and patience which she requires later on in her life. Helen Burns is skilfully introduced in the novel, sitting reading a copy of *Rasselas*, a story with the theme of stoicism. Her patience is illustrated by her refusal (unlike Jane Eyre) to react against the punishments imposed on her. After the occasion when she is whipped in front of the class without reacting emtionally, Jane Eyre comments to her that had she been in her position she would have snapped the birch-rods :

" 'And if I were in your place I should dislike her : I should resist her ; if she struck me with that rod , I should get it from her hand ; I should break it under her nose .' "(17)Helen Burns's doctrines are seen in the following two remarks that she makes, firstly :

" 'It is not violence that best overcomes hate–nor vengeance that most certainly heals injury. ' "(18) , and secondly :

" 'Read the New Testament, and observe what Christ says, and how he acts – make his word your rule , and his conduct your example. ' "(19)while, however, Helen Burns's stoicism is to be admired, yet, it is not a way of life that Jane Eyre can adopt herself. Its rejection of human love, makes it inadequate

Mr. Brocklehurst is a type of Calvinist, and the unnaturalness of his religion is illustrated in the incident where he decries against Julia Severn's curls:

"'Julia's hair curls naturally,' returned Miss Temple, still more quietly.

'Naturally! Yes but we are not to conform to nature: I wish these irls to be the children of Grace : and why that abundance? I have again and again intimated that I desire the hair to be arranged closely, modestly, plainly Miss Temple, that girl's hair must be cut off entirely; I will send a barber to- morrow : and I see others who have far too much of the excrescence.(14)

Mr . Brocklehurst's attempt to impose his ideas upon nature illustrates the perverted nature of his mind, also to be seen in his periphrastic reference to the hair by the word " excrescence".

Not only is Mr. Brocklehurst criticised for his Calvinistic attitudes and his pomposity, but also for his hypocrisy, seen in his adoption of double standards. While in his dealinge with the pupils at Lowood School his plan is,

"not to accustom them to habits of luxury and indulgence, but to render them hardy, patient, self- denying. Should any little accidental disappointment of the appetite occur, such as the spoiling of a meal, the under or the over dressing of a dish, the incident ought not to be neutralized by replacing with something more delicate the comfort lost, thus pamper ing the body and obviating the aim of this institution; it ought to be improved to the spiritual edification of the pupils, by encouraging them to evince fortitude under the temporary privation."(15)When it comes to his family and himself this asceticism is no longer applied. The sight of Mr. Brocklehurst's daughter looking pampered and well- fed, contrasts with

Jane Eyre is victorious, "I was left there alone– winner of the field."(11)Her sense of guilt indicates that she, herself, is not completely in the right. Charlotte Bronte writes:

"A child cannot quarrel with its elders, as I had done; cannot give its furious feelings uncontrolled play, as I had given minel without experiencing afterwards the-pang of remorse and the chill of reaction. In this scene there is the situation where Jane Eyre is morally right in her conclusions, but her unchristian approach is wrong. While Mrs. Reed's lack of sympathy and love justify Jane Eyre's remarks, there is also a lack of symptahy in her own harsh judgements.

Mr. Brocklehurst is first introduced near the end of the Gateshead chapters. Unlike Mrs. Reed, he is seen as a partly comic figure. His deficiencies are revealed in the words and behaviour noted by the over–literal child, Jane Eyre. In the dialogue about Hell, the absurdity of Mr. Brocklehurst's ideas is seen. His account of the little boy who knew six Psalms: "'No? oh ,shocking! I have a little boy, younger than you, who knows six Psalms by heart; and when you ask him which he would rather have, a gingerbread–nut to eat, or a verse of a Psalm to learn, he says; "Oh !the verse of a Psalm! Angels sing Psalms;" says he," I wish to be a little angel here below;" he then gets two nuts in recompense for his infant-piety."(13) reveals his confusion of piety and materialism. However, the comic descriptions of his physical features and mannerisms involve a different approach from that used for Mrs. Reed.

Mr. Brocklehurst appears again, later on in the Lowood chapters. During Jane Eyres time at Lowood, Mr. Brocklehurst is the major figure of oppression. Charlotte Bronte supplies an image of black marble for him, to indicate his emotional frigidity and coldness towards the children in his school.

and too unchristian. In the Cateshead section of the novel the immaturity of Jane Eyre' s moral sense is indicated at a number of stages, for example her reaction to the possibility of poverty is seen to be too arrogant when compared to her later mature reactions:

"'No; I should not like to belong to poor people, ' was my reply. 'Not even if they were kind to you?

I shook my hand."(7)On this occasion, the wrongness of Jane Eyre's reply is pointed out by the intrusion of the mature voice: "I reflected. Poverty looks grim to grown people; still more so to children: they have not much idea of industrious, working, respectable poverty; they think of the word only as connected with ragged clothes, scanty food, fireless grates, rude manners and debasing vices: poverty for me was synonymous with degradation."(8)

An important stage in the moral development of Jane Eyre and an attack on the attitudes of Mrs. Reed, her main oppressor at Cateshead, are combined at one point– the section where Jane Eyre confronts Mrs. Reed. In three stinging but truthful speeches Jane Eyre tells Mrs. Reed what she thinks of her. Beginning with: "'I am not deceitful: if I were, I should say I loved *you*; but I declare, I do not love you: I dislike you the worst of anybody in the world except John Reed ; and this book about the liar, you may give to your girl, Georgiana, for it is she who tells lies, and not I' "(9)Jane Eyre proceeds to the conclusion that:

"People think you a good woman, but you are bad; hard–hearted. You are deceitful!' "(10)In this confrontation, the reader agrees with Jane Eyre's ideas and conclusion but, nevertheless, the mature Jane Eyre cannot whole–heartedly support the manner in which these statements are presented. Although

attitude: "I was a discord in Cateshead–hall: I was like nobody there: I had nothing in harmony with Mrs. Reed or her children, or her chosen vassalage. If they did not love me, in fact, as little did I love them. They were not bound to regard with affection a thing that could not sympathize with one amongst them ; a heterogeneous thing, in temperament, in capacity, in propensities ; a uesless thing ,incapable of serving their interest,or adding to their pleasure;a noxious thing,cherishing the germs of indignation at their treatment, of contempt of their judgement." (4) By including this later judgement of maturity, Charlotte Bronte intensifies the reader' s awareness of Jane Eyre' s sufferings, because no relief is allowed to the reader in loathing her tormentor . The scene establishes a moral attitude towards Mrs . Reed , and Charlotte Bronte makes a greater claim on the reader than just needing to sympathise with Jane Eyre . Peter Coveney makes the point that such a moral pose is unu sual in a novel about a child.He compares the situation in *Jane Eyre* with that in *David Copperfield* (5) where the Murdstones become mere grotesques because the reader is never asked to morally consider them. Mr. Murdstone degenerates into a comic figure with his buying of a marriage licence for his second wife.

Charlotte Bronte's fusion of childhood and adult voices gives the reader the sense that a fair picture is being given of those characters who come in for moral attack. The passage beginning: "I was a discord ... judgement." (6)indicates that Charlotte Bronte is not only critical of these other characters but also of Jane Eyre herself. Her childhood reactions, although not absolutely wrong, must, nevertheless, be tempered during the course of the novel, because they are too critical

"Serious questions about life and morals are constantly being posed in the midst of the romantic and Gothic situations . How is one to live within the situation in which God has placed one? How does one suffer tyranny, cruelty ? How does one control strong emotion ? How does one live in barren circumstances ? How does one keep one's religious and moral intergrity, while still satisfying the individual sense of justies and. rightness? Does one rebel, as the young Jane does? accept with Christian meekness as Helen does? become a liar and hypocrite for the sake of a piece of gingerbread? control one's passions to obey Cod's precepts no matter what the personal cost? (2)

In Jane Eyre's early childhood at Cateshead she is seen as the victim of various abuses brought about particularly by Mrs. Reed and her son John. In this section the main characters whose actions and attitudes are attacked, are Mrs. Reed and Mr. Brocklehurst. The cruelty and meanness of Mrs. Reed and the self–righteousness and brutality of Mr. Brocklehurst are revealed.

The red–room scene (the occasion on which Jane Eyre is punished by being locked in the room where Mr. Reed died) is an interesting one in showing moral attitudes towards Mrs. Reed. The reaction of the young Jane to this cruel treatment is shown thus:

"Unjust!– unjust!' said my reason, forced by the agonizing stimulus into precocious though transitory power ; and Resolve, equally wrought up, instigated some strange expedient to achieve escape from insupportable opression – as running away, or, if that could not be affected, never eating or drinking more, and letting myself die." (3)

Juxtaposed with this description of Jane Eyre's childhood thoughts is a passage describing her later and more rational

MORALITY IN JANE EYRE

Mahmoud Fadhil AL- Khafaji , M.A.
English Departmnt
College of Arts
University of Al- Mustansiriyah .

In the preface to the second edition of *Jane Eyre* is found a very important section on conventionality and morality and the differences between them :

"Conventionality is not morality. Self–righteousness is not religion. To attack the first is not to assail the last. To pluck the mask from the face of the Pharisee, is not to lift an impious hand to the Crown of Thorns." (1)This preface , which was wri tten to counteract certain attacks made on the novel, shows the importance which Charlotte Bronte" attached to the theme of morality in the book.

Jane Fyre is an attack upon the hypocrisy of certain characteristic sorts of Persons. In this essay I shall examine the way in which hypocrisy is unveiled in the case of a number of the characters, and the development of a correct moral attitude as seen on the part of the heroine. The novel-as a whole presents the picture of a rebellious heroine confronting the self-righteousness and hypocrisy of many of those with whom she comes into contact , and so the approach of this study will be a chronological one examining Jane Eyre's progress from childhood to marriage.

Norman Sherry remarks on the moral interest of Charlotte Bronte's novel when he writes :

44– Heffernan, pp. 56–7 .

45– Letters, ed. Hugh S.R. Elliot. (London, 1910), I, 11–12 .

46– Heffernan, p. 142 .

47– I bid, pp. 150–51 .

48– The Complete Writing of William Blake, ed. Geoffrey Keynes, (London, 1966), p. 782 .

49– I bid, p. 783 .

50– WLecke, pp. 107–108.

51– A.N. Whitehead, Science and the Modern World, (New York, 1948), p. 80.

52– LY, I, 134 –135 .

58– WLecke, p. 117.

54– I bid, p. 129.

55– PrW, III, 464 .

56– WLecke, p. 117.

57– I bid, p. 127.

58– Wordsworth's Literary Criticism, ed. N.C. Smith , (Oxford, 1905), p. 159.

59– Raymond Cowell, ed. Critics on Wordsworth: "Wordsworth's Un Coleridgean Imagination" Stephen Prickett, (London, 1973), pp. 156–167 .

60– WLecke, p. 129.

61– Chap. XXV, II, 383–4 , 388–90 .

62– M.H. Abrams, The Mirror and the Lamp, (New York, 1953), p. 109 .

68– Loc Cit.

64– Heffernan, p. 93 .

65– Priestley, Harttley's Theory of the Human Mind, Sig. B2.

23– Preface to the Lyrical Ballads of 1800.

24– Barstow, p. 172 .

25– Ibid, p. 181.

26– Raysor, p. 26 .

27– Ibid, p. 10.

28– Ibid, p. 13 .

29– J. Beattie, Essays on Poetry and Music, 3rd. ed., (London, 1779), p. 66.

30– I bid , pp. 193–4 , 245 .

31– Alan S. Downer, ed. English Institute Essays, 1952 , "Wordsworth and Coleridge on Diction and Figures," M.H. Abrams, (New York, 1954). pp. 170–201 .

32– Note to "The Thorn", added to the Lyrical Ballads of 1800.

33– Raysor, -p. 3.

34– Preface to Shakespeare, Johnson on Shakespear, pp. 19-20

35– M.H. Abrams, The Mirror and the Lamp, (New York, 1953) p. 107.

26– In a section of the Preface commenting on 'The Idiot Boy', 'The Mad Mother, 'We are Seven,' and other poems; ed of 1845. See Poetical Works, ed. de Selincourt, II, 2388.

37– Heffernan, p. 50.

38– The Table Talk and Omniana of Samuel Taylor Coleridge, ed. T. Ashe, (London, 1923), p.87 .

39– Letter to Robert Southey, Prefatory to Peter Bell, PW, 2, 331.

40– Albert O. WLecke, Wordsworth and the Sublime, (London 1973), p. 129.

41– Saint Bernard, The Steps of Humility, Trans. George Bosworth Burch, (Notre Dame, 1963), p: 123 .

42– The Complete Work of William Hazlitt, ed. P.P. Howe, (London, 1932), XL, 93 .

43– Barstow, p. 172 .

Notes

Wordsworth's Theory of the Imagination

1 – T. M. Raysor, Wordsworth and Coleridge Selected Critical Essays, (New York, 1958), p: 2 .

2 – LC , II, 830 .

3 – Letters. I, 48 (Lamb Letters).

4 – Marjorie Barstow Greenbie, Wordsworth's Theory of Poetic Diction, (London, 1966). p. 120 .

7 – Monthly Magazine, July, 1796 . (2,452).

6 – (London, 1823), Lecture XXXVIII, p. 511 .

7 – M.H. Abrams, The Mirror and the Lamp: Romantic Theory and Critical Tradition, (New York, 1953), p. 95 .

8 – (London, 1823) Lecture XXXVIII, pp. 512, 513–14, 518.

9 – Raysor, p. 13 .

10– James A. W. Heffernan, Wordsworth's Theory of Poetry: .. The Transforming Imagination,)London, 196 '(d. 60 .

11– Raysor , p.

12– Ibid, p. 11.

13– BL, I, 14 –19.

14– Shelley's Letters and Philosophical Criticism, pp. 156–8.

15– Raysor, p. 20.

16– Ibid, p. 26 .

17– Ibid, p. 16 .

18– M. H. Abrams, The Mirror and the Lamp, (New York, 1953) p. 111 .

19– Essay on Criticism, II, 289 .

20– A Description of the Wordsworth and Coleridge MSS in Possesion of Mr. T. Norton Longman . p. 19.

21– Barstow, pp. 139–40.

22– Raysor , p. 12 .

but it has a supernaturalizing effect upon the objects. It has a transforming power. It transforms objects by endowing or abstracting and thus create a new existence which acts upon the mind, and excites a feeling analogous to the supernatural . It transforms objects and landscape as well when guided by judgement. It plays a leading role in the process of artistic creation, shaping, forming and molding the used material. It is a faculty whereby things are lost in each other and limits vanish. It is a power and an authority but It is Protected and guided by intellect. It is a faculty which can produce impressive effect out of simple elements. It can give a vision of paradise out of a common day . It is indispensable to the reader just as it is indispensible to the poet.

The poet is an observer. He should obsereve things as they are and communicate them with fidelity. But his observation should be charged with feeling, or conditioned by the power of response, because what should be communicated is not the visual impact of the scene, but the emotional impact. Imagination is instigated by feeling. To experience such a feeling the poet should have sensibility. The latter means surrender of the mind to nature. The mind of man gains wisdom when it surrenders completely to nature. It is unified with nature. It is the mirror of the properties of nature. They are adapted to each other. Man is the image of nature. There is correspondence between the two. So, the creation of poetry imitates the action of creative power in the visible world.

There is also a shift in his concept of imagination. The notion preached in the Preface and the related essays is that imagination is a God-like faculty . At an earlier date the mind is exalted by the sense of God.

At an early date, Wordsworth condemned artifice but he learned later on how to distinguish between art-and artifice, giving the poet the right to transform the language of men.

In addition to that, there is a shift from-the emphasis of the spontaneous response to the feeling that springs from the mind as well as the heart together with an emphasis of the necessity of a more powerful exercise of the mind.

Beside these shifts in attitude concerning certain notions, the reader of Wordsworth's records in question discovers contradictions like his contradictions regarding the difference between prose and metrical composition. In his early Preface there is a hint to the effect that the language of poetry must have distinctive characteristics. Meter and selection are then emphasized to distinguish poetry from ordinary speech. This idea has also been emphasized in the version of 1802 . But both versions assert that there is no essential difference between the language of prose and metrical composition. However, Wordsworth did not stick to this opinion in later years.

As a romantic theorist, —Wordsworth's views on imagination are of great importance to the student of romantic poetry. They could be summed up as follows: Imagination is a divine faculty or a God-like faculty. Its exercise is a God-like function of the soul. It is a word of higher import denoting operations of the mind upon objects and processes of creation of compositions governed by fixed laws. The work produced by imagination encorporates the energy of nature, therefore, it is indestructable. It does not require the intervention of the supernatural,

We have already seen that Wordsworth was not original in some of his proposions, whereas he was the first to preach others. But what remains worthy of consideration is whether or not he stuck to what he had advocated throughout his long career as apoet .

Shifts in attitude have been detected in the examined records. One instance is his attitude toward the role of the poet in the process of poetic creation. In the Preface of 1800 the passive role is emphasized . Response to nature should be spontaneous, unrestrained and unsmothery. At a later date Wordsworth stressed the empassioned observation, and selective influence of the memory. In other words, artistic control overbalances natural response. For this reason, Miss Barstow found while studing Wordsworth's poetis diction that his language is the result of conscious art as that of 'Paradise Lost'

Another instance of a shift in attitude is when Wordsworth first assumed that the poet's business is to unite all men with passion and knowledge, which means that the poet must have an exceptional capability to undertake such a task. In the Preface of 1800 and the Appendix of 1802, he considers the poet as a superior being whereas in the version of 1815, he emphasizes normality of poetic genius admitting that all men are identical at heart.

A third instance of a shift in attitude is that which concerns Wordsworth's audience. The shift raged from passing from the fallible voice of the pubic to the voice of the people, and then from the rustic reader to the student of poetry. There is even a shift in mood from that of a timid poet who begs an acceptance of his art to the mood of a man of confidence who tries to clear and shape his road.

the figures of speech. They are accepted when they embody the feeling and are natural, but they are rejected as ornaments, or when mechanically applied, because, as such, they create false poetry. Wordsworth approved the writings of the classical poets, who wrote from passion excited by real events. He rejected the neo–classical poets for using eighteenth–century language with all its pectuliarities, and for their adherence to specially poetic conventions which characterize art .

The second contribution of Wordsworth is turning to feelings and thoghts of rustic and humble people whom he considered as appropriate for serious poetry as others of higher rank. This preference is an indication that Wordsworth had concerned himself with the feelings-and thoughts which could be held as those of mankind, being so general-and shared by the majority of people.

By emphasizing the notion previously advocated by Beattie, that the end of poetry is to give pleasure by imitating nature and that the language of poetry must be an imitation of the language of nature, Wordsworth proved that diction is more important to poetry than-plot, character or other elements.

Wordsworth is also considered the liberator of subject matter, because he was the first one to announce that, "The honourable characteristic of poetry is that its materials are to be found in every in subject which can interest the human mind." (PW, II, 3838)

Another contribution of Wordsworth is that which was discovered by John Stewart Mill. He admits that the one who converses with Wordsworth gets convinced that he has advanced his subject beyond any other man, by his high power of generalization and habits of meditation on its principles. Wordsworth believed that meditations direct and modify our feelings

the concept of imagination, especially their conviction that there is correspondence between nature and the human mind, and that because of this correspondence they believed that the creation of poetry imitates the act of the creative power in the visible world. Coleridge called the mind "the image of the creation".

Furthermore, their plan to divide the task of writing "The Lyrical Ballads" between them, so that Coleridge would depict "persons .... romantic," but would "credibilize" these "shadows of imagination," and that Wordsworth would "give the charm of novelty ....", this plan was based on their conviction that the two cardinal points of poetry are "the power of exciting the sympathy of the reader by a faithful adherence to the truth of nature, and the power of giving the interest of novelty by the modifing colour of imagination" (BL, II, 5).

Wordsworth's indebtedness to the rest has already been discussed. So, the reader gets convinced that it wasn't Wordsworth who first advocated the notions that, poetry is the language of passion or enlivened imagination, that it should be written in simple language, that this simple language is the language of nature , that the end of potery is to give pleasure, that passion is one of many factors determining the propriety of diction, that the feeling of the poet should overflow spontaneously, that the born poet is a man of-an exceptional sensibility,.. etc. All these notions have been stressed by his predecessors and adopted by him beside many others. But those other notions are Wordsworth's contributions as a theorist.

Wordsworth was the first romantic poet to declare himself for nature, when he announced the triumph of nature over art. In other words, he was the first to reject art in the neo-classical sense of the term. This does not mean rejection of the

fines imagination or fancy "as the power which calls up ideas and trains of ideas in a vivid manner, and without regard to their former actual impressions and perceptions.(65) Wordsworth disagrees with William Taylor who in his "English Synonyms Discriminated (1813) says, "Imagination is the power of depicting by which a man can distinctly copy in idea the impressions of sense (PW, II, 435). Wordsworth's position is something else. "Imagination," he writes, "...has no reference to images, that are merely a faithful copy existing in the mind of absent external objects; but is a word of higher import, denoting operations of the mind upon those objects, and processes of creation of composition, governed by certain fixed laws" (PW, II, 436).

After this brief survey of the eighteenth century currents of thoughts, that were prevailing before the publication of "The Lyrical Ballads" and the revolutionary contributions brought about by Wordsworth's prededessors, and after the examination of the propositions laid down by Wordsworth in his sound Literary treatise i. e. "The Preface" of 1800, together with the "Appendix" of 1802 and the comments to the same effect, scattered in his letters, essays and recorded fragments of conversation, several conclusion could be drawn.

One of these conclusions is that Wordsworth is certainly indebted to his predecessors like Beattie, Blair, Enfield, Burns, Hartley, Coleridge and others. But, he is mainly indebted to Coleridge. He collaborated with him in "The Lyrical Ballads", and probably got an access to some written notes by him. Besides, Wordsworth's diction indicates that he must have adopted the theory of the universal languges preached by Coleridge, as has been proved by Miss Barstow in her study of Wordsworth's Poetic diction. In addition to that, they shared views on

speaks of rustic people as a kind of emotional utopia, where the hearts essential passions are simple, unrestrained and nature bred (P W, II, 386–387).

In his letter to Wilson, Wordsworth says that the best judges of poetry are "men who have never known false refinement, wayward and artificial desires, false criticism, effeminate habits of thinking and feeling." (EY, 355). Gradually Wordsworth's fondness of rustic reader disappeared and he preferred the student of poetry. In the preface, he had cited Reynolds on the subject of taste, reminding his audience that a critical acumen is "an acquircd talent" (PW, II, 403). But the essay of 1815 demands more. It requires "natural sensibility cultivated with careful study. (PW, II, 413).

Heffernan thinks that Wordsworth's elevation of his standard for the ideal reader caused him to repudiate his popularity as a criterion of poetic value. As he is convinced that sensibility is a superior gift and that poetry is the vehicle of an extraordinary passion, he got more convinced that poetic appreciation is the property of the few.(64) Wordsorth must have realized at last how sound is Milton's conviction that the poet of truly original genius "must reconcile himself for a season to few and scattered hearers" (W, II, 429).

Wordsworth's rejection of taste as an aesthetic criterion, then, is justified, because it implies passivity. Wordsworth wants his reader to cooperate with him, using the power in his mind . This power is stressed in his preface of 1815 as the basic principle. He believes that it is in the exercise of mind on matter that imagination best reveals itself.

Unlike his predecessors, Wordsworth rejected the notion that imagination merely produces idease, i.e., mental pictures of faithfully remembered sense impression. Hartley de-

man nature as it now exists, because a great portion of the reading public has been perverted by 'false refinement' and 'artificiacl desires'"(62)A great poet therefore, instead of conforming himself to, ought rather

> "To rectify men's feelings to give them new compositions of feeling, to render their feelings more sane, pure, and permanent, in short, more constant to nature." (63)

On such grounds as these Wordsworth writes in his conclusion to his preface of 1800, he believes that fulfillment of his aim would produce 'genuine poetry, 'in its nature well adapted to interest mankind permanently'. Fifteen years later, continuous criticism of his poetry motivated him to draw a distinction between' the passing and fallible voice of the public', and that central and universal norm which emerges through time as' the voice of the people'.

In his letter to Wilson, Wordsworth makes it clear that the duty of the poet to please does not oblige him togratify the taste of his readers.

In the preface of 1800, Wordsowrth assigns to the oet the burden of unitng all men"by passion and knowledge" PW, II, 396).To take up such a burden requires an exceptional power. The 1815 version advocates the normality of poetic genius–the assumption that all men are identical at heart (CPW, II,398).But when Wordsworth attained maturity, he came to grasp the complexity of human passion and to realise that commonplace thoughts are incompatible with human passion (MY, II, 614). This shift in attitude affected his attitude toward the public. As he develops the view that poetic passion is something extraordinary, his concept of the ideal audience for poetry grows more exclusive. In the preface he

Unlike the other theorists before him, Wordsworth faced the difficulty of trying to justify his own poetic principles and practice against the indeference or adverse judgement of the great majority of his readers .The neo-classicist before him came to realize that reliance upon the voice of men in general comes into conflict with his own cultivated preference. Johnson was bold enough to acknowledge public taste. But other critics did not only reject and ignore the concensus of their time and place in favor of the concensus of the ages, but they discredited all but a few men as competent to speak for man in general.

Lord Kames ,argues in his "Elements of Criticism" that What is uniform among men is, "not only invariable, but also perfect, or right..." But to determine the standard of taste 'common to the species', we cannot 'rely on a local or transitory taste; but on what is the most general and the most lasting among polite nations. In consequence, not only ar('savages' to be disfranchised, but also 'those who depend foı food on odily labour,' as well as any other men who 'by corrupted taste are unqualified for voting. The common sense of mankind must then be confined to the few that fall under
of mankind must then be confined to the few that fall under
these exceptions"(61) Though Wordsworth employs a rationale of exclusion as Abrams argues in "The Mirror and The Lamp", yet he reverse es bias by looking toward, rather than away from 'those who depend for food on bodily labour' as the best practical index to the general sense of mankind

To support his viewpoint, Abrams quotes Wordsworth's letter to Christopher North in which he says that poetry must please 'human nature as it has been and ever will be,' but to Abrams, "this is very poorly represented by much of hu-

Imagination is as indispensable to the reader as it is to the artist. Wordsworth was mature enough to realize that there could be no art without imaginative and responsive audience. In his preface of 1800 his main concern was to carry out an acceptance of his art, to find a reader who would greet his new poetry and abandon "feelings of strangeness and awkwardness" and to convince the reader that poetry is not restricted to "certain known habits of associations" (PW, 383, 385). But in the later years his task is defined as "to clear and often to shape his own road:–he will be in the condition of Hannibal among the Alps" (PW, II, 426). For this he needed the full cooperation of his audience.

In 1807, Wordsworth declared that the voice of his poetry could not be heard "without imagination" (MY, I, 126). The ideal reader to him is the one "who is capable of an act of apperception" says WLecke, "similar to what the poet presumably experienced in endowing by a 'certain colouring of imagination' the humblest 'incidents and situations from common life' with an ' unusual aspect '" For the ideal end of a poem is to induce in the reader "the structure of consciousness that makes it possible for the mean and trivial to appear sublime."(60) Wordsworth's conviction then, seems to be that the language of an intelligent observer ought to be passed to an intelligent and sympathetic reader. We have seen at first how Wordsworth felt that he must apologize to his reader for avoiding certain expressions, because he could not "overpower" the associations conventionally attached to them. But later on, when he felt more confident in controlling his words, he became bold enough to accuse those who could not understand him of lack of knowledge.

The question raised at this point is who is the ideal reader to Wordsworth? Is he actually the one who is capable of an act of apperception, in WLecke's terms?

ion or the modifying power as a "Dim analogue of creation" (LC, II, 1034). One year before that date, Wordsworth said in Book II of 'The prelude' that the infant is a creator of the world about him, operating on it like "an agent of the one great mind" (II, 272–273). This operation is the first poetic spirit of our human life (II, 275–276).

The poet, like the infant must imitate the living power manifest in nature herself; the exercise of imagination, then becomes a God – Like [function] of the soul. According to Wordsworth, the work produced by the poet to reflect the influence of the objects of nature on his heart and mind is "a power like one of Nature's" (XII, 289, 312), because these objects are indestructable. Therefore, the energy of nature is incorporated in the poet's work. He finds an analogy between the poem and a tree. They are identical in form and in the sort of energy that produced these forms" You feel strongly trust to those feelings, and your poem will take its shape and proportions as a tree does from the vital-principle that actuates it" (LY, I, 537) . Newton Stall knecht argues in this regard that Wordsworth often thought of man as a spectator to the artistry of nature.

Wordsworth suggests, at various places, that the human imagination is "a god–like" faculty. But in the early version of 'The prelude', he differntiates between the two, when he states that the mind of man is exalted by" the sense of God." (XIII, 72). Heffernan believes that Wordsworth finds in nature a "Power" which behaves the human imagination. Wordsworth also believes that evervbody has the capacity of creative perception, but this capacity has only been sustained by adults with higher minds. This of course, explains why the words "creative", "imaginative" and "poetic" are interchangeable in Wordsworth's vocabulary.

pped the imaginative structure of the poem of which the formation of images is an organic part, and is being less fair with himself. Because less than a dacade before Wordsworth wrote the Preface, his imagination in the 'Immortality Ode' had taken much more radical and architectural role of reorganising the whole perception of memory. Prickett believes that it is in this discrepancy detween practice and theory that Coleridge's criticism of Wordsworth began.(59)

A short time ago, I alluded to the fact that Wordsworth is a worshipper of nature. A poet usually seeks to create for his readers the kind of impression that nature has made upon-him.But if he has an exceptional sensibility like Wordsworth, part of this impression is certainly of his own making. Wordsworth's treatment of his experience on the 'Peak of Snowdon' has an extraordinary impact as it serves as a model for imaginative transformation . Wordsworth's concept of imagination as apower is based on his belief that nature provides a model for the creative transformation wrought by man. Considering nature a guide and an authority is fundamental to his conception of imagination.

There is harmony between nature and the mind of man. In 1802, Wordsworth wrote that the poet "Considers man and nature as essentially adapted to each other, and the mind of man as naturally the mirror of the fairest and most interesting properties of nature." (PW, II, 396) which means that man is the image of nature and that there is correspondance between the two. Because of this correspondance Wordsworth held that the creation of poetry imitates the action of creative power in the visible world. Coleridge held similar ideas and in 1801 he called the mind "the image of the creation." (LC, II, 709). Three years later, he described imaginat-

WLecke's argument is convincing. We are invited by Wordsworth to relive with him his wonderful past experience when he was fascinated by the melody of the "Highland lass" reaping and singing to her self. She was unified with that beautiful atmosphere. She was no longer a female to him but a source of fascinating melody, which was so overwhelming that it had filled the deep valley and gone as far as "Hebrides". The poet experienced a sense of a spirit far-diffused as he felt quite elated

The episode of the boat in Wordsworth's 'Prelude' , Book I, is another important spot of time which is recollected by Wordsworth . These recollected emotions gave WLecke the conviction that the highest function of recollection for Wordsworth is to induce a state of sublime self-consciousness out of which the creative activity of imagination might proceed. Memory he says, is "the means whereby the poet might recover a visionary sense of his identity as a poet, a means of return through the past to his visionary possibilities in the present.(57)

Another conception of imagination that could probably be held by Wordsworth is that suggested by Stephen Prickett in his article entitled "Wordsworth's Un-Coleridgean Imagination" He tells us that in his Preface, of 1915, Wordsworth seems to be thinking of the imagination as an agent, modifying images by comparison: "the processes of imagination are carried on either by conferring additional properties upon an object or abstracting from it those which it actually possesses, and thus enabling it to react upon the mind which hath performed the process,like a new existence."(58)To illustrate the idea further Prickett reminds us of Wordsworth's description of the 'Leech Gatherer' as a "huge stone" in which Prickett thinks Wordsworth has lowered down the imagination to a technique of image formation. By doing this, he thinks, Wordsworth has sidestep-

uently, the noisy years come to seem but "moments" in the being of the eternal silence. And any phenomenon within those noisy years, even the humblest flower blossoming toward its own extinction, can become mysteriously suggestive of the "eternal silence", that could be detected in the depth of subject-tivity.(54)

But how does the faculty of imagination alter the sense of time and place? WLecke reminds us of Wordsworth's observation that imagination deals with objects not as they are, but as they appear to the mind of the poet.(55)With this observation in mind WLecke presumes that places in Wordsworth's poetry depend for their poetic appearance upon a mind capable of act of sublime self-consciousness. Acts in which limits spatial, or otherwise, are felt to be vanishing. The same thing applies to time, "Thus the sense of self-expansion outward into space," he argues,"is paralleled and accompanied by a sense of the self's expansion backward and forward in time."He adds that sublime self-consciousness evokes a sense of self that is "far diffused" throughout time as well as space. In both dimentions consciousness feels itself to be much more than a "punctual presence."(56)

The song of the 'Solitary Reaper' is an expression of that spreading and expansion embodied in the spatialized sound that spreads and expands like the growing body of water. The powerful feeling that overflowed is an intense reaction by the mind to an originally tranquil and contemplative memory of an emotion. The contemplation that leads to the overflow of feeling means that that past emotion is felt again, and that the poet at the present moment is reliving that past experience. In other words, the present is invaded by the past, or a sense of self far-diffused is provoked. Thus he concludes, the act of imagination proceeds from an act of apperception.

Wordsworth's love of the universal order which includes all natural phenomena as well as ourselves, has also been confirmed by Alfred North Whitehead who observes in his "Science and the Modern World " that Wordsworth's theme is nature 'Solido', that is he dwells on that mysterious presence of surrounding things, which impose itself on any separate element that we set up as an individual for its own sake. WLecke ascribes this to Wordsworth's power of imagination. It is this power, he says, that enables Wordsworth to" graspe the whole of nature as involved in the tonality of the particular instance. It is this power that creates this oxymoronic "tonality", this sense of an indiviual phenomenon as somehow having involved in itself, or rolled up into itself, or contained within itself the whole of nature."(51)For, according to Wordsworth, imagination is faculty whereby "things are lost in each other and limits vanish."(52)Therefore, for Wordsworth , the act of imagination fuses "that open-ended sense of self experienced in the act of apperception with the phenomena-of nature revealed by the act of perception. "(53)

While discuss ingthe relationship between Wordsworth's imaginative acts and his explicity formulated poetic program WLecke tries to convince us that the visionary act of apperception can not only alter dramatically Wth's worsensordse of time and place, but also can invade and transform any phenomenon, even the most insignificant, into a source of possible sublimity. Thus the poet is entitled to discover visionary possibilities in whatever he chooses to look at even in a lowly daffodils. Seen like this "the meanest flower" becomes so eminent that it begins to serve as thoughts that "lie too deep for tears." The tears produced for the mortality of things become irrelevant. Besides, mortality is excluded when this sense of self is projected by imagination into the phenomenal world. Conseq-

his mind and the external world, contrary to Blake's accusation against him. Blake believes that , according to Wordsworth, the task of imagination is to obliterate the apparent autonomy of the extramental universe. Once he claimed to see in Wordsworth's poetry "the Natural rising against the Spiritual man continually, " and concluded that Wordsworth was "no poet but a heathen philosopher at Enmity against true poetry or inspiration,"(48)A. Q. WLecke assumes that by "Natural Man" Blake means the act of perception, and by "Spiritual Man" he means the act of apperception. The first is an act that posits for the mind the appearance of an extramental universe and the second is an act of visionary self consciousness which threatens to swallow that phenomenal world into the abbeys of idealism. So, what Blake is judging in Wordsworth is his tendency to allow too much to the appearances, or in other words, his emphasis on the mighty world of eye and ear. This of course is thought by Blake to be solely a projection of the autonomous visionary mind.

Blake is, therefore, perplexed by the discrepancy between Wordsworth's claims for nature and his mental acts as they are manifest in his poetry. He confirms that "Natural objects did and now do weaken, deaden and obliterate Imagination in [him]. "He adds that Wordsworth must know that what he writes valuable is not to be found in nature." (49)

It is obvious that Blake and Wordsworth have two distinct perceptions of the use of imagination. WLecke is justified to presume that what Blake sees as a rebellion of Wordsworth's "Natural Man" is simply the result of Wordsworth's willingness to accept limits for his "Spiritual Man". He ascribes this to Wordsworth's desire, out of love, to use his imagination to effect a lasting synthesis between common perception and visionary apperception.(50)

ation transforms language, as well as the landscape. It leaves its marks upon the very words the poet uses. (47)

It is evident that the shift in attitude as revealed in Wordsworth's Prefaces is from that of a defender of the natural language and spontaneous feeling to stressing artistic control together with the value of power, transformation and "supernatural" effect. Art is more than the spontaneous overflow of feeling. It is the careful articulation of a poet's feeling. It is a process in which the imagination plays a leading role, shaping forming and molding the material used.

Wordsworth'd poem 'The Daffodils' is a perfect example of how the imaginative power could be at work. The power of imagination transforms the sense of exile from this world to a blissful solitude. The poet invites us to remember with him the universal order of which we are but individual parts. While we imaginatively contemplate the order, we cease for a moment to feel the burden of loneliness sensed before. The vision of the universal order filled the poet's heart with pleasure and made him dance with the daffodils, when his imagination is awakened by them. From the very beginning, the sense of alienation and exhaustion is introduced:

> For oft, when on my couch I lie
> In vacant or in pensive mood,

It is to transform this mood that the daffodils

> .... flash upon the inward eye
> Which is the bliss of solitude.

Contemplation of the universal order in this manner means using imagination for the purpose of love. Wordsworth remains a lover of the the meadows and the wood. His emphasis is anti-visionary. He wants to project his inner feeling outward. He tries always to establish a state of mutuality between

able, whether the composition be in prose or in verse, they require one and the same language," (PW,II,409). "In 1836 the language of verse and that of prose were identical to Wordsworth only in works of imagination and sentiment." (PWm, II, 409). This of course means that Wordsworth distinguishes between the language of imagination and sentiment and the language of ordinary utterance.

This revision according to Heffernan is a "revelation, against the background of his insistance that the poet must dominate and transform his words". He believes that Wordswoerth has recognized the hightening impact of imaginative power upon the "real language of men, ". So, he concludes, that Wordsworth's belief in the transforming power of the imagination is central to his theory of poetry. He explains the process as follows:

> "Fed by observation and energized by creative sensibility, the imagination operates by exerting its power upon the objects of the visible world. In doing so, it imitates the power of nature herself, whose changes under mist or moonlight provide a model for the imaginative transformation wrought by man."

He thinks that "the poet transforms by abstracting or endowing; he removes an existing property from a natural object or gives it a new one, enabling it in either case to react upon his mind, "like a new ecxistence". For "this reason", he says, imagination often has a "supernaturalizing" effect upon the object. It excites "a feeling analogus to the supernatural by changing natural objects with a certain radiance, by animating the inanimate, or by suspending the "natural" laws of dramatic form. Finally, he says, guided by judgement, imagin-

himself and in his power to control his words. It also reflects that Wordsworth is no longer writing for the audience addressed before. Besides, if the reader fails to understand him, it is the reader's fault not his. This conviction became at later date a criterion by which he judged the poetry of others.

With further practice of poetry, Wordsworth discovered that the poet must control, direct and transform the language he uses. Such a language must have disinctive characteristics. A hint to this effect is given in his early preface, when he admits that metre and selection distinguish poetry from ordinary speech. Metre , he says, tends to make language unreal and unsubstantial; metrical composition embodies "similitude in dissimilitude," "offering us " an indistinct perception perpetually renewed of language closely resembling that of real life, and yet, in the circumstance of metre, differing from it so widely" (PW, II, 399-401).

Selection, Wordsworth says in his Preface of 1802, "Will of itself form a distinction far greater than would at first be imagined, and will entirely separate the composition from vulgarity and meaness of ordinary life "(PW, II, 392). However, Wordsworth contradicts himself when he asserts in both versions that " the poet...must express himself as other men express themselves (PW, II, 398), and that no " essential differebnce" divides "the language of prose [from] metrical composition" (PW, II, 392). Wordsworth did not stick to this opoinon in later years.

In the Preface of 1815, he ascribes to the poet a Privilege ditinct from that of the mere prose man (PW, II,435). But even before that date Wordsworth shows a change of attitude in the revision of the 1802 Appendix. The original version concludes by declaring "in proportion as ideas and feelings are valu-

In 'The Prelude' Wordsworth refers to the mind as a source of intellectual strength (XIII,177),, and in 'The Excursion he speaks of "intellectual power" (III,700) and "intellectual mastery" (VIII,201). Besides, the intellect is a guide and protector of the imagination. 'The Excursion' shows us how the mind is disciplined by imagination. Wordsworth, however, "denigrates fancy because it defies such discipline,"(46) argues Heffernan. At the end of 'The Prelude' we are told that fancy like imagination "might learn to ply her craft/By judgement steadied" (XIII,289–294), But whatever happened to fancy " the main essential power" would pursue a thoughtful course. In the Preface of 1815, Wordsworth stressed the notion that "judgement.... (decides) how, where and in what degree, (it)....ought to be exerted." (PW,II,432). He thinks it is indespensable in the process of creation. He no longer condemns artifice, but he has learned to distinguish between art and artifice. The poet, he believes, has the right to transform the real language of men.

We have seen how in the Preface of 1800 Wordsworth does not stress the value of control, being Preoccupied with the spontaneous utterance. He only informs us that he avoided certain expressions, because he could not change or 'overpower' the association conventionally attached to them. (PW,II,390). At such a time, he found it necessary to apologize to his audience for that. He addressed them with hesitation and timidity, suggesting that if they could not understand him, it was because they did not know the history of certain words, But after 1800 when John Wilson complained that the poet failed to preclude "ludicrous" associations in 'The Idiot Boy', Wordsworth replied that it had given "exquisite delight" to many (EY, 358). This answer implies confidence in

ice whole-hearted regret over it, when he insisted that the principles it expressed were "not... erroneous" (LY,I,537). It is not surprising, however to hear such a comment from Wordsworth; afterall he was only experimenting.

Heffernan also admits that "in both versions of the Preface, not just the later one, we can discover hints of conflict and transition, scattered whispers of the development to come. "To him, the Preface" does not have the homogeneity of a schematic treatise. "Yet it is in fact" the Mirror of a mind in motion, "he argues," at once the mind of a rebel who came to destroy and the mind of a poet who came to fulfill. "On these grounds, he thinks, we can fathom Wordsworth's refusal to renounce it; "for the voice of the rebel powerful though it is–does not succeed in silencing altogether the voice of the poet."(44) So, to understand this shift in attitude one should examine the crucial like in Wordsworth's thought between passive response and imaginative transformation.

Even though Wordsworth's creative power declined for a while, yet his understanding of poetry and the workings of his own imagination deepened with the passage of time. John Stewart Mill admires Wordsworth's achievement in this field and admits that "no one can converse with him without feeling that he has advanced that great subject beyond any other man, being probably the first person who ever combined with such success in the practice of the art such high powers of generalization and habits of meditation on its priciples."(45)

In his later years, Wordsworth stressed the necessity of a more powerful excercise of the mind. This of course influenced his attitude toward the external nature. Poetry is no longer "the spontaneous overflow of powerful feeling". It must spring from the mind as well as the heart.

However, observation is not enough for the production of poetry because what is observed must be conditioned by the power of response. What should by communicated to the reader, according to Wordsworth, is not the visual impact of the scene, but the emotional impact as well supplied by the selective influence of memory. The poet, he says, does not communicate to the reader things as they are, but as they seem to exist to the senses and to passion. (PW,II,410). His observation must, therefore, be charged with his feeling and here lies creative energy. Wordsworth maintained this principle throughout his long career as a poet of an exceptional sensibility.

Speaking about the 'empassioned observation' and the selective influence of memory cancels what has already been stressed by Wordsworth in his Preface of 1800. In this document and the related ones Wordsworth's concern about humble people and his preoccupation with natural response dominate his attitude toward the passive role of the poet. This means that in the production of poetry, the poet should not exercise artistic control, but should let his spontaneous feelings flow unsmothered by poetic contrivance. We have already seen how Miss Barstow's study of Wordsworth's diction proves that what Wordsworth has actually achieved in "The Lyrical Ballads" contradicts this affirmation. And how the language of his poem is "as much the result of conscious art as the language of Paradise Lost."(43)Besides, what Wordsworth has done in these poems far exceeds the boundaries defined by his negative principle of 'selection'. Furthermore, a shift in attitude came in his comments on 'The Prelude' which in 1815 came to the extent of declaring the essay "slight and imperfect," (PW,II,431). In 1830. Wordsworth went so far as to vo-

Beggar of Book VII of 'The Prelude', for those men totally devoid of any pomp and vanity, they express themselves truly and they could engage in acts of high service.

It has previously been affirmed that Wordsworth is considered the poet of feeling as he regards poetry the 'empassioned expression'. Beside this Wordsworth is the poet of observation. He stresses the role of observation in the making of poetry. He is extremely concerned about the world of sight and sound. He is always alert to the exterior world. He wants to communicate what he sees and hears to the reader with great accuracy and truth. To prevent 'falsehood of description' he has "at all times endeavoured to look steadily at (his) subject." (PW,II,386–390). He condemns Dryden's words because he thinks that Dryden is careless about the external world around him, and that in his translation of Virgil there is no single image from nature.

The poet's ability to observe with accuracy is a requisite to Wordsworth for the production of poetry. The poet should be capable of observing things as they are and with fidelity to describe them whether "the things depicted are actually present to the senses, or have a place in the memory.'' wordsworth belives that the abilities to observe and to communicate with fidelity are "indispensable to the poet" (PW, II,411–2). This seems to be the corner stone of his concept of the imagination. It has also been used as a poetic criteria.

Wordsworth condemned the literary works of the Augustan Age, simply because he could not see in the works published during the period of the publication of 'Paradise Lost' and 'The Seasons', any work which contains a single image of the external nature. He criticized "the dry reasoners and matter of fact people for their want of passion,"(42) Says Hazlitt.

by his imagination. This, he thinks, will make them look as if they were unusual. Heffernan presumes that if this unusual aspect, could indeed povoke a feeling analogous to the supernatural, Wordsworth's poetry could do extraordinary things to the ordinary world. But the fact of the matter is that these objects do not become unnatural, when modified by the imagination, but unfam iliar. This conviction, is revealed in his poem entitled 'Yew Tree', which is classified among the best of his poems of imagination.

In a note n his poem 'The Thorn', he defines the power of imagination as a "faculty which produces impressive effects out of simple elements." (PW,II,512). And because of this power, the supernatural power of earlier orthodoxies no longer needs to be invoked. Imagination, he writes in a letter to Southey, "does not require for its exercise the intervention of supernatural agency, but that, though such agencies be excluded the faculty may be called forth imperiously and for kindred results of pleasure, by incidents... in the humblest department of daily life."(39) It is the power of imagination that can give a vision of paradise for the 'common day', and can endow the humblest phenomenon in the appearance of sublimity.

To Albert O WLecke, "A vision of paradise depends not only on the result of the power of imagination projecting into the finite world the sublimity discovered in the soul of man, "but also on humility with respect to himself which he managed to sustain."(40) Wordsworth believes that humility is not only indisoensible for the poet, but it is "the way which leads to truth.,,(41) For this reason, his landscape is populated by men of lowly station: The Wonderer of the 'Excursion', the Leech-Gatherer of 'Resolution and Independance' and the Blinde

criticism represented by Pope says that we especially insist on the selective power of the poet.

In his advertisement of 1798, Wordsworth tells us that, "the honourable characteristic of poetry is that its materials are to be found in every subject which can interest the human mind" (PW,II,383). For this he has been credited as a liberator of the poetic subject matter. Heffernan admits that he agreed on that; reading his statement at face value, but, "we should remember also," he adds, "that in poetry as in politics, the liberator can prove at times a greater tyrant than the dictator he came to overthrow."(37) He thinks that something like that seems to have happened with the chief initiator of English Romanticism, "For it is surely one of the great ironies of literary history," says Heffernan, "that in its very journey to the printer, Wordsworth's Preface of 1800... that proclamation of poetic emancipation–was accompanied by a harsh critique of what Coleridge himself once called "a poem.... of pure-imagination."(28)Heffernan is I think referring here to Wordsworth's criticism of Coleridge's 'Ancient Mariner'. His main objection to it is that it is insufficiently natural because it is supernaturally ordered and dramatically improbable.

It is well–known, however, that Wordsworth condemned the use of the supernatural in poetry, because these agencies have not the hold on the heart which nature gives. But what is intersting in this regard is that despite his rejection of the use of the supernatural, he seems to be Convinced that by transforming natural objects, his imagination supernaturalizes their appearance just as it does with painting.

While collaborating with Coleridge, he tells us that the subjects he chose to write about were "incidents and situations from common life, but they were meant to be coloured

Abrams finds a parallel between what is praised by Johnson in Shakespeare's comic characters and Wordsworth's justification of his ballad creatures eventhough to Wordsworth Johnson is a bad critic. Shekespeare's characters says Johnson "act upon principles arising from genuine passion..."(34) This means that the poet properly concerns himself with the general and uniform elements, passions and language of human nature; Wordsworth merely "differed in regard to the place these qualities are best exemplified in real life. This difference, led in practice to a drastic break with the traditional poetic decorm."(35) He believes that humble and rustic people are just as appropriate for serious poetry as others of a higher rank. By so doing, he turned to the feelings and thoughts which could be held as those of mankind. In characters like a mad moter, an idiot boy, a beggar or a child, "the elements" argues Wordsworth, "are simple, belonging rather to nature than to manners, such as exist now and will probably always exist..."(36)On these grounds Wordsworth justifies shifting from the cultivated classes to that of peasants, children and idiots. It follows then, that humble expression and essential passions serve as the subject matter of poetry and as the model for the 'spontaneous overflow' of the poet's own feelings in his act of composition.

Miss Barstow thinks that Wordsworth's purpose of choosing "incidents and situations..." is far from being a narrow definition of poetic style. To her, the definition includes elements expounded by Dryden and his master Longinus or John Dennis that the language of poetry is the language of passion, or what has been emphasized by Aristotale and Shelley or Walter Patter that the strangeness added to beauty in the poet's style, or what Horace and the whole school of Latin-French

WORDSWORTH'S CONCEPT OF IMAGINATION

By
Fatima Saeed
Assistant Professor
English Department
College of Arts
University of Baghdad

Discussing the subject matter of his poetry and the purpose of choosing a specific subject Wordsworth affirms that, his purpose was "to trace the primary laws of our nature: chiefly, as far as regards the manner in which we associate ideas in a state of excitement." To illustrate this notion further he adds:

> Humble and rustic life was generally chosen, because in that condition the essential passions of the heart find a better soil in which they can attain their maturity, are less under restraint, and speak a plainer and more emphatic language; because in that condition of life our elementary feelings co-exist in a state of greatersimplicity,and,cosequently, may be more accurately contemplated, and more forcibly communicated; because the manners of rural life germinate from those elementary feelings, and, from the necessary character of rural occupations are more easily comprehended, and are more durable; and lastly, because in that condition the passions of men are incorporated with the beautiful and permanent forms of nature. (33)

ttie believes that passion is one of several factors determi ning the propriety of diction in a given instance. For Wordsworth, it is the only source and sanction of poetry. He wrote in 1800, 'Words, a poet's words more particularly, ought to be weighed in the ballance of feeling ... for the reader cannot be too often reminded that poetry is passion.'('32) By this he means the poet's feeling that is recollected in tranquility and not the words of the character.



natural language. Hence , ornaments are unnecessary. They are arbitrary and capricious."

It has previously been pointed out that according to Wordsworth, "the poet writes under one restriction only, namely, the necessity of giving immediate pleasure to a human being,s(28) This viewpoint is expressed in his Preface of 1800. But at an earlier date Wordsworth attacked James Beattie's essay of 1776 entitled "Poetry and Music as They Affect the Mind". Beattie tells us in his essay, "the end of poetry is to please by imitating nature."(29) He adds that," since poetry imitates nature the language of poetry must be an imitation of the language of nature, and by natural language," he says, he means speech "Which is suitable to the speaker and to the óccasion including the passions which move the speaker at the moment of utterance."(30)This according to M.H. Abrams, is the reason why Wordswort h'sPreface is notable."It made the diction, rather than plot, character, or design, the central and engrossing subject of critical inquiry, and secondly, because it sheared away the rhetorical ferame in which this topic had been traditionally treated."(31)

The neo–classical theory of poetry confirms that the language must be appropriate to the matter signified, to the effect intended to be produced, to the character concerned, to the incidental situation and to the momentary state of mind of the speaker who gives it utterance. The last requisite shows the relationship between passion and the use of figurative language. Abrams calls this theory rhetoric theory in the basic sense that it conceived of poetry, like rhetoric, to be an act of achieving effects on an audience, and looked upon the various elements of a poem chiefly as so many means toward that end. Abrams is justified to assume that Beattie's terms and criteria have become sacred in Wordsworth's Preface. Bea-

and English writers, from whom he derived his phraseology. but it was his theory which taught him how to use the works of these authors. Her final remark on Wordsworth's poetic diction is that, "Through his apparent repudiation of the language of books, he entered into his literary inheritance." (25)

It is obvious that Wordsworth's rejection of the eighteenth-century diction was due to his emphasis of the natural response to the outside world. The poet is an observer, his reaction to what he observes should flow spontaneously, or naturally. So, any natural response should be conveyed in the real language of men, because real is synonymous with natural.

The poet, he thinks, speaks through the mouth of his characters the language of nature. So, natural is his criterion just as spontaneous is another prime criterion of his. Wordsworth believes that such a standard was set by his predecessors who wrote from passion excited by real events. They wrote naturally and as men: feeling powerfully as they did, their language was daring and figurative. To him modern poetry became false when poets started to use figures of speech mechanically when they are not related to the feelings and thoughts expressed. The result is of course a language "insenibly produced differeing materially from the real language of men in any situation."(26) Only the figures of speech that embody the feelings are natural and integral. He also believes that if the poet's subject be "judciously chosen, it will naturally and upon fit occasion, lead him to passion, the language of which-must necessarily be dignifiedand variegated, and alive with metaphors and figures.(27) The poet should make a selection to eliminate "the vulgarity and meanesss-of ordinary life," Such a language will give pleasure to the reader. Therefore, there is no need to deviate from

of the collection apart from Coleridge's "Ancient Mariner" and other contributions. The poems composing the minority are, 'Tintern Abbey' 'Lines Left Upon a Seat in a Yew Tree' 'The Female Vargant' , 'The Lines Written Near Richmond', and 'The Convict, 'Apart from' the Old Man Travelling',which is written in blank verse, the rest of the poems from a homogeneous group,clearly reflecting literary influence suggested in the advertisement.

To make the language of the lower' and middle classes the medium of poetry Wordsworth had to reject all the devices employed by the eighteenth-century poets to raise poetry above prose. Personifications and periphrasis no longer occur in his ballads. What is most interesting in Moiss Barstow's study in this connection is clever conclusion that, "the language of the Lyrical Ballads is as much the result of conscious art as the language of Paradise Lost." (24)it is true that to stick to the lower language of men needs an art and a complete awareness of what the artist aims to achieve.

But how far does Wordsworth stick to his concept of the language of poetry as advocated in the Preface to 'The Lyrical Ballads' ? It is worthwhile noting in this regard, that the poems added to the 1800 edition are not written in the language of conversation in the lower and middle classes of society. The language, however, is simple and unadorned. This coincides with Miss Barstow's affirmation that,as early as 1800, Wordsworth was already outgrowing the advertisement to 'The Lyrical Ballads'and with it the experimental period of his career. Traces of this are found in his 'Alice Fell', and his defence of the so-called' prosaic language'. She thinks that the original theory continued to interest him until about 1805,the last reprinting of 'The Lyrical Ballads' of 1800, with their preface. From 1807-on Wordsworth's works reflect the influence of many classical

just because he used the word 'incommunicable' in his poem 'Margaret Lament' .

Thus, thou and all thy mates to keep

... ...

An incommunicable sleep.

because Wordsworth's theory has little to do with words in themselves. She is right to believe that the word could be that of Margaret even though suppliedby the poet, because Wordsworth seems to be convinced that his business as a poet is not only "to bring his feelings near to those of the persons whose feelings he describes, nay, for short spaces of time, perhaps, to let himself slip into an entire delusi on, and even confound and identify his own feelings with theirs.

As a matter of fact, Colerdige's failure to understand the language of Wordsworth was because Wordsworth used the language of the lower class with all its-peculiarities. By so sdoing, he thought that he could retain some special realistic features of the speech of the lower and middle calass society. The use of such a language was, according to Miss Barstow, never Wordsworth's ideal at any time, but a definition of an experiment that he tried in thirteen out of nineteen poems by him in the first edition of "The Lyrical Ballads". "YThe Preface," She says, " is little more than a somewhat unwilling and frankly unadequate attempt to explain this same experiment."(23) Wordsworth modified his language later on when he proposed a selection of the real language of men in 1800, softened it in 1802 and emphasized the selective power of the poet.

Only in the advertisement to "The Lyrical Ballads" of 1798 does Wordsworth say that he means to employ the language of conversation in the middle and lower classes of society. Besides, his experiment applies to a part, though a major part

Her interesting statistics in this regard say that,of the words in the concordance to the poems of Wordsworth, about sixty percent occur, in some form, in the poetry - of Chaucer, sixty eight percent in the poetry of Milton, eighty percent in the poetry of Spenser, and ninety percent in the poetry of Shakespeare. Is not this a proof that Wordsworth's principles of poetic diction coincide with the best traditions of English Literature?

Miss Barstow affirms, however, that Wordsworth's indebtedness to Coleridge does not necessarily mean that they held the same views of the concept of the language . To Coleridge, language means words in themselves, whereas to Wordsworth language means figures of speech or the whole imaginative expression of thought, or, in other words, the whole body and dress of thought; all that appears to the eye and ear.

Furthermore, she presumes that Wordsworth's use of the term language was at first loose, that he had learned from Hartley that the language of men is vitally metaphorical. So, he affirmed that words are metaphors , because we continuously express an idea in terms of another, and explain images by other associated images. Hence germs of poetic art are found in figurative expressions and illustration.

But why does Wordsworth reject the figurative language of the preceding century and experiment with the language of the lower class? His justification is that the metaphors handed down to us from poet to poet grew little more general or more faded, or probably improper with each transmission. But, because the rustic individual speaks of his own passion and repeated experience, his image is true and more vital. This reasoning justifies Miss Barstow's remark that, it is not fair to accuse Wordsworth of inconsistency of his theory with his practice

theory of poetic creation in general, part of which is his concept of imagination. Miss Barstow starts with a review-of the theories of poetic diction in England before Wordsworth's time. Then she tries to reconstruct the processes of critical thoughts which were responsible for the experiment of the Lyrical Ballads. She also tries to show how these thoughts affected Wordsworth's style, his veocabulary, his synta and his rhetorical devices then and afterwards. She has done all this in the belifef that Wordsworth's criticism and practice are mutually illustrative, and that both are of supreme value for the art of English poetry. Her detailed and illuminating study ends with some interesting conclusions. One of them is that Wordsworth must have been influenced by Coleridge's theory of the universal language. This theory says that, "There is a permanent body of English words and idioms denoting universal phenomena and experiences which have remained comparatively unchanged since the time of Chaucer."(20) his the thinks is the universal language of poetry, for it represents the permanent and changeless elements in human life. "If we free the rustic speech from a very few merely local elements and the Lyrical Ballads from a very few archaisms she says, "there remains much the same residuum; and the residuum proves, on examination, to be a body of words common to Chaucer and almost any Englishman of the year 1797. (21) Having examined Wordsworth's lyrics arefully, she found out that even though Wordsworth had promised to use the language of unlearned men or that of the lower class men, he could not deviate from Keats's glossary to Chaucer. This , no doubt, proves the soundness of the universal language of poetry. It is therefore not surprising that after many centuries one finds some of the most characteristic expressions of an imagination so individual as that of Wordsworth, should be strictly in the vocabulary of Chaucer.

already affirmed that the poet is "a man speaking to men", therefore, his language must be the real language of men, or a selection of the real language of men. Setting such a standard of poetic diction is according to M. H. Abarms means that Wordsworth adopts and elaborates the old antithesis between nature and art, and that he declares himself for nature like the aesthetic primitives of the preceeding age. He adds that this declararation is "implied throughout the Preface, and made explicit in his tripartite essay Upon Epitaphs, one part of which was published in "The Friend" in 1810 and the other two first printed from manuscript in Grosort's "The Prose Works of William Wordsworth (1876) " (18)

In this essay Wordsworth attacks Pope's theory, as well as his poetic practice. "True wit," Pope had said, " is Nature to advantage dressed," and true expression consists in giving thoughts their just and appropriate "dress" and ornament. When the poets are unskilled to trace:

"The naked nature ......

And hide with ornaments their want of art"(19)false wit results. But to Wordsworth, all such wit is false and all art-in the meaning of the delibrate adjustment of phrase to sentiment and of rhetoric ornament to-phrase serves to pervert what he calls genuine poetry. So' Wordsworth rejects art in the neo classical sense of the term and the concept of language as the dress of thought and figures as the ornament of language. For this reason, Wordsworth is justified to say that any one who cares to study poetic diction will see that his-principles are in accordance with the best traditions of English literature.

Accepting Wordsworth's declaration, Miss M. Barstow begun her study of Wordsworth's poetic diction. A brief note on this study, as far as I can see, will shed light on Wordssworth'

that he is speaking to men and not poets as a class. At the moment of composition it is crucial that the overflow of feeling be spontaneous and free both from the delibrate adaptation of conventional language to feeling, and from the delibrate bending of linguistic means to the achievement of poetic effect.

Wordsworth does not actually reject the conception that poetry is a delibrate art. His sister Dorothy admits in her journal that once the poems of Wordsworth are composed, they may be subjected to long and arduous revision. This reminds me of the efforts of Pope when he sought perfection in his poems.

In the Preface of 1800 and the Appendix of 1802 Wordsworth justifies the use of figures of speech when they are naturally suggested by passion instead of being as ornaments. He only condemns mechanical adaptation of figures of speech when they are applied "to feelings and thoughts with which they had no natural connexion whatsoever. "Because such an adaptation results in the use of language "differing matterially from the real language of men in any given situation. " (16)

Neverthless, Wordsworth accepts the figurative language used by the earliest poets, because to him, "they wrote naturally and as men. " He believes that natural language is the instinctive and spontaneous overflow of feeling into words and is therefore opposed to the delibrate adaptation of means to an end, or of adherence to specially poetic conventions which characterize art. Hence nature triumphs over art. Nature means the language of nature or the language of mankind opposed to the language of poets, specially the eighteenth-century poets with all its peculiarities.

The language of poetry according to Woerdsworth, should not be coloured by a diction "peculiar to him as an individual poet or belonging simply to poets in general."(17)Since he has

" Poetry ", says Wordsworth is

> "the spontaneous overflow of powerful feelings: it takes its origin from emotin recollected in tranquility; the emotion is contemplated till, by a species of re-action, the tranquillity gragually disappears, and an emotion, kindered to that which was before the subject of contemplation, is gradually produced, and does itself actually exist in the mind . In this mood successful composition generally begins, and in a mood similar to this it is carried on; but the emotion, of whatever kind, and in whatever degree, from various causes, is qualified by various pleasures, so that in describing any passions whatsoever, which voluntarily described, the mind will, upon the whole, be in a state of enjoyment. If nature be thus cautious to preserve in a state of enjoyment a being so employed, the poet ought to profit by the lesson held forth to him , and ought especially to take care that, whatever passions he communicates to his reader, those passions, if his reader's mind be sound and vigorous, should always be accompanied with an overbalance of pleasure. (15)

When does the feeling get so powerful as to flood unrestrained? Wordsworth informs us that its origin is emotion recollected in tranquility. Before composition starts, the tranquility disappears and a feeling analogous to the remembered one "is gradually produced and does itself actually exist in themind (PW, II, 400-401). At such a moment the poet should abandon himself completely to the resurrected passion, but should use modified language. He affirms that the poet should keep his eye on the subject steadily. And that before the composition starts, he should think long and deeply. He should also realize

The capacity to respond involves the capacity for creative attribution. In the 1802 addition to the Preface of 1800, Wordsworth describes the poet as "a man pleased with his own passion and volitions, delighted to find them in others, impelled to create them where he does not find them." (PW.II Hefferman is, therefore, justified to presume that in Wordsworth's view transference of feeling is the essence of imaginative apprehension.

According to a previous assumption the feelings are conveyed by the poet in thoughts. This means that they are related to each other. For a better acquaintance of the connection between thought and feeling reflection is needed: The Preface of 1800 tells us that the poet's feelings are governed by "habits of meditation," and that long and deep thoughts make good poets.

Wordsworth's concept of creative sensibility could also be traced in other prose works, i.e. his commentaries on "The Recluse", "The Prelude" and others, but in his Preface of 1800 it has become broader and more mature.He describes the poet as a man who is "endowed with more lively sensibility, more enthusiasm and tenderness. "a man who" rejoices more than other men in the spirit of life that is in him"(12)Coleridge,on the other hand, admits that the born poet has sensibility and that together with the depth of emotion they constitute essential components of genius.(13)Shelley, as well, emphsizes the delicate sensibility and vulnerability to the temptation of the born poet.(14)

As a matter of fact, Wordsworth's emphasis on the significance of sensibility overbalances that of natural response. A poet's creative sensibility could check and balance his spontaneous utterance. This viewpoint is made clear in his later writing, while his Preface of 1800 emphasizes natural response.

worth believes that the one who acquires this sensibility is elevated above another in proportion as he possesses this capacity. It is, therefore, the poet's responsibility to produce, enlarge this capacity in the reader especially at the present day, because now there are multitude of causes that try with a combimed force to blunt the discriminating power of the mind. Some of these causes are the great national events which are daily taking place, and the increasing accumulation of men in cities and other reasons.(11)The reader may be reminded at this point of Blair's Lecture and what it says about the effects of the advancement of civilization on poetry. For this reason Wordsworth persuades his scholarly friend to abandon his books for nature–for the "one impulse from a vernal wood" which may generate more wisdom than all the learned sages. "Come forth," concludes" The Tables Turned", and "bring with you a heart that watches and receives." (PW IV, 56–57).These poems, together with the fragments ofteh same period emphasized the idea that the mind must surrender itself wholy if it is to communicate with nature.

Being sensible means to be always alert to every tone and shade in nature, and to have the readiness to receive. It also means that the end of man is united with nature, This concept preached and practised by Wordsworth has also been affirmed by Coleridge. "A poet's heart and intellect" he says, "should be combined, immediately, and unified, with the great appearances in Nature." (LC, II, 364). Wordsworth goes further as to suggest that man gains wisdom by loving surrender to the impluses of nature, Furthermore,man's soverelgncy over the universe is grounded in his .

Capability of feeling what
(Is) to be felt; in being rapt away
By the divine fact of power and love
(Pr. VIII, 635–636)

ments that would enlighten the understanding of the reader and strengthen and purify his effections. If this could be achieved, the motive behind the writing of poetry would be justified. For, "the poet writes under one restriction only, nammely, the necessity of giving immediate pleasure to a human being"(9). Worsworth was dissatisfied with Dryden's poetry, because it seemed to have no poetic truth as it was "neither of the imagination, nor of the passions." (E Y, 541). Even at a later date Wordsworth retained the same attitude. In 1815 he exoressed distaste for the "un-feeling language" of Bishop Percy's contempories. (PW,-II,422). In 1927 he wrote to W. R.Hamilton," Your verses are animated with true poetic spirit as they are evidently the product of strong feeling" (LY, I, 274). By so doing, he proved that the feeling to him remained the criterion of poetic value. What adds more significance to feeling is the Wordsworthian assumption that it is linked to the imagination. He believes that both are vital to poetry and that imagination is instigated and energized by feeling. The feelings of a poet, says Wordsworth, "urge him to work upon objects" in the spirit of genuine imagination." (PW, II, 420).

The experience of such a feeling presupposes the acquision of sensibility. The poet to Wordsworth is not an ordinary man. He differs in kind, not in degree from other men, because he is endowed with an exceptional sensibility. Heffernan claims that Wordsworth's interest in this special capacity antedates even the Preface of 1800, for two poems in "The Lyrical Ballads" of 1798 define the first principle of sensibility: surrender of the mind to nature. In both "Expostulation and Reply" and "The Tables Turned", Wordsworth scorns the inquisitive mind in favor of the receptive heart. Convinced that our bodies feel whether we will or not, he suggests that our minds can likewise be fed in a wise passiveness.(10)Words-

being simple, naive and without affectation they express themselves truly and naturally.

These are in brief the main concepts advocated by Wordsworth in his Preface of 1800 and the Appendix of 1802. The rest of the arguments revolve in one way or the other round these prominent notions. But how far original are these principles needs to be determined, or how far did Wordsworth stick to them is worthy of investigation. For this reason I intend to focus mainly on Wordsworth's Preface together with essays and notes that supplemented it and to show at the same time how these concepts are demonstrated in his poetry, and whether or not he sticks in his practice to the concepts he holds throughout his long crreer as a poet. Besides, it is important to look back in an attempt to show Vordsworth's indebtedness to his predecessors.

Wordsworth's emphasis of the role of feeling in the process of artistic creation is one of great significance. It marks a revolt against the prevailing literary notions of the eighteenth–century. It also means the rejection of form, or the triumph of nature over art. For "all good poetry," Wordsworth says is "the spontaneous overflow of powerful feeling. "M. H.Abrams considers this a turning–point in English literary theory, because never before that date the feelings of the poet was a centre of critical reference. Heffernan on the other hand calls him "the poet of feeling and passion". To him, Wordsworth reinforces his argument of the Preface by stating: Poetry is passion: it is the history or science of feelings." (PW,II 513). In "The Prelude", he says he was "impelled to wrire with the sanctity of passion" on "the heart of man", (XII, 236–241).

According to Wordsworth, our feeling represents our past experiences. Long and deep thoughts modify these feelings and direct them. The outcome is the utterance of senti-

A close examination of Wordsworth's Preface of 1800, shows that a good deal of its content has been derived from Blair's Lecture and Enfield's Essay, beside the influence exerted bColeridge which could amount to Wordsworth's acc ess to some notes written by Coleridge, or some ideas expressed by him when they exchanged views in the years of their deepest intimacy, from 1797 to 1804.

First and foremost, Wordsworth lays a special stress on the notion that poetry is an impassioned expression. He advocates the concept that poetry is "The spontaneous overflow of powerful feeling", that it takes "its origin from emotions recollected in tranquility' that it is the outcome of a natural response, and the vehicle of an emotional state of mind, that it is the expression of feeling in thought, that because it is deeply felt and unaffected the impassioned expression must flow in simple words like the language of "real men" or a "Selection of the language of real men", because only such words could embody and convey natural respons on one hand, and because the poet is " a man speaking to men" on the other hand, therefore his language should not deviate from the language of men. Such a language is competent to express emotions, using its own sources of figures of speech and rhythm. But the one who could convey such impassioned utterance is more than man. A superior kind of man because he is distinguished from other men by his inheritance of an intense sensibility and a susceptibility to passion. Besides, the Preface stresses the nottion advocated by Wordsworth's predecessors that the end of poetry is to give pleasure, to subtlize the sensibility, emoions and sympathies of the reader. Moreover, poetry depends for its subject matter on "incidents and situations from rustic life", i.e. rustic people are to replace the refined upperclass portrayed by the eighteenth-century poets, because

served as a manuel of oratory, composition, poetics and general aesthetics. In his article Blair rejects both notsions,that the essence of poetry is fiction and that its defining character is imitation. He defines poetry as "the language of passion, or of enlivened imagination, formed, most commonly, into regular numbers ."

According to Blair, "the primary aim of poetry is to please, and to move, and therefore, it is to the imagination, and the passions, that he speaks".(6) to justify his definition Blair reminds us of the kind of poetry described by travellers like the primitive Indians in north America. This type of poetry is mainly in the lyric form and is characterized by the use of figures of speech, for words would appear in the order 'most accomodated to the cadence of passion', and objects would he described not such as they really are, but as the passion makes us see them. 'The same passionate impulse would prompt a certain melody, or modulation of sound, suited to the emotions; "in this way,"(7) argues Abarms, "arose both poetic meter and the art of music." We will see soon how Wordsworth expresses similar concepts in his Preface. Moreover, Balir's view on the effect of the advances in civilization on poetry comes close to Wordsworth's distinction between the genuine language of feeling and the mechaical simulation of this language, by artful poets who substitute ornament for emotion. "In its ancient original condition, "Says Blair," Poetry spoke the language of passion and no other; for to passion, it owed its birth.... In after ages, when Poetry became a regular art, studied for reputation and for gain, authors.... endeavoured to imitate passion, rather than to express it; they tried to force their imagination into raptures, or to supply the defect of native warmth, by those artificial ornaments which might give compostion a splendid appearance."(8)

About the same time, an article appeared in the monthly magazine of July 1796 which anticipated Wordsworth's Preface and the Appendix on poetic diction. The article was entitled "Is-Verse Essential to Poetry ?" No one knows whether Coleridge was responsible for it or not, but it reflected his opinion. The writer decides that verse is not essential to poetry. His argument goes as follows :

> Those writers appear to have approached nearest to a true definition of poetry, who have understood it to be immediate offspring of a vigorous imagination and quick sensibility, and have called it the language of fancy and passion" (5.)

at a later date the writer of the article who was thought by Miss Barstow to be Coleridge, happened to have been the Rev. William Enfield, essayist, anthologist and author of a book on taste. Miss Barstow, in her most illuminating study of Wordsworth's poetic diction, finds the substance of this article parallels closely Wordsworth's Preface. Enfield cites Blair's Lectures (together with the Platonic doctrine of inspiration) as source of his poetry. He believes also that simple people feel strong passions and express them strongly in a language which would be bold and figurative, and would sometimes flow in a kind of wild and unfettered melody, and that in any age the excited state of mind, which poetry supposes naturally prompts a figurative style .

As a matter of fact we are not quite sure that Enfield's article had prompted the writing of Wordsworth's Preface or formed its germ .

Another document might have influenced the Preface of 1800; namely , Blair's Lecture on "Rhetoric and Belle Letter". published in 1783. Before wordsworth's preface, Blair's article

There is no doubt that during the years of their deep intimacy, every one of them left his imprint on the other one. But what concerns me for the moment is to investigate Wordsworth's indebtedness to Coleridge as a prominent romantic theorist .

Before Coleridge met With Wordsworth, he expressed dissatisfaction with the French School of Poetry which had predominated in Pope's time . He declared that many had formed their taste and their notions of poetry from the writings of Pope and his followers, but Pope's poems gave him little pleasure. He admitted that he even denied such poets the legitimate name of poets. He thought that the excellence of this kind consisted in just andacute observation of men and manners in an artificial society. However, he admired Bowle's Sonnets and considered them models of simplicity and tenderness .

Lamb shared with Coleridge his love for simplicity. In his letter to Coleridge, Lamb advises him to "cultivate simplicity" and to "banish elaborateness; for simplicity springs spontaneously from the heart and carries into daylight its own modest buds, genuine, sweet, and clear flowers of expression.(3) "Both Coleridge and Lamb found this simplicity in Bowles " The only natural poet in our language," says Coleridge.

By that time, both Southey and Coleridge were condemned by "The Critical Review" for thier revolutionary views. This magazine represented the conventional attitude with regard to poetic diction; poetry has a language peculiar to itself· The prevailing eighteenth-century attitude was , in brief, no liberties with order, grammar, and syntax; but a vocabulary raised above prose and a verse that always scans in the approved fashion (4).

The addition made of Wordsworth's Preface of 1800 is twice as long, and indicates an important change in his poetic theory . like any other revolutionary document, the Preface became an object of controversy ; highly praised by some and condemned by others. But before one could justly evaluate this important literary document one has first to know what concepts it advoa-ates, and how far original these concepts are ?

Before listing the propositions made by Wordsworth in his Preface and deciding whether or not they are entirely-original, a brief survey of the currents of thought prevailihg during the eighteenth–century is necessary, together with the new concepts brought about by his predecessors. Such a survey would throw light on Wordswórth's originality as a theorist.

It is apparent that Wordsworth collaborated with Coleridge to produce "The Lyrical Ballads" and that its publication in 1798 marked the beginning of romanticism in England. So, Wordsworth must have shared Coleridge some views on poetic principles and poetic criteria. Coleridge was indeed a friend, a collaborator and a guide. He was also an inspiring figure with whom Wordsworth walked and conversed most of his days when they lived as neighbours. This also means that , while dealing with Wordsworth, Coleridge's presence is inescapable. It is therefore impossible to isolate Wordsworth's concept of imagination from that of Coleridge, even thought they differ in many things. "The Prelude" afterall is said to be Wordsworth's letter to Coleridge and "The Biographia Literaria" was Coleridge's reply. It was Coleridge who had persuaded Wordsworth to write "The Preface" to the edition of 1800, to defend their book and to illustrate their experiment. No wonder then that he claims that "The Perface" is "Half the Child of his brain".(2)

the way his poetry was made and his imagination responded to the world about him. The most interesting of these works which shed light on his concept of imagination is his Preface to "the Lyrical Ballads". An essay, probably started at first by both Wordsworth and Coleridge together, and then became one of the most significant landmarks in English criticism. A sound Itterary document which introduced "The Lyrical Ballads" of 1800 .

'The Lyrical Ballads" was first published in 1798 in collaboration with Coleridge. A collection of lyrics the longest of which is Coleridge's "The Rime of the Ancient Mariner". We were told that they had decided to divide the task among them–selves ; that Wordsworth was to give the charm of novelty to common things, so that they may look unusual by throwing upon them certain colouring of the imagination, and that Coler-ridge was to deal with supernatural events in such a way as to make them seem as if natural. Like any revolutionary book, "The Lyrical Ballads" was not a welcome. Wordsworth was advised by friends to "prefix a systematic defence of the theory upon which the poems were written."(1)But he was unwilling to undertake the task at first, as he did not like to influence the reader into an approbation of his poems.

Wordsworth's great concern for his new poems, most of which he called experimentary, together with his desire to give his word about the revolutio naycurrents of thought recently, brought about by his contemporaries, i.e. Lamb, Coleridge, Blair and others instigated him to write his essay which accompanied his edition of 1800. This philosophical treatise lays down Wordsworth's principles on the writing of poetry and poetic criteria. In 1802, the essay is supplemened by an Appendix .

Wordsworth's Theory of the Imagination

Wordsworth, the first great romantic poet is also the most influential theorist. To study his theory of the imagination, we must consider his concept of poetic creation as a whole.

It is well known that Wordsworth's revolutionary predecessors; Blair, Blake and others had dethroned reason and installed imagination as the king of the mind's faculty. Wordsworth went one step further when he led the reaction of feeling against form, and made the poet's feeling the center of poetic reference By doing so, he prompted a shift from the eighteenth-century concept of poetry as an imitation of nature to the nineteenth-century concept of poetry as an impassioned product of the poet's mind and heart.

However, Wordsworth did not stick to this concept in his later-days. The concluding book of "The Prelude" speaks of a different kind of imitation, because the poet's imagination does not imitate the products of nature, but rather her creative action, especially her power to transform and to unify natural objects. Through this approach the meaning of these objects is revealed–a meaning not imposed upon them but discovered within them.

What Wordsworth had demonstrated in his poetry, was either laid as a principle of poetic creation or poetic criteria in his prose work, or hinted at in his comments on his poems. His-preoccupation with his work persuaded him to study his experience as a poet, or his poetry as a critic and so, created of him an interesting theorist.

In his letters, essays, recorded fragments of conversation and often in his potery , Wordsworth gives us an insight into

MY The Letters of William and Dorothy Wordsworth: The Middle Years. Ed. Ernest de Selincourt. 2 vols. Oxford, 1977 .

Prelude William Wordworth. The Prelude: or, Grouth of a Poet's Mind. Ed. Ernest de Selincourt. 2d ed. rev. by Helen Darbishire. Oxford, 1959. Unless otherwise indicated, references are to the text of 1805–1806 . References to pages vii–lxxiv and to pages 509–642 are to the editor's Introduction and Notes.

PrW The Prose Works of William Wordsworth. Ed. Alexander B. Grosart. 3 vols. London, 1876 .

PW The Poetical Works of William Wordsworth. Ed. Ernest de Selincourt and Helen Darbishire. 5 vol. Oxford, 1940–1949. 2d ed. of Vol. II rev. by Helen Darbishire (oxford, 1952). Except where revisions materially affect the meaning of a passage , I have quoted from the final (1850) text of all poems. From this edition also quotations are made from his comments on his poems which Wordsworth indicated to Isabella Fenwick in 1843, and the following critical papers: "Advertisement to the Lyrical Ballads, 1798," cited as Advertisement of 1798; "Preface to the Second Edition of Several of the Foregoing Poems, Published, with an Additional Volume under the Title of 'Lyrical Ballads," "cited as Preface of 1800; "Appendix," cited as Appendix of 1802 ; "Essay, Supplementary to the Preface," cited as Essay of 1815; and "Preface to the Edition of 1815," cited as Preface of 1815 .

Notes

Introductory Note

1– C.M. Bowra, The Romantic Imagination, (Cambridge, 1949). p. 1.

2– I bid , p. 3.

3– I bid , p. 4.

4– S.T. Coleridge, Biographia Literaria, ed. by Shawcross2 vols. (Oxford , 1907), I, 59 .

5– Bowra, p. 7.

6– Letters of S.T. Coleridge, ed. by Ernest Hartley Coleridge, 2 vols., (London, 1895), I. 352 .

7– Vision of the Last Judgement in Poetry and Prose, ed. G. Keynes, (London, 1946), 651.

8– Bowra, p. 9.

Abbreviations

BL	S.T. Coleridge. Biographia Literaria . Ed. J. T. Shawcross. 2 vols. Oxford, 1907 .
CR	Henry Crabb Robinson on Books and Their Writers. Ed. Edith J. Morley. 3 vols. London, 1938.
EY	The Letters of William and Dorothy Wordsworth: The Early Years, 1787 – 1805. Ed. Ernest de Selincourt. 2d ed. rev. by Chester L. Shaver. Oxford, 1967.
LC	Collected Letters os Samuel Taylor Coleridge. Ed. Earl Leslie Criggs. 4 vols. to date . Oxford, 1956–1959.
LY	The Letters of William and Dorothy Wordsworth : The Later Years. Ed. Ernest de Selincourt. 3 vols. Oxford , 1939.

The table or the tree is because and as we see it; or, as Blake put it when he was asked "When the sun rises, do you not see a round disc of fire somewhat like a Guinea ? 0 No ,no I see an an Innumerable company of Heavenly host crying "Holy, Holy, Holy is the Lord God Al–mighty".(7)

Coleridge too stressed the supremacy of the world of spirit which was denied by John Locke. To him, the world of the spirit is the only reality. Bowra is right to believe that this Coleridgean conception was due to the face that, being a poet and a metaphysician as well, Coleridge had an intense sense of an inner life, together with a belief that, "working with intuition, is more likely than the analytical reason to make discoveries on matters which really concern us."(8)

From this brief commentary it may sound logical to attempt a closer examination of at least the three greatest literary documents on the doctrine of imagination: namely, Wordsworth's 'Preface to the Lyrical Ballads' , and the 'Appendix' of 1802, Coleridge's'Biographia Literaria' and Shelley's 'Defence of Poetry'. This effort aims at a better understanding of the concept of imagination as expounded by these three great romantic theorists, and then to see whether or not these theories are put into practice. After all, we all know that the romantic writers are not theorists in the broad sense of the word, and that the theories laid in these outsanding manifestoes of romanticism usually defend or illustrate what had already been written rather than show how poetry ought to be written.

their sense of the mystry of things to probe it with a pecuiar insight and to shape their discoveries into imaginative forms (5)This reasoning led to the acceptable conclusion that, so long as imagination works in this way, it cannot be accused of an escape from life or of being no more than an agreeable relaxation.

Being concerned with an insight into the nature of things the romantics rejected Locke's limitation of the perception of physical objects. They thought that such an assumption robs the mind of its most significant function which is not only to perceive but to create. On this Coleridge makes his conclusion:

> "If the mind be not passive, if it be indeed made in God's image, and that, too, in the sublimest sense, the Image of the Creator, there is ground for the suspicion that any system built on the passiveness of the mind must be false as a system." (6)

Such an argument forms the ideological foundation of rom antic poetry. The romantic poet, unlike the Augustan poet is under no restraint to follow nature, because he has a specia access to the secrets-of nature. Hence there is a split between the poet and the man of the world, which was unknown to the eighteenth-century. The Coleridgean doctrine if imagination provides the philosophic background for Shelley's dictum, "Poets are the unacknowledged legislators of the world."(8)

Shelley defines poetry as the expression of the imagination in his 'Defence of Poetry', and Keats assures us in his letter to his brother George 18 Sept. 1819, that he "describes" what he" imagines". These remarks coincide with Ficht's subjective philosophy that "the very existance and shape of the world depend entirely on the vision of the individual imagination .

reader as if they were unusual things just by throwing over them "certain colouring of imagination". He shares Coleridge's views that the poet is a man with an exceptional power and that he may assume the role of a prophet since the eye of imagination allows him to see beyond the surface of reality to the immanent ideal. The poet is also conscious of the chasm between the transient common –sense of appearance andthe eternal infinite realm of truth, goodness and beauty.

The romantics insisted that when imagination is at work, it reveals a special kind of truth to which the ordinary intelligence is blind. The romantic artist has a special insight which enables him to see into things and to discover the truth. Yet his representation of the truth differs from that of the scien tist, or the philosopher. The latter describes things as they actually are, whereas the first portrays the facts combined with and controlled by a peculiar insight. Coleridge praised Wordsworth for this in his 'Biographia Literaria'.

> It was the union of deep feeling with profound thought; the fine balance of truth in observing, with the imaginative facultu in modifying the objects observed; and above all the original gift of spreading the tone, the atmosphere, and with it the depth and height of the ideal world around forms, incidents, and situations, of which, for the common view, custom had bedimmed all lustre, had dried up the sparkle and the dew drops.(4)

Moreover, imagination and insight, for them are inseprable. Insight awakes the imagination to work and is in turn sharpened by it when it is at work. Bowra thinks that this is the assumption on which romantics wrote-poetry. so "when their creative gifts are engaged, "he argues," they are inspired by

argues, "is that the poet may be so absorbed in his own private universe and in the exploration of its remoter corners, that he may be unable to convey his essential experience to other men and fail to convert them to his special creed."(3) Whatever their claim was, they were convinced that imagination is related to truth. The difficulty they faced is to convince the reader that what they portray in their poetry is the truth when they give free play to their imagination. Many readers tend to take these creations of the imagination as mere fantasies. This problem had troubled the Elizabethans before Shakespeare associated the poet with the lunatic and the lover. To most of them the creation of the imagination hase nothing to do with actual life and provides no more than an agreeable escape from it .Bacon expresses this view in his "Advancement of Learning,"

> "The imagination, being not tied to the laws of matter, may at pleasure join that which nature hath severed and sever that which nature hath joined, and so make unlawful matches and divorce of things."

But the romantics were not contented with an escape from the cares of ordinary life. They held the notion that imagination is a divine faculty, concerned with central issues that are unseen forces at work. Its essence is to fashion, Shape and display these forces.-The poet who acquires this divine faculty is capable of giving these forces their significance. He could make these forces appealing to the reader and comprehensible, by throwing upon them the light of his imagination.

In his 'Preface' to 'The Lyrical Ballads' Wordsworth speaks of poetry as the work of imagination and assures us that common incidents and situations could be presented to the

ble visions in the fancy. But it is irresponsible and not troubled with truth or reality.

The romantics rejected this notion on the assumption that it robs their work of its essential connection with life. To both Blake and Coleridge, Locke represents a deadly heresy on the nature of existence. They rejected his conception of the universe and replaced it by their own system in which the mind of man is their central point and governing factor. They insist, being poets, that the most vital activity of the mind is imagination.

With the romantics imagination came to the forefront and became one of the major concerns of the romantic theorists.

Blake considers the world of imagination as the world of "Eternity". This world to him is "the divine bosom into which we shall all go after the death of the vegetated body."(2)

According to Coleridge, imagination is of first importance, because it partakes of the creative activity of God. In his 'Biographia Literaria', he expounds his theory of imagination while discussing the distinction between imagination and fancy, and the differences between primary imagination and poetic imagination. His concept claims that the poet is in possession of some voluntary power, which is in some sense not only one with the power that is active in all human perception, but is even a human analogy to the creative power of God. This exalts the poet as a man with some special insight into the nature of things. This claim was held by wordsworth, Shelley and Keats. To them, imagination is concerned with a supernatural order. Bowra tends to believe that the romantic poetry derives much that is most magical in it from such a claim,"but the danger of so bold an assumption," he

These tendencies could easily be traced in Thomson's "Castle of Indolence," Young's "Night's Thoughts," Gray's "Elegy written in a Country Churchyard, " and Blair's "The Grave". The romantics came later to emphasize the selfsame concepts and to lay special stress on imagination. Sir Maurice Bowra calls our attention to this fact in the first statement he makes in his remarkable study of the romantic imagination:

> "If we wish to distinguish a single characteristic which differentiates the English Romantics from the poets of eighteenth-century, it is to be found in the importance which they attached to the imagination and in the special view which they held of it"(1)

This emphasis on imagination, according to I.A. Richards, was strengthened by considerations which are both religious and metaphysical.

Both Blake and Coleridge rejected Locke's philosophy which had pre dominated for a century and which assumes that the mind of man is passive, "a lazy looker on on an external world". This viewpoint found support in an age of scientific speculation as that of Newton. Both Locke and Newton found a place for God in their Universe. The first on the grounds that in every aspect of nature there is an evidence of the existence of God. The latter on the principle that the great machine of the world implies a mechanic.

Such convictions did not satisfy the romantics, because they ignored the instincts of the individual. so, Locke's views on poetry became a target of both Blake and Coleridge. Locke stressed the notion that poetry is the task of wit. That wit is to combine ideas and create pleasant pictures and agreea-

THE CONCEPT OF IMAGINATION BETWEEN THEORY & PRACTICE

By

Fatima Saeed

Assistant Professor

English Department

College of Arts

University of Baghdad

Intorductory Note:

As far as the eigteenth–century poets are concerned, imagination is not a cardinal point in poetical theory. For Dryden, Pope, Addison and others it has little importance. They thought that what matters most in poetry, is truth to the emotions. But they approved of fancy, provided that it is controlled by judgement. they Also, admired the use of images.

They neglected personal feelings and wished to speak in general terms. For them the poet is an interpreter rather than a creator.His business is to. display the mysteries of life with as much charm as possible and to adhere to the truth as far he can manage.

Forasthe romantics, imagination is fundamental because without it poetry is impossible. The born poet is a gifted person. His gift is a capacity to create imaginary world. To curb such a capacity is to deny the poet something vital for his existence. But if he experiences this exceptional capacity without restrictions or restraints, he will produce genuine and strong poetry.

Before the romantics, a group of poets came to lay stress on naturalness, spontaneity and primitiveness in poetry.

27– Wilkins, D.A., *Second language learning and Teaching* , (London, Edward Arnold publishers Ltd., 1974).

28– Wilkins, D.A., *Notional Syllabuses* (Longman , 1977).

29–Willkins, D.A. 'Current Developments in the Teaching of English as a Foreign Language' *in English for special purposes* ed. by Susan Holden, (Modern English publication Ltd., 1977) P. 5–7.



18– Leach, Maria (ed.), *The Standard Dictionary of Folklore* , 2 vols. (New York, Funk and Wanalls, 1950).

14– Nasr, Raja T. 'The Essentials of Linguistic Science ' (Essex, Longman group Ltd., 1980).

15– Penfield, Wilder 'The learning of Languages' *in Fioreign language Teaching -An Anthology,* ed., by J. Michel (The McMillan Co., New York, 1967) P. 102–142 .

16– Ray, J., *A Hand-Book of Proverbs* , (London, George Bell and Sons, 1882).

17– Rivers, W.M., *Teaching Foreign-language Skills,* (university of Chicage Press, 1968).

18– Shakespeare , W., *The Comedy of Errors,* (Cambridge , University Press, 968).

19– Strevens, Peter, *New-Orientations in the Teaching of English,* (Oxford, Oxford University Press, 1977).

20– *The Encyclopedia America* Vol. 22 (Connecticut, Americana Corporation, 1979)P. 704 .

21– *The Holy Bible* , (New York, Thomas Nelson and Sons, 1952)

22– *The New Encyclopedia-Britannica Vol* . 7, (Chicago, Encyclopedia Britannica Inc., 1974) P. 463–464 .

23– *The New Caxton Encyclopedia* Vol. 15, (London, The Caxton Publishing Company Ltd., 1977) P. 4920 .

24– Tilley , M.P, *A Dictionary of the Proverbs in England in the sixteenth and seventeenth centuries* (An Arbor, university of Michigan Press, 1950).

25– Whiting , B.J. and H. W., *Proverbs and Proverbial Phrases,* (Massachusetts of Harvard University Press, 1968).

26– Wilson , F.P. and J., *The Oxford Dictionary of English Proverbs,* (Oxford, Clarendon Press, 1970).

Bibliography

1 – Ali, A. Yusif , *The Holy Qur'an Text, Tranaslation and commentary*, (U.S.A., The Muslim Students Association of the U.S.A. and Canada, 1975).

2 – Apperson , G. L., *English Proverbs and Proverbial Phrases*, (London, J.M. Dent and Sons Ltd., 1929).

3 – Ba'albaki, Munir, *'Al-Mawrid,' A Modern English-Arabic Dictionary*, (Beirut, Dar El-ilm Lil–Malayen , 1981).

4 – Bell, T. Roger, *Sociolinguistics-Goals, Approaches and Problems* (London, B.T. Batsford Ltd., 1976).

5 – Bock, J. Kathryn and Brewer, F.William, 'Comprehension and Memory of the Literal and Figurative Meaning of Proverbs', *Journal of Psycholinguistic-Research* , Vol. 9 No. 1, Jan., (1980) P. 59–72 .

6 – Champion, S.G., *Racial Proverbs*, (London, Routledge and Kegan Paul Ltd., 1950).

7 – Corder, S. Pit, *Introducing Applied Linguistics*, (Penguin Education, 1973).

8 – Ervin – Tripp, Susan M. 'Is second–language learning like the First?' Tesol Quarterly, 8 (1974) P. 111–128 .

9 – Gluski , J. *Proverbs*, (Amsterdam , Elsevier Publishing Company, 1971).

10– Gordon, Edmund. I. *Sumerian Proverbs, Glimpses of Every-day Life* in Ancient Mesopotamia, (New York, Greenwood Press, 1968).

11– Hall, Elvajean, *The Proverbs* , (New York, Franklin Watts, Inc., 1970).

12– Kemper, Susan 'Comprehension and the Interpretation of Proverbs', *Journal of Psycholingistic Research*, Vol, 10 No. 2 (March 1981) P. 179 –198 .

6– Knowledge of the appropriateness of the use of proverbs is essential,.

7– 'The search for interest' is a plausible justification for utilizing proverbs in language teaching; proverbs help to stimulate the learner and sustain his motivation in a foreign language learning situation .



nce, the teacher will always find available to himself several proverbs–relevant to the subject of banking, of course– that satisfy the needs of the learner e.g.,

1– Creditors have better memories than debitors .

2– Much coin, much care .

8– Money begets money .

4– Take care of the pence, and the pounds will take care of ..themselves .

5– Trade is the mother of money .

Conclusion

1– Every proverb to be mentioned in the classroom has to be explained clearly 'literally and figuratively'.

2– Familiarity with the cultural features of a foreign language may be achieved through having more emphases in our teaching material on the genres of folklore–not necessarily just ..'proverbs' but also; for example, the riddles, nursery rhymes, bon mots ... etc., ...

3– The shortcoming of most of the books and dictionaries of proverbs lies principally in the method of presentation that proverbs are listed as handy phrases and not in a context. And here comes the indispensable role of the teacher in creating the optimum conditions for exploiting proverbs and for learning to take place as a whole.

4– The utilization of proverbs is feasible in language teaching in terms of being related to the three major kinds of generalisation: notional, functional, and communicative.

5– The choice and timing of the use of proverbs is very important; and whenerver they are presented, they have to be under close control.

proficiency has not yet been developed to a good extent, it is important to present to the learner proverbs of simple linguistic structures to ensure that the learner won't make errors which are usually accounted to his short–term memory. I am not suggesting that we should use only short proverbs for there is no reason why long proverbs are not to be exploitd, so long as they are carefully controlled .

The foreign language learner is usually better able to analyse the language, and to perceive its irregularities than the learner of the *first language* (Li) ; and at the same time he can take a more objective approcach to learning a *foreign language* (FL); but he is able to understand and discuss non–linguistic concepts and subject–matter far better in his own language than in FL; this may cause him to become frustrated, lose morale, and increase his difficulties. Then to offset his limited ability to be so in FL, the teacher can present to the student a selection of proverbs that are similar in themes or advice in both Li and FL to appreciate them, and to facilitate the task for the student to learn them. For example, a good range of English proverbs origins and Arabic equivalents have been published in 'Al–Mawrid' English–Arabic dictionary (1981), and among them are the following :

1— A bird in a hand is worth two in the bush .
2— A man is known by the company he keeps .
3— A friend in need is a friend indeed .
4— A poet is born not made .
5— Charity begins at home.

The choice of the types of proverbs to be presented is also determined by the nature of the teaching course. If we think, for example, of having a group of learners who want to improve their English in a specific field, say 'banking' for insta-

"Original proverb: 'Out of another purse it is easy to be generous.'

Optional transform item : 'It is easy to be generous out of another's purse .'

Synonym item : 'From someone else's pocketbook it is easy to be charitable .'

Optional transform–synonym item: 'It is easy to be charitable from someone else's pocketbook .'

Figurative meaning item: 'Broad thongs are cut from other people's leather.' "(1).

Rules also include rules about style and register so that inappropriate language will not be produced unless for a particular function of joking or insulting.Thus, it is important to make clear to the learner *the stylistic and sociolinguistic restraints of proverbs* . And here I quote the Oxford dictionary of English proverbs (1970) "Thomas Fuller the physician in 1732 was of the opinion that 'sentences and sayings .... are usual and useful in Conversation and Business', with the warning that they 'are to be accounted as Sauce to relish Meat with', and that to apply them wrongly is 'abominably floppish, ridiculous, and nauseous'." (P. IX).

The selection of proverbs is very important since they are exceptionally heterogeneous and evidently can not be studied at once. And when the teacher selects a group of proverbs, he should bear in mind a number of factors that may have an effect, to a no small extent, on the learning process. For instance, in the early stages of language learning , when the learner's

1. J. Kathryn Book and William F.Brewer, 'Comprehension and Memory of the Literal and Figurative Meaning of Proverbs', *Journal of Psycholinguistic Research*, Vol. 9 No. (1980), P. 65.

And many other proverbs exhibit different types of conditional clauses, for instance :

1— If you wish good advice, consult an old man .

2— If you had all the wits in the world, fools would fell you .

3— If you always say 'No' , you'll never be married .

4— If my aunt had been a man, she'd have been my uncle .

5— If the beard were all, the goat might preach .

Accordingly, syntantic knowledge can be built up by familiarising the learner, throught the use of probverbs as examples, with the formal grammatical devices of the language: tense, aspect, mood, gender, number .... ect., bearing in mind that most of proverbs are written in the present simple tense (e.g., one poison drives out another's)and are usually declaratives .

Moreover, rules embrace all that is systematic in a language and not just syntactic rules ; they also include semantic rules 'combinatorial rules', and the marking of items in the lexicon so that meaningless sentences can not be generated . And we should take into account the communicative purposes which are again generalisation about the ways people address each other by use of language e.g., giving information, asking questions, apologizing , etc.,Wilkins (1974) writes 'The learning of meaning systems is no less important than the learning of formal systems. Meaning here includes the meaning of grammatical forms, the communicative function of sentences used as utterances and more obviously, the meaning of individual lexical items.' (P. 80). The teacher can explain the meaning of proverbs which are sometimes expressed in archaic vocabulary and syntax by introducing synonym substitution and optional transformation toward more standard forms . e.g.,

Student : Do diamonds come in small packages ?

Teacher : Why ?

Student : Why do diamonds come in small packages ?

Teacher : Replace the word 'diamonds' by a synonymous item .

Student : jewelry or precious stones . etc.,. .

It is essential for the learner to achieve some generalisation in what he has learned which means that we can select and grade some of the proverbs on a scale of increasing difficulty i.e., proverbs that exhibit the least structural difficulty and are the least stylistically marked can be ntroduced in an early stage of learning, and those that are structurally and contrastively more difficult and stylistically more heavily marked may be presented later .Learners can use proverbs that pose new syntaactic forms in structural drills so that they may have an ample opportunity to generate new sentences identical in structure to the ones of the proverb but different in vocabulary . For example , when teaching the learner the topic of subject–verb agreement, the teacher may make use of the proverbs 'Time works wonders' , in comparison to 'Times change, and we change with them.' with a clarification that the word 'time' can be countable or uncountable depending upon how it is used. In the meantime, numerous proverbs can also be utilized, as examples, in teaching 'comparison and intensification' of adjectives and adverbs e.g.,

1— As willingly as the bear goes to the stake .

2— Good to begin well, better to end well.

3— Better give the wool than the sheep.

4— The more a man has, the more he desires .

5— The more ; the merrier .

psychological facets that have deep values in the actual nature of the people and their society to the extent proverbs can provide the teacher with a number of labels–for example, time, space, location, shape, moral and emotional attitudes .. etc., for referring to a vast array of concepts which is a type of generalisation, namely , notional generalisation. And in order to arouse the desire in the learner to communicate in that language the teacher can exploit proverbs *as and when they are available and relevant* in the pursuit of excellence of learning. Peter Strevens (1977) writes 'Humour, variety, interesting material, demonstrably relevant material, involvement of the learner-especially relating the English course to the world of the learner outside the classroom – these are qualities deliberately sought because they are believed to improve the rate of learning as the learner's continued commitment to the task.' (P.66). For instance, the proverbs that have contradictive themes, or advice e.g., 'Might overcomes right' which contradicts with 'Right is stronger than might', or the proverb ' Care and diligence bring luck' which versus 'Care brings grey hair' can be introduced to learners to spark off a spontaneous discussion ; learners can be dvided into two groups and each group can argue in favour of a proposition. Although this primarily involves oral practice, the teacher may ask the student to take notes and write argumentative compositions or a reported speech summary of the class debate or discussion as homework .

The teacher should ascertain that his students have thoroughly mastered the construction and lexis of the proverb, and are informed of its literal and figurative meaning. He may get his students to ask each other questions, or he may choose to elicit questions in the following manner :

Example of a proverb set (Diamonds come in small packages)

Teacher : Ask me if diamonds come in small packages .

heart and still not be able to use them appropriately .Instead, we can suit the action to the proverb by using it in a context, and by making clear the circumstances of its use, taking into consideration that most proverbs have both a literal and a figurative level of meaning. At the literal level, a proverb such as (Run after two hares and you will catch neither) (1) gives advice about catching rabbits, whereas at the figurative level it suggests a warning against trying to do too many things at the sametime.

Susan Kemper (1981) investigated the ability to understand and remember both the literal and the figurative meaning of proverbs and concluded 'When proverbs occur naturally in a linguistic context, figurative uses are understood more rapidly than literal uses. In contrast, figurative interpretations of isolated proverbs are more difficult to make than literal interpretations. Inferences from the literal meaning of the proverb to their figurative meaning seem to be required only when subjects can not use contextual information to generate expectations about what the speaker is likely to say. (P. 197) She also found that literal uses of Proverbs were understood more rapidly than figurative uses when proverbs followed single word cues; for example, if the proverb is (Diamonds come in small packages) the literal cue word is 'jewelry and the figurative one is 'size' .

The realm of proverbs is rich and broad; one can find in it many aspects of the people's life-its aim, passion, moral, and

---

(1) J. Kathryn Bock and William F. Brewer, 'Comprehension Memory of the Literal and Figurative Meaning of proverbs', *Journal of Psycholinguistic Research*, Vol.9 No.1(1980), P. 59.

the second language culture. 'This view, of course, has its bearing on the exploitation of the proverbs that are similar in theme and found in more than one language; and this will be manifested below.

As an effective literary genre, attention must not be paid only to the role and significance of proverbs and to tracing (as far as may be possible) their history but also to the stylistic devices they contain, such as:

metaphor – 'Too many cooks spoil the broth'

rhyme – 'Buying and selling is but winning and losing' or 'East or west, home is best'

simile – 'like punishment and equal pain, both key and keyhole do sustain'

alliteration– 'Never trouble trouble till trouble troubles you
It only doubles trouble And troubles others too'

Dr. L. Bradley, an educational psychologist at Oxford university found in a recent study that nursery rhymes– which usually contain stylistic features like the ones we find in proverbs– help children to read and spell in a better way (1); this means that some genres of folklore can be applicable in language teaching on a larger scale.

Teaching in a classroom implies a consideration of the various pedagogic techniques which are based on different ideas about the nature of the learning process, and different notions about what the goals of study are. However, the exploitation of proverbs can be achieved as follows:

First, it is important to remember that we should not present proverbs to the learner as handy phrases which any proverb or phrasebook contains as one can learn proverbs by

(1) B B C World service, 'Discovery', 8th March, 1983

tion is regarded very highly, and proverbs are the palm-oil with which words are eaten, "(1)

Meanwhile, without a fairly extensive knowledge of the social, economical, moral, and psychological aspects of the society, a stranger may sometimes find himself unable to follow the fine shades of meaning of a text, carried by various linguistic choices, although he has a sufficient vocabulary that enables him to understand the target language, Raja. T. Nasr (1980: 113) mentions three points for mastering the use of language:

a- Know the correct l anguage to use,

b- understand the general situations in which to use the language (contextual orientation), and

c- understand the culture of the native speakers of the language (cultural orientation) and he adds, 'Cultural orientation means learning about a culture; it does not mean copying or imitating that culture.'

D.A. Wilkins (1974:49) points out, 'Language learning will also be much influenced by attitudes towards cultural aspects of language. In one sense language cannot be properly learned without familiarity with features of the culture, since language and culture are inextricably connected, and he adds, 'It is important to relate the language being learned to the cultural context of the native speakers of that language ...... This view, however, is not universally held. In some places, learning is associated much more with features of the learner's own culture, usually in order to reinforce the individual's sense of his own culture and sometimes from the desire to reject-what are considered alien and unacceplable features of

(1) The New Encyclopedia Britannica, (Chigaco, Encyclopedia Britannica Inc., 1974), Vol. 7, P. 464.

In the above works proverbs are either arranged in the alphabetical order of some, usually the first, significant word in the proverb, for example:

'None but fools and fiddlers sing at their meat.'
becomes: 'Fools and fiddlers sing at their meat, None but'.

Proverbs are also arranged according to the subject – matter; for instance, Gluski (1971) compiled a host of proverbs in six universal languages– English, French, Italian, Spanish, German, and Russian. And the collection is divided into a number of topical sections, such as: words and deeds, business and trade, cause and effect, time– weather and the like. Champion (1950) grouped twenty six thousand proverbs, selected from one hundred and eighty–six languages and dialects, according to their country of origin; each collection is arranged alphabetically in accordance with the chief or catchword and supplemented with a subject–matter index.

Why sould we study proverbs?

'A justification for the study of proverbs, if any is needed, may be found in its usefulness for philology, psychology, folklore, the history of manners, and for literary studies, to help establish a text or interpret a meaning.' (1)

From the cultural point of view, a good deal of folklore, especially the proverb, serves to instruct and remind members of society of wise codes of conduct to the extent that proverbs in some African societies are used for firm codes with force of judicial precedent; the African novelist Chinna Achebe writes in 'Things Fall Apart'; "Among the 'Ibo' the art of conversa-

(1) Joanna Wilson, 'Introduction' *The Oxford Dictionary of English Proverbs*, (Oxford, The Clarendon Press, 1970) P. vii.

tart ferme on l 'estable quand les chevaux sont perduz' (1).

English proverbs are often figurative – although many excellent ones, such as 'Haste makes waste' have nothing figurative about them draw their metaphors, due to their folk association, from matters of everyday interest, for instance:

1– Joy– Sorrow 'He that sings on Friday will weep on Sunday'.

2– Friendship –Enmity 'In time of prosperity friend will be plenty; in time of adversity, not one amongst twenty.'

3– Parents– Children 'Take heed of a stepmother: the very name of her sufficeth.'

It is worth noting that the first dated book ever printed in England was a book of proverbs called 'Dictes and Sayings of the Philosophers' (2) and was published in 1477 by William Caxton. In the 20th century a number of books and dictionaries of proverbs were also published among them are:

1– 'English Proverbs and Proverbial Phrases' by G.L.Apperson (1929).

2– 'Racial proverbs' by S.G. Champion (1950).

3– 'A Dictionary of the Proverbs in England in the 16th and 17th centuries' by M.P. Tilley (1950).

4– 'Proverbs, sentences and Proverbial Phrases' by B.J. and H.W. Whiting (1968).

5– 'The Oxford Dictionary of English Proverbs' by F.P. and J. Wilson (1970).

6– 'Proverbs' by J. Gluski (1971).

---

(1) Munir Baalbaki, 'Al– Mawrid' –A Modern English–Arabic *Dictionary*, (Beirut, Dar El–ilm Lil–Malayen, 1981) P.55.

(2) Elvajean Hall, *The Proverbs*, (New York, Franklin Watts, Inc., 1970) P. 14.

parable? A goodly word like a goodly tree ....' (1), 'Let another praise you, and not your own mouth; a stranger, and not your own lips,' (2); or even they could be the wisdoms of sages for example, Geoffrey Chaucer used many proverbs in his Canterbury Tales e.g., 'Lightly as it comth, so wol we spende' (3) and so did William Shakespeare in his plays e.g., 'Every why hath its wherefore' (4).

What is more interesting is that the same or quite similar proverbs, in two or more variants, are often found in many regions and in many languages e.g.,

'Necessity has no law,' (English and Arabic)

A number of reasons can be deduced for this affinity among proverbs:

1– The general applicability of proverbs to the activities of daily life.

2– Similar proverbs may have the same source of origin, or could have been borrowed, directly or indirectly, from one language into another as the case of many proverbs of foreign origin that were quickly absorbed into English life to the extent that no suspicion of borrowing can be entertained e.g., the English proverb 'It is too late to shut the stable–door when the horse is stolen 'is derived from the French proverb' A

---

(1) A. Yusif Ali, *The Holy Quran Text, Translation and Commentary*, (U.S.A., The Muslim Students Association of the U.S.A. and Canada, 1975). Surah xiv, Aya (verse) 24 P. 626.

(2) *The Holy Bible*, (New York, Thomas Nelson and Sons, 1952)

(3) Munir Ba 'albaki *'Al– Mawrid' –A Modern English– Arabic Dict.*, (Beirut, Dar El–ilm Lil–Malayen, 1981) P.35.

(4) W. Shakespeare, *The Comedy of Errors*, (Cambridge, University Press, 1968) Act II, Scene II, P. 17.

2– 'A short familiar saying expressing some well–known truth or common fact of experience.' (1)
8– 'A crystalized summary of popular wisdom or fancy.' (2)
4– Or as Francis Bacon put it 'The genius wit and spirit of a nation are discovered in its proverbs.' (3)

Moreover, proverbs reveal trace of culture, nature, theogonic myths, and of historical events that are expressed in such a way as to arrest the attention.

In the aggregate, many will agree that proverbs are usually short and embody a witty reflection on some aspect of life. And they must have some oral vitality which distinguishes them from the mere written cliches of journalese, commercialese, and the like.

Although many collections of proverbs have been assembled, published, and been subject to a good deal of study, still some of the published proverbs are not in strict terms proverbs at all, but simply trite and commonplace remarks e.g., 'John Bull', 'Silly Billy', 'Old Nick', etc.

As far as the origin of proverbs is concerned, they are sometimes so old that their origin cannot be traced, while others are comparatively new, or rather their old forms have been clothed in new and more expressive forms. Yet, a host of proverbs in use nowadays are extracted from the Holy Books and literary works e.g., 'Seest thou not how God sets forth a

---

(1) Edmund I. Gordon, *Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia*, (New York, Greenwood Press, 1968) P.I.

(2) G.L.Apperson, *English Proverbs and Proverbial Phrases*, (London, J.M.Dent and Sons Ltd., 1929) P. vii.

(3) J. Gluski, *Proverbs*, (Amsterdam, Elsevier Publishing Company, 1971) P. vii.

TITLE - THE USE OF PROVERBS IN ENGLISH LANGUAGE TEACHING.

Mr Ghalib Al-Bir
Assistant Instructor
Department Of English Language
College Of Arts
Al-Musutansiriyah University

This paper considers the importance and the means of exploiting proverbs in a foreign language learning situation.

Introduction:

Before bringing to light the origin of proverbs, one must first answer the question as to what the proverb itself represents. By and large the proverbs, or as informally called 'folk saying', are a prominent genre of oral literature which embraces a wide range of folk narrative, folk song, and genres such as the tongue–twister, the jest or joke, the riddle, and the belief or superstition. Besides, the proverb, as a genre in itself, is an umbrella for many a various type of proverbs, proverbial phrases, and proverbial similes; and terms such as 'maxims', and 'aphorisms' are often used to refer to proverbs.

It is with difficulty that one can give a satisfactory definition; however, proverbs can be defined and labelled in terms of what is said about the proverb and I quote here some of the common definitions:

1– 'A short sentence or phrase in common use, containing some trope, figure, homonymy, rhyme, or other novelty of expression.' (1)

(1) Ray, *A Hand–Book of Proverbs,* (London, George Bell and Sons, 1882) P. vii.

13. Verma, S.K. 1969: *The notion of 'register':a study in 'res tricted' languages,* Mimeograph, C.I.E. & F.L., Hyaer-abad, India.

14. Verma, S.K. 1972: 'A linguist's view of English in India' in *Indian and Foreign Review,* Vol.X, No.1.



REFERENCES

1. Berlin, Brent and Paul Kay, 1969: *Basic Colour Terms: Their Universality and Evolution*, University of California Press, Berkeley and Los Angeles.
2. Bierwisch, Manfred, 1970: 'Semantics' in *New Horizons in Linguistics*, (ed.) John Lyons, Penguins, England.
3. Bolinger, Dwight, 1975: *Aspects of Langaoge*, Hercourt Brace Jovanovich Inc., New york.
4. Bryant, Margret M. 1971: 'Split Infinitive' in *The Play of Language* (ed.) Dean, Gibdon & Wilson, O.U.P.Toronto.
5. Chomsky, Noam, 1965: *Aspects of the Theory of Syntax*, M.I.T. Press, Massachusetts, Second Printing.
6. Darbyshire, A.E. 1967: *A Description of English*, Edwin Arnold, London.
7. Joos, Martin, 1959: *The Isolation of Styles*, Georgetown University, Monograph No. 12.
8. Lyons, John, 1968: *Introduction to Theoretical Linguistics*, Cambridge University Press, London.
9. Mittins, W.H. 1970: *Attitudes to English Usage*, O.U.P., London.
10. Postal, Paul M. 1968: 'Underlying and superficial linguistic structures' in *Harvard Educational Review*, Vol. 34, No. 2.
11. Strevens, P.D. 1965: *Papers in Language and Language Teaching*, O.U.P., London.
12. Thorne, J.P. 1970: 'Generative grammar and stylistic analysis' in *New Horizons in Linguisties*, (ed.) John Lyons, Penguins, England.

1. 'Correctness', the much discussed concept, and often equated with observance of certain rigid normative 'rules' is much too inflexible to be of real help to the error analyst. Besides, it often prescribes outdated forms which are based sometimes on false logic and almost exclusively on a particular prestigious variety of the FL.

2. 'Acceptability' is, however, usage oriented and has the added advantage of accommodating linguistic variations stemming from stylistic, registral and 'modal' factors. The error analyst ought to keep these factors clearly before him when he dubs certain forms 'erroneous'. Wrong choice of style can lead to unpleasantness, even misunderstanding, and the utterances appear bizarre. Such language use may be termed 'erroneous'. Mixing up of registers also leads to 'errors'- (a) when the register of the native language is forced on that of the FL and (b)when a wrong choice of register is made within an FL. Error analysis at sophisticated level on a TEFL programme has also to take into consideration cases when purely colloquial forms are used for serious writing or when ponderous linguistic forms are employed in light speech.

3. The error analyst has to clearly specify whether his object is to view 'errors' from the standpoint of intra–dialect use or inter–dialect use and to maintain consistency in his analysis.

4. In the grammatical part of accept ability, the error analyst may be confronted with a few, limited but tricky cases when actual usage seems to violate some grammatical dispensations. Grammar does not shape usage; it only endeavours to account for it. Nevertheless, the basic principles stand good in most cases of language use.

5. Cases of semantic incogruity accountable in terms of lack of proper 'reference' in the world of experience should also be processed as 'errors' of the significant type.

corresponding terms in other languages.(5) In Arabic, for example, only three terms are used to describe the weather: *har, dafi:* warm: hot and *barid*: cold.

There is no equivalent for 'cool' in Arabic. It appears that in their overmuch preoccupation with grammatical relativism, linguists have by and large ignored the most important cognitive manifestation of all, the intricacy of lexical organization vis–a–vis the foreign–language learner.

What is of significant interest to us here is the fact that many of these lexico–semantic deviations do find currency and are acceptable within the framework of the speech community in which they are used. Existence of a large number of slang words and their full acceptance by the members of the linguistic group (e.g. the Hippies) using this slang is a case in point. In our regional English too, one may notice quite a few of these 'deviations' from British Standard Usage. Some examples are:

Family: In British English, 'family' comprises father, mother and children. In Arab culture, 'family' includes cousins, relations and even the parents of the spouse.

Uncle-in-law: used only as a kinship term obtained by translation from Arabic; in English culture, *uncle* is used to indicate brother of one's father or mother, or the husband of one's aunt.

'black money': a term coined to stand for unaccounted money in Arab culture–absent in British English.

Conclusion:- Any one engaged in the task of error analysis for pedagogical reasons is confronted with the problem of suitable determinants capable of sifting 'errore' from 'non–errors'.

thoughts. We cannot conceptualize a grandfather as a child of five, the rising of the sun at midnight in Mosul, and a two thous-and five hundred and fifteen year old man giving birth to a horse. We are not talking here of accepted metaphors or figurative expressions the significane odf which is connotational. In every day use, these sentences are clear cases of what Manfred Birwisch (1970: 171) calls violation of 'selection restrictions. These 'restrictions' specify possible semantic affinities among lexical entries and indicate which lexical elements may be selected in order to form a semantically well-formed combination of two or more syntactically combined lexical elements. Violation of 'selection restrictions' in non-connotative writing must, therefore, be processed as 'errors' of the signifficant type.

3.0.0. *Lexico-Semantic Deviations*: Leaving aside such cases of semantic incogriuty, there are cases of *lexico-semantic deviations* from the andard usage in a language. A language is a very vital part of the culture of its speech community. Our language shapes and classifies the 'reality' for us. Words of a language are like lenses that stand between us and reality; and many of these are not only warped but also tinted. How our different habits of naming can affect our "thinking"-symptomized by the efficiency with which we communicate-can be shown through recognition tests: "the monolingual Zuni, presented with a small set of different colours and then asked after a brief interval to pick out the ones he saw from a much larger collectiom, will have trouble recognizing the ones for which his language does not have convenient names." (Bolinger, Dwight, 1975:245), Other continuums present the same problem across languages-temperature, for example, where English *hot-warm-cool-cold* do not coincide lexically with the

providing a special context . Failing this , such utterances will be 'acceptable' phonologically (or, graphologically) and grammatically but 'meaningless' referentially. Such utterances are called 'non–sense' in common parlance. Thus, the well–known 'non–sense' sentence given by Chomsky –

*Colourless green ideas sleep furiously / is obviously grammatical in the sense that other sentences can be found which are identical to it in structure , e.g.,

Happy young colts play merrily

Blessed new couples love ardently

The only problem with Chomsky's sentence is that it is not the sort of sentence for which, at least in 1982 , we can find a proper referent in the world of reality. Yet, if somehow, in future howsoever remote, the sentence finds a proper 'referent' it would be as acceptable semantically too as the following

Very fast films are suseful in the detection of cosmic rays. The above sentence is of a kind for which an appropriate referent could not have been conceived of a hundred years ago when 'films' and 'cosmic rays' were unknown .

Chomsky (1965 :2.3.1) calls utterances which are unacceptable on semantic count *alone* cases of "purely semantic" incogruity. The following will serve as suitable illustrations :

* Ali's grandfather is a child of five .

* Everyone woke up when the midnight sun rose in Mosul.

The two thousand five hundred and fifteen year old man gave birth to a horse .

Such sentences violate psychological constraints of some kind, not syntactic ones. That is the conceptual structures that would have to underlie these sentences are simply not possible

*3. Yes, I didn't .

*4. He *was feeling* very sorrry for a week .

2.2.3. *Semantic Acceptability* . Acceptability at the level of semantics can be considered from two standards :

i . Acceptability without a context being provided separately .

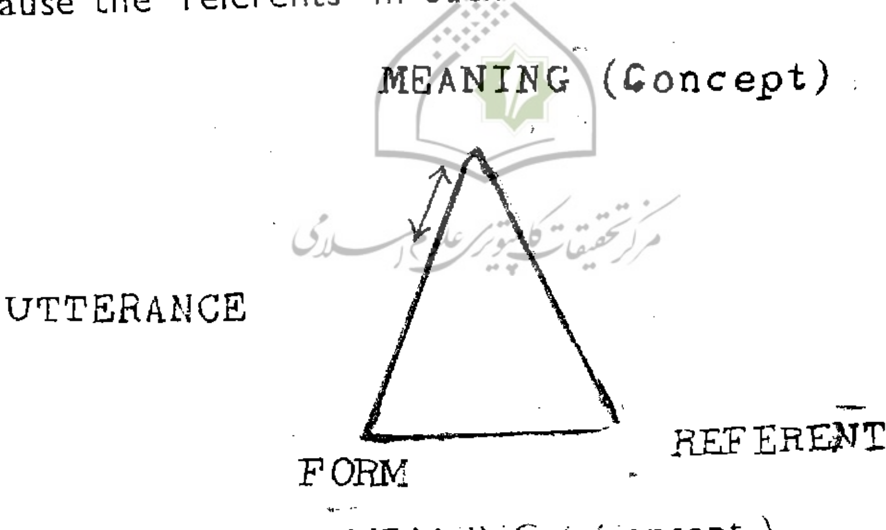
ii. Acceptability within a special context .

Most well –formed utterances in 'a language are acceptable even without being provided with a separate context, e.g.,

I'll shut the door

I love you but I hate your father.

Such utterances are semantically 'self–contained' and are stood in most contexts of situation without any difficulty. This is because the 'referents' in such cases are obvious .



MEANING (Concept)

UTTERANCE

FORM REFERNT

(A traditional diagrammatical representation of the 'triangle of signification)

Certain utterances are 'acceptable' only within a speciail context . (By 'context' is meant both the situational and the verbal context of an utterance .) In such cases , the utterance-referent relationship is not so obvious but may be so made by

English and yet it displays certain marked syntactic features which violate the rules of English grammar. Such instances of 'violation' which are Pan–Arab may be treated as deviations from the internationally accepted standards . One such 'deviation' is the tag question . In the grammar of Standard English, a tag question following a statement and separated from it by a comma "involves a repetition of the auxiliary and 'subject' of the first pre-comma part , with the proviso that the order must be changed, the negative added and the 'subject' pronominalized ,e.g.,

Mary will come, won't she ?
John can run, can't he ?
I have won, haven'tI ?" (Postal, 1968:254).

Very common 'deviations' of the above sentences are :

Mary will come, *isn't it* ?
John can run , *isn't it* ?
I have won , *isn't it* ?

Another syntactic 'deviation' relates to the so called *courtesy placement* of the first, second and third person Personal pronouns in a compound subject where Standard English follows the order as second person, third person and first person. The Arabic speaker – no doubt, under the influence of the native usage– follows a different order – first person , second person and thirs person , e.g.

I and *you* are going to the movies tonight .

I, *you* and *she* have all been declared successful .

A few other illustrations of departures from the syntax of Standard English, mostly under the influence of LI , follow:

*1. If you *will* work hard, you will pass .
*2. When I reached the shop, *then* I bought a book.

A brief discussion of a few sample cases will be relevant here :

1. (a) between you and *I*

   (b) between you and *me*

whereas (a) is the more current, (b) is the more 'correct' on the ground that as object of the preposition 'between', the objective case form-of the first person pronoun is justified .

2. (a) What place are you going *to*

   (b) *To* what place are you going

Sentence (a) is surely more racy; sentence (b) is more 'correct' but plodding' The latter has the approval of the prescriptive grammarian because on the analogy of the practice in Latin a sentence is not to end in a particle .

In conclusion , this in no way should be allowed to cast doubt on the existence of a set of principles of sentence construction that a learner of language has to master – principles , that specify certain sequences of words as being grammatical sentences of the language and exclude others. To abandon the distinction because of some border–line cases would be to distort our picture of language far more than it is distorted by the idealizing assumption that a decision can be made for every sentence .

2.2.2.1. It is pertinent to take note of *syntactic* deviations in the English of Arabic speakers. The 'Englishness' of this socio-regional variety lies in the fact that its basic linguistic systems are the same as those of *English* English . Its peculiarity lies in the fact that within the general framework of the systems of *English* English , it displys certain distinguishing phonological lexico-semantic and syntactic features. English in the Arab world retains a grammatical core characteristic of Standard

rd between subject and verb, modifier and head noun, the head and its post verbal substitute ; confusion and wrong use of adjectives and adverbs dangling modifers, use of inappropriate prepositions and articles, wrong tense formation, the direct and indirect forms of narration, and the misuse of conjunctions .

Besides, there are what Noam Chomsky (1965:2.3.1) calls "fairly clear cut cases of violation of purely syntactic rules." Some of his illustrations are :

*sincerity frighten may boy the

*boy the frighten may sincerity –

for, 'Sincerity may froghten the boy '.

Although these two cases may be regarded as extremes of their type , encountered seldom in actual use , one does come across utterances such as the fhllowing :

* I want some no else

*Sure is terrible the lecture

Thus while it is easy enough to formulate that a *deviant* or *ungrammatical* sentnce is one which violates some grammatical constraint, it is not always possible to make up one's mind about every sentence which may be given. This appears particularly true in cases where the : edges' have got partially eroded by contrary usage .4

4An enquiry into social attitudes to English usage was conducted by the University of New Castle Upon Tyne. A questionnaire was sent around to school and university teachers of English, examinees of English, school teachers of subjects other than English, lectures in colleges of education and of commercial and technical colleges, managerial staff and so on. Their opinion was sought as to the 'correctness' of 55 selected sentences in the questionnaire. There was little agreement – a fact which is rather significant. (W.H.Nittins, 1970).

only the phonemic contrasts and tends to disregard all the allophonic variations. Besides, different dialects of the same language often have slightly different phonemic systems . So the notion of phonological 'acceptability' and 'correctness' will have to be viewed from two different stand–points :

a. intra–dialect

b. inter–dialect

While the written form of a languaget ends to be uniform, the spoken form always exhibits divergences both within a dialect and, still more sharply, among its various dialects . The lexicon and the grammer of a dialect (or of a language) are rather easily 'standardized' and made uniform through the influence of the printed word. This, however, does not happen in the case of the spoken form. Thus, while it maty be easy to describe a 'standard' written language or dialect, it would be less easy to say precisely what the 'standard' spoken form is. For the purpose of a systematic study of speech, the phonetician has to evolve a workable 'norm' on the basis of which he can refer to divergences or deviations in individual speech. This "norm" in most cases is, for reasons which are almost all extra–linguistic, the form most frequently used by the educated and the most influential speakers of the language. The Received Pronunciation has become such a norm for British English .

2.2.2. *Grammatical Acceptability* : Grammaticality is "that part of the acceptability of utterances which can be accounted for in terms of the rules of formation and transformation specifying the permissible combinations of the distribution classes of elements ('categories' and 'features') in sentences." (John Lyons : 1968 , 9.3. 10).

In English, one comes across violations of the rules of grammar in a number of cases such as those pertaining to conco-

Advanced Learners' Dictionary of Current English which I am sending as per your instructions. As early reply is solicited .

Yours sincerely ,

Raja Mhustafa Younis ."

It is obvious that the writer of the letter has used the register of 'commercialese' in a personal, informal letter .

2.1.3. *Acceptability and Mode of Discourse* : Still another type of linguistic variation is in 'form' or '*Mode of Discourse* . One can notice a consistent difference between the spoken and the writen forms of a language. In oral communication , one has the advantage of personalized human contact and interaction . The hearer helps the speaker understand how far communication is taking place by his gestures, confirmations, comments and questions. But the writer has to do without all such aids and has, therefore, to be proportionately more careful , elaborate and self-contained . Non-native users of English , who for the most part learn their English from the printed word, often ignore this basic distinction and speak ponderous prose. Even the choice of words is sometimes dictionary – bound but not socially operative – hence amusing .

2.2.0. *Layers of Acceptability* : 'Acceptability' can be conveniently conceived of as existing in 'layers' . Thus linguistic forms may be 'unacceptable' in one or more of the following ways :

1. Phonological / Graphological .
3. Grammatical (Morphological and Syntactic).
3. Semantic .

2.2.1. *Phonological Acceptability* :While talking of 'Phonological Acceptability', one has to disregard minute phonetic differences, as these are bound to occur even among members of the same speech community. It is a known fact that the native speaker of a language, unless he is a trained phonetician, hears

or adjectival or adverbial phrase expounds a complete utterance, and a high proportion of present or future tense verb forms. 3

All languages make use of 'registers' and *Register* as such appears to be a *language universal*. Nevertheless its surface manifestations vary from language to language. This often poses a learning problem to the foreign-language learner because Register-shift, viz., the ability to shift registers according to shifts in the situations is one of the crucial conditions for success in handling a foreign language effectively.

An attempt is sometimes made by a foreign-language learner to force a registral feature of his Ll into that of L2. An Arabic speaker learning English often begins a personal letter with:

"I am all right here, and I hope by the grace of God Almighty who is kind and merciful, you and yours are also equally well ....."

These are clear-cut cases of the interference of elements of the native culture into English where they misfire as no two languages have exactly identical ways of structuring their registral resources.

Still another source of error in the handling of registers is the failure on the part of a learner of a foreign language to keep two or more registers of that language discrete. A letter to a friend such as the following, which was purported to be personal and intimate, sounds funny:

"My dear Mr. khalaf Durzee Saleem,

I am in receipt of your kind letter of the 15th of October, 1981 .... Kindly find enclosed herewith the book

(3) For details relating to telephonic conversation, see Verma, S.K., 1969.

used appears bizarre or ridiculous. Thus, though there are times when the various styles tend to shade into one another like a worn stair–case, yet a good user of a language keeps them as much apart as possible. An Iraqi learner of English will, no doubt, sound very odd if in response to a question 'where he lives,' he says–

* My abode is in Baghdad. 2

2.1.2. *Acceptability and Field of Discourse:* Another important dimension of language–use which gives rise to language varieties of a different kind is the *Field of Discourse*. The name given to any variety along this axis is 'Register' . Registral varieties are marked by differences in phonological, grammatical and lexical features. Consequently, there are distinct registers of science, history, law, philosophy, literature, sports, commerce, religion, cookery, embroidery and so on. Football commentators, public speakers, priests, newspaper sellers, auctioneers, drill instruotors and announcers at radio, television, railway stations and air ports exploit certain phonological resources of the language to attract the attention of the audience. Grammatically also, various registers have their distinguishing features. The register of history makes use of a high proportion of past tense verb forms; the register of the International Language of the Air is marked by a high percentage of present and future tense verb forms and imperatives. The register of telephonic conversation also shows distinct grammatical features–a preponderance of moodless clauses or reduced sentences, and in which a nominal

(2) Readers of *Pride and prejudice* are familiar with the lunny effect of the speeches of the notorious Mr. Collins who mixes up the formal and the informal styles out of sheer sense of self–dignity and solemnity.

1967, 99) . A larger number of errors than is often realized in the English of foreign learners, stem from their insensitivity to levels of usage in this language. Language is used for a multiciplity of purposes and what is said and the way it is said depend upon the situation in which an utterance is made, the kind of relationship that obtains among the participants, the subject matter of the discourse (technical, literary, social .. ...), the mode of the discourse (spoken, written) and several other factors. Thus "every user of a language appears in a network of interlocking and over–lapping reastricted languages" (Verma, S.K., 1969).

2.1.1. *Acceptability and Manner of Discourse*: In respect of the *Manner of Discourse,* Martin Joos (1959) distinguishes wide variations in style–Frozen, Formal, Consultative, Casual and Intimate:

Frozen: Visitors should make their way at once to the upper floor by way of the stair–case.

Formal: Visitors should go up the stairs at once.

Consultative: Would you mind going upstairs right away, please?

Casual: Time you all went upstairs now.

Intimate: Up you go, chaps.

P.D. Strevens (1965: 90) adds a sixth variety to these; he calls it Vulgar:

Vulgar: Get up them stairs.

In spite of the fact that these variations of style are not hard–edged pigeon holes and that there is a continual overlapping between them, wrong choice of style can lead to unpleasantness or even misunderstanding. Of course, the meaning continues to be obvious in most cases, but the language

–riate context, and is, or would be, accepted by other native speakers as belonging to the language in question."

2.1.0. *Acceptability, Unacceptability--a cline*: There is hardly any such thing as either perfect acceptability or absolute unacceptability. Between these two hypothetical extremes there is a cline with varying degrees of acceptability. J.P. Thorne (1970: 187) has illustrated this point very well:

An old man came in who suffered from asthma.

An old man who suffered from asthma came in.

Both the sentences given above are almost equally acceptable; but in the following two sentences–

An old man with asthma came in

An old man came in with asthma–

the first is certainly more acceptable than the second.

Again, the following two sentences–

I called most of the girls up

I called up most of the girls–

are equally acceptable, but not the following–

I called up the girls who lived there

I called the girls who lived there up.

Some utterances, likewise, may be perfectly acceptable in one particular 'variety' of English and yet unacceptable in another. Thus 'Our Mom done that' which is unacceptable in Standard English ('My Mummy did that') is just as acceptable in its own particular 'variety' of English. "Those people who say that such a sentence as 'Everybody contributed their share' is ungrammatical only do so without realizing that they are comparing it with the sentence 'Everybody contributed share' which is grammatical in the dialect of Standard English but not necessarily in other dialects." (Darbyshire, A.E.:

'Correctness', 'grammaticality' and 'acceptability' are closely inter-linked, and one cannot be discussed without reference to another .

1. *Correctness -a conventional concept :* It is customary to equate 'correctness' with observance of certain normative 'rules' laid down by a venerated line of grammarians and preached by succeeding generations of school masters . Many of these 'rules' prescribe obsolete and out dated forms. 'He is taller than *I*' is preferred to 'He is taller than *me*' on the basis of a rule in Latin. Double negatives and double superlatives are banned by these rules not because the standard current usage has shed them but because these are 'illogical'! The adherence to *whom* in many situations where *who* is the accepted form today is an outcome of a tacit preference for older forms. What is still more serious is that most of these prescriptive 'rules' are based exclusively on the Standard variety of English regardless of usage in the other dialects. This tantamounts to considering usage in other dialects 'corrupt' and not merely different' – a position which runs counter to the basic tenets of linguistics. It is obvious, therefore, that the concept of 'correctness' is illusory inasmuch as it is based on certain false and untenable premises. Language is by no means a matter of prescription or authority . Each socially or regionally differentiated form of a language has its own stand ard of 'correctness' immanent in it .

2. *Acceptability--a broad-based notion:* 'Acceptability' is a much more naive and broad–based term than 'grammaticality' in its non–dependence on any technical definitions or theoretical concepts of linguistics. John Lyons (1968: 402: 10) describes an 'acceptable' utterance as "one that has been, or might be, produced by a native speaker in some approp-

ERROR AND NON—ERROR IN TEFL : SOME THEORETICAL CONSIDERATIONS

BY

Dr. S. K. SHARMA **M.B.AL-AZZAWI (M.A)**

Dept. of European Languages,

College of Arts,

University of Mosul.

Abstract

This paper presents a multi –dimensional study in depth of the notions of 'Correctness' 'Grammaticality' and 'Accepta bility' vis-a-vis Error Analysis and Foreign Language Teaching. It seeks to demonstrate that 'Correctness' is based on certain false and untenable premises . 'Acceptability' of linguistic forms has been looked at and examined from various angles – 'levels' of usage, phonology grammar and semantics. Illustrations have been copiously drawn from learners ' English . By aiming at pin-pointing what constitutes 'error' in language use , the discussion in this paper is expected to immensely help any one engaged in the task of error analysis for pedagogical reasons .

(In this paper , the discussion relates only to 'systematic' or 'significant' errors, and inadvertant 'lapses' or 'slips' caused by a multiplicity of extra–linguistic factors like memory failure fatigue or carelessness have been ignored .)

What constitutes an 'error' in language use ? How is it different from a 'non-error' or what is ' correct' or 'grammatical' or 'acceptable' ? No theory of error analysis and no one engaged in the task of error analysis can ignore these questions

TABLE OF CONTENTS

٩١

Al-Mustansiriya Literary Review

Published by the College of Arts

Al-Mustansiriyah University

VOL.9

1984